مفتاح السعادة
في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
محمد تقي النقوي القايني

مفتاح السّعادة
فى
شرح نهج البلاغة

المجلد الخامس عشر

لِمُؤلّفه سيد محمد تقى النّقوى

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٧
التاريخ

قائم
انتشارات قائم

نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی‌طالب علیه السلام] تألیف محمد تقی نقوی القائنی.- تهران: قائن، ۱۳۸۳.

ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7: (دوره).
ISBN : 964 - 8981 - 05 - 1: (ج ۱۵).
فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنامه.
۱. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ٤٠ ق. - نهج البلاغه - نقد و تفسیر. ۲. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ٤٠ ق. - کلمات قصار. ۳. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ٤٠ ق. - خطبه‌ها. الف. علی بن ابی‌طالب علیه السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ٤٠ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان: نهج البلاغه. شرح.

BP۳۸/۰۲/ن۷ ۲۹۷/۹۵۱۵
۱۳۸۳
کتابخانه ملی ایران م۸۳-۳٤٥۷۱

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغة - المجلد الخامس عشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی
الکمیة: ۱۰۰۰
الطبعة: الاولی
تاریخ الطبع: ۱۳۸٤ ش. - ۱٤۲٦ ق.
تنسیق الصفحات: نشرقائن - ۸-٤٤٤٦٥۲۷
لیتوغرافی: نوین
المطبعة: زنبق
انتشارات : قائن
تهران: شارع جنت‌آباد، هاتف: ۸-٤٤٤٦٥۲۷

جمیع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی
شابک: ۱ - ۰۵ - ۸۹۸۱ - ۹٦٤ ISBN : 964 - 8981 - 05 - 1

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الأشرف

ومن عهده عليه السلام (٢٥)

الىٰ محمّد بن أبي بكر رضي الله عنه حين قلّده مِصر :

□ قوله عليه السلام: فاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحكَ وأَلِنْ لهُمْ جَانِبَكَ وأبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وآسِ بيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ حَتّىٰ لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءِ فِي حَيفِكَ لَهُمْ ولا يَيْأسَ الضُّعَفاءُ منْ عَدْلِكَ عَليْهِمْ فإنَّ اللَّهَ تَعالىٰ يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغيرَةِ منْ أَعْمالِكُمْ والكَبِيرَةِ والظَّاهِرَةِ والمَسْتُورَةِ فإنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ وإنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ المُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعاجِلِ الدُّنْيا وآجِلِ الآخِرَةِ فشارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْياهُمْ ولمْ يُشارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا في آخِرَتِهِمْ .سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وأَكَلُوها بأفْضَلِ مَا أُكِلَتْ فَحظَوُا منَ الدُّنْيَابمَا حَظِيَ بِهِ المُتْرَفُون وأَخَذُوا مِنهَا مَا أَخَذَ الْجَبابِرَةُ المُتَكَبِّرُونَ .ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْها بالزَّادِ المُبَلِّغِ والمَتْجَرِ الرَّابِحِ أصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْياهُمْ وتيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَداً فِي آخِرَتِهم .لا تُرَدُّ لهُمْ دَعْوَةٌ وَلا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ منْ لَذَّةٍ فاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وقُرْبَهُ وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ فإنَّهُ يَأتِي بِأَمْرٍ عَظِيم وَخَطْبٍ جَلِيلٍ بِخيرٍ لا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أبَداً أوْ شَرٍّ لاَ يكُونُ مَعَهُ خيرٌ أبداً فَمَنْ أَقْرَبُ إِلىٰ الْجنَّةِ منْ عَامِلِها ومَنْ أَقْرَبُ إِلىٰ النّارِ منْ عَامِلِها وَأَنْتُم طُرَداءُ المَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخذَتمْ (أخذكم) وإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أدْرَكَكُم وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ منْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَالدُّنْيَا تُطْوَىٰ منْ خَلْفِكُمْ فاحْذَرُوا ناراً قَعْرُها بَعِيدٌ وحَرُّها شَدِيدٌ وَعَذابُها جَدِيدٌ .دَارٌ لَيْسَ فِيها رَحْمَةٌ وَلا تُسْمَعُ فِيْهَا دَعْوَةٌ وَلا تُفَرَّجُ فِيها

كُرْبَةٌ وإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنِكُمْ به فأجْمَعُوا بيْنُهما فإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلىٰ قَدْرِ خَوْفِهِ من رَبِّهِ وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً باللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوفاً لِلَّهِ.

واعْلَمْ يا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَفَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخالِفَ علىٰ نَفْسِكَ وأَنْ تُنافِحَ عَنْ دِيْنِكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ منَ الدَّهْرِ ولا تُسْخِط اللَّهَ بِرضَا أحدٍ منْ خَلْقِهِ فإِنَّ فِي اللَّهِ خَلَفاً من غيرِهِ وَلَيْسَ منَ اللَّهِ خَلَفٌ فِي غيرِهِ.

صلِّ الصَّلَوٰةَ لِوَقْتِها المُوَقَّتِ لَها ولا تُعَجِلْ وَقْتَها لِفَرَاغٍ ولا تُؤَخِّرْها عنْ وَقْتِها لاشْتِغالٍ واعْلمْ أنَّ كلَّ شَيْءٍ منْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَّلاَتِكَ:

وَمِنْهُ. فإِنَّهُ لا سَوَاءٍ إِمَامُ الهُدَىٰ وَإِمَامُ الرَّدَىٰ ووَلِيُّ النَّبِيِّ وعَدُوُّ النَّبِيِّ ولَقَدْ قالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنِّي لا أَخَافُ لَىٰ أُمَّتِي مُؤمِناً ولا مُشْرِكاً أَمَّا الْمؤمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بإِيمَانه وأَمَّا المُشرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشرْكِهِ وَلكِنِي أخافُ عَلَيْكُمْ كلَّ مُنَافِقِ الجَنَانِ عالمِ اللسَانِ يَقُولُ ما تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ.

◁ **اللّغة**

(**فأَخْفِضْ**) فعل أمرٍ من خفض يخفض يقال خفضّ الشّيء هَونّه ولَينّه.

(**جِنَاحَكَ**) الجناح الجانب النّاحية (**وأَلِنَ**) بفتح الهمزة وكسر اللاّم على وَزن أقِم فعل أمرٍ من ألان يُلين نحو أقام يُقيم يقال ألانَ للقوم جناحه، أي أخذهم بالمُلاطفة (**وآسِ**) بكسر السّين فعل أمرٍ من آسىٰ بمدّ الهمزة أي سوّىٰ (**العُظَماءِ**) بضم العين جمع عظيم (**حَيفِكَ**) الحيف الظّلم (**فَحَظُوا**) الحظّ النّصيب، (**المُتْرَفُونَ**) جمع مُترف وهو المُتنعم (**طُرداء**) بضّم الطّاء جمع طَريد (**مَحْقُوقٌ**) أي مطالب بحقّ بمخالفتك شهوة نفسك (**تُنافِحَ**) فعل مضارع من نافَح يُنافح والمصدر منه المُنافحة وهي المدافعة.

◁ المعنىٰ

(ومن عهدِه) أي أمير المؤمنين (الىٰ محمّد بن أبي بكر حين قَلّدَه مِصر) و جَعله والياً عليها (فأخفِضْ لَهُمْ) أي سهّل وَهَوِن للنّاس (جَنَاحِكَ) وجانِبَك وَهُوَكناية عن التّواضع لهم (وَأَلِنْ لَهُمْ جانِبَكَ) بالمُلاطفة وحُسن البَشَرة (وأبسُطْ) وَوَسع (لَهُمْ وَجهَكَ وآسِ بَيْنَهُمْ) بالسّوية (في اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ حتَّىٰ لا يَطْمَعَ العُظَماءِ) مِن القوم (فِي حِيفِكَ لَهُمْ) أي في ظُلمِك للرّعية (ولا يَيْأَسَ الضُّعَفاءِ منْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ) علىٰ الضُّعفاء (فإِنَّ اللَّهَ تَعالىٰ يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغيرَةِ منْ أَعْمالِكُمْ والكَبيرَةِ والظَّاهِرَةِ) منها (والمَسْتُورَةِ) منها غداً يوم القيامة (فإِنْ يُعَذِّبْ) اللّه أيّاكُمْ (فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ) وأحرىٰ للعذاب (وإِنْ يَعْفُ) اللّه عنكم (فَهُوَأَكْرَمَ) علىٰ عباده (واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ المُتَّقِينَ) أي أهل التّقوىٰ فِي الدُّنْيا (ذَهَبُوا بِعاجِلِ الدُّنْيا وآجِلِ الآخِرَةِ فشارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيا في دُنْياهُمْ) فِي نيلهم الىٰ حُظوظها ومنافعها والإلتذاذ بنعمها (ولمْ يُشارِكْهُمْ) أي لم يُشارك المُتَّقينَ (أَهْلُ الدُّنْيا فِي آخِرَتِهُم) أي في آخرة المُتّقين في الوصول الىٰ المقامات (سَكَنُوا) أي المُتّقين (الدُّنْيا بأفْضَلِ مَا سُكِنَتْ) ما مصدرية أي أنّهم إستعملوا الدّنيا علىٰ الوجه الّذي ينبغي لهم (وأَكَلُوها) أي أكَلُوا نِعَمها (بأَفْضَل ما أُكِلَتْ فَحَظُوا) وإستفادوا (منَ الدُّنْيا بمَا حَظِيَ) وإستفادوا (المُتْرَفُونَ) المُتنعمون (وأَخَذُوا مِنْها) من الدّنيا (مَا أَخَذَ الجَبَابِرَةُ المُتَكَبِّرُونَ) من النِعَم (ثُمَّ انْقَلَبُوا) أي المُتّقين (عَنْها) عَنْ الدُّنْيا وهو كناية عن موتهم (بالزَّادِ المُبَلِّغ) الكامل (والمَتْجَرِ الرَّابِح) الّذي لا ضرر فيه وهو التّقوىٰ والعَمَل الصّالح (أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيا فِي دُنْياهُمْ وتَيقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ) لكونهم قد عملوا في الدّنيا بما شاء اللّه من الخيرات فلا محالة (لا تُرَدُّ لهُمْ دَعْوَةٌ) بل يكون دعائهم مستجاباً (ولا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ من لَذَّةٍ فاْحْذَرُوا عِبادَ اللَّهِ المَوْتَ وقُرْبَهُ) اليكم وإستَعدوا له (وأَعِدُّوا لهُ) للمَوت (عُدَّتَهُ فإِنَّهُ يأتِي بِأمرٍ عظِيم وخَطْبٍ جَلِيلٍ) فلا تكونوا علىٰ غفلة منه (بخيرٍ) أي أنّه يأتي بخيرٍ لا شَرَّ

معَه (لا يكُونُ مَعَهُ شَرّاً) كما في الزّهاد والصّلحاء (أَوْ شَرٍّ لا يكُونُ مَعَهُ خيرٌ أبداً) كما في الأشقياء والأشرار (فَمَنْ أقْرَبُ إِلىٰ الْجَنَّةِ منْ عَامِلِها) أي من عامل الجنّة بالأعمال الصّالحة المُوجبة للدّخول فيها (وَمَنْ أقْرَبُ إِلىٰ النَّارِ منْ عَامِلِها) بالأعمال السّيئة المُوجبة للدّخول فيها (وأنْتمْ طُرَدَاء الْمَوْتِ) فهو يَطلبكم (إنْ أَقَمْتُمْ لَهُ) للمَوْتِ (أَخذَتمْ) لا محالة (وإنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُم) كذلك فلا يمكن الفرار منه لأحدٍ (وَهُوَ) أي المَوْتِ (أَلْزَمُ لَكُمْ منْ ظِلِّكُمْ المَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ والدُّنْيا تُطوَىٰ منْ خَلْفِكُمْ) وهو دليلٌ علىٰ شدة المُلازمة بينكم وبينه (فأَحْذَروا نَاراً قَعْرُها بَعِيْدٌ وحَرُّ ها شَدِيدٌ وَعَذَابُها جَدِيدٌ) في كلّ ساعةٍ بل في كُلّ آنٍ (دارٌ لَيْسَ فِيها رَحْمَةٌ وَلا تُسْمَعُ فِيْهَا دَعْوَةٌ وَلا تُفْرَجُ فِيها كُرْبَةٌ) وغمّ (وإن اسْتَطَعْتُمْ أَنَّ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ) أي من عَذاب اللّه في الدّنيا (وأن يَحسن ظنّكم) باللّه (فأجْمَعُوا بينهُما) أي بين الخَوف وحُسن الظّن باللّه (فإنَّ الْعَبْدَ إنّما يكُونُ حُسْنُ ظنِّهِ بِرَبِّهِ عَلىٰ قَدْرِ خَوْفِهِ من رَبِّهِ) وَذَلِكَ لأنّ المؤمن يكون دائماً بين الخَوف والرّجاء (وإنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً باللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلَّهِ...

وهذه الجُملة في الحقيقة تفسير لما قبلها (واعْلَمْ يَامُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْوَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنادِي) جمع الجُند وهو العَسكر (فِي نَفْسِي أهْلَ مِصْرَ فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ) أي حقّ عليك (أَنْ تُخالِفَ علىٰ نَفْسِك) ولا تُطيعها (وأَنْ تُنافِحَ)وتُدافع (عَنْ دِيْنِكَ ولوْ لمْ يكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ منَ الدَّهْرِ) أي ولو لم يَكُن عُمرك أو ولايتك إلّا ساعة من الدّهر (ولا تُسْخِط اللَّهَ) وَلا تُغضبه (بِرِضَا أحدٍ منْ خَلْقِهِ) فإنّ رِضا الخالق مُقدّم علىٰ رِضا المَخلوق (فإنَّ في اللَّهِ خَلَفاً منْ غَيرِهِ) وعَوض عنه إذا فَقدته (ولَيْسَ مَن اللَّهِ خَلَفٌ) وعَوَضٌ (فِي غَيرِهِ) إذ لا عِوَض عن اللّه تعالىٰ (صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِها المُوَقَّتِ لَها) فأنّ أوّل الوَقت رضوانه تعالىٰ وآخره غفرانه (ولا تُعجلْ وَقْتَها لِفَرَاغٍ ولا تُؤخِّرْها عنْ وَقْتِها لإشْتِغالٍ) إذ أيّ اشتِغال أهمّ وأنفع من الإشتغال بها.

(واعْلمْ أنَّ كُلَّ شيْءٍ منْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ) أن قُبلت قُبل ما سواها وأن رُدَّت رُدّ ما سواها (ومِنْهُ) أي ومن هذا الكلام (فإِنَّهُ لا سَوَاءٌ) أي ليس على حدٍّ سواء (إِمَامُ الهُدَىٰ وإِمَامُ الرَّدَىٰ) الأوّل كأمير المؤمنين والثّاني مثل معاوية (وَوَلِيُّ النَّبِيِّ) ومُحبّه (وعَدُوُّ النَّبِيِّ) ومُخالفه (ولَقَدْ قَالَ لِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ إِنِّي لا أخَافُ علىٰ أُمَّتِي مُؤمَناً ولا مُشْرِكاً أَمَّا المؤمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللّهُ) عن الإضرار والإضلال (بإِيمَانه) فأنّ الإيمان مانع منه (وأمَّا المُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللّهُ) ويُهلكه (بِشرْكِهِ) وكُفره (وَلكِنِي أخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ مُنافِقِ الجَنانِ) والقلب (عالِمِ اللسَانِ يَقُولُ) بلسانه (مَا تَعْرِفُونَ ويَفْعَلُ) بفعله وعَمله مَا تُنْكِرُونَ.

◁ الشّرح

هذا العَهد أنّما صَدَر عنه عليه السلام بظاهره لمحمّد بن أبي بكر بعد ما جَعَله والياً علىٰ مِصر وأمّا في الواقع فهو لجميع الحُكّام والوُلاة في الأسلام الىٰ يوم القيٰمة لو عملوا به وأنّىٰ لهم من العَمَل به هيهات.

▫ **قوله عليه السلام: فاخْفِضْ لهُمْ جَنَاحَكَ وأَلِنْ لهُمْ جانِبَكَ وأَبْسُطْ لَهُمْ وَجهَكَ وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ...**

أَمره عليه السلام بأربعة، أحدها خفض الجناح وثانيها لين الجانب، وثالثها بَسط الوجه ورابعها المُواساة بين النّاس أمّا خفض الجناح فهو إشارة الىٰ التّواضع وقد أَمَر اللّه رسوله به في كتابه وكلامه عليه السلام هذا نتّخذ منه قال اللّه تعالىٰ: ﴿واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ منَ الْمُؤمَنِينَ﴾ (١)

و: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (٢)

وقال في حقّ الوالدين: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (٣)

والخفض ضدّ الرّفع وهو الدّعة والسّير اللّين فهو حَثٌ على تليين الجانب والإنقياد.

١- الشعراء ـ٢١٥

٢- الحجر ـ٨٨

٣- الاسراء ـ٢٤

وأمّا لين الجانب فقد قال اللّه تعالىٰ فيه: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾**(١)

وقال مُخاطباً لموسىٰ هرون: **﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾**(٢)

وثالثها بَسط الوجه وهو كناية عن حُسن الخُلق والمُداراة في المُكالمات والمُحاورات وبالجملة أن لا يكون عبُوساً قَمطريراً بحيث يشمئز النّاس من مُجالسته وقد يُعبّر عنه بطلاقة الوَجه.

ورابعها المُواساة بينهم بمعنىٰ عدم الفَرق بين الغني والفقير والضّعيف والغنّي والعالم والجاهل وهكذا إلّا فيما حوزّة الشّرع وقيل في تفسير الكلام أي جَعل بعضهم أُسوة بعضٍ أي مُستوين في اللّحظة والنّظرة فضلاً عن غيرهما واللّحظة بفتح اللاّم وسكون الحاء وفتح الظّاء المرّة من اللّحظ يُقال جلست عنده لَحظة أي وقتاً كقدر لَحظة العَين.

ثمّ أنّ خفض الجناح ولين الجانب وبَسط الوَجه من التّواضع والمُواساة بين النّاس من العدالة فكأنّه قال عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر كُن مُتواضعاً في حكُومتك وعادلاً بين النّاس وفيه إشارة الىٰ أنّ أساس الحكُومة الصّحيحة وبقائها علىٰ هذين الأمرين فأنّ الحاكم إذا كان مُتكبراً ظالماً يتنفر النّاس من حَوله ولا يَقدر علىٰ الحكُومة والأصل فيه أنّ الحاكم خادم النّاس قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله سيّد القَوم خادمهم وهذا هو الباعث علىٰ جَعل الحكُومة في النّاس وقد أشبه الأمر علىٰ بعض الجُهّال فَزعم أنّ فلسفة الحكومة علىٰ النّاس رياسته عليهم.

□ **قوله عليه السلام: حَتّىٰ لا يَطْمَعَ العُظَماءَ فِى حيفِكَ لَهُمْ ولا يَيْأسَ الضُّعَفاءِ منْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ...**

أي كُن مُتواضعاً عادلاً حتّىٰ لا يَطمَعَ العُظَماءَ من النّاس في ظُلمك لأجلهم علىٰ غيرهم من الفقراء والضُّعفاء وذلك لأنّ الحاكم إذا كان مُتكبراً ظالماً فلا محالة يَطمع الأشراف والأغنياء فيه ويَطلبون منه قضاء حوائجهم الّتي لا

١- آل عمران ـ ١٥٩
٢- طه ـ ٤٤

تَحصل إلّا بتضييع الحقُوق في حقّ الضّعفاء وأمّا إذا كان الحاكم مُتواضعاً عادلاً فهذا الطّمع مقطوع لا محالة منهم.

وكما أنّ التّكبر والظّلم في الحاكم يُوجب طمع العظماء علىٰ ما ذكرناه كذلك يُوجب يأس الضّعيف من إجراء العدالة علىٰ الأغنياء العُظماء ومحصّل الكلام أنّ عدم مُراعاة الحاكم الأوصاف الأربعة يُوجب أن يطمع بعض النّاس فيه وييأس بعض آخر بل أكثرهم وهذا هو الإختلاف والتّشتت بين الرّعية المُوجب لإنهدام أصلها.

▫ **قوله ﷺ: فأنّ اللّه تعالىٰ يُسَائِلَكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ منْ أعْمَالِكُمْ والكَبِيرَةِ وَالظَّاهِرَةِ والمَسْتُورةِ...**

والدّليل عليه قوله تعالىٰ: **﴿وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** (١)

و: **﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾** (٢)

و: **﴿وإِنَّهُ لَذِكرٌ لَكَ وَلِقَومِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُون﴾** (٣)

و: **﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾** (٤)

و: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابُ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ولاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** (٥)

▫ **قوله ﷺ: فإِنْ يُعَذِّبُ فَأنْتُمْ أَظْلَمُ وإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ...**

أي فإنْ يُعَذِّبكم اللّه علىٰ أعمالكم فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ وإنْ يَعْفُ اللّه عنكم فَهُوَ أكرَم.

أن قُلت ـ يلزم من هذا الكلام إثبات الظّلم له تعالىٰ في الجملة وإثبات الكَرم لكم كذلك مع أنّه قد ثبت أنّ الظّلم محال عليه تعالىٰ قلّ أوكثر وأنّ الكرم مُختّص به لأنّه الإعطاء من غير توقّع من العِوَض وأنّما قلنا بإثبات الظّلم له

١- النّحل ـ٩٣   ٢- التّكاثر ـ٨
٣- الزّخرف ـ٤٤   ٤-الحجر ـ٩٢
٥- الكهف ـ٤٩

تعالىٰ في الجملة لأنّ أمير المؤمنين قال فأنتم أَظلم أي أَظلم منه تعالىٰ ولازمه ثبوته له وقال في الجملة الثّانية فهو أي أنّ اللّه أكرَم أي أكَرم منكم ولازمه ثبوته بغيره وهو المطلوب كما هو مقتضىٰ التّفضيل فإذا قلنا زيد أعلم من عمرو لازمه ثبوت العلم لعمرو إلّا أنّ زيد أعلم منه وهو ظاهر.

قلتُ ـ هذا الإشكال صار مُوجباً لإضطراب كلمات الشّراح في المقام فقال الشّارح المُعتزلي أفعَل هيهنا بمعنىٰ الصّفة لا بمعنىٰ التّفضيل ويُراد فأنتم الظّالمون كقوله تعالىٰ: **﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾**(١) وكقولهم اللّه أكبر انتهىٰ ماذكره.

أقول: ما ذكره في حلّ الإشكال ليس بشيئٍ فأنّ المُفضَل عليه في المقامين مُقدرّ والتّقدير هو أهون وأسهَل علىٰ اللّه من كلّ شيئ واللّه أكبر من كلّ شيئٍ ولا نعرف لما ذكره وجهٌ وَجيه إذ لم نَسمع من أحدٍ أن يقول اللّه أكبر معناه اللّه كبير إلّا منه في هذا المقام ونظائره كثيرة في كتابه وذلك لأنّه كان من دأبه حَمل الكلام علىٰ المحامل البعيدة في كلّ موردٍ لم يقدر علىٰ فهم المراد منه ظانّاً أنّ التّأويل والتّوجيه أحسن من الإقرار بالعَجز وقلّة الفهم ولم يعلم قُبح هذه الرّؤية .

والّذي نقول في حلّ الإشكال هو أنّ الكلام علىٰ ظاهره وكَون أَفعَل بمعناه المُصطلَح ومعناه فأن يُعذّبكم اللّه بأعمالكم السّيئة النّاشئة علىٰ طريق الظّلم فأنتم أَظلَم ممّا حُسِب لكم من الظّلم وإن يعفُ اللّه عنكم فهو تعالىٰ أكرَم من هذا العَفو الّذي تَعلّق بكم وبعَبارةٍ أُخرىٰ أنّ اللّه تعالىٰ لا يُعذّب العَبد بما هو يَستّحِق له بل يُسَهل عليه ولا يعفو عنه بما هو تعالىٰ مُستَحق له فأنّ عفوه تعالىٰ لا نهاية له والحاصل أنّ بنائه في حقّ العَبد علىٰ المُداراة والإرفاق لا علىٰ المُداقة فأن عذّب اللّه العَبد لا ينبغي أن يقول ظَلَمني ربّي والعذاب أكثر من ظُلمي بل ينبغي أن يعلم أنّه أظَلم والعذاب أسهَل وأخَفّ من ظُلمه وأن عفىٰ عنه لا يقول هذه نهاية عفوه وكَرمه بل ينبغي أن يعلم أنّ اللّه تعالىٰ أكَرم بحيث

١- الزوم ـ ٢٧

لو أراد العفو عن جميع المُذنبين لَفعل لأنّه لا يُسئل عمّا يفعل وهُم يُسئلون فأفهم.

□ **قوله ﷺ: وأعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعاجِلِ الدُّنْيا وآجِلِ الآخِرَةِ فَشارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيا فِي دُنْياهُمْ ولَمْ يُشارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيا فِي آخِرَتِهِمْ...**

حاصل هذا الكلام أنّ المُتَّقينَ هم الّذين جمعوا الدُّنْيا مَعَ الآخِرَةِ فَشارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيا فِي دُنْيَاهُمْ من جميع الجهات منها ما أكلوا أهل الدُّنْيا من جيّد الطّعام وشربوا وسكنوا وَرَكبوا فيها كذلك ولم يُشاركهم أي لم يُشارك أَهْلُ الدُّنْيا أَهْلَ التّقوىٰ في آخرتهم وذلك لأنّ أهل الدّنيا غفلوا عن الآخرة وإشتغلوا بالدّنيا وأمّا أهل التّقوىٰ مع إشتغالهم بها إشتغلوا بالآخرة أيضاً وهذا هو الفرق بين المُتّقين وغيرهم وفي الكلام إشعار بأنّه ليس من شرائط التّقوىٰ الفقر في الدّنيا بل يمكن أن يكون الإنسان غنياً ومع ذلك متّصفاً بالتّقوىٰ كما أنّه يمكن أن يكون فقيراً ومع ذلك بعيداً عن التّقوىٰ والحاصل أنّ ملَكة التّقوىٰ اذا حَصَلت لِلإنسان تجمع له خير الدّنيا وخير الآخرة وفيه قال الشّاعر:

قد جمع الدّنيا مَعَ الآخرة ... وآخرُ فازَ بكلتيهما

□ **قوله ﷺ سَكَنُوا الدُّنْيا بِأَفْضَلِ ما سُكِنَتْ وأَكَلُوها بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ...**

فسّر ﷺ كلامه السّابق بما حاصله أنّ المُتّقين سكنوا الدّنيا بأفضل ما سُكِنت فسكنوا في القُصور الشّامخة العالية وأكلُوها بأفضل ما أُكلت فأكلوا من نِعمها أحسَنها وأطيَبها فَحظّوا أي إستفادوا من الدّنيا أي من نِعَمها بما إستفاد به المُترفَون المُتنعِمُون فيها وأخذوا منها أي من نِعمها ما أَخَذَ الجَبَابِرَةُ المُتَكَبِّرُونَ بحيث لو رآهم من لا خبرة له يقول أنّهم من الطّواغيت مع أنّهم من أولياء اللّه وذلك لأنّ أهل الظّاهر لا يعلمون إلّا الظّاهر.

□ **قوله ﷺ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْها بالزَّادِ المُبَلِّغ والْمَتْجَرِ الرَّابِحِ أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدَ الدُّنْيا في دُنْياهُمْ وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيْرَانُ اللَّهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ .لا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ولا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصيبٌ منْ لَذَّةٍ...**

أي ثُمَّ انْقَلَبُوا عن الدُّنْيا بالمَوْت الىٰ الآخرة بالزّاد المُبَلّغ لهم الىٰ الدّرجات العالية والمتجر الرّابح المُفيد المَوصل لهم الىٰ المقامات الفاخرة وهو التّقوىٰ فَحسبُ إذ لا زاد أَبلَغ منها ولا تجارة أَربَح من العَمل علىٰ مُقتضاها أصابوا وأَدرَكوا لَذّة زُهد الدّنيا في دنياهم بعَدم رَد دعوتهم في الدّنيا وعدم نقصان نصيبهم من لذّتها ومع ذلك كلّه تيقّنوا فيها أنّهم من جيران اللّه غداً يوم القيامة وذلك هو الفوز العظيم.

▫ **قوله ﷺ: فأَحْذَروا عِبَادَ اللَّهِ المَوْتَ وقُرْبَهُ وأعِدُّوا لهُ عُدَّتَهُ فإِنَّهُ يأتِي بأَمْرٍ عَظِيم وخَطْبٍ جَلِيلٍ بِخَيرٍ لا يكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أبْداً أَوْ شَرّ لا يكُونُ مَعَهُ خَيرٌ أبداً...**

أي كونوا علىٰ حَذَرٍ من المَوْتَ وقُرْبَهُ لكم وهَيئّوا له وأستَعدوا لِشدائده فأنّه أي المَوت يأتي بأمرٍ عظيم لا يكون أعظم منه وهو الخير فقط أن كنتم مؤمنين مُستّعدين أو الشّر فقط أن كنتم مُنافقين مُعاندين والحاصل أنّ المَوت يأتي بكم أحد الأمرين:

فمن كتاب روضة الواعظين قال أمير المؤمنين ﷺ أيّها النّاس إتّقوا اللّه الّذي أن قُلتم سَمع وأن أضمرتُم عَلِم وبادروا للمَوت الّذي أن هَربتم أَدرككم وأن أقمتُم أَخذَكم وأن نَسيتموه ذكركم انتهىٰ...

وقال رسول اللّه ﷺ لإبن عُمر، كُن في الدّنيا كأنّك غريب أو كعابر سبيل وعدّ نَفسك من الموتىٰ انتهىٰ...

ومن كتاب المحاسن قال ﷺ المؤمن له في المَوت راحة من فراق من يَحذره وسرعة القدوم علىٰ من يرجوه ويأمله انتهىٰ...

وقال رسول اللّه ﷺ لو تعلم البهائم من المَوت ما تعلمون ما أكلتم منها سَميناً أبداً انتهىٰ« مشكاة الانوار ص ٣٠٢ الى ٣٠٦»...

وقد تكلّمنا في المَوت وذكرنا ما ورد فيه تفصيلاً فيما مَضىٰ غير مرّة.

▫ **قوله ﷺ: فَمَنْ أَقْرَبُ إِلىٰ الْجَنَّةِ منْ عَامِلِها ومَنْ أَقْرَبُ إِلىٰ النّارِ منْ عَامِلِها...**

فَمن عَمِل صَالِحاً يَدْخُل الْجَنّة لا مَحالة ومن عَمَل عملاً سيئاً يدخُل النّار

كذلك وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (١)

و: ﴿أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْأُنْثَىٰ﴾ (٢)

و: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ أَنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣)

وقال رسول اللّه خَلَق اللّه الجنّة لمن أطاعه ولو كان عبداً حَبَشياً وخَلق اللّه النّار لمن عَصاه ولو كان سيّداً قُرَشياً والحاصل ﴿إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٤)﴾ وهو واضح.

□ **قوله ﷺ: وأَنْتُمْ طُرَدَاء الْمَوْتِ أَنْ أَقَمْتُمْ لهُ أُخِذْتُم وإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُم وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ منْ ظِلِّكُمْ...**

طُرداء بضّم التّاء وفتح الرّاء جمع طَريد كعُظماء جمع عظيم وحُكماء جمع حكيم والمعنىٰ أنّ المَوت يطردكم ويبعدكم عن أوطانكم ويخرجكم عنها سواء أقمتم له أم فررتم منه وهو أي المَوت أَلْزَمَ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الّذي يُصاحبكم دائماً قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾ (٥)

و: ﴿قُلْ فَأَدْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦)

و: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ (٧)

و: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرَتُمْ مَنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ﴾ (٨) وغيرها من الآيات.

ثمّ أنّ في قوله ﷺ: وهو **أَلْزَمُ لَكُمْ منْ ظِلِّكُمْ** إشارة الىٰ نُكتةٍ خفيّة ودقيقة غير ما ظهر علىٰ الشّراح من اللّزوم والمُصاحبة فقط وأنّ الظّل يتبع الإنسان وذلك لأنّه لو كان المراد ما ذكروه فكان حقّ العبارة أن يُقال وهو يلزم لكم كالظّل مثلاً مع أنّه قال وهو أَلْزَم بصيغة التّفضيل والوجه فيه أنّ الظّل لا وجود له في غير النّهار ولا فيه إذا لم يكن الجسم مُقابلاً للشّمس وهو واضح ألا ترىٰ

١- الكهف ـ ٣٠
٢- آل عمران ـ ١٩٥
٣- فصّلت ـ ٤٠
٤- المدثر ـ ٣٨
٥- الجمعة ـ ٨
٦- آل عمران ـ ١٦٨
٧- النّساء ـ ٧٨
٨- الاحزاب ـ ١٦

أنّ الأجسام في الأرض لا ظِلّ لها في اللّيل ولا قبل طلوع الشّمس بل ولا بَعده إذا كان هناك مانع من إنتشار الضّوء كالغيم مثلاً ففي هذه الموارد لا وجود للظِّلّ أصلاً هذا في الأجسام وأمّا في الإنسان فهو أيضاً من حيث أنّه جسم من الأجسام فالحكم فيه كذلك إلّا أنّ وجود الظِّل له يتوقف علىٰ قيامه أو حركته مُقابلاً للشّمس وأمّا في حالة القعود أو السّكون أو النّوم أو عدم القيام والحركة في مُقابل الشّمس فلا ظِلّ له بالفعل فتّحصل ممّا ذكرناه أنّ وجود الظِّل للجسم أو لِلإنسان مخصوص بموارد خاصّة وأوقات مُعيّنة ومن المعلوم أنّ الملازمة والمُصاحبة بعد الوجود يدّل على أنّ لزوم الظِّل للإنسان ليس مُطلقاً بل هو مُقيد ببعض الموارد والأحيان.

وأمّا المَوت فليس كذلك وذلك لانّه يلزمه في كلّ الموارد وعلى جميع التّقادير قائماً كان أو قاعداً نائماً كان أو غير نائم ليلاً كان أو نهاراً وبالجملة المَوت لا يُفارقه أصلاً وهذا معنىٰ كونه أَلزَم له منّ ظِلّه إذ الظِّل لا يلزمه كذلك كما عرفت.

□ **قوله ﷺ: المَوْتُ مُعْقُودٌ بِنَواصِيكُمْ والدُّنْيا تُطْوَي منْ خَلْفِكُمْ...**

العقد الجمع بين أطراف الشّئ وهو يُستعمل في الأجسام الصُّلبة كَعقد الحبل وعَقد البناء ثمّ يُستعار ذلك للمعاني نحو عَقد البيع والعَهد وغيرهما فيقال عاقدته وعَقدته والنّواصي جمع ناصية وهي مقدّم شَعر الرّأس والكلام خَرج مَخرَج الإستعارة فهو كناية عن لزوم المَوت لِلإنسان وغيره بحيث لا مَخلص له عنه كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُ بِنَاصِيَتِهَا﴾** (١) وقوله: **﴿فَيُؤخَذ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾** (٢).

وأمّا قوله ﷺ: **والدُّنْيا تُطْوَىٰ منْ خَلْفِكُمْ**، فالظّاهر أنّ كلمة تُطوىٰ، بضّم التّاء بصيغة المجهول من طَوىٰ يَطوي طَيّاً وذلك كَطَّي الدَّرج ومنه وقوله

١- هود ـ ٥٦. ٢- الرّحمٰن ـ ٤١

تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾(١) ومنه طويت القلادة وقد يُعبّر عنه بمُضِي العُمر يُقال طوىٰ اللّه عُمره فعلىٰ الأوّل معنىٰ العبارة أنّ الدّنيا تُطوىٰ وتُدرج من خَلفكم وعلىٰ الثّاني أنّها تَمضي وتُفنىٰ وتُدثر فلا يبقىٰ في الوجود إلّا اللّه تعالىٰ وما كان كذلك لا ينبغي الإعتماد عليه.

▫ قوله ﷺ: فاحْذَروا ناراً قَعْرُها بَعِيدٌ وحَرُّها شَدِيدٌ وَعذَابُها جَدِيدٌ...

أمّا أنّ قعرها بعيد، فَلِما روي في كتاب تسلية الفؤاد عن هشام بن سالم عن الصّادق ﷺ في خبر المعراج قال قال النّبي ﷺ سَمعت صَوتاً أفزَعني فقال لي جبرئيل أَتَسمع يامحمّد قُلت نعم قال هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنّم منذ سبعين عاماً فهذا حين إستقرت قالوا فما ضحك رسول اللّه ﷺ حتّىٰ قُبض انتهىٰ « ص ٢٤٣»...

وأمّا أنّ حرّها شديد فلمّا رواه عن الصّادق ﷺ قال أنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنّم وقد أطفأت سبعين مرّة بالماء ثمّ إلتهبت ولو لا ذلك ما إستطاع آدمي أن يَطيقها (أن يطفأها) وأنّه ليؤتي بها يوم القيامة حتّىٰ توضع علىٰ النّار فتصرخ صَرخة لا يبقىٰ ملك مُقرّب ولا نبّي مُرسل إلّا جثا علىٰ ركبتيه فزعاً من صرختها انتهىٰ« ص ٢٤٣»...

وأمّا أنّ عذابها جديد، فلقوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾(٢)

▫ قوله ﷺ: دَارٌ لَيْسَ فِيها رَحْمَةٌ وَلا تُسْمَعُ فِيها دَعْوَةٌ ولا تُفَرَّجُ فِيها كُرْبَةٌ...

هذه الأوصاف كلّها أثبتها ﷺ للنّار وعبّر ﷺ عنها بالدّار من جهة أنّ الدّاخل فيها يكون ساكناً بها مُقيماً فيها الىٰ أن يشاء اللّه ولا نعني بالدّار إلّا محلّ الإقامة والسّكونة.

ثمّ وَصف ﷺ النّار بأنّه ليس فيها رحمة وذلك لأنّها خُلقت للتّعذيب كما أنّ الجنّة للرّحمة والرّأفة فالّذي في النّار هو الغَضب لا غيره وأمّا أنّه لا تُسمع فيها

١-الانبياء آية ١٠٤

٢- النّساء-٥٦.

دَعوة ولا تُفرج فيها كُربة فلأنّه من غَضبه تعالىٰ بعد إتمام الحُجّة علىٰ العباد باطناً بالعقل وظاهراً بالأنبياء والرّسل وما كان كذلك فهو مُعَدٌّ لِلنّعمة والعَذاب قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾**(١)

و: **﴿وقال الّذين في النّار لِخَزَنة جهنّم أدعُوا ربّكُم يُخَفف عنّا فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾**(٢) وقد تكلّمنا في الجنّة والنّار وخَلقهما وماورد منهما من أنواع العذاب والرّحمة تفصيلاً.

□ **قوله** ﷺ: **وإنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفَكُمْ منَ اللَّهِ وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ فاجْمَعُوا بَيْنُهما فإِنَّ العَبْدَ إِنّما يكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلىٰ قَدْرِ خَوْفِهِ من رَبِّهِ وإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسَ ظَنّاً باللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوفاً لِلَّهِ...**

أي وأن إستَطعتم أن تَجمعوا في قلوبكم الخَوف من اللّه وحُسن الظّن به فأفعلوا ذلك لأنّ العَبد يكون حُسن ظَنّه باللّه تعالىٰ علىٰ قدر خَوفه منه وإذا كان كذلك فلا محالة يكون أَحسَن النّاس ظنّاً به أخوَفهم فيه وحيث أنّ هذا المقام للعبد من أعلىٰ المقامات وأسنَىٰ الدّرجات بل غاية الغايات في مقام السّلُوك والعرفان أَردنا أن نتّكلم فيه إجمالاً فنقول.

أمّا الخَوف فهو تألم القَلب وإحتراقه بسبب توّقع مكروهٍ في الإستقبال مشكوك الوقوع فلو علم أو ظنّ حصوله سُمّي توقّعه إنتظار مكروه وكان تألمه أشدّ من الخَوف والفَرق بينه وبين الجُبن ظاهر فأنّه سكون النّفس عمّا يُستحسن شرعاً وعقلاً من الحركة الىٰ الإنتقام أو شئ آخر.

ثمّ أنّ الخَوف علىٰ نوعين أحدهما مذموم بجميع أقسامه وهو الّذي لم يكن من اللّه ولا من صفاته المُقتضية للهَيبة والرّعب ولا من معاصي العبد وجناياته بل يكون لغير ذلك وهذا النّوع من رذائل قوّة الغَضب من طرف

١- النعام-٢٧ و ٢٨ ٢- غافر-٧٢

التّفريط ومن نتائج الجبن وكلامنا ليس في هذا القسم من الخَوف.

وثانيهما: محمود وهو الّذي يكون من اللّه ومن عظمته ومن خطأ العَبد وجناياته وهو من فضائل القّوة الغَضبية إذ العقلة تأمر به وتُحسنه وهـذا هـو المبحوث عنه في المقام وقد ورد في مَدحه ما وَرد من الآيات والأخبار وهو يكون علىٰ أقسام:

أحدها: أن يكون من اللّه سبحانه ومن عظمته وكبريائه وهذا هو المُسمّىٰ بالخَشية والرّهبة في عُرف أرباب القلوب.

وثانيها: أن يكون من جناية العبد علىٰ نفسه بإقترافه المعاصي.

وثالثها: أن يكون منهما معاً ولا شّك أنّه كلّما إزدادت المعرفة بجلال اللّه وعظمته إزداد الخَوف كما أنّه كلّما إزدادت الجناية إزداد الخَوف أيضاً.

أمّا الخَوف بالمعنىٰ الأوّل: أعني الخوَف من اللّه ومن عظمته المُـعبّر عـنه بالخَشية فهو تابعٌ شدّةً وضعفاً لِمعرفة اللّه تعالىٰ فمن كان في الدّرك أقـوىٰ وأَقدَم كان بربّه أَعرف ومن كان به أعرف كان أَخوف منه ولأجل هذا خصّه اللّه تعالىٰ بالعلماء فقال في كتابه الكريم: **﴿إنَّمَا يَخْشَىاللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَآء﴾** (١)

و : **﴿أنّ في ذلك لَعِبرةٍ لمن يَخشىٰ﴾** (٢)

و : **﴿فاللَّهُ أَحَقُّ أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنِينَ﴾** (٣)

و : **﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِايٰاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾** (٤)

و : **﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾** (٥)

والىٰ الثّاني: أعني الخَوف من المعاصي أشار في كتابه حيث قال: **﴿قُلْ أَنِّي أَخَافُ إنَ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمْ﴾** (٦)

و : **﴿إنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾** (٧)

١- فاطر ـ٢٨
٢- النّازعات ـ٢٦
٣- التّوبة ـ١٣
٤- المائدة ـ٤٤
٥- البيّنة ـ٨
٦- الانعام ـ١٥
٧- الانسان ـ١٠

و : ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [1] وغيرها من الآيات.

وروي في مشكاة الأنوار عن كتاب المحاسن عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال المؤمن لا يخاف غير اللّه ولا يقول عليه إلّا الحقّ انتهىٰ «ص ١١٧»...

وأيضاً عنه عليه السلام من عرف اللّه خاف اللّه ومن خاف اللّه سخت نفسه عن الدّنيا انتهىٰ «ص ١١٧»...

وعنه عليه السلام من خاف اللّه أخاف اللّه منه كلّ شئ ومن لم يخف اللّه أخافه اللّه من كلّ شئ انتهىٰ «ص ١١٧»...

وعنه عليه السلام قال يا اسحاق خف اللّه كأنّك تراه فأن لم تَره فأنّه يَراك وأن كُنت ترىٰ أنّه لا يراك فقد كَفرت وأن كُنت تعلم أنّه يراك ثمّ إستَترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جَعلته في حدّ أهون النّاظرين اليك انتهىٰ «ص ١١٧»...

وقال بعض الحكماء من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف اللّه هرب اليه.

وأمّا حُسن الظّن باللّه المُعبّر عنه بالرّجاء أحياناً فهو ممدُوح وفوائده أكثر من أن تُحصىٰ فَينبغي لكلّ مؤمنٍ ألّا ييأس من روح اللّه ولا يظنّ أنّه لا يرحمه ويُعذّبه ألبّتة ولا يُخلصه من العذاب والعقاب وأنّ ما يرد عليه في الدّنيا من البلايا والمصائب هو شرّ له وعقُوبة بل ينبغي أن يعلم أنّه أرحَم وأرأف من والديه وأنّما خَلقه لأجل الفيض والجود فلابدّ أن يرحمه في دار الآخرة ويُخلصه من عذاب الأبد ويُوصله الىٰ نعيم السّرمد وأن ما يرد عليه من المصائب والبلايا في دار الدّنيا خير له وصلاح وذخيرة ليوم المعاد إلّا أنّ حُسن الظّن باللّه الّذي لا شكّ في حُسنه ومَدحه ينبغي أن لا يصل الىٰ حدّ الإفراط بحيث يضّر مقام الخَوف كما أنّ الخَوف أيضاً ينبغي أن لا يصل الىٰ حدٍّ يضّر بالرّجاء وحُسن الظّن والحاصل أنّ الخَوف وحُسن الظّن ممدوحان شرعاً وعقلاً إذا لم يكونا في حدّي الإفراط والتّفريط وهذا هو المراد بقولهم أنّ المؤمن يكون دائماً بين الخَوف والرّجاء.

١- النّور-٣٧

فقد روي في مشكاة الأنوار عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قُلت له عليه السلام قومٌ يعملون بالمعاصي ويقولون نرجوا فلا يزالون كذلك حتّىٰ يأتيهم المَوت فقال عليه السلام هؤلاء قومٌ يترجّحون في الأماني كذبوا ليسُوا براجين من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيٍ هرب منه انتهىٰ « ص ١١٧»...

وقال الصّادق عليه السلام لا يكونُ العَبد مؤمناً حتّىٰ يكون خائفاً راجياً انتهىٰ «ص ١١٨»...

وقال الصّادق عليه السلام أرج اللّه رجاءً لا يُجرئك على معصيته وخف اللّه خوفاً لا يؤيسك من رحمته انتهىٰ« ص ١١٨»...

وفي وصية لقمان لإبنه قال خف اللّه خَيفة لو جئته ببِرّ الثّقلين لَعذّبك وأَرج اللّه رجاءً لو جئته بذنوب الثّقلين لَرحمك انتهىٰ« ص ١١٩»...

وقال أبو عبد اللّه عليه السلام كان أبي يقول أنّه ليس من عبدٍ مؤمن إلّا وفي قلبه نوران نور رجاء ونور خوف لو وزن هذا لم يزد علىٰ هذا ولو وزن هذا لم يزد علىٰ هذا انتهىٰ« ص ١١٩»...

وقال عليه السّلام لا يكون المؤمن مؤمناً حتّىٰ يكون خائفاً راجياً ولايكون خائفاً راجياً حتّىٰ يكون عاملاً لما يخاف ويرجو انتهىٰ...

وأمّا قوله عليه السلام: **وأنّ أحسن النّاس ظّناً باللّه أشدّهم خوفاً لِلّه**، فالوجه فيه أنّ حُسن الظّن باللّه تعالىٰ فرع علىٰ معرفته وأنّه رؤوف بعباده ومن عَرفه كذلك يَعلم أنّه أشدّ المُعاقبين في موضع النّكال والنّقمة ضرورة أنّ اللّه تعالىٰ قادر علىٰ كلّ شيٍ فكما أنّه قادر علىٰ العفو قادر علىٰ الإنتقام وللعرفاء في المقام أبحاث كثيرة طويلة أَعرضنا عن ذكرها مخافة الأطناب والإطالة.

▫ **قوله عليه السلام: واعْلَمْ يَامُحَمَّدُ بْنَ أبي بكرٍ أَنّي قَدْ ولَّيْتُكَ أَعْظَمَ أجْنَادِي في نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخالِفَ علىٰ نَفْسِكَ وَأَنْ تُنافِحَ عَنْ دِينِكَ...**

بعد ما وَعظه بما وَعَظه خاطبه وأعلَمه بمَسئُوليته من جهة الإمارة والولاية علىٰ النّاس فقال له أنّي قد ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مِصر فلا تغفل

عنها فأنت محقوق أي حقّ عليك أن تُخالف علىٰ نفسك وأن تُنافح وتُدافع عن دينك والمراد بالمُخالفة علىٰ النّفس ترك الشّهوات وبالمُدافعة عن الدّين الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر أو الدّفاع عنه في مُقابل الكُفر والنّفاق وهذا هو الأصل في الحكومة الإسلامية وأمّا غيرها من الحكومات فالأصل فيه الرّئاسة والظّلم علىٰ الرّعية وإعمال الغَضب والشّهوة وغير ذلك.

□ **قوله ﷺ: ولوْ لمْ يَكُنْ لَكَ إلَّا سَاعَةٌ منَ الدَّهْرِ ولا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أحدٍ منْ خَلْقِهِ فإنَّ فِي اللَّهِ خَلَفاً منْ غيرِهِ وَلَيْسَ منَ اللَّهِ خَلَفٌ فِي غيرِهِ...**

قوله ﷺ: **ولوْ لمْ يَكُنْ لَكَ إلَّا سَاعَةٌ منَ الدَّهْرِ** مرتبط بما قبله وهو قوله فأنت مَحْقُوقٌ الىٰ آخره والمعنىٰ حقّ عليك مُخالفة النّفس والمُدافعة عن الدّين ولو لم يكن لَكَ إلّا سَاعَةٌ منَ الدَّهرِ أي ولوْ لمْ يَكُنْ عُمركَ إلّا سَاعَةٌ أوْ ولايتك علىٰ النّاس إلَّا سَاعَةٌ فضلاً عن الأكثر منها وفيه إشارة الىٰ إغتنام الفُرصة فأنّها تمّر مَرّ السّحاب ثمّ قال ﷺ: **ولا تُسْخِطِ اللَّهَ** ولا تغضبه بعملك بأن تجلب رضا أحدٍ من خلقه يُوجب سخطه تعالىٰ فأنّ ذلك دليل علىٰ الشّقاوة وإستدّل ﷺ علىٰ مدّعاه بقوله ﷺ: **فأنّ في اللّه خَلَفاً من غيره** أي إذا فقدت مخلوقاً من مخلوقاته وتركت رضاه ففي فضل اللّه عوض عنه وليس في خلق اللّه عوض عن اللّه تعالىٰ فمن إشترىٰ سخط الخالق برضا المخلوق فقد إشترىٰ في الحقيقة ما لا عِوض له وأمّا من إشترىٰ سخط المخلوق برضا الخالق فقد إشترىٰ عوضاً أحَسن ممّا تركه والحاصل أنّ العاقل يأخذ بما هو أحسَن وأفضل وهو رضا الخالق.

□ **قوله ﷺ صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِها المُوَقَّتِ لَها وَلا تُعَجِلْ وَقْتَها لِفَرَاغٍ ولا تُؤَخِّرْها عنْ وَقْتِها لإشْتِغالٍ...**

ثمّ أَمَره ﷺ بإتيان الصَّلاَةَ في وَقْتِها المُوَقَّتِ لَها من الشّارع وعدم تأخيرها عن وَقْتِها لأجل الإشتغال بالأُمور الدّنيوية الغير الضّرورية فأنّ الصّلوة في أوّل الوقت رضوان اللّه وفي آخر الوقت غفران اللّه وقد ورد في الحديث أنّ

تأخيرها عن أوّل الوقت لغير ضرورةٍ دَعَته اليه تضييعٌ لها، فتقول لصاحبها ضيّعتني ضيَّعك اللّه.

روي في الوسائل بأسناده عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام قال الصّلوات المفروضات في أوّل وقتها إذا أُقيم حدُودها أَطيب ريحاً من قضيب الأس حين يُؤخذ من شجرة في طيبه وريحه وطرواته عليكم بالوقت الأوّل انتهىٰ...

وبأسناده عن محمّد بن مسلم قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول إذا دَخل وقت صلٰوةٍ فُتحت أبواب السّماء لصعُود الأعمال فما أحبّ أن يصعد عمل أوّل من عملي ولا يكتب في الصحيفة أحد أوّل منّي انتهىٰ...

وبأسناده عن الرّضا عليه السلام قال يافلان إذا دخل الوقت عليك فَصّلها فأنّك لا تدري مايكون انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام في حديث، قال لكلّ صلٰوة وقتان وأوّل الوقتين أفضلهما ولا ينبغي تأخير ذلك عمداً ولكنّه وقت من شغل أو نسي أو سهي أو نام وليس لأحدٍ أن يجعل آخر الوقتين وقتاً الاّ من عُذرٍ أو علّةٍ انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي جعفر قال أحبّ الوقت الىٰ اللّه عزّ وجلّ أوّله حين يدخل وقت الصّلٰوة فصلّ الفريضة فأن لم تفعل فأنّك في وقت منهما حتّىٰ تَغيب الشّمس انتهىٰ...

وبأسناده عنه عليه السلام قال أوّل الوقت زوال الشّمس وهو وقت اللّه الأوّل وهو أَفضلها انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما من صلٰوة يحضر وقتها إلّا نادىٰ ملك بين يدي اللّه (النّاس) أيّها النّاس قوموا الىٰ نيرانكم الّتي أوقدتموها علىٰ ظهوركم فأطفؤها بصلواتكم انتهىٰ...

وبأسناده عنه عليه السلام قال قال جبرئيل لِرسول اللّه (في حديث) أفضل الوقت

أوّله انتهىٰ...

والأحاديث في الباب كثيرة انظر الوسائل« ج ٣ ص ٨٦ أبواب المواقيت»...

□ قوله ﷺ: واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ منْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ...

ثمّ نبّهه ﷺ بأهمّية الصّلٰوة وشرفها وإستدل علىٰ المُدّعىٰ بكون الأعمال كلّها تابعة لها وفيه إشارة.

الىٰ ماقال رسول اللّه ﷺ الصّلٰوة عمود الدّين أن قُبلت قُبل ما سواها وأن رُدّت رُدّ ما سواها...

روي في الوسائل بأسناده عن أبي جعفر ﷺ قال الصّلٰوة عَمود الدّين مثلها كَمثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثَبتت الأَوتاد والأَطناب وإذا مال العمود وإنكسر لم يثبت وَتَد ولا طَنب انتهىٰ « ج ٣ ص ١٧»...

وبأسناده عن الرّضا ﷺ قال قال رسول اللّه إذا كان يوم القيامة يُدعىٰ بالعبد فأوّل شئ يُسئل عنه الصّلٰوة فإذا جاء بها تامّة وإلّا زُخّ في النّار انتهىٰ « ص ١٩»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه قال قال رسول اللّه ﷺ مثل الصّلٰوة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود نفعت الأَطناب والأَوتاد والغشاء وإذا تكّسر العمود لم ينفع طنب ولا وَتَد ولا غشاء انتهىٰ« ص ٢١»...

وعنه ﷺ قال رسول اللّه ﷺ الصّلٰوة ميزان من وفىٰ إستوفىٰ انتهىٰ « ص ٢٢»...

وقال الصّادق ﷺ أوّل ما يُحاسب به العَبد الصّلٰوة فأن قُبلت قُبل سائر عمله وإذا رُدّت رُدّ عليه سائر عَمله انتهىٰ« ص ٢٢»...

وبأسناده عن علّي ﷺ قال رسول اللّه ﷺ أنّ عمود الدّين الصّلٰوة وهي أوّل ما ينظر فيه من عَمل ابن آدم فأن صحّت نُظَر في عَمله وأن لم تصّح لم يُنظر في بقية عَمله انتهىٰ« ص ٢٣»...

□ **قوله ﷺ: فإِنَّهُ لا سَوَاءٌ إِمَامَ الْهُدَىٰ وَإِمَامُ الرَّدَىٰ ووَلِيُّ النَّبيِّ وعَدُوُّ النَّبيِّ...**

وذلك لأنّ إمَامَ الهَدَىٰ يَهدي النّاس الىٰ الحقّ وإمَامُ الرَّدَىٰ يـدعوهم الىٰ الباطل والأوّل هُو النّبي ووصّيه والثّاني عدّوه ومُبغضه وقد أخبر اللّه تعالىٰ عن الإمامين في كتابه وعرّفهما فيه فقال:

في الأوّل:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَاإِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (١)

و: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾** (٢)

و: **﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَع أَمَّن لاَ يَهِدِي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** (٣)

و: **﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَتِي قَالَ لا يُنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾** (٤)

في الثّاني:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لاَ يُنصَرُونَ﴾ (٥)

و: **﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ أَنَّهُمْ لاَ إِيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُون﴾** (٦)

□ **قوله ﷺ: وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنِّي لا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتي مُؤمِناً ولا مُشْرِكاً أَمَّا الْمؤمِنُ فَيمنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانه وأَمَّا المشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشرْكِهِ ولَكِني أَخَافُ عَلَيْكُمْ كلَّ مُنافِقِ الجَنانِ عالمِ اللسَانِ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تَنْكِرُونَ...**

غرضه ﷺ من نقل الكلام عن رسول اللّه ﷺ هو أنّ المُنافق أضَر عـلىٰ الدّين وعلىٰ المُسلمين من المُشرك الكافر باللّه وبرسوله وهو ممّا لا كلام فيه وذلك لأنّ المُشرك الكافر بسبب كُفره خارج عن زمرة المُسلمين لا يـعتمد عليه أحد بخلاف المُنافق فأنّه من المُسلمين ظاهراً لإظهاره الإسلام وإستتاره

١- الانبياء ـ٧٣
٢- السّجدة ـ٢٤
٣- يونس ـ٣٥
٤- البقرة ـ١٢٤
٥- القصص ـ٤١
٦- التّوبة ـ١٢

الكُفر وحيث أنّ النّاس لا عِلم لهم بباطنه يظّنون أنّه مُسلم بل مؤمن فيعتمدون عليه ويستمعون منه.

وأَحياناً يقتدون به في صلواتهم ويرجعون اليه في نكاحهم وطلاقهم وسائر أحكامهم ولأجل هذا ورد في القرآن فيهم ما وَرد من الذّم قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ (٢)

و: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ والـمُنَافِقَاتِ والْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (٤) وغيرها من الآيات.

روي في البحار عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الرّضا قال كتبت اليه أسأله عن مسئلة فكتب الّي أنّ اللّه يقول أنّ المُنافقين يُخادعون اللّه وهو خادعهم الىٰ قوله سبيلاً ليسوا من عترة الرّسول وليسُوا من المؤمنين وليسُوا من المُسلمين يظهرون الإيمان ويسّرون الكُفر والتّكذيب لعنهم اللّه انتهىٰ« ج ١٥ ص ٢٣ الجزء الثالث»...

وقال الصّادق عليه السلام أربع علامات للنّفاق قساوة القَلب وجمود العين والإصرار علىٰ الذّنب والحرص علىٰ الدّنيا انتهىٰ «ص ٢٣»...

١- النّساء ـ١٤٢ ٢- النّساء ـ١٤٥
٣- التّوبة ـ٦٧ ٤- التّوبة ـ٦٨

ومن كتاب له عليه السلام (٢٦)
الىٰ معاوية جواباً، وهو من محاسن الكُتب

□ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتانِي كِتابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفاءَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِدِينِهِ وتأْيِيدِهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحابِهِ فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنا بِبَلاَءِ اللَّهِ عِنْدَنا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنا في نَبِيِّنا فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلىٰ هَجَرَ أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلىٰ النِّضالِ وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وفُلاَنٌ أَمْراً إِنْ تُمَّمَ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثُلْمَتُهُ وَمَا أَنْتَ وَالفَضِلَ وَالمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالمَسُوسَ ومَا لِلطُّلَقاءِ وَأَبْناءِ الطُّلَقاءِ والتَّمْيِيزِ بينَ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلينَ وَتَرْتِيبِ دَرَجاتِهِمْ وتَعْرِيفِ طَبَقاتِهِم هَيْهاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيْهَا مِنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا. أَلاَ تَرْبَعُ أَيُّها الإِنْسَانُ علىٰ ظَلَعِكَ وَتَعْرِفَ قُصُورَ ذَرْعِكَ وَتَتَأَخَّرَ حَيْثُ أَخَّرَكَ القَدْرُ فَما عَلَيْكَ غَلَبَةُ المَغْلُوبِ وَلاظَفَرُ الظَّافِرِ!

وَأَنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ رَوَّاغٌ عَنِ القَصْدِ .أَلا تَرىٰ غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ ولكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحدِّث إِنَّ قَوْماً إستَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ المُهاجِرِينَ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ حَتّىٰ إِذا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَداءِ وخَصَّهُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِه عليْهِ أَوَلا ترىٰ أَنْ قَوْماً قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكلٍّ فَضْلٌ حَتّىٰ إِذْا فُعِلَ بِوَاحِدِنا ما فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ الطيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ وَلَوْلاَ مَا نَهَىٰ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ المَرْءِ نَفْسَهُ بَذِكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّة تَعْرِفُها

قُلُوبُ الْمؤمِنينَ وَلا تَمُجُّها أذانُ السَّامِعِينَ فَدْعْ عَنْكَ مَنْ مالَتْ بِهِ الرَّمِيَةُ فَإنَّا صَنَائِعُ رَبِّنا والنَّاسُ بَعْدَ صَنائِعُ لَنا.لمْ يَمْنَعْنا قَدِيمَ عِزِّنا وَلا عَادِيَّ طَوْلِنا عَلىٰ قَوْمِكَ أَنْ خَلَطناكُمْ بأَنْفُسِنَا فَنَكَحْنا وَأنْكَحْنا فِعْلَ الأَكْفاءِ وَلَستُم هُناكَ وَأنَّىٰ يَكُونُ ذَلِكَ كذَلِكَ وَمِنَّا النبيُّ ومِنْكُمُ المُكَذِّبُ ومِنّا أسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أسَدُ الأَحْلاَفِ ومِنَّا سَيِّدُ شَبابِ أهْلِ الجَنّةِ وَمِنكُمْصِبيَةُ النَّارِ ومِنَّا خَيرُ نِساءِ العالَمينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالةُ الحَطَبِ في كَثِيرٍ مِمَّا لَنا وَعَلَيْكُمْ!

فإسْلاَمُنا قدْ سُمِعَ وَجاهِلِيّتُنا لا تُدْفَعِ وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لنَا ماشَذّ عَنّا وَهُوَقَوْلُهُ: ﴿ وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابُ اللَّهِ).

وقوله تعالىٰ:(أَنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإبْراهِيمَ لَلّذِينَ اتّبعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الـمُؤمِنينَ﴾ [1] فَنحْنُ مَرَّةً أَوْلىٰ بالْقَرَابَةِ وتارَةً أَوْلَىٰ بالطَّاعَةِ ولمَّا احْتَجَّ المُهاجِرُونَ عَلىٰ الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَجُوا عليهمْ فإِنْ يكُنْ الْفَلْجُ بِهِ فالحَقُّ لِنَا دونَكُمْ وإنْ يكُنْ بِغيرِهِ فَالأَنْصارُ علىٰ دَعْوَاهُمْ.

وزَعَمْتَ أنّي لِكلِّ الخُلَفاءِ حَسَدْتُ وَعلىٰ كُلِّهِمْ بَغيْتُ .فَإنْ يكُنْ ذَلِكَ كَذلِكَ فَلَيْسَ الجِنَايةُعَليْكَ فَيكُونَ الْعُذْر اِلَيْكَ .

وَتِلْكَ شَكاة ظاهِرٌ عَنْكَ عارُها

وقُلْتَ: إنّي كُنْتُ أُقادُ كَما يقادُ الْجَمَلُ المَخْشُوشُ حَتّىٰ أُبايِعَ ولَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمدَحْتَ وَأنْ تَفْضَحَ فافْتَضَحْتَ وَما علىٰ المُسْلِمِ منْ غَضاضَةٍ في أنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شاكاً في دِينِهِ ولا مُرْتاباً بِيَقِينِهِ وهذِهِ حُجَّتي إلىٰ غَيْرِكَ قَصْدُها ولكنّي أطْلَقْتُ لَكَ مِنْها بِقَدْرِ مَا سَنَحَ منْ ذِكْرِها.

ثُمَّ ذَكَرْتَ ماكانَ منْ أمْرِي وأمْرِ عُثْمانَ فَلَكَ أنْ تُجَابَ عَنْ هذِهِ لِرَحِمَكَ مِنْهُ فأيُّنا كانَ أعْدَىٰ لهُ وأهْدَىٰ إلىٰ مَقَاتِلِهِ. أَمَّنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فاسْتَقْعدَهُ واسْتَكَفَّهُ أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتراخَىٰ عَنْهُ وَبَثَّ المَنُونَ إلَيْهِ حَتّىٰ أتىٰ قَدَرُهُ عَلَيْهِ كلّا واللَّهِ (لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ والقَائِلينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ولا يَأتُونَ البَأسَ إِلَّا قَلِيلاً:

1-آل عمران ٦٨

وَمَا كُنْتَ لأَعْتَذِرَ منْ أنِّي كُنْتُ أنقِمُ عَلَيْهَ أحْدَاثاً فإنْ كانَ الذَّنْبُ إليْهِ إرْشادِي وَهِدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُوم لا ذَنْبَ لَهُ.

وقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ.

وَمَا أَرَدْتُ إلَّا الإصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلَّا باللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ.

وذكَرْتَ أنَّه لَيْسَ لِي وَلا لأَصْحابِي إلَّا السَّيْفُ فَلَقدْ أضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبارٍ مَتىٰ أَلْفَيْتَ بَني عَبْدِ المُطَّلِبِ عَنْ الأَعْدَاءِ ناكِلينَ وَبالسَّيْفِ مَخُوِّفينَ؟!

لَبِّثْ قَليلاً يَلْحَقِ الهَيْجا حَمَلْ.

فَسَيَطْلُبكَ مَنْ تَطَّلَبُ ويَقْرُبُ مِنْكَ ما تَسْتَبْعِدُ وَأنا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ منَ الْمُهاجِرِينَ والأَنْصَارِ والتَّابِعينَ لهُمْ بإحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحامُهُمْ سَاطِع قَتامُهُمْ مُتَسَرْبِلينَ سِرْبالَ المَوْتِ أحَبَّ اللِّقاءِ إليْهِمْ لِقاءُ رَبِّهِمْ قدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وسُيُوفٌ هاشِمِيَّةٌ قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِها في أخِيكَ وخالِكَ وَجَدِّكَ وَأهْلِكَ وَمَا هِيَ منَ الظَّالِمينَ بِبَعِيدٍ ...

◁ اللّغة

(طَفِقتَ) بفتح الطّاء وكسر الفاء أي أخذتَ (هَجَرَ) مدينة بالبحرين كثيرة النّخل (مُسَدِّدِهِ) بضّم الميم والمُسّدد مُعلّم رمي السّهام.

(النِّضالِ) المراماة (ثُلْمَتُهُ) أي عَيبُه (حَنَّ) أي صوت، (قِدْحٌ) بكسر القاف أي سَهمٌ (ألا تَرْبَعُ) ألا تُقِف (ظَلَعِك) أي حدّك (ذَرْعِكَ) بفتح الذّال أي مقدارك (التِّيهِ) الحيرة والضّلالة (رَوّاغٌ) مبالغة الرَوغ وهو المَيل (الْقَصْدِ) الإعتدال (تَمُجُّها) أي تقذِفها (الرَّمِيَّةُ) الصّيد (طَوْلِنا) الطَّول بفتح الطّاء الفضل (فَلَجُوا) أي ظفروا (بُغَيتُ) أي ظلمتُ (أُقادُ) بضّم الألف مجهول أقود والقود السّوق أي أُساق (المَخْشُوشُ) إسم مفعول من الخشاش وهو ما يدخل في عظم أنف البعير من خشبٍ لينقاد (غَضاضَةٍ) الغَضاضَة النّقص (الظِّنَّةَ) التّهمة (المُتَنَصِّحُ) على وزن المَتصرف المُبالغ في النّصح لمن لا ينتصح (اسْتِعْبارٍ) البَكاء (أَلْفَيْتَ) أي وَجَدت، (ناكِلينَ) من النّكول وهو الإعراض

والإدبار (لَبِّثْ) فعل أمرٍ مثل صَرّف أي أمهِل (الهَيْجاء) الحَرب (مُرْقِلٌ) بضَم الميم وكسر القاف إسم فاعل من أرقل يُرقَل أي مُسرِع اليك (جَحْفَلِ) بفتح الجيم وسكون الحاء وفتح الفاء الجيش (ساطعٍ) السّاطع المُنتشر، (القَتام) بفتح القاف الغُبار.

◁ **المعنىٰ**

(**أمَّا بَعْدُ**) الحَمد والثّناء علىٰ اللّه (**فَقَدْ أتانِي كِتابُكَ**) الّذِي كتبته إلّيَ (**تَذْكُرُ فِيْهِ**) فـي الكـتاب (**اصْطِفاءَ اللّهِ تعالىٰ**) وإختياره (**مُحَمَّداً** ﷺ **لِدِينِهِ**) وَهُوَ الإِسْلام (**وتأييدِهِ**) أي وذكرت تأييد اللّه (**إيّاهُ**) أعنّي محمّداً ﷺ (**بِمَنْ أيَّدَهُ من أَصْحابِهِ**) لإنتشار دينه، (**فَلَقَدْ خَبَّأَ**) وأظهر (**الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً إذْ طَفِقْتَ**) وأخذتَ (**تُخْبِرنا**) بزعمك (**بِبَلاَءِ اللّهِ عِنْدَنا ونِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا فَكُنْتُ فِي ذَلِكَ**) الخَبر الّذي أخبرتنا به (**كَناقِلِ التَّمْرِ إِلىٰ هَجَرَ**) أي كمن ينقل التّمر الىٰ هَجَرَ (**أوْ دَاعِي مُسَدَّدِهِ إِلىٰ النِّضالِ**) أي كداعي مُسدّده ومُعلّمه الىٰ النّضال (**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وفُلاَنٌ**) أي أبو بكر وعُمر (**أمْراً**) أي إدّعيت أمراً أو حال كونه أمراً (**إنْ تُمَّمَ**) بأنْ كان الأمر كما تقول (**اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ**) أي أنت بمعزلٍ عنه (**وإنْ نَقَصَ**) الأمر عمّا تقول بأن لا يكُون علىٰ ما زَعَمْتَ (**لمْ يَلْحَقْكَ ثُلْمَتُهُ**) أي عَـيبُه ونَـقصه (**وما أنْتَ وَالفَضِلَ والمَفْضُولَ والسَّائِسَ والمَسُوسَ ومَا لِلطُّلقاءِ وَأبْناءِ الطُّلَقَاءِ والتَّمْيِيزِ بينَ المُهَاجِرينَ الأَوّلِينَ وتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ وتَعْرِيفِ طَبَقاتِهِم هَيْهاتَ**) أي أنت بعيد غاية البُعد عمّا دخلت فيه من التّميز بينهم (**لَقَدْ حَنّ**) وصَوت (**قِدْحٌ**) وسَهمٌ (**لَيْسَ مِنْهَا**) هو مَثَلٌ يُضرب لمن يفتخر بقومٍ ليس منهم (**وَطفِقَ**) أي أخَذَ (**يَحْكُمُ فيها مَنْ عَلَيْهِ الحُكْمُ لهَا ألاَ تَرْبَعُ**) أي ألا تقف (**أَيُّها الإِنْسَانُ علىٰ ظَلَعِكَ**) وَحدِّك (**وتَعْرِفَ قُصُورَ ذَرِعِكَ**) ومقدارك والتّقدير ألا تعرف (**وتَتَأَخَّرَ حَيْثُ أخَّرَكَ القَدْرُ**)...

أي ألا تتأخّر حيث أخّرك القَدَر ولم يجعلك من المُهاجرين والأنصار الّذين تتكّلم فيهم (**فمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ المَغْلُوبِ وَلا ظَفَرُ الظَّافِرِ**) كلمة ما استفهاميته

ويمكن أن تكون نافية أي لا تنفعك غلبة المغلوب ولا ظَفر الظّافر لأنّك لَستَ من أهله (**وإنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ**) ذهّاب بتشديد الهاء صيغة المبالغة نحو ضّراب وضّراف واللّام الدّاخل عليه للتّأكيد والواو للحال أي والحال أنّك في الضّلالة والحيرة في دينك (**رَوَّاغٌ عنْ الْقَصْدِ**) مبالغة في الروّغ وهو المَيل أي أنتَ كثير الميل عن الإعتدال (**ألا تَرَىٰ غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ**) والتّقدير ألا تَرَىٰ أنا غَيْرُ مُخْبِرٍ لك (**ولكِنْ بِنِعْمَةِاللّٰهِ أُحْدِّثُ**).

لقوله تعالىٰ و**أمّا بِنِعْمَةِ ربّك فحَدّث** (**إنَّ قَوْماً اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ منَ المُهاجِرِينَ**) قوله عليه السلام أنّ قوماً مفعول لقوله عليه السلام ألا تَرَىٰ أي ألا تَرَىٰ إنَّ قَوْماً اسْتَشْهَدُوا وقُتلوا في سبيل اللّٰه (**ولِكُلٍّ فَضْلٌ**) أي ولِكُلٍّ واحدٍ منهم فَضْلٌ لا ينكره أحَد (**حتّىٰ إذا اسْتُشْهِدَ شَهِيْدُنَا قِيْلَ**) له (**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً**) في الصَلوة عليه وهو حمزة بن عبد المطّلب عمّ النّبي والوصّي وقد قُتل يوم أُحد (**أوَ لا تَرَىٰ أنَّ قَوْماً قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ولِكلٍّ فَضْلٌ حَتّىٰ إذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ**) من قطع اليد (**قِيلَ الطَيَّارُ**)لَهُ (**في الجَنَّةِ وَذُو الجَنَاحَيْنِ**) وهو جعفر بن أبي طالب الّذي سمّاه النّبي بالطّيار بعد شهادته في غزوة مؤتة فقال صلى الله عليه وآله أنّه يطير في الجنّة مع الملائكة (**ولُولاَ مَا نَهَىٰ اللّٰهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ المَرْءِ نَفْسَهُ يَذْكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّة**) كثيرة (**تَعْرِفُها قُلُوبُ المُؤْمِنِينَ**) دون الفاسقين المعاندين (**ولاَ تَمُجُّها**) ولا تقذفها (**آذَانُ السَّامِعِينَ**)بل تلتّذ آذانهم بها أراد بهذا الذّاكر نفسه الشّريفة أي لولا قبح التّزكية لذكرت لك من الفضائل الثّابتة في حقّي علىٰ لسان النّبي كذا وكذا (**فَدعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ**) مَثَلٌ يُضرب لمن أعوج غرضه فمالَ عن الإستقامة لطلبه (**فإنَّا صَنَائِعُ رَبِّنا**) أوجَدنا وَخلقنا بحسن صُنعه (**والنَّاسُ بَعْدَ**) أي بعد ذلك (**صَنَائِعُ لَنا**) وَذلِكَ لأنّا وسائط الإيجاد (**لمْ يَمْنَعْنا قَدِيمَ عِزِّنا**) وفَضلنا (**ولاَ عادِيَّ طَوْلِنا**) بفتح الطّاء بمعنىٰ الشّرف والفضيلة (**عَلَىٰ قَوْمِكَ أنْ خَلَطْنا كُمْ**)وَعاشرناكم (**بأنْفُسِنا فَنَكَحْنا وأنْكَحْنا**) مَعَكم (**فِعْلَ الأَكْفاءِ**) والأقران

(وَلَسْتمْ هُنَاكَ) أي ولستُم بأقرانا (وأنّىٰ يكُونُ ذلِكَ كَذَلِكَ) أي وأنّىٰ كنتم من أقرانا (ومِنّا النبيُّ وَمِنْكُمُ المُكَذِّبُ) أي مِنكُمْ المُكَذِّبُ للنّبي وهو أبو جهل أو أبو سفيان وأمثالهما.

(ومِنّا أسَدُ اللَّهِ) وهو حمزة بن عبد المُطّلب أسَدُ اللّهِ وأسَدُ رَسُوله (وَمِنْكُمْ أسَدْ الأَحْلاَفِ) قيل هو أبو سفيان، (وَمِنَّا سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنّةِ) وهو الحسن والحسين (وَمِنْكُمْ صِبيةُ النَّارِ) قيل هم أولاد مروان بن الحكم أخبر النّبي بأنهم صبيان النّار.

(وَمِنَّا خَيرُ نِسَاءِ الْعَالِمينَ) فاطمة الزّهراء ﷺ (وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الحَطَبِ) أُمّ جميل بنت حرب عمّة معاوية وزوجة أبي لَهب (فِي كَثيرٍ مِمَّا لَنا وعَلَيْكُمْ) من الفضائل (فإسْلاَمُنا قَدْ سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتُنا لا تُدْفَعُ) أي إسْلاَمَنَا معلوم وجاهلِيَّتنا لا ينكرها أحد من حيث الشّرف والفضيلة (وكِتَابُ اللّهِ يَجْمَعُ لِنَا مَا شَذّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كتَابِ اللّهِ﴾ [(1)] ونحن أولوا الأرحام وأقرباء النّبي وقوله: ﴿ إنَّ أوْلىٰ النَّاس بإبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤمِنِينَ﴾ [(2)] فَنحْنُ مَرَّةٍ أَوْلىٰ بالْقَرَابَةِ كَمَا فِي الآية الأولىٰ.

(وتارَةً أوْلَىٰ بالطَّاعَةِ) كَمَا فِي الثّانية (وَلَمَّا احْتَجَّ المُهاجِرُونَ علىٰ الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ) فَقَالُوا نَحْنُ أَقْرب إلَيْهِ ﷺ منكم (فَلَجُوا عَليهمْ) أي ظفروا بهذا الإجتماع علىٰ الأنصار (فإنْ يَكُنْ الْفَلْجُ) والظّفر (بِهِ) أي بالرّسول (فالحقُّ لَنا) من حيث القُرب (دُونَكُمْ) فَأَنكم في الرّتبة المتأخّرة (وإنْ يكُنْ) الإجتماع (بِغَيرِهِ) أي بغير قرب الرّسول (فَالأَنْصَارُ علىٰ دَعْوَاهُمْ) إذ لا دليل للمُهاجرين علىٰ رَدعهم وَمَنعهم (وزَعَمْتَ أنّي لِكلِّ الخُلَفاءِ حَسَدْتُ وعلىٰ كُلِّهِمْ بَغَيْتُ) وظلمتُ (فإنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ) أي كما تقول (فَلَيْسَ الجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ الْعُذْر إلَيْكَ وَتِلْكَ شَكاةَ ظَاهِرٌ عَنْكَ عارُها) والحاصل أنك

١-الانفال ٧٥ ٢-ال عمران ٦٨

بمعزلٍ عمّا تقول لأنّك علىٰ هذاالفرض خارج عن مقام البحث (**وقُلْتَ إنِّي كُنْتُ أُقادُ**) وأُساق (**كَمَا يُقادُ**) ويُساق (**الجَمْلُ الْمَخْشُوشُ حَتّىٰ أُبايعَ**) لأبي بكر (**ولَعَمْرُ اللَّهِ**) أي أُقسم به (**لَقَدْ أَرَدْتَ**) بكلامك هذا (**أَنَّ تَذُمَّ فَمدَحْتَ**) أي أردتَ أن تذمّني فمَدَحتني (**وأنْ تَفْضَحَ فافْتَضَحْتَ**) أي أردت أن تفضحني فإفتضحتَ (**ومَا علىٰ المُسْلِمِ من غَضاضَةٍ**) ونقصٍ (**في أنْ يَكُونَ مَظْلُوماً**) بل المَظْلُومية شَرَف وفضيلة له (**مَا لمْ يَكُنْ شاكّاً في دِينِهِ ولا مُرْتاباً**) ومُضطرباً (**بِيَقِينِهِ وَهَذِهِ حُجَّتي إلىٰ غَيرِكَ قَصْدُها وَلكنّي أطْلَقْتُ لَكَ مِنْها بِقَدْرِ مَا سَنَحَ**) وظَهر (**مَنْ ذِكْرِها**) والحاصل أنّ هذه الحجّة لغيرك لا لَك (**ثُمَّ ذَكَرْتَ ما كانَ منْ أمْرِي وَأمْرِ عُثْمانَ**) وَمَا وَقَعَ بيني وبينه، (**فَلَكَ أنْ تُجابَ هَذِهِ لِرَحِمَكَ مِنْهُ**) من عثمان (**فأيُّنا كانَ أعْدَىٰ لَهُ**) لعثمان (**وأهْدَىٰ إلىٰ مَقَاتِلِهِ**) أنا أو أنتَ (**أَمَّنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فاسْتَقْعِدَهُ واسْتَكَفَّهُ**) أي طلب منه قعوده ومنعه وهو أنا (**أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ**) عثمان (**فَتَرَاخَىٰ عَنْهُ**) ولمْ يَنصره وهُوَ أنتَ (**وَبَثَّ المَنُونَ إلَيْهِ**) فَأنَّ من خذل عثمان وخلّىٰ بينه وبين المَوت فكأنّما بَثَّ المَنُونَ إليْهِ (**حَتّىٰ أتىٰ قَدَرُهُ عَلَيْهِ**) أي قَدرَ اللّهِ.(**كلّا وَاللَّهَ لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقائِلينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأتُونَ البَأسَ إلَّا قَلِيلاً**) أي أنّ اللّه تعالىٰ يعلم خاذله من ناصره (**وما كُنْتُ لأَعْتَذِرَ منْ أَنِّي كُنْتُ أنْقِمُ عَلَيْهِ إحْدَاثاً**).

فأن ذلك كان ولااعتذر منه (**فإنْ كَانَ الذَّنْبُ إلَيْهِ إرْشادِي وهِدَايَتي لهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبِ لَهُ**) وما نحن فيه من هذا القبيل (**وقدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ**) والتهمة (**المُتَنَصِّحُ**) المبالغ في النّصح لمن لا يتنصح (**وما أَرَدْتُ إلَّا الإصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلَّا باللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**) أي ما أردت من عثمان إلّا صلاحه وسداده بقدر إستطاعتي ولكنّه لم يأخذ بقولي فوقع فيما وقع (**وَذَكَرْتَ أنَّه لَيْسَ لِي ولأَصْحابي إلَّا السَّيْفُ فَلَقَدْ أضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعبارٍ**) وبكاء حيث هَددّتني بالسّيف (**مَتىٰ أَلْفَيْتَ**) ووَجدت (**بَني عَبْدِ المُطَّلِبِ عَنْ الأعْدَاءِ ناكِلِينَ**) معرضين مُدبرين (**وبالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ لِبِّثْ قَلِيلاً**) وأصْبر حتّىٰ (**يَلْحَقِ الهَيْجاء**)

والحرب (**حَمَلْ فَسَيَطْلُبكَ مَنْ تَطَلَبُ وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ**) من الأبطال (**وأنا مُرْقِلٌ**) ومُسرع (**نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ**) وجيش (**مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالتَّابِعينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحامُهُمْ ساطِع**) منتشر (**قَتامُهُمْ**) وغبارهم (**مُتَسَرْبِلينَ سِرْبالَ الْمَوْتِ**) ولابسين لباسه (**أَحَبَّ اللِّقاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ**) فلا يُبالون بالمَوْت (**قَدْ صَحِبَتْهُم ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ**) أي من ذراری اهْل بدر (**وَسُيُوفٌ هاشِمِيّةٌ قَدْعَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ**) حنظلة ابن أبـي سـفيان (**وخَالِكَ**) الوليـد بـن عُتبة (**وَجَدِّكَ**) عُتبة بن ربيعة (**وَأَهْلِكَ**) منْ الْمشركين (**وَمَا هِيَ منَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**) بل هو قريب منهم.

◁ الشرح

▫ **قوله ﷺ فَقَدْ أتانِي كِتابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفاءَ اللَّهِ تَعالىٰ مُحَمَّداً ﷺ لدِينِهِ وَتأْييدِهِ أيَّاهُ بمَنْ أَيَّدَهُ عَنْ أصْحابِهِ...**

ذكر شارح المُعتزلي في شرحه أصل الكتاب وقال أنّ معاوية أنفذه اليه مع أبي إمامة الباهلي ونحن ننقل أصل الكتاب منه ثمّ نتكلّم في الجواب ليكون النّاظر علىٰ بصيرة.

من عبد اللّه معاوية بن أبي سفيان الىٰ علّي بن أبي طالب أمّا بعد فأنّ اللّه تعالىٰ جدّه إصطفىٰ محمّداً عليه السّلام لرسالته وإختّصه بوحي وتأدية شريعته فأنقذ به من العماية وعَدىٰ به من الغواية ثمّ قبضه اليه رشيداً حميداً قد بلّغ الشّرع وقَمَع الشّرك وأَخَمد نار الأفك فأحسن اللّه جزائه وضاعف عليه نعمه وآلائه ثمّ أنّ اللّه سبحانه إختّص محمّداً ﷺ بأصحاب أيدّوه وآزروه ونَصروه وكانوا كما قال اللّه سبحانه لهم: ﴿**أشداء علىٰ الكفّار رحماء بينهم**﴾ فكان أفضلهم مرتبة وأعلاهم عند اللّه والمُسلمين منزلة الخليفة الأوّل الّذي جَمع الكلمة ولّم الدّعوة وقاتل أهل الردّة ثمّ الخليفة الثّاني الّذي فتح الفتوح ومِصر الأمصار وأذّل رقاب المشركين ثمّ الخليفة الثّالث المظلوم الّذي نَشر الملّة وطبق الأفاق بالكلمة الحنيفية فلّما إستوثق الأسلام وضرب بجرانه عدَوت عليه فبغيته

الغوائل.

ونَصَبت له المكائد وضربت له بطن الأمر وظهره ودسَست عليه وأغريت به وقعدت حيث إستنصرك عن نصره وسألك أن تركه قبل أن يُمَزق فما أدركته وما يوم المُسلمين منك بواحد لقد حَسَدت أبا بكر والتَوَيت عليه ورُمتَ إفساد أمره وقعدت في بيتك وإستَغويت عصابة من النّاس حتّىٰ تأخّروا عن بيعته ثمّ كَرِهتَ خلافة عُمر وحَسَدته وإستَطلت مُدّته وسُررتَ بقتلِه وأظهرت الشّماتة بمُصابه حتّىٰ أنّك حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه ثمّ لم تكن أشدّ منك حَسَداً لإبن عمّك عثمان نَشرتَ مقابحه وطويت محاسنه وطعنت في فقهه ثمّ في دينه ثمّ في سيرته ثمّ في عقله وأغريت به السّفهاء من أصحابك وشيعتك حتّى قَتلوه بِمَحضرٍ منك لا تدفع عنه بلسانٍ ولا يدٍ وما من هؤلاء إلّا مَن بَغيتَ عليه وتَلَكأتَ في بيعته حتّىٰ حُملت اليه قهراً تُساق بَخزائم الإقتار كما يُساق الفحل المخشوش ثمّ نَهضتَ الآن تطلب الخلافة وقتلة عثمان خُلصائك وسجراؤك والمُحدقون بك وتلك من أماني النّفوس وضلالات الأهواء فَدَع اللّجاج والعَبَث جانباً وإدفع إلينا قتلة عثمان وأعدّ الأمر شورىٰ بين المُسلمين ليتّفقوا علىٰ من هو لِلّه رضا فلا بيعة لك في أعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عُتبىٰ لك عندنا وليس لك ولأصحابك عندي إلّا السّيف والّذي لا إله إلّا هو لأطلبنّ قتلة عثمان أين كانوا وحيث كانوا حتّى أقتلهُم أو تلتحق روحي باللّه.

فأمّا ما لاتزال تَمُنّ به من سابقتك وجهادك فأنّي وجدتُ اللّه سبحانه يقول: **﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** (١) ولو نَظرت في حال نفسك لوَجدتها أشدّ الأنفس إمتناناً علىٰ اللّه بعملها وإذا كان الإمتنان علىٰ السّائل يُبطل أجر الصّدقة فالإمتنان علىٰ اللّه يُبطل أجر الجهاد ويجعله: **﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ**

١- الحُجرات ـ ١٧

فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1] انتهىٰ.

أقول: لمّا وصل الكتاب اليه فأجابه بما أجابه ونحن نشرح الكتاب بعَون اللّه وتوفيقه فقوله ﷺ في الجواب تذكر فيه إصطفاء اللّه محمّداً ﷺ لدينه وتأييده أيّاه بمن أيّده من أصحابه، إشارة الىٰ ما قال معاوية في الكتاب ثمّ أنّ اللّه إختّص محمّداً بأصحاب أيّدوه وآزروه ونصروه.

▫ **قوله ﷺ: فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً إِذْ طَفِقْتَ تَخْبِرُنَا بِبَلاَءِ اللَّهِ عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَىٰ هَجَرَ أَوْ دَاعِي مَسَدِّدِهِ إِلَىٰ النِّضَالِ...**

قوله ﷺ: **خَبَّأَ** في الأصل مَهمُوز يُقال خَبَّأَ، خَبَّاءً، وخَبَّأً، إذا سَرَّهُ وأخفاه والمصدر منه الخَباء ومنه الخابية إلّا أنّهم تركوا همزها تخفيفاً والخَباء إسم لما خبي وسُتر ومنه الحديث إطلبوا الرّزق في خبايا الأرض يريد الزّرع وما خبأه اللّه في معادن الأرض.

والمعنىٰ لقد سَّر لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً إذْ طَفِقْتَ وأَخذت تُخبرنا ببلاء اللّه عندنا ونعمته علينا في نبّينا فكُنتَ فيما قُلت كناقل التّمر الىٰ هَجَر أي كمن ينقل التّمر من البلاد الىٰ بلد هَجَر من نواحي البحرين كثيرة النّخل أو كداعي مُسدّده ومُعلّمه الىٰ النّضال أي كمن يدعوا إستاذه في فنّ الرّمي الىٰ المُناضلة وهما مَثلان لناقل الشّيء الىٰ معدنه والمُتّعلم علىٰ مُعَلِمه ومن المعلوم أنّ هذا الشّخص لا يكون إلّا سفيهاً أحمقاً ضرورة أنّه لا يفيد شيئاً إلّا تضييع الوقت لأنّه من تحصيل الحاصل الّذي أجمعوا علىٰ قُبحه وفي قوله ﷺ: **في نَبِيِّنَا** إشارة الىٰ نُقطةٍ خفيّة وهي أنّ النّبي ﷺ لم يكن نَبيّناً لمعاوية ومن تَبعه وأنّه لم يُؤمن به طرفة عينٍ أبداً وهو كذلك ولأجل ذلك تَعجب ﷺ من كلام معاوية.

١- البقرة -٢٦٤

▫ قوله ﷺ: وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وفُلاَنٌ أَمْرَاً إنْ تُمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ وإِنْ نَقصَ لمْ يَلْحَقْكَ ثُلْمَتُهُ وَمَا أَنْتَ والفَضِلَ وَالمَفْضُولَ والسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ...

أي زَعَمْتَ بزعمك الباطل أنّ أفْضَلَ النَّاسِ فِي الإسْلاَمِ فُلاَنٌ وفُلاَنٌ أي أبو بكر وعُمر لم يُسمّهما بإسمهما تقيّةً وإلّا فهما في أصل الكتاب قد صّرح بهما كما عرفت وبعدهما عثمان ثمّ أنّ ما زعمته لا يخلو أمّا أن يكون صحيحاً كاملاً وأمّا أن يكون ناقصاً وعلىٰ التّقديرين لا ينفعك لخروجك من مورد البحث والإدّعاء وأيّ نفع لك في كونهم أفضل من غيرهم وعدم كونهم كذلك وما أنت والفاضل والمفضول والسّائس والمسُوس والحال أنّك بمعزلٍ عن هذه الأمور كلّها.

▫ قوله ﷺ: وَمَا لِلطُّلَقاءِ وَأبْناءِ الطُّلَقاءِ وَالتَّمْييزِ بينَ المُهاجِرينَ الأَوَّلينَ وَتَرْتِيْبِ دَرَجاتِهِمْ وَتَعْرِيْفَ طَبَقَاتِهِمْ...

أي أنّك من الطُّلَقاءِ وأبْناءِ الطُّلَقاءِ فَما لَكَ والتَّمْييزِ بينَ المُهاجِرينَ وتَرْتِيْبِ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفِ طَبَقاتِهِمْ وَقَدْ مَرّ الكلام سابقاً في كون معاوية وأبي سفيان من الطّلقاء يوم فتح مكّة حيث قال رسول الله إذهبوا أنتم الطّلقاء.

▫ قوله ﷺ: هَيْهَاتَ لَقَدْحَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ وَطِفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ...

قوله ﷺ: **لَقَدْحَنَّ قَدْحٌ لَيسَ مِنْهَا**، مثل إذا كان سهم يُخالف السّهام كان له عند الرّمي صوت يُخالف أصواتها قال بعض أنّ المَثَل لعُمر بن الخطاب قال له عقبة إبن أبي معيط أءُقتَل من بين قُرَيش فَأجابه عُمر لَقَدْحَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا وَكَيْفَ كَانَفالمقصود من هذا الكلام أنّ معاوية لم يكن من المُهاجرين والأنصار ومع ذلك كان يحكم في الدّرجات والطّبقات.

وقوله ﷺ: **مَن عليه الحُكم** إشارة الىٰ معاوية والمعنىٰ أنّ حكمه في المُهاجرين والأنصار عليه لا له.

▫ **قوله ﷺ: أَلا تَرْبَع أَيُّها الإنْسَانُ عَلىٰ ظَلَعِكَ وَتَعْرِفَ قُصُورَ ذَرْعِكَ وَتَتَأَخَّرَحَيْثُ أَخَّرَكَ القَدْرُ فَما عَلَيْكَ غَلَبَةُ المَغْلُوبِ ولا ظَفَرُ الظَّافِرِ وَأَنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ رَوَّاغٌ عَنِ القَصْدِ...**

يُقال أربع علىٰ ظلعك أي قِف عل حدّك والذّرع بفتح الذّال في الأصل بسط اليد ويُقال للمقدار وأنّما إستعار لفظ الذّرع لقصوره عن رتبة السّابقين كالظّالع وقصُور ذرعه كناية عن عَجزه عن تناول تلك المرتبة وقوله ﷺ: **وتعرف** وتتأخر معطوف علىٰ الجملة الأولىٰ ومقتضىٰ العطف أن يُقال أنّ التّقدير ألا تقف علىٰ حدّك وألا تعرف قصُور ذَرعك وألا تتأخّر حيث أخّرك القَدَر وجَعلك من الطُّلَقاءِوأبْناءِ الطُّلَقاءِ فما عَلَيْكَ غلبة المغلوب ولا ظفر الظّافر والحال أنّك كثير الذّهاب في الحيرة والضّلالة ومع ذلك رَوّاغٌ وميّال عن القصد والإعتدال ومحصّل الكلام ينبغي لك أن تتكلم في نفسك وسابقتك في الإسلام.

▫ **قوله ﷺ: ألا تَرىٰ غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحْدِّثُ...**

أي ألا تَرىٰ أَنَا غَيْرُ مُخبِرٍ لَكَ فقوله ﷺ: **غَيْرَ مُخْبِرٍ** خبر لمبتدء محذوف وهو (أنا) وفيه إشعار بعدم لياقته للأخبار ولذلك قال ﷺ: ولكن بِنِعْمَةِ اللّٰهِ أُحْدِّثُ لقوله تعالىٰ: ﴿**وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحدِّث**﴾ ولولا ذلك لما أَخبَرتك.

▫ **قوله ﷺ: إنَّ قَوْماً اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ منَ الْمُهَاجِرِينَ ولِكُلٍّ فَضْلٌ حَتّىٰ إِذْا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وخَصَّهُ رَسُولِ اللَّهِ بِسَبِعينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِه عَلَيْهِ...**

أي إنّا لا ننكُر إنَّ قَوْماً من المُهاجِرِينَ وَالأنْصَار إستشهدوا في سبيل اللّٰه ولكلّ واحدٍ منهم فضل وشرف عند اللّٰه تعالىٰ ومع ذلك ليسوا علىٰ حدٍّ سواء ألا تَرىٰ أنَّ شَهِيدُنا لمّا اسْتَشْهِدَ قيل له سَيِّدُ الشُّهَدَاءَ والقائل هو رسول اللّٰه وخصّه بسبعين تكبيرةً عند الصّلٰوة عليه فلو كانوا جميعاً علىٰ حدٍّ سواء كما زَعمتَ فما وجه هذا الإمتياز والمَفروض أنّ رسول اللّٰه كان ما ﴿ **وَما يَنْطِقُ عَنِ**

الْهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحيٌ يوُحىٰ(١) و عليه فأمّا أن تقول بأنّ النّبي قد أخطأ وهو كفر محض أو تقول بالفضل بين الشّهداء وهو المطلوب.

▫ **قوله ﷺ: أوَ لا تَرَىٰ أَنَّ قَوْماً قَطِعَتْ أَيْديهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكلٍّ فَضْلٌ حَتّىٰ إذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنا مَافُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيْلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الجَناحَيْنِ...**

المورد به جعفر الطيّار الّذي قُتل في غزوة مُؤتة كما أنّ المراد بسيّد الشّهداء حمزة بن عبد المُطّلب وقد قُتل يوم أُحُد وصَلىٰ عليه رسول اللّه وكبّر في صلاته عليه سبعين تكبيرة وقال أنّه سيّد الشّهداء كما قال ﷺ في جعفر بن أبي طالب بعد قطع يديه أنّ اللّه أعطاه جناحين يطير معهما مع الملائكة في الجنّة فسُمّي بذلك الطّيار والغَرض أنّ كلّ شهيدٍ لا يكون كذلك وليس هذا إلّا لكونهما أفضل من غيرهما وهو المطلوب فلا يُقاس بآل محمّدٍ أحد من أفراد هذه الأمّة.

▫ **قوله ﷺ: ولوْلاَ ما نَهَىٰ اللّهُ عنْهُ منْ تزْكِيَةِ المَرءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّة تَعْرِفُهَا قُلُوبُ المُؤمِنِينَ وَلا تَمُجُّها آذَانُ السَّامِعِينَ فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ...**

أي لولا قُبح تَزْكِيَةِ الْمَرءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ أراد به نفسه الشّريفة أي لَذكرت لك فضائل جَمّة كثيرة تعرفها قلُوب المؤمنين لا قلوب المُنافقين المُعاندين ولا تَمّجها ولا تَقذفها آذان السّامعين ممّا ورد في حقّه علىٰ لسان النّبي الأمين.

منها ما قاله في غزوة خيبر لأُعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله كرّار غير فرّار ولم يكن هذا الشّخص إلّا أمير المؤمنين بإتّفاق الفَريقين...

ومنها قوله في غزوة أُحُد لا فتىٰ إلّا علّي لا سَيف إلّا ذو الفقار ولمّا قال جبرئيل لرسول اللّه أنّ هذه لهي المُواساة قال رسول اللّه أنّه منّي وأنا منه فقال جبرئيل وأنا منكما...

١- النجم، آية ٣.

ومنها قوله ﷺ في غزوة خندق ضربة علّي يوم الخندق أفضل من عبادة الثّقلين، قاله ﷺ ذلك لمّا ضرب أمير المؤمنين عمرو بن عبد ودّ وهو أيضاً مُتّفق عليه عند الكلّ...

ومنها ما نزل في حقّه ليلة المَبيت وهو قوله تعالىٰ: (ومن النّاس من يشري نفسه إبتغاء مرضات اللّه) الآية وجعل جبرئيل يقول بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب واللّه يُباهي به الملائكة...

باهىٰ به الرّحمٰن أملاك العُلىٰ   لمّا إنثنىٰ من فرش أحمد يهجع
يا جبرئيل وميكائيل فأنّني   آخيتُ بينكما وفضلي أَوسع
أفأن بدا في واحدٍ أمري فَمَن   يغدي أخاه من المنون ويقنع
فَتوَثقا كلٌّ يضن بنفسه   قال الإلٰه أنا الأعزّ الأرفع
أنّ الوّصي فدىٰ أخاه بنفسه   ويفعله زلفىٰ لذي ومَوضع
فلتَهبطا ولتمنعا من راقه   أم مَن له بمكيده يتّسرع

وقال خطيب خوارزم:

علّي في مهاد المَوت عارٌ   وأحمد مكُنو غار إغتراب
يقول الروح بخ بخ ياعلّي   فقد عرضّت روحك لإنتهاب

وقد إجتمعت الأمّة علىٰ أنّ علّياً كان المُجاهد في سبيل اللّه والكاشف الكروب عن وجه رسول اللّه والمقّدم في سائر الغَزوات إذا لم يَحضر النّبي وإذا حَضر فهو تاليه وصاحب الرّاية واللّواء معاً وما كان قطّ تحت لواء جماعة أحد ولا فَرّ من زَحف فلا يُقاس به أحد في شوكته وكُثرة جهاده ولم يخالف فيه أحدٌ من أحاد الأمّة وكتب التّواريخ مشحونة بذكر فضائله في الجهاد وأمّا قوله عليه السلام فَدَع عنك مَن مالت به الرّمية فهو مثل يُضرب لمَن أعوج غرضه فمال عن الإستقامة لطلبه والمقصود إترك هذه الأقاويل الّتي ليست من فرسانها

□ **قوله عليه السلام: فإِنّا صَنَائِعُ رَبِّنا والنَّاسُ بَعْدَ صَنَائِعُ لَنَا...**

أي لا يُقاس بنا أحد من المخلوقين كائناً من كان فلا فضل لأحدٍ منهم علينا

بل لنا الفضل علىٰ كلّ ما سوىٰ اللّه وذلك لإنّا صَنائعُ ربّنا والنّاس بأجمعهم بَعد ذلك صنائع لنا فنحن فوق المخلوق ودون الخالق وحيث أنّ المقام تحتاج الىٰ توضيح وتفصيل فنقول:

أمّا قوله ﷺ: **فإنَّا صَنَائعَ رَبِّنا** فهو ظاهر لا كلام فيه لأحدٍ إذ لاشك أنّ اللّه تعالىٰ هو الخالق الصّانع المُعيد لا شريك له في إيجاده ومُلكه وحُكمه وأدلّة التّوحيد قد أثبَتت ذلك بما لا مزيد عليه وأنّما الكلام في قوله ﷺ: **والنَّاسُ بَعْدَ صَنَائعَ لَنَا** وَذَلِكَ لأنّ العقول الضّعيفة العَليلة السّقيمة لا يُمكن لها درك هـذا الكلام الّذي صَدَر عن الإمام فقال الشّارح المُعتزلي في شرح الكلام ما لفظه هذا كلام عظيم عال علىٰ الكلام ومعناه عال علىٰ المعاني وصنيعة المَلك من يصطنعه الملك ويرفع قَدره، يقول ليس لأحدٍ من البشر علينا نعمة بل اللّـه تعالىٰ هو الّذي أَنعم علينا فليس بيننا وبينه واسطة والنّاس بأسرهم صـنائعنا فنحن الواسطة بينهم وبين اللّه تعالىٰ وهذا مقام جليل ظاهره ماسمعت وباطنه أنّهم عبيد اللّه وأنّ النّاس عبيدهم انتهىٰ وقال المحقّق البحراني ﵀ وقوله :**فإنَّا صَنَائعُ رَبِّنا** الىٰ قوله لنا تنبيه من وجه آخر علىٰ أفضلّيتهم من جهة إختصاص اللّه سبحانه أيّاهم بالنّعمة الجَزيلة وهي نعمة الرّسالة وما يستلزمه من الشّرف والفضل حتّىٰ كان النّاس عيالاً لهم فيها إذ كانت تلك النّـعمة ولوازمـها أنّـما وصلتَ الىٰ النّاس بواسطتهم ومنهم وأكرم بها فضيلة وشرفاً علىٰ سائر الخلق الىٰ أن قال، وكلّ من كان بِصفَته أنّه صنيعة ربّه بلا واسطة والنَّاسُ بَعْدَه صَنَائعَ لَه وبواسطته فلا ينبغي لأحدٍ من النّاس أن يُعارضه في فضل أو يُحازيه في شرف ويجّوز بلفظ الصّنائع في المَوضعين إطلاقاً لإسم المقبول علىٰ القابل والحال علىٰ المحلّ ثمّ كثر ذلك المجاز يقال فلان صنيعة فـلان إذا إختـصّه لموضع نعمته كقوله تعالىٰ:﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[1] انتهىٰ ماذكره.

وأنا أقول: ما ذكراه في شرح العبارة لا يرجع الىٰ مُحصّل:

١- طه ٤١

أمّا تفسير المُعتزلي فظاهره ممّا لا كلام فيه إذ لا شكّ في كونهم أقرب الخَلق الىٰ اللّه وأنّه ليس بينهم وبين اللّه واسطة وأمّا باطنه وهو أنّ النّاس عبيدهم كما أنّهم عبيد اللّه فهو ليس بصحيح ضرورة أنّ النّاس كلّهم أجمعون عبيد اللّه تعالىٰ لا عبيد غيره ومن قال بهذه المقالة فهو مُشرك ونسبته الىٰ الإمام عليه السّلام من الذّنب الّذي لا يُغفر وكيف يقول المُعتزلي بهذه المقالة وينسبها الىٰ أمير المؤمنين والحال أنّه عليه السلام إمام المُوحدّين لم يشرك بربّه طرفة عينٍ أبداً ومن كان كذلك كيف يقول أنّ النّاس عبيد لنا ولازم ذلك كونهم معبودين لهم ولا نعني بالشّرك إلّا هذا أَليس هذا من تفسير الكلام بما لا يرضىٰ به صاحبه أن لم نقل أنّه من الكذب والإفتراء علىٰ الإمام المعصوم ونحن نذكر لك من كلام المعصوم ما هو صريح فيما ذكرناه.

روي في البحار بأسناده عن الهَروي قال قلت للرّضا عليه السلام يابن رسول اللّه ما شئ يحكيه عنكم النّاس قال عليه السلام وما هو قُلت يقولون أنّكم تدّعون أنّ النّاس عبيد لكم فقال عليه السلام **اللّهم فاطر السّموات والأرض عالم الغَيب والشّهادة أنت شاهد بأنّي لَم أَقل ذلك قطّ ولا سمعت أَحداً من آبائي عليهم السّلام قال قطّ وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأُمّة وأنّ هذه منها ثمّ أَقبل علّي فقال ياعبد السّلام إذا كان النّاس كلّهم عبيدنا علىٰ ما حكوه عنّا فَمِمّن نبيعهم فقلت يابن رسول اللّه صدقت ثمّ قال ياعبد السّلام أَمُنكرٌ أنت لما أَوجَب اللّه عزّ وجلّ لنا من الولاية كما ينكره غيرك فقلت معاذ اللّه بل أنا مُقّر بولايتكم انتهىٰ**«ج ٧ ص ٢٤٦»...

فهذا الحديث وأمثاله صَريحٌ في خلاف ما زَعمه المعتزلي من أنّ النّاس عبيدُهم وقد ورد في حديث آخر عنه عليه السلام أنّ من قال بهذه المقالة فهو من المغضوب عليهم ومن الضّالين:

وأمّا ما ذهب اليه المحقّق البحراني رحمه الله من أنّ المراد اختصاصهم بالرّسالة وما يستلزمه من الشّرف حتّىٰ كان النّاس عيالاً لهم الىٰ آخر ما قال ففيه:

أمّا أوّلاً: أن نعمة الرّسالة لم تكن مُختصة بهم لوجود الأنبياء والرُسل والأوصياء قبل الإسلام فلو كان الأمر كما ذكره فالنّاس صنائع لكلّ الأنبياء والرُسل لا لمحمّدٍ ﷺ وأهل بيته مع أنّ ظاهر الكلام أنّه من خصائصهم أي خصائص أهل البيت».

وثانياً: أنّ المجاز لا يؤخذ به إلّا بعد وجود الإشكال في حمل الكلام على الحقيقة وأمّا فيما إستقام معناه الحقيقي فأيّ مجّوزٍ للقول بالمجاز وما نحن فيه من هذا القبيل والّذي أوقع الشّراح في هذه المحاذير والإستخراجات الظّنية هو عدم تأملهم في أصل العبارة وأنّه فرقٌ بين صنائعنا وصنائع لنا، وأمير المؤمنين لم يقل والنّاس بعد صنائعنا بل قال صنائع لنا وشبهة الشّرك في الأوّل دون الثّاني وذلك لأنّ اللّام في قوله عليه السلام لنا يفرق بين الجملتين والمعنى أنّ اللّه خلق الخلق لأجلنا فهو كقوله تعالى مخاطباً لنّبيه (<u>خلقتُ الخلق لأجلك وخلقتُك لأجلي</u>) في ليلة المعراج وهو ممّا لا إشكال فيه لا عقلاً ولا نقلاً ضرورة أنّ الإنسان الكامل واسطة في الفيض سواء كان الفيض من الإيجاد أم من غيره من النّعم الإلٰهية كما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة حيث قال عليه السلام:

أشهد أنّ هذا سابق لكم فيما مضى وجار لكم فيما بقى وأنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض خلقكم اللّه أنواراً فجعلكم بعرشه مُحدقين حتّى منّ علينا بكم فجعلكم في بيوتٍ أذِنَ اللّه أنّ تُرفع ويُذكر فيها إسمه الى أنّ قال عليه السلام فبَلغ اللّه بكم أشرف محَل المكرّمين وأعلى منازل المُقربين وأرفع درجات المُرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع حتّى لا يبقى ملك مُقرب ولا نبّي مُرسل ولا صّديق ولا شهيد الى أن قال عليه السلام بكم فتح اللّه وبكم يختم اللّه وبكم ينّزل الغيث وبكم يمسك السّماء أن تقع على الأرض إلّا بأذنه وبكم يُنّفس الهّم ويكشف الضّر الى آخر الزيارة:

او است ايـــجاد جـــهانرا واســـطة
در مـــيان خـــلق وخـــالق رابـــطة
شـــــاهباز لا مكـــــاني جـــان او
رحـــــمة للـــــعالمين در شأن او
عـــارف اطـــوار سّـــرِ جـــزو وكـــلّ
خـــلق اوّل روح اعـــظم عـــقل كـلّ
عـــلّت غـــائي ز امـــر كُـــن فكـــن
نـــيست غـير از ذات آن صاحب قرآن
رهـــــنماي خـــلق وهـــادّي سُـــبل
مـــــقتداي أنـــبياء خـــتم رُسُـــل

وقال العوني:

يـــا آل أحـــمد لولاكـم لمـا طَـلَعت
شمسٌ ولا ضَحَكت أرضُ علىٰ العشب
يـــاآل أحـــمد لا زال الفـــؤاد بكـــم
صـــبابة بـادرت تـبكي عـلىٰ النّـدب
يـا آل أحـمد أنتم خير من وجدت
بـــه المـــطايا وأنـــتم مُـنتهىٰ أربـي
يـا زيـنة الأرض يـا فـجر الظّلام بـها
يـــا دُرّة المـجد يـا عـرعورة العَـرب

وقال العَبدي:

صـــلٰوة إلا لٰـــه ربّـي عـليكم — أهـل بـيت الصّـيام والصّـلٰوة
قـدّم اللّـه كـونكم فـي قـديم — الكَون قبل الأرضين والسَّموات
وإصطفاكم لنفسه وإرتـضاكـم — وأُري الخلق فيكم المعجزات
وعلمتم ما قـد يكون ومـا كـان — وعـــلم الدّهـــور والحـادثات

أَنـتُم جـنبه وعـروته الوثقىٰ وأســماؤه وبــاب النّــجاة
وبكم يُعرف الخبيث من الطّيب والنّـور فـي دُجـىٰ الظُّـلمات
لكـم الحـوض والشّـفاعة والأ عراف عـرفتم جميع السّمات

وحاصل الكلام أنّ كون الخلق صنائع لهم ممّا لا ريب فيه والأشعار الواردة في الباب كثيرة يُعلم منها أنّ المُدّعىٰ كان ثابتاً فـي صِـدر الأسـلام ولولا مـخافة الإطالة لذكرنا من الأخبار والأشعار والأدلّة العقلية فَصلاً طويلاً:

▫ **قوله ﷺ لَمْ يَمْنَعْنا قَدِيمَ عِزِّنَا وَلا عادِيُّ طَوْلِنا علىٰ قَوْمِكَ أنْ خَلَطْناكُمْ بِأَنْفُسِنا فَنَكَحْنا وأَنْكَحْنَا فِعْلَ الأَكْفاءِ وَلَسْتُمْ هُناكَ...**

كأنّه قيل له ﷺ أن كان الأمر كما ذكـرت فـي الشّـرف والفـضيلة وأنكـم الوسائط في الإيجاد فَلِمَ خَلطتم بنِي أُمّية بأنفسكم فَنكحتم منهم وأنكحتم لهم أَليس هذا يدّل علىٰ كونكم أكفاء لهم:

فقال ﷺ في الجواب لا وذلك لأنّ قديم عزّنا وفضلنا علىٰ بـني أُمّـية لم يمنعنا عن المُخالطة والمُعاشرة معهم فَخلطناهم بأنفسنا ونكحنا من نسائهم وأنكحنا نسائنا مع أنّهم لم يكونوا أكفاؤنا، وذلك لأنّ رسول اللّه ﷺ زوّج إبنتيه رقّية وأُمّ كلثوم من عثمان بن عفان وزوّج إبنته زينب من أبي العاص بن الرّبيع في الجاهليّة وتزّوج أبو لهب بن عبد المُطّلب أُمّ جميل بنت حرب بن أُمّية في الجاهلّية وتزّوج رسول اللّه أُمّ حبيبة بنتَ أبي سفيان بن حرب فـي الإسلام وهكذا.

▫ **قوله ﷺ: وأَنّىٰ يكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ ومِنَّا النبيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلاَفِ وَمِنَّا سَيِّدُ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ وَمِنَّا خيرُ نَسَاءِ الْعَالِمينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الحَطَبِ فِي كَثِير مِمَّا لَنَا وعَلَيْكُمْ...**

أي كيف يكون شرفكم كشرفنا وفَضلكم كَفَضلنا ومنّا النّبي ﷺ ومـنكم المُكذّب وهو أبو جهل ومنّا أسد اللّه وهو حمزة بن عبد المُطّلب ومنكم أسد الأحلاف وهو أبو سفيان وقيل عتبة بن ربيعة ومنّا سيّدا شـباب أهـل الجنّة

الحسن والحسين ومنكم صبية النّار قيل المراد بهم أولاد مروان بن الحَكم أخبر النّبي عنهم وهم صبيان بأنّهم من أهل النّار وقيل المراد أولاد عقبة بن أبي مُعيط وذلك لأنّ النّبي أَمَر بقتله يوم بدر صبراً فقال مَن للصّبية يامحمّد قال ﷺ النّار وعقبة بن أبي مُعيط من بني عبد شمس، ومنّا خير نساء العالمين فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الحَطَبِ هي أُمّ جميل بنت حرب ابن أُميّة إمرأة أبي لَهب الّذي نصّ القرآن فيها بما ورد في قوله تعالىٰ: **﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾**[1] وفي قوله عليه السلام في كثير ممّا لنا وعليكم إشارة الىٰ أنّ ما ذكرته لك قليل بالنّسبة الىٰ ما تركتُ.

▫ **قوله عليه السلام: فَإِسْلاَمُنا مَا قَدْ سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتُنا لا تُدْفَعُ وَكِتَابُ اللّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّعَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّه﴾**[2]

و: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرٰهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]

أي أنّ إسلامنا لا يخفىٰ علىٰ أحد فأنا أوّل القوم إسلاماً وأَحسنهم وأحكمهم في العَمَل به وجاهليّتنا لا تُدفع أي لا يُنكر شَرَفنا فيها أَحَد فإنّا في عهد الجاهليّة لم نكن مثل غيرنا في إتباع الشّهوات وعبادة الأوثان والظّلم والفساد وغيرها بل كنّا سالمين عن الأوصاف الخَبيثة ثمّ أشار عليه السلام الىٰ فضل آخر من فضائل أهل البَيت وهو قوله تعالىٰ: **﴿وأُولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعضٍ﴾** وقوله: **﴿إنّ أولىٰ النَّاسِ بِإبْرَاهِيْمِ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾**[4] فالآية الأولىٰ قد دلّت علىٰ أنّ بعض أرحام النّبي أولىٰ به من بعضٍ والثّانية دلّت علىٰ أنّ أولىٰ النّاس بالنّبي من تابعه في فعله وقوله والحاصل إنّا أقرب النّاس برسول اللّه ﷺ نَسَباً ورَحماً وأَولىٰ النّاس به ﷺ عملاً وتأسّياً فلا يُقاس بنا أَحَد كما قال عليه السلام:

١- المسد آيه ۴
٢- الانفال ـ٧۵
٣- آل عمران ـ۶٨
۴-آل عمران ۶٨

▫ **قوله ﷺ: فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وتارَةً أَوْلى بالطَّاعَةِ...**

أي نحن أولىٰ به قرابةً بالآية الأولىٰ وأولىٰ به طاعةً بالآية الثّانية:

روي في المناقب عن موسىٰ بن جعفر ﷺ في قوله تعالىٰ: **﴿الّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ رحم آل محمّد عليهم السّلام﴾**[1] وعن زيد بن علّي في قوله وأُولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض، قال ذلك علّي إبن أبي طالب كان مهاجراً ذا رحمٍ انتهىٰ.

وعن تفسير جابر بن يزيد عن الإمام ﷺ أثبت اللّه بهذه الآية ولاية علّي بن أبي طالب لأنّ عليّاً كان أولىٰ برسول اللّه من غيره لأنّه كان أخوه في الدّنيا والآخرة لأنّه حاز ميراثه وسلاحه ومتاعه وبغلته الشّهباء وجميع ما ترك وورث كتابه من بعده قال اللّه تعالىٰ: **﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ إصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**[2] وهو القرآن كلّه نزل علىٰ رسول اللّه وكان يُعلّم النّاس من بعد النّبي ولم يُعلّمه أحد وكان يُسئل ولا يَسئل أحداً عن شئ من دين اللّه وأنّ اللّه إصطفىٰ كنانة من وِلد إسماعيل واصطفىٰ قُريشاً من كنانة وإصطفىٰ هاشماً من قُريش ولم يكن للمشايخ في الّذي هو صفوة الصّفوة نَصيب ثمّ أنّه هاشمي من هاشميين ولم يكن في زمانه غيره وغير أخويه وغير إبنيه أبوه أبو طالب بن عبد المُطّلب بن هاشم وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم وفي حديث أنّه إختلف أُمّه برسول اللّه الىٰ معد بن عدنان من ثلاث وعشرين قرابة تتّصل برسول اللّه من جهة الأُمّهات ولا أحد يشاركه في ذلك والنّبي إبن عمّه من وجهين من عبد اللّه ومن أبي طالب ومن إتصّال أُمّه برسول اللّه ﷺ تلك الجهات في الأُمّهات وصار علّيّ إبنه من وجهين أولهما أنّه ربّاه حتّىٰ قالت فاطمة بنت أسد كنت مريضة فكان محمّد يمّص عليّاً لسانه في فيه فيرضع باذن اللّه والثّاني أنّ ختن الرّجل إبنه ولهذا نهيّئ الرّجل إذا وُلدت له بنت فيقال هنالك الخَتن:

صَهَر النّبي وصنوه وربيبه — وأخوه عند تعذّر الأخوان

١-الرعد ٢١

٢-الفاطر-٣٢

ثمّ إبناه إبنا رسول الله حُكماً وشَرعاً لقوله ﷺ أنا أبوهما أعقل عنهما ولهذا كان علّي عليه السلام يقول في محمّد بن الحنفيّة ابني ويقول فيهما إبنا رسول الله فهو ﷺ سيّد النّبيين وصهره سيّد الوَصّيين وزوجته سيّدة نساء العالمين وابناه سيّدا شباب أهل الجنّة وعمّه حَمزة سيّد الشّهداء وأخوه جعفر أُنسّي ملكي سيّد الطّيور في الجنّة يطير مع الملائكة وأبوه سيّد العَرب حامي رسول الله ورئيس مكّة وجدّ أبيه هاشم سيّد العرب وصهرته أمّ المؤمنين وأوّل من أسلَمت وصلّت وأَنَفقت ومنها نسل النّبي وأُمّه فاطمة بنت أسد أوّل هاشمية من هاشمّيين:

وروىٰ الثّقاة عن النّبي أنّه قال يا علّي لك أشياء ليست لي، منها أنّ لك زوجة مثل فاطمة وليس لي مثلها، ولك وَلَدين من صُلبَك وليس لي مثلهما من صلبي، ولك مثل خديجة أُمّ أهلك وليس لي مثلها حماة، ولك صَهر مثلي وليس لي صَهر مثلي، ولك أخ في النّسب مثل جَعفر وليس لي مثله في النّسب، ولك أُمّ مثل فاطمة بنت أسد الهاشمية المهاجرة وليس لي مثلها...

وعن سلمان وأبي ذر والمقداد، أنّ رجلاً فاخر علّي بن أبي طالب فقال النّبي فاخر العَرَب، فأنت أكرمهم ابن عمّ وأكرمهم نفساً وأكرمهم زوجة وأكرمهم ولداً وأكرمهم أخاً وأكرمهم عمّاً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً وأقدمهم سلماً وأشجعهم قلباً وأسخاهم كفّاً...

وعن أبي الحسن المدائني أنّه كتب معاوية اليه يا أبا الحَسَن أنّ لي فضائل كثيرة كان أبي سيّداً في الجاهليّة وصرت مَلَكاً في الإسلام وأنا صهر رسول الله وخال المؤمنين وكاتب الوحي، فلّما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال أبا الفضائل ليفخر علينا إبن آكلة الأكباد يا غلام أُكتب اليه وأَملي عليه:

محمّد النّبي أخي وصهري ... وحمزة سيّد الشّهداء عمّي
وجعفر الّذي يضحىٰ ويمسي ... يطير مع الملائكة إبن أُمّي
وبنت محمّدٍ سكني وعرسي ... مشوب لحمها بَدَمي ولَحَمي

وسبطا أحمدٍ ولداي منها | فمن منكم له سهم كَسَهمي
سبقتكم الىٰ الإسلام طّراً | غلاماً ما بلغت أوان حلمي
أنا البَطَل الّذي لن تنكروه | ليوم كريهةٍ وليوم سليم
وأوَجب لي ولايته عليكم | رسول اللّه يوم غدير خُمٍ
وأوصىٰ بي لأُمّته لحُكمي | فَهَل فيكم له قدم كَقَدمي
فويل ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ | لجاحد طاعتي من غير جُرمي

فلّما قرأ، معاوية الكتاب قال مزّقه يا غلام لا يقرأه أهل الشّام فيميلون معه نحو إبن أبي طالب وتذاكروا الفَخَر عند عُمر فأنشأَ عليه السلام يقول:

اللّه أكرمنا بنصر نبّيه | وبنا أقام دعائم الإسلام
وبنا أعزّ نبّيه وكتابه | وأَعَزّنا بالنُّصر والأقدام
وبكلّ معتركٍ يطّر سيوفنا | منه الجماجم عن فراخ الهام
ويَزورنا جبرئيل في أبياتنا | بفرائض الإسلام والأحكام
فنكون أوّل مستّحل حلّه | ومحرّم لِللّه كلّ حرامٍ
نحن الخيار من البرّية كلّها | ونظامها وزمام كلّ زمامٍ

وقال خطيب خوارزم :

هل فيهم مَن له زوج كفاطمة
قل لا وأن مات غيضاً كلّ ذي أحن
هل فيهم مَن له من ولده وَلَد
مثل الحسين الشّهيد الطّف والحَسَن
هل فيهم من له عمّ يُوازره
كمثل حمزة في أعمام ذي الزّمن
هل فيهم مَن له صِنو يكانفه
كجعفرٍ ذي المعالي الباسق الفِطّن

◻ **قوله ﷺ: ولَّمَا احْتَجَّ المُهاجِرُونَ عَلىٰ الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَجُوا عَليهم فَإِنْ يَكُنْ الْفُلْجُ بِهِ فالحَقُّ لَنَا دونَكُمْ وإِنْ يكُنْ بِغيرِهِ فَالأَنْصَارُ عَلىٰ دَعْوَاهُمْ...**

أشار ﷺ بهذا الكلام الىٰ قصّة السّقيفة واجتماع المُهاجِرِينَ علىٰ الأنصار بالقرابة ونحن وأن تكلّمنا فيها في المجلد الأوّل من هذا الكتاب عند شرحنا للخطبة الشقشقية مفصلاً إلّا أنه لابدّ لنا في المقام الإشارة اليها اجمالاً ثمّ التّكلم فيما أفاده ﷺ في كلامه هذا فنقول:

روي غير واحدٍ من نقلة الآثار أنّه لمّا قُبض رسول اللّه ﷺ اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وأخرجوا سعد بن عبادة ليولّوه الخلافة وكان مريضاً فخطبهم ودعاهم الىٰ إعطائه الرّئاسة فأجابوه ثمّ ترادّوا الكلام فأبىٰ المهاجرون وقالوا نحن أوليائه وعترته فقال قوم من الأنصار نقول منّا أمير ومنكم أمير فقال سعد فهذا أوّل الوَهن وسمع عُمر الخبر فأتىٰ منزل رسول اللّه ﷺ وفيه أبو بكر فأرسل اليه أن أخرج إلّي فأرسل أنّي مشغول فأرسل عُمر اليه أن أخرج فقد حَدث الأمر لابدّ أن تحضروه فخرج وأعلمَه الخبر فمضيا مُسرعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة فتكلم أبو بكر فذكر قُرب المُهاجرين من رسول اللّه ﷺ وأنّهم أوليائه وعترته ثمّ قال نحن الأمراء وأنتم الوزراء لا نفتات عليكم بمشورة ولا نقضي دونكم الأُمور فقام حباب بن المنذر بن الجموح فقال يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم فأنّ النّاس في ظّلكم ولَن يجترء مُجترءٌ عليكم (علىٰ خلافكم) ولا يصدر أحد إلّا عن رأيكم أنتم أهل العزّة والمنعة وأُولوا العَدد والكُثرة وذو البأس والنّجدة وأنّما ينظر النّاس ما تصنعون فلا تختلفوا فتغسل فتُفسد عليكم أُموركم فأن أبىٰ هؤلاء إلّا ما سمعتم فمنّا أمير ومنهم أمير فقال عُمر هيهات لا يجتمع سيفان في غَمدٍ واللّه لا تَرضىٰ العَرب أن تؤمركم ونبّيها من غيركم ولا تَمنع العَرب أن تُولّي أمرها من كانت النّبوة منهم من يُنازعنا سلطان محمّد ونحن أوليائه وعشيرته فقال

الحباب بن المُنذر يامعشر الأنصار أملكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فأن أبوا عليكم فأجلوهم من هذه البلاد فأنتم أحقّ بهذا الأمر منهم فأنّه بأسيافكم دان النّاس بهذا الدّين أنا جُذَيلها المُحكّك وغذيقها المرّجب أنا أبو شبل في عرينه الأسد واللّه أن شئتم أيَفتّدها جُذعة فقال عُمر إذاً يقتلك اللّه فقال بل أيّاك يقتل فقال أبو عُبيدة يا معشر الأنصار أنّكم أوّل من نَصَر فلا تكونوا أوّل من بدّل أو غيّر فقام بشير بن سعد والد النّعمان وقال يامعشر الأنصار ألا أنّ محمّداً من قُرَيش وقومه أولىٰ به وأيم اللّه لا يراني اللّه أُنازعهم هذا الأمر فقال أبو بكر هذا عُمر وأبو عُبيدة بايعوا أيّهما شئتم فقالا واللّه لا نتولىٰ هذا الأمر عليك وأنت أفضل المُهاجرين وخليفة رسول اللّه في الصّلوٰة وهي أفضل الدّين أبسط يدك فلمّا بَسَط يَده ليبايعا سبقهما اليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المُنذر يابشير عَقك عفاة أَنفت علىٰ بن عمّك الأمارة فقال أسيد بن حضير رئيس الأوس لأصحابه واللّه لأن لم تُبايعوا ليكوننّ للخزرج عليكم الفضيلة أبداً فقاموا فَبايعوا أبا بكر فإنكسر علىٰ سعد بن عبادة والخزرج ما إجتمعوا عليه وأقبل النّاس يُبايعون أبا بكر من كلّ جانب ثمّ حُمل سعد بن عبادة الىٰ داره فبقىٰ أيّاماً فأرسل اليه أبو بكر ليُبايع فقال لا واللّه حتّىٰ أرميكم بما في كنانتي وأخضب سنان رمحي وأضرب بسيفي ما أطاعني وأُقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني ولو إجتمع معكم الجنّ والإنس ما أُبايعكم حتّىٰ أعرض علىٰ ربّي فقال عُمر لا تَدعه حتّىٰ يُبايع فقال بشير بن سعد أنّه قد لَجّ وليس بمُبايع لكم حتّىٰ يُقتل وليس بمقتُول حتّىٰ يُقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ولا يضُركم تركه أنّما هو رجل واحد فتَركوه انتهىٰ« بحار الانوار ج ٨ ص ٦٢».

أقول: وقد روي في البحار هذه القصّة بطرق أُخرىٰ والمحصّل منها واحد أن شئت راجعه فقول أمير المؤمنين ولمّا إحتج المُهاجرون علىٰ الأنصار يوم السّقيفة الىٰ آخر ما قال إشارة الىٰ قولهم نحن أوليائه وعترته وقول عُمر من

ينازعنا سلطان محمّد ونحن أوليائه وعشيرته، وقول بشير بن سعد ألا أنّ محمّداً من قُرَيش وقومه أولىٰ به، وأمثال هذه الكَلَمات.

ومحصّل كلام علّيٍ ﷺ هو أنّ إستدلال المُهاجرين علىٰ الأنصار بأنّهم أقربائه وعشيرته فالخلافة لهم دون الأنصار لا يَخلو أمّا أن يكون صحيحاً بأنّ الخلافة لأقرباء الرّسول وعشيرته فأهل بيته أولىٰ به لكونهم أقرب النّاس اليه وأن كان الإستدلال باطلاً بأنّ الخلافة لا ربط لها بالقرابة فالأنصار علىٰ دعواهم أذ لا دليل علىٰ رجحان المُهاجرين علىٰ الأنصار لولا القرابة وهذا ظاهر لا خفاء فيه.

أن قُلت ـ أَلَيس ظاهر كلام أمير المؤمنين أنّ أمر الخلافة كان بيَد النّاس والشّورىٰ إلّا أنّ المُهاجرين ظلموا علىٰ الأنصار وأخذوا حقّهم بما لا ينبغي وذلك لأنّ قوله ﷺ فأنّ الأنصار علىٰ دعواهم يدّل علىٰ صحّة دعواهم وأنّ الحقّ كان معهم فلو كانت الخلافة بسبب النّص كما يقولون أنتم معشر الشّيعة فَلِمَ لم يَذكر أمير المؤمنين النّص ولم يقل ببطلان الإحتجاج من الطّرفين قُلت، لا شكّ عندنا أنّها بالنّص وأمّا كلامه ﷺ في المقام مع معاوية بن أبي سفيان وأمثاله ممّن لا يقول بالنّص ويقول أنّ الخلافة بتّعيين النّاس فقال ﷺ هذه المقالة ردّاً عليهم علىٰ مسلَكهم وحاصله أنّكم تقولون بعدم النّص فأن كان الأمر كما تقولون نسألكم هل لقرابة الرّسول فيها سهمٌ أم لا وبعبارةٍ أُخرىٰ بناء علىٰ عدم النّص هل تقولون أنّ الخليفة أقرب النّاس الىٰ رسول اللّه أم لا تَقولون به فأن كان فنحن أقرب اليه من خلفائكم وأن لم يكن فبأيّ دليل أخذتم الخلافة وما معنىٰ احتجاجكم علىٰ الأنصار وينتج أنّ الخلافة قد غُصبت سواء قُلنا بالنّص أم لا وهذا يُسمّىٰ في علم المنطق بالتّسلم ومعناه قبول قول الخَصم والإستدلال علىٰ بطلانه من طريقه وما نحن فيه من هذا القبيل فأفهم واغتنم فأنّه ثمين.

□ **قوله ﷺ: وزَعَمْتَ أنِّي لِكلِّ الخُلَفاءِ حَسَدْتُ وعلى كُلِّهِمْ بَغيْتُ. فإنْ يكُنْ ذَلِكَ كذَلِكَ فَليْسَ الجِنَايةُ عَليْكَ فَيكُونَ الْعُذْرَ إليْكَ وَتِلْكَ شَكاة ظاهِرٌ عَنْكَ عارُها...**

وحاصله أنّ ما زَعَمْتَ من أنّي حَسَدْتُ وبَغيْتُ على الخُلفاء لا يخلو من وجهين الصّدق والكذب فأن كنتَ صادقاً فيما قُلت وزَعَمْتَ فَلَيْسَ الجِنَايةُ عَليْكَبل الجناية على من إرتكبها وهو غيرك فَيكُونَ الْعُذْرَ إليْكَ أي أنت معذور وتِلْكَ شَكاةَ ظَاهِرٌ عَنْكَ عارُها، والشّكاة بفتح الشّين العَيب والنّقص والمعنى أنّ تلك الدّعوى نقص أنت بَريءٌ منه وأنّما هو مُتوجه الى فاعله وأن كذبت فلعنة اللّه على الكاذبين ثمّ أنّ الشّعر أعني قوله ﷺ: **وتلك شكاة** الى آخره لأبي ذويب وأوّله:

وعـيّرها الواشـون أنّي أُحبّها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

□ **قوله ﷺ: وَقُلْتَ أنِّي كُنْتُ أُقادُ كَمَا يقادُ الْجَمَلُ المَخْشُوشُ حَتّىٰ أُبايِعَ ولَعَمْرُ اللَّهَ لَقدْ أرَدْتَ أنْ تَذُمَّ فَمدَحْتَ وأنْ تَفْضَحَ فافْتَضَحْتَ...**

هذا الكلام إشارة الى كيْفية أخذهم البيعة عنه ﷺ والخِشاش ككِتاب ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد وخششت البعير جعلت في أنفه الخشاش طَعَن معاوية على الإمام بأنّه كان يُجبَر على بيعته لأبي بكر وأنّه كان يُقاد كما يُقاد الجمل المخشوش وهذا الإقرار من معاوية دليل قاطع على صحّة ماروته الشّيعة من أنّهم جعلوا الحَبل في عُنقه وجَرّوه الى المَسجد للبيعة بعد إحراقهم بيت فاطمة وكسر ضلعها وغيرها من الجنايات الّتي إرتكبوها وتفصيلها في الكُتب موجود.

وحاصل جواب الإمام لمعاوية أنّ هذا الّذي ذكرتَ وأرَدْتَ به أن تذمّني فقد مَدحتني وأردتَ أن تَفضحني فافتَضحت أنت فيما أظهرتَه للنّاس وذلك لأنّك أثبّت بذلك أنّهم ظلمُوني وكنتُ مظلوماً ولا شكّ أنّ الظّلم عيب ألا ترى أنّ اللّه تعالى لَعَن الظّالم في كتابه غير مرّةٍ وأمّا المظلّوم فاللّه تعالى ناصره في الدّنيا والآخرة كما قال ﷺ:

▫ **قوله عليه السلام: وَمَا عَلَىٰ المُسْلِمِ من غَضاضَةٍ فِي أنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شاكاً فِي دِينِهِ وَلا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ وَهذِهِ حُجَّتِي إلىٰ غَيرِكَ قَصْدُها ولكنّي أطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَاسَنَحَ منْ ذِكْرِها...**

أي ليس علىٰ المُسلم من نقصٍ وذمٌ في صيرورته مظلوماً ما لم يكن شاكاً مضطرباً في دينه ولا مُرتاباً ومشكوكاً بِيَقِينِهِ في كونه علىٰ الحقّ بل الذّم والنّقص ثابت للظّالم المُعاند والمُتزلزل في دينه وأنّي لم أكن كذلك أصلاً وهذه أي هذه الحجّة الّتي أقمتَها في إثبات النّقص علىٰ حجّتي الىٰ غيرك من الخلفاء الّذين فعلوا بي ما فعلوا من غير حجّةٍ شرعيّة فأنّ غيرك فطّنته الإستحقاق لهذا السّؤال وأمّا أنت فمُنقطع عن جرثومة الأمر فلا حاجة للإحتجاج عليك ولكنّي أطلقت أي ذكرتُ لك من الحجّة بقدر ما سَنَح وظهر من ذكرها: (**لِيهلك من هَلك عن بيّنةٍ ويحيىٰ من حَيّ عنها**) عنها وإلّا فأنت لستَ أهلاً للجواب.

▫ **قوله عليه السلام: ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كانَ منْ أَمْرِي وَأمْرِ عُثْمانَ فَلَكَ أنْ تُجابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمَكَ مِنْهُ...**

أي ثمّ بعد ذلك زدتَ في الطّنبُور نغمة أُخرىٰ وهو أنّي لم أنصُر عثمان بل حسدتُ عليه وخَذلتُه وهذا سؤال لغيرك عنك فلك أن تُجاب عن هذه الحجّة لأنّك من بني أُمّية وعثمان أيضاً منهم فَلِم خَذلته ولم تنصره حين إستَنصرك وفي هذا الكلام إشارة الىٰ ما ذكره المُؤرّخون من أنّ عثمان كتب الىٰ معاوية بما جرىٰ عليه وأنّ القَوم إجتمعوا في المدينة وهَمّوا بقتله وحاصروه في داره وهذا نصّ كتابه اليه:

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم - أمّا بعد فأنّ أهل المدينة قد كفروا وتركوا الطّاعة ونَكثوا البيعة، فأبعث إلّي من قِبلك من مقاتلة أهل الشّام علىٰ كلّ صعبٍ وذلول انتهىٰ.

فلمّا جاء معاوية الكتاب تربّص به وكره إظهار مُخالفة اصحاب رسول اللّه

وقد علم إجتماعهم فلمّا أبطأ أَمَره علىٰ عثمان كتبَ الىٰ يزيد بن أسد بن كرز والي أهل الشّام يَستَنفرهم ويُعظِّم حقّه ويذكر الخلفاء وما أَمر اللّه عزّ وجلّ به من طاعتهم ومُناصحتهم ووَعدهم أن يَنجدهم جنداً وبطانة دون النّاس وذكّرهم بلاؤه عندهم وصنيعه اليهم فأن عندكم غيّاث فالعجل العجل فأنّ القَوم مُعاجلي.

▫ **قوله ﷺ: فأَيُّنا كانَ أَعْدَىٰ لَهُ وأَهْدَىٰ إلىٰ مَقَاتِلِهِ أَمَّنْ بَذَلَ لهُ نُصْرَتُهُ فاسْتَقْعَدَهُ واسْتَكَفَّهُ أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتراضَىٰ عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ حَتّىٰ أتىٰ قَدَرُهُ عَلَيْهِ...**

ثمّ سأله ﷺ وقال فأيّنا أنا أو أنتَ كانَ أعدىٰ لعثمان وأهدىٰ الىٰ مقاتله أَمَّن بَذل لعثمان نُصرته وبَعث الحَسَنين لنصره وحفظه ثمّ لم يَقنَع بذالك فاستَقعده أي طلب قعوده ولم يقبل نصره وطلب كفّه ومنعه عن القتال أمَّن استَنصره عثمان فتراضىٰ عنه وبثّ اليه المنون والمَوت بخذلانه أيّاه وتَخليه بينه وبين المَوت وهو أنت، وقد عرفت أنّ معاوية لم يُجبه حتّىٰ قُتل ثمّ أجاب قميصه وقال قُتل عثمان مظلوماً وأنا ولّي دَمه وقد ذكر الطّبري في تاريخه أنّ معاوية تربّص به وكره إظهار مُخالفة الأصحاب وأبطأ في بعث مقاتلي أهل الشّام لنصر عثمان حتّىٰ كتبَ عثمان الىٰ يزيد بن أسد والي أهل الشّام يستنصر منه وقد مرّ نصّ الكتاب، وقوله ﷺ: **حَتّىٰ أتىٰ قَدَرُهُ عَلَيْهِ**، أي حتّى أتىٰ علىٰ عثمان ما قَدَّره اللّه تعالىٰ له وهو القَتل بأيدي المُسلمين.

▫ **قوله ﷺ: كلّا واللّهِ لَقَد عَلِمَ اللّهِ المُعَوّقينَ مِنْكُمْ وَالْقائِلينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً...**

أي ليس الأمر كما زعمتَ لقد علم اللّه تعالىٰ المُعَوّقينَ المانعين عن نصرة عثمان والّذين قالوا لأخوانهم في الدّين هلّم الينا ولا يأتون البأس إلّا قليلاً، فالمعّوق من النّصرة أنت والّذي دعاه الى الحقّ أنا ولنعم ما قيل في الباب:

غيري جنىٰ وأنا المُعاقب فيكم   فكأنني سبّابة المُتَندم

□ قوله ﷺ وَمَا كُنْتُ لأَعْتَذِرَ منْ أنّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أحْدَاثاً فإنْ كانَ الذَنْبُ إلَيْهِ إرْشادِي وَهِدَايَتي لهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لَهُ وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ (ومَا أرَدْتُ إلَّا الإصْلاَحَ مَااسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ...

أي أنّي لا أُنكر نقماتي علىٰ عثمان في بعض أحداثه فأن كان الإرْشادِ والهداية يُعدّ عندك وعند أمثالك من الذّنب فلا إشكال فيه إذ ربّ ملُومٍ لا ذنب له واقعاً وقد يستفيد الظّنّة والتّهمة المُتّنصح أعني المُبالغ في النّصح لمن لا ينتصح وأصل البيت:

وكم سبقت في آثاركم من نصيحةٍ

وقد يستفيد الظّنة المُتّنصح

وحاصل الكلام أنّ ذنبي إرشاد عثمان وهدايته وربما تَفْشأ التّهمة من إخلاص النّصيحة عند من لا يقبلها وفي هذا الكلام إشارة الىٰ أنّه ﷺ كان يُرشده دائماً الىٰ ما هو خير له ولكنّه لم يقبل النُصّح أصلاً وما ذكره ﷺ حقّ لا مرية فيه وتفصيله مذكور في التّواريخ فأنّ عثمان كان مُعرضاً في خلافته عن الكتاب والسُنّة بل وعن سُنة الشّيخين أيضاً وصفحات التّواريخ تشهد بما ذكرناه ولم يكن النّاقم عليه أمير المؤمنين فقط بل كلّ المُهاجرين والأنصار نقموا عليه حتّىٰ عبد الرّحمٰن بن عوف الّذي ألبَسَه قميص الخلافة في الشّورىٰ وعائشة بنت أبي بكر الّتي قالت غير مرّة أُقتلوا نعثلاً قتله اللّه وهكذا الزّبير وطلحة وعمرو بن العاص الّذي كان أوّل الأمر من ندمائه وهلّم جرّاً والحقّ أنّ عثمان لم يقتله إلّا عَمَله:

□ قوله ﷺ: وذَكَرْتَ أنَّهُ لَيْسَ لِي ولأَصْحابِي إلَّا السَّيْفَ فَلَقَدْ أضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبارِ مِنّي ألْفَيْتَ بَني عَبْدِ المُطَّلِبِ عَنْ الأَعْدَاءِ نَاكِلينَ وبالسَّيْفِ مُخَوِّفينَ...

أي هَددّتني وأصحابي بِالسَّيْفَ وهو عجيب فلقد أضحكتَ بقولك هذا بعد إستعبارٍ وبكاءٍ أي من يسمع كلامك هذا من المؤمنين يَضحك بعد بكائه علىٰ الدّين، يبكي من جهة إصرارك علىٰ غير الحقّ والتّفريق في الدّين

وإدّعائك الخلافة لرسول اللّه ويضحك لتهديدك أيّاي بالسّيف ومتى وجدت بني عبد المُطّلب عن الأعداء ناكلين مُعرضين في الحُروب وبالسّيف مُخوفّين والحال أنّهم أبناء الحروب:

▫ **قوله ﷺ لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الهَيْجا حَمَلْ فَسَيَطْلُبك مَنْ تَطَلُّبُ وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِد...**

أي لا تعجل بل لِبثّ وأمكث قَلِيلاً من الزّمان، والهيجاء الحَرب وقوله حَمَل بالتّحريك هو إبن بدر رجل من قيشرا غير على إبله في الجاهليّة فإستنقذها وقال:

لَبِث قليلاً يلحق الهَيجاء حَمَل لا بأس بالموت إذا المَوت نَزَل

فصار مثلاً يُضرب به للتّهديد بالحَرب:

▫ **قوله ﷺ: وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوكَ فِي جَحْفَلٍ منَ الْمُهاجِرينَ والأَنْصَارِ والتَّابِعينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ...**

أي أنا مُسرعٌ اليك في جيشٍ من المُهاجِرينَ والأَنْصَارِ وغيرهم من التَّابِعينَ أعني من لم يدرك صحبة النّبي ﷺ والمقصود أنّ الجيش مركّبة من هؤلاء الأشخاص:

▫ **قوله ﷺ: شَدِيدٍ زِحامُهُمْ ساطع قَتامُهُمْ مُتَسَرْبِلينَ سِربالَ المَوْتِ أَحَبَّ اللِّقاءِ إِلَيْهِمْ لِقاءِ رَبِّهِمْ قدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وسُيُوفٌ هاشِمِيَّةٌ قدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِها فِي أَخِيكَ وَخالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ (وَمَا هِيَ منَ الظَّالِمينَ بِبَعِيدٍ)...**

ذكر ﷺ أوصاف الجيش فقال ﷺ: **شديدٌ زِحامُهُمْ** ودفاعهم عن الحقّ ساطع قتامهم أي منتشرٌ غبارهم وهو كناية عن كثرتهم وكثرة خيولهم، مُتسربلين سربال المَوت أي لابسين لباس المَوت فكأنّهم في أكفانهم وهو كناية عن علاقتهم بالمَوت في سبيل اللّه، أحبّ اللّقاء اليهم لقاء ربّهم أي لا يُحبّون إلّا الشّهادة قد صحبتهم ذرّية بدّرية أي أنّهم من ذراري أهل بدر وفيه إيماء الى أنّ أصحابه ﷺ كأصحاب بَدر وأمّا أصحاب معاوية كأصحاب

المُشركين وهو كان كذلك وسيوفٌ هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك حنظلة بن أبي سفيان وخالك أبو الوليد بن عُتبة وجدّك عُتبة بن ربيعة وغيرهم من أهْلِكَ وأقربائك الّذين قُتلوا في غزوة بَدر ووَقعوا في قُليبه الّذي هو بعينه قُليب جهنّم وما هي من الظّالمين ببعيد **﴿وسيعلم الّذين ظلموا أيّ مُنقلبٍ ينقلبُون﴾** روي أنّه لمّا بلّغ الكتاب الىٰ معاوية أراد أن يُجيبه فنهاه عمرو بن العاص عن مُكاتبته ولم يكتب إلّا بيتاً واحداً وهو:

ليس بيني وبين قيس عتابٌ غير طعن الكلي وضرب الرّقاب

فقال أمير المؤمنين قاتلتُ النّاكثين وهؤلاء القاسطين وسأُقاتل المارقين ثمّ ركب فرس النّبي وقصده في تسعين ألفاً قال سعيد بن جبير منها تسع مِائة رجل من الأنصار وثمان مِائة من المُهاجرين وقال عبد الرّحمٰن بن أبي ليلىٰ سبعون رجلاً من أهل بدر ويقال مائة وثلاثون رجلاً وخرج معاوية في مِائة وعشرين ألفاً يتّقدمهم مروان.

وقد تقّلد بسيف عثمان فنزل صفّين في المحرّم علىٰ شريعة الفرات وقال:

أتاكم الكاشر عن أنيابه ليث العرين جاء في أصحابه

وتفصيل القصّة مَسطورٌ في التّواريخ فلا نحتاج الىٰ ذكرها في الكتاب:

ومن كتاب له عليه السلام (٢٧)
الىٰ أهل البَصرة

□ قوله عليه السلام: وَقَدْ كانَ مِنَ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقاقِكُمْ ما لمْ تَغْبُوا عنْهُ فَعفَوْتُ عنْ مُجْرِمِكُمْ وَرَفَعْتُ السَّيْفُ عنْ مُدْبِرِكُمْ وَقَبِلْتُ من مُقبِلِكُمْ فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الأُمُورُ المُردِيةُ وَسفَهُ الآرَاءِ الجَائِرَةِ إِلىٰ مُنَابَذَتي وخِلافي فَها أناذَا قدْ قَرَبْتُ جِيَادِي ورَحَلْتُ رَكابِي وَلَئِنَ أَلْجأْتُمُونِي إِلىٰ المَسيرِ إِلَيْكُمْ لأُوقِعَنَّ بُكُمْ وَقْعَةً لا يَكُونْ يَوْمَ الجَمَلِ إِليْها كلُقْعَةِ لاعِقٍ مَعَ أنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ ولِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ غَيْرُ مُتَجاوِزٍ إِلىٰ بَرِيٍّ وَلا نَاكِثاً إِلىٰ وَفِّي.

◁ اللّغة

(تَغْبُوا) من غَبا يَغبُوا يقال غَبا عنه أي جَهِله (خَطَتْ) أي تجاوزت (المُردِيَةُ) المُــهلكة (سَفَهُ الآرَاءِ) أي ضَعفُها (الْجائِرَةِ) المـائلة عـن الحـقّ (مُنَابَذَتي) المنابذة المخالفة (جِيَادِي) جياد جمع جَواد يقال جاد الفَرس جُودةً بـالضّم والفتح فهو جواد سُمّي بذلك لإنّه يجود بَجريه فقوله قد قربّت جِيَادِي أي أمرتُ بتقريب خيلي إِلَيّ (ركابي) الرّكاب الإبل (لَقْعَةِ لاعِقٍ) بفتح اللّام وضمها مثلٌ يضرَب للشّيءِ واللّعقة اللّحية:

◁ المعنىٰ

(وَقَدْ كانَ مِنَ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ) وتفرّق طاقاته (وَشِقاقِكُمْ) ونفاقكم، حيث إتبّعتم جيش الجَمَل ونكثتم البيعة (فعَفَوتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَرَفَعْتُ) ووضعتُ (السَّيْفَ عَنْ مُدَبِرِكُمْ) وَلم آمر بقتله (وَقَبِلتُ منْ مُقْبِلَكُم) العُذر (فإِنْ خَطَتْ) وتجاوزتَ (بِكُمْ الأُمورُ المُرْدِيةُ) المُهلكة (وَسَفَهُ الآرَاءِ الجَائِرَةِ) المائلة عن الحقّ (إلىٰ مُنَابَذَتي) ومُخالفتي (وخِلاَفي) في الأمور (فَها أناذَا) أي أنا الّذي كنتُ بالأمس وقد رأيتموني (قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي) أمرتُ بتقريب الخيل إلّي لأركب وأسير اليكم (ورَحَلْتُ رِكَابِي) أي شددتُ علىٰ ظهورها الرّحل (ولَئِن أَلْجَأْتُمُونِي) أي أوقعتموني في الإضطرار (الىٰ المسير اليكم) ثانياً (لأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لا يَكُونْ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَيْها) أي بالمقايسة اليها (إلَّا كلُقْعَةِ لاعِقٍ) كناية عن حقارتها (مَعَ أنّي عارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ وَلْذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ. غيرُ مُتَجاوِزٍ إلىٰ بَرِيٍ وَلا ناكِثاً) وناقضاً (إلىٰ وَفِيٍّ) أي من وفىٰ بعَهده والحاصل أنّي لا أتجاوز طريق العَدَل:

◁ الشَرح

□ قوله ﷺ وَقَدْ كانَ مِنَ إِنْتَشارِ حَبْلِكُمْ وَشِقاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عنْهُ...

كَتَب ﷺ - هذا الكتاب الىٰ أهل البَصرة بعد وقعة الجَمَل لمّا سَمِع منهم الشّقاق والخلاف فقوله ﷺ: **حبَلكم** إشارةٌ الىٰ حَبَل الطّاعة الّتي ثَبتت لهم بسبب البَيعة والمعنىٰ أنّه لا يخفىٰ عليكم إنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وتفرّق طاعاته بنَكثكم البَيعة وإتّباعكم جيش الجَمَل ومخالفتكم لإمامِكم الّذي فرض اللّه طاعته عليكم حيث قال: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[4]

□ قوله ﷺ: فَعفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عنْ مُدْبِرِكُمْ وَقَبِلْتُ منْ مُقْبِلِكُمْ...

۴- النساء ـ ۵۹

بعد ما أثبت ﷺ لهم الذّنب المُوجب للعقُوبة قال ﷺ: **فَعَفوتُ عن مُجرمكم ورَفعتُ ووضَعتُ السّيف** أي سّيف الإنتقام عن مُدّبركم في الحرب وقبلت العُذر من مُقْبِلِكُمْ إلّي كلّ ذلك للتّقرب الىٰ اللّه وعلمي بأنّ العفو عن المُسئ خير من الإنتقام منه.

▫ قوله ﷺ: **فَإنْ خَطَتْ بِكُمْ الأُمُورُ المُردِيةُ وَسَفَهُ الآرَاءِ الجَائِرَةِ إلىٰ مُنَابَذَتي وخِلاَفي فَها أناذَا قدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي وَرَحَلْتُ رَكابِي...**

أي فأن تَجاوزت بِكُمْ الأُمُورُ المُرديةُ المُهلكة وضعف الآرَاءِ الجَائِرَةِ المائلة عن الحقّ الىٰ مُنَابَذَتي وخِلاَفي ثانياً كما فعلتم أوّلاً باتّباعكم المُعاندين المُنافقين والسّفهاء المُخالفين فها أنا ذا أي أنا الّذي عرفتموني يوم الجَمَل وذلك السّيف بيدي قد قرّبت جِيَادِي أي أمرتُ بتقريب خيلي لأركب وأسير اليكم ورَحَلْتُ رَكابِي أي شددتُ علىٰ ظهورها الرّحل وهو كناية عن التّهيوء للمسير اليهم.

▫ قوله ﷺ: **وِلَئِن أَلْجَأْتُمُونِي إلىٰ المَسيرِ إليْكُمْ لأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لا يَكُونَ يَوْمَ الجَمَلِ إليْها إلَّا كلُعْقَةِ لاعِقٍ...**

الإلجاء الإضطرار أي أن اضطرني عملكم الىٰ المَسير اليكم لأوقَعنّ بكم وقعةً لا يكون يوم الجَمَل بالنّسبة اليها إلّا كلَعقة لا عقٍ وهي كناية عن حقارتها أي لا يكون يوم الجَمل بالقياس اليها إلّا حقيراً واللّعقة ما تأخذه المَلعَقة من القدر.

▫ قوله ﷺ: **مَعَ أنِّي عارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مَنْكُمْ فَضْلَهُ وَلَذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ...**

أي أنّي لست أن آخذ المطيع بالعاصي كما هو دأب الظّالمين بل أعرف فضل المُطيع وحقّ النّاصح قال الشّارح المُعتزلي خطب زياد بن أبيه بالبَصرة وقال واللّه لآخذنّ البريّ بالسّقيم والوالد بالوَلد والجار بالجار أو تستقيم الىٰ قناتكم فقام أبو بلال بن مرداس وهو شيخ كبير فقال أيّها الأمير أنبأنا اللّه بخلاف ما قُلت وحَكَم بغير ما حَكَمت قال سبحانه: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخرىٰ﴾ فقال زياد يا أبا بلال أنّي لم أجهل ما علمت ولكنّا لا نخلص الىٰ الحقّ منكم حتّىٰ نخوض اليه الباطل خوضاً انتهىٰ.

أقول: وأمّا أمير المؤمنين حيث أنّ حكُومته كانت حقّة إلٰهيّة فقال عليه السلام بخلاف مقالة زياد وأمثاله وما ذكره زياد ليس من مُختّصاته بل هو من رسوم الحكُومات الباطلة في كلّ عَصرٍ وزمانٍ.

▫ قوله عليه السلام: **غَيرُ مُتَجاوِزٍ مُتَّهَماً إلىٰ بَرِيٍّ وَلا ناكِثاً إلىٰ وَفِيٍّ...**

وهذا الكلام توضيح لما سبق أي نحن غير مُتَجاوِزين مِمّن يتّهم بالخلاف الىٰ من هو بريٌّ منه ولا ممّن ينكث عَهده الى من وفىٰ به أي نأخذ المتّهم والنّاكث لا غيرهما كما هو مقتضىٰ العدالة وهذا أحَد الفرُوق بين حكومة الحقّ وحكومة الباطل وأمّا قصّة الجَمَل فقد مرّ ذكرها سابقاً وتفصيلها في التّواريخ موجود:

ومن كتاب له عليه السلام (٢٨)

الىٰ معاوية

□ قوله عليه السلام: فاتّقِ اللهِ فِيمَا لَدَيْكَ . وانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ وارْجِعْ إلىٰ مَعْرِفَةِ مَا لا تُعْذَرُ بَجهَالَتِهِ فَإنَّ لِلطَّاعةِ أعْلاَماً واضِحَةً وسُبُلاً نَيِّرَةً وَمَحَجَّةً نَهْجَةً وَغَايَةً مَطْلُوبَةً يَرِدَهَا الأَكْياسُ ويُخالِفُها الأَنْكاسُ .مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جارَ عَنْ الْحَقِّ وَخَبَطَ فِي التِّيهِ وغَيَّر اللَّهُ نِعْمَتَهُ وأحَلَّ بِهِ نَقْمتَهُ فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَك سَبِيلَكَ .وَحَيْثُ تَناهَتْ بِكَ أُمورُكَ فَقَدْ أجْرَيْتَ إلىٰ غَايَةِ خُسْرٍ وَمَحلَّةِ كُفْر وإنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلجَتْكَ شَرّاً وأَقْحَمَتْكَ غَيّاً وأوْرَدتْكِ المَهالِكَ وأوْعَرَتْ عَلَيْكَ المَسالِكَ.

◁ اللّغة

(المَحَجَّةُ) بفتح الميم والحاء والجيم المشـدّدة الطّريق الواضـح (نَهْجَةٌ) محركّة الواضحة كذلك (الأَكْيَاسُ) جمع كيّس العقلاء (الأَنْكاسُ) جمع نِكِس بكسر النّون الخسيس الدّنِئ (نَكَبَ) أي عَدَل وجار (خَبَطَ) أي مشىٰ علىٰ غير هداية (التِّيهِ) الضّلال (أوْلَجَتْكَ) الإيلاج الإدخال أي أدخلتك (أَقْحَمَتْكَ) أي رمت بك في الغّي (أَوْعَرَتْ) أي صَعُبَتْ:

◁ **المعنىٰ**

(**فاتّقِ اللَّهَ**) يا معاوية (**فِيما لَدَيْكَ**) أي فيما عندك من نعم اللّهِ (**وأَنْظُرْ فِي حَقِّهِ**) أي حقّ اللّه (**عَلَيْكَ**) من الشّكر علىٰ نعمه والعَمَل بمقتضاه (**وأرْجِعْ**) عن غيّك وضلالتك (**إلىٰ مَعْرِفَةِ مَا لا تُعْذَرُ**) عند اللّه (**بِجَهالَتِهِ**) وَهُوَ معرفة الإمام (**فإنَّ لِلطَّاعَةِ أعْلاَماً واضِحَةً**) وطرقاً جليّة في الكتاب والسُنّة (**وسُبُلاً نَيِّرَةً**) لمن إستنار بها (**ومَحَجَّةً نَهْجَةً**) وطريقاً واضحاً (**وَغَايَةً مَطْلُوبَةً يَرِدُها الأَكْيَاسُ**)والعقلاء (**ويُخالِفُها الأَنْكاسُ**) والسُفهاء (**مَنْ نَكَبَ**) وعَدَل (**عَنْها جارَ عَنِ الْحَقِّ**) وأعرض عنه (**وخَبَطَ**) ومشىٰ (**فِي التِّيهِ**) والضلالة (**وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ**) عليه (**وأحَلَّ بِهِ نَقْمَتَهُ**) وَعذابه:

(**فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ**) أي إتّق نفسك الأمّارة بالسّوء (**فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ**) فِي كتابه وسُنّة رسُوله (**وحَيْثُ تَناهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيتَ إلىٰ غايَةِ خُسْرٍ وَمَحلَّةِ كُفْرٍ**) وذلك لأنّ مسيرك الىٰ الضّلالة والغواية (**وإنَّ نَفْسَكَ قَدْ أوْلَجَتْكَ**) وأدخلتك (**شَرّاً**) لا خيراً (**وأَقْحَمَتْكَ**) أي رَمَت بك (**غَيّاً**) وضلالة (**وأَوْرَدَتْكَ المَهالِكَ**) الّتي لا نجاة لك منها (**وأَوْعَرَتْ**) أي جعلت وَعرة وصَعبة (**عَلَيْكَ المَسَالِكَ**) فلا تقدر علىٰ الخروج منها.

◁ **الشَرح**

▫ **قوله** ﷺ **فاتّقِ اللَّهَ فِيما لَدَيْكَ وَأَنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ...**

الظّاهر أنّ المراد بقوله ﷺ: **فيما لَدَيْكَ** النّعم الإلٰهية المادّية والمعنّوية ويمكن علىٰ بُعدٍ أن يكون المراد به هو النّفس الأمّارة بالسُّوء الّتي لا يمكن التّخلص عن شرورها وآفاتها إلّا بالتّقوىٰ ولأجل ذلك قال ﷺ اتّق اللّهَ فِيه ويمكن أن يكون المراد بما لَديه غيّه وضلالته كيف كان فالمعنىٰ إتّق اللّه فيما عندك ولا تُغرر به وأنظر في حقّه أي حقّ اللّه عليك وهو الطّاعة والعبّودية له تعالىٰ فلا تُضّيع حقّه بالعصيان والمُخالفة لأوامره ونواهيه:

□ **قوله ﷺ: وارْجِعْ إِلىٰ مَعْرِفَةِ مَا لا تُعْذَرُ بِجَهالَتِه...**

أي وارجع عن غيّك وضلالتك الىٰ معرفة ما لستَ معذوراً بِجَهالَتِهِ وَهُوَ مَعْرفة الإمام الّذي من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة وأنّما قال ﷺ ما لا تعذر بجهالته لأنّ معرفة الإمام كذلك أي أنّها من الواحبات الّتي لابدّ لكلّ أحدٍ من معرفتها لأنّ الإمامة والولاية أصل الدّين وما نودي بشيءٍ في الدّين كما نودي بها.

أن قُلت ـ يظهر من كلامه ﷺ أنّ معرفة بعض الأُمور يمكن أن يكون الإنسان معذوراً بجهالته قلت نعم بل أكثر الأحكام كذلك والّذي لا معذورته فيه هو التّوحيد والنّبوة والمعاد والعدل والإمامة المُعبّر عنها بالأصُول الإعتقادية وأمّا غيرها من الفروع فليس كذلك وفي قوله ﷺ: **إرجع**، إشارةٍ بل دلالة علىٰ أنّه كان في طريق الباطل وهو واضح.

□ **قوله ﷺ: فإِنَّ لِلطَّاعةِ أَعْلاَماً واضِحَةً وسُبُلاً نَيِّرَةً وَمَحَجَّةً نَهْجَةً وَغايَةً مَطْلُوبَةً...**

أي أنّ الطّاعةِ لِللّه ررسوله ليست بمجّرد الدعوىٰ بل لها أعلام واضحة لا خفاء فيها وسُبلاً وطُرقاً نيّرة لا ظلمة لها ومَحَجّة نَهجَة لا إبهام فيها وغاية مطلوبه لكلّ أحدٍ من المُسلمين تَجمعها معرفة الإمام في كلّ عصر وزمان فمن لا يعرف إمام زمانه ليست له طاعة أصلاً.

□ **قوله ﷺ: يَرِدها الأَكْياسُ ويُخالِفُها الأَنْكاسُ مَنْ نَكَبَ عَنْها جار عَنِ الْحَقِّ وَخَبَطَ فِي التِّيهِ وَغَيَّر اللَّهُ نِعْمَتُهُ وأحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ قدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ سبِيلَكَ...**

الضّمير في قوله ﷺ: **يردها** ويُخالفها الىٰ الطّاعة أو الىٰ قوله غاية مطلوبة والمآل واحد فأنّ الغاية المطلوبة لا تحصل إلّا بالطّاعة والمعنىٰ أنّ طاعة اللّه وطاعة رسوله يَردها الأكياس أي العُقلاء ذوي الفطانة ويُخالفها الأنكاس ومَنْ له سُوء السّريرة فأُنظر في نفسك لتعلم منْ أيهما أنتَ فأنْ من نَكب وعَدَل عنْ

الطّاعة فقد جار عن الحقّ وخبط ومشىٰ في التّيه والضّلالة وغيّر اللّه نعمته في حقّه وأحلّ به نقمته وعذابه إذ شُكر النّعمة واجب عقلاً وشرعاً وليس الشّكر إلّا الطّاعة والإنقياد كما أنّ كُفرها المُخالفة والعصيان، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(1) فَنفسك نفسك، أي إحذر نفسك الأمّارة بالسّوء والتّأكيد اللّفظي مُشعراً بأنّ النّفس الأمّارة لا ينبغي الغفلة عنها فقد قال رسولُ اللّه أعدىٰ عدّوك نفسك الّتي بين جَنبَيك، وقال تعالىٰ حكاية عن يوسف النّبي: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(2)

قال الصّادق عليه السلام من مَلك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا إشتهر وإذا غضب وإذا رضىٰ وإذا سخط حرّم اللّه جسده علىٰ النّار انتهىٰ« مشكاة النوار ص ٢٤٧»...

وقال الرّضا عليه السلام ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كل يوم فأن عَمل حَسَناً إستزاد اللّه منه وأن عَمل سيّئاً إستغفر اللّه منه وتاب اليه انتهىٰ« ص ٢٤٧»...

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال النّفس مجبولة علىٰ سُوء الأدب والعبد مأمور بملازمة حُسن الأدب والنّفس تجري في ميدان المُخالفة والعبد يجهد بردّها عن سُوء المُطالبة فمتىٰ أطلق عنانها فهو شريك في فسادها ومن أعان نفسه في هوىٰ نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه انتهىٰ « ص ٢٤٧»...

وقال علّي بن الحسين عليه السلام حقّ نفسك عليك أن تستعملها بطاعة اللّه انتهىٰ « ص ٢٤٦»...

وقال الصّادق عليه السلام أحمل نفسك لنفسك فأن لم تفعل لم يحملك غيرك انتهىٰ« ص ٢٤٤»...

وقال عليه السلام أقصر نفسك عمّا يضّرها من قبل أن تُفارقك وأسع في فكاكها كما تسعي في طلب مَعَيشتك فأنّ نفسك رهينة بَعَملك انتهىٰ« ص ٢٤٤»

والأحاديث كثيرة.

١- النّمل ـ ٤٠   ٢- يوسف ـ ٥٣

وقوله ﷺ فقد بيّن اللّه لك سبيلك، معناه أنّ اللّه بيّن في الكتاب والسُنّة دَواء مرضها وبذلك قد تمّت الحجّة علىٰ كلّ إنسانٍ...

قوله ﷺ - وحيث تناهت بك أُمورك فقد أجريت الىٰ غاية خُسرٍ ومحلّة كُفرٍ...

المراد بتناهي الأُمور أمّا الموت إذ به تتناهىٰ الأُمور في الدّنيا وأمّا الآمال والمقاصد المادّية والوصول الىٰ المقامات الدّنيوية من المال والمقام والحكومة وغيرها وكيف كان فالمقصود من هذا الكلام أنّك إذا وصَلت الىٰ مقام المَوت أو الحكومة فقد أجريت الىٰ غاية خُسر ومحلّة كُفر لأنّ تحصيل المَقصد بهذا الطّريق المَطرُود هو عين الخسران والكُفر ضرورة أنّه طريق جهنّم ومن سَلك مَسلَكاً حقّاً كان أو باطلاً يقع فيه لا محالة فأن كان حقّاً فهو غاية السّعادة وأن كان باطلاً فهو غاية الضّلالة.

□ **قوله ﷺ: وَإِنَّ نَفسَكَ قَدْ أَوْلجَتْكَ شَرّاً وأَقْحَمَتْكَ غَيّاً وأَوْرَدتْكَ المَهالِكَ وأَوْعَرَتْ عَليْكَ المَسَالِكَ...**

أي أنت أسير نفسك الأمّارة وأنّها **قد أَولجَتْكَ** وأَدخلتك **شَرّاً وأَقحَمَتْكَ** أي رَمَت بك في الغّي والضّلالة وأَورَدتك المَهالك المُوحشة وأَوعَرت عليك المَسَالِكَ أي جعلتها النّفس وَعَرة صَعبة لا يمكن لك الخروج عنها.

ومن وصيّة له ﷺ (٢٩)

للحسن إبن على ﷺ،كتبها «اليه بخاصرين» منصرفاً عن صفين

وشرحها في ضمن فصولٍ، الفصل الأوّل:

□ قوله ﷺ: مِنَ الْوَالِدِ الفَانِ المُقِرِّلِلزَّمانِ الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ .المُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ الذَّامِ لِلدُّنْيا السَّاكِنِ مَسَاكِنِ المَوْتىٰ الظَّاعِنِ عَنْها غَداً إِلىٰ الْمَوْلُودِ المُؤَمِّلِ مَا لا يَدْرَكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَد هَلَكَ. غَرَضَ الأَسْقامِ وَرَهِينَةِ الأَيَام. ورَمِيَّةِ المَصَائِبِ وَعَبْدِ الدُّنْيَا. وتَاجِرِ الْغُرُورِ وَغَرِيمِ المَنَايا .وأَسِيرِ الْمَوْتِ .وَحَلِيفِ الهُمُومِ .وَقَرِينِ الأَحْزَانِ .وَنُصْبِ الآفاتِ وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ. وَخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.

أَمَّا بِعْدُ فإِنِّي فِيما تَبَيَّنْتُ منْ إِدْبارِ الدُّنْيا عَنِّي وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عليَّ وإِقْبَالَ الآخِرَةِ إِلَيَّ. مَا يُرَغبُنِّي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ والاِهْتِمَامِ بمَا وَرَائِي غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي فَصَدَفَني رَائي وَصَرَفَني عَنْ هَوَائِي وَصرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَىٰ بي إلىٰ جَدٍّ لا يَكُونَ فيهِ لَعْبٌ وَصِدْقٌ لا يَشُوبَهُ كَذِبٌ وَوَجَدْتُكَ بَعْضِىٰ بَلْ وَجَدْتُكَ كلِّي حَتّىٰ كانَ شَيئاً لُو أَصَابَكَ أَصَابَني وكأَنَّ المَوْتَ لَوُ أَتَاكَ أَتَانِي فَعُنانِي منْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِيني منْ أَمْر نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أنا بَقِيتُ لَكَ أَوْفَنِيتُ .

فإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ ولُزُومِ أَمْرِهِ وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَالاِعْتِصَامِ بحَبْلِهِ وأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ منْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنِ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ!

إِحيِ قَلْبِكَ بالمَوْعِظَةِ وأَمِنْهُ بالزَّهَادَةِ وَقَوِّةِ بالْيَقِينِ. ونَوِّرهِ بالحِكْمَةِ وذَلِّلْهُ

بِذِكْرِ المَوْتِ وَقَرِّرْهُ بالْفَناءِ وَبَصِّرْهُ فَجائِعَ الدُّنْيا وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ و فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيالِي وَالأَيَّامِ وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أخْبارَ المَاضِينَ وذَكِّرْهُ بِمَا أصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مَنْ الأَوَّلِينَ وسِرْ في دِيارِهِمْ وَآثارِهِمْ فانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا وأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنْ الأَحِبَّةِ وحلُّوا دِيَارَ الغُرْبَةِ .وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ولا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْياكَ .ودَعِ الْقَوْلَ فِيما لا تَعْرِفُ والخِطابَ فِيما لمْ تُكلَّفْ .وَأمْسِكَ عَنْ طَرِيقٍ إذا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ منْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ منْ أهْلِه وأنْكِرِ المُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنَ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ وَجَاهِدِ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمةُ لائِمٍ وَخُضِ الغَمَرَاتِ لِلْحَقَّ حَيْثُ كانَ وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ علىٰ المَكْرُوهِ وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ .وألْجِئْ نَفْسَكَ في الأُمورِ كُلِّها إلىٰ إلَهِكَ فَإنَّكَ تُلْجِؤُها إلىٰ كَهْفٍ حَرِيزٍ وَمَانِعٍ عَزِيزٍ وَأَخْلِصْ فِي الْمَسألةِ لِرَبِّكَ فإنَّ بِيَدِهِ العَطاءَ والحِرْمَانَ وأكْثِرِ الإسْتِخارَةَ وتَفَهَّمْ وَصِيَّتي وَلا تَذْهِبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً فَإِنَّ خَيرَ القَوْلِ مَا نَفَعَ وأعْلَمْ أنَّهُ لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَلا يَنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

◁ اللغة

(بخاصرين) خاصرين إسم بلدةٍ في نواحي صفّين (الظّاعن) المُرتحل (غرض الأسقام) هَدفها ترمي اليه سهامها (رَهِينَةِ) المرهُونة (رَمِيَّةِ) علىٰ وَزن عَطِيّة ما أصابه السّهم (نُصْبِ الآفاتِ) من قولهم فلان نُصْبِ عيني بضم النّون وقيل بفتحها أي لا يُفارقني (صريع الشّهوات) الصّريع الطّريح (جُمُوحُ الدّهْرِ) إستقصاؤه وتغلّبه (صَرَفَني) مَنَعني (مَحْضُ أمْرِي) مَحْضُ الأمْر خالصه (مَثْوَاكَ) أي مَكانك (بَايِنْ) أي باعد (خُضِ الغَمَرَاتِ) أمرٌ من خاض يخوض (كَهْفٍ حَرِيزٍ) الكَهف المَلجأ والحريز الحافظ.

◁ **المعنىٰ**

(مِنَ الوَالِدِ) أي هذه الوصّية منه (**الفَانِ المُقِرِّ لِلزَّمانِ المُدْبِرِ الْعُمُرِ المُسْتَسْلِمِ**) المُنقاد (**لِلدَّهْرِ الذَّامِّ لِلدُّنْيَا**) لأنها رأس كلّ خطيئة (**السَّاكِنِ مَسَاكِنَ المَوْتىٰ**) فِي المُستقبل (**الظَّاعِنِ**) المُرتحل (**عَنْها**) عَنْ الدُّنيا (**غداً إلىٰ المَوْلُودِ المُؤمِّلِ**) أي يُؤمل البقاء (**مَا لاَ يُدْرَكَ**) وهُوَ ممّا لا يُدْرَكه أحَد (**السَّالِكِ**) أي الّذي يسلك (**سَبِيلَ مَنْ قدْ هَلَكَ**) بِالْمَوْت (**غَرَضِ الأسْقامِ**) ترمي اليه سهامها (**ورَهِينَةِ الأَيَّام**) أي مرهُونة بحكمها وقبضها (**وَرَمِيَّةِ المَصَائِبِ**) أي أصابه سهم المُصيبة (**وَعَبْدِ الدُّنْيا وتَاجِر الْغُرُورِ**) فأنّ الدّنيا دار الغرور والنّاس عبيده (**وغَرِيمِ المَنايا**) والأمال (**وأسِيرِ المَوْتِ**) والفناء (**وَحَلِيفِ الهُمُومِ**) وقرين البَليات (**وَقَرِينَ الأَحْزَانِ**) والمكاره (**ونُصْبِ الآفاتِ**) فلا يُفارق عنها (**وصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ**) وطريحها (**وخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ**) السّابقين (**أمَّا بَعْدُ فإنِّي فِيما تَبَيَّنْتُ**)وَتحقّقتُ (**منْ إدْبارِ الدُّنْيا عنِّي وجُمُوحِ الدَّهْرِ**) وتغّلبه وإستقصاؤه (**عَلَيَّ وإقْبالِ الآخِرَةِ إلَيَّ مَا يُرَغِّبُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ**) أي ما يُعرضني عنه (**والإهْتِمَامِ بما وَرَائِي**) وهو الآخرة (**غَيْرَ أنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي فَصَدَقَنِي رَائي وَصَرَفَنِي**) ومَنعني (**عَنْ هَوَائِي وَصرَّحَ لِي مَحْضُ أمْرِي**) وخالصه (**فأفْضَىٰ بي إلىٰ جَدٍّ لا يكُونُ فِيه لَعِبٌ وصِدْقٌ لا يَشُوبُهُ**) ولا يخلطه (**كَذِبٌ وَوَجَدْتُكَ**) يابنّي (**بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كلِّي**) لا فرق بيني وبينك (**حَتّىٰ كأَنَّ شَيئاً لوْ أَصَابَكَ أصَابَنِي وكأَنَّ المَوْتَ لوْ أَتَاكَ أَتَانِي**) قضاءً لحقّ المثلية (**فَعَنانِي منْ أمْرِكَ مَا يَعْنِينِي منْ أَمْرِ نَفْسِي**) لجئ أيّاكَ (**فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ مُسْتظْهِراً بِهِ**) أي مُستعيناً بما أكتب اليك (**إنْ أنا بَقِيتُ لَكَ أوْفَنِيتُ**) أوْ مِتُّ.

(**فإنِّي أُوْصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ**) في جميع الأُمور (**ولُزُومِ أَمْرِهِ**) بعدم المُخالفة له (**وعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ**) تعالىٰ لأنّ الذّكر يحييٰ القلب (**والإعْتِصَامِ بحَبْلِهِ**) الّتي لا إنفصام لها (**وأيُّ سَبَبٍ**) وَوسيلةٍ (**أَوْثَقُ**) وأحكم (**منْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وبينَ اللَّهِ إنْ أنْتَ أَخَذْتَ بِهِ**) أي بالسّبب في الأُمور (**أَحيِ قِلْبَكَ بالمَوْعِظَةِ**) فأنّ الوعظ

يُوجب حياة القلب (وأَمِنْهُ بالزَّهَادَةِ) وترك الشـهوات (وَقَوِّهِ باليَقِينِ) وَعـدم الإضطراب (ونَوِّرهِ بالحِكْمَةِ) فأنّها تُوجب نورانيّة القلب (وَذَلِّلْهُ) وحقّره (بِذِكْرِ المَوْتِ) فأنّ المَوت ناقض اللّذة (وَقَرِّرْهُ) وبَصّره (بِالْفَناءِ) الّذي لا مَحيص له عنه (وبَصِّرْهُ فَجائِعَ الدُّنْيا) وآفاتها (وحَذِّرْهُ) وخَوِّفه (صَوْلَةَ الدَّهْرِ) وحوادثـه (وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيالِي والأَيّامِ) وعدم بقائها علىٰ حالةٍ واحدةٍ (وأعْرِضْ عليْهِ أخْبارَ المَاضِينَ) من الأموات (وَذكِّرْهُ بِما أصَابَ مَنْ كانَ قَبْلِكَ منَ الأَوَّلِينَ) من عروض الحوادث عليهم (وسِرْ في دِيارِهِمْ) الخالية (وآثارِهِمْ) الباقية (فانْظُرْ فِيما فَعَلُوا) من الأفعال والأعمال (وعمَّا انْتَقلُوا) عَنْ الدُّنـيا (وأيْنَ حَلُّوا) فـي القبور (ونَزَلُوا) فيها (فإنَّكَ تَجِدُهُمْ قدِ انْتَقلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ) بالموت (وَحلُّوا دِيارَ الْغُربَةِ) أي دِيارَ الأموات.

(وَكأَنَّكَ عَنْ قلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كأَحَدِهِمْ) فأنّ المَوت حقّ (فأصْلحْ مَثْوَاكَ) و مكانك في القَبر (ولا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْياكَ ودَعِ القوْلَ) وأتـركه (فِيما لا تَعْرِفُ والْخِطابَ فِيما لمْ تُكَلَّفْ).

من عند اللّه به (وأمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذا خِفْتَ ضَلالَتَهُ) فلا تدخل فيه، (فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حيرَةِ الضَّلاَلِ خَيرٌ منْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ وأمُرْ بالمَعْرُوفِ تكُنْ منْ أهْلِه وأنْكِرِ المُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ) لوجوب الأمْر بالمَعْرُوف والنـهي عـن المـنكر (وبَايِنْ) أي باعِد وجانب (مَنْ فَعَلَهُ) أي من فَعَل المُنكر (بُجُهْدِكَ) مهما أمكن لك (وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلا تأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ وخُضِ الغَمَرَاتِ) والشّدائد (لِلْحَقِّ حَيْثُ كانَ) فأنّ أفضل الأعمال أحزمها (وتَفَقَّه فِي الدِّينِ وعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلىٰ المَكْرُوهِ) لأنّ الجـنّة قـد حـفّت بـالمكاره (وَنِعْمَ الْخُلُقُ) والسّجية (التَّصَبُّرُ) علىٰ المكروه (وألْجِئْ نَفْسَكَ فِي الأُمورِ كُلِّها إلىٰ إلٰهِكَ) إذ لا ملجأ أحسَن منه تعالىٰ (فَإنَّكَ تُلْجِئُها إلىٰ كَهْفٍ حَرِيزٍ) الّـذي يـحفظك عـن الآفات، (ومَانِعٍ عَزِيزٍ) عن وصول البَليات اليك (وأخْلِصْ في المَسْألةِ لِرَبِّكَ فَإنَّ بِيَدِهِ العَطاءَ والْحِرمَانَ) لا بيد غيره (وأكْثِرِ الاسْتِخارَةَ) وطلب الخير منه

تعالىٰ (وَتَفَهَّمْ وَصَيَّتِي) فلا يُضيعها (وَلا تَذْهَبَنَّ عَنْها) عن الوصّية (صَفْحاً) أي لا تُعرض عنها (فَإِنَّ خَيْرَ القَوْلِ مَا نَفَعَ) لسامعه (واعْلَمْ أَنَّهُ لا خيرَ فِي عِلْمٍ لا يَنْفَعُ) لصاحبه ولغيره (ولا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ) كالسّحر والشّعوذة:

◁ **الشّرح**

▫ قوله عليه السلام: **مِنَ الوَالِدِ الفَانِ المُقِرِّ لِلزَّمانِ المُدْبِرِ الْعُمُرِ المُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ الذَّامِّ لِلدُّنْيا السَّاكِنِ مَسَاكِنَ المَوْتىٰ والظَّاعِنِ عَنْها غداً إِلىٰ المَوْلُودِ المُؤَمِّلِ مَا لا يُدْرِكَ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قدْ هَلَكَ...**

هذه الوصّية الجامعة النّافِعَة ممّا أوصىٰ بها أمير المؤمنين عليه السلام ظاهراً إبنه الحسن المجتبىٰ وباطناً جميع شيعته ومن يَحذُو حَذوه الىٰ يوم القيٰمة كَتَبها بحاصرين وهو إسم بلدةٍ من نواحي صفّين راجعاً منه ولم يترك عليه السلام في هذه الوصّية شيئاً ممّا فيه خير الدّنيا والآخرة إلّا ذكره فَمن عمل بها يرتقي الىٰ أعلىٰ الكمالات ويصل الىٰ أفضل الخيرات ويبلغ الىٰ غاية الآمال والمقامات فقال عليه السلام: **من الوالد،** والتّعبير به إشارة الىٰ نقطة خفّية وهي أن الوالد بالنّسبة الىٰ ولده شفيق لا يرىٰ لولده إلّا ما يراه لِنَفسه ولا يرضىٰ له إلّا ما يرضىٰ لنفسه وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله **أنا وعلّي أَبوا هذه الأُمّة** ثمّ وَصَفه بأُمور كثيرة لا مرية فيه:

أحدها: أنّه فانٍ وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ والمُستقبل المحقّق الوقوع في حكم الماضي فصّح أن يُعبّر عن الحَيّ بالفان بإعتبار ماسَيؤَول اليه.

وثانيها: المُقِرِّ لِلزَّمانِ أي بالقَهر والغَلبة والمُعترف بالعَجز في يَد تَصريفاته.

وثالثها: المُدبر العُمُر وصَفَ عليه السلام نفسه الشّريفة بأنّ عُمره قد أُدبر وذلك أنّه كان قد ذَرف علىٰ السّتين حين الوصّية ولأجل هذا قال عليه السلام المُدبر العُمُر.

ورابعها: المُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ أي المُنقاد والمُطيع لحوادث الدّهر وتقّلباته فهو إشارة الىٰ مقام التّسليم.

وخامسها: الذَّامِّ لِلدُّنْيا وذلك لأنّها مذمومة عند العُقلاء لأنّ حبّها رأس كلّ خطيئة.

وسادسها: السَّاكِنِ مسَاكِنَ المَوْتىٰ ، وَهُوَ تنفير عن الرّكون الىٰ الدّنيا ومن كان كذلك فكأنّه مات بأرادته قبل موته بطبيعته لقوله ﷺ **موتوا قبل أن تموتوا.**

وسابعها: والظَّاعِنِ عَنْها غداً ، أي المُرتحل عن الدّنيا غداً وذلك لأنّ الدّنيا ليست بدار بقاءٍ فكلّ من فيها لابدّ من أن يرتحل عنها والغَد كناية عن المستقبل فهذه الأُمور السّبعة كلّها أوصاف الوالِد المُوصي بهذه الوصية وأمّا أوصاف المولود وهو إبنه الحَسَن ؛ فهي أيضاً أُمور:

أحدها: المُؤَمِّلِ مَا لا يُدْرِكَ وذلك لأنّ الإنسان لا يدرك في الدّنيا كلّ ما يُؤمّله فأنّ الآمال كثيرة والعُمر بالنّسبة اليها قليلة مضافاً الىٰ أنّ الدّنيا مُتغيّرة وبأهلها خادعة:

وثانيها: السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قدْ هَلَكَ، لقوله تعالىٰ:﴿ **إنَّكَ مَيِّتٌ وَإنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾(١) فكلّ إنسانٍ يسلك سبيل من قبله في الإرتحال عنها وهو ممّا لا محيص عنه:

وثالثها: غَرَضَ الأَسْقامِ أي هَدَفها ترمي اليه بسهامها والمراد بالأسقام الحوادث والآفات ويمكن أن يكون المراد بها الأمراض فيكون الكلام علىٰ سبيل الحقيقة دون المجاز:

ورابعها: و**رَهِينَّةِ الأَيَّامِ**، أي المرهونّة بها بمعنىٰ أنّه في قَبْضِتها وحكمها:

وخامسها: وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، والرَّمِية بفتح الرّاء وكسر الميم كالعَطيّة وزناً ما أصابه السّهم والمعنىٰ أنّه مَرمىٰ لِسهام المَصائب:

وسادسها: وَعَبْدِ الدُّنْيا، وذلك لأنّ النّاس عبيد الدّنيا فإذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الدّيانون.

وسابعها: وَتَاجِرِ الغُرُورِ، لقوله تعالىٰ:﴿**وَمَا الحَيٰوةُ الدُّنيَا إلاّ مَتَاعُ الغُرُورِ**﴾(٢)

١-زمر ٣٠

٢-آل عمران-١٨٥

وثامنها: وغَرِيمِ الْمَنَايا، الغَريم بفتح الغِين الدّائن، المديُون جَمعه غرماء وغُرّام، والمنايا جمع منيّة وهي المَوت والمعنىٰ أنه مديونٌ بالمَوت أو الأموات فيجب عليه أداء دَينه بـه وهـو لا يـحصل إلّا بـالإستعداد والتّـهيوء للـمَوت بالأعمال الصّالحة:

وتاسعها: وأَسِيرِ الْمَوْتِ بحيث لا يمكن له الفرار منه قال اللّه تعالىٰ: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُو يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ**﴾(١)

و: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**﴾(٢)

و: ﴿**قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ**﴾(٣)

ولا نعني بالأسير إلّا هذا:

وعاشرها: وَحَلِيفِ الْهُمومِ، وهذا أيضاً ظاهر فأنّ الدّنيا دار بالبلاء مَحفُوفة والتّعبير بالحَليف إشارة الىٰ أنّه لا يُفارق الهموم في الدّنيا ما دام كونه فيها يُقال فلان حليف فلان إذا لم يُفارقه ومن المعلوم أنّ الإنسان ولا سيّما المؤمن حليف الهُموم فأنّ الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر:

وحادي عشرها: وَقَرِينِ الأَحْزَانِ وهو قريب ممّا ذكرناه في معنىٰ الحليف فكأنّه توضيح له.

وثاني عشرها: ونُصْبِ الآفاتِ من قولهم فلان نُصْبِ عيني بـالضّم أي لا يُفارقني والمعنىٰ أنّ الإنسان لا يُفارق الآفات في الدّنيا أبداً:

وثالث عشرها: وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ أي قتيلها يقال صَرَعه صرعاً، طَرَحه علىٰ الأرض وفيه إشارة الىٰ أنّ الشّهوات غالبة علىٰ الإنسان إلّا مَن عَصَمه اللّه تعالىٰ:

ورابع عشرها: وَخَلِيفَةِ الاَمْوَاتِ وَهُوَ أيضاً ظاهر فأنّ كلّ إنسانٍ حّيٍ فهو في الحقيقة خَليفَةِ الأَمْوَاتِ أي أنّه سدّ مسدّهم وأقّر في مكانهم ومقامهم:

١- النّساء ـ٧٨

٢- الجمعة ٨

٣- الاحزاب ـ١٦

▫ قوله ﷺ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي فِيما تَبَيَّنْتُ منْ إِدْبارِ الدُّنْيَا عَنِّي وجُمُوحِ الدَّهْرِ عليَّ وإِقْبالِ الآخِرَةِ إِليَّ مَا يُرَغِّبُنِي عَنْ ذَكْرِ مِنْ سِوَايَ والإهْتَمَامِ بِمَا وَرَائِي...

المراد بإِدْبارِ الدُّنْيَا إمّا إعراضها عنه ﷺ من جهة أنّه صار مظلوماً مقهوراً فيها وأمّا مضّي عُمره وأنّه بلغ من العُمر فوق السّتين حين الوصّية والثّاني أولىٰ بقرينة قوله وإقبال الآخرة وأمّا جموح الدّهر فالمراد به إستعصاء الدّهر وتَغَلّبه يُقال جَمح جموحاً، الفَرس تَغَلّب علىٰ راكبه وإستعصىٰ ولا شّك أنّ الدّهر غالب علىٰ ما فيه كائناً من كان، والمعنىٰ أنّه قد تبّين وإنكشف لي من إدبار الدّنيا وتغّلب الدّهر علّي وإقبال الآخرة إلّي ما يرغبّني ويُعرضني عن ذكر من سُواي والإهتمام بما ورائي وهو الآخرة أي قد حَصَل لي في عُمري أنّه ينبغي الإنسان الإشتغال بعيوب نفسه وإصلاحها والإهتمام بأمر آخرته ومن المعلوم أنّ من كان كذلك لا يشتغل بأمر غيره قال اللّه تعالىٰ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (١)

و: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ (٢)

و: ﴿قُوَا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (٣)

وقال رسول اللّه ﷺ – من مقَت نفسه دون مقت النّاس آمنه اللّه مَن فزع يوم القيٰمة انتهىٰ« مشكاة الانوار »...

وقال ﷺ – ثلاث من كُنّ فيه أو واحدة منها كان في ظِلّ عرش اللّه يوم لا ظِلّ به إلّا ظِلّه رجل أعطىٰ النّاس من نفسه بما هو سائلهم لها، ورَجل لم يقدم رِجلاً ولم يؤخّر أُخرىٰ حتّىٰ يعلم أنّ ذلك لِلّه فيه رضىٰ أو سخط ورَجُل لم يَعب أخاه المُسلم بعَيبٍ حتّىٰ ينفي ذلك من نفسه فأنّه لا ينفي منها عَيباً إلّا بدا له عيب وكفىٰ بالمرء شغلاً بنفسه عن النّاس انتهىٰ « ص ٢٣٦» ...

وعن أبي عبد اللّه ﷺ أنفع الأشياء لِلمَرء سبقه النّاس الىٰ عيب نفسه

١– المائدة ـ١٠٥

٢– النجم ـ٣٢

٣– التّحريم ـ٦

انتهىٰ« ص ٢٤٢»...

وأمّا الإهتمام بأمر الآخرة فلأنّ الإنسان خلق لها لا للدّنيا فالدّنيا له دار مجاز والآخرة دار قرارٍ فينبغي أن يأخذ من مَمَره لِمَقّره ومن المعلوم أنّ من كان هَمّه الآخرة لا يلتفت الىٰ الدّنيا وما فيها إلّا بعين الإعتبار:

قال رسول اللّه ﷺ - ما الدّنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليّم فلينظر بَم يرجع انتهىٰ« ص ٢٦٨ »...

وقال المسيح عليه السلام - مَثَل الدّنيا والآخرة كَمَثل رَجلٍ له ضَرتان أن أرضىٰ أحداهما أسخطت الأخرىٰ انتهىٰ« ص ٢٦٨ »...

وقال رسول اللّه ﷺ - الدّنيا دار من لا دار له ومالٍ من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وشهواتها يطلب من لا فهم له وعليها يُعادي من لا علم له وعليها يحسد مَن لا فقه له ولها يسعىٰ مَن لا يقين له انتهىٰ« ص ٢٤٨»...

▫ قوله عليه السلام: **غَيرَ أنّي حَيْثِ تَفَرَّدَ بي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي فَصَدَفَني رَأيي وصَرَفَني عَنْ هَوَائِي وَصرَّحَ لِي مَحْضَ أمْرِي فَأفْضَىٰ بِي إلىٰ جَدٍّ لا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ وَصِدْقٌ لا يَشُوبُهُ كَذِبٌ...**

كلمة غير لِلإستثناءِ والمعنىٰ إلّا أنّي حَيْثِ تَفَرّدَ بي هَمُّ نَفْسِي دون هموم النّاس فلم أشتغل بها لاِستشغالي بنفسي فَصَدَفني أي صَرَفَني رأيي وصَرَفَني ومَنَعني عن هوائي وصّرح لي محض أمري وخالصه فأفضىٰ ذلك الصَرَف والمَنَع أو أفضىٰ ذلك الرّأي الىٰ جَدٍّ لا يَكُونَ فِيهِ لَعِبٌ وَصِدْقٌ لا يَشُوبُهُ ولا يخلطه كِذِبٌ:

▫ قوله عليه السلام: **وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كلِّي حَتّىٰ كأنَّ شَيْئاً لوْ أصَابَكَ أصَابَني وكأَنَّ المَوْتَ لوْ أَتَاكَ أَتانِي فَعَنانِي منْ أمْرِكَ مَا يَعْنِينِي منْ أمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ مُسْتظْهِراً بِهِ إنَ أنَا بَقِيتُ لَكَ أوْ فَنِيتُ...**

أي وَوَجدْتُك يا بُنّي بعضي بل وَجدْتُك كلّي فَأَنَّ الأولاد بمنزلّة الأكباد حتّىٰ كأنّ شيئاً لو أصابك من همٍّ أو سرُورٍ أصابني في الحقيقة وكأنّ الموت لو أتاك

أتاني واقعاً فعناني أي حَدَثني من أمرك ما حَدَثني من أمر نفسي في الإهتمام فلّما كان كذلك كتبتُ اليك هذه الوصّية مستظهراً به أي مُستعيناً بما أكتب اليك إن أنا بقيت لك أو فَنيتُ بالمَوت، وحاصل هذه الكلمات أنّ هَـمّي بـنفسي يقتضي الإهتمام بك أيضاً لأنّك بعضي بل كلّي وعليه فأن كان إهتمامي بنفسي يصرفني عن غيري لم تكن أنت داخلاً في الغير لأنّك لست غيري ولأجـل ذلك كتبتُ اليك ما كتبت من الوصّية النّافعة».

وليعلم أنّ الشّارح المعتزلي فسّر قوله ﷺ: (والإهتمام بما ورائي) بغير ما فسّرناه فهو قال أي مِمّن أخلفه ورائي وهو الحسن ﷺ وقال في قوله فَصَدَفني، فصّدقني بالقاف ولا بأس به .

□ **قوله ﷺ: فإنِّي أُوْصِيكَ بِتَّقْوَىٰ اللَّهِ ولُزُومِ أمْرِهِ وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ والاِعْتِصَامِ بحَبْلِهِ...**

جَعَل ﷺ التّقوىٰ أوّل الوصّية مُشعِراً بأنّ الإنسان إذا لم يتّصِف بالتّقوىٰ لا خير في عَمَله وقوله، فأنّ قيمة العَمَل بالتّقوىٰ وقد مرّ الكلام منّا في ماهّيتها والمراد بها بحسب الإصطلاح شرعاً غير مرّةٍ وقلنا أنّها مَلَكة تحصّل في النّفس تُوجب حفظها عن الوقوع في المَهالك، قال الرّاغب في المفردات التّقوىٰ جعل النّفس في وقاية عمّا يخاف وفي تعارف الشّرع حِفظ النّفس عن المَهالك وكيف كان لا شكّ في كونها أصل الأعمال وأساسها بل لا يقبل العَمَل إلّا بها: قال اللّه تعالىٰ:(**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (١)

و : ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (٢)

و : ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ (٣)

و : ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (٤)

و : ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (٥)

١- البقرة ـ ١٩٤
٢- المائدة ـ ٢
٣- الاعراف ـ ٢٦
٤- الشعراء ـ ٩٠
٥- المائدة ـ ٢٧

فعن كتاب المحاسن سأل أبو بصير أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه تعالى: ﴿إتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (١) قال يُطاع ولا يُعصىٰ ويُذكر ولا يُنسىٰ ويُشكر فلا يُكفر انتهىٰ« مشكاة الانوار ص ٣٤»...

وقال أمير المؤمنين من إتّقىٰ اللّه حقّ تُقاته أعطاه اللّه أنيساً بلا أنيس وغنىً بلا مال وعِزّاً بلا سُلطان انتهىٰ وقال أبو عبد اللّه عليه السلام القيامة عُرس المُتّقين انتهىٰ« ص ٣٤»...

ثمّ قال عليه السلام: ولُزُومِ أَمْرِهِ وفيه إشارة الىٰ إتيان المُكّلف ما أمره اللّه به من الواجبات والمُستّحبات وعدم مُخالفة الأمر بوجهٍ من الوجوه فقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله إعمل بفرائض اللّه تكن أتقىٰ النّاس وقوله عليه السلام (وعمارة قلبك بذكره) فهو إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢) وقوله عليه السلام: (والاعْتِصَامِ بحَبْلِه) إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ (٣) وقد مرّ البحث في كلّ هذه الأمور مفّصلاً فلا نعيد الكلام بذكرِه ثانياً:

▫ قوله عليه السلام: وأيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ منْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبينَ اللَّهِ إنْ أنْتَ أخَذْتَ بِهِ...

الإستفهام في المقام إنكاري أي ليس سَبَبٌ أَوْثَقَ من التّقوىٰ إن أخذت به أو من هذه الأوصاف الأربعة والجّامع هو التّقرب الحاصل بها الىٰ اللّه تعالىٰ والوجه فيه أنّ كلّ سَبَبٍ من الأسباب مُنقطع لا محالة إلّا السّبَب الرّابط بين العبد وخالقه فأنّه العَروة الوثقىٰ الّتي لا إنفصام لها ولا سَبَب أعلىٰ من التّقوىٰ:

▫ قوله عليه السلام: أَحيِ قَلْبَكَ بالمَوْعِظَةِ وأَمِتْهُ بالزَّهَادَةِ وَقَوِّهِ بالْيَقين ونَوِّرهِ بالحِكْمَةِ. وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ وقَرِّرْهُ بالْفَنَاءِ وَبَصِّرْهُ فجائعَ الدُّنْيا وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وفُحْشَ تَقلُّبِ اللّيَالِي وَالأَيَّامِ...

القَلب بفتح القاف مصدر قولك قَلب يقلب بمعنىٰ صَرَف وقلب الشّيَ

١- ال عمران ١٠٢
٢- الرعد ـ ٢٨
٣- آل عمران ـ١٠٣

تصريفه وصرفه عن وجه الى وجهٍ كقلب الثّوب والإنقلاب الإنصراف وقلب الإنسان قيل سُمّي به لِكَثرة تقلّبه وقد يُعبّر به عن المعاني الّتي تختّص به من الرّوح والعلم والشّجاعة والعقل وغير ذلك، ثـمّ أنّ القـلب يـطلق بـحسب الصّناعة علىٰ معنيين:

أحدهما: اللّحم الصّنوبري المُتّشكل المُوّدع في الجانب الأيسر من الصّدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التّجويف دَمٌ أَسوَد وهو مَنبَع الرّوح ومعدنه وهذا المعنىٰ من القَلب موجود للبهائم بل الميّت أيضاً.

وثانيهما: لطيفة روحانيّة ربانّية لها بهذا القلب تعلّق وتـلك اللّـطيفة هـي المعبّر عنها بالقلب تارةً وبالنّفس أُخرىٰ وبـالرّوح أخـرىٰ وبـالإنسان أيـضاً وبالعلم خامساً وبالعقل سادساً وهكـذا وهـو المُـدرك العـالم العـارف وهـو المُخاطَب والمطالَب والمعاقَب وله علاقة مع القلب الجَسدي وقد تحيّر أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته وأنّ تعلّقه به يُضاهي تعّلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلّق المُستعمل لِلآلة بالآلة أو تـعلّق المُـتمكن بالمكان وأمثال ذلك من الإحتمالات فكلّما أطلق القَلب في الآيات والأخبار بل وكلمات الفلاسفة والعقلاء أُريد به المعنىٰ الثّاني أعني اللّطيفة الرّبانية وأن كانت التّعابير بحسب الموارد مختلفة (عباراتنا شتّىٰ وحُسنك واحدٌ، وكُلّ الىٰ ذلك الجَمالُ يُشير).

وقد أطلق القلب في القرآن في كلّ هذه المعاني الّتي ترجع الىٰ أصل واحدٍ وهو اللّطيفة الرّبانية قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَبَلَغَت الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾**[1] أي بـلغت الأرواح وقوله أنّ في ذلك ذكرىٰ لمن كان له قلب، أي لمن كان له علم وفهم، وقوله ولتطّمئن به قلوبكم، أي تثبت به شجاعتكم ويـزول خـوفكم، وقـوله ولكن تعمىٰ القلوب الّتي في الصّدور، أيِ العقل وهكذا إذا عرفت معنىٰ القلب وموارد إستعمالاته فلنرجع الىٰ شرح كلام أمير المؤمنين ونقول: قوله ﷺ: **أحيِ**

١- الاحزاب ١٠

قَلْبَكَ المراد بالقلب هو ما ذكرناه من اللّطيفة الرّبانية وحيث أنّه موجود من المَوجودات الشّريفة فلَه حيات ومَمات فحياته إتّصافه بالصّفات اللائقة به المُوجبة لِتَنويره وإنعكاس الحقائق فيه كما أنّ مَوته عدم إتّصافه بها فأنّ الموجود إذا لم يكن علىٰ وجوده أثراً مُترتباً نافعاً فهو ميّت بالحقّيقة وأن عُدّ في عُرف العوام موجوداً والقلب في بدو الأمر وأن كان من الموجودات ظاهراً إلّا أنّه في الحقيقة من الأموات ما لم يتّصف بالكمالات والفضائل ولأجل ذلك أَمَر أمير المؤمنين إبنه الحسن عليه السلام بإحياء قلبه فقال أَحِي قلبك بصيغة الأمر بالموعظة ومنه يُعلم أنّ المَوعظة تُحيي القلب وهو كذلك فأنّ القلب بمنزلة الأرض والمَوعِظة بمنزلة الماء فكما أنّ حياة الأرض بالماء كذلك حياة القلب بالمَوعِظة ولها أثر عجيب في إحياء القلوب: قال اللّه تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾(١)

و: ﴿**إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾(٢)

و: ﴿**يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾(٣)

و: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ**﴾(٤)

ويكفيك في الباب ما ورد عن مواعظ اللّه لرسوله ومن مواعظ الرّسول لأصحابه أن شئت الإطّلاع علىٰ بعضها فعليك بالمجّلد السّابع عشر من بحار الأنوار فقد جمع المجلسي رحمه الله فيه كثيراً من المواعظ من اللّه تعالىٰ ومن جبرئيل ومن رسول اللّه ومن الأئمّة بل الحقّ أنّ الموعظة أساس الدّين بحيث لولاها لما بقي من الدّين عين ولا أثر وكما أنّ حياة القلب بالموعظة فَمَوته بالزّهادة ولذلك قال عليه السلام: **وأَمِته بالزّهادة**، والمراد بإماتته إنكساره لا الموت بمعنىٰ عدم ترتب الأثر عليه كما تُوهّم فأنّه يُوجب نقض الغَرَض وتوضيح المقام إجمالاً أنّ القلب يفرح بالمَوعظة وينبَسط بها ويَموت أي ينكسر

١- يونس-٥٧ ٢- النّساء-٥٨
٣- النّور-١٧ ٤- سبأ-٤٦

بالزّهادة وترك الشّهوات وعُبّر عن الفرح بالحياة وعن الإنكسار بالمَوت وقلب المؤمن دائماً يكون مُتَردّداً بين المقامين فحياة قلبه في موته ومَوته في حياته فأفهمه أن كنت أهلاً له وقوله ﷺ: **وقَوّه باليقين** معناه أنّ اليقين يوجب تقوية القلب وهو ممّا لا شّك فيه فأنّ العبد إذا وصل الىٰ مقام اليقين الّذي لا شئ أعزّ منه يكون أقوىٰ النّاس قلباً لأنّه يُوجب التّوكل علىٰ اللّه والتّسليم لِلّه والرّضا بقضاء اللّه والتّفويض الىٰ اللّه ومن كان كذلك يزول الشّك عن قلبه بالكلّية فلا يخاف إلّا اللّه ولا يرجو إلّا اللّه ولا يُعتَمد إلّا عليه ولا يرضىٰ إلّا بقضائه ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العلّي العظيم.

وعن الصّادق ﷺ **ليس شئ إلّا له حدّ قال الرّاوي قلت جعلت فداك فما حدّ التّوكل قال اليقين قلت فما حدّ اليقين قال أن لا تخاف مَعَ اللّه شيئاً» مشكاة الانوار ص ١٣٠»...**

أقول: يظهر من هذا الحديث أنّ صاحب اليقين لا يخاف مع اللّه شيئاً وعليه فهو أقوىٰ النّاس إذ لا نعني بالقّوة إلّا هذا المعنىٰ:

▫ **قوله** ﷺ: **ونَوِّرهِ بالحِكْمَة** أي نوّر القلب بها قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾**(١)

و : **﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾**(٢)

و : **﴿وَلَقَدْ ءاتَيْنَا لُقْمٰنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾**(٣)

و : **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾**(٤)

ثمّ أنّ الحِكْمَةَ إصابة الحقّ بالعلم والعقل فهي من اللّه تعالىٰ إيجاد الأشياء علىٰ غاية الأحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات والعلم بها بقدر الطاقة البَشَرية، وَمَعرفة الخيرات وفعلها ومن المعلوم أنّ هذه المَعرفة تُوجب تنوير القلب وتخليصه من ظُلمة الجهل ولأجل هذا عبّر عنها في القرآن بالخير الكثير

١- البقرة-٢٦٩
٢-البقره ٢٦٩
٣-لقمان-١٢
٤- البقرة-١٢٩

وهي في الحقيقة ممّا يُدرك ولا يُوصف:

وأمّا قوله ﷺ: **وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ وقَرِّرْهُ بالْفَنَاءِ** فمعناه ذَلِّل القلب بذكر المَوت وَثَبِّتْه بالفَناء وقيل أي أُطلب منه الإقرار بالفَناء فأنّ فيه تذليله وتحقيره وكيف كان فالمراد التّوجّه الىٰ الموت وعدم الغفلة عنه علىٰ كلّ حالٍ ولا شك أنّه يوجب إنكسار القلب وإعراضه عن الدّنيا وما فيها وعدم الرّكون عليها لعلمه بعدم بقائه فيها:

▫ **قوله ﷺ وَبَصِّرْهُ فجائعَ الدُّنْيا وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرَ وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيالِي وَالأَيَّامِ...**

أي بَصِّرْ القلب فَجائِعَ الدُّنـيا ومصائبها وَحَذِّرْهُ وخَوِّفه صَوْلَةَ الدَّهْرَ وحَمَلته وفُحْشَ تَقلُّبِ اللَّيالِي وَالأَيّامِ أي تجاوزها عن حُدودها وعدم بقائها وثباتها علىٰ حالةٍ واحدة فأنّ القلب إذا صار ذا بصيرةٍ بالدّنيا وحوادثها لا يركن عليها ولا يعتمد علىٰ نِعَمها لعلمه بأنّ الدّنيا وما فيها زائلة داثرة:

▫ **قوله ﷺ وأعْرِضْ عَلَيْهِ أخْبارَ المَاضِينَ وذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كانَ قَبْلكَ منَ الأَوَّلِينَ وَسِرْ في دِيارِهِمْ وآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وعمَّا انْتقَلُوا وأيْنَ حلُّوا وَنَزَلُوا...**

أي وأعْرِضْ علىٰ قلبك أخبار الماضين من الأموات وذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ قَبْلِكَ منَ الأَوَّلِينَ الماضين من الحوادث الواقعة بهم وعدم بقائهم فِي الدُّنـيا وسِر في دِيَارِهم الخالية عنهم وآثارِهِمْ الباقية بعدهم فأنظُر فيما فعلوا من الأفعال فيها وعمّا انْتقَلُوا منه الىٰ قبورهم وأين حَلُّوا وَنَزَلُوا بعد الدّنيا:

▫ **قوله ﷺ فإنّكَ تجِدُهُمْ قَدْ انْتقَلُوا عَنِ الأحِبَّةِ وحلُّوا دِيارَ الْغُرْبَةِ .وكأنَّكَ عَنْقَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ولا تَبعْ آخِرَتَكَ بِدُنْياكَ ودَع القوْلَ فِيما لا تَعْرِفُ والخِطابَ فِيما لمْ تُكلَّفْ...**

أي إذا نظرت الىٰ المَاضِينَ وآثارِهِم تَجِدُهُمْ قَدْ انْتقَلُوا عَنِ الأَحبَّةِ مِنْ الأَهْل والعيال والأولاد والأقرباء وحلُّوا دِيارَ الْغُربَةِ أي نَزَلُوا فيها وهي دِيارِ الأموات

ثمّ أنّ هذه سيرة مستمرة الىٰ يوم القيٰمة وليست مختصة بفردٍ دون فردٍ أو ملّةٍ دون ملّةٍ.

بل كأنّك عن قليلٍ قد صِرتَ كأحدهم وتحلّ في ديارهم وإذا كان كذلك فأصلح مثواك أي عالم الآخرة ولا تَبع آخرتك بدنياك لأنّ الآخرة باقية والدّنيا فانية وبيع الباقي بالفاني ممّا لا يُجّوزه العقل والشّرع فأنّ اللّه تعالىٰ يقول في كتابه:﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نفسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾(١)

و : ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَالدُّنْيَا بِالأَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾(٢)

ودَع القول فيما لا تعرف أي أُترك ما لا تعرفه من القَول وما لا تكلّفه من الخطاب إذ لا فائدة في التّشبث بهذه الأمور إلّا تضييع الوقت وهو ممّا لا ينبغي للعاقل السّالك الىٰ اللّه وقد ورد في الأثر إسكتُوا عمّا سَكت اللّه عنه ضرورة أنّ اللّه تعالىٰ لم يسكُت عنه لجهلٍ أو سهوٍ أو نسيان بل سَكَتَ عنه لكونه علىٰ غير المَصلحة وهو ظاهر:

▫ **قوله** ﷺ: **وأمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ فإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ منْ رَكُوبِ الأَهْوَالِ...**

أي لا تدخل في طَرِيقٍ من الطّرق المختلفة إذا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ ولا تعلم أنّه حقّ وذلك لأنّ الكفّ عند حيرة الضّلال أولىٰ وأحسَن من رَكُوبِ الأَهْوَالِ والمهالك وتوضيحه أنّ كلّ طريقٍ في أُمور الدّين لا يخلو حاله أمّا أن يكون معلوم الحقّ وأمّا أن يكون معلوم الباطل وأمّا أن يكون مردّداً بينهما ولا رابع في المقام أمّا الأوّل فيؤخذ به وأمّا الثّاني فيُترك ولا شكّ في هذين الشّقين وأنّما الكلام في المُردّد المُشتبه الّذي يحتمل أن يكون حقّاً ويحتمل أن يكون باطلاً وإذا كان بُطلانه مُحتَمَلاً فلا محالة يكون الإنسان مُتحيراً في الدّخول فيه

١- البقرة ـ ٤٨

٢- البقرة ـ ٨٦

وعَدَمه فأن أمسَك عن الدّخول فيه فلا يتّضرر قطعاً وأمّا في صُورة إرتكابه فلا يأمن ضرره والعقل يحكم بوجوب دفع الضّرر المُحتمل فيجب الكفّ عنه عقلاً وهو المطلوب.

وقد ثبت أنّ الوقوف عند الشّبهات خير من الإقتحام في الهَلكات، وقد ورد في الحديث **أخوك دينك فاحتَط لدينك**، ولا نعني بالإحتياط إلّا الوقوف عند الشّبهات:

□ قوله عليه السلام: **وَأمُرْ بِالمَعْرُوفِ تَكُنْ منْ أهْلِهِ وأنْكِرِ المُنْكَرَ بِيَدِكَ وِلِسَانِكَ وبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ...**

أشار عليه السلام الىٰ وجوب الأمْرْ بالمَعْرُوفِ والنّهي عن المُنْكَرَ ولا شك أنّهما من الواجبات الشّرعية قال تعالىٰ: **﴿وَلْتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (١)

و: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾** (٢)

و: **﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** (٣)

وحيث إنّا قد تكلّمنا في الباب مُفصّلاً فيما مضىٰ وذكرنا الأخبار والآيات فيهما فلا نحتاج الىٰ إطالة الكلام فيهما .

وأمّا قوله عليه السلام: **بِيَدِكَ وِلِسَانِكَ** فهو إشارة الىٰ أنّ الآمِر بالمَعْرُوفِ والنّاهِي عن المُنْكَرَ لا يكون آمراً وناهياً بهما اذا كان الأمر والنّهي باللّسان فقط بل لابدّ له من العَمل بمقتضاهما فقوله عليه السلام باليَد إشارة الىٰ مقام العَمَل وإلّا فيكون مصداقاً لقوله تعالىٰ حيث قال: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾** (٤)

وقوله عليه السلام: **وبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ**، فالضّمير في قوله فَعَله، يرجع الىٰ المُنكر

١- آل عمران ـ ١٠٤
٢- آل عمران ـ ١١٠
٣- آل عمران ـ ١١٤
٤- الصّف ـ ٢ و ٣

فقط أي باعِد وجانب، الّذي يفعل المُنكر ولا تُعاشره ولا تُصاحبه حتّىٰ الإمكان ولعلّ الوجه في المنع عن مصاحبته هو مظنّته الإعانة علىٰ الأثم عَملاً وقد قال اللّه تعالىٰ:﴿**وَلا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (١) والمعاونة العمَلية أشدّ قُبحاً وذنباً من المعاونة القَولية وفي قوله بجهدك إشارة الىٰ صورة الإمكان مع مراعاة الأهم فالأهم.

▫ **قوله ﷺ: وَجَاهِدِ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلاَ تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ...**

لا شكّ أنّ الجِهادِ من أفضل الطّاعات وأحسَن القُربات الىٰ اللّه تعالىٰ وقد مرّ الكلام فيه مُفصّلاً وقد صَرح القرآن بوجوبه ومَدحه، قال اللّه تعالىٰ:﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ**﴾ (٢)

و : ﴿**وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (٣)

و : (**لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ**﴾ (٤)

و : ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ (٥) وغيرها من الآيات

ومن المعلوم أنّ المراد به معناه العَام الشّامل لجميع أقسامه من الجهاد بالنّفس والجهاد بالمال والجهاد بالعلم والأحسَن من الكلّ هو الجهاد مع النّفس الأمّارة بالسّوء الّذي سمّاه الرّسول بالجهاد الأكبر وقوله ﷺ: **وَلاَ تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ** إشارة الىٰ أنّ المُجاهد بجميع أقسامة كثيراً ما يقع مورداً لإستهزاء الجهال وشماتتهم وايذائهم فينبغي له أن يَصبر علىٰ ذلك ولا يخاف من لَوم اللائمين وذلك لأنّه يُجاهد لِلّه تعالىٰ والسّالك في طريق سلُوكه اليه لابدّ له من هضم المُشكلات فأنّ أفضل الأعمال أحمزها وحيث أنّ أمير المؤمنين ﷺ كان بعد رسول اللّه ﷺ أفضل المُجاهدين وأكثر الملُومين في مجاحداته من قِبل المُعاندين المُخالفين لا جرم أوصىٰ به لعلمه ﷺ بأنّه أفضل الطّرق في الوصول الىٰ أعلىٰ الكمال ولا سيّما إذا كان ملازماً باللّوم والإستهزاء

١- مائده - ٢-
٢- البقرة ـ ٢١٨
٣- العنكبوت ـ ٦
٤- التّوبة ـ ٨٨
٥- العنكبوت ـ ٦٩

عن المُخالفين فأنّ الإستقامة على الجهاد كذلك تجعل المُجاهد مصداقاً لقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١)

و : ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (٢)

والحاصل أنّ طريق العُبُودية صَعب جدّاً لا يُكمل إلّا بالإستقامة.

▫ **قوله ﷺ: وخُضِ الغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كانَ تَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلىٰ المَكْرُوهِ. وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ .وألْجِئْ نَفْسَكَ فِي الأُمورِ كُلِّها إلىٰ اللَّه (إلٰهِكَ) فَإِنَّكَ تُلْجِؤُها إلىٰ كَهْفٍ حَرِيزٍ وَمَانِعٍ عَزِيزٍ...**

أَمَره ﷺ بأُمورٍ أربعة كلّها نافعة في طريق السّلوك الىٰ اللّه تعالىٰ بل لا يتّم السّلوك إلّا بها:

أحدها قوله ﷺ: **وخُضِ الغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ**، الغَمَرات جمع غَمرة وهي الشّدة والمعنىٰ لا تخف من الشّدائد والمُعضلات إذا كانت في طريق الحقّ بل خُض فيها فأنّ اللّه تعالىٰ يَحفظك عن آفاتها وخطراتها بقدرته الكاملة وما النّصر إلّا من عند اللّه في جميع الأُمور ومن يتّوكل علىٰ اللّه فهو حَسبه،:﴿وإِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٣)

وثانيها قوله ﷺ: **تَفَقَّهْ فِي الدِّينِ**، أي كُن علىٰ بصيرة فيه فأنّ من لم يتّفقه في الدّين فهو أعرابي قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٤)

قال الجواد ﷺ التّفقه ثمن لكلّ غال وسَلّمٌ الىٰ كلّ عالٍ « بحار الانوار ج ١ ص ٦٧»...

وقال أمير المؤمنين ﷺ العلوم أربعة الفقه للأديان والطّب للأبدان والنّحو لِلّسان والنّجوم لمعرفة الأزّمان« ص ٦٧».

١- فصلت - ٣٠
٢- الجنّ - ١٦
٣- محمد - ٧
٤- التّوبة - ١٢٢

وقال ﷺ منَ يَرد اللّه به خيراً يُفقّهه في الدّين « ص ٦٨»...

وقال الصّادق عليه السلام لا خير فيمن لا يتّفقه من أصحابنا يابشير أنّ الرّجل منكم إذ لم يتسيقن بفقهه إجتاح اليهم فإذا إجتاح اليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم انتهىٰ« ص ٦٨»...

وثالثها قوله عليه السلام: **وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَىٰ المَكْرُوهِ. وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ** ، الفرق بين التّصبّر والصّبر كالفرق بين التّحلّم والحِلم حيث أنّ التّصبّر جعل النّفس علىٰ هيئة الصّابرين كما أنّ التّحلّم جعلها علىٰ هيئة الحلم فالمُتّصبر شبيه بالصّابر وهو يجعل بسبب التّمرين للنّفس علىٰ المكاره والمُشتاق وأمّا الصّبر فهو مَلَكة راسخة في النّفس والحِلم أيضاً كذلك وأنّما قال عليه السلام: **عَوِّد نفسك التّصبُّر** لأنّ التّصبّر يحصل به ثمّ ينتهي تدريجاً الىٰ حصول المَلَكة بنصر الصّابرين حقّاً ونعم الخُلق أي نعم السّجية هو والتّصبر بالتّصبّر دون الصّبر للإشارة الىٰ أنّ التّصبّر يمكن لكلّ أحدٍ وأمّا الصّبر فلا إلّا أنّه بالآخرة ينتهي اليه فكأنّه عليه السلام قال مَرّن نفسك عليه حتّىٰ تَحصل لك مَلَكة الصّبر.

ورابعها قوله عليه السلام: **وأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الأُمورِ كُلِّها إلىٰ اللَّه (إلٰهِكَ)** ، أي إجعل اللّه تعالىٰ مَلجَأً لنفسك ومَلاذاً لها في جميع الأمور ثمّ إستدّل عليه السلام عليه وقال فأنّك مَلجأها أي تَلجأ نفسك الىٰ كهفٍ حريز أي مُحكم مصونٌ عن الإضطراب والخَوف ومانع عزيز يَمنعك عن الخطر والدّهشة وما ذكره عليه السلام صدق وحقّ فأنّ من يتّوكل علىٰ اللّه فهو حَسبه ومن يعتمد عليه فهو يَحفظه.

والسّر فيه أنّ الإعتماد علىٰ غيره كائناً من كان لا ينفع وذلك لأنّ غيره مخلوق له وكلّ مخلوق مُحتاج الىٰ خالقه والمُحتاج في نفسه لا يقدر علىٰ شئ فلا يمكن الإنتفاع به وأمّا الخالق فحيث أنّه موجود ثابت دائم غنّي عمّا سواه قادر علىٰ كلّ شئ فَيفعل ما يشاء ويَحكم ما يريد وهو لا يُسئل عمّا يفعل وغيره يُسئل عنه ومن المعلوم أنّ الإعتماد علىٰ الموجود الثّابت الدّائم القادر أولَىٰ وأَحقّ من الإعتماد علىٰ الموجود الضّعيف هذا أوّلاً

وثانياً، أنّ الإعتماد على المخلوق كالإعتماد على النّفس ضرورة أنّه لا فرق بين المخلوقات في الضّعف والإحتياج الى الخالق فَمن إعتمد على غيره من الخَلق كمن لا يعتمد أصلاً:

فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أوحىٰ اللّه تبارك وتعالىٰ الىٰ داوُد أنّه ما إعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذاك عن نيّته ثمّ تكيده السّموات والأرض ومن فيهنّ إلّا جَعلت له المخرج من بَينَهُنّ وما إعتَصَم عَبدٌ من عبادي بأحَدٍ من خَلقي عرفت ذلك من نيّته إلّا قَطعت أسباب السّموات من بين يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أُبال في أيّ وادٍ تهلك انتهىٰ «مشكاة الانوار ص ١۶»...

وعنه عليه السلام - قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ اللّه عزّ وجلّ يقول وعزّتي وجلالي وجمالي وبهائي وعلّوي وإرتفاع مكاني لا يُؤثر عبد هواي علىٰ هواه إلّا جعلت غناه في قلبه وهمّه في آخرته وكففت عليه ضيعته وضَمِنت السّموات والأرض رزقه وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر انتهىٰ« ص ١۶»...

وعن النّبي صلى الله عليه وآله قال من إنقطع الىٰ اللّه كفاه اللّه مؤنته ورزقه من حيث لا يَحتسب ومن انقطع الىٰ الدّنيا وكّله اليها انتهىٰ« ص ١٨»...

والأحاديث كثيرة.

▫ **قوله عليه السلام: وَأَخْلِصْ فِي المَسأَلةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ العَطاءِ وَالحِرْمانَ وَأَكْثِرِ الإسْتِخارَةَ...**

أمّا الإخلاص في السّؤال فلا شك أنّه الأصل في الباب فكلّما كان الإخلاص أكثر، كانت الإجابة من اللّه تعالىٰ أقرب وبالعكس فالعكس قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَأدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**(١)

و : **﴿فَأدْعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**(٢)

١- الاعراف-٢٩ ٢- غافر-١۴

و : ﴿هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (١)

وقال الصّادق عليه السلام قال اللّه عزّ وجلّ أنا خير شريك من أشرك معي في عَمَل عَمَله لا أقبله إلّا ما كان لي خالصاً «مشكاة الانوار ص ١١»...

وأمّا أنّ بيده العَطاء والحِرمان أعني عدم العَطاء فهو أيضاً واضح لا خفاء فيه فأنّ اللّه تعالىٰ هو المُعطي والمانع كما قال في كتابه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَىٰ اللَّه واللّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ (٢)

و : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٣)

و : ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ (٤)

وقوله عليه السلام: وَأَكْثِرِ الإسْتِخارَةَ الّتي هي طلب الخير من اللّه تعالىٰ يمكن أن يُراد بها معناها اللّغوي وهو الّذي ذكرناه ويمكن أن يكون المراد بها معناها المُصطَلح بين النّاس من الإسْتِخَارَةَ بكتاب اللّه تعالىٰ أو بالسّبحة أو ذات الرّقاع وغيرها ممّا ذكروه في كتبهم:

□ **قوله عليه السلام: وتَفَهَّمْ وَصِيَّتي ولا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً فإِنَّ خَيرَ القَوْلِ مَا نَفَعَ واعْلَمْ أَنَّهُ لا خَيرَ فِي عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَلا يُنْتَفعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ...**

تَفَهَّمْ فعل أمرٍ من تَفَهَّمْ يتَفَهَّم والمعنىٰ ظاهر وقوله ولا تَذْهَبنَّ عَنها صَفْحاً أي لا تُعرضنّ عن الوَصّية الّتي أوصَيتُك بها وذلك لأنّ خير القَول وأحسَنه ما نفع للمُستمع فما لا نَفع فيه له لا خير فيه وأعلم أنّه لا خير في علم لا ينفع بل العلم لأجل الإنتفاع به كما لا ينتفع بعلمٍ لا يحقّ كالسّحر والشّعبذّة وغيرهما وفيما ذكره عليه السلام لطائف:

أحدها: التّفَهّم وهو الأصل في الباب فأنّ من لا يتَفهم لا كلام لنا مَعه.

والثّانية: العَمَل بما فَهِمه وإليه أشار بقوله ولا تَذهبنّ عنها صفحاً وذلك لأنّ ثمرة العلم العَمَل فالعلم بلا عمل كالشّجر بلا ثَمر وهو أيضاً ظاهر.

١- غافر ـ ٦٤ | ٢- فاطر ـ ١٥
٣- لقمان ـ ٢٦ | ٤- النّساء ـ ١٣٥

الثّالثة: أنّ العالم لابدّ من أن يُنتفع بعلمه وهذا هو الفرق بين النّافع وغير النّافع.

الرّابعة: أنّ العلم الّذي لا ينبغي تَعلّمه لا نَفع فيه إذ لو كان فيه نفع لما مُنع شرعاً من تعلّمه وعليه فكلّ علم ليس بممدُوح بل الممدوح منه ما ينتفع به.

قال الصّادق عليه السلام **عالمٌ أفضل من ألف عابد ومن ألف زاهد، وقال عليه السلام عالمٌ ينتفع بعلمه أفضل من عبادة سبعين ألف عابد « بحار الانوار ج ١ ص ٧٥»...**

وقال عليه السلام -إذا كان يوم القيامة بعث اللّه عزّ وجلّ العالم والعابد فإذا وقفا بن يَدي اللّه عزّ وجلّ قيل للعابد إنطلق للجنّة وقيل للعالم قف تشفع للنّاس بحسن تأديبك لهم انتهىٰ« ص ٧٥»...

قد مَر الكلام فيما ورد في فضل العلم والعالم مع أنّه أوضح من أن يخفىٰ علىٰ أحدٍ.

الفصل الثّاني

□ **قوله عليه السلام: أي بُنَّيَّ إنِّي لمَّا رَأيْتُني قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً ورَأيْتُني أزْدادُ وَهْناً بادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إلِيْكَ وأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبلَ أَنْ يَعْجِلَ بِي أجَلِي دُونَ أنْ أُفْضِي إلِيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي وَأنْ أنْقُصَ في رَأيي كَما نَقَصْتُ في جِسْمي أوْ يَسْبِقَني إليْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الهَوىٰ أوْ فِتَنِ الدُّنْيا فَتَكُونَ كالصَّعْبِ النَّفُورِ وَأنَّما قَلْبُ الْحَدثِ كالأَرْضِ الخَالِيَةِ ما أُلْقِيَ فِيها منْ شَيْ قَبِلَتْهُ فَبادَرْتَكَ بالأَدَبِ قَبْلَ أنْ يَقْسُو قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأيِكَ منَ الأَمْرِ مَا قَدْ كَفاكَ أهْلَ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ فَتَكُونَ قدْ كُفِيتَ مَؤونَةَ الطَّلَبِ وعُوفِيتَ منْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ فأتاكَ منْ ذِلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نأتِيهِ واسْتَبانَ لَكَ مَا رُبَّما أظْلَمَ عَلَيْنا مِنْهُ.**

أي بُنَيَّ إنِّي وإنْ لمْ أكُنْ عَمِرْتُ عُمُرَ مَنْ كانَ قَبْلي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أعْمالِهِمْ وَفَكَّرْتُ فِي أخْبارِهِمْ. وَسِرْتُ فِي آثارِهِمْ حَتّىٰ عُدْتُ كأَحَدِهِمْ بَلْ كأنِّي بِمَا

انْتَهَىٰ إلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قدْ عَمِرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إلىٰ آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ .فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ وتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الوَالِدَ الشَّفِيقَ وأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدِبِكَ أَن يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ ومُقْبِلُ الدَّهْرِ ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ ونَفْسٍ صَافِيَةٍ وأَنْ أَبْتَدِأَكَ بِتَعْلِيمِ كِتابِ اللَّهِ وتأوِيلِهِ وشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ وأحكامِهِ وَحلاَلِهِ وَحَرَامِهِ ولاَ أُجاوِزَ لَكَ إلىٰ غَيرِهِ ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتبَسَ عليْهِمْ فكانَ أَحْكامُ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلاَمِكَ إِلىٰ أَمْرٍ لا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ ورَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هذِهِ.

◁ **اللغة**

(وَهْناً) الوَهن الضَعف (بادَرْتُ) أي سَبقتُ (أُفْضِي) أي ألقي (النُّفُورِ) ضدّ الأنس (الحَدَثِ) الشّاب (بُغْيَتَهُ) البِغية بكسر الباء الطَلب (اسْتَبانَ) أي ظَهر (نَخِيلَهُ) النَخيل المختار المُصَفىٰ (تَوَخَّيْتُ) التَّوَخِي التَحري.

◁ **المعنىٰ**

(**أي بُنَيَّ إِنِّي لمَّا رأيْتُني**) أي رأيت نفسي (**قدْ بَلَغْتُ سِنّاً**) زاد على السّتين (**ورأيْتُني أَزْدَادُ وَهْناً**) وضعفاً بسبب الهرَم (**بادَرْتُ بِوَصِيَّتي إِلَيْكَ وأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْها قَبْلَ** أَنْ يعجل ويسرع (**بِي أَجَلِي**) فأموتُ (**دُونَ أَنْ أُفْضِي**) وألقي (**إِلَيْكَ**) فِي هذِهِ الوصِيَة .

(**بِما فِي نَفْسِي وأنْ أَنْقُص فِي رَأْيي**) معطوف علىٰ قوله قبل أنْ يَعجل أي بادرت إِلَيْك بها قبل أنْ أنقُص فِي رأْيي (**كَما نَقَصْتُ**) وضعفتُ (**فِي جِسْمِي أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الهَوَىٰ**) أي يَسْبِقَني بالإستيلاء علىٰ قلبك غَلَبات الأهواء (**أَوْ فِتَنِ الدُّنْيا**) وحوادثها (**فَتَكُونَ كالصَّعْبِ النُّفُورِ**) أي فتكون كالفَرس

الصّعب غير المذّلل فلا تتمكن نصيحتي من النّفوذ الىٰ قلبك (وإِنَّمَا قَلْبُ الحَدَثِ) أي الشّاب (كالأَرْضِ الْخَالِيَةِ) من الأشجار، (ما أُلْقِيَ فِيها منْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ) لكونها مستعدة له ولذلك (فَبادَرْتَكَ بالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ) بالإتصاف بذمائم الأخلاق (ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ) وعقلك (لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأيِكَ منَ الأَمْرِ مَا قدْ كَفاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهِ) أي طَلَبه (وتَجْرِبَتَهُ فَتَكُونَ قدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ) فَلاتَحتاج اليه (وعُوفِيتَ منْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ فَأتاكَ منْ ذَلِكَ ما قَدْ كُنَّا نأتِيهِ واسْتَبانَ) وظَهَرَ (لَكَ مَا رُبَّما أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ) أي إذا أنضمّ رأيه الىٰ آراء أهل التّجارب فربما يظهر له ما لم يكن ظهر لهم (أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وأَنْ لمْ أَكُنْ عَمِرتُ) في الدّنيا (عُمُرَ من كانَ قَبْلِي) من آدم الىٰ هذه السُّنة (فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمالِهِمْ) أي في أعمال الماضين (وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبارِهِمْ وسِرْتُ فِي آثارِهِمْ)الباقية لنا بعد موتهم (حَتّىٰ عُدْتُ كأَحَدِهِمْ بَلْ كأَنِّي بِمَا انْتَهَىٰ) وَوَصل (إِلَّي منْ أُمُورِهِمْ) فكأنّه (قدْ عَمِرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلىٰ آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ منْ كَدَرِهِ وَنَفْعَهُ منْ ضَرَرِهِ) أي عرفت الحقّ من الباطل والنّافع من الضّار (فاسْتَخْلَصْتُ) واخترتَ (لَكَ مَنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ) أي ما هو المُختار والحقّ (وتَوَخَّيْتُ) وتحريتُ (لَكَ جَمِيلَهُ) وأحسَنه (وصَرَفْتُ) ومنعتُ (عَنْكَ مَجْهُولَهُ) ومشتبهه (وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنانِي) وقصدني (منْ أمْرِكَ مَا يَعْنِي) ويقصد (الوَالِدَ الشَّفِيقَ) بالنّسبة الىٰ وَلَده (وأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ) أي عزمت (منْ أَدْبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبلُ الْعُمُرِ ومُقْتبِلُ الدَّهْرِ) لأنّكَ شّاب بالنّسبة إلّي (ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْس صَافِيَةٍ) كَمَا هُوَ شأن كلّ إنسانٍ في أوّل الأمر (وأَنْ أَبْتدِأَكَ بِتَعْلِيم كِتَابِ اللَّهِ وتأْوِيلِهِ وشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ وأحكامِهِ وَحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ) فأنّها واجبة علىٰ كلّ مُسلم (ولا أُجاوِزَ لَكَ إِلىٰ غِيْرِهِ) الىٰ غير كتاب اللّه بل أقف بك عنده (ثُمَّ أَشْفَقْتُ) أي خفتُ (أَنْ يَلْتَبِسَ) ويشتبه (عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ منْ أَهْوَائِهِمْ وآرائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبِسَ عليْهِمْ) أي خِفتُ عليك إلتِباساً مثل إلتِباسهم (فَكانَ إِحكامُ ذَلِكَ) وإتقانه (عَلىٰ مَا كَرِهْتَ منْ تَنْبِيهِكَ لهُ أَحَبَّ إِلَيَّ منْإِسْلاَمِكَ)

وقَبولك (إِلىٰ أَمْرٍ لا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ ورَجَوْتُ أنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ وَأنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتي هذِهِ).

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ أيْ بُنَيَّ إِنِّي لمَّا رأَيْتُني قدْ بَلَغْتُ سِنّاً ورَأَيْتُني أزْدَادُ وَهْناً بادَرْتُ بِوَصِيَّتي إِلَيْكَ وأوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْها قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بي أَجَلِي...

ذكر ﷺ في هذه الكلمات سبب الوصّية فقال إنِّي لمَّا رأَيْتُني قدْ بَلَغْتُ سِنّاً زاد علىٰ السّتين ورأيْتُني أزْدَادُ وَهْناً وَضَعفاً في جسمي وهو مأخوذ من قوله تعالىٰ حكاية عن زكّريا:﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾(١)

والوَهن الضّعف في الجسم، فلمّا رأيت ذلك بادَرتُ وسَبقتُ بوصيّتي اليك وأَوردتُ خصالاً منها أي من الوصّية، وإلّا فالكلام طويل والحقائق الّتي ينبغي أن تُذكر كثيرة إلّا أنّ الميسُور لا يُترك بالمعسُور وما لا يُدرك كلّه لا يُترك كلّه قبل أن يَعجل ويَسرع بي أَجلي إذ بعد حلول الأجل فالوصّية غير مقدورة

▫ قوله ﷺ: دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِما فِي نَفْسِي وأَنْ أَنْقُصَ فِي رأْيِي كَما نَقَصْتُ فِي جِسْمِي...

أي ما ذكرته لك في هذه الوصّية ليس كلّ ما ينبغي أن يذكر وانّما هو الأصول والكلّيات وقوله ﷺ: وأَن أَنْقُصَ إلىٰ آخره عطف علىٰ قوله قبل أن يَعجَل، أي ذكرتها لك قبل حلول الأجل والنّقص في الرأي ويمكن أن يكون معطوفاً علىٰ قوله دون أن أُفضي والحاصل أنّي ذكرتها في كمال العقل وقوّة الرّأي قبل أن أكون ضعيف الرّأي كما أكُون ضعيف الجسم وفيما ذكره ﷺ إشارة الىٰ بطلان الوصّية في حال المَرض وضعف الرّأي وإختلال الحَواس وهو كذلك ينبغي أن يكون المُوصي صحيحاً مُدركاً شاعراً بما يُوصي به.

▫ قوله ﷺ: أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الهَوَىٰ أَوْ فِتَنِ الدُّنْيا فَتَكُونَ كالصَّعْبِ النَّفُورِ...

١-مريم ٤

كلمة (أَوْ) عاطفة أي وذكرتها لك قبل أن يَسْبِقَني إِلَيْكَ بالإستيلاء على قلبك غَلَبَاتِ الهَوَىٰ أَوْ فِتَنِ الدُّنْيا فَتَكُونَ بِذَلِكَ كالصَّعْبِ النَّفُورَ الّذي لا يأَنس أصلاً فأنّ القلب إذا غَلَب عليه الهَوىٰ وإفتتن بالدّنيا وزخارفها لا يمكن إصلاحه إلّا بصعُوبةٍ كما قال عليه السلام:

□ **قوله عليه السلام: وإِنَّمَا قَلْبُ الحَدَثِ كالأَرْضِ الخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيها منْ شَيْ قَبِلَتْهُ...**

شبّه عليه السلام قلب الشّاب في خلّوه عن الآفات القلّبية بالآرض الخاليّة عن كلّ شئ الّتي تستّعد لقبول ما أُلقي فيها من البذُور والأشجار والأبنية وغيرها وهو صدق وحقّ فأنّ التّخلية قبل التّحلية وكلّ قلب يكون في بدو الأمر كذلك أي يكون خالياً عن الأوصاف والمَلَكات النّفسانية الحاصلة بسبب المُمارسة والمُجالسة والمُعاشرة وغيرها فهو مُستّعد لقبول الكمالات النّفسانية كما أنّه مُستّعد لِلرّذائل الأخلاقّية فيحتاج الىٰ المُعَلِم الصّالح والمُؤدّب الكامل والنّاصح الشّفيق.

□ **قوله عليه السلام: فَبادَرتَكَ بالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأيِكَ منَ الأَمْرِ ما قدْ كَفاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ...**

أي إذا كان القلب كالأرض الخالية فبادرتُك بالأدب الشّرعي قبل قساوة قلبك بإتّصافه بالرّذائل والخبائث وقبل إشتغال لُبّك وعقلك بغير ما ينبغي له ليكون جدّ رأيك أي فَحّققه وثبته مُستّعداً لقبول الحقائق الّتي وقف عليها أهل التّجارب وكَفاك طلبها.

□ **قوله عليه السلام: فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ وَعُوفِيتَ منْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ فأَتاكَ منْ ذَلِكَ ما قدْ كُنَّا نأتِيهِ واسْتَبانَ لَكَ مَا رَبِّما أَظْلَمَ عَلَيْنا مِنْهُ...**

وحاصل الكلام أنّه إذا أنضَمّ ما ذكرته لك الىٰ آراء أهل التّجارب فربّما يظهر لك ما لم يكن ظهر لهم وذلك لأنّه كم ترك الأوائل للأواخر وكم غاب عنهم وظَهر لغيرهم مضافاً الىٰ أنّ ما ذكرناه لك يُغنيك عنهم لكونه مقروناً بالصّدق والصّحة والتّجربة.

▫ قوله ﷺ: أيْ بُنَيَّ إنِّي وَإِنْ لَمْ أكُنْ عَمِرْتُ عُمْرَ مَنْ كانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أعْمالِهِمْ وفَكَّرْتُ فِي أخْبارِهِمْ وسِرْتُ فِي آثارِهِمْ حَتّىٰ عُدْتُ كأحدهم...

وذلك لأنّ المَلاك في الإعتبار هو الإطّلاع علىٰ الحَوادث الواقعة في الدّنيا وتقلّباتها وإنتقال نعمها من قوم الىٰ قوم وعدم بقائها علىٰ حالها وفناء من فيها وذلك يحصل بالسّير في أحوال الماضين والتَّفكُر في أخْبارِهِمْ فحاصل كلامه ﷺ أنّي وأن لم أُعَمر عُمر من كان قبلي بل عمرتُ ستّين سنّة أو أزيد مثلاً ولكنّي بمُطالعة أحوالهم والسّير في آثارهم صرت كأحدهم فكأنّي كنتُ مَعهُم مِن أوّل الدّنيا الىٰ آخرها كما قال ﷺ:

▫ قوله ﷺ: بَلْ كأَنِّي بِمَا انْتَهَىٰ إِلَيَّ منْ أُمُورِهِمْ قَدْ عَمِرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلىٰ آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ منْ كَدَرِهِ وَنَفْعَهُ منْ ضَرَرِهِ فاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أمْرٍ نَخِيلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ وصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ...

أي حيث أنّ أخبار الماضين قد وَصَلت إلَي من أوّلهم الىٰ آخرهم فعرفت صحيحها من سقيمها وحقّها من باطلها فاسْتَخْلَصْتُ واختَرت لك في هذه الوصّية منْ كُلِّ أمْرٍ نَخِيلَهُ أي مُختاره المُصطفىٰ وتَوَخَّيْتَ وتحَريتُ لك من الأُمور جميلها وأحسنها وصرفتُ ومَنَعتُ عنك مجهوله إذ لا فائدة فيه فاغتَنم بهذا الوصّية وإعمل بها.

▫ قوله ﷺ: ورَأَيْتُ حَيْثُ عنَانِي منْ أمْرِكَ مَا يَعْني الوَالِدَ الشَّفِيقَ وأجْمَعْتُ عَلَيْهِ منْ أدبِكَ أنْ يَكُونَ ذَلِكَ...

أي وما قَصدتُ في الوصّية إلّا ما يقصده الوَالِدَ الشَّفِيقَ بالنّسبة الىٰ ولده وأجْمَعْتُ أي عزمتُ فيها علىٰ أَدبك بالآداب الشّرعية الإلٰهية وأرجو أن يَكُونَ ذَلكِ كَما أردتُ.

▫ قوله ﷺ: وأنْتَ مُقْبلُ الْعُمُرِ ومُقْتبِلُ الدَّهْرِ ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ ونَفْسٍ صَافِيَةٍ...

الواو للحال أي بادرت اليها والحال أنك مُقبلُ العُمُرِ ومُقتَبِلُ الدَّهرِ أي أنّك تعيش بعدي ظاهراً في الدّنيا لكونك في حداثة السّن فينبغي لك التّوجه الى ما

هو خير لك وموجب لإيصالك الىٰ السّعادة والكمال في الدّنيا والآخرة مضافاً الىٰ سلامة نفسِك عن الآفات وصفائها عن الكدورات والأخباث وهو يدّل علىٰ إستعدادك لقبول النّصيحة والعَمل بها.

▫ **قوله ﷺ: وأنْ أبْتدِأكَ بِتَعْلِيم كِتابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ وَشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ وأحكامِهِ وَحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ...**

الواو للعطف والجملة معطوفة علىٰ قوله ﷺ: **ورَأيْتُ حَيْثُ عَنَانِي** وأنّما قدم ﷺ تَعليم كتاب اللّه آخر ما قال علىٰ غيره في النّصيحة لأنّ المُسلم ينبغي أن يهتّم بأُمور دينه قبل أُمور دنياه فأنّ الدّين مقدّم علىٰ غيره كائناً ما كان مضافاً الىٰ أنّ العلم بكتاب اللّه وتأويله وأحكامه من الحلال والحرام أصل العلم ومقدّم علىٰ غيره من العلوم.

روي في البحار عن العسكري ﷺ عن آبائه قال قال رسول اللّه ﷺ ما أنعم اللّه عزّ وجلّ علىٰ عبد بعد الإيمان باللّه أفضل من العلم بكتاب اللّه ومعرفة تأويله ومَن جَعل اللّه له من ذلك حظّاً ثمّ ظّن أنّ أحداً لم يفعل به ما فعل به قد فَضّل عليه فقد حقّر نعم اللّه عليه وقال رسول اللّه ﷺ في قوله تعالىٰ:﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِّن رَبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(1)

قال رسول اللّه ﷺ فَضّل اللّه عزّ وجلّ القرآن والعلم بتأويله ورحمته وتوفيقه لموالاة محمّد وآله الطّاهرين ومُعاداة أعدائهم ثمّ قال ﷺ وكيف لا يكون ذلك خيراً ممّا يَجمعون وهو ثمن الجنّة ونعيمها فأنّه يكتب بها رضوان اللّه الّذي هو أفضل من الجنّة ويستّحق الكون بحضرة محمّد وآله الطّيبين الّذي هو أفضل من الجنّة وأنّ محمّداً وآل محمّد الطّيبين أشرف رتبة الجنان ثمّ قال ﷺ يرفع اللّه بهذا القرآن والعلم بتأويله وبموالاتنا أهل

1- يونس ـ ٥٧ و ٥٨

البيت والتّبَري من أعدائنا أقواماً فيجعلهم في الخير قادة أئمّة في الخير تقتّص آثارهم وترمق أعمالهم يُقتدىٰ بفعالهم وترغب الملائكة في خلّتهم وتمسحهم بأجنحتهم في صلوتهم وتستغفر لهم كلّ رطبٍ ويابسٍ حتّىٰ حيتان البحر وهوامّه وسباع البّر وأنعامه والسّماء ونجومها انتهىٰ « ج ١ ص ٦٧»...

وروي في البحار عن كنز الكراجكي عن الصّادق عليه السلام قال أحسنوا النّظر فيما لا يَسَعكم جهله وأنصحوا لأنفسكم وجاهدوها في طلب معرفة ما لا عُذر لكم في جهله فأنّ لدين اللّه أركاناً لا ينفع مَن جهلها شدّة إجتهاده في طلب ظاهر عبادته ولا يضّر مَن عَرفها فَدانَ بها حُسن إقتصاره ولا سبيل لأحدٍ الىٰ ذلك إلّا بعونٍ من اللّه عزّ وجلّ « ص ٦٥»...

وبأسناده عن موسىٰ بن جعفر عن آبائه قال دخل رسول اللّه المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجلٍ فقال صلى الله عليه وآله ما هذا فقيل علامّة قال صلى الله عليه وآله وما العلامّة قالوا أعلم النّاس بأنساب العَرب ووقائعها وأيّام الجاهليّة وبالأشعار العَّربية فقال النّبي ذلك علمٌ لا يضّر من جهله ولا ينفع من علمه انتهى « ص ٦٥»...

وقال الصّادق عليه السلام أنّما العلم ثلاثة، آية مُحكمة أو فريضة عادلة أو سنّة قائمة وما خلاهنّ فهو فضل « ص ٦٦»...

□ قوله عليه السلام: ولاَ أُجاوِزَ لَكَ غَيْرِهِ ثُمَّ أشْفَقْتُ أنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أهْوَائِهِمْ وآرائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ...

أي ولا أتعدىٰ لك في هذه الوصيّة غيره أي غير العلم بالكتاب والسُّنّة بل أقف بك عنده ثُمَّ أشْفَقْتُ أي خفتُ أن يشتبه عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فيهِ مِنْ أهْوَائِهِمْ وآرائِهِمْ فتظّن أنّه حقّ وصِدق مِثْلَ الّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ فظّنوا أنّه حقّ وصِدق وليس كذلك لأنّ الإختلاف والإشتباه إذا كان مَنشَأه الهَوىٰ والرّأي الفاسد كما في إختلافات القوم يجب الإجتناب عنه والوجه فيه أنّ الأمور ثلاثة

أمرٌ بيّنٌ رُشده فيجب أن يُتّبع ويُؤخذ به فأنّه حقّ وأَمرٌ بيّنٌ غيّه وضلالته فيجب أن يُجتَنب عنه فأنّه باطل وأمرٌ بَينَ الأمرين لا يُعلم صدقه ولا غيّه وتسمّىٰ بالمُشتبه وهذا هو الّذي ينبغي فيه الإحتياط وإرجاعه الىٰ أهله ولا يجوز الإقتحام فيه لكونه مَظنّة الْهَلَكَةِ وهذا هو الّذي اخْتلَفوا فيه لأنّهم أدخلوا فيه عقولهم الفاسدة وآرائِهِمْ الكاسدة وظَنّوا أنّ ما فهموه بعقولهم وأميالهم هو حكم الله ولم يعلموا أنّ الدّين لا يُصاب بالعقول وقد أمرهم اللّه تعالىٰ في هذه الأمُور بالرّجُوع الىٰ الرّاسخين في العلم أعني أهل البيت .

▫ **قوله ﷺ: فَكَانَ إِحكامُ ذَلِكَ علىٰ مَا كَرِهْتُ منْ تَنْبيهِكَ لهُ أَحَبُّ إِلَيَّ من اسْلاَمِكَ إِلىٰ أمْرٍ لا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ ورَجَوْتُ أنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ وأنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ فَعَهِدتُ إِلَيكَ وصِيَّتي هذِهِ...**

الإِحكام بكسر الألف مصدر قولك أَحكم يُحكم ومعناه الإِتْقان وملّخص الكلام أنّ إِحَكام ذلك وإِتّقانه لك أحبَ إِلّي من تسليمك لأمرٍ لا آمنٌ به الهَلَكة وهو الأمر المختلف فيه وأن كُنت كارهاً علىٰ هذا التّنبيه فأنّ فيه خيرك وصلاحك وبعبارةٍ أُخرىٰ لابدّ لي من بيان ذلك لك وأن كان علىٰ خلاف ميلك لكونه مَظَنَّة الْهَلَكَةِ ولا آمنُ عليك الدّخول فيها ثمّ دعا له ﷺ وقال ورَجَوْتُ من اللَّهِ تعالىٰ أن يوفّقك لرشدك ويهديك لقصدك فأنّ الأُمور بيده وأنّ اللّه إذا أراد بعبدٍ خيراً هَيّئ له أسبابه .

الفصل الثّالث

▫ **قوله ﷺ: وأعْلمْ يا بُنيّ أنَّ أحَبّ ما أنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ منْ وَصِيَّتي تَقْوىٰ اللَّهِوالإِقْتِصَارُ عَلىٰ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَليكَ وَالأَخْذُ بِمَا مَضَىٰ عليْهِ الأَوَّلونَ منْ آبائِكَ والصَّالحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتكَ فَأنَّهُمْ لمْ يَدْعُوا أَنْ نَظَرُوا لأَنْفُسِهمْ كَمَا أنْتَ ناظِرٌ وَفَكَّرُوا كما أنْتَ مُفِكِّرٌ ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذلِكَ إِلىٰ الأَخْذِ بما عَرَفُوا**

والإِمْسَاكَ عَمَّا لمْ يُكلَّفُوا فإِنْ أَبَتَ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلِ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَما عَلِمُوا فلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذلِكَ بِتَفهُّمٍ وتَعَلُّمٍ لا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وعُلوُّ الخُصُوصِيَّاتِ وأبْدَأْ قبلَ نَظَرِكَ في ذَلِكَ بالاِسْتِعانةِ بِإِلَهِكَ والرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوفِيقِكَ وَترْكَ كلّ شائِبَةٍ أَوْلَجَتكَ فِي شُبْهةٍ أوْ أَسْلَمَتكَ إلىٰ ضَلاَلةٍ فإِذا أَيْقَنْتَ أَنْ قدْ صَفَا قلْبُكَ فَخَشَعَ وتمَّ رَأْيُكَ فإجْتَمَعَ وكانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً واحداً فأنْظُرْ فِيما فَسَّرْتُ لَكَ. وإِنْ أَنْتَ لمْ يَجْتَمِعْ لَكَما تُحِبُّ من نَفْسِكَ وفَرَاغَ نَظَرِكَ وفِكْرِكَ فأعْلم أنَّكَ إِنَّما تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وتَتَورَّطُ الظَّلْماءَ وَلَيْسَ طالِبُ الدِّين مَنْ خَبَطَ أوْ خَلَطَ والإِمْسَاكُ عَنْ ذَلكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّم يَا بُنيَّ وَصِيَّتِي واعلم أنَّ مَالِكَ المَوْتِ هُوَ مَالِكُ الحَيَاةِ وأنَّ الخَالِقَ هُوَ المُمِيتُ. وأَنَّ المُفْنِيَ هُوَ المُعِيدُ وأنَّ المُبْتَلِيَ هُوَ المعافِي وأنَّ الدُّنْيا لمْ تَكُنْ لِتسْتَقِرِ إِلَّا علىٰ مَا جَعَلَها اللَّهُ عَليهِ منْ النَّعماءِ والابْتِلاَءِ والجَزَاءِ فِي المَعادِ أوْ ما شَاءَ مِمّا لا تَعْلَمْ فأنْ أشْكلَ عَليكَ شَيْءٌ منْ ذَلِكَ فأحمِلهُ علىٰ جَهالَتِكَ بِهِ فَأنَّكَ أوَّلُ مَا خُلِقْتَ جاهِلاً ثُمَّ عُلمتَ وَمَا أكْثَرَ ما تَجْهَلُ منَ الأَمْرِ ويَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصُرُهُ بَعْدَ ذلِكَ فاعْتَصِمْ بالَّذِي خَلَقكَ ورَزَقكَ وسَوَّاكَ وَلَيكُنْ لهُ تَعَبُّدُكَ وإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ ومِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وأعْلَمْ يَا بُنَّي أنَّ أحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنْ اللَّهِ كَمَا أنْبأَ عَنْهُ الرَّسُولُ اللَّهُ ﷺ فأرْضَ بِهِ رائِداً وإلىٰ النَّجَاةِ قَائِداً فإِنِّي لمْ آلُكَ نَصِيحَةً وإِنَّكَ لَمْ تَبْلُغَ في النَّظرِ لِنَفْسِكَ وإنْ اجْتَهَدتَ مَبْلغَ نَظَرِي لَكَ...

◁ اللغة

(أَبَتْ) أي مَنَعت (بتَوَرُّطِ الشُّبُهاتِ) أي الإقتحام فيها (أوْلَجَتكَ) أي أدخلَتك (تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ) أي تَخْبِطُ خبط الْعَشْوَاءَ فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والخَبَط الإشتباه والغلط والْعَشْوَاءُ بفتح العين الضَّعيفة البَصر (رائِداً) الرّائد من ترسله في طلب الكلاء ليَتعرف موقعه (لم آلُكَ) أي لم أقصر:

◁ **المعنىٰ**

وإعلم: يا بُنَيَّ أنَّ أحَبّط ما أنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ منْ وَصِيَّتي تَقْوَىٰ اللَّهِ) فأنّها خير الزّاد والإقْتِصَارُ) والإكتفاء (**عَلىٰ مَا فَرَضَهُ اللَّهِ عَلَيْكَ**) من الواجبات الشّرعية (**والأَخْذُ بِمَا مَضَىٰ عليْهِ الأَوَّلُونَ منْ آبائِكَ والصَّالِحُونَ مِنْ أهْلِ بَيْتِكَ**) من التّوحيد والمعرفة وفعل الخيرات والإجتناب عن المعاصي (**فَإِنَّهُمْ لمْ يَدَعُوا**) أي لم يتركوا (**أنْ نَظَرُوا لأَنْفُسِهِمْ كَما أنْتَ نَاظِرٌ**) فِي نَفْسِكَ (**وَفكَّرُوا**) فِي أَمْرِهِم (**كَما أنْتَ مُفكِّرٌ**) فيه (**ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ**) أي رَدّهم التّفكر (**إلىٰ الأَخْذِ بِما عَرَفُوا**) بسببه (**والإمْسَاكَ عمَّا لمْ يُكلّفُوا**) أي إمْسَاكَ أنْفسهم عمّا لم يُكلّفهم اللّه به (**فإنْ أبَتْ**) وَمَنعت (**نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ**) أي إن أبت نَفْسُك من قبوله (**دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَما عَلِمُوا فَلْيكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفهُّمٍ وتَعَلُّمٍ لا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهاتِ**) والدّخول فيها (**وعُلوًّا لخُصُوصِيَّاتِ**) وفي بعض النّسخ عُلوٌّ الخُصُوصِيَّاتِ بالعين وفي نسخة أُخرىٰ عُلق الخصُومات وتفصيل الكلام في الشّرح.

(**وَأَبدَأ قبلَ نَظرِكَ فِي ذَلِكَ**) الّذي ذكرته لك (**بالإسْتِعانَةِ**) والإستمداد (**بإلٰهِكَ**) فأن التّوفيق منه (**والرَّغْبَةِ إِليْهِ فِي تَوفِيقكَ**) لأنّه وفقّك فيجب أن ترغب اليه شكراً له (**وتَرْكَ كُلّ شائِبَةٍ**) وريب (**أَوْلَجَتْكَ**) وأدخلتك (**فِي شُبْهةٍ أَوْ أَسْلَمَتكَ الىٰ ضَلالَةٍ**) وغواية (**فإِذا أَيْقَنْتَ أَنْ قدْ صَفَا قلْبُكَ فَخَشَعَ**) وذّل (**وَتمَّ رأيُكَ فاجْتَمَعَ**) من غير تزلزلٍ وإضطراب (**وكانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً واحداً فَانْظُرْ فِيما فَسَّرْتُ لَكَ**) في هذه الوصية (**وإِنْ أنْتَ لمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ من نَفْسِكَ وفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ**) ممّا ذكرته لك (**فأعْلم أنَّكَ أنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ**) أي تَخْبطُ **خَبِطُ الْعَشْوَاءَ**) أي الضّعيفة البَصر (**وتَتَورَّطُ الظَّلْماءَ**) وتدخل فيها، (**وَلَيْسَ طالَبُ الدِّين مَنْ خَبَطْ**) فِيهِ (**أَوْ خَلَطَ**) أي خَلَطَ الحقّ بالباطل (**والإمْسَاكُ عَنْ ذلكَ أَمْثَلُ**) وأحسن لِلسّالك في سبيل اللّه (**فتَفَهَّم يَا بُنَيَّ وَصِيَّتي واعلم أنَّ مَالِكُ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكَ الْحَيْاةِ**) وَهُوَ اللَّه تعالى الّذي يُحيي

ويُميت ويّـميت ويّـحيي (وأنَّ الخَالِقَ) المـوجد (هُوَ المُمِيتُ) المُـفني (وأنَّ المُفْنِيَ هُوَ المُعِيدُ) ثانياً (وَأنَّ المُبْتَلِيَ) بالبلاء (هُوَ المُعافِي) والمُبرء عنه (وأَنَّ الدُّنْيَا لمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ) وتثبت (إلّا عَلىٰ مَا جَعَلَها اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ النَّعماءِ والابْتِلاءِ والجَزَاءِ فِي المَعادِ أوْ مَا شاءَ مِمَّا لا تَعْلَمُ) أي أنّ الدُّنيا محفوفة بـهذه الأُمـور ويتّعقبها الجزاء في المعاد وغيره ممّا لا يعلمه إلّا هو (فأنْ أشْكلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فأحْمِلهُ علىٰ جَهَالَتِكَ بِهِ) أي بالشّيئ فأنّ أسرار الخلقة وما بعدها لا يعلمها إلّا هو، (فأنَّكَ أوَّلُ مَا خُلِقْتَ جاهِلاً) فِي أَوَّل الأمر (ثُمَّ عُلمْتَ) بَعْدَ ذَلِكَ (وَمَعَ أَكْثَرَ ما تَجْهَلُ منَ الأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فيهِ رَأْيُكَ) أي أنّ المجهولات كثيرة وموارد الحَيرة لا تعد ولا تُحصىٰ (وَيَضِلُّ فِيهِ بَصرَكَ) ويخطئ (ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ) أي بـعد الخـطأ (فاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ) وَلا تـعتصم بـغيره إذ المخلوق لا يقدر عـلىٰ شـيئ، (ولْيَكُنْ لَهُ) تـعالىٰ (تَعَبُّدُكَ وإلِيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ) وخوفك (واعْلَمْ يا بُنَيَّ أنَّ أحَداً لَمْ يُنْبِئْ) ولمْ يُخبر (عَنِ اللَّهِ تَعالىٰ) وصفاته (كَمَا أنْبأَ) وأَخبَر (عَنْهُ) عَنِ اللهِ تَعَالىٰ (الرَّسُولُ ﷺ فأرْضَ بِهِ) أي بما أخبَر به الرّسُولُ (رائِداً) قاطعاً وجـازماً (والىٰ النَّجَاةِ قَائِداً) ودليـلاً (فإنِّي لمْ آلُكَ) لم أقصر (نَصِيحَةً) أي في نصيحتك (وإنَّكَ لَنْ تَبْلغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ وَإنْ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ) فأنّ ما ذكرته لك أوفىٰ وأكمَل:

◁ الشّرح

▫ قوله ؑ: واعلمْ يَابُنَيَّ أَنَّ أَحْبَّ مَا أنْتَ آخِذٌ بِهِ إليَّ من وَصِيَّتِي تَقْوىٰ اللَّهِ والإقْتِصَارُ عَلىٰ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ والأَخْذُ بِمَا مَضَىٰ عليْهِ الأَوَّلُونَ منْ آبائِكَ والصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتكَ...

أي أنّي أُحبُّ أنْ تأخذ من وَصِيّتي هذِهِ أُموراً ثلاثة هي أَهمّها بل أصـلها وأساسها:

أحدها: تقوىٰ اللّه الّتي هي خير الزّاد ليوم المعاد وقد مَرّ الكلام فيها غير مرّة:

وثانيها: الإِقْتِصَارُ والإكتفاء على ما فَرَضه اللّه عليك من الواجبات الشّرعية بإتيانها بشرائطها أن قلت ما معنىٰ الإقْتِصَارُ علىٰ ما فَرَضَهُ اللّٰهُ فأن كان المراد الإكتفاء علىٰ الواجَبات فقط كما فسّرت الكلام به يـلزم عـدم جـواز العَـمَل بالمُستحبات وخروجها عن الدّين مع أنّ الأخبار ناطقة بأنّها مُكمّلة للواجبات ولها أجر عظيم في الشّريعة وأن كان المراد غيره فما هو قلت، لعلّ المراد من الإقتصار علىٰ ما فَرَضه اللّه الأقتصار بعنوان الفرض بمعنىٰ عدم إدخال شئ في الدّين بهذا العُنوان وقد يُعبّر عنه بالبدعة الّتي هي عبارة عن إدخال ما ليس من الدّين فيه ولعلّه إشارة الىٰ عدم إعتبار ما أبدَعُوه بعد الرّسول في الدّين وجعلوه من الواجبات فمحصّل كلامه عليه السلام اقتصر على ما فَرَضه اللّه ولا تعتني بغيره هذا **أوّلاً.**

وثانياً: إثبات الشّئ لا ينفي ما عداه فإذا قيل إقتصر علىٰ ما فَرَضه اللّه ليس معناه عدم التّجاوز عنه الىٰ المُستحبات بل معناه أنّ الواجبات ممّا يجب الإتيان بها قطعاً وعليه فذكر الفرائض مُشعر بالأهَمّية والأفضلية هذا كلّه بناء علىٰ كون الفَرض بمعنىٰ الوجوب وأمّا إذا قلنا أنّ الفَرض في كلامه عليه السلام يُحمل على مَعناه اللّغوي الأعمّ من الواجب والنّدب، فالإشكال مُندفعٌ مـن أصـله وذلك لأنّ الفَرض في اللّغة التّقدير يقال فرض الأمر أي قدّره ومن المعلوم أنّ المُستَحب أيضاً مفروض لِللّه تعالىٰ وإلّا لم يأمر به ولَو ندباً.

وثالثها: الأخذ بما مضىٰ عليه الأوّلون، إختلفت كلمات الشّراح في المراد بالأوّلين وأهل بيته الصّالحين فقال الشّارح المُعتزلي المراد بهم المُـهاجرون الأوّلون من بني هاشم وبني المُطّلب كحمزة وجـعفر والعَـبّاس وعُـبيدة بـن الحارث وكأبي طالب في قول الشّيعة وكثير من أصحابنا وكعبد المُطّلب في قول الشّيعة خاصّة انتهىٰ ما ذكره في المقام.

أقول: الظّاهر أنّ المراد من آبائه الأوّلين آبائه وأجداده الىٰ آخرهم من أمير المؤمنين وأبي طالب ورسول اللّه صلى الله عليه وآله وعبد المُطّلب وهـاشم وعـبد مـناف

وهكذا فأنّهم بأجمعهم كانوا آباء له وأمّا المراد بالصّالحين من أهل بيته الماضين غير الآباء أمثال جعفر بن أبي طالب وعُبيدة بن الحارث وحمزة وغيرهم فقول المُعتزلي بخروج أمير المؤمنين عن الآباء بدعوى أنّه لم يكن من أهل المبادئ لا معنىٰ له إذ لا فرق عندنا بين أمير المؤمنين وأبي طالب وعبد المُطّلب من هذا الجهة وأن كان ﷺ أفضل من الكلّ وذلك لأنّا نقول أنّ آبائه عليهم السّلام كانوا من المُوحدّين المُطهرين عن كلّ شركٍ ورجسٍ كما ورد في الزّيارة: «أشهد أنّك كُنت نوراً في الأصلاب الشّامخة والأرحام المُطّهرة لم تُنجسك الجاهليّة بأنجاسها ولم تُلبسك من مُدلهمّات ثيابها».

هذا في معنىٰ الأوّلين والصّالحين وأمّا أنّ المأخوذ عنهم ما هو فسيجيئ الكلام فيه:

▫ قوله ﷺ: **فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَظَرُوا لأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ وفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفكِّرٌ ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلىٰ الأَخْذِ بِما عَرَفُوا والإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكلَّفُوا...**

أي فأنّ الآباء والصّلحاء من أهل بيتك لم يتركوا من النّظر لأنفسهم كما أنت ناظر في نَفْسُكَ ومن التّفكر في أمورهم كما أنت مُفكّرٌ فأنّ حُكم الأمثال واحد ثمّ رَدّهم أي رَدّ الآباء والصّلحاء الىٰ الأخذ بما عَرفوا أي صاروا مأمورين به والإمساك عمّا لم يكلّفوا به عقلاً وشرعاً وأنت أيضاً كذلك وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّهم بعد النّظر والتّفكر أخذوا بما عرفوه وأَمسَكوا عمّا لم يعرفوه بعنوان التّكليف:

قال الشّارح المعتزلي فأن قلت ما معنىٰ قوله لم يَدَعوا أن نظروا لأنفسهم، قلت لأنّهم إذا تعقّلوا الأدّلة وفكّروا فيها فقد نظروا لأنفسهم كما ينظر الإنسان لنفسه ليخّلصها من مضّرة عظيمة سبيلها أن تقع به أن لم ينظر في الخلاص فيها وهذا هو الوجه في وجوب النّظر في طريق معرفة الله والخوف من إهمال النّظر، فأن قلت ما معنىٰ قوله الىٰ الأخذ بما عرفوا والإمساك عمّا لم يكلّفوا، قُلت الأخذ بما عرفوا مثل أدّلة حدوث الأجسام وتوحيد الباريْ وعدله والإمساك عمّا لم يُكلّفوا مثل النّظر في إثبات الجزء الّذي لا يتجزأ ونَفيه ومثل

الكلام في الخلاء والمَلاء والكلام في أنّ هل بين كلّ حركتين مستقيمتين سكون أم لا وأمثال ذلك ممّا لا يتوقف أُصول التّوحيد والعدل عليه فأنّه لا يلزم أصحاب الجَمَل والمبادئ أن يخوضوا في ذلك لأنّهم لم يُكلّفوا الخَوض فيه وهو من وظيفة قوم آخرين انتهىٰ ما ذكروه.

وأنا أقول: ما ذكره لا يرجع الىٰ مُحصّل بل العقل السّليم يأباه وذلك لأنّ ملخص كلامه أنّهم أي الأوّلين عرفوا مثل حدوث الأجسام وتوحيد البارئ وأمسكوا عمّا لم يُكلّفوا به مثل النّظر في إثبات الجزء الّذي لا يتّجزأ وبعبارةٍ أُخرىٰ عَرفوا الأدلّة العقّلية السّهلة وأمسكوا عن العقلّيات الصّعبة وعليه فكلام علّي عليه السلام أيضاً يُحمل عليه بمعنىٰ أنّ الحَسَن بن علّي عليه السلام ومن تبِعه في هذه الوصّية مأمور بمعرفة ما عرفوه وإمساك ما أمسكُوا عنه، وليس كذلك بل كلام علّي عليه السلام أَجنبيّ عن هذا التّفسير بالكلّية فأنّ الخوض في العقلّيات يتّصور علىٰ وجهين:

أحدهما: الخَوض في الأمور العقّلية الّتي لا طائل تحتها.

وثانيهما: الخَوض في العقّليات المُفيدة العميقة.

أمّا الأوّل: فالبحث عنه لغوٌ مَحض والخَوض فيه من تَضييع العُمر بالنّسبة الىٰ الكلّ.

وأمّا الثّاني: فهو مُفيد جدّاً فأن كان مراد الشّارح من الإمساك عمّا لم يكلّفوا معنىٰ الأوّل فالإمساك عنه لازم في الكلّ وأن كان الثّاني فمعرفته لازم للكلّ فقوله في آخر كلامه وهو من وظيفة قوم آخرين لا معنىٰ له والإنصاف أنّ الشّارح لم يفهم معنىٰ كلامه عليه السلام والّذي ينبغي أن يحمل الكلام عليه هو أنّ النّظر والتّفكر في باب المعرفة تارة يكون في معرفة كُنه ذاته وحقيقته البسيطة الواجبة، وأُخرىٰ في معرفة ذاته بسبب آثاره وصفاته وأفعاله ولا شكّ أنّ الأوّل ممنوع عقلاً وشرعاً.

أمّا عقلاً لعدم إمكان تعّقل المُتناهي غير المُتناهي كما ثبت في محلّه وأمّا

شرعاً فلما سيأتي، وأمّا الثّاني أعني معرفة الواجب بصفاته وأفعاله فهو أمر ممكن مقدور بل مأمور به إذا عرفت هذا فنقول:

قوله ﷺ: **فإِنَّهُمْ لمْ يَدْعُوا أنْ نَظَرُوا لأَنْفُسِهِمْ** الىٰ قوله بما عرفوا إشارة الىٰ المقام الثّاني وقوله والإمساك عمّا لم يكلّفوا إشارة الىٰ المقام الأوّل أعني التّفكر في ذات اللّه تعالىٰ فأنّه مَنْهيّ عنه لأنّه يُوجب الدّهشة والحيرة والضّلالة وبالأخرة ينتهي الىٰ الكُفر، والدّليل علىٰ ما ذكرناه وحقّقناه مَوجُود قال اللّه تعالىٰ في كتابه في النّظر الىٰ الأنْفس: **﴿وَفِي أنفُسِكُم أفَلاَ تُبْصِرُون﴾** (١)

و : **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الأفَاقِ وفِي أنْفُسِهِمْ حتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُ الحَقُّ أوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ شَهِيد﴾** (٢)

فقول أمير المؤمنين ﷺ: **فإِنَّهُمْ لمْ يَدْعُوا أنْ نَظَرُوا لأَنْفُسِهِمْ**، إشارة الىٰ ما ذكره اللّه في كتابه لا الىٰ ما ذكره المعتزلي من أنّهم إذا تعقلوا الأدلة فقد نظروا لأنفسهم.

وقوله ﷺ: **وفَكَّرُوا كَمَا أنْتَ مُفكِّر** إشارة الى قوله تعالىٰ: **﴿أوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أنْفُسِهِم مَا خَلَقَ اللّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وَأجَلٍ مُسَمَّىٰ﴾** (٣)

و : **﴿أوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** (٤)

و : **﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالأرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار﴾** (٥)

و : **﴿وتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (٦) وغيرها من الآيات.

وأمّا قوله ﷺ: **ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذٰلِكَ إلىٰ الأخْذِ بِما عَرَفُوا**، معناه أنّهم بعد التّفكر في الآفاق والأنفس يرجعون الىٰ أنفسهم فيعلمون أنّه الحقّ فلا محالة يأخذون به وهذا هو المراد بالأخذ بما عَرفُوه وأمّا قوله ﷺ: **والإمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا** هو كما ذكرناه إشارة الىٰ النّهي عن مقام التّفكر في ذاته تعالىٰ فأنّ اللّه

١- الذّاريات ـ٢١
٢- فصلت ـ٥٣
٣- الروم ـ٨
٤- الروم ـ٩
٥- آل عمران ـ١٩١
٦- الحشر ـ٢١

قال في كتابه: ﴿وَأَنَّ اَلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ﴾

وقد ورد في تفسير الآية عن أبي عبد اللّه قال إذا إنتهىٰ الكلام الىٰ اللّه فأمسكوا وتكّلموا فيما دون العَرش ولا تكّلموا فيما فوق العَرش فأنّ قوماً تكّلموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتّى كان الرّجل يُنادي من بين يديه فيجيب من خلفه ويُنادي من خَلفه فيجيب من بين يديه انتهىٰ« بحار الانوار ج ٢ ص ٨٢»...

وعنه ﷺ أيّاكم والتّفكر في اللّه فأنّ التّفكر في اللّه لا يزيد إلّا تيهاً أنّ اللّه عزّ وجلّ لا تُدركه الأبصار ولا يُوصف بمقدار انتهىٰ« ص ٨٢»...

وعن سلمان بن خالد قال قال أبو عبد اللّه ياسلمان أنّ اللّه يقول وأنّ الىٰ ربّك المُنتهىٰ فإذا إنتهىٰ الكلام الىٰ اللّه فأمسكوا انتهىٰ« ص ٨٣»...

وعن حسين بن مياح عن أبيه قال سمعت أبا عبد اللّه يقول من نَظر فيّ اللّه كيف هو هَلَك انتهىٰ« ص ٨٣»...

وعن محمّد بن مُسلم قال قال أبو جعفر يامحمّد أنّ النّاس لا يزال لهم المنطق حتّىٰ يتكّلموا في اللّه فإذا سمعتم ذلك فقولوا لا إِله إلّا اللّه الواحد الّذي ليس كمثله شئ انتهىٰ« ص ٨٣»...

والرّوايات كثيرة وهذا معنىٰ قوله ﷺ **والإمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا** لا ما ذكره المعتزلي من أنّ المراد به التَّعمّق في العَقَليات مثل الجُزء الّذي لا يتّجزىٰ وغير ذلك أَلَيس حمل كلام أمير المؤمنين ﷺ علىٰ هذه الأباطيل من الهذيان، مُضافاً الىٰ أنّه لقائلٍ أن يقول ما الدّليل علىٰ مَنع الخَوض في العقّليات الدّقيقة أمثال الجُزء الّذي لا يتَجزىٰ وأيّ دليل علىٰ إختصاص هذه المباحث لقومٍ آخرين ثمّ أيّ ربطٍ بين كلامه ﷺ وهذه المَوهومات والمُزخرفات إلّا قِلّة الفهم وسُوء التّدبُر.

▫ **قوله ﷺ: فإنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أنْ تَقْبَلَ ذلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتفهُّمٍ وتَعلُّمٍ لا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهاتِ وَعلوِّ الْخُصُوماتِ...**

وإعلم: أنّ المعتزلي قال في شرح هذا الكلام أيضاً ما يدّل على أنّه لم يفهم مراد أمير المؤمنين ونحن نذكر لك ما ذكره وما يرد عليه ثمّ نشرح الكلام على ما فَهِمناه منه:

قال ما هذا لفظه قوله ﷺ **فإنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذٰلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا،** هذا الموضع فيه نظر لأنّا قد قلنا أنّهم لم يعلموا التّفاصيل الدّقيقة فكيف يجعلهم عالمين بها ويقول أن تعلم كما علموا، وينبغي أن يُقال أنّ الطاف وما عملت فيه في موضع نصبٍ لأنّه صفة مصدر محذوف وتقديره فأن أَبَت نفسك أن تقبل ذلك علماً كما عَلِمُوا دون أن تَعلَم التّفاصيل الدّقيقة وساق الكلام الىٰ أن قال وجوز أن يُقال كما علموا الأن بعد مَوتهم فأنّهم بعد المَوت يكونون عالمين بجميع ما يُشتبه علمه علىٰ النّاس في الحياة الدّنيا انتهىٰ موضع الحاجة منه.

وأنت ترىٰ كيف إضطرب الشّارح في تفسير الكلام حيث يقول هذا الموضع فيه نظر وثانياً يحمل قوله ﷺ: **كما علموا،** علىٰ العلم بعد مَوتهم فأنّ هذه الأراجيف كلّها يدّل علىٰ عجزه عن فهم الكلام إلّا أنّه لو أقّر به لكان له أوَلىٰ وأَنسَب فأنّ المَرء ما لم يتّكلم بشئ لا يُعرف ميزان علمه وفَهمه وفهم كلام المعصُوم لا يمكن إلّا لِمَن تمَسك فيه بذيل عنايته إذا عرفت ما ذكره فنقول :

ليس معنىٰ قوله ﷺ: **من دُونَ أَنْ تَعلَمَ كَما عَلِمُوا،** التّفاصيل الدّقيقة بمعنىٰ أنّ أمير المؤمنين جَعلهم عالمين بها ولم يكونوا عالمين بها بزعم الشّارح وهذا هو وجه النّظر منه، بل المعنىٰ فأن أَبَتْ نَفْسُكَ أنْ تَقْبَلَ مَا ذَكَرناه من عدم جواز الخَوض فيما لا ينبغي للإنسان كالتّفكر في ذات الله تعالىٰ مثلاً دون أن تعلم بالعلم القطعي اليقيني عدم جوازه كما علموا أي كما أنهم كانوا عالمين بعدم الجواز فَليكُن طلبك ذلك بتفهم وتعَلم أي فأن كنت ولابدّ من طلبه فلا تطلبه إلّا بالتّفهم والتّعلم فإذا كان الطّلبُ كذلكَ يعلم الطّالب أنّه لا يصل اليه لا بتورّط

الشّبهات والدّخول فيها وعُلّو الخصُومات والتّمسّك بها فأنّه ليس عن علمٍ وفَهم بل عن مُتابعة الظّن والحَدس وحاصل الكلام لا يخلو أمرك من أمرين: **أحدهما:** القبول لما ذكرت لك، وثانيهما عدم القبول فعلى الأوّل لا كلام فيه.

وأمّا على الثّاني: أعني عدم القبول الّذي لا يكون إلّا بغير علم ما طلب ما تَطلُب عن فهم وعلمٍ لتَعلم صدق ما قلناه وأنّه لا طريق سواه لا بالدّخول في الشّبهات المُهلكّة والخصُومات المُردية وهذا كلام مستقيم لا وجه للنّظر فيه أصلاً فقوله ﷺ: **دُونَ أَنْ تَعَلَمَ كَما عَلِمُوا،** معناه دون أن تعلم ما أوصيتك به كما علموا أو دون أن تعلم عدم الخَوض كما علموا فإفعل كذا وكذا ثمّ أنّ التّورُط في الشّبهات معناه واضح وأمّا عُلّو الخصُومات فالمراد به التّفكر فيما لا ينبغي كالتّفكر في ذات اللّه وهذا الكلام مشعرٌ بصّحة ما قلناه في تفسير كلامه ﷺ من أنّ المراد بالإِمْسَاكُ عمّا لم يُكلّفوا هو التّفكر في ذات اللّه تعالىٰ:

(روي في البحار بأسناده عن أبي عبيدة الحذّاء قال قال أبو جعفر يا زياد **أيّاك والخصُومات فأنّها تُورث الشّك وتحبط العَمل وتردي صاحبها وعسىٰ أن يتّكلم الرّجل بالشّيّ لا يُغفر له يا زياد أنّه كان فيما مضىٰ قوم تركوا علم ما وكّلوا به وطلبوا علم ما كّفوه حتّىٰ انتهىٰ بهم الكلام الىٰ اللّـه عـزّ وجلّ فتّحيروا الحديث** «ج ٢ ص ٨٢»...

وبذلك قد ظهر لك أنّ الصّحيح هو عُلّو الخصُومات كما إخترناه لا عُـلّو الخصوصّيات كما في النّسخة المطبوعة بمصر في شرح الشّيخ عبده ولا عُلَق الخصُومات كما في شرح المُعتزلي نعم في نسخةٍ قديمة غُـلّو الخـصُومات بالغين وهو قريب ممّا ذكرناه إذا لا فرق معنىً بين الغلّو والعُلّو إلّا بالإعتبار.

▫ **قوله ﷺ: وأَبْدَأْ قَبلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بالاِسْتِعانةِ بإلٰهِكَ والرَّغْبةِ إلَيْهِ فِي تَوفِيقِكَ وتَرْكَ كلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتكَ فِي شُبْهةٍ أَوْ أَسلَمَتَكَ إلىٰ ضَلاَلَةٍ...**

أي وأبْدأ قَبْل نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ الطّلب الّذي أَنْتَ بصدد تحصيله وكَسبه

بالإستعانة بإلهك والإستمداد منه والرّغبة اليه في توفيقك وترك كلّ شائبةٍ وشكٍ أولَجَتكَ وأدخَلتك في شبهةٍ من الشّبهات أو أسلَمتك الىٰ ضلالةٍ وغوايةٍ والحاصل أنّ الأمُور بيده والتّوفيق منه فينبغي للعبد أن يستعين به في جميع الأمور ومع ذلك ينبغي له مُراعاة الإحتياط في الشُبهات المُضلة فأنّ السّالك لا يمكن له الخروج عن هذه الوَرطة إلّا بتوفيق من اللّه تعالىٰ.

□ قوله عليه السلام: **فإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ وَتُمَّ رَأيُكَ فأجْتَمعَ وَكانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً واحداً فانْظُرْ فِيما فَسَّرْتُ لَكَ...**

أي إذا إستعنت باللّه تعالىٰ ووفّقك اللّه فيما تحبّ وترضىٰ وأيقَنت أن قد صفا قلبك وطَهُر عن الأرجاس الباطنة كالرّياء والبخل والحَسد وأمثالها فخشع قلبك لأنّ خشوع القلب علامة صفاءه وطهارته وتمّ رأيك فأجتمع فأنّ إجتماع الرّأي وعدم التَّشتُت فيه علامَة قاطعيته وتماميّته، وكان همّك وقصدك في ذلك المطلوب الّذي حَصَل لك همّاً واحداً لا خلاف فيه ولا إضطراب فأَنظر فيما فسّرت لك من الوصّية وإعمل بها.

□ قوله عليه السلام: **وإِنْ أَنْتَ لمْ يَجْتَمِعْ لَكَ ما تُحِبُّ من نَفْسِكَ وفَرَاغِ نَظَرِكَ وفِكْرِكَ فاعْلم أَنَّكَ إِنَّما تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وَتَتَورَّطُ الظَّلْماءَ وَلِيْسَ طالِبُ الدِّينَ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلطَ والإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ...**

أي أن رأيت عدم صفاء قلبك وتمام رأيك وفكرك وبقيت علىٰ حالة الإضطراب وتَشتُت الأحوال فإعلم أنّك أنّما تَخبِطُ العَشوَاءَ أي تَخبِطُ خبط العَشوَاءَ أعني الضّعيفة البَصر فلا تأمن أن تسقط فيما لا خلاص منه وتورط وتدخل في الظّلماء الّتي لا يمكن لك التّخلص منها إلّا علىٰ صُعوبةٍ وليس طالب الدّين مَن خَبَط أو خَلَط الحقّ بالباطل بالدّخول في الشّبهات بل الإمساك في هذه الموارد أمثَل وأحسَن:

□ قوله عليه السلام **فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وصِيَّتي واعْلم أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكَ الحَيَاةِ وَأَنَّ الخَالِقَ هُوَ المُميتُ وأَنَّ المُفْنِيَ هُوَ المُعِيدُ وأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ المُعافِي...**

أمّا أنّ مَالِكَ المَوْتِ والْحَيَاة واحد فلقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (1) وقوله تعالىٰ: ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيوٰةً وَلاَ نُشُوراً﴾ (2)

وأمّا أنّ الخالق هو المُميت فلقوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِيْنَ﴾ (3)

وأمّا أن المُفني هو المُعيد فلقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (4) وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (5)

وأمّا أنّ المُبتلىٰ هو المُعافي، فلقوله تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (6)

و: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (7)

و: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِيْنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُم﴾ (8)

وغيرها ممّا وَرَد في الإبتلاء وقال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (9)

و: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ (10)

و: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (11)

وملخّص الكلام في هذه الآيات أنّ أمر المَوْتِ والْحَيَاةِ والفناء والإعادة والإبتلاء والعَفو بيد اللّه تعالىٰ ولا دَخل لأحدٍ فيها فينبغي للعبد أنّ يتّوجه الىٰ خالقه الّذي أزمّة الأُمور طَرّاً بيَده، والكُلّ مُستمّدةٌ من مَدده.

□ **قوله ﷺ: وأنَّ الدُّنْيا لمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِر إلَّا علىٰ ما جَعَلَها اللَّهُ عَليهِ منْ النَّعماءِ والابْتِلاَءِ والجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ أوْ مَا شَاءَ مِمَّا لا نَعْلَمُ...**

الواو للعطف أي وإعلم أيضاً أنّ الدّنيا مَجعُولةٌ علىٰ ما جَعَلَها اللَّهُ عَلَيْهِ لا

1- الملك ـ2
2- الفرقان ـ3
3- الواقعة ـ60
4- البقرة ـ56
5- العنكبوت ـ57
6- الانبياء ـ35
7- الاعراف ـ168
8- سورة محمّد آية 31
9- آل عمران ـ155
10- آل عمران ـ152
11- الشّورىٰ ـ25

تبديل لخلقه ففيها النَّعماءِ والإبْتَلاء بِهَا ثُمّ الجَزَاءِ فِي المَعادِ أوْ مَا شَاءَ اللّه ممّا لا تعلم ولا يعلمه إلّا هُو والمقصود أنّ أحداً من الخلق لا يقدر على تغيير الدّنيا عمّا خُلِقت عليه:

▫ قوله ﷺ: **فأنْ أشْكلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ منْ ذَلِكَ فأحْمِلْهُ عَلىٰ جِهَالَتِكَ بِهِ فَأنَّكَ أَوّلُ مَا خُلِقْتَ جاهِلاً ثُمَّ عُلِمتَ ومَا أكْثَرَ مَا تَجْهَلُ منَ الأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رأيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرَكَ ثُمَّ تُبْصُرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ...**

أي فأن أشكل عليك شيءٌ من أمر الدّنيا وأسرارها الّتي لا يعلمها إلّا خالقها فأحمله أي فأحمل ما جَهلته علىٰ جهالتك لا علىٰ جهالة الخالق فلا تقل أنّ الدّنيا خُلقت ناقصة وذلك لأنّه قد ثُبت أنّ في نظام الكلّ كلٌّ مُنتَظم، والخالق الحكيم لا يخلق إلّا بمقتضىٰ حكمته وَمَصلَحته فلو جَهلنا بها فهو من نَقص علمنا لا من نقص الخالق والمخلوق ثمّ إستدّل ﷺ علىٰ المُدّعىٰ بأنّك كُنتَ في أوّل الأمر جاهلاً ثمّ عِلمتَ فالأصل في الإنسان الجهل ومن المعلوم أنّ المجهولات كثيرة وموارد التّحيُر في عالم الخلقة أكثر من أن تُحصىٰ وقوله ﷺ: **ويَضِلُّ فِيهِ بَصَرَكَ ثُمَّ تُبْصُرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ** يمكن أن يُراد بالبَصَر الحاسّة ويمكن أن يراد به بَصَر القلب أي تَبصيره وكيف كان أنّ الإنسان كثيراً ما يُضَل بَصره ثمّ يُبصره بعده سواء كان في المحسوسات أم في المعقُولات وهو دليل على جهل الإنسان بمقتضىٰ خلقته وفطرته:

▫ قوله ﷺ: **فاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدكَ وإلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ...**

أمّا أنّ اللّه تعالىٰ هو الّذي خَلَقنا بعد الأدلّة العقلية قوله تعالىٰ: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾**(١)

و: **﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الإِنسَٰنَ﴾**(٢)

١- الفرقان ـ٥٤

٢- الرّحمٰن ـ٣

و : ﴿**خَلَقَ الإِنْسَٰنَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾ (١)

وقال في الرّزق:(**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُم**﴾ (٢)

و : ﴿**وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (٣) وغيرها من الآيات:

وأمّا قوله ﷺ: **فسّواك** فهو إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:(**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**﴾ (٤)

و : ﴿**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ**﴾ (٥)

و : ﴿**وَالَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ**﴾ (٦)

وإذا كان اللّه تعالىٰ هو الخالق والرّازق والمُسَوِي لا غيره فلا محالة تكون العُبّودية له تعالىٰ لا لغيره إذ لا حقّ لغيره علينا يُوجب العُبودّية له وأيضاً الرّغبة اليه، أمّا لكونه خالقاً رازقاً والمخلوق المرزوق لا يرغب الىٰ غير خالقه ورازقه وأمّا لأنّ غيره تعالىٰ كائناً من كان لا أَثر له لأنّه محتاج اليه فالرّغبة الىٰ المخلوق الضّعيف لا مجّوز لها عقلاً وقوله منه شَفَقَتْك أي خوفك ووجهه قد ظهر ممّا ذكرناه:

ويمكن أن تكون العبارة علىٰ سبيل اللّف والنّشر المرّتب بمعنىٰ أنّ التّعبد متّفرع علىٰ الخلقة والرّغبة علىٰ الرّزق والشّفَقة علىٰ التّسوية، وذلك لأنّ العقل يحكم بالعُبّودية في جنب الخالق فأن المخلُوق خاضع لا محالة لخالقه كما أنّ الرّغبة الىٰ الرّازق، والخوف مِمّن سوّاه وكيف كان فاللّام في قوله ﷺ: **وليكُن،** للتّأكيد المفيد لِلحَصِر،

أن قلت ـ ما الفرق بين قوله ﷺ: **خلقك** رقوله **وَسَوَّاكَ أَلَيسَ** هذا من التّكرار المعنوي، قلت لا فأنّ التّسوية ترتبط بالجسم وأمّا الخلقة فهي نفخ الرّوح فيه ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ يقول في كتابه:﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ**

١- الرّحمٰن ـ ١۴ | ٢- الروم ـ ۴٠
٣- البقرة ـ ٢۶٢ نور ٣٨ | الانفطار ـ ٧
۵- السّجدة ـ ٩ | ۶- الاعلىٰ ـ ٢

سَاجِدِينَ﴾[1] أو نقول أنّ الخلقة هي الإيجاد وهو بعد تسوية الجسم فالفرق واضح:

▫ **قوله ﷺ: واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لمْ يُنْبِئْ عَنْ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ فأَرْضَ بِهِ رائِداً وإِلَىٰ النَّجَاةِ قَائِداً فإِنِّي لمْ آلُكَ نَصِيحَةً وإِنَّكَ لنْ تَبْلُغَ في النَّظَرِ لِنَفْسِكَ وإِنِ اجْتَهَدْتَ مَبْلغَ نَظَرِي لَكَ...**

ثمّ قال ﷺ أنّ الرّسول ﷺ قد أخبَرَ عن اللّه تعالىٰ وصفاته وأفعاله بما لم يُخبر به أحدٌ و ذالك لأنّ الرّسول أقرب الخلق اليه فهو ﷺ كان أعرف باللّه من غيره كائناً من كان وإذا كان كذلك فيجب أن يُتّبع الرّسول فيما قال لقوله تعالىٰ:**﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[2] وقوله تعالىٰ:**﴿وَلَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**[3]

ولأجل هذا قال ﷺ: **فَأَرْضَ بِهِ رائِداً** أي فأرضَ بالرَّسُولُ أوْ بمَا أخبَرَ به رائداً والرّائد من تُرسله في طلب الكِلاء ليتّعرف مَوقَعه وحيث أنّ الرّسول قد عرف اللّه وأخبَرنا به فهو رائد سعادتنا وقائد نجاتنا عن الضّلالة والغواية في الدّنيا والعذاب في الآخرة ثمّ قال ﷺ: **فإِنِّي لمْ آلُكَ** أي لم أقصر عن نصيحتك وأنّك لن تبلغ في النّظر لنفسك وإن إجتهدتَ فيه مبلغ نظري لك وكلمة لَن لنفي الأبد ومحصّل الكلام هو أنّ ما قلته لك فوق ما يمكن أن تصل اليه بأجتهادك فأفهمه وإغتنمه:

روي في البحار بأسناده عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين هل تصّف ربّنا نزداد له حُبّاً وبه معرفة فغضب وخطب النّاس وقال فيما قال، عليك يا عبد اللّه بما دّلك عليه القرآن من صفته وتقدّسك فيه الرّسول من معرفته فأئتّم به وأستَضيئ بنور هدايته فأنّما هي نعمة وحكمة أُوتِيتّها فخُذ ما أُوتيتَ وكُن من الشّاكرين وما كلفّك الشّيطان

١- الحجر ـ٢٩
٢- الحشر ـ٧
٣- الاحزاب ـ٢١

علمه ممّا ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سُنّة الرّسول وأئمّة الهُدىٰ أثره فَكِل علمه الىٰ اللّه ولاتعذر عليه عظمة اللّه وإعلم يا عبد اللّه أنّ الرّاسخين في العلم هُم الّذين أغناهم اللّه عن الإقتحام علىٰ السُّدَد المَضروبة دون الغيوب إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجُوب فقالوا آمنّا به كلّ من عند ربّنا وقد مَدَح اللّه إعترافهم بالعَجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمّىٰ تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كُنهه رُسوخاً «ج ٢ ص ٨١»...

الفصل الرّابع

▫ قوله ﷺ: وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لوْ كانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَلرَأيْتَ آثارَ مُلْكِهِ وَسُلْطانِهِ ولعَرَفْتَ أفْعالَهُ وصِفاتِهِ وَلكِنَّهُ إِلٰهٌ واحِدٌ كَما وَصَفَ نَفْسَهُ لا يُضادُّهُ فِي مُلْكِهِ أحَدٌ وَلا يَزُولُ أبَداً وَلَمْ يَزَلْ أوَّلَ قَبْلَ الأَشْياءِ بَلاَ أوَّلِيَّةٍ وآخِرَ بَعْدَ الأَشْياءِ بَلاَ نَهايَةٍ عَظُمَ عَنْ أنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بإحاطَةِ قَلْبٍ أوْ بَصَرٍ فإذَا عَرَفْتَ ذلِكَ فافْعَلْ كَما يَنْبَغِي لمِثْلِكَ أنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ وقِلَّةِ مَقْدرَتِهِ وكَثْرَةِ عَجْزِهِ وَعَظِيمِ حاجَتِهِ إلىٰ رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِه والخَشْيَةِ منْ عُقُوبَتِهِ والشَّفْقَةِ منْ سُخْطِهِ فَأَنَّهُ لَمْ يَأْمُركَ إِلَّا بِحَسَنٍ ولمْ يَنْهكَ إلّا عَنْ قَبِيحٍ .

يا بُنَيَّ إِنِّي قدْ أنْبأْتُكَ عَنْ الدُّنْيا وَحالِها وزَوَالِها وانْتِقالِها وأَنْبأْتُكَ عَنِ الآخرَةِ وما أُعِدَّ لأَهْلِها فِيها وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهما الأَمْثالَ لِتَعْتَبرَ بِهَا وتَحْذُوَ عَلَيْها. إِنَّما مَثَلُ مَنْ خَبرَ الدُّنْيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفرٍ نَبا بِهِمْ مَنزِلٌ جَدِيبٌ فأمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجنَاباً مَرِيعاً فاحْتَمَلُوا وَعثاءَ الطَّرِيقِ وفِرَاقَ الصَّدِيقِ وَخُشُونَةِ السَّفَرِ وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ لِيأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرارِهِمْ فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ منْ ذلِكَ أَلَماً وَلا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً ولا شَيْءَ أَحبُّ إِليْهِمْ ممَّا قَرَّبَهُمْ منْ مَنْزِلِهمْ وأدْنَاهُمْ إلىٰ مَحلِّهِم.

ومَثَلُ مَنِ اغترَّ بهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كانُوا بِمنزِلٍ خَصيبٍ فَنَباءَ بِهِمْ إلىٰ مَنزِلٍ جَدِيبٍ

فَلَيْسَ شَيْ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلا أَقْطَعُ عِنْدَهُمْ منْ مُفارَقَةِ مَا كَانُوا فيهِإلىٰ مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصيرُونَ إِلَيْهِ.

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بِيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرَكَ فَأحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وأكْرَهُ لهُمَا تُكْرَهُ لَها وَلا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أنْ تُظْلَمَ وَأحْسِنْ كما تُحِبُّ أنْ يُحْسَنُ إليْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِحُ منْ غَيْرِكَ وأرْضَ منْ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لهمْ منْ نَفْسِكَ ولا تَقُلْ مَا لا تَعْلِمُ وإنْ قَلَّ مَا تعلُم ولا تَقُلْ مَا لا تُحِبُّ أَنْ يُقالَ لَكَ.

وَأعْلَمْ أنَّ الإِعْجَابَ ضَدُّ الثَّوَابِ وَآفةُ الأَلْبابِ فأسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلاتَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ وإِذَا كُنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فكُنْ أخْشَعَ ما تَكُونُ لِرَبِّكَ..

وأعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَمشقَّةٍ شَدِيدَةٍ .وأنَّهُ لا غِنَىٰ لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنَ الإِرْتِيادِ وَقَدِّرَ بَلاَغِكَ منَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ فَلاَ تَحْمِلَنَّ علىٰ ظَهْرِكَ فوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وبَالاً عَليكَ وإذا وَجَدْتَ منْ أهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادكَ إلىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تحتاجُ إلَيْهِ فاغْتَنِمْهُ وحَمِّلْهُ أَيَّاهُ وأكْثِرْ منْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فلَعلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ وَأغْتنمْ منْ اسْتَقْرَضكَ فِي حَالِ غِناكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

◁ اللّغة

(حَظِّرِهِ) أي قدره (سَفْرٍ) بفتح السّين وسكون الفاء المُسافرون (جَدِيبٌ)المنزل الجديب المقحط لا خير فِيهِ (فأمّوا) أي قصدوا (خَصِيباً) المنزل الخصيب ضدّ المنزل الجديب، (جنَاباً) الجناب النّاصية (مَرِيعاً) المَريع بفتح الميم وسكون الرّاء كثير العشب (وَعْثاءِ) وَعْثاءِ السّفر مشقّته (جُشُوبَةَ)بضّم الجيم الغلظ او كَون الطّعام بلا أدم (كَدْحِكَ) الكَدح أشّد السّعي (الإرْتِيادِ) الطّالب (وَبالاً) الوبال الوزر:

◁ المعنىٰ

(وأعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لوْ كانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ) في ربُوبيّته (لأَتَتْكَ) بوجود الشّريك (رُسله) أي رُسل اللّـه (وَلرَأيْتَ آثارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفاتِهِ) الضّمائر كلّها يرجع الىٰ الشّريك) وحيث ما رأيت منه أثراً في عالم الوجود فهو الدّليل علىٰ عدم وجوده، (ولكِنَّهُ) أي اللّه تَعالىٰ (وَاحِدٌ كَما وَصَفَ نَفْسَهُ) فقال: ﴿قل هو اللّه أَحَد) وقال: (هو الواحد القهّار﴾ (لا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ) فَلاَ شَرِيكَ لَهُ(ولا يَزُولُ) أي لا يفنىٰ أبداً (وَلَمْ يَزَلْ) أي لا أوّل لوجوده (أَوَّلَ) أي هُوَ أَوَّلَ (قَبْلَ الأَشِياءِ) والموجودات (بَلاَ أَوَّلِيَّةٍ) كانت مسبوقة بالعدم أو بغيرها (وآخِرَ) أي هو آخر (بَعْدَ الأَشْيَاءِ بَلاَ نِهَايةٍ) أي ليست آخريّته ملازمة لنهايته (عَظُمَ عَنْ أنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتَهُ بإحاطةِ قِلْبٍ) من جهة الإدْراك (أَوْ بَصَرٍ) من جهة الرّؤية ليكون مَرئياً مَحسوساً (فإذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ) الّذي ذكرت لك من عظمته تعالىٰ (فأفْعَلْ) فِي عبُوديّتك أيّاه (كَما يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ) وقَدره (وقِلَّةِ مَقْدرَتِهِ) وإمكانه (وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إلىٰ رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ والخَشْيَةِ منْ عُقُوبَتِهِ والشَّفَقَةِ) والخوف (منْ سَخْطِهِ) وغضبه (فَإِنَّهُ) تعالىٰ (لمْ يَأمُرْكَ إلَّا بَحَسَنٍ) من الأفعال والأقوال (ولمْ يَنْهكَ إلَّا عَنْ قَبِيحٍ) منها (يَا بُنَيَّ إنِّي قدْ أنْبأتُكَ) وأخبرتك (عَنِ الدُّنْيا وَحالِها وزَوَالِها وَانْتِقالِها) وأنّها فانية داثرة (وأنْبَأتُكَ عَنِ الآخرَةِ وما أُعِدّ لأَهْلِها فِيهَا) من النّعيم (وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهما) فِي الدُّنيا والآخرَةِ (الأَمْثالَ لِتَعْتَبِر بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْها) وتقتدي عليها (إنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيا) وعرفها (كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ) أي كَمَثَلَ قَوْمٍ مسافرين (نَباءَ بِهِمْ مَنزِلٌ جَدَيبٌ) لا خير فيه (فأمُّوا) وقصدوا (مَنْزِلاً خَصِيباً) كثير الخَير (وجنَاباً) وناحية (مَرِيعاً) كثير العَشب (فأحْتَمَلُوا وَعْثاءَ الطَّرِيقِ) ومشّقته (وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ) وصعُوبته (وخُشُونَةَ السَّفَرِ) وعدم سهولته (وجُشُوبَةَ المَطْعَمِ) وَغِلظته (لِيَأتُوا سَعَةَ دارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرارِهِمْ) فِي الآخِرَةِ (فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْئٍ منْ ذَلِكَ أَلَماً) و تحسّراً:

(ولا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً) فِيها غرامة وضرر (وَلا شَيَّ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ) الّذي أُعِدّ لهم (وأدْناهُمْ مِنْ مَحلِّهِمْ) الّذِي وعدهم اللّه به (وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّبهَا) أي بالدّنيا (كَمَثَل قَوْمٍ كانُوا بِمنزِلٍ خَصِيبٍ) كثير الخير (فَبَنا بِهِمْ إلىٰ مَنزِلٍ جَدِيبٍ) لا خير فيه (فَلَيْسَ شَيْ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلا أَفْظَعَ) وأوحش (عِنْدَهُمْ مِنْ مُفارَقَةِما كانُوا فِيهِ إلىٰ مَا يَهْجُعُونَ) وينتهون) اليه ويَصِيرُونَ إلَيْهِ) بموتهم.

(يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزاناً فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيرِكَ) من المسلمين فأجعلهم كنفسك (فأحْبِبْ لَغيْرِكَ) من الخير والشّر (مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وأكْرَهُ لَهُ) لغيرك (مَا تَكْرَهُ لهَا) لِنفْسَك (وَلا تَظْلِمْ) أحداً (كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ) من أحدٍ (وأَحْسِنْ) الىٰ غيرك (كَمَا تُحِبُّ أنْ يُحْسَنْ) منه (إلَيْكَ وأسْتَقْبِحْ منْ نَفْسِكَ) أي عُدّ قبيحاً (مَا تَسْتقْبِحْ) وتعدّه قبيحاً (منْ غيرِكَ وأرضَ منَ النَّاسِ بِما تَرْضَاهُ لهمْ مِنْ نَفْسِكَ وَلا تَقُلْ ما لا تَعْلَمُ وإنْ قَلَّ مَا تَعلمُ) لأنّ القول من غير علم يُوجب إضلال الغير (ولا تَقُلْ ما لاَ تُحِبُّ أنْ يُقالَ لَكَ) من غيرك (واعْلَمْ أنَّ الإعْجَابَ)بالنّفس (ضَدُّ الثَّوَابِوآفةُ الأَلْبابِ) والعقول (فَأسْعَ فِي كَدْحِكَ) أي فأسع في العَمَل أشدّ السّعي (ولا تَكُنْ خازِناً لِغَيرِكَ) بأن تجمع المال ليأخذه الوارث بعدك (وإِذَا كُنْتَهُدِيتَ) من اللّه تعالىٰ (لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ) قلباً (مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ) لا لغيره إذ المؤمن لا يخشع قلبه إلّا للّه تعالىٰ (واعْلمْ أنَّ أمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ومَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ) والمراد سفر الآخرة ومنازلها (وأنَّهُ لاَغِنَىٰ لَكَ فيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيادِ) أي حُسن الطّلب (وَقدِّرَ بَلاَغِكَ منَ الزّادِ) وأحسن الزّاد التّقوىٰ (مَعَ خِفَّةِالظَّهْرِ) كناية عن قلّة الأوزار والمعاصي (فَلاَ تَحْمِلَنَّ علىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طاقَتِكَفيكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وبَالاً عَليكَ) فأنّ اللّه تعالىٰ لا يُكلّف نَفْساً إلّا وسُعها (وإذَا وَجَدْتَ منْ أَهْلِ الْفاقَةِ) والفقر (منْ يَحْمِلُ لَكَ زَادكَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ أيّاهُ) وذَلِكَ لأنّ أجر الأسعاف وثوابه ذخيرة ليوم القيٰمة فكأنّهم حملوا الزّاد من المُعطي الىٰ القيامة ثمّ يُودّونه اليه هناك وهو من أفصح ما قيل في الحثّ علىٰ

الصّدقة (**وأكْثِرْ منْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ**) أي والحال أنت (**قَادِرٌ عَلَيْهِ**) علىٰ التّزويد (**فَلَعلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ**) بعد الطّلب ثانياً (**واغْتنمْ مَنِ اسْتَقْرَضكَ**) أي من طلب القَرض منك (**فِي حَالِ غَنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ في يَوْمَ عُسْرِتِكَ وَهُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ.**

◁ الشّرح

□ قوله ﷺ **واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لوْ كانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَلرَأيْتَ آثارَمُلْكِهِ وسُلْطَانِهِ ولَعَرَفْتَ أفْعالَهُ وصِفاتِهِ...**

إستدّل ﷺ علىٰ نفي الشّريك لِللّه تعالىٰ بأمور ثلاثة أوّلها سَمّعيّ وثانيها وثالثها حِسّيّ يرجع الىٰ العقلي:

أمّا الأوّل فقوله ﷺ: **لوْ كانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ**، وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ الرّسول أقرب الخَلق الىٰ الخالق ومع ذلك هو مأمور من قِبل اللّه تعالىٰ بتبليغ ما هو يصلح للعبد وحيث أنّ الرّسول أو الرُسُل مع قُربهم الىٰ اللّه تعالىٰ وعلمهم بحقائق الأمور لم يخبروا به فهو دليل علىٰ عدم وجوده بل أخبروا بعَدمه وأصّروا عليه وهو منهم حجّة.

وأمّا الثّانى فقوله ﷺ: **لَرَأيْتَ آثارَمُلْكِهِ وسُلْطَانِهِ** ، وذلك لأنّ المفروض وجوده وكلّ موجود له آثار ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ له آثار في عالم الوجود فلو فَرضنا وجود الشّريك له فلا محالة يكون مثل الواجب في القدرة والسّلطنة إذ لو كان أضعف منه فهو ليس شريكاً له بل هو مقهور مغلوب له تعالىٰ وكلّ مقهورٍ مخلوق وقد فَرضناه شريكاً غير مخلوق هف وإذا كان مثل الواجب في القدرة والسّلطنة فكما أنّ للواجب آثار كثيرة فكذلك ينبغي للشّريك أن يكون كذلك وإذ ليس فليس لأنّ الأثر كما أنّ وجوده يدّل علىٰ وجود المؤثر كذلك عَدمه دليلٌ علىٰ عَدمه وأنّما قُلنا ذلك لأنّ المّؤثر لا يكون مُؤثراً إلّا بأثره فما لا أثر له لا يكون مّؤثراً وما كان كذلك لا يكون موجوداً إذ الموجود لا ينّفك عن الأثر وهذا البُرهان سمّي عندهم بالبُرهان الأنّي.

وأمّا الثّالث: فقوله ﷺ: **ولَعَرَفْتَ أفْعالَهُ وصِفاتِهِ**، وذلك لأنّ الموجود ولا سيّما المبحوث عنه لا ينفك عن الأفعال والصّفات من العلم والقُدرة والحكمة والعدالة وأمثالها إذ لو لم يتّصف شريك البارئ فكيف يكون شريكاً له وأنّما قُلنا بأنّ الدّليلين الأخيرين حِسّيان يرجعان الىٰ العَقل لأنّ رؤية الآثار من المحسوسات وحيث إنّا لا نرىٰ من الشّريك أثر محسُوس فالعقل يحكم بعدم وجوده وهذا معنىٰ كلّ محسوسٍ يرجع بالآخرة الىٰ المعقُول إذ الحكم من شأن العَقل لا من شأن الحاسّة.

أن قلت – الدّلائل كلّها مخدُوشٌ إذ لقائل أن يقول أنّ ما نراه من الأفعال والآثار الموجودة فـي العـالم للشّـريكين مـعاً وأيّ دليـلٍ دّل عـلىٰ إنـحصار الموجود للواجب وَحدة حتّىٰ نحتاج في إثبات شريكه لملكٍ آخر وأفعال وآثار غير ما نراه وبعبارةٍ أُخرىٰ الآثار الموجودة لهما معاً وعليه فَنفي الشّريك له تعالىٰ يستّلزم كون ما هو الموجود من آثار الحقّ تعالىٰ وَحَدة وعدم شركة غيره وأنّىٰ لكم بإثبات ذلك.

قُلت ـ قد ثبت في المعقول أنّ تَوارد العلّتين أو العِلَل على معلولٍ واحد محال وذلك لأنّ العلّة الواحدة أن كانت كافية في وجود المعلول فلا نحتاج الىٰ غيرها بل غيرها لغو محض وأن لم تكن كافية فهي ليست بعلّةٍ تامةٍ بل هي ناقصة في ذاتها محتاجة الىٰ غيرها فهي في الحقيقة جزء العلّة والجزء الآخر شريكه والعلّة هي القَدر الجامع بينهما لأنّ الواحد لا يصدر منه إلّا الواحد كما أنّ الواحد لا يصدر إلّا من الواحد إذا عرفت هذا فنقول لو فرضنا في المقام خالَقين مُؤثرين في الإيجاد فلا يخلو الحال فيهما أمّا أن يكون أحدهما كافياً في الإيجاد أو لا يكون، فأن كان فهو العلّة وغيره مخلوق له فلا شريك له، وأن لم يكن فكلاهما ناقصان لإحتياج أحدهما بالآخر في الإيجاد وكلّ ناقص ممكن وكلّ ممكنٍ مخلوق وإذا كان كذلك فالعلّة في الحقيقة هيٰ القَدر الجامع بينهما لا كلّ واحدٍ منهما، ومحصّل الكلام يلزم خروج الواجب عن كونه واجباً

وعلّة وهو كما ترىٰ هذا **أوّلاً**:

وثانياً: نقول لو فَرضنا له تعالىٰ شريكاً فلا محالة يكون واجباً إذ لو لم يكن واجباً فأمّا أن يكون مُمتنعاً أو مُمكناً أمّا الإمتناع فهو خارج عن البحث إذ المفروض وجوده فالأمر يدور بين وجوبه وإمكانه لا سبيل الىٰ الثّاني لأنّ الممكن لا يكون عِدلاً وشريكاً للواجب إذ الواجب وجوده من ذاته وهو بذاته يأبىٰ عن العَدم و الممكن وجوده من غيره وهو في حدّ ذاته لا يقتضي الوجود والعَدم، وإذا كان الشّريك واجباً فهناك واجبان.

ثمّ نقول أنّ الواجبين لا يخلو حالهما عن أمرين، أحدهما إختلافهما في الذّات بمعنىٰ كونهما متباينين بتمام الذّات وثانيهما عدم تباينهما كذلك بل إشتراكهما في الذّات وكلاهما محال.

أمّا الأوّل: أعني التّباين في الذّات فلأنّ مفهوم وجوب الوجود لا ينتزع عن الشّيئين المُتباينين بتمام الذّات وذلك لأنّا أن أَلقينا الخصوصية فيهما أعني التّباين فقد خَرجا عن الفَرض وأن أَبقيناها فكيف يمكن إنتزاع الوجوب من الحقيقتين مع حفظ التّباين وقد ثبت أنّ مَنشأ الإنتزاع لابدّ من أن يكون له تَوحّد وتَفرّد.

أن قُلت، هذا يَصّح بناء علىٰ كون مفهوم الوجوب فَتنزعا عن مقام ذاتهما بمعنىٰ كونه من قبيل خارج المحمول وأمّا إذا قلنا بأنّه أمرٌ عرَضي من قبيل المحمول بالضّميمة كالبياض العارض علىٰ الجِّسم فلا يلزم المحذور إذ لم يخرج عن مقام الذّات علىٰ الفَرض.

قلت – فَعَليه يلزم أن يكون الواجب معروضاً لغيره ومحّلاً للحوادث فهو أيضاً حادث.

وأمّا الثّاني: أعني إشتراكهما في الذّات فَيلزم التّركيب فيهما إذ كلّ واحد فيهما مُركب من مآبه الإمتياز ومآبه الإشتراك أعني بهما الجنس والفصل أو المادّة والصّورة وكلّ مركّب محتاج الىٰ أجزائه وكلّ مُحتاج ممكن وقد فَرضناهما واجباً هف.

فَثبت وتَحَقَّق أنّ المُؤثر في الوجود واحد لا شريك له وهو المطلوب كما قال عليه السلام:

□ **قوله عليه السلام: ولكِنَّهُ إلهٌ واحِدٌ كما وصَفَ نَفْسَهُ لا يُضَادُّهُ في مُلْكِهِ أَحَدٌ ولا يَزُولُ أَبَداً ولمْ يَزَلْ...**

أي إذا لم يكن له شريك كما عرفت فهو إله واحِدٌ كَمَا وَصَفَ اللّه نَفسَهُ بالوحّدانية في الآيات قال اللّه تعالى: ﴿**وإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾(١)

و: ﴿**قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**﴾(٢)

و: ﴿**ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾(٣)

و: ﴿**قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾(٤)

و: ﴿**إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ**﴾(٥)

و: ﴿**أنّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾(٦) وغيرها من الآيات

وأمّا قوله عليه السلام: **لا يُضَادُّهُ في مُلْكِهِ أَحَدٌ** فالمراد به أنّه لا مُلك إلّا مُلكه ولا قدرة إلّا قدرته إذ لو كان لغيره مُلك لرأيناه فهو تعالى أبَدِيٌ لا زوال لوجوده ولمُلكه وأَزَليٌ أي لا أوّل لوجوده إذ لو كان له أوّل فلا محالة له آخر إذ كلّ أوّل له آخر كما أنّ كلّ آخر له أوّل:

□ **قوله عليه السلام: أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْياءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ وَآخِرٌ بَعْدَ الأَشْياءِ بِلاَ نِهَايَةٍ...**

أمّا أنّه أوّلَ قَبْلَ الأشياءِ فلكونه خالقاً صانعاً والخالق قبل الخلق وأمّا أنّه بلا أوّلية فالمراد به أنّ كونه تعالى أوّلَ قَبْلَ الأشياءِ لَيْسَ معناه إثبات الأوّلية المُصطّلحة له أي المَنسوب الى الأوّل إذ لازم ذلك أن يكون الذّات شيئاً والأوّلية شئ آخر وكلّ أوّلية له آخرّية وكلّ ما كان كذلك فهو ممكن محدود بين المَبدء والمُنتهي والواجب ليس كذلك فلا أوّليّة له ولا آخريّة له ولكنّه

١- البقرة ـ ١٦٣
٢- الانعام ـ ١٩
٣- يوسف ـ ٣٩
٤- الرعد ـ ١٦
٥- النحل ـ ٢٢
٦- الصافات ـ ٤

نفس الأوّل لا شئ ثبت له الأوّل أو عَرض عليه وهكذا الكلام في آخريتّه فأنّه نفس الآخر من حيث أنّه المُنتهي لا ذات ثبت له الآخر وقوله ﷺ: **بلا نهاية** إشارة الىٰ أنّ الآخريّة له تعالىٰ غير الآخرية في غيره حيث أنّها في غيره بمعنىٰ المُنتهىٰ وأمّا فيه تعالىٰ فلا إذ لا نهاية لوجوده:

وأمّا قوله تعالىٰ **﴿وأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾** [1]، فليس معناه إنتهاء وجوده تعالىٰ بل معناه أنّ الوجود بالآخرة ينتهي به ويختم اليه تعالىٰ كما بُدء فيه فمنه المبدء واليه الرّجعىٰ ومن المعلوم أنّ المُراد بالوجود المَحتوم هو الوجود الإمكاني الإعتباري الّذي كالفيْ للشّئ:

▫ قوله ﷺ: **عَظُمَ عَنْ أنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتَهُ بإحاطَةِ قَلْبٍ أوْ بَصَرٍ...**

وذلك لأنّ إحاطة القلب أو البَصَر به تُوجب كونه تعالىٰ مُحاطاً للقلب والبَصَر وكلّ مُحاطٍ محدود وقد ثبت أنّه تعالىٰ واجب الوجود ووجوب الوجود يُنافي المحدُودية فأنّها من شئون المُمكن وفي قوله ﷺ: **قَلْبٍ أوْ بَصَر**، إشارة الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ كما أنّه لا يُدرك بالقلب كذلك لا يُدرك بالحاسّة البّصرية والمحذُور في المقامين هو المحدُوديّة المنافيَة للوجُوب وحيث انّا قد تكلّمنا في هذه المباحث في المجلد الأوّل من الكتاب مفّصلاً بل وفي غيره في تضاعيف الكتاب فلا نطول الكلام بتفصيل المقال في المقام والحَمد لِلّه ربّ العالمين:

▫ قوله ﷺ: **فإذَا عَرَفْتَ ذلِكَ فأفْعَلْ كَما يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ وقِلَّةِ مَقْدرَتِهِ وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ وعَظِمِ حاجَتِهِ إلىٰ رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ وَالخَشْيَةِ منْ عُقُوبَتِهِ والشَّفقَةِ منْ سَخْطِهِ...**

أي إذا عرفت ربّك بالوحدانية وأنّه لا شريك له خالق كلّ شئ وما سواه مخلوق مصنوع له كائناً من كان وأنت منهم فأفعل في مقام العبُوديةّ لخالقك ما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره وقدره وقلّة مقدرّته أي قُدرته وامكانه

[1] النجم ٤٢

وكَثرة عجزه وحقارته وعظيم حاجته الىٰ ربّه بل شراشر وجوده الحاجة اليه والخَشية والخوف من عقوبته وغضبه ومحّصل الكلام أنّ المخلوق مع عجزه وضعفه وإحتياجه الىٰ الخالق القاهر القادر ينبغي له العَمل بوظيفته والخَوف والخشية من عذابه وغَضبه:

▫ **قوله ﷺ: فإنَّهُ لمْ يَأمُرْكَ إلَّا بِحَسَنٍ ولمْ يَنْهكَ إلَّا عَنْ قَبِيحٍ...**

أي أنّ اللّه تعالىٰ لمْ يَأمُرْكَ إلّا بالأفعال الحَسَنة والأقوال الصّادقة الّتي فيها مصلحة بل مصالح كثيرة للعبد كما أنّه تعالىٰ لم يَنهك إلّا عن القَبائح والسّيئات من الأفعال والأقوال وفيه ردّ علىٰ الأشاعرة حيث قالوا بجواز الأمر منه الىٰ القبيح والنّهي عن الحَسن وذلك لأنّهم ذهبوا الىٰ أنّ أفعال العَبد الّتي أُمر بها من المولىٰ ليست بتابعة للمصالح والمَناسب حتّىٰ لا يحسن منه الأمر بالقبيح والنّهي عن الحَسَن وحاصل كلامهم إنكار الحُسن والقُبح العقّليين بخلاف المُعتزلة فأنّهم يقولون بهما وأنّ الأفعال تابعة لهما.

أن قُلت ـ كيف أنكر الأشعري الحُسن والقُبح مع أنّ العقل يَحكم بهما.

قُلت ـ هو يقول أنّ الحَسَن ما أمر به الشّرع وأن كان قبيحاً عند العَقل والقبيح إلّا ما ينهي عنه وأن كان حَسناً في نفسه فالفعل بما هو هو لا يتّصف بالحسن والقبح مع قطع النّظر عن الأمر به أو النّهي عنه وأنت ترىٰ أنّ كلام أمير المؤمنين يُشعر بل يُصّرح بخلافه وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ إذا لم يأمر إلّا بحَسَن ولم ينه إلّا من قَبيحٍ يستفاد منه أنّ الحَسن والقُبح واقعان موجودان عند العَقل قبل الأمر والنّهي وإلّا كيف تعلّق الأمر والنّهي به وهو واضح.

▫ **قوله ﷺ: يابُنَيَّ إنّي قدْ أَنْبأتُكَ عَنْ الدُّنْيا وحالِها وزَوَالِها وانْتِقالِها وأَنْبأتُكَ عَنِ الآخِرَةِ ومَا أُعِدَّ لأَهْلِها فِيها وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهما الأَمْثَالَ لِتَعتَبرَ بهَا وتَحْذُوَ عَليْها...**

ثمّ قال ﷺ: **يَابُنَيَّ إنّي قدْ أَخبَرتُك عنْ الدُّنيا وحالِها وزَوالِها وانتِقالِها** وأنّها لا تبقىٰ علىٰ حالةٍ واحدة وأنّها دار فناءٍ لا دار بقاءٍ كما وردت به الآيات

والأخبار والأدلّة العقلية وقد فرغنا عن البحث فيها فيما مضىٰ غير مرّةٍ **مُفصّلاً** وهكذا الآخرة وما أعدّ اللّه تعالىٰ فيها للمتّقين ثمّ قال عليه السلام: **وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِما الأَمْثَالَ** الىٰ آخر ما قال وفيه إشارة الىٰ أنّ المَقصود من ذكر الدّنيا والآخرة وحالاتهما الإعتبار بهما فإعتبروا بها وإقتدُوا عليها كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**(١)

و: **﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**(٢)

و: **﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾**(٣)

و: **﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(٤) وغيرها من الآيات:

□ قوله عليه السلام: **إِنَّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبأَ بِهِمْ مَنزِلٌ جَدِيبٌ فأمُّوا مَنْزِ لاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً فاحْتَمَلُوا وَعثاءَ الطَّرِيقِ وفِرَاقَ الصَّدِيقِ وخُشُونَةَ السَّفَرِ وجُشُوبَةَ المَطْعَمِ...**

ثمّ قال عليه السلام: **إِنَّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ** أي كَمَثَلِ قَوْم مسافرون نَبأ بِهِمْ مَنزِلٌ جَدِيبٌ لا خير فيه فأمُّوا وقصدوا هؤلاء مَنزِلاً خَصِيباً كثير الخير والبَركة وجناباً مريعاً أي ناحيةً كثير العشب فاحتملُوا وَعثاءَ الطَّرِيقِ ومَشّقة وفِرَاقَ الصَّدِيقِ والأحبّة وخُشونَةَ السَّفَرِ وصُعوبته وجُشُوبَةَ المَطْعَم وغلظَه:

□ قوله عليه السلام: **لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِم وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِك أَلَماً وَلا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً ولا شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيْهِم مِمَّا قَرَّبَهُمْ من مَنْزِلِهِمْ وأدْناهُمْ من مَحلِّهِمْ...**

أي أنّهم قد تحملوا هذه المشّقات لِيَأتُوا سَعَةَ دَارِهِم الّتي أُعدّت لهم ومنزل قَرَارِهِمْ الَّذِي يسكنون فِيهِ بعد موتهم فَلَيْسَ يَجِدُونَ لشيءٍ مِنْ ذَلِكَ ألَماً وغمّاً ولا يرون نفقة مغرماً كانت فيه غرامة وضرر ولا شيء أحبّ اليهم ممّا قرّبهم من منزلهم وهو المَوت فَيحبّونه وأدناهم من محّلهم وهو العَمل الصّالح هذا حال مَن عرف الدّنيا:

١- ابراهيم ـ ٢٥ — ٢- النور ـ ٣٥

٣- العنكبوت ـ ٤٣ — ٤- الحشر ـ ٢١

□ **قوله ﷺ: وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كانُوا بِمنزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَأ بِهِمْ إلىٰ مَنْزِلٍ جَدِيبٍ فَلَيْسَ شَيْ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ ولا أَقْطَعَ عِندَهُمْ من مُفارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ الىٰ مَا يَهْجُمُونَ عَليهِ وَيَصيرُونَ إليْهِ...**

أي وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بالدّنيا كَمَثَلِ قَوْمٍ كانُوا بِمنزِلٍ خَصِيبَ كثير النّعم فأخبرهم مُخبرٌ الىٰ مَنزِلٍ لا نعمة فيه وهو الآخرة فليس أكره اليهم ولا أقطع وأشنع عندهم من مُفارقة ما كانُوا فِيهِ وَهُوَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا من النّعم الخيّالية الىٰ ما يَهجمُون ويَنتهُون عليه ويصيرون اليه وهو المَوت وما بعده من العَقبات.

ومُلّخص الكلام من قوله ﷺ: **إنَّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيا** الىٰ قوله ﷺ: **ويصيرون اليه** أنّ النّاس بالنّسبة الىٰ الدّنيا والآخرة علىٰ صنفين، فَصنفٌ منهم عرفوا الدّنيا وحالاتها وتَقلباتها فأنّهم قد علموا أنّ الآخرة هي دار القَرار وليست الدّنيا بالنّسبة اليها إلّا كَمنزلٍ خصّيب فلا محالة تَحمّلوا المَشقات فيها للوصول الىٰ الآخرة، وأمّا الصّنف الآخر فقد اغترّوا بالدّنيا وزعموا أنّها دار خصيب والآخرة دار جديب فلا محالة كَرهوا الإنتقال منها اليها.

□ **قوله ﷺ: يَابُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيما بَيْنَكَ وبيْنَ غَيرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لهُ مَا تَكْرَهُ لَها ولا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أنْ تُظْلَمَ...**

أي إذا أردت أن تعلم الحال في غيرك فأنظر الىٰ نفسك وإجعلها ميزاناً ومعياراً لنفس غَيرِكَ فأحبب له ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لهُ مَا تَكْرَهُ لَها من الأفعال والأقوال ولا تَظْلِمْ عَلَيْهِ كما لا تُحِبُّ أنْ تُظلمْ منْ غَيرِكَ.

□ **قوله ﷺ: وأحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أنْ يُحْسَنْ إليْكَ واسْتَقْبِحْ منْ نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِحُ منْ غَيْرِكَ وأرْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لهمْ منْ نَفْسِكَ ولاَ تَقُلْ مَا لا تَعْلَمُ وإنْ قَلَّ مَا تعلمُ ولا تَقُلْ مَا لا تُحِبُّ أنْ يُقالَ لَكَ...**

أي وأحْسِنْ الىٰ غَيرِكَ كَما تُحبّ أنْ يُحْسَنْ منه إليْكَ وعَدّ قبيحاً من نَفْسِكَ ما تَعدّه كَذلِكَ منْ غيرك وأرْضِ منَ النَّاسِ لِنَفْسِكَ بِمَا تَرْضَاهُ لَهمْ منْ نَفْسِكَ ولا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمْ لأنّ القَول من غير علمٍ قبيح وإن قَلّ مَا تَعلمْ أي وأن كانَ ما

تَعلمه قليلاً ولا تَقُلْ لِغَيْرِكَ ما لا تُحِبُّ أنْ يُقالَ منه لَكَ.

□ قوله ﷺ: **واعْلَمْ أَنَّ الإعْجَابَ ضِدُّ الثَّوَابِ وَآفَةُ الأَلْبَابِ فأسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلا تَكُنْ خازِناً لِغيرِكَ وإذا كُنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ...**

العُجب بضّم العين إستعظام النَفس لأجل ما يرىٰ لها من صفة كمالٍ سواء كانت له تلك الصّفة في الواقع أَم لا سواء كانت صفة كمالٍ في نفس الأمر أَم لا، وقيل هو إعظام النّعمة والرّكون اليها مع نسيان إضافتها الىٰ المُنعِم ولا يعتبر في مفهومه رؤية نفسه فوق الغير في هذا الكمال وهذه النّعمة وبذلك يمتاز عن الكِبر إذ الكِبر هو أن يرىٰ الإنسان لنفسه مزّية علىٰ غيره في صفة كمالٍ وبعبارةٍ أُخرىٰ هو الإسترواح والرّكون الىٰ رؤية النّفس فوق المُتّكَبر عليه فالكِبر يستدعي مُتّكبراً عليه ومُتكبراً به وأمّا العُجب فهو لا يستدعي غير المُعجب بل لو لم يُخلق الإنسان إلّا وحده يتصّور أن يكون مُعجباً ولا يتصّور أن يكون مُتّكَبراً إذا عرفت هذا.

فاعلم: أنّ العُجب من المُهلكات العظيمة وأرذل المَلكات الذّميمة وقد ورد في ذمّه ما وَرد:

قال رسول اللّه ﷺ ثلاث مُهلكات شُحٌ مُطاع وهوىٰ مُتّبع وإعجاب المَرء بنفسه...

وقال ﷺ - إذا رأيت شحاً مُطاعاً وهَوىً مُتّبعاً وإعجاب كلّ ذي رأيٍ برأيه فعليك نفسك...

وقال ﷺ - لو لم تَذنبوا لَخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العُجب العُجب...

وقال ﷺ - قال اللّه عزّ وجلّ ياداود بَشّر المُذنبين وأنذر الصّديقين قال كيف أُبشّر المُذنبين وأنذر الصّديقين قال بَشّر المُذنبين أنّي أقبل التّوبة وأعفو عن الذّنب وأنذر الصّديقين ألاّ يعجبُوا بأعمالهم فأنّه ليس عبد أنصبه للحساب إلّا هَلك...

وقال الصّادق عليه السلام - أنّ اللّه علم أنّ الذّنب خير للمؤمن من العُجب ولولا ذلك ما أُبتُلي مؤمناً بذنبٍ أبداً...

وقال عليه السلام - من دَخله العُجب هَلَك...

وقال عليه السلام - العَجَب كلّ العَجَب ممّن يَعجب بعَمَله وهو لا يدري بما يُختم له فمن أُعجَب بنفسه وفِعله فقد ضلّ عن نهج الرّشاد وإدّعىٰ ما ليس له والمُدّعي من غير حقٍّ كاذب وأن خفي دعواه وطال دَهره وأنّ أوّل ما يُفعل بالمُعجب نزع ما أعجب به ليعلم أنّه عاجزٌ حقير ويشهد على نفسه ليكون الحجّة عليه أوكد كما فُعل بابليس، والعُجب نبات حَبّها الكُفر وأرضها النّفاق وماؤها البَغي وأغصانها الجهل وورقها الضّلالة وثمرها اللّعنة والخلود في النّار فمن إختار العُجب فقد بذر الكُفر وزرع النّفاق ولابدّ أن يُثمر...

الأحاديث نقلناها عن جامع السّعادات «ج ١ ص ٣٢٥ الى ص ٣٣٧»...

وروي في مشكاة الأنوار عن الصّادق عليه السلام قال أنّ اللّه عزّ وجلّ لما بَشّر إبراهيم عليه السلام بالخلّة أوحىٰ الىٰ جبرئيل ياجبرئيل أدرك إبراهيم لا يُهلك انتهىٰ «ص ٣١٢»...

وفي رواية عن أبي جعفر عليه السلام قال قال اللّه عزّ وجلّ أنّ من عبادي المؤمنين لمن يسألني الشّئ من العبادة فأصرفه عنه مخافة الإعجاب بنفسه وأنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلّا الفقير ولو صرفته الىٰ الغنّي لَهَلَك انتهىٰ «ص ٣١٢»...

ومن الآيات الدّالة علىٰ ذمّه قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ (١) والمَن نتيجة إستعظام العَمل وهو العُجب.

فقد عرفت ممّا ذكرناه أنّ الأعجاب بالنّفس ضدّ الثّواب إذ مَع العُجب لا ثواب علىٰ العَمَل وأمّا أنّه آفة الألباب والعقول الخالصة فلأنّ اللّب هو العَقل الصّافي والعُجب يُوجب تَكدير العقل وخَلطه بما يُنافي صفائه ولأجل هذا

١-البقره آية ٢٦٤

إختار عليه السلام الألباب في الذّكر على العقُول.

وأمّا قوله عليه السلام: **فأسع كَدحَك**، فالكَدح أشدّ السّعي في المقام أشدّه لتحصيل رضا الرّب في مقام العبُودّية وهو لا يحصل إلّا بفعل الطّاعات وتَرك المعاصي مع خلوص النّية.

وقوله عليه السلام: **وَلا تَكُنْ خازِناً لِغيرِكَ** ففيه إشارة الى ذمّ جَمع المال ليأخذه الوارث بعد مَوت المُورّث وأنّما عَبَّر عليه السلام عنه بالخازن لأنّه يجمع المال لغيره فالوبال عليه والإستفادة لغيره قال اللّه تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ لا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِفَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ماكُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** (١)

(وعن عيون الأخبار قال الرّضا عليه السلام **لا يجتمع المال إلّا بخصالٍ خمس، ببُخلٍ شديد وأَمَلٍ طويل، وحِرصٍ غالبٍ، وقَطيعة رحمٍ، وإيثار الدّنيا علىٰ الآخرة انتهىٰ «مشكاة الانوار ص ٢٧١»...**

□ **قوله عليه السلام: وإذا كُنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ،**

معناه أنّ اللّه تعالىٰ إذا هداك الىٰ الصّلاح فكُن له خاشعاً أداءً لحقّ شكره إذ لولا أن هداك اللّه لكُنتَ من الضّالين وقد قال اللّه: **﴿لأن شكرتُم لأزيدنكُم﴾**

□ **قوله عليه السلام: واعلمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ...**

والمُراد بالطّريق هو طريق الآخرة ولا شكّ في بُعد مسافتها وشدّة مَشّقتها قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيد﴾** (٢)

و : **﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ، وَالْتَفَّتِ السَّاقَ بِالسَّاقِ، إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾** (٣)

و : **﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾** (٤)

وقد مرّ الكلام في المَوت وما بعده من العَقَبات غير مرّةٍ.

١- التّوبة ـ٣٤ و ٣٥
٢- ق ـ١٩
٣- القيامة ـ٢٦ الى ٣٠
٤- الانسان ـ١٠

▫ **قوله عليه السلام: وأَنَّهُ لا غِنَىٰ لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الإرْتِيادِ وقَدِّرْ بَلاغَكَ منَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ فلا تَحْمِلَنَّ علىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فيكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبالاً عَلَيْكَ...**

أي اذا كُنتَ لابدّ لك من الورود علىٰ المَوت لا غنىٰ لك فيه عن حُسن الطّلب وقدر بلاغك من الزّاد وخير الزّاد التّقوىٰ مع خفّة الظّهر وهي كناية عن قلّة المسئوليّة فلا تَحْمِلَنَّ علىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فأنّ اللّه تعالىٰ لا يُكلّف نفساً إلّا وسعُها فأن فعلت ذلك يكون ثقله وبالاً ووزراً عليك ومحصّل الكلام أنّ من سعادة المَرء أن يعيش في الدّنيا ثمّ يموت بعده وهو فارغ البال قليل المؤنة من الحقُوق.

▫ **قوله عليه السلام: وإِذا وَجَدْتَ منْ أَهْلِ الْفاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادكَ إِلىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِفَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتاجُ إِلَيْهِ فأَغْتَنِمْهُ وحَمِّلْهُ أَيَّاهُ وأَكْثِرْ منْ تَزْوِيدِهِ وأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلعلَّكَ تَطْلُبُهُ فلاَ تَجِدُهُ وَاغْتَنِمْ منِ اسْتَقْرَضكَ فِي حالِ غَنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ...**

محصّل ما أفاده عليه السلام في هذه الكَلمات أمران:

أحدهما: الأعطاء لأهل الفاقة.

وثانيهما: القَرض لِمن إستَقرَضه.

أمّا الأوّل: فلأنّه إذا أَسعفَت الفقراء بالمال كان أجر الإسعاف وثوابه ذخيرة تنالها في القيامة وعليه فَكأنّ الفقراء حمّلوا عنك زاداً يبلغك موطن سعادتك يُؤدّونه اليك وقت الحاجة وهو يوم القيامة ولأجل ذلك قال عليه السلام: **فأَغْتَنِمْهُ وحَمِّلْهُ أَيَّاهُ وأَكثِرْ منْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ** إذ لا ذخيرة ليوم معادك أحسَن منه وقد يُعبّر عن هذا الإعطاء بصَدَقة التّطوع.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله تَصّدقوا ولو بتَمرة فأنّها تَسدّ من الجائع وتُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النّار انتهىٰ...

وقال صلى الله عليه وآله – إتّقوا النّار ولو بشّق تَمرة فأن لم تَجدوا فبكلمةٍ طيّبة...

وقال صلى الله عليه وآله – ما من عبدٍ مسلمٍ يتّصدق بصَدقة من كسب طيبه ولا يقبل اللّه

إلّا طيباً إلّا كان اللّه آخذها بيمينه فيُرّبيها له كما يُرّبي أحدكم فصيله حتّىٰ تبلغ التّمرة مثل أحد «جامع السّعادات ج ٢ ص ١٤٣» والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في القرآن حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾(١)

وأمّا الأمر الثّاني: أعني به القَرض فهو أيضاً ممّا لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ حُسنه ومَدحه وهو من ثَمرات السّخاء لأنّ السّخي تسمح نفسه بأن يَقرض أخاه المُحتاج بعض أمواله الىٰ حين إستطاعته كما تسمح نفسه بأن يبذل عليه أصل ماله والبخيل يشّق عليه ذلك وثوابه عظيم وفضله جسيم.

قال الباقر عليه السلام - من أقرض رَجلاً قَرضاً الىٰ ميسرة ماله كان ماله في زكاة وكان هو في الصّلاة مع الملائكة حتّىٰ يَقبضه إنتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام - مكتوب علىٰ باب الجنّة الصّدقة بعشرة والقَرض بثمانية عشر...

وقال عليه السلام - ما من مؤمنٍ أقرض مؤمناً يلتمس به وجه اللّه إلّا حسب اللّه له أجره بحساب الصّدقة حتّىٰ يرجع ماله اليه يعني أعطاه اللّه في كلّ آنٍ أجر الصّدقة وذلك لأنّ له قَضاؤه في كلّ آنٍ فلمّا لم يفعل فكأنّما أعطاه ثانياً وثالثاً وهلّم جرّاً الىٰ أن يقبضه...

وقال عليه السلام - لا تُمانعوا قرض الخَمير والخبز وإقتباس النّار فأنّه يجلب الرّزق علىٰ أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق إنتهىٰ «جامع السّعادات ج ٢ ص ١٥٧»...

والأحاديث في مدح التّصَدق والقَرض كثيرة أن أردت الإطّلاع عليها فعليك بالمُطّولات كالبحار والكافي والوافي وأمثالها جَعلنا اللّه من العاملين بالخَيرات بحقّ محمّد وآله الأطهار.

١- يوسف ـ ٨٨

الفصل الخامس

▫ قوله ﷺ: واعْلمْ أنَّ أمامَكَ عقبَةً كَؤُداً المُخِفُّ فِيها أَحْسَنُ حالاً مِنَ المُثْقِلِ والْبَطِيِّ عَلَيْها أَقْبحُ حالاً منَ المُسْرِعِ وأنَّ مَهْبَطَكَ بها لا مَحالةَ عَلىٰ جَنَّةٍ أوْ عَلىٰ نَارٍ فَأرْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ وَوَطِّئِ المَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ فليْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُستَعْتَبٌ ولا إلىٰ الدُّنْيا مُنْصَرَفٌ.

واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمواتِ والأَرْضِ قدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعاءِ وتَكَفَّلَ لَكَ بالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أنْ تَسأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عنْكَ ولمْ يَلجِئكَ إلىٰ مَنْ يَشْفَعَ لَكَ إليْهِ ولمْ يَمْنَعْكَ أنْ أسأتَ مِنَ التوْبَةِ ولمْ يُعاجِلْكَ بالنَّقْمَةِ ولمْ يُعَيِّرْكَ بالإِنابَةِ ولمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الفَضِيحَةُ بكَ أوْلىٰ ولمْ يُشَدِّدْ عَليْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ ولمْ يُنَاقِشْكَ بالجَرِيمَةِ ولمْ يُوئِسْكَ منَ الرَّحْمَةِ بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنْ الذَّنْبِ حَسَنةً وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ واحِدَةً وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً وفَتَحَ لَكَ بابَ المَتابِ فَإِذَا نادَيْتَهُ سَمِعَ نِداءَكَ وإِذَا ناجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ فأَقْضَيْتَ إِليْهِ بِحاجَتِكَ وأَبْثَثْتَهُ ذاتَ نَفْسِكَ وشَكَوْتَ إليْهِ هُمُومَكَ واسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ واسْتَعَنْتَهُ عَلى أُمُورِكَ وَسأَلْتَهُ منْ خَزَائِنِ رَحْمَتِه مَا لا يَقْدِرُ علىٰ إعْطائِهِ غيرُهُ مِنْ زِيادَةِ الأَعمَارِ وصِحَّةِ الأَبْدَانِ وسَعَةِ الأَرْزَاقِ ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفاتِيحَ خَزَائِنِه بمَا أذِنَ لَكَ منْ مَسأَلَتِه فَمتىٰ شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بالدُّعاءِ أبْوَابَ نِعْمَتِه واسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِه فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إبْطاءُ إجابَتِه فإنَّ الْعَطِيَّةَ علىٰ قَدْرِ النِّيَّةِ ورُبَّما أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ وأَجْزَلَ لِعَطاءِ الأَمِلِ ورُبّما سَأَلْتَ الشَّيْ فَلاَ تُؤتاهُ أُوتِيتَ خيراً مِنْهُ عاجِلاً أوْ آجِلاً أوْ صُرِفَ عنْكَ لِما هُوَ خَيْرٌ لَكَ فَلَرُبَّ أمْرٍ قدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لوْ أُوتِيتَهُ. فلْتَكُنْ مَسأَلَتَكَ فِيما يَبْقَىٰ لَكَ جَمَالُهُ ويُنْفَىٰ عَنْكَ وَبَالُهُ والْمَالُ لا يَبْقَىٰ لَكَ ولا تَبْقَىٰ لَهُ.

واعلمْ أنَّكَ إنّما خُلِقْتَ للآخِرَةِ لا لِلدُّنْيا ولِلْفَناءِ لا لِلْبَقاءِ وَلِلْمَوْتِ لا لِلْحَياةِ وأنَّكَ فِي مَنْزِلٍ قُلْعَةٍ ودَارِ بُلْغَةٍ وطَرِيقٍ إلىٰ الآخِرَةِ وأنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لا

يَنْجُو مِنْهُ هارِبُهُ ولا يَفُوتُهُ طالِبُهُ .وَلابُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ فَكُنْ مِنْهُ على حَذَرٍ أنْ يُدْرِكَكَ وأنْتَ على حالٍ سَيِّئةٍ قدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْها بالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذلِكَ فإذا أنْتَ قدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَابُنَيَّ أكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ وَذِكْرِ ما تَهْجُمُ عليْهِ وتُفضِي بَعْدَ المَوْتِ إليْهِ حَتّى يَأتِيَكَ وقدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرِكَ وشَدَدْتَ لهُ أَزْرَكَ ولا يَأتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ وإيّاكَ أنْ تَغْتَرَّ بما تَرَىٰ مِنْ إخْلادِ أهْلِ الدُّنْيا إلَيْها وتَكالُبِهِمْ عَلَيْها فَقَدْ نَبَّأَ اللّهُ عَنْها ونَعَتْ لَكَ نَفسَها وتَكَشفَتْ لَكَ عَنْ مَساوِيها فإنّما أهْلُها كِلابٌ عاوِيَةٌ وسِباع ضارِيَةٌ يَهِرُّ بَعْضُها بَعْضاً ويأكلُ عَزِيزُها ذَلِيلَها ويَقْهَرُ كَبيرُها صَغيرَها نِعَمٌ مُعَقَّلَةٌ وأُخْرَىٰ مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَها وَرَكِبَتْ مَجْهُولَها سُرُوحُ عاهَةٍ بِوادٍ وَعْثٍ لَيْسَ لَها رَاعٍ يُقِيمُها. ولا مُقِيمٌ يُسِيمُها سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيا طَرِيقَ الْعَمَىٰ وأَخَذَتْ بأَبْصارِهِمْ عنْ مَنارِ الهُدَىٰ فَتاهُوا فِي حَيْرَتِها وغَرِقُوا في نِعْمَتِها واتَّخَذُوها رَبّاً فَلَعِبَتْ بهِمْ ولَعِبُوا بِهَاونَسُوا ما وَراءَها.

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلاَمُ كانَ قَدْ ورَدَتِ الأَظْعانُ يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ واعْلَمْ أنَّ مَنْ كانَتْ مُطِيَّتُهُ اللَّيْلَ والنَّهارَ فَإنَّهُ يُسارُ بِهِ وإنْ كانَ واقِفاً ويَقْطَعُ الْمَسافَةَ وإنْ كانَ مُقِيماً وادِعاً.

◁ اللّغة

(كَؤُداً) فعول من الكَأد وهو المَشَقة (**المُخِفُّ**) بضّم الميم وكسر الخاء إسم الفاعل من أَخفّ يُخِفّ وهو الّذي خَففَ حمله (**المُثْقِلِ**) بضَم الميم وكسر القاف الفاعِل من أَثقل يُثقل وهو ضدّ المُخِف (**فأرتد**) فعل أمرٍ أي أُطلب (**وَطِّئِ**) فعل أمرٍ مـن وَطّأ يـوطّئ أي هـيّأ (**مُسْتَعْتِبُ**) أي إسترضاء (**الإنَابَةِ**) الرّجوع الىٰ اللّه (**نَزُوعَكَ**) النّزوع الرّجوع (**نَجْوَاكَ**) المُناجاة المُكالمة سّراً (**أَبْثَثْتَهُ**) أي أظهرته (**كُرُوبَكَ**) جمع كَرب وهو الهَمّ (**قُلْعَةٍ**) بضّم القاف وسكون اللاّم أي فَينقطع النّاس فيه (**بُلْغَةٍ**) علىٰ وزن قُلقة، الكفاية (**حِذْرَكَ**) بكسر الحاء السّلاح والأسباب وقيل الإحتراز والإحتراس (**أَزْرَكَ**) بفتح الألف وكَسر الزّاء

وفتح الرّاء القّوة (فَيَبْهَرَكَ) بَهَر كَمَنع أي غلب (تَكالِيهِمْ) أي نوائبهم (نَعَتْ) أي أجزَت (ضَارِيةٌ) أي مُولعة بالإفتراس (يَهِرُّ) مضارع هَرَّ أي يَمقت، (مُعَقَّلةٌ) أي ذات عقال (مُهْمَلَةٌ) أي مُرسلة لا عقال لها (أَضِلَّتْ) أي أضاعت (سُرُوحُ) بضم السّين جمع سَرح بفتح السّين وسكون الرّاء السّائم من إبل ونحوها (عَاهَةٍ) العاهة الآفة (وَعْثٍ) بفتح الواو وسكون العين الرّخو يصعب السّير فيه (مُسيم) إسم الفاعل من أسام يُسيم يُقال أسام الدّابة سَرحها الىٰ المَرعىٰ (يُسْفِرُ) أي يَكشف (الأَظْعانُ) جمع ظعينة وهو الهَودج (وادِعاً) الوادع السّاكن المُستريح.

◁ المعنىٰ

واعلمْ أنَّ أمَامَكَ عَقَبةً كَؤُداً) شاقّة وهي المَوت وما بعده (المُخِفُّ) أي خفيف الظّهر (فِيْها) في العقَبة (أَحْسَنُ حَالاً منَ المُثْقِلِ) وثقيل الظّهر (والْبَطِيْ عَلَيْها) علىٰ العقبة بسوء أعماله (أَقْبَحُ حالاً منَ المُسْرِعِ) علىٰ العَقَبة بحسن أعماله (وأنَّ مَهْبَطَكَ) ومَنزلك (فِيْها لا مَحالَةَ عَلى جَنَّةٍ أوْ علىٰ نَارٍ فَأَرْتَدْ) أي فأطلب (لِنَفسِكَ قَبْلَ نَزُولِكَ) فيها (وَوَطِّئِ المَنْزِل) وهيِّئه (قَبْلَ حُلُولِكَ) فِيهِ (فَلَيْسَ بَعْدَ المَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ) أي إسترضاء من اللّه تعالىٰ.

(ولا إلىٰ الدُّنْيا مُنْصَرَفٌ) ورجُوع (واعْلَمْ أنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) وَهُوَ اللّه تعالىٰ (قدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعاءِ وَتَكَفَّلَ) وضمن (لَكَ بالإِجابَةِ) فقال إدعوني أستجب لكم (وأمَرَكَ أنْ تَسألَهُ) ما شئت (لِيُعْطِيَكَ) علىٰ وفق المَصلحة (وتَسْتَرْحِمَهُ) وتطلب منه الرّحمة (لِيَرْحَمَكَ ولمْ يَجْعَلْ) اللّه (بَيْنَكَ وبَيْنَهُ) تعالىٰ (مَنْ يَحْجُبُهُ) ويمنعه (عنْكَ ولمْ يُلْجِئكَ) أي لم يضطرك (إلىٰ مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إليْهِ) بل لك أن تَصل الىٰ مقام القُرب بعَمَلك (ولمْ يَمْنَعْكَ إنْ أسأتَ) وعصيت (منْ التوْبَةِ) والرّجوع الىٰ اللّه بالنّدم علىٰ ما فعلت (ولمْ يُعاجِلْكَ بالنِّقْمَةِ) والعذاب بل أمهلَك (ولمْ يُعَيِّرْكَ) ولم يُوبّخك (بالإِنابَةِ) إليه تعالىٰ (ولمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الفَضِيحَةُ بكَ أوْلىٰ) أي حيث كُنتَ أولىٰ وأحقّ بها (ولَمْ يَشْدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ) بل سهل عليك (ولمْ يُنَاقِشْكَ بالجَرِيمَةِ)

علىٰ ما فعلت (ولَمْ يُويِسْكَ) أي لم يحرفك (منْ الرَّحْمَةِ بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ) وَرجوعك (عنْ الذَّنْبِ حَسَنةً وحَسَبَ) بلطفه وكرمه (سَيِّئتَكَ واحِدَةً وحَسَبَ حَسَنتَكَ عَشْراً) فقال:﴿ من جاء بالحَسَنة فله عَشر أمثالها﴾ (وَفَتحَ لَكَ بَابَ المَتابِ) والرّجوع اليه (فإذَا نادَيْتَهُ سَمعَ نِدَاءَكَ) لكونه تعالىٰ أقْرَبَ إلَيْكَ منْ حَبْل الوريد (وإذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ) فأنّه يعلم السّر وما يخفىٰ كما يعلم العَلَن (فَأفْضَيْتَ) وألَقيتَ (إلَيْهِ) تعالىٰ (بِحاجَتِكَ وأبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ) أي حاجتِكَ (وشَكَوْتَ إليْهِ هُمُومَكَ واسْتَكْشَفْتَهَ كُرُوبَك) أي طلبتَ منه تعالىٰ كَشْفَ الكُرُوب (واسْتَعْنَتَهِ) أي طَلبتَ منه الإعانة (علىٰ أُمُورِكَ وسَألْتَهُ منْ خَزَائِنِ رَحْمَتِه مَا لاَيَقْدِرُ علىٰ إعْطائِهِ غَيْرُهُ منْ زِيادَةِ الأَعمَارِ وَصِحَّةِ الأَبْدَانِ وسَعَةِ الأَرْزَاقِ) ومن المعلوم أنّ القادر علىٰ إعطاء هذه الأمور هو اللّه تعالىٰ لا غيره (ثُمَّ جَعَلَ) اللّه تعالىٰ (فِي يَدَيْكَ مَفاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ منْ مَسأَلَتِه) فأنّ السّؤال منه تعالىٰ بمنزلة المفتاح لخزائنه (فَمتىٰ شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ) وإبتدأتَ (بالدُّعاءِ أبْوَابَ نِعْمَتِه) فأنّها لا تُفتح إلّا بالدّعاء (واسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِه) أي طلبت منه تعالىٰ نزُول بركاته (فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ) أي لا يُؤيسنّك (إبْطاءَ إجَابَتِهِ) وتأخيرها (فإنَّ الْعَطِيَّةَ عَلىٰ قَدْرِ النِّيَّةِ) أي نيّة طالبها (ورُبَّما أُخِّرَتْ عَنْكَ الإجَابَةُ) من اللّه تعالىٰ (لِيَكُونَ ذلِكَ) التّأخير (أعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ وأجْزَلَ) وأوفَر (لِعَطاءِ الأَمِلِ) الرّاغب (ورُبّما سَألْتَ الشَّيْ) منه تعالىٰ (فَلاَ تُؤتاهُ وأُوتِيتَ خَيراً مِنْهُ) من الّذي شئت وسألت (عاجِلاً أوْآجِلاً) في الدّنيا والآخرة (أوْ صُرِفَ) ومُنع (عَنْكَ لَمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ) كذلك (فَلَرُبَّ أمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ) من اللّه تعالىٰ.

(فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لوْ أُوتِيتَهُ) وأنت لا تعلم به وهو يعلم (فلْتَكُنْ مَسألَتُكَ) عنه (فِيما يَبْقَىٰ لَكَ جَمَالُهُ ويُنْفَىٰ عنْكَ وبَالُهُ) ووزره (والمَالُ لا يَبْقَىٰ لَكَ ولا تَبْقَىٰ لهُ) لأنّه أي المال وهكذا أنت في معرض الفَناء (واعلمْ أنَّكَ إنّما خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنْيا) الفانية (ولِلْفَناءِ لا لِلْبَقاءِ ولِلْمَوْتِ لا لِلْحَياةِ وأنَّكَ في مَنْزِلٍ قُلْعَةٍ) الّذي لا أساس له ولا يملك لنازله (ودارِ بُلْغَةٍ) وكفاية أي تأخذ منها ما يكفيك

لآخرتك (وَطرِيقِ إلىٰ الآخِرَةِ) فأنّ الدّنيا طَرِيقَ إليْها (وأنَّك طَرِيدُ المَوْتِ الَّذِي لا يَنْجُو منْهُ هارِبُهُ ولا يَفُوتَهُ طَالِبُهُ) ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ المَوتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[1] (ولابُدَّ أنَّهُ مُدْرِكُهُ) ولا يمكن الفرار منه (فكُنْ منْه) من المَوت (علىٰ حَذر أن يدركك وأنت) أي والحال أنت (عَلىٰ حالٍ سَيِّئةٍ) بسبب المعاصي الّتي فعلتها(قدْ كُنْتَ تُحدِّثُ نَفْسَكَ مِنْها بالتَّوْبَةِ) قبل حلول الأجل (فَيَحُولَ بيْنك وَبَيْنَ ذَلِكَ) أي أنّ الموت يحول بينك وبين ما أردتَ سابقاً (فإذا أنْتَ قَدْ أهْلَكْتَ نَفْسَكَ بَسبب الغفلة عنه (يابُنَيَّ أكْثِرْ منْ ذِكْرِ المَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ) وتدخل (عَلَيْهِ) من عقباته (وتُفضِي بَعْدَ المَوْتِ إليْهِ) من المراحل الىٰ يوم القيامة (حَتّىٰ يَأتِيَكَ وَقَدْ أخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ) أي سلاحك وأسبابك (وشَدَدْتَ لهُ أزْرَكَ) أي قوتك وظهرَكَ (ولا يَأتِيَكَ) المَوْتِ (بَغْتَةً) وغفلةً (فَيَبْهَرَكَ) ويعذّبك، (وإيَّاكَ أنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَىٰ مِنْ إخْلادَ أهْلِ الدُّنْيا إلَيْها) وسكونهم فيها مدّة طويلة (وتَكالُبِهِمْ) ونوائبهم (عَلَيْها) علىٰ الدّنيا (فَقَدْ نَبَّأَ اللَّهُ عَنْها) أي قد أخبر اللّه عن الدّنيا وفنائها (ونَعَتْ) أي وأخبرت الدُّنْيا أيضاً (لَكَ نَفْسَها) بحالها وفنائها (وتَكَشَفَتْ لَكَ) أي أظهرت (عنْ مَسَاوِيهَا) ومعايبها (فأنَّما أهْلُها كِلاَبٌ عاوِيَةٌ وسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ) مُولعة بالإفتراس (يَهِرّ) ويمقت (بعضها بَعْضاً ويَأكُل عَزِيزُها ذَلِيلَها ويَقْهَرُ كَبِيرُها صَغيرَها) فَهذَا شَأن أبناء الدّنيا (نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ) أي إبلٌ لها عقال (وأُخْرَىٰ مُهْمَلَةٌ) مرسلة لا عقال لها (قدْ أضَلَّتْ عُقُولَها) أي أضاعت عقولها (وَرَكِبَتْ مَجْهُولَها) أي طريقها المجهول لها (سُرُوح عاهَةٍ) أي أنّهم يسرحون لرعي الآفات (بِوَادٍ وعَثٍ) يصعب السّير فيه (لَيْسَ لَها رَاعٍ يُقِيمُها) علىٰ طريق الحقّ (ولا مُقِيمٌ يُسِيمُها) أي ولا مسرحٌ يَسرحها (سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيا طَرِيقَ الْعَمَىٰ) والضّلالة (وأخَذَتْ بأبْصارِهِمْ عَنْ مَنارِ الهُدَىٰ) فَلاَ يُبصرونها (فَتاهُوا) وضلوا (فِي حَيْرَتِها وغَرِقُوا فِي نِعْمَتِها واتَّخَذُوها رَبّاً) ومعبوداً (فَلعِبَتْ) الدُّنيا (بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا ونَسُوا ما وَرَاءَهَا) من

١- النساء ٨٧

الآخرة (رُوَيْداً) مَنصوب على المصْدرية أي أرود رويداً (**يُسْفِرُ**) ويكشف (**الظَّلاَمِ**) أي ظلام الجهل.

(**كأن قد ورَدت الأظعان**) عبّر به عن المُسافرين في طريق الدّنيا الى الآخرة (**يُوشك**) أي يسرع (**منْ أَسْرَعَ أنْ يُلْحَقَ**) بهم (**واعْلمْ أَنَّ منْ كانَتْ مَطِّيَّتُهُ**) وَمركَبه (**اللَّيْلِ والنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَأَنْ كانَ وَاقِفاً ويَقْطَعُ المَسافَةَ وأنْ كَانَ مُقِيماً وادِعاً**) أي ساكناً مُستريحاً.

◁ الشّرح

▫ **قوله** ﷺ **واعْلمْ أنَّ أمَامَكَ عقَبةً كَؤُداً المُخِفُّ فِيها أَحْسَنُ حالاً منَ المُثْقِلِ والْبَطِيِّ عَلَيْها أَقْبحُ حالاً منَ المُسْرِعِ وأنَّ مَهْبَطَكَ بها لا مَحالةَ عَلىٰ جَنَّةٍ أوْ عَلىٰ نَارٍ.**

قد ورد في حديث أبي الدّرداء انّ بين أيدينا عَقَبةً كؤداً وقيل في معناه أي شاقة المَصعَد وانّما قالوا ذلك لأنّ العقبة في الأصل المرقىٰ الصّعب من الجبال ثمّ إستعير لكلّ طريق صعب والكَؤد مفعول من الكأد وهو المشّقة وقيل في وصفه تعالىٰ: **لا يتكأده صنع شيٍ** أي لا تشّق عليه والكؤد مبالغة في الشّاق والمُراد بالعَقَبة في المقام المَوت وما بعده من المراحل كعالم القبر والبَرزخ والصّراط والميزان والحساب والموقف وغيرها ولا شكّ في صُعوبتها وعبّر ﷺ عنها بأنّها أمامك لأنّك تُساق اليها لا محالة فأنّ آخر الحياة الموت وحيث قد ثبت أنّ الموت وما بعده من المراحل الأخروية صَعبٌ جدّاً فالمسافر علىٰ الطّريق كلمّا كان أخفّ ظَهراً كان أسهَل عُبوراً وبالعكس بالعكس ولأجل هذا قال ﷺ: **المُخِفُّ فِيها أَحْسَنُ حالاً منَ المُثْقِلِ**، وحيث أنّ الطّريق إذا كان محفوفاً فالعُبور عنه سريعاً أسلَم من العُبور بطيئاً قال ﷺ: **والْبَطِيِّ عَلَيْها أَقْبحُ حالاً منَ المُسْرِعِ** وقوله ﷺ: **وأنَّ مَهْبَطَكَ بها لا مَحالةَ** إشارة الىٰ أنّ الوقوف علىٰ العَقبة ممّا لابدّ منه لكلّ أحدٍ كائناً من كان فأنّ المَوت حقّ لا مَرية فيه: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ**

مَيِّتُون﴾[1] وإذا كان الهُبوط عليها حَتْمياً فلا يخلو الحال فيه عن أمرين، الجنّة والنّار ولا ثالث في البَين فالمُخفّ السّريع في الجنّة والمُثقل البطئ في النّار وفي تعبيره عليه السلام بالمُخفّ والمُثقل إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُون﴾**[2]

إلّا أنّ الخفّة والثّقل في كلام اللّه تعالىٰ إستعملا في الموازين أعني الصّالحات من الأعمال الّتي تُوجب الثّقل في الميزان وعدمها الّذي يُوجب الخِفّة فيه وفي كلام علّي عليه السلام إستعملا في الحمّل علىٰ الظّهور بمعنىٰ أنّ كثرة الأعمال الصّالحة مثلاً تُوجب ثقل الميزان وخِفّة الظّهر كما أنّ كثرة المعاصي تُوجب خِفّة الميزان وثقّل الظهر فكلامه عليه السلام في البلاغة تام كامل قلّما يُوجد مثله لو لم نَقُل أنّه في حدّ الأعجاز ومحصّل الكلام أنّ من ثقلت موازينه في كلام اللّه فهو خفيف الظّهر في كلام علّي عليه السلام ومن خفّت موازينه فهو ثقيل الظّهر فتأمّل فيه:

▫ **قوله عليه السلام: فَأَرْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ فلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ولا إِلىٰ الدُّنْيا مُنْصَرَفٌ...**

أي إذا كان مَهبَطك بها لا محالةٍ فأطلب لنفسك قبل نزولك وَوَطئ وَهئ المنزل قبل حُلولك فيه أي إجعله مُستعداً للحلول والنّزول فيه فقوله فأرتد أي إبعث رائداً من طيّبات الأعمال تُوقفك الثّقة به علىٰ جودة المَنزل فأنّ الرّائد في الأصل من ترسله في طلب الكلاء ليتّعرف مَوقعه والحاصل لا تدخل منزل القبر علىٰ غفلةٍ فليس بعد المَوت مُستعتَب أي لا يمكن بعده طلب الرّضا وتحصيله ولا يمكن الإنصراف الىٰ الدّنيا بل يصير الإنسان أسيراً مقهوراً مغلوباً كما قال اللّه تعالىٰ حكاية عنه: **﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا**

١- زمر ٣٠

٢- الأعراف-٩ و ١٠

تَرَكْتُ، كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[1] وإذا كان كذلك فينبغي للعاقل علاج الواقعة قبل وقوعها:

□ **قوله ﷺ: واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ قدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعاءِ و تَكَفَّلَ لَكَ بالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أنْ تَسأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمكَ...**

أي واعلم أنّ الله تعالىٰ قد أذِن لك في الدّعاء فأنّ مَن بيده خزائنها ليس إلّا هو وتكفل أي تعهّد وضمن لك الإجابة بعد الدّعاء فقال تعالىٰ في كتابه: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**[2]

و: **﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**[3]

و: **﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾**[4]

و: **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**[5]

و: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)**[6]

و: **﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾**[7]

و: **﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾**[8]

و: **﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾**[9] وأمثالها من الآيات، وأمّا الأخبار:

فمنها ما رواه في البحار بأسناده عن الرّضا ﷺ عن آبائه قال رسول اللّه ﷺ الدّعاء سلاح المؤمن وعماد الدّين ونُور السّموات والأرض وزاد في آخره فعليكم بالدّعاء وأخلصوا النّية انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال أنّ الدّعاء يردّ القضاء وأنّ المؤمن ليذنب فيحرم بذنبه الرّزق انتهىٰ...

وبأسناده عنه ﷺ عن أبيه قال رسول اللّه ﷺ داووا مرضاكم بالصّدقة وأدفعوا أبواب البلاء بالدّعاء وَحصِنّوا أموالكم بالزّكوة فأنّه ما يُصاد ما

١- مومنون ١٠٠
٢- غافر ـ ٦٠
٣- الاعراف ـ ٢٩
٤- الاعراف ـ ١٨٠
٥- الاعراف ـ ٥٥
٦- البقرة ـ ١٨٦
٧- المؤمنون ـ ١١٨
٨- الاعراف ـ ١٥٥
٩- الانعام ـ ١٣٣

تَصيد إلّا بتضييعهم التَّسَبيح انتهىٰ...

وبهذا الأسناد قال رسول اللّه ﷺ أنّ الرّزق لينزل من السّماء الىٰ الأرض علىٰ عدد قطر المَطر الىٰ كلّ نفسٍ بما قدّر لها ولكن لِلّه فضول فأسئلوا اللّه من فضله انتهىٰ...

الأَربَع مائة، قال أمير المؤمنين عليه السلام أدفعوا أمواج البلاء عنكم بالدّعاء قبل ورود البلاء فوالّذي فَلَق الحبّة وبرء النّسمة لَلبَلاء أسرع الىٰ المؤمن من إنحدار السّيل من أعلىٰ التّلْعَة الىٰ أسفلها ومن ركض البرازين انتهىٰ...

وبأسناده عن موسىٰ ابن جعفر عليه السلام قال قال رسول اللّه ﷺ ألا أدّلكم علىٰ سّلاح يُنجيكم من عدّوكم ويدّر رزقكم قالوا نعم تدعون باللّيل والنّهار فأنّ سلاح المؤمن الدّعاء انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال ما من شيءٍ أحبّ الىٰ اللّه من أن يُسأل انتهىٰ...

وقال النّبي ﷺ عن جبرائيل عن اللّه عزّ وجلّ، يا عبادي كلّكُم ضّال إلّا من هديته فأسئلوني الهُدىٰ أهدكم، وكُلّكم فقير إلّا من أَغنيته فأسئلوني الغناء أرزقكم وكُلّكم مُذنب إلّا من عافيته فأسئلوني المغفرة أغفر لكم ومن علم أنّي ذو قُدرة علىٰ المغفرة فإستغفرني بقدرتي غفرت له ولا أُبالي ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحَيّكم ومَيّتكم ورَطبكم ويابسكم إجتمعوا علىٰ إتقاء قلب عبدٍ من عبادي لم ينقصوا من مُلكي جناح بعوضة ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحَيّكم ومَيّتكم ورَطبكم ويابسكم إجتمعوا فيتّمنىٰ كلّ واحدٍ ما بلغت أُمنيته فأعطيته لم يتبّين ذلك في مُلكي كما أنّ لو أحدكم مّر علىٰ شفير البحر فغمس فيه إبرةً ثمّ إنتزعها ذلك بأنّي جواد ماجدٍ واحدٍ عطائي كلام وعداتي كلام فإذا أردت شيئاً فأنّما أقول كُن فيكون انتهىٰ...

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال قُلت قوله أنّ إبراهيم لأوّاهٌ حليم قال عليه السلام الأوّاه الدُعّاء انتهىٰ...

وعن حنان بن سدير عن أبيه قال قلت للباقر ﷺ أيّ العبادة أفضل فقال ﷺ ما مِن شيءٍ أحبّ الىٰ اللّه من أن يُسأل ويُطلب ما عنده وما أجد أبغض الىٰ اللّه مِمنّ يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده انتهىٰ...

الأحاديث كلّها ما نقّلناها عن «البحار ج ١٩ جزء الثاني باب الدّعاء ص ٣٥ الى ص ٣٧»...

▫ **قوله ﷺ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ ولَمْ يَلجِئكَ إلىٰ مَنْ يَشْفَعَ لَكَ إليْهِ...**

أي لم يجعل اللّه تعالىٰ حجاباً بين الخالق والمخلوق ليكون الخالق محجوباً عن خلقه فلا حجاب بينك وبين اللّه تعالىٰ ولم يُلجأك أي لم يضطّرك الىٰ شافعٍ يشفع لك عنده بل جعلك قادراً علىٰ التّقرب اليه والدّخول في جوار رحمته بسببِ الأعمال الصّالحة والتّوبة والإنابة اليه وهو لا يُنافي وجود الشّافعين يوم القيامة علىٰ ما دلّت الآيات والأخبار عليه وذلك لأنّ مفاد كلامه ﷺ عدم الإضطرار الىٰ الشّافع بمعنىٰ أنه قادر علىٰ دخول الجنّة بَعمله لو شاء من غير إضطرارٍ الىٰ الشّافع ومقام القوة غير مقام الفعلية ففيما ذكره ﷺ حَثٌ علىٰ العَمَل الصالح في الدّنيا حتّىٰ الإمكان لا أنّ العبد يعصي برجاء الشّفاعة ألا ترىٰ إنّا إذا قلنا زيد لا يضطّر الىٰ أخذ اللّباس عن غيره معناه أنّه قادر علىٰ رفع إحتياجه بشخصه من غير إحتياج الىٰ الغير وأمّا أنّ القُدرة وصَلت الىٰ مقام الفّعلية أم لا فهو شيءٌ آخر وانّما قال ﷺ: هذا الكلام في هذا المقام لأنّه حَكَم بعدم الحجاب بين العبد والرّب في الجملة الأولىٰ فكان هناك مَظَنَّة سؤالٍ وهو أنّه لو لم يكن بين الخالق والمخلوق حجاب ويمكن للعبد الوصول الىٰ مقام الرّحمة بنفسه فما معنىٰ الشّافع الّذي تقولون به فقال ﷺ في الجواب أنّ اللّه تعالىٰ لم يلجأك الىٰ الشّافع بل لك أن تعمل حتّىٰ لا تحتاج اليه نعم لو كنتَ مُضطراً الىٰ التّوسل به بحيث لم تقدر علىٰ الوصول الىٰ مقصدك بدونه لكان حجاباً بينك وبينه وليس كذلك فهو أي الشّافع جَعَله اللّه لِمن لم

يستفد من جوهر ذاته وكان غافلاً في الدّنيا عمّا خُلِقَ لأجله وهو واضح:

▫ **قوله ﷺ: ولمْ يَمْنَعْكَ أنْ أسأتَ مَن التوبَةِ ولمْ يُعاجِلْكَ بالنَّقْمَةِ ولمْ يُعَيِّرْكَ بالإنابَةِ...**

أي أنّ اللّه تعالىٰ لم يمنعك من التّوبة أن عصيت بل رَغّبك اليها في كتابه وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (١)

و : ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَىٰ اللَّهِ مَتَاباً﴾ (٢)

و : ﴿وتُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣)

و : ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ (٤)

و : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (٥)

ثمّ أنّ التّوبة هي الرّجوع من الذّنب القولي والفعلي والفكري وعلىٰ قول آخر ترك المعاصي في الحال والعزم علىٰ تركها في الإستقبال وعلىٰ قول ثالث تنزيه القلب عن الذّنب والرّجوع من البُعد الىٰ القُرب وتدارُك ما سبق من التّقصير، وكيف كان فلا شّك في أنّ التّوبة عن الذّنب أو الذّنوب بأسرها واجبة إجماعاً وعقلاً ونقلاً وأنّها أوّل مقامات الدّين ورأس مآل السّالكين ومُفتاح إستقامة السّائلين ومطلع التّقرّب الىٰ ربّ العالمين ومَدحها عظيم وفضلها جسيم وقد عرفت بعض الآيات الواردة فيها:

وقال رسول اللّه ﷺ - التّائب حَبيب اللّه والتّائب من الذّنب كمن لا ذنَب له...

وقال الباقر ﷺ - وأنّ اللّه تعالىٰ أشدّ فَرَحاً بتوبة عبده من رجلٍ أضّل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فاللّه أشدّ فَرحاً بتوبة عبده من ذلك الرّجل براحلته حين وجدها...

وقال الصّادق ﷺ - أنّ اللّه عزّ وجل أعطىٰ التّائبين ثلاث خصال لو أعطىٰ

١- طه ـ٨٢
٢- الفرقان ـ٧١
٣- النّور ـ٣١
٤- غافر ـ٣
٥- الشورىٰ ـ٢٥

خصلة منها جميع أهل السّموات والأرض لَنَجوا بها، الأحاديث مَروية «عن جامع السّعادات ج ٣ ص ٦١»...

وحيث إنّا قد تكلّمنا في التّوبة مفّصلاً فيما مضىٰ فلا نطول الكلام بذكرها:

وأمّا قوله ﷺ: **ولم يُعاجلك بالنّقمة**، والمقصود أنّه تعالىٰ أمهلك في الدّنيا لتدارك ما فات منك بسبب التّوبة ولم يُعاجلك بالنّقمة والعذاب بعد العصيان و هو:

من ألطافه الخَفية علىٰ العَوام والجّلية علىٰ الخَواص ومن المعلوم أنّ الإمهال من الخالق القادر في حقّ العبد العاصي الضّعيف من أعظم النّعم ولأجل هذا يقبل التّوبة عن العبد الىٰ آخر عُمره:

وأمّا قوله ﷺ: **ولم يُعيّرك بالإنابة**، أصل التَّعيير اللّوم والذّم وأمّا الإنابة فهي مصدر قولك أناب يُنيب مُشّتق من النّوب وهو رجُوع الشّئ مرّة بعد أُخرىٰ يُقال ناب نوباً ونوبة وسُمّي النّحل نوباً لرجُوعها الىٰ مقّارها قاله الرّاغب في المفردات ثمّ قال والإنابة الىٰ اللّه الرّجوع اليه بالتّوبة وإخلاص العَمَل انتهىٰ ما ذكره.

والحّق أنّ الإنابة هي الرّجوع عن كلّ شئ ممّا سوىٰ اللّه والإقبال علىٰ اللّه بالسّر والقول والفعل حتّىٰ يكون دائماً في فكره وذكره وطاعته فالإنابة غاية درجات التّوبة وأقصىٰ مراتبها، إذ التّوبة هي الرّجوع عن الذّنب اليه تعالىٰ والإنابة هي الرّجوع عن كلّ ما سواه اليه حتّىٰ عن المُباحات قال اللّه تعالىٰ:

﴿وأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ (١)

و: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ (٢)

و: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ (٣)

و: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ) (٤)

١- الزمر ـ٥٥ ٢- المؤمن ـ١٣
٣- الرّعد ـ٢٧ ٤- الزّمر ـ١٧

و : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [1] وغيرها من الآيات.

قالوا إنابة العبد تتمّ بثلاثة أُمور:

الأوّل: أن يتّوجه اليه بشراشر باطنه حتّىٰ يستغرق قلبه في فكره.

الثاني: أن لا يكون خالياً عن ذكره وذكر نِعمه ومواهبه وذكر أهـل حُبّه وتقّربه.

الثّالث: أن يُواظب علىٰ طاعاته وعباداته ومع خلوص النّية.

▫ **قوله ﷺ:ولمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الفَضِيحَةُ بكَ أوْلىٰ ولمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَفِي قَبُولِ الإنَابَةِ...**

أمّا الجملة الأولىٰ: فهي إشارة الىٰ مقام ستّاريته تعالىٰ حيث أنّـه تـعالىٰ لا يفضح العَبد العاصي حتّىٰ بل يستر عيبه ونقصه بِلطفِه وكرمه فأنّه ستّار العيُوب وغفار الذّنوب مع أنّه لا يخفىٰ عليه شي من فعل العَبد سِراً وعَلَناً وأمّا الثّانية فهي إشارة الىٰ أنّ الإنابة وأن كانت مَمدُوحة مُستَحسنة في حدّ نفسها لكونها الرّجوع عن كلّ ما سواه اليه ولا مقام للعبدَ أعلىٰ منه إلّا أنه تعالىٰ لم يُشدّد علىٰ العبد ولم يُجبره عليها لكونها شاقّة علىٰ أكثر النّاس كيف لا وهي إعراضٌ عن الدّنيا وما فيها وإقبال الىٰ الآخرة وما فيها بل إعراض عنهما وإقبال اليه تعالىٰ وقد ثبت أنّ اللّه لايُكلّف نفساً إلّا وسعَها وأكثر النّفوس لا تَسعها والسِر فيه أنّ الإنابة أعني الرّجوع اليه بالكلّية لا يحصل لِلإنسان إلّا بعد المعرفة التامّة به وأنّ اللّه هو الباقي وما سواه كائناً ما كان في معرض الفناء والعاقل لا يـختار الفاني علىٰ الباقي فإذا عرف العبد ذلك يوجد في قلبه ما يُعبّر عنه بالعشق باللّه تعالىٰ وهو في الحقيقة نارٌ مُحترقة لكلّ ما سواه.

والسّالك في هذا المقام لا يتّوجه بغير معبوده ومعشوقه ولا ينظر الىٰ غيره إلّا بنظر الآلي لا الأستقلالي بمعنىٰ أنّ ما سواه طريق الىٰ معرفة موجده وصانعه لا أنّه موجود مستقلاً فلا ينظر الىٰ الدّنيا بل ولا الىٰ الأخرة إلّا بعنوان الطّريقية

١- هود ـ٨٨

والأليّة فهو يقول بلسان حاله ما قاله العارف بالفارسية:

از روز ازل مى‌خور ورنـدانـه سـرشتيم
بـرجـبهة بجز قـصّة عشـقت نـنوشتيم
زاهـد تـو بـما دعوت فِـردَوس مَـفرما
مـاباغ بـهشت ازپـى ديـدار بـهشتيم
از عشـق نكـوهش مـنما خَـسته دلان را
كِزخانهٔ صُنيعم چـه زيـبا وچـه زشـتيم
انــدر طَـلَبت گَـه بَحرم گـاه بـه ديـريم
گَه مُعتكف مسجد وگاهى به كِـنشستيم
زآنــروز كــه دادنــد بـما كِلك دَبـيرى
غـير از الِـف قَـدّ تُـو بـردِل نـنوشتيم
اسـرار دل اسـرار سـر از سـدره در آورد
بارى دِرويديم هـر آن تـخم كـه كشـتيم

▫ **قوله ﷺ: ولمْ يُنَاقِشْكَ بالجَرِيمَةِ ولمْ يُوئِسْكَ منَ الرَّحْمَةِ...**

أي أنّ الله تعالىٰ لم يُجادلك بما إرتكبه من الجُرم والعصيان بـل وعـدك العفو بعد توبتك كما أنّه لم يُحرمك من رحمته وأن كُنتَ عاصياً فقال في كتابه: **﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (١)

و: **﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾** (٢)

و: **﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾** (٣)

▫ قوله ﷺ: **بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنْ الذَّنْبِ حَسَنةً وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ واحِدَةً وحَسَبَ حَسَنتَكَ عَشْراً وفَتَحَ لَكَ بابَ المَتابِ...**

١ـ الزمر ـ ٥٣
٢ـ الحَجر ـ ٥٦
٣ـ يوسف ـ ٨٧

نَزع الشّيءَ جَذبه مِن مَقّره ومنه نَزع العَداوة والمَحبّة من القَلب ونَزع الرّوح من الجَسَد.

ثمّ أنّ الفعل أعني نَزَع تارةً يجئ مصدره على النّزع فيُقال نَزَع نَزعاً وأُخرىٰ علىٰ النّزوع يُقال نَزَع نزُوعاً فعلىٰ الأوّل معناه ما ذكرناه وعلىٰ الثّاني معناه كَّف وانتهىٰ عنه فقوله عليه السلام في المقام حيث قال نزوعك ولم يقل نَزعك إشارة الىٰ المعنىٰ الثّاني والمعنىٰ جَعل الله تعالىٰ كَفّك وإنتهاؤك عن الذّنب حَسَنة ولم أَرَ بين الشّراح من تَفطّن لهذه الدّقيقة وأنّه عليه السلام لِم قال نزُوعك ولم يقل نَزعك مع أنّهما مصدران للفعل الواحد وهو (نَزَع).

ثمّ أنّ الوجه في عدوله من النّزع الىٰ النّزُوع هو أنّ نَزع الذّنب لا معنىٰ له لِلإنسان وذلك لأنّه أن كان المراد به ترك الذّنب فهو الإنـتهاء والكّف وهـو النّزوع لا النّزع، وأن كان المراد قلع الذّنب كما هو معنىٰ النّزع بمعنىٰ قلع مادّته فهو محال فأنّ مادّة الذّنب لا تُقلع أصلاً

وأنّما جَعل النّزوع حَسَنة لأنّ المُكلّف تَرك سيّئةً من السّيئات وتركُ السّيئة حَسَنة.

وأمّا قوله عليه السلام: **وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ واحِدَةً وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً** فهو يدّل علىٰ كمال لُطفه بعبده ومع ذلك فيه تَرغيب الىٰ فعل الخَيرات وتحصيل الحَسَنات

والدّليل علىٰ الأوّل:

قوله تعالىٰ في كتابه: **﴿وَمَنْ جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُون﴾** (١)

و: **﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾** (٢)

وعلىٰ الثّاني:

قوله تعالىٰ: **(وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾** (٣)

١- الانعام-١٦٠

٢- يونس-٣٧

٣- الانعام-١٦٠

و: ﴿مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءامِنُون﴾(١)

و: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُور﴾(٢)

وقوله عليه السلام: **وفتح لك باب المَتاب** أي باب التّوبة وقد مَرّ الكلام فيها يُقال تاب توبةً ومتاباً الىٰ اللّه رجع عن معصيته اليه.

▫ **قوله عليه السلام: فَإِذَا نادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ وإِذا ناجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ...**

والفرق بين النّداء والنّجوىٰ أنّ النّداء بالصّوت والنّجوىٰ بالقلب أو أنّ الأوّل مُكالمة الجَهر والثّاني مُكالمة السِر وحيث أنّ اللّه تعالىٰ يعلم السّر كما يعلم العَلَن فلا محالة لا يخفىٰ عليه شئ لا في الأرض ولا في السّماء قال اللّه تعالىٰ:(قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٣)

و: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ﴾(٤)

و: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾(٥)

و: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ الَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(٦) والمراد بكونه تعالىٰ سميعاً هو علمه بالمسمُوعات لا أنّ له سَمعٌ يَسمع به كما فينا لأنّ هذا السّمع من شئون الجسم وهو تعالىٰ مُنزه عنه وقد مَرّ الكلام في سمعه وبَصره وغيرهما من صفاته في المُجلد الأوّل من هذا الكتاب عند شرحنا الخطبة التّوحيدية فراجع هناك أن شئت.

▫ **قوله عليه السلام: فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحاجَتِكَ وأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ وشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ واسْتَكْشَفْتَهَ كُرُوبَكَ واسْتَعَنْتَهُ عَلى أُمُورِكَ وَسأَلْتَهُ منْ خَزَائِنِ رَحْمَتِه ما لايَقْدِرُ علىٰ إِعْطائِهِ غيرُهُ...**

أي اذا كان اللّه تعالىٰ سميعاً مُجيباً قادراً علىٰ كلّ شئ غنّياً عمّا سواه وغيره محتاج اليه فَأفضيتَ وألقيتَ اليه بحاجتك وأبثثته وأظهرته ذات نفسك وحالها وَشَكَوْتَ اليه هُمُومَك واسْتَكْشَفْتَهَ أي طلبت منه كشف الكُرُوب والهُموم

١- النمل ـ٨٩
٢- الشورىٰ ـ٢٣
٣- الانبياء ـ٤
٤- التّوبة ـ٧٨
٥- الزّخرف ـ٨٠
٦- المُجادلة ـ٧

وطلبت منه الإستعانة علىٰ أمورك وسألته من خزائن رحمته الواسعة ما لا يقدر علىٰ إعطائه غيره فأنّ عَطاء الغير محدُود وعطائه غير محدُود مُضافاً الىٰ أنّ عطاء الغير في الحقيقة يرجع اليه فلا مُعطي سواه ولا مُعين غيره فهو المَلجَأ والمُعتَمد في كلّ الأمور.

□ **قوله ﷺ: مِنْ زِيَادَةِ الأَعمَارِ وصِحَّةِ الأَبْدَانِ وسَعَةِ الأَرْزَاقِ...**

كلمة (من) بيانيّة أي ما تطلب منه فهو عبارة عن زيادة الأعمار بأن يزيد اللّه تعالىٰ في عُمرك وصحّة الأبدان بأن لا يُمرضك أو صحّتها عن مطلق الآفات وسِعَة الأرزاق بأن يزيد فيها فأنّ هذه الأمور كلّها بيده ويظهر من كلامه ﷺ أنّ الزّيادة في العُمر وصحّة الجسم وسِعة الرّزق ممّا يقبل الزّيادة والنّقص وليست من الأمور المحتومة الّتي لا تتّغير ولا تتّبدل وهو كذلك فأنّ اللّه يمحو ما يشاء ويُثبت وعنده أُمّ الكتاب.

□ **قوله ﷺ: ثمّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ مِنْ مَسأَلَتِه فَمتىٰ شِئتَ إسْتَفْتَحْتَ بالدُّعاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِه واسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رحْمَتِهِ...**

أي أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل مَفاتيح خزائنه بيد عبده وهي الأدعية المأثورة وغيرها بكلّ لسانٍ وفي كلّ لُغةٍ من اللّغات وفي أيّ مكانٍ وزمانٍ فمتىٰ شاء العَبد فتح بابها يدعو اللّه بما شاء فأنّه بالدّعاء يفتح أبواب نعمته ويطلب نزول أمطار الرّحمة من رَحمته فقال في كتابه: **﴿وللّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾**(١)

و: **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّامَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾**(٢)

□ **قوله ﷺ: فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إبْطَاءُ إجابَتِهِ فإنَّ الْعَطِيَّةَ علىٰ قَدْرِ النِّيَّةِ...**

أي لا تقنَط من رَحمة اللّه لو أبطأ في الإجابة وأخّرها عن وقت الدّعاء الىٰ وقتٍ آخر وذلك لأنّ العطّية منه تعالىٰ علىٰ قدر خلُوصك في الدّعاء وأنت تطلب الإجابة سريعاً وتَغفل عن خلُوصك في دعائك.

١- الاعراف ـ ١٨٠

٢- الاسراء ـ ١١٠

▫ **قوله ﷺ: ورُبّما أُخِّرَتُ عَنْكَ الإجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ وأَجْزَلَ لِعَطاءِ الأَمِلِ...**

وهذا هو الوجه الثّاني لتّأخير الإجابة وحاصله أنّ التّأخير فيها قد يكون مُوجباً لأجر السّائل وأكثر نفعاً لِلعطاء الّذي يترقبه ويُؤمّله وذلك لما وَرد في الأخبار أنّ اللّه تعالىٰ يُحبّ إلحاح المُلحين ودعاء المُضطّرين فكلامه ﷺ يدّل علىٰ أنّ في نفس الدّعاء والإصرار أجر عظيم.

▫ **قوله ﷺ: وَربّما سألْتَ الشّيَ فَلاَ تُؤتاهُ وأُوتِيتَ خَيراً مِنْهُ عَاجِلاً أوْ آجِلاً) أوْصَرِفَ عنْكَ لمَاهُوَ خَيرٌلَكَ...**

وهذا هو الوجه الثّالث في تأخير الإجابة وحاصله أنّ التّأخير قد يكون لمصلحةٍ لا تعلم بها وهي الخَير في الدّنيا أو الخَير في الآخرة أكثر ممّا تَمّنيت كما قال ﷺ:

▫ **قوله ﷺ: فَلَرُبَّ أمْرٍ قدْ طَلَبْتهُ فِيْهِ هَلاَكُ دِيْنِكَ لوُ أُوتِيْتَهُ فلْتَكُنْ مَسألَتَك فِيْما يَبْقَىٰ لَكَ جَمَالَهُ ويُنْفَىٰ عَنْكَ وَبالُهُ والمَالَ يَبْقَى لَكَ وَلا تَبْقَى لهُ...**

أي ربّما تطلب منه تعالىٰ شيئاً فيه هلاك دينك وأنت لا تَعلم به وهو يعلم وحيث أنّ اللّه تعالىٰ عالم بالمصالح وهو بك رؤف رحيم فلا محالة أَخّر الأجابة الىٰ وقت المَصلَحة.

رَوي في البحار عن النّبي ﷺ قال أنّ اللّه لا يستَعجب الدّعاء من قلب لاه فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدّعاء وأخلَصت بسّرك لوجهه فأبشر بأحدىٰ الثّلاث، أمّا أن يعجل لك ما سألت وأمّا أن يدّخر لك ماهو أعظم منه وأمّا أن يصرف عنك من البلاء ما أن لو أرسله عليك لَهَلكت انتهىٰ« جزء الثالث ج ١٩ ص ٣٣»...

وقال الصّادق ﷺ إحفظ آداب الدّعاء وأُنظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو وحقّق عظمة اللّه وكبريائه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك وإطّلاعه علىٰ سّرك ومايكن فيه من الحقّ والباطل وإعرف طرق نجاتك

وهَلاكك كيلا تدعو اللّه بشيْ منه هلاكك وأنت تظنّ فيه نجاتك قال اللّه عزّ وجلّ ويدعو الإنسان بالشّر دعاؤه بالخير وكان الإنسان عجولاً الحديث «ج ١٩ ص ٤٣»...

(وقال النّبي ﷺ قال اللّه تعالىٰ من شَغَله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطىٰ السّائلين انتهىٰ« الجزء الثاني ص ٤٣»...

وقوله ﷺ فلتكن مسألتك الىٰ آخر ما قال ﷺ معناه فليكن سؤالك عنه تعالىٰ أن يعطيك ربّك ما هو خير لك في الدّارين فأنّ المال يبقىٰ لك ولا تبقىٰ له فيكون وباله عليك .

▫ قوله ﷺ: واعلمْ أنَّكَ إنّما خُلِقَتْ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنْيا ولِلْفَناءِ ولا لِلْشَقاءِ لالِلْبَقاءِ ولِلْمُوتِ لا لِلْحَياةِ...

قال اللّه تعالىٰ: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (١)

و : ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (٢)

و : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْأَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

و : ﴿وَإِنَّ الْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٤)

و : ﴿والآخرة خير وأبقىٰ﴾ (٥) وغيرها من الآيات وقد ظهر لك منها أنّ الدّنيا دار فناء والآخرة دار قرار وثبات مُضافاً الىٰ أنّ الحِسّ أيضاً يَشْهد بأنّ الأنسان لا يبقىٰ في الدّنيا بل يموت بعد مدّة وهو من أدّل الدّليل علىٰ أنّ البَقاءِ فيها محال فلو خُلق لها لكان باقياً فيها وحَيْثَ نَرىٰ إرتحاله عنها وقراره في الآخرة نعلم أنّها دار القرار فالإنسان خُلق لها لأنّ فيها قراره وثباته وإذا كان كذلك فَينبغي له أن لا يعتمد علىٰ الدّنيا وما فيها من النّعم لعلمه بعدم قراره فيها.

وأمّا قوله ﷺ: ولِلْفَناءِ لا لِلْبَقاءِ فلقوله تعالىٰ:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٦) وأمّا أنّه

١- التّوبة ـ ٣٨
٢- الرّعد ـ ٢٦
٣- العنكبوت ـ ٦٤
٤- غافر ـ ٣٩
٥- الاعلىٰ ـ ١٧
٦- الرحمٰن ٢٦

للمَوت لا للحياة فلقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُون﴾ (١) وأمثالها من الآيات وقد مضىٰ الكلام فيها غير مرّة.

▫ قوله ﷺ: وأنَّكَ فِي مَنزِلِ قُلْعَةٍ ودَارِ بُلْغَةٍ وَطَرِيقٍ إلىٰ الآخِرَةِ...

الواو للعطف أي واعلم أنَّكَ في مَنزِلِ قَلْعَةٍ وَهُوَ الدُّنيا وأنّما سُمّيت به لأنّ السّاكن فيها لا يدري متىٰ ينتقل عنها أو أنّها لا يملك لنازلها وهذا هو معنىٰ القُلعة بعينه.

وأمّا أنّها دار بُلْغَةٍ أي الكفاية فلأنّها دارٌ تُؤخذ نها الكفاية للآخِرَةِ وأمّا أنّها طَرِيقٍالىٰ الآخِرَةِ فهو واضح لا خفاء فيه إذ لا طريق لها إلّا هي.

▫ قوله ﷺ: وأنَّكَ طَرِيدُ الْمَوتِ الّذِي لا يَنْجُو مِنْهُ هارِبُهُ وَلا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ ولابُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ...

إستعار له لفظ الطّريد بإعتبار طلب المَوْتِ لهُ كالطّريدة له من الصّيد ثمّ قال ﷺ: لا يَنْجُو مِنْهُ أي مِنَ المَوْتِ هارِبُهُ ولا يَفُوتُهُ أي لا يُفُوت المَوت طَالِبُهُ ولابدّ أنّه أي المَوت مُدرِكُهُ والحاصل أنّ المَوت لا يمكن الفرار منه لأحدٍ بوجهٍ من الوجوه كما قال تعالىٰ:﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ (٢)

و: ﴿أَيْنَمَاتَكُونُوا يَدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَة﴾ (٣)

و: ﴿قُلْ لَن يَنفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنَ فَرَرتُم مِّنَ الْمَوْت﴾ (٤)

وقد مّر الكلام فيه غير مرّة.

▫ قوله ﷺ: فَكُنْ متْه عَلىٰ حَذَرٍ أنْ يُدْرِكَكَ وأنْتَ عَلىٰ حالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْها بالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَك وبَيْنَ ذلِكَ فإذَا أنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ...

أي فَكُنْ من المَوْتِ عَلىٰ حَذَرٍ أنْ يُدْرِكَكَ المَوت والحال أنت علىٰ حالٍ سَيِّئةٍمُستغرقاً في بحر المعصية والغفلة قد كُنتَ قبل مجئ الموت تحدّث

١- زمر ٣٠
٢- الجمعة ـ٨
٣- النّساء ـ٧٨
٤- الاحزاب ـ١٦

نفسك منها أي من السّيئة والمعصية بالتَّوْبَةِ فيقول مثلاً أنّي أتُـوب الىٰ اللّـه فيحول المَوت بَيْنَكَ وَبَيْنَ توبتك فإذا أنتَ قدْ أهْلَكْتَ نَفْسَكَ بسبب الإهمال في التّوبة والغفلة من المَوت.

□ قوله عليه السلام: **يَابُنَيَّ أكْثِرْ مَنْ ذِكْرِ المَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيهِ وتُفضِي بَعْدَ المَوْتِ إلَيْهِ حَتّىٰ يَأتِيَكَ وقدْ أخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ وشَدَدْتَ لهُ أَزْرَكَ ولا يأتِيَك بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ...**

أي لا تغفل من المَوت وإذكره كثيراً وهكذا ما تصل اليه بعد المَوت مـن عالم القبر وسؤال النَّكيرين وعالم البَرزخ والعبُور علىٰ الصّراط وغيرها مـن المراحل بعده حتّىٰ يأتيك المَوت والحال أنّك قد أخـذتَ منـه حِـذرك أي سلاحك وأسبابك وشددت له أزرك وقوّتك ولا يأتيك المَوت بَغتةً فيبهُرك أي يغلبك علىٰ أمرك والوجه فيه واضح قال اللّه تعالىٰ: **﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**(1) ومـن المعلوم أنّ العاصي والكافر لا يتّمناه أبداً فضلاً عن كثرة ذكره فذكر المَوت من خواصّ الأولياء والصُّلحاء.

□ قوله عليه السلام: **وإيَّاكَ أنْ تَغْتَرَّ بما تَرَىٰ منْ إخْلاَدِ أهْلِ الدُّنْيا إِلَيْها وتَكالُبِهِمْ عَليْها...**

أي إحذر عن الإغترار بما ترىٰ مـن إخـلاد أهـل الدّنـيا وسكـونهم إلَـيْها وتَكالُبِهِمْ وحرصهم عليها كما إغترّ به كثير من أهل الزّمان بل أكثرهم الّذين لا يعقلُون.

□ قوله عليه السلام: **فَقَدْ نَبَّأَ اللَّهُ عنها ونَعَتْ لَكَ نَفَسَها وتَكَشّفتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا...**

أي أنّ اللّه تعالىٰ قد أخبر عن الدّنيا وبين حقيقتها في كتابه فقال عزّ مـن قائل: **﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْأَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾**(2)

١ - الجمعة ـ ٦

٢ - العنكبوت ـ ٦٤

و : ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1]

و : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾[2]

و : ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾[3] وغيرها من الآيات الدّالة علىٰ عدم إعتبارها.

وأمّا قوله ونَعَت لك نعتها أي نَعَت الدّنيا لك نفسها فأخبرتك بحالها عن فنائها وتكّشفت أي أظهَرت لك عن مساوئها ومَعايبها علىٰ سبيل الوجدان والشّهُود.

▫ قوله عليه السلام: **فإنّما أهْلُها كِلاَبٌ عاوِيَةٌ وسِبَاع ضَارِيَةَ يَهِرُّ بَعْضُها بَعْضاً ويأكلَ عَزِيزُها ذَلِيلَها وَيَقْهَرُ كَبيرُها صَغيرَها...**

شبّه عليه السلام أهل الدّنيا بالكلاب العاوية الصّائحة والسّباع الضّارية مُولعة الأفتراس يهّر أي يمقت ويكره بَعْضُها بَعْضاً ويأكلُ عَزِيزُها ذَلِيلَها وقويّها ضعيفها ويقهر ويغلب كبيرها صغيرها وهذه الخصال بعينها خصال الكلاب والسّباع ولأجل هذا شبّههم بها.

أن قُلت ـ إنّا نَجد في الدّنيا من ليس كذلك كالأنبياء والأوصياء والصّلحاء والأخيار فكيف قال عليه السلام أنّما أهل الدّنيا كذلك وصّدر كلامه بكلمة (أنّما) الّتي تفيد الحصر.

قلت ـ فرقٌ بين أهل الدّنيا وغيرهم فأنّ أهل الدّنيا يُقال لمن عمل فيها لها ولا يتّوجه الىٰ الآخرة والأحكام الشّرعية الإلٰهية فهو أسير الشّهوات وأنيس الهَوَسات وأمّا الأخيار فأنّهم ليسوا من أهلها وأن كانوا فيها والىٰ هذا المعنىٰ أشار المولوي بقوله.

اهـل دنـيا از كـهين واز مَـهين   لعـنة اللّـه عـليهم اجـمعين

---

١ - آل عمران ـ ١٨٥
٢ - يونس ـ ٢۴
٣ - الانعام ـ ٧٠

وفي تفسير كلامه ﷺ وجه آخر غير ما ذكرناه وهو أن يُقال أنّ أهل الدّنيا في الحقيقة كذلك وأن كانوا بصُورة الإنسان فيها وبعبارةٍ أُخرىٰ صُورتهم في الدّنيا صُورة الإنسان وفي الحَشر صورة الكلاب والسّباع والفَرق بين التّفسيرين أنّ الأوّل علىٰ التّشبيه بتقدير الكاف أي أنّهم كالكلاب العاوية والثّاني علىٰ الحقيقة كما قال زين العابدين ﷺ **ما أَقّل الحجّيج وأكثر الضَجيج** للواقفين بعرفات في عهد عبد المَلك بن مَروان لكونهم قائلين بإمامته لعنه الله وقد وَرد في أخبارنا أن النّاس يُحشرون غداً بصُورٍ شتّىٰ مع كونهم في الدّنيا بصُورةٍ واحدة وكيف كان لا شكّ في صدق مقالة ﷺ عقلاً والحسّ يُؤيّده.

▫ قوله ﷺ: **نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ وأُخْرَىٰ مُهْمَلَةٌ قَد أَضَلَّتْ عُقُولَها ورَكِبَتْ مَجْهُولَها سُرُوحُ عاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ...**

النَّعَم بالتَّحريك الأمَل وكونها مُعقّلة أي لها عقال يمنعها عن السّتر والمُهملة ضدّ المُعقّلة أي لا عقال لها وحاصل المعنىٰ أنّ النّاس في الدّنيا علىٰ ضربين:

أحدهما: كالنّعم المُعقّلة وهم أهل الشّرائع فأنّ الأحكام الشّرعية والنّواميس الإلهية بمنزل العقال لهم حيث أنّ الأحكام تمنعهم عن الظّلم والعدوان وإرتكاب المعاصي،

وثانيهما: كالنّعَم المُهملة المُرسلة الّتي لا عقال لها فيفعلون في الدّنيا ما يشاؤن ويأكلون ما يَشتهون ويحكمون ما يريدون وهو أهل الهَوىٰ وأولياء الشّيطان وهم أكثر أهل الأرض في كلّ عهدٍ وزمانٍ قد أضلت وأضاعت عقولها ورَكبت طريقها المجهول لها وأن شئت قُلت أنّه سُرُوحُ عاهَةٍ لكونهم يَسرحُون لرعي الآفات بوادٍ وعَبث بصَعب السّر فيه، فأنّ السُّروح جمع سَرح بفتح السّين وهو السّائم من الإبل والعاهة الأفة، وبما فسّرنا الكلام قد ظهر لك أنّ قوله ﷺ: **قد أَضّلت** الىٰ آخر الكلام وَصفٌ للنّعَم المُهملة لا المُعقّلة فأنّ المُعقّلة ليست كذلك ثمّ وَصفَ المُهملة أيضاً بصفاتٍ أُخرىٰ وهي:

▫ **قوله ﷺ: لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا ولا مُسِيمٌ يُسِيمُها سَلَكَتْ بِهِمْ الدُّنْيا طَرِيقَ الْعَمَىٰ وأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنارِ الْهُدَىٰ فَتاهُوا فِي حَيْرَتِها وغَرِقُوا فِي نِعْمَتِها واتَّخَذُوها رَبّاً فَلعِبَتْ بِهِمْ ولَعِبُوا بِهَا ونَسُوا مَا وَرَاءَهَا...**

الضّمير في قوله ﷺ: **لها** وقوله ﷺ: **يُسيمها** يرجع الىٰ المُهمِلة والمعنىٰ أنّ النّعم المُهمَلة أعني بها إتّباع الشّيطان لكونها قد أضّلت عقولها الىٰ آخر ما قال وَقَعت في خطرٍ عظيم فكأنّه قيل له ﷺ ولِمَ وقعوا في الخطر فقال ﷺ في الجواب لأنّه ليس لها راعٍ يُقيمها فلا محالة تذهب حيث تشاء ولا مُسيم أي مُسرِحٌ يسرحها ويرعاها في المَرعىٰ وإذا كان كذلك فترعىٰ حيث تشاء سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيا طَرِيقَ الْعَمىٰ والغواية وأخذت بأبصارهم عن منار الهُدىٰ فلهم أعين لا يبصرون بها الحقّ فتاهوا وضّلوا في حيرة الدّنيا وغرقوا في نعمتها الّتي لا تبقىٰ لهم وإتّخذوها ربّاً بالإعتماد عليها والإنقياد لها فَلَعَبَت الدّنيا بهم ولَعبُوا بها أي بالدّنيا ونسُوا ما ورائها أي ما وراء الدّنيا وهو الآخرة.

▫ **قوله ﷺ: رُوَيداً يُسْفِرُ الظَّلَامُ كأَنْ قدْ ورَدَتِ الأَظْعانِ يُوشِكَ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ واعْلَمْ أَنَّ مَنْ كانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ والنَّهارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كانَ وَاقِفاً ويَقْطَعُ الْمَسافةَ وإِنْ كانَ مُقِيماً وادِعاً...**

رُوَيداً بضّم الرّاء وفتح الواو كزجيل تصغير رَود الّذي هو مصدر من راد يَرُود رَوداً وهو أعني (**رُوَيد**) بمعنىٰ مَهلاً قال اللّه تعالىٰ: ﴿**أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً**﴾(١) أي مُدّة قليلة فكأنّه قال أمهلهم مَهلاً فإذا قلت رويدك زيداً معناه أَمِهله وقوله يُسفِر الظَّلام، من أسفَر يُسفِر، أي كشَف يقال أَسفَر عن وَجهه أي كَشَف عنه، والظَّلام بفتح الظّاء ذهاب النّور، ليلة شديدة الظّلام والمراد به في المقام ظُلمة الجَهل أو ظُلمة المادّة والمعنىٰ مهلاً أي إصبر قليلاً يكشف ظلام الجهل عمّا خفي من الحقيقة عند إنجلاء الغفلة بحلول المنيّة وبعبارةٍ أُخرىٰ إصبر حتّىٰ تنقضي هذه الأيّام بورود المسافرين في طريق الدّنيا الىٰ الآخرة يُوشك

١- طارق ١٧

ويُسرع من أسرع في لُحوقه بمراتب السّابقين واعلم أنّ من كانت مَطيّته ومَركَبه اللّيل والنّهار فأنّه يسار به الىٰ الآخرة وأن كان الرّاكب واقفاً بزعمه، ويقطع المسافة وأن كان مقيماً ساكناً في بيته بخياله ونحن وأن تكلّمنا في الدّنيا وما هيّتها وما ورد فيها من الآيات والأخبار والأمثال فيما مضىٰ إلّا أنّ معايبها كثيرة ومساوئها غير خفيّة علىٰ ذوي الألباب فما ذكرناه فيها لم يكن إلّا كالقطرة بالنّسبة الىٰ البَحر ولأجل هذا نذكر لك في المقام أيضاً مايَدلّك علىٰ الخير والصّلاح من الأخبار والأمثال.

قال رسول اللّه ﷺ من أصبح والدّنيا أكبر هَمّه فليس من اللّه في شيءٍ وألزم قلبه أربع خصال همّاً لا ينقطع عنه أبداً، وشغلاً لا ينفرج منه أبداً وفقراً لا يبلغ غناه أبداً وَأَملاً لا يبلغ منتهاه أبداً...

وقال ﷺ الدّنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له لها يجمع من لا عقل له وعليها يُعادي من لا علم له وعليها يُحسد من لا ثقة له ولها يسعىٰ من لا يقين له انتهىٰ...

ورُوي أنّ جبرائيل ؑ قال لنُوح ؑ يا أطول الأنبياء كيف وجدتَ الدّنيا قال كَدارٍ لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر انتهىٰ.

وقيل مكتوب في صحف إبراهيم ؑ يا دنيا ما أهونك علىٰ الأبرار الّذين تزينّت وتصّنعت لهم أنّي قذفت فيٰ قلوبهم بغضك والصّدود عنك وما خلقت أهوَن علّي منك كلّ شأنك صغير والىٰ الفناء تصيرين قضيت يوم خلقتك ألّا تدومي لأحدٍ ولا يدُوم أحد لك وأن بخل بك صاحبك وشّح عليك.

وقال عيسىٰ ؑ – ويل لصاحب الدّنيا كيف يَموت ويتركها ويأمنها وتغّره ويثق بها وتخذله ويلٌ للمُغتّرين كيف رهقهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبّون وجاءهم ما يُوعدون ويلٌ لمن الدّنيا همّه والخطايا أمَله كيف يفتضح غداً عند اللّه.

وقال عيسىٰ ؑ يا معشر الحواريّين أرضوا بدَنيّ الدّنيا مع سلامة الدّين كما

رَضِي أهل الدّنيا بدَنيّ الدّين مع سلامة الدّنيا) وفي معناه قال عليه السلام:

أرىٰ رجالاً بأدنىٰ الدّين قد قنعوا
ولا أراهم رضوا في العيش بالدُّون
فإستغن بالدّين عن دنيا الملُوك كما
إستغنىٰ الملوك بدنياهم عن الدّين

وقال لقمان لإبنه يا بُنّي أنّ الدّنيا بحرٌ عميق قد غرق فيها ناسٌ كثير فلتكُن سفينتك منها تقوىٰ اللّه عزّ وجلّ وحشوها الإيمان باللّه عزّ وجلّ وشراعها التّوكل علىٰ اللّه لعلّك ناج وما أراك ناجياً انتهىٰ.

وقيل لبعض الزّهاد كيف ترىٰ الدّهر قال يخلق الأبدان ويُجدّد الآمال ويُقّرب المنّية ويُبّعد الأمَنية قيل وما حال أهله قال من ظَفر به تَعب ومن فاته نَصَب كما قيل:

ومن يحمد الدّنيا لعيشٍ يَسُّره
فسوف لعمري عن قليلٍ يلُومها
إذا أدبَرت كانت علىٰ المَرء حَسرة
وأن أَقبلت كانت كثيراً هُمُومها

وقال بعض العُرفاء لو أنّ الدّنيا من ذهبٍ يفنىٰ والآخرة من خَزفٍ يبقىٰ لكان ينبغي لنا أن نختار ما يبقىٰ علىٰ ما يفنىٰ فكيف وقد إختّرنا خَزفاً يُفنىٰ علىٰ ذهبٍ يبقىٰ انتهىٰ.

نُرّقع دنيانا بتمزيق ديننا	فلا ديننا يبقىٰ ولا ما نُرّقع
فَطُوبىٰ لعبدٍ آثر ربّه	وجاد بدنياه لما يتّوقع

وقال آخر:

أَرىٰ طالبالدّنيا وأن طال عمره	ونال من الدّنيا سروراً وأنعما
كبانٍ بني بنيانه فأتّمه	فلما إستوىٰ ما قد بناه تهدّما

وقال لآخر:

هَب الدّنيا تُساق اليك عَفواً أَلَيس مصير ذاك الىٰ إنتقالِ
وما دنياك إلّا مثل فَيْءٍ أَظّلك ثمّ أَذَن للزّوال

وقال بعضهم الدّنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر علىٰ معاشرة الكلاب.

يا خاطب الدّنيا الىٰ نفسها تنح عن خطبتها تَسلم
أنّ الّتي تخطب غدّارة قريبة العرس من المأتم

وقال إبن عبّاس أنّ اللّه جعل الدّنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمُنافق وجزء للكافر فالمُؤمن يتّزود والمُنافق يتّزين والكافر يتّمتع انتهىٰ.

وقال بعضهم العقل ثلاثة، من ترك الدّنيا قبل أن تتركه، وبنىٰ قبره قبل أن يدخله وأرضىٰ خالقه قبل أن يلقاه انتهىٰ.

قيل لحكيم الدّنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له الآخرة لمن هي قال لمن طَلبها.

وقال حكيمٌ – الدّنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنّة دار عمران وأعمر منها قلب من يَطلبها.

والأمثال كثيرة وفيما ذكرناه كفاية للمُعتّبر بها ثمّ أنّ ما نقلناه في المقام نقلناه عن مجموعة وَرّام باب ذّم الدّنيا مجموعة مَهرام باب ذّم الدّنيا ص ١٢٨ الى ص ١٤٠.

الفصل السّادس:

□ قوله عليه السلام: واعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعدُو أجَلَك وأَنَّكَ فِي سَبيلِ منْ كانَ قَبلَكَ فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ وَأجْمِلْ فِي الْمُكتَسَبِ فَإِنَّهُ رِبَّ طَلَبٍ قدْ جَرَّ إلىٰ حَرَبٍ فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ولا كلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ وأكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كلّ دَنِيَّةٍ وإِنْ سَاقَتْكَ إلىٰ الرَّغائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتاضَ بِمَا تَبْذُلُ منْ نَفْسِكَ عِوَضاً ولا تَكُنْ عَبْدَ غيرِكَ وقدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً .وما خَيْرُ خَيْرٍ لاَيَنَالُ إلَّا بِشَرٍّ ويُسْرٍ لا يُنَالُ

إلَّا بِعُسرٍ.

وإيَّاكَ أنْ تُوجِفَ بِكَ مَطايا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَناهِلَ الهَلَكَةِ وإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ لا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نُعْمَةٍ فَأفْعَلْ فَإنَّكَ مُدْرِكَ قِسْمَكَ وآخذٌ سَهْمَكَ إنَّالْيسيرَ منَ اللَّهِ سُبْحانَهُ أعْظَمُ وأَكْرَمُ منَ الْكَثيرِ منْ خَلْقِهِ وأَنْ كانَ كلٌّ مِنْهُ.

وَتَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ منْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مَنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ منْ مَنْطِقِكَ وحِفْظُ مَا فِي الوِعَاء بِشَدِّ الْوِكاءِ .وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أحَبُّ إليَّ منْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيرِكَ ومَرَارَةُ الْيأسِ خَيْرٌ منَ الطَّلَبِ إلىٰ النّاسِ والحِرْفةُ مَعَ الْعِفَّةِ خيرٌ مِنَ الْغِنىٰ مَعَ الْفُجُورِ والمَرءَ أَحفَظُ لِسرِّهِ ورُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ مَنْ أكْثَرَ أَهْجَرَ ومَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ قارِنْ أهْلَ الخَيرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وبَايِنْ أهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ بِئْسَ الطَّعامُ الحَرَامُ وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ إذَا كانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كانَ الْخُرْقُ رِفْقاً رُبّما كانَ الدَّوَاءُ دَاءً والدَّاءُدَواءً وَرُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ المُستَنْصَحُ وَإيَّاكَ واتِّكالَكَ عَلىٰ المُنىٰ فإنَّها بَضَائعُ الْموتىٰ والْعَقْلُ حِفْظُ التَّجارِبِ وَخَيرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعظَكَ بادِرِ الفُرْصَةَ قبلَ أنْ تَكُونَ غُصَّةً لَيسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ولا كلُّ غائِبٍ يَؤُبُ وَمِنَ الْفَسادِ إضاعَةُ الزّادِ وَمَفْسَدَةُ المَعَادِ ولِكلِّ امْرءٍ عاقِبةَ.

سَوْفَ يَأتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ التَّاجِرُ مخَاطِرٌ وَرَبَّ يَسيرٍ أنْمَىٰ منْ كَثيرٍ وَلا خَيرَ فِي مُعِينٍ مَهينٍ وَلا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ سَاهِلِ الدَّهْرَ مَاذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ وَلا تُخاطِرْ بِشيءٍ رَجاءَ أكْثَرَ مِنْهُ وإيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطيَّةُ اللَّجَاجِ إحْمِلْ نَفْسَكَ منْ أخِيْكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلىٰ الصِّلةِ وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلىٰ الُّلطْفِ والمُقَارَبَةِ وعِنْدَ جُمُودِهِ علىٰ البَذْلِ وَعِنْدَ تَباعُدِهِ عَلىٰ الدُّنُوِّ وعِنْدَ شِدَّتِه علىٰ اللِّينِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ علىٰ الْعُذْرِ حَتّىٰ كأنَّكَ لهُ عَبْدٌ وكأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عليْكَ وإيَّاكَ أنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أوْأنْ تَفْعَلهُ بِغيرِ أهْلِهِ لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتعادِيَ صَدِيقَكَ وأَمْحَضْ أخاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنةً كانَتْ أوْ قَبِيحَةً وَتجَرّعِ الْغَيْظَ فإنِّي لمْ أَرَ جُرْعَةً أحْلىٰ مِنْها عاقِبَةً ولا أَلَذَّ مَغَبَّةً ولِنْ لَمنْ غَالَظَكَ فإنَّه يُوشِكُ أنْ يَلِينَ لَكَ وخُذْ عَلىٰ عَدُوِّكَ بالْفَضْلِ فإنَّهُ أحْلىٰ الظَّفَرَيْنَ وإنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أخِيكَ فأسْتَبْقِ لَهُ منْ نَفْسَكَ بَقِيَّةٍ

تَرْجِعُ إِلَيْها أنْ بَدَا لهُ ذٰلِكَ يَوْماً وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ وَلا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ إِتِّكالاً علىٰ ما بَيْنَكَ وَبَيْنِه فَأَنَّهُ لَيْسَ لَكَ بأخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ ولا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَىٰ الْخَلْقِ بكَ وَلا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ ولا يَكُونَنَّ أخُوكَ عَلىٰ مقَاطَعَتِكَ أَقْوَىٰ مِنْكَ عَلىٰ صَلَتِهَ وَلا تَكُونَنَّ عَلىٰ الإِسَاءَةِ أَقْوَىٰ مِنْكَ عَلىٰ الإِحْسَانِ ولا يَكْبُرَن عَلَيْكَ ظُلْمُ مِنْ ظَلَمَك فَإِنَّهُ يَسْعَىٰ فِي مُضَرَّتِه ونَفْعِكَ وَلَيْس جَزَاءَ مَنْ سَرَّكَ أنْ تَسُوءَهُ.

◁ اللّغة

(فَخَفِّضَ) أمر من خفّض بالتّشديد أي رفّق (أجْمِلْ) أي إسع سَعياً جَميلاً (حَرَبٍ) بالتّحريك سلب المال (الرَّغائِبِ) جمع الرَّغيبة مؤنث الرّغيب، الأمر المَرغوب فيه، العطاء الكثير (لَنْ تَعتَاضَ) لن تجد (تُوجِفَ) فعل مُضارع من أَوجَف يُوجف إذا أسرَع (مَطايا) جمع مطيّة وهي المَركَب (تَلاَفِيكَ) التّلافي التّدارك لإصلاح ما فَسَد (فَرَطَ) أي قَصَّر (الْوِعَاءِ) الظّرف (الوِكاءِ) حسَب ما في الوِعاء (الحِرْفَةُ) بكسر الحاء الكسب والصَّنعة (أَهْجَرَ) الأهجار التّكلم بما لا فائدة فيه (خُرْقاً) الخُرق بضم الخاء العنف (المُنىٰ) الآمال (مُهينٍ) بضّم الميم الضّعيف (ظَنين) بفتح الظّاء المُتّهم وبالضّاد البخيل (قَعُودُهُ) بفتح القاف القَعود من الإبل ما يقتعده الرّاعي في كلّ حاجةٍ (اللَّجاَجِ) بفتح اللاَم الخصُومة (صَرْمِهِ) الصّرم القطع (جُمُودِهِ) الجمُود البُخل (مَغَبَّةً) أي عاقبةً (يُوشِكُ) يُسرع.

◁ المعنىٰ:

(واعْلمْ يَقِيناً) لا شكّ فيه (أنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ) في الدّنيا (أَمَلَكَ) أي ما تتمناه (ولنْ تَعْدُوَ) أي لَن تتجاوز (أَجَلَكَ) ولو ساعة (وأنَّكَ) في الدُّنيا (في سَبيلِ منْ كانَ قَبلَكَ) من أولاد آدم فَحالك حالهم (فَخَفِّضْ) أي رفّق (فِي الطَّلَبِ) أي طلب الدُّنيا (وأَجْمِلْ في الْمكْتَسَبِ) أي إسع سعياً جميلاً في كسبك من غير

حِرصٍ (**فإنَّهُ رُبَّ طَلبٍ قدْ جَرَّ إلىٰ حَرَبٍ**) وسَلب المال بالكلّية (**فَلَيْسَ كلُّ طَالِبٍ بمَرْزُوقٍ**) في الدّنيا ما طلبه وشاء (**ولا كلُّ مُجْمِلٍ**) غير طالبٍ (**بِمَحْرُومٍ**) عن رِزقه (**وأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ**) وخسيسة (**وإنْ سَاقَتْكَ إلىٰ الرَّغائِبِ**) الَّتي ترغب فيها (**فإنَّكَ لَنْ تَعْتاضَ**) ولنْ تَجد (**بِمَا تَبْذُلُ**) وتجود (**منْ نَفْسِكَ عِوَضاً**) عمّا بذلتَه (**ولا تَكُنْ عَبْدَ غيرِكَ**) من أبناء نوعك أو كائناً من كان من المَخلوقين (**وقدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً**) في الدُّنيا (**ومَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنالُ إلَّا بِشَرٍّ**) أي أيّ خيرٍ في خيرٍ لا يُنَال الإنسان إليْهِ إلّا بمعونة الشّر (**ويُسْرٍ لا يُنالُ إلَّا بِعُسْرٍ**) وأي خيرٍ في يُسْرٍ لا يُنالُ إليْهِ إلّا بعُسرٍ (**وإيَّاكَ أنْ تُوجِفَ**) وتُسرع (بِكَ مَطاياً **الطَّمَعِ**) ومراكبه (**فَتُورِدَكَ**) الْمطايا (**مَناهِلَ الهَلَكَةِ**) ومواردها (**وإنْ اسْتَطَعْتَ إنْ لا يكُونَ بينَكَ وبينَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ**) من مخلوقه (**فافْعَلْ**) ذَلِكَ (**فإنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ**) ورزقك (**وآخِذٌ سَهْمَكَ**) وحَظّك (**وإنَّ اليَسيرَ منَ اللَّهِ سُبْحانَهُ أَعْظَمُ وأَكْرَمُ منَ الْكَثيرِ منْ خَلْقِهَ وإنْ كانَ كلٌّ**) أي كلّ النِّعم (**مِنْهُ**) تعالىٰ (**وتَلاَفِيكَ**) وتَداركك (**منْ صَمْتِكَ**) وسكوتك (**أَيْسَرُ**) وأسهل (**مَنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ منْ مَنْطِقِكَ**) فأنَّ سابق الكلام لا يُدرك (**وحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ**) أي حفظ ما في الظّرف (**بِشَدِّ الْوِكاءِ**) أي بِشَدِّ وكائها ورباطها (**وحِفْظُ مَا في يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ منْ طَلَبِ مَا في يَدِ غيرِكَ**) لأنَّ فيه ذلّة ومِنّة (**ومَرَارَةُ الْيأسِ**) والحرمان (**خَيرٌ منَ الطَّلَبِ إلىٰ النّاسِ**) لمَا ذكرناه (**والحِرفَة**) أي الكَسب والصَّنعة (**مَعَ العِفَّةِ**) والقناعة (**خَيرٌ منَ الْغِنَىٰ مَعَ الْفُجُورِ**) وعدم العِفّة (**والمَرْءُ أَحفَظُ لِسرِّهِ**) وضميره (**ورُبَّ سَاعٍ فِيما يَضُرُّهُ**) وهو لا يعلم به (**مَنْ أكْثرَ**) في كلامه (**أَهْجَرَ**) أي يقول الهَجر لا محالة (**ومَنْ تَفكَّرَ**) في الأمور (**أَبْصَرَ**) بهَا (**قارِنْ أهْلَ الخَيرِ**) بالمُعاشرة والمُجالسة (**تكُنْ مِنْهُمْ وبَايِنْ**) وباعد (**أَهْلَ الشَّرَّ تَبِنْ**) وتَبعد (**عَنْهُمْ بِئْسَ الطَّعامُ الحَرَامُ**) لِخُبثه (**وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلمِ**) وأَقبَحه (**إذا كانَ الرِّفْقُ خُرْقاً**) وعُنفاً (**كانَ الخُرْقُ**) والعُنف (**رِفْقاً**) كمقام التّأديب وإجراء الحدود.

(**رُبّما كانَ الدَّوَاءُ دَاءً والدَّاءُ دَوَاءً**) وأنْتَ لا تعلم (**ورُبَّمَا نَصَحَ غَيرُ النَّاصِحِ**)

بخيرٍ (وغَشَّ المسْتَنْصَحُ) فِي نُصحه (وإيَّاكَ واتِّكالَكَ على المُنَىٰ) والآمال (فإنَّها بَضَائعُ المَوْتَىٰ) لأنّ المُتجر بها يَموت ولا يصل الىٰ شيئ (والعَقْلُ حِفْظُ التَّجارِبِ) أي ما جَرّبته في عُمرك من خيرٍ أو شّرٍ (وخَيْرُ مِا جَرَّبْتَ مَا وَعظَكَ) فِي الدُّنْيا (بادِرِ الْفُرْصَةَ) وسابقها (قَبْلَ أنْ تَكُونَ) الفُرصة (غُصَّةً). لَكَ (لَيْسَ كلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ) الىٰ مطلوبه (وَلا كلُّ غَائِبٍ يَؤُبُ) ويُحرم من مطلوبه (ومِنْ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ) أي إضاعة الصّالحات من الأعمال أو إضاعة المال (ومَفْسَدَةُ الْمَعادِ) أي إفساد الآخِرَةِ (ولِكلِّ امْرٍ عَاقِبَة سَوْفَ يَأْتِيكَ ما قُدِّرَ) منَ اللّٰهِ تعالىٰ (لَكَ) فأنّ المُقّدر محتوم (التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ) أي فـي مَعرض الخَطر (ورُبَّ يَسيرٍ) من النّعمة (أنمَىٰ منْ كَثيرٍ) من جهة الخير والبَركة (وَلا خَيرَ فِي مُعينٍ مَهينٍ) أيْ حقيرٍ وأن كان بضّم الميم فهو من الإهانة (ولاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ) أي مُتّهم وفي بعض النّسخ ضنين بالضّاد وهو البَخيل (سَاهِلِ الدَّهْرَ) أي سامحه (مَا ذَلَّ لَكَ قَعُوْدُهُ) أي ما دام مُنقاداً لَكَ (وَلا تُخاطِرْ بِشيٍّ) أي لا تَجعل نَفْسَكَ فِي الخَطر (رَجاءُ أكْثَرَ مِنْهُ) ممّا في يدك (وإيَّاكَ أنْ تَجْمَحَ) وتَطغىٰ (بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ) والخصُومة (أحْمِلْ نَفْسَكَ منْ أخِيكَ عِنْدَ صَرّمِهِ) وقطيعته (عَلىٰ الصِّلة) أي أنْتَ لا تَقْطَع الصِّلة بل صلها وأن قطعك (عِنْدَ صُدُودِهِ علىٰ اللُّطْفِ والمُقارَبَةِ) الصَّد المَنع (وَعِنْدَ جُمُودِهِ) وبُخله (عَلىٰ البَذْلِ) والعطاء (وَعِنْدَ تَباعُدِهِ عَلىٰ الدُّنُوِّ) والقُرب (وعِنْدَ شِدَّتِه علىٰ اللِّينِ وَعِنْدَ جُرْمِه عَلىٰ الْعُذْرِ حَتّىٰ كأنَّكَ عَبْدٌ) له (وكأنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ).

والحاصل لا تنظر الىٰ ما فعل بك من قطع الصِّلة وغيرها ممّا ذكرناه وأعمل بما أَمرك اللّٰه به من الوَصل (وإيَّاكَ أنْ تَضَعَ ذَلِكَ) الوَصل أو مَطلق ما ذكرناه لك من المواعظ (فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ) فأنّه ظلم (أوْأنْ تَفْعَلهُ بِغيرِ أهْلِهِ) فأنّه عدول عن الحقّ (لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيْقِكَ صَدِيقاً) لنفسك (فَتعادِيَ) بذلك (صَدِيْقَكَ وأَمْحَضْ أخاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كانَتْ) النّصيحة عنده (أوْ قَبِيحَةً) وبعبارةٍ أُخرىٰ إستَقبحها أو إستَحسنها (وَتجرَّعِ الْغَيْظَ فإنِّي لمْ أرَ جُرْعَةً أحْلىٰ مِنْها عاقِبَةً) أي

أنّ كظم الغيظ عاقبته مَمدُوح مُستَحسن وأن كان أوّله شاقاً مُرّاً (**ولا أَلَذَّ مَغْبَّةً**) وعافية (**ولِن لمن غَالَطَك فإنّه يُوشِكُ أنْ يَلِينَ لَكَ**) ولأجل ذلك أمرنا به قال اللّه لنَبيه ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك**﴾[1] (**وخُذْ عَلىٰ عَدُوِّكَ بالْفَضْلِ فإنَّهُ أحْلىٰ الظَّفَرَيْنَ**) ظفر الإنتقام وظفر التّملك بالإحسان (**وإنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أخِيكَ فأسْتَبْقِ لَهُ منْ نَفْسَكَ بَقيَّةِ**) أي لا تقطع صِلته بالكلّية بل أبق لفضلك بقية (**تَرْجِعُ إليْها**) الىٰ البَقية (**أنْ بَدَا لهُ ذٰلِكَ يَوْماً وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ**) ولا تُكذبه (**وَلا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ إتِّكالاً علىٰ ما بَيْنَكَ وَبَيْنِه**) فأنّ تضييع الحقّ حرام بأيّ وجهٍ كان (**فَأنَّهُ لَيْسَ لَكَ بأخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ**) لعدم مراعاتك حقّه (**ولا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقىٰ الْخَلْق بكَ**) بل ينبغي أن يكون أصلَحهم (**وَلا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عنك**) فأنّ الرّغبة فيه لا نفع فيها (**ولا يَكُونَنَّ أخُوكَ عَلىٰ مقَاطَعَتِكَ أقْوىٰ مِنْكَ عَلىٰ صَلَتهَ**) بل كُن أنت أقوىٰ حِلّةً منه وَلا تَكُونَنَّ) أخوك (**عَلىٰ الإِسَاءَةِ أَقْوىٰ مِنْكَ عَلىٰ الإِحْسَانِ**) بل ينبغي لك أن تكون أقوىٰ منه فيه (**ولا يَكْبُرَن عَلَيْكَ ظُلْمُ مِنْ ظَلَمَك فَإِنَّهُ**) أي الظالم (**يَسْعَىٰ فِي مُضَرَّتِه**) أي مَضَرة نفسه (**ونفعك وليس جزاء من سّرك أن تَسُؤه**) بل جزاءُه الإحسان.

◁ الشّرح

▫ **قوله** ﷺ **واعْلمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعدُو أَجَلَك ...**

كلمه (**لَن**) لنفي الأبد وهذا هو الفرق بينها وبين أخواتها من الحروف النّافية وإستعمالها في المقام مُشعر بأنّ مدخُولها لا يتّحقق أبداً وهو كذلك فأنّ البلُوغ الىٰ كلّ الآمال لا يمكن لأحدٍ كما أنّ الفرار من المَوت أيضاً لا يمكن له وقوله ﷺ يقيناً لِلإشارة الىٰ أنّ ما ذكره معلوم مقطوع لا شكّ فيه أصلاً فهنا أمران:

أحدهما قوله ﷺ: **لَن تَبلغ أَمَلك** والدّليل عليه ثابت من العَقل والنّقل.

أمّا العقل، فلأنّ الإنسان لا يبقىٰ في الدّنيا إلّا مُدّةً محدُودة مُتناهية، ولاشك

[1] ال عمران ١٥٩

أنّ الآمال والتّمنيات في كلّ إنسانٍ لا آخر لها بالقّوة وأن كانت مُتناهية بالفعل ضرورة أنّه كلّما وَصَل الىٰ أمَلٍ يُوجد له أمَلٌ آخر واذا كان كذلك فالبلوغ الىٰ كلّ الآمال يستلزم البقاء الىٰ آخر الدّهر والبقاء محال فالبلُوغ الىٰ الآمال محال مع أنّ من جملة الآمال نفس البقاء الىٰ الأبَد وهو في حقّ المُمكن من الممتنع.

وأمّا النّقل: قال اللّه تعالىٰ: **﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾**(١) دَلّت الآية علىٰ أنّ الأمَل يُلهي الإنسان عن ذكر اللّه والتّوجه الىٰ الآخرة وهو لا يختّص بزمانٍ خاصّ في حياة الإنسان بل دائماً يكون له موجوداً وهو الدّليل علىٰ عدم بلوغ العَبد اليه .

وقال رسول اللّه ﷺ لعبد اللّه بن عُمر إذا أصبحت فلا تُحدّث نفسك بالمساء وإذا أمسَيت فلا تُحدّث نفسك بالصّباح وخُذ من حياتك لِمَوتك ومن صحّتك لِسقمك فأنّك يا عبد اللّه ما تدري ما إسمك غداً إنتهىٰ مجموعة ورّام «مجموعة ورّام ج ١ ص ٢٧١»...

وقال بعضهم أطلع رسول اللّه ﷺ ذات عَشية فقال أيّها النّاس أما تستحيون من اللّه قالوا وما ذاك يارسُول اللّه قال تَجمعُون ما لا تأكلُون وتأملُون ما لا تدركُون وتَبنُون ما لا تسكنُون انتهىٰ« ص ٢٧١»...

وقال رسول اللّه ﷺ أكُلّكم يحبّ أن يدخل الجنّة قالوا نعم يا رسول اللّه قال قصّروا من الأمل وثبّتُوا آجالكم بين أبصاركم وإستحيُوا من اللّه حقّ الحَياء انتهىٰ« ص ٢٧٣»...

وثانيهما قوله عليه السلام: **ولَن تَعدُو أَجَلك**، أي لن تتجاوزه بتقدّمٍ أو تأخرٍ قال اللّه تعالىٰ:(**مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾**(٢)

و : **﴿قُل لَكُمْ مِّيعَادُ يَوْمٍ لاَ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾**(٣)

و : **﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾**(٤)

١- الحجر-٣
٢- الحجر-٥
٣- سبأ-٣٠
٤- النّحل-٦١

▫ **قوله ﷺ: وأَنَّكَ فِي سَبيلِ منْ كانَ قَبلَكَ فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ وَأجْمِلْ فِي الْمُكتَسَبِ فَإنَّهُ رِبَّ طَلَبٍ قدْ جَرَّ إلىٰ حَرَبٍ...**

أي أنّك تمشي في الدّنيا في سبيل من كان قبلك فَخَفِض أي رَفِق وقلِّل في الطّلب أي في طلب الدّنيا إذ المفروض أنّك لن تَبلغ الآمال فيها وأن كُنتَ حريصاً عليها وأجمل في المُكتسب أي أسع سَعياً جميلاً مانعاً عن الحَرص في كَسبك ويمكن أن يكون المراد خُذ فيها كسباً جَميلاً لتحصل رزقك كالتّجارة والزرّاعة والصّناعة وغيرها لا الإكتساب المذمُومة المكروهة فضلاً عن المُحرّمات منها:

▫ **قوله ﷺ: فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بمَرْزُوقٍ ولا كلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ...**

وهذا في الحقيقة تعلّيل لقوله فخّفِض في الطّلب وأجمل في المُكتسب فكأنّه قيل له ولِمَ ذلك وقال فليس كلّ طالب بمَرزُوقٍ أي ليس كلّ من يطلب الدّنيا وأصلاً الىٰ ما أُراد منها ولا كلّ مُجملٍ لا يطالبها بمَحرُومٍ عنها ومحصّل الكلام أنّ الظّفر علىٰ الدّنيا.

والبلوغ الىٰ مالها ومقامها ليس بكثرة الطّلب والحرص عليه لأنّا نرىٰ كثيراً من الطّالبين لم يبلغوا الىٰ ما أرادوا وكثيراً من المُجملين المُسامحين في طلبها وصَلوا الىٰ حُطامها ونِعمها أكثر من المُطالبين وفيما ذكره إيماء بل إرشاد الىٰ عدم الحرص عليها وأنّ الدّنيا وما فيها لا تدور مدار الحِرص والجّد بل والعقل والذّكاوة كما قيل:

كم عاقلٍ عاقل أعيَت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مَرزوقاً

▫ **قوله ﷺ: وأكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كلِّ دَنِيَّةٍ وإنْ سَاقَتْكَ إلىٰ الرَّغائِبِ فَإنَّكَ لَنْ تَعْتاضَ بِمَا تَبْذُلُ منْ نَفْسِكَ عِوَضاً...**

أي لا تجعل نفسك ذليلاً حقيراً في تحصيل الدّنيا بل أكرمها عن كلّ دَنيئة رخسيسة وأن ساقتك النّفس الىٰ الرّغائب أي المرغوب فيه أو العطاء الكثير وذلك لأنّ رغائب المال أنّما تطلبها لصَون النّفس عن الإبتذال فَلو بذل باذل

نفسه لتحصيل المال فقد ضَيع ما هو المقصود من المال فكان جمع المال عَبَثاً عوضاً لما ضّيع ولأجل ذلك قال عليه السلام **فأنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً** أي أنّ المال الّذي حَصلته ليس في الحقيقة عوضاً من بذل نفسك لما ذكرناه وفي هذا الكلام ذمٌّ تلويحيٌ لأكثر النّاس حيث أنّهم يبذلون أنفسهم لتحصيل الدّنيا ولم يعلموا أنّ هذه التّجارة خاسرة باطلة في الدّنيا والآخرة:

□ **قوله عليه السلام: ولا تَكُنْ عَبْدَ غيرِكَ وقدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً ...**

المُراد بالغير كلّ ما سوىٰ اللّه من المخلوقين والمعنىٰ لا تكن عبداً لما سوىٰ اللّه تعالىٰ كائناً من كان والحال أنّ اللّه تعالىٰ جَعَلك حُرّاً والوجه فيه أنّ الغير مخلوق مَصنوع مثلك فَكونك عبداً له لا معنىٰ له أن قلت، أليسَ هذا الكلام يدّل علىٰ نفي العَبد وأنّ الإنسان يكون حُرّاً فإذا كان كذلك فما معنىٰ العَبد والأَمَة والرّق وغيرها في الإسلام:

قلتُ العَبد يطلق بحسب الإصطلاح علىٰ أربعة أضرب:

الأوّل: عبدٌ بحكم الشّرع وهو الإنسان الّذي يصّح بيعه وإبتياعه وهو الّذي قال اللّه تعالىٰ في حقّه: **﴿عَبْداً مَمْلُوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾**(١) وقال: **﴿الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾**(٢) وغير ذلك من الآيات:

الثّاني: عبدٌ بالإيجاد وذلك ليس إلّا لِلّه وأيّاه قصد بقوله:

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً﴾(٣)

والثّالث: عبدٌ بالعبادة والخدمة وهو علىٰ ضربين، عبدٌ لِللّه مُخلصاً، وعبدٌ للدّنيا وأعراضها وهو المُعتكف علىٰ خِدمتها ومُراعاتها إذا عرفت هذه الأقسام الأربعة فَنقُول:

ليس المراد به المعنىٰ الأوّل لكونه ثابتاً في الشّريعة ولا المعنىٰ الثّاني لأنّه أي الإيجاد مختّص به تعالىٰ ولا المعنىٰ الثّالث لكونه أيضاً ممّا لا كلام في

١- النّحل ـ٧٥
٢- البقرة ـ١٧٨
٣- مريم ـ٩٣

بُطلانه في حقّ غير اللّه تعالىٰ إذ لا يكون الإنسان عبداً لغيره بهذا المعنىٰ أي بمعنىٰ أنّه عَبدَه مخلصاً وإذا إنتفت المعاني الثلاثة بقىٰ الرّابع وهو أن يكون الإنسان عبداً لغيره بمعنىٰ أن يكون مُعتكفاً علىٰ خدمته بلا قيد وشرط سواء كان الغير إنساناً مثله أو غيره من الدّرهم والدّينار والمقام والأولاد وبالجملة الدّنيا وما فيها وهذا هو المذموم المقصود بكلامه كما قال الحسين عليه السلام **النّاس عبيد الدّنيا**:

وعليه فقوله عليه السلام: **لا تكن عبداً لغيرك** معناه لا تُذّلل نفسك لغير خالقك فأنّ ما سوىٰ اللّه تعالىٰ كائناً ما كان لا يصلح لذلك هذا إذا كان التّذليل للدّنيا وما فيها وأمّا أن كان لِلآخرة كالمُتّعلم بالنّسبة الىٰ المُعلّم أو الإبن بالنّسبة الىٰ الأب وأمثال ذلك فلا إشكال فيه بل الحقّ أن يقال أنّ التّذليل في هذه الموارد في الحقيقة لِلّه تعالىٰ ومن هنا لو أمَر الأب إبنه بشئٍ لا يكون حلالاً مأذوناً من الشّارع لا يجوز له إجابته ومُلّخص الكلام أنّ الإنقياد والإطاعة عن غير اللّه تعالىٰ إذا لم يكن في طريق اللّه فهو ممنوع مذموم وأمّا في طريقه فلا كما قال علي عليه السلام **أنا عبدٌ من عبيد محمّد**:

▫ **قوله عليه السلام: وما خَيْرُ خَيْرٍ لاَيُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ ويُسْرٍ لا يُنالُ إِلَّا بِعُسرٍ...**

الظّاهر أنّ كلمة **(ما)** إستفهامية بمعنىٰ (أيّ) أي أيَّ خيرٍ في شئ سمّاه النّاس خيراً إذا لا يناله الإنسان إلّا من طريق الشّر ثمّ أيّ خيرٍ في يُسرٍ لا ينال اليه الإنسان إلّا بعُسرٍ ومشّقة وذلك لأنّ العُسر الّذي يخشاه الإنسان هو ما يضطّره لرذيل الفعال فهو يسعىٰ كلّ جهده ليتحامىٰ الوقوع فيه فأن جَعل الرّذائل وسيلة لكسب اليُسر أي السّعة فقد وقع أوّل الأمر فيما يهرب منه فما الفائدة في يُسره وهو لا يحميه من النّقيصة هكذا فسّر الكلام بعض الشّراح:

أقول: ما ذكره لا يرجع الىٰ مُحصّل وذلك لأنّه فسّر العُسر في كلامه بالرّذائل ألا ترىٰ قوله فأن جَعَل الرّذائل وسيلة لكسب اليُسر أي السّعة فقد وقع أوّل الأمر فيما يهرب منه، ولقائلٍ أن يقول أنّ العُسر في اللّغة بمعنىٰ المشّقة

والصّعوبة وأمثالهما وهو ضدّ اليُسر ولم نَر من فسّره بالرّذائل كما فَسّره هذا القائل وعليه فتفسيره ممّا لا يُعتمد عليه:

أقول: الّذي يختلج بالبال في تفسير الكلام هو أنّ مراده عليه السلام أنّ اليُسر في الدّنيا لا يحصل إلّا بالكّد والجدّ والمشّقة وما كان كذلك لا خير فيه لعدم دوامه وبقائه وهذا بخلاف اليُسر في المعنّويات فأنّ حصوله وأن كان بعُسرٍ إلّا أنّه لدوامه وبقائه يكون خيراً مَحضّاً والحاصل أنّ نفي الخير عن اليُسر في كلامه عليه السلام أنّما هو في الأمور الدّنيوية لا الأُخرّوية والمعّنوية وأن شئت قلت ما ظنّه النّاس يُسراً في الدّنيا ليس به واقعاً إذا نظر الىٰ حقيقته وكيّفية حصُوله.

□ **قوله عليه السلام: وإيَّاكَ أنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَناهِلَ الهَلَكَةِ وإنَ...**

نهاه عليه السلام عن الطّمع لكونه مُوجباً للهَلاك فقال عليه السلام إحذر أن تُسرع بك مطايا الطَّمع ومراكبها أي لا تركب مراكبه فأنّها تُوردك مناهل الهَلَكة وهو كذلك حقّاً:

ثمّ أنّ الطَّمع هو التّوقع من النّاس في أموالهم وهو من شُعب حبّ الدّنيا ومن الرّذائل المُهلكة.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله أيّاك والطَمّع فأنّه الفقر الحاضر...

وقال الباقر عليه السلام بئس العَبد عبدٌ له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذلّه...

وقيل للصّادق عليه السلام ما الّذي يثبت الإيمان في العبد قال الوَرَع والّذي يخرجه الطّمَع...

وقال سيّد السّاجدين عليه السلام رأيت الخير كلّه قد إجتمع في قطع الطّمَع عمّا في أيدي النّاس ومن لم يرج النّاس في شئ ورّد أمره الىٰ اللّه تعالىٰ في جميع أُموره إستجاب اللّه تعالىٰ له في كلّ شئ« جامع السّعادات ج ٢ ص ١٠٦»...

ونهىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله منه فيما رواه أبو أيّوب الأنصاري أنّ أعرابياً أتىٰ النّبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول اللّه عِظني وأَوجَز فقال صلى الله عليه وآله اذا صلّيت فصّل صلوٰة مُودّع ولا تحدّثن بحديث تعتذر منه وأجمع الأياس عمّا في أيدي النّاس انتهىٰ « مجموعة ورّام ج ١ ص ١٦٣»...

وقال بعض الحكماء أنّ الطّمَع فقر وأنّ اليأس غنىٰ فمن يئس عمّا عند النّاس إستغنىٰ عنهم:

وقيل لبعضهم ما الغنىٰ قال قلّة تمنّيك ورضاك بما يكفيك ولنعم ما قيل:

إذا سُدّ بابٌ عنك من دون حاجةٍ
فَدَعه لأُخرىٰ ينفتح لك بابها
فأنّ قراب البطن يكفيك ملؤه
ويكفيك سَوأة الأمور إجتنابها
ولا تَكُ مبذالاً لِعِرضك واجتنب
ركُوب المعاصي يَجتنبك عقابها

وقال بعض الحكماء العَبيد ثلاثة عبد رِقٍ، وعبد شَهوةٍ، وعبد طَمع:

وقال الآخر من أراد أن يعيش أيّام حياته حُرّاً فلا يسكن قلبه الطّمَع، قال القراطيسي:

حَسَبي بعلمي أن نَفَع ... ما الذّل إلّا في الطّمَع
من راقب اللّه نَزَع ... عن سُوء ماكان صَنَع
ما طار طيرٌ وإرتفع ... إلّا كما طار وَقَع

ولآخر:

يُخادع ريب الدّهر عن نفسه الفتىٰ
سفاهاً وريب الدّهر عنها يُخادعه
ويَطمع في سوف ويَهلك دونها
وكم من حريصٍ أهلكته مطامعه

ولآخر:

لا تغْضبن علىٰ إمرئٍ ... لك مانع ما في يديه
وأغضب علىٰ الطّمَع الّذي ... إستدعاك تطلب ما لديه

قوله ﷺ: اسْتَطَعْتَ أنْ لا يَكُونُ بَيْنَك وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نُعْمَةٍ فافْعَلْ فَإنَّكَ مُدْرِكَ قِسْمَكَ وآخذٌ سَهْمَكَ إنَّ الْيسيرَ منَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أعْظَمُ وأَكْرَمُ منْ الْكَثيرِ منْ خَلْقِهِ وأَنْ كانَ كلٌّ مِنْهُ...

أي وإن إستطعت في طول حياتك أن لا يكون لك ولّي نعمةٍ غير اللّه تعالىٰ من مخلوقه فأفعل وَذلك لأنك مُدِرك قِسَمك وآخذ سَهمك من الرّزق الّذي قدّر اللّه لك وأن كان قليلاً فأنّ اليَسير من اللّه سبحانه أكرم وأعظم من الكثير في خَلقه لأنّ في عطاء الخلق مِنّة بخلاف عطاء الخالق وفي عطاء الخالق بَركة بخلاف عطاء الخلق وأن كان كلٌّ منه أي وأن كان كلّ النّعم في الواقع منه تعالىٰ إذ المخلوق وما في يده كان لخالقه والحاصل من هذه الكَلمات أنّه ينبغي لِلإنسان أن لا يكون تحت مِنّة غيره من الخلق فأنّ تحمّلها شاقّ علىٰ العاقل العارف بنفسه وهو لا يحصل له إلّا بإستغنائه عمّا في أيدي النّاس وهو من الفضائل المُوجبة لتَقرّب العبد الىٰ اللّه سبحانه.

قال رسول اللّه ﷺ – ليس الغنىٰ عن كثرة العروض أنّما الغنىٰ غنىٰ النّفس...

وقال الصّادق ﷺ – شرف المؤمن قيام اللّيل وعزّه إستغنائه عن النّاس...

وقال ﷺ – إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه فلييأس من النّاس كلّهم ولا يكون له رجاء إلّا عند اللّه فإذا علم اللّه ذلك من قلبه لم يسأل اللّه شيئاً إلّا أعطاه « جامع السّعادات ج ٢ ص ١٠٧»...

ثمّ أنّ الّذي ذكره ﷺ في المقام ناظر الىٰ المّاديات لا المعنّويات من العلم والصّنعة والتّأديب وغيرها وذلك لأنّ الأنسان لا محيص له من التّعلم وما شابهه ويثبت به الحقّ من المُعلم في المُتعلم ومن المُؤدّب في المُتأدب وهكذا ولا يستطيع أحد من الذّب عن هذه الأمور وهو واضح والدّليل علىٰ ما ذكرناه من إختصاصه بالمّاديات هو قوله ﷺ: **فَإنَّكَ مُدْرِكَ قِسْمَكَ وآخذٌ سَهْمَكَ** ومن المعلوم أنّ النّعم المعنوية لا تحصل إلّا بالتّحصيل وليست مثل الأرزاق الّتي

تصل الى المَرزوق قلّ أو كَثُر والى هذا ينظر قول أمير المؤمنين ﷺ: أنا عبدٌ من عَبيد محمّد أي أنا عبد له في الأمور المعنوية وهذا لا قبح فيه بل هو عين الكمال والقُبح في المّاديات.

▫ **قوله ﷺ: وَتَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مَنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ...**

أي تداركك ما فَرط وضاع من سَكوتك أسهل وأيسَر من إدراك ما فات مَن كلامك وذلك لأنّ الكلام إذا خرج عن الفَم لا يمكن إرجاعه اليه ثانياً وأمّا ما لم يَقُله بسبب السّكوت فهو ممّا يمكن تداركه والتّكلم به وأنّما قال أسهل وأيسر لأنّ ما فات من المنطق أيضاً يمكن إصلاحه في بعض الموارد بالتّوضيح والتّفسير وفي بعض الموارد لا يُمكن وفي الموارد المُمكنة قد يُقبل العُذر وقد لا يُقبل وهذا بخلاف ما لم يقُله أصلاً فأن تداركه ممّا يقبله الكلّ وهذا هو الوجه في كونه أَيسر وكيف كان كلامه ﷺ هذا إشارة الىٰ أنّ الصُّمت والسّكوت وحفظ اللّسان عمّا يُوجب النّدامة ولو احتمالاً أولىٰ من التّكلم فأنّ اللّسان وما يصدر منه مَنشأ الآفات ومَنبع الخَطرات في الدّنيا والآخرة.

قال رسول اللّه ﷺ السّكوت ذَهب والكلام فِضّة...

وعن الرّضا ﷺ - قال أنّ الصُّمت من أبواب الحكمة يَكسب المحبّة وأنّه دليل علىٰ كلّ خير...

وقال ﷺ -إتّقوا اللّه وعليكم بالصُّمت...

وقال ﷺ - ما أَحَسن الصُمّت من غير عَيّ والمِهذار له سقطات...

وقال رسول اللّه ﷺ - رحم اللّه عبداً قال خيراً فغنم أو سَكت عن سُوء فَسَلِم...

وقال ﷺ -أن كان في شيئ شؤم ففي اللّسان...

وقال الصّادق ﷺ من عرف اللّه كلّ لسانه...

وقال ﷺ - من علم أنّ كلامه من عَمَله قلّ كلامه إلّا من خير...

وقال ﷺ - هل يكُبّ النّاس على مناخرهم في النّار إلّا حصائد ألسنتهم» مشكاة الانوار ص ١٧٥»...

ولنعم ما قيل فيه:

إحفظ لسانك لا تقول فتبتلي ... أنّ البلاء مُوَكّل بالمَنطق

وقال الآخر:

إذا لم يكن صُمت الفتىٰ عن ندامةٍ

وعيٍ فأنّ الصّمت أوْلىٰ وأسلمُ

□ قوله ﷺ: **وحِفْظُ مَا فِي الوِعَاء بِشَدِّ الْوِكاءِ .وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا في يَدِ غَيرِكَ...**

في هذا الكلام أشار ﷺ الىٰ الأقتصاد في المال والمَنع من الإسراف فيه وحاصل معنىٰ العبارة أنّ حفظ الماء في القِربة مثلاً بشدّ الوِكاء أي رباطها فأن لم يُشدّ الوِكاء صُبّ ما في الوِعاء فكذلك حفظ المال عن الآفات أنّما هو بالإحتراز عن الإسراف ومُراعاة جنبة الإقتصاد فلو كان صاحب المال مُسرِفاً غير مقتصدٍ فيه فهو مُضّيعٌ لماله وإذا ضاع المال يصير مُحتاجاً الىٰ غيره ومُصداقاً لقوله ﷺ **الفقر سواد الوجه في الدّارين** ولأجل هذا قال ﷺ وحفظ ما في يديك أي من المال أحبّ الّي من طلب ما في يد غيرك في صورة الفقر والإحتياج وقُلنا أنّ المُراد من حِفظ المال عن الإسراف وغيره من الضّائعات المُوجبة لإتلافه من غير مجّوزٍ عقلي ولا شرعي لا حفظ المال عن الخرج والسّؤال عن النّاس ليبقىٰ المال له وألملاك في صرف المال قوله تعالىٰ: **﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُإِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾** (١)

□ قوله ﷺ: **ومَرَارَةُ الْيأسِ خَيْرٌ منَ الطَّلَبِ إِلىَ النَّاسِ ...**

أي أنّ مرارة اليأس عمّا في أيدي النّاس خير للآيس من الطّلب عنهم في صورة عدم اليأس .

١- الاسراء-٢٩ و ٣٠

وذلك لأنّه في صورة اليأس لا يطلب من صاحب المال شيئاً فَيصُون بـه عِرضَه وأمّا في صورة عدمه يطلب ويسأل ويصير سائلاً وحاله معلُوم.

▫ **قوله ﷺ: والحِرْفةُ مَعَ الْعِفَّةِ خيرٌ مِنَ الْغَنِىٰ مَعَ الْفُجُورِ ...**

المراد بـالحِرفَة مـطلقها لا حـرفة خـاصّة، كـالتّجارة والزّراعـة والصّـناعة والكتابة وأمثالها من الحِرف المُتعارفة المَشروعة والمراد بالعِفّة عدم تـجاوز الإنسان في حِرفته عن سبيل الشّرع والعقل من الغِش والخيانة وعدم الأنصاف وأمثال ذلك ممّا يُوجب خرُوجها عن العِفّة فإذا كانت الحِرفة كذلك فهي خير لصاحبها من الغنىٰ والثّروة مع الفجُور وأنْ شئت قُلت الكَسب الحَقير مع العِفّة أَحسن من الثّروة الّتي تُوجب الفجُور والخروج عن ميزان الشّريعة وفي هذا الكلام إرشاد الىٰ القناعة مع سلامة الدّين وأنّها خير من التّمكن مع عَدمها وقد يُعبّر عنه بقدر الكفاف وتَقيّد الغِنىٰ بالفجُور إشارة الىٰ أنّ الغنىٰ بما هو هو لا عيب فيه إذ قد يكون المال مَنشأ الخَيرات والبَركات في الدّارين فأنّ الغنّي إذا لم يكن فاجراً ولا يصرف ماله في طريق الحرام ولا يكـتسبه مـنه فـهو مـن الصّلحاء ونفعه للإسلام والمُسلمين بل وغيرهم أكثر من الفقير بمراتب كثيرة وهو واضح.

▫ **قوله ﷺ: والمَرَءَ أَحفَظُ لِسرِّهِ ورُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ مَنْ أَكثَر أَهْجَرَ ومَنْ تَفَكْرَ أَبْصَرَ...**

ذكر ﷺ في المقام أُصولاً أربعة نافعة:

أحدها: أنّ الإنسان إذا شاء أن لا يشيع سّره فَحقّه أن لا يخرجه من مـقام الإستتار وهو قلبه فإذا أَخرَجه منه وشاع في النّاس لا يلُومنّ إلّا نفسه فأنّ المَرء أَحفظ لِسّره من غيره فإذا لم يقدر علىٰ حِفظه كيف يتوقع من غيره أن يحفظه له.

قال الصّادق ﷺ قال أمير المؤمنين ﷺ من كَتم سّره كانت الخيرة في يده وزاد فيه غيره وأيّما حديث جاوز أثنين فقد فشا انتهىٰ« مشكاة الانوار ص ٣٢٣»...

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال لا تُطلع صديقك من سّرك إلّا علىٰ ما لو أطّلعت عليه عدّوك لم يضّرك فأنّ الصّديق قد يكون عدّواً يوماً ما انتهىٰ« ص ٣٢٣»...

وإعلم: أنّ أُمناء الأسرار أَقّل وجوداً من أُمناء الأموال وحِفظ الأموال أَيسر من كِتمان الأسرار لأنّ إحراز الأموال مَنيعة بالأبواب والأقفال وإحراز الأسرار بارزة يُذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وأيضاً حمل الأثقال أيسر من حمل الأسرار فأنّ الرّجل قد يَستّقل بالحمل الثّقيل فَيحمله ويَمشي به ولا يَستطيع كَتم السّر وأنّ الرّجل يكون سّره في قلبه فَيُلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حَمل الأثقال فإذا أذاعه إستراح قلبه وسَكن خاطره وكأنّما ألقىٰ عن نفسه حملاً ثقيلاً.

قال عُمر بن عبد العزيز القلُوب أوعية والشَفتان أقفالها والألسُن مفاتيحها فَليحفظ كلّ إنسانٍ مفتاح سّره، قال بعض الحكماء إنفَرِد بسّرك لا تودّعه حازماً فَيزّل ولا جاهلاً فَيخُون، كما قيل:

ولستُ بِمُبدِ للرّجال سريرتي   ولا أنا عن أسرارهم بِسَؤلِ

وقال أبو مسلم صاحب الدّولة:

أدركتُ بالحزم والكِتمان ما
عَجزت عنه مِلوك بني المروان إذ جَهدوا
مازلتُ أسعي عليهم في ديارهم
والقوم في غفلة بالشّام قد رقدوا
حتّىٰ ضربتهم بالسّيف فأنتبهوا
من نومةٍ لم يَنمها قبلهم أحد
ومن رعىٰ غنماً في أرض مُسبعة
ونام عنها تولّىٰ رعيها الأسد

وقال المُهلب أدنىٰ أخلاق الشّريف كِتمان السِّر وأعلىٰ أخلاقه نسيان ما أسّر اليه وقال.

ولَها سرائر في الضّمير طويتها نسي الضّمير بأنّها في طيّة
وقال الآخر:

أنّي كتمتُ حديث ليلىٰ لم أبح يوماً بظاهره ولا بخّفيه
وحفظت عهد ودادها مُتمسكاً في حُبّها برشاده أوغيّه
ولها سرائر في الضّمير طويتها نسي الضّمير بأنّها في طيّه

قيل كتمان الأسرار يدّل علىٰ جواهر الرّجال فكما أنّه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير في إنسانٍ لا يَمسك سِره قال الشّاعر:

ومُستودعي سِراًكتمتُ مكانه
عن الحقّ خوفاً أن يتّم به الحِسّ
وخفتُ عليه من هوىٰ النّفس شهوةً
فأودعته من حيث لا يبلغ الحسّن

وقال الآخر:

إذ المرء أفشىٰ سِرّه بلسانه
ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن شّر نفسه
فَصَدر الّذي يُستودع السِر أضيق

ولآخر:

إذا ما ضاق صدرك عن حدّ شيٍّ وسِّري عندهُ فأنا المَلُوم

قال حكيمٌ، قلوب الأحرار قبور الأسرار، قال المُتَنبي:

وللسِّر منّي موضع لا يناله نديم ولا يغضي اليه شرابٌ

□ **قوله ﷺ ورُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ ومَنْ تَفَكْرَ أَبْصَرَ)**

وثانيها: أنّ الإنسان ربّما يَسعي في أمرٍ من الأمور وهو يَضرره ولا يعلم به والىٰ هذا المعنىٰ أشار ﷺ: بقوله **رُبّ ساعٍ فيما يَضُّره** وهو أيضاً ممّا لا شّك فيه والأصل فيه أنّ الإنسان جاهلٍ بعواقب الأمور فهو يعتمد في أفعاله وأقواله

على الظّن غالباً فيظّن أنّه بصلاحه وليس كذلك واقعاً ولعلّه الى هذا المعنى أشار اللّه تعالى في كتابه حيث قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١)

وثالثها: مَن كَثُر كلامه كَثُر هَجره ولأجل هذا قال ﷺ من أكثر أهجَر ولعلّ السِّر فيه أنّ كثير الكلام قليل التّفكر بمعنى أنّ الكلام الصّحيح الخارجي عن الهَجر لابدّ له من أن يكون مسبُوقاً بالفكر والتّدبر قبل التّكلم به وهذا المعنى لا يتّحقق في كثير الكلام غالباً بخلاف من قلّ كلامه فأنّه يتّدبر ويتّفكر فيه كما هو المحسُوس المُشاهد في حقّنا وحقّ غيرنا كما قيل في الفارسية:

كم گُوى وگزيدة گُوى چون دُر تا ز اندك تو شود جهان پُر

وعن الرّضا ﷺ **ما أحسَن الصّمت من غير عَيٍّ والمِهذار له سَقَطات «مشكاة الانوار ص ١٧٥»...**

ورابعها: أنّ التّفكر في الأمور يُوجب زيادة البَصيرة فيها والى هذا أشار ﷺ بقوله من تّفكر أبصَر وقد أمَرنا اللّه تعالى في كتابه بالتّفكر في موارد كثيرة قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢)

و: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)

و: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (٤)

و: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥)

ومن المعلوم أنّ نتيجة التّفكر البَصيرة بحيث لولاها لما أُمرنا به فأنّ التّفكر بما هو هو لا مدح فيه ما لم ينتهي الى البَصيرة والى هذا المعنى يشر قوله ﷺ **تفكّر ساعة خير من عبادة ستين أو سبعين سنة لأنّه يُوجب زيادة البَصيرة في الدّين والدّنيا.**

١- البقرة ـ٢١٦
٢- البقرة ـ٢١٩ و ٢٦٦
٣- الانعام ـ ٥٠
٤- الرّوم ـ٨
٥- الاعراف ـ١٧٦

سُئلَ عيسىٰ من أفضل النّاس قال من كان منطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة « مجموعة ورّام ص ٢٥١».

وقال آخر – من لم يكن كلامه ذكراً فهو لَغوٌ ومن لم يكن سكوته تفّكراً فهو سَهوٌ ومن لم يكن نظره إعتباراً فهو لَهوٌ:

وقال آخر: الفِكر مِرآة تريك منها حسناتك وسيآتك ص ٢٥٠.

وقال رسول اللّه ﷺ أعطوا أعينكم حَظّها من العبادة فقالوا يا رسول اللّه وما حَظّها من العبادة قال النّظر في المُصحَف والتّفكر فيه والإعتبار عند عجائبه « ص ٢٥٠»...

وقال بعض الحكماء لو تَفكر النّاس في عَظمة اللّه ما عَصُوا اللّه ص ٢٥١.

وكان بعض العرفاء إذا جلس يبكي فقيل له ما يُبكيك قال تَفكرت في ذهاب عمري وقِلّة عَمَلي وإقتراب أجَلي،

وقال الآخر عَوِدّوا أعينكم البكاء وقلوبكم التّفكر.

وقال بعضهم إستعينُوا علىٰ الكلام بالصّمّت وعلىٰ الإستنباط بالتّفكر ص ٢٥١ إذا عرفت هذا فنقول قال بعض العرفاء ينبغي للعبد أن يفتّش صبيحة كلّ يومٍ جميع أعضائه السّبعة تفصيلاً ثمّ بدنه علىٰ الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها أو لابسها بالأمس فيتداركها بالتّرك والنّدم أو هو مُتَعرض لها في نهاره فيستّعد للإحتراز والتّباعد منها.

فينظر أوّلاً في اللّسان ويقول أنّه مُستعرض للغيبة والكذب وتزكية النّفس والإستهزاء بالغير والمُماراة والمُمازحة والخوض فيما لا ينبغي.

وفي سَمعِه أنّه يصغي الىٰ الغِيبة وسِماع الكذب وفضول الكلام والىٰ اللّهو والبَدعة وأمثالها.

وفي بَطنه بالأكل والشّرب من حيث الحلّ والحرمة وأنّه من أين مطعمه ومَلبسه ومَسكَنه ويقّرر في نفسه أنّ البدن متّىٰ تغذّىٰ بالحرام علا علىٰ القلب فيه غَشاوة فيصير غافلاً وأنّ الثّوب متىٰ كان حراماً لم تُقبل فيه الصّلوة وهكذا

الكلام في بقيّة الأعضاء فإذا تفكّر فيهاكذلك يَحصل له بسببه حقيقة المعرفة فَيشتغل بالمُراقبة طول النّهار حتّىٰ يحفظها عن جميع القَبائح والحاصل أنّه بعد التّفكر فيها يُداونها بالكتاب والسُنّة ولا نعني بالبصيرة إلّا هذا.

▫ **قوله ﷺ: قارِنْ أهْلَ الخَيرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وبَايِنَ أهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ ...**

أي قارِن أهل الخَير بالمُعاشرة والمُجالسة والمُؤانسة لتكون منهم فأنّ من أحبّ شيئاً حشره اللّه معه وبايِن أهل الشّر فلا يُعاشرهم حتّى لا تُعدّ منهم والمُراد بأهل الخير من يَفعل الخير ويقول به وبأهل الشّر من يفعل المعاصي ويقول بالباطل.

▫ **قوله ﷺ: بِئْسَ الطَّعامُ الحَرَامُ وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْم ...**

الحَرام من أعظم المُهلكات وبه هَلَك أكثر من هَلَك وجُلّ النّاس حُرموا من السّعادة لأجله ومُنعُوا عن توفيق الوصول الىٰ اللّه بسَببه ومَن تَأمل فيه يعلم أنّ أكله أعظم الحُجب للعبد من نيله الىٰ درجة الأبرار وأَقوىٰ الموانع له عن الوصول الىٰ عالم الأنوار وهو المُوجب لظلمة القلب وكِدرته والباعث لخُبثه وغفلته وهو العلّة العظمىٰ لخسران النّفس وهَلاكها والسّبب الأقوىٰ لضلالتها وخباثها وما للقلب المُتّكون من الحرام الإستعداد لفيوضات عالم القُدس وأنّىٰ للنُّطفة الحاصلة منه والوصول الىٰ مراتب الأنس وكيف يدخل النّور والضّياء في قلبٍ أظلمته أدخنته المُحرّمات أم كيف تحصل الطّهارة والصّفاء لنفس أَخبثَتها قذارة المُشتبهات فضلاً عن المُحرّمات ولأجل ذلك حذّر عنه صاحب الشّرع غاية التّحذير.

قال أمير المؤمنين ﷺ ليس بولّيٍ لي من أكل مال مؤمنٍ حراماً «مشكاة الانوار ص ١٥٤»...

وقال رسول اللّه ﷺ أنّ لِلّه مَلكاً علىٰ بيت المقدس يُنادي كلّ ليلة من أكَل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل أي لا نافلة ولا فريضة انتهىٰ «جامع السّعادات ج ٢ ص ١٦٣»...

وقال ﷺ - من لم يُبال من أين إكتسب المال لم يُبال اللّه من أين أدخله النّار...

وقال ﷺ - كلّ لحمٍ نَبَت من حرام فالنّار أولىٰ به...

وقال ﷺ - من أصاب مالاً من مأثمٍ فوصل به رحماً أو تصّدق به أو أنفقه في سبيل اللّه جمع اللّه ذلك جمعاً ثمّ أدخله في النّار...

وقال ﷺ - أنّ أخوف ما أخاف علىٰ أُمّتي من بعدي هذه المكاسب الحرام والشّهوة الخفّية والرّبا انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام كسب الحرام يبين في الذّرية...

وقال عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾(١) أن كانت أعمالهم أشدّ بياضاً من القباطي فيقول اللّه عزّ وجلّ لها كُوني هَباء وذلك أنّهم كانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه...

وقال الكاظم عليه السلام أنّ الحرام لا ينمىٰ أن نمىٰ لم يُبارك فيه وأن أنفقه لم يُؤجر عليه وما خلفّه كان زاده الىٰ النّار والأحاديث في ذمّ الحرام كثيرة وما نقلناه نقلناه عن جامع السّعادات «ج ٢ ص ١٦٤»...

وأمّا قوله عليه السلام: **وَظُلْمُ الضّعِيفِ أَفْحَشُ،** فقال الشّارح البحراني رحمه الله في شرحه ما لفظه وأنّما كان أقبح الظّلم لكون الضّعيف في محلّ الرّحمة فظلمه لا يصدر إلّا عن قلبٍ قاسٍ ونفسٍ مُبعدة من الرّقة والرّحمة والعَدل لأنّه غير خائفٍ من الضّعيف بمُدافعةٍ ومُمانعةٍ فكان أبعد عن العَدل وتقدير القضّية كلّ ما كان أفحَش الظّلم كانَ أولىٰ أصناف الظّلم بالتّرك والإجتناب انتهىٰ.

قال الشّارح المعتزلي رأىٰ معاوية إبنه يزيد يضرب غلاماً فقال عليه السلام بُنّي كيف لا يسع حلمك من تَضربه فلا يمتنع منك ثمّ ذكر قصّة المأمون وأمره بأشخاص الخطّابي القاص من البَصرة وساق الحديث الىٰ أن قال الخطّابي ياأمير المؤمنين قد ترىٰ ما أنا عليه من الضّعف و الزّمانة والهَرم وقلّة البَصر فأن

١- الفرقان ـ٢٥ـ

عاقبَتني مظلوماً فإذكر قول إبن عمّك علّي ﷺ: **وَظُلْمُ الضّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْم** الحديث وتبعهما غيرهما في تفسير الكلام من الشّراح.

أقول: غَرضنا من نَقل مقالتهما هو أنّهما حملا كلامه ﷺ علىٰ أنّ الظّلم علىٰ الضّعيف أَفحَش أي أَقبَح من الظُّلم علىٰ القَوي مثلاً لأنّ الضّعيف غير مقابل للظّالم بمدافعةٍ هذا والّذي فهمناه من العبارة معنىٰ آخر وهو أنّ الظّلم من الضّعيف أَفحَش وأَقبح من الظّلم الصّادر عن القّوي وأن كان في حقّه أيضاً قبيحاً والدّليل علىٰ ما ذكرناه هو أنّه ﷺ لم يقل والظّلم علىٰ الضّعيف أَفحَش ولو كان المُراد ما ذكروه لكان حقّ العبارة أن يُقال والظّلم علىٰ الضّعيف أَفحَش.

ولم يقل هذا مضافاً الىٰ أنّ قواعد العربّية والأدبّية أيضاً تأبىٰ ما ذكروه إذ كلمة الظّلم في العبارة أُضيفت الىٰ الضّعيف فقال ﷺ ظلم الضّعيف ومعنىٰ الأضافة إسناد شئ الىٰ شئٍ آخر فالمعنىٰ أنّ الظّلم وأن كان في نفسه قبيحاً إلّا أنّه إذا أُسند الىٰ الضّعيف فهو أقبح وأَفحَش والوجه في كونه أَفحَش ظاهر لأنّ القّوي القادر القاهر بحسب فطرته وغريزته قد يتّوقع فيه الظّلم علىٰ غيره إلّا أنّ الشّارع لما مَنعه منه فهو قد لا يَظلِم ولولا نهي الشّارح أو كونه قبيحاً في نفسه لَكان ظالماً طَبعاً بمقتضىٰ سَبعيّته وأمّا الضّعيف فليس كذلك لعدم قُدرته مالاً وجسماً ومقاماً في حَدّ القّوي فلا يتّوقع منه الظّلم فلو ظَلَم كان ظلمه أَفحَش.

أن قلت ـ أن كان قادراً علىٰ الظُّلم فهو قَوّيّ وأن لم يقدر فكيف يظّلم حتّىٰ يُقال ظلمه أَفحَش قُلتُ، القّوة والضّعف من الأمور النّسبية فرُبّ قّوي هو ضعيف بالنّسبة الىٰ من هو أقوىٰ منه وقَوّيّ بالنّسبة الىٰ من هو أضعف منه والمَقصُود أنّ الظّلم من كلّ ضعيفٍ أَفحش منه من كلّ قَوّيٍ في كلّ مرتبةٍ من المراتب ولَعمري هذا واضح لا خفاء فيه والعَجَب كلّ العَجَب من المُحقّق البحراني ﷺ كيف غَفل عن الدّقيقة الّتي تُفهم من نفس العبارة وحمّل كلامه ﷺ

علىٰ ما حَمل وأمّا الشّارح المعتزلي فلا عجب منه لأنّه شارح ألفاظ الكتاب وأمّا الدّقة في كلمات أمير المؤمنين وفَهم المراد منها فهي خارجة عن طَور فَهمه ونظير هذا الكلام ما وَرد عن المعصُوم حيث قال عليه السلام بعض أولاد الرّسول صلى الله عليه وآله عصيان اللّه ورسوله قبيح عن كلّ مسلم وهو منك أَقبح لقرابتك من رسول اللّه وطاعة اللّه مستحسنة من أحاد النّاس وهي منك أحسَن قريباً بهذه المضامين وفي العُرف أيضاً كذلك ألا ترىٰ أنّ العالم مثلاً يقول لإبنه هذا العَمَل منك أَقبح أو أَحسَن ونظائره كثيرة وهو كلام صدق وبيان حقّ لا مَرية فيه والمراد بكونه أفحَش كونه أفحش عقلاً لا شرعاً وذلك لأنّ الظّلم بحسب الشّرع لا فرق في مصاديقه من حيث القُبح وأن كان الفرق ثابتاً من حيث الآثار المُتّرتبة عليه في الدّنيا والآخرة فأنّ أصل القُبح شيئ والأثر المُتّرتب عليه شيئ آخر يرتبط بشدّته وضعفه وزمانه ومكانه وشخص الظّالم والمظّلوم وغير ذلك من الأمور.

▫ **قوله عليه السلام: إِذَا كانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كانَ الْخُرْقُ رِفْقاً...**

الرِّفق بكسر الرّاء المُداراة والخُرق بضّم الخاء وسكون الرّاء هو الحُمق، وضعف الرّأي والجهل وقيل إذا عَمل شيئاً فلم يرفق به فهو خرق وحاصل المعنىٰ أنّ الرِّفق في حقّ الغير إذا كان مُوجباً للخُرق وضعف الرّأي والجهل والعُنف وغير ذلك ممّا قيل في معناه كان الخُرق أيضاً رِفقاً لا عُنفاً وضَعفاً.

قال الشّارح المعتزلي في المقام أي إذا كان إستعمال الرِّفق مفسدة وزيادة في الشّر فلا تستعمله فأنّه ليس برِفقٍ بل هو خُرق ولكن إستعمل الخُرق فأنّه يكون رِفقاً والحالة هذه لأنّ الشّر لا يلقي إلّا لشّر مثله انتهىٰ.

وقال البحراني نَبّهه علىٰ أنّ الخُرق في بعض المواضع كالخُرق في كونه فحّلاً بالمَصلحة غالباً ومُفَوتاً للغَرض كان إستعمال الخُرق في ذلك المَوضع كإستعمال الرّفق في إستلزامه للمَصلحة وحُصول الغَرض غالباً فكان أولىٰ من الرّفق في ذلك الموضع ولفظا الخُرق الأوّل والرِّفق الثّاني مُستعاران للرِّفق

الأوّل والخُرق الثّاني انتهىٰ.

وأنا أقول: لا نحتاج في فهم المراد الىٰ هذه التّكلّفات البَعيدة عن الفهم ومعنىٰ العبارة لا خفاء فيه وذلك لأنّ المقصود أنّ الرِّفق إذا كان مُوجباً ومُستلزماً لِلضُّعف وشدة العَمَل كإجراء الحدود والقصاص ومقام التّأديب وأمثال ذلك ممّا لا ينْفك الرِّفق عن الخُرق فالخُرق فيها أيضاً يلزم الرِّفق ولا يُعدّ خُرقاً واقعاً ألا ترىٰ أنّ الرِّفق مثلاً يقتضي تأديب العاصي إذ عدم تأديبه ظلمٌ عليه ومعلوم أنّ التّأديب لا يُوافق طمع المُتأدب ففي هذا المورد وأمثاله لابدّ من إجراء الخُرق لكونه في الواقع رفقاً في حقّ الخاطئ في الدّنيا والآخرة.

▫ **قوله ﷺ: رُبّما كانَ الدَّوَاءُ دَاءً والدَّاءُدَوَاءً...**

دَواء كلّ مرضٍ ما يتداوىٰ به والمرض تارة يكون في الجسم وأُخرىٰ في الرّوح والأمراض الجسّمانية معلومة والرّوحانية فيها كالبُخل والحَسَد والكذب والفخر وأمثالها حقّ الرّذائل .

ثمّ أنّ الدّواء قد يكون عين الدّاء كما أن الدّاء قد يكون بعينه دَواءً.

أمّا في الأمراض الجسّمانية فكما إذا كانت المَصلحة في المَرض قطع اليد أو الرّجل أو الإصبع مثلاً فإذا رأىٰ الطّبيب دواء المَرض مُنحصراً في قَطع يد المريض يقطعها لا محالة مع أنّه أي قطع اليد في الحقيقة داءٍ فصار الدّواء أي قطع اليَد داء وإذا كان الدّواء داءً فالدّاء أيضاً دَواءً في هذا المورد وأمّا في الأمراض الرّوحانية فالكذب مثلاً داء وعدم الكذب دواءه وقد تكون المصلحة في الكذب كما إذا أوجب الكذب حفظ النّفس المحترمة فصار الدّاء دواءً مع أنّه أي الكذّب في ذاته داءٍ، وكما أنّه قد يضطر الإنسان الىٰ أكل المَيتة لحفظ النّفس مع أنّه أي أكل الميتة في نفسه داء والحاصل أنّ كثيراً من الأحكام لولا كلّها بعناوينها الأوّلية لها حكمٌ وبعناوين الثّانوية حكم آخر فأنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد فقد تكون المَصلحة في تَرك الفعل وقد تكون في فعله وهذه القاعدة تجري في الحكُومات أيضاً ألا ترىٰ في بعض الموارد لا تقتضي

المَصلحة في عزل بعض الحُكام والأمراء مع أنّ الوالي مثلاً لا يصلح لها وفي بعض آخر بالعكس كما أنّ عزل شريح القاضي كان في عهد علي عليه السلام من الدّواء فلمّا عزله عليه السلام صار عَزَله داءً أشدّ من داء الأوّل ولما أبقاه ثانياً صار هذا الدّاء دَواءً فسَكَت النّاس ونظائره كثيرة فالمعيار الصّحيح في هذه الموارد هو ملاحظة الأهم والمُهّم أو الأهَمّ فالأهَمّ وهو ظاهر .

□ **قوله عليه السلام: وَرُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النَّاصحِ وَغَشَّ المُستَنْصَحُ ...**

أي وربمّا ينصحك عدّوك بنصيحةٍ وافية كافية ويخونك فيها صديقك فيغشّ فيها والحقّ في تفسير الكلام أن يُقال أنّ غير النّاصح أعمّ من العَدُّو فمعنىٰ العبارة أنّه ربّما يكون النّاصح لك غير من تعتمد علىٰ نصيحته وذلك يتصُور علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يكون النّاصح والمُستنصح في قولهما عامدين بمعنىٰ أنّ غير النّاصح تعمّد فيما قال والمُستَنصح كذلك.

وثانيهما: أن يكون ذلك على وجه الغفلة والخطأ وكيف كان فالحُكم بحاله وهو أنّه لا ينبغي الإعتماد علىٰ نَصح المُستّنصَح في كلّ الموارد لإحتمال الغشّ فيه كما لا ينبغي ردّ النّصيحة من غير النّاصح كذلك لإحتمال صدقه فيها والميزان في التّشخيص هو العقل .

وأمّا ما ذكره المعتزلي في المقام من الأمثلة فهو علىٰ مذهبه الغَلط وذلك لأنّ المُغيرة لم يكُن بناصح لأمير المؤمنين واقعاً بل هو أي المُغيرة كان من الكذّابين المُعاندين وعلّي عليه السلام قد كان عالماً به وأمّا إستشارة الحُسين عليه السلام عبد اللّه إبن الزّبير بمكّة في الخروج عنها فلم تُثبت في الصّحاح وكيف إستشاره الحسين عليه السلام وهو كان عالماً بعداوته لأهل البيت ثمّ كيف قَبل نَصيحة الخائن المُعاند وخرج عن مكّة بمقتضىٰ نصيحته الىٰ العراق كلّ ذلك لم يكن والحكم ثابت في محلّه .

□ **قوله عليه السلام: وَإِيَّاكَ واتِّكالَكَ عَلىٰ المُنىٰ فإِنَّها بَضائِعُ المَوتَىٰ ...**

وفي نُسخة المعتزلي بضائع النّوكىٰ بالنّون جمع أنوك وهو الأحمق فعليه معنىٰ العبارة إحذر من الإتّكال علىٰ الآمال في الدّنيا فأنّه من شأن الأحمق والعاقل لا يَعتمد علىٰ الآمال الّتي لا يمكن الوصُول اليها أصلاً وأمّا علىٰ غيرها من النّسخ فالمعنىٰ أنّ الآمال، بضائع الموتىٰ حيث أنّ المُتّجر بها يموت ولا يَصل اليها وكلاهما ممّا لا إشكال فيه:

□ **قوله ﷺ: والْعَقْلُ حِفْظُ الْتَّجارِبِ وَخَيرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعظَكَ ...**

قد مَرّ الكلام في العَقل وحقيقته وأنّه مطبُوع ومَسمُوع والمّراد به في المقام هو الثّاني أعني العَقل المسمُوع فأنّ المَطبُوع هو الغريزة أو ما يُلازمها قبل كلّ تجربةٍ والدّليل علىٰ ما ذكرناه من كلامه ﷺ هو قوله ما وَعَظك فأنّ العقل المُستَفاد من المَوعظة مسمُوعٌ لا محالة وحاصل المعنىٰ أنّ العقل المسمُوع عبارة عن حفظ التّجارُب ولا تجربة أحسَن مِن المَوعظة وهي علىٰ قسمين:

أحدهما: المَواعظ السَّمعية من الآيات والأخبار وكلمات الأولياء والصّلحاء والحُكّماء:

وثانيهما: المَواعِظ التّكوينية من الآثار الموجودة الباقية عن الماضين وحوادث الدّهر وتقلبّاته وأنّما قال خير ما جَرّبتَ ما وَعَظَك لأنّ كلّ موعظة فهي مسبُوقة بالتّجربة فلا تحتاج الىٰ تجربةٍ أُخرىٰ وقد قيل من جَرّب المُجَرّب حَلّت به النّدامة فَينتج أنّ من لا يحفظ التّجارب ويعرض عنها لا عقل له واقعاً سمعاً وأن كان المطبُوع له محفوظاً إلّا أنّه لا ينفع بدونه كما مَرّ.

□ **قوله ﷺ: بادِرِ الفُرْصَةَ قَبلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً ...**

أي اغتَنمها قبل فَوتها فأن فوتها غُصّةٌ وأَلَمٌ وفيه إشارة الىٰ أنّ العاقل يتّرصدها فإذا وجدها بادَرها لئِلاً يندم علىٰ فوتها ولا يَنفعه النَدم ولذلك وَرد في الآثار إغتَنمُوا الفُرَص فأنّها تمّرُ مَرَّ السّحاب، وقال رسول الله ﷺ **إغتَنم خمساً قبل خمسٍ شبابُك قبل هِرمك، وصّحتك قبل سُقمك، وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك** « ج ٢ ص ٣٣»...

وكان ﷺ اذا أحسّ من أصحابه غفلة وغُرّة نادىٰ فيهم بصوتٍ عال أتتكم المَنّية إمّا بشقاوةٍ أو بسعادةٍ...

وقال بعض الأكابر التُّوءَدة في كلّ شيءٍ خير إلّا في أعمال الآخرة انتهىٰ «ص ۴۵».

□ **قوله عليه السلام: لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ولاكلُّ غائِبٍ يَؤُبُ ...**

أي ليس كلّ طالبٍ يُصيب الىٰ مطلُوبه ومَقصُوده كما أنّه ليس كلّ غائبٍ عن الطّلب يصير مَحروماً منه إذ ربّما نرىٰ الطّالب في طلبه مأيوساً مَحرُوماً وغير الطّالب واصلاً الىٰ ما لم يطّلبه أصلاً وهو دليل علىٰ أنّ الرّزق أو كلّ مقصدٍ من المقاصد مقّدرٌ محتومٌ لا يحصل بحرص الحريص نعم طلب الطّالب قد يؤثّر في الوصُول الىٰ المطلُوب فيصيب الطّالب اليه ولذلك قال عليه السلام: **لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ** ولم يقل لا يصيب كلّ طالب أو كلّ طالبٍ لا يُصيب فأنّ دخُول حرف السّلب علىٰ (كُلّ) يُفيد إثبات البعض وهكذا الكلام في كلّ غائب فأنّ معناه أن بعضه يَئُوب وبعضه لا يَئُوب.

□ **قوله عليه السلام: وَمِنَ الْفَسَادِ إضاعَةُ الزَّادِ وَمَفْسَدَةُ المَعَادِ ...**

المُراد بالزّاد ما يُنتفع به في الآخرة كالأعمال الصّالحة وإضاعته إبطاله بالرّياء وعدم الخلُوص فيه .

فأنّ كثيراً من النّاس يعملون الخير ويقولون به ثمّ يُبطلُونه والىٰ هذا المعنىٰ أشار اللّه في كتابه حيث قال:(**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**(1)

و : **﴿يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقٰتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأٰخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلىٰ شَيْءٍ مِمّا كَسَبُوا وَاللّٰهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰافِرِينَ﴾**(2) وأيضاً من الإضاعة الإسراف في المال وصَرفه في الشّهوات كما إحتمله بعض الشّراح

١- البقرة ـ ٢٦٢

٢- البقرة ـ ٢٦٤

وقال وهو الأظهر وأنا أقول الأظهر ما ذكرناه إذ لا خصوصية في المال ولم يدّل دليل من العقل والنّقل على أنّ المراد بالزّاد هو المال فقط بل الزّاد عبارة عن كلّ ما يمكن الإنتفاع به وهو يطلق على المال والعُمر والصّحة والعلم والزُّهد والمقام وغير ذلك.

□ **قوله ﷺ: ولكلّ أمرٍ عاقبة سوف يأتيك ما قدّر لك...**

أي لكلّ أمرٍ من الأمور عاقبة ينتهي الأمر اليه وقد يُعبّر عنها بالتّقدير فالمُراد أنّ المقدّر كائن ثابت وهو يأتيك أين ما كُنت ولا يمكن لأحدٍ الفرار منه قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾**(١)

و: **﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾**(٢)

و: **﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾**(٣)

□ **قوله ﷺ: وَلِكلِّ امْرِءٍ عاقِبَةَ. سَوْفَ يَأتِيَكَ مَا قُدِّرَ لَكَ التَّاجِرُ مَخَاطِرٌ وَرَبَّ يَسيرٍ أَنْمَىٰ منْ كَثيرٍ وَلا خَيرَ فِي مُعينٍ مَهينٍ وَلا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ سَاهِلِ الدَّهْرَ ...**

يمكن أن يراد بالتّاجر التّاجر المُصطلح عند النّاس كمن يتّجر في السّوق ويبيع ويشتري، ويمكن أن يراد باللّفظ معناه العامّ الّذي يشمل كلّ النّاس فأنّهم في الدّنيا يكسبون لآخرتهم، بأعمالهم وأقوالهم ونياتّهم وكيف كان فالتّاجر مخاطر أي هو في شُرف الهَلاك بنفسه وماله وعمله وقوله فكما أنّ التّاجر بالمال في الدّنيا يكون في مَعرض الخَطَر بماله ونفسه كذلك التّاجر في الدّنيا بالنّسبة الىٰ الآخرة في مَعرض الخَطَر فأنّ الغفلة والرّياء والمنّ والأذىٰ والظّلم وغيرها، من الآفات أوقعَته في مَعرض الهَلاك فينبغي أن يُواظب علىٰ نفسه وعَمَله.

وأمّا أنّ ربّ يسير أنمىٰ من كثير فهو أيضاً حقّ ولا إختصاص له بالمال فقط

١- الطّلاق-٣
٢- الحجر-٢١
٣- الشّورىٰ-٢٧

كما تُوهّم بل المراد معناه العامّ فكما أنّ المال القليل ربّما يكون أنمئ من الكَثير كذلك العَمل القليل من العِبادات والخيرات حتّىٰ الأقوال والنّيات ربّما يكون القليل منها أنمئ من الكَثير عند اللّه كما إذا كان المال القليل حلالاً والكثير حراماً وكما أنّ العَمل القليل صَدر عن عامله بخلوصه وصفائه والكثير كان مَشوباً بالرّياء أو بداعٍ آخر غير التّقرب اليه وفيما ذكره إشعار بأنّ الإنسان ينبغي له الإهتمام بكيفيّة العَمَل والمال والكلام وغير ذلك

لا بكمّيتها فأنّ الرّكعتين من الصّلوة مثلاً إذا كانتا تامّا الأجزاء والشّرائط أنمئ وأفضل من مائة ركعة ليست كذلك وفي المال أيضاً كذلك.

وقوله ﷺ: **لا خير في مُعين مَهين**، المَهين أن كان بفتح الميم فهو الحقير وأن كان بضَمها فهو الفاعل من الإهانة فالمعنىٰ علىٰ الأوّل أنّه لا خير في مُعين حقيرٍ فأنّ الحقير لا يقدر علىٰ الإعانة وعلىٰ الثّاني لا خير في مُعين يُهينك في إعانته فيفسد ما يَصلح وأكثر النّسخ علىٰ الأوّل أعني فتح الميم بمعنىٰ الحقير والضّعيف وعليه فكلّ النّاس كائناً من كان كذلك فأنّ الحقارة والضّعف ممّا لا ينفك عن المخلوق فيرجع المعنىٰ الىٰ أنّه لا خير في إعانة المخلوق وإذا كان كذلك فالإستعانة به لا معنىٰ لها فينبغي أن يستعين الإنسان بمُعينٍ غير مَهين وهو لا يكون إلّا اللّه تعالىٰ هذا من جهة العقل وأمّا من جهة اللّفظ فقد ثبت أنّ النّكرة في سياق النّفي تفيد العموم فإذا قلنا لا رجل في الدّار معناه لا جنس رجل في الدّار وفي المقام لا خير بالكّلية في مُعينٍ ضعيفٍ فالمُعين هو اللّه تعالىٰ فقط .

وصورة القياس أن نقول، هذا مخلوق وكلّ مخلوق ضعيف، ثمّ نجعل النّتيجة صغرىٰ ونقول هذا ضعيف وكلّ ضعيفٍ لا يكون مُعيناً فهذا لا يكون مُعيناً، فَخرج المخلُوق بالكلّية عن القُدرة ودَخل تحت الضّعف وإذا كان كذلك فالخير في المُعين القَوي وهو اللّه تعالىٰ وهو المطلوب.

وقوله ﷺ: **ولا في صديق ظَنين**، أي مُتّهم بالخيانة والكذب ومن كان

كذلك ينبغي الإحتراز عنه، فقد قيل إتّقوا مواضع التُّهم فلا يُعتمد عليه حقّ الأعتماد بل يُفتّش كلامه وفعله ثمَ الأخذ به.

□ **قوله عليه السلام: مَاذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ وَلا تُخاطِرْ بِشيءٍ رَجاءَ أكْثَرَ مِنْهُ ...**

القَعُود أن كان بفتح القاف فهو من الإبل ما يقتعده الرّاعي في كلّ حاجته ويُقال للبكر الى أن يثنىٰ وللفصيل وعليه فالمعنىٰ ساهل الدّهر أي سامحه مادام مُنقاداً وخُذ حَظّك من قياده، وأن كان بضّم القاف فهو مصدر قَعد قعداً وقُعوداً والقُعود ضدّ القيام وعليه فالمعنىٰ سامح الدّهر ما لم يقم عليك فقُعود الدّهر كناية عن إرفاقه، ومسامحة الدّهر أو مساهلته الجريان مَعه بقدر مُقتضاه من دون تشّددٍ وتَسَخُطٍ عليه فلفظ القعُود مُستعار للوقت الّذي يُتيّسر فيه الأمر وكذلك وصف الذّلة بإعتبار سهولة المطالب فيه.

وأمّا قوله عليه السلام: **ولا تُخاطر بشيٍ رجاء أكثر منه** أي لا تَجعل نَفسك في معرض الخَطر برجاء أكثر ممّا عندًك بل إقنع به وإعلم أنّ التّخاطر دليل علىٰ الحرص المَذمُوم بل علىٰ الحُمق فلو كان الإنسان قانعاً بما رزقه الله مُعرضاً عن الوَلَع والحِرص لكان مصُوناً عن أكثر الآفات بل كلّها وما ذكره عليه السلام لا يُنافي طلب الرّزق أكثر ممّا في يده إذا لم يكن علىٰ سبيل التّخاطر وهو واضح .

□ **قوله عليه السلام: وإيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ...**

أي إحذر من غَلَبة اللّجاج والعِناد عليك وقد فَسَّروه بالخصُومة والمآل واحد شبّه عليه السلام اللّجاج بالإنسان وأثبت له المَطيّة وهي المَركب والمَقصُود أنّ مَطيّة اللّجاج قد تَغلب علىٰ الإنسان فلا يَقدر علىٰ إنقيادها وفيه هَلاكه وقد يَغلب الإنسان عليها وفيه خَيره وصَلاحه فَكُن من الثّاني لا مِن الأوّل وأنّما نَهىٰ عليه السلام عن اللّجاج لأنّه من رسُوم الجاهلّية ومع ذلك دليل علىٰ الحُمق وغَلَبة الغَضَب علىٰ العَقل .

□ **قوله عليه السلام: إحْمِلْ نَفْسَكَ منْ أخِيْكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلىٰ الصِّلةِ وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلىٰ اللُّطْفِ والمُقَارَبَةِ وعِنْدَ جُمُودِهِ علىٰ البَذْلِ وَعِنْدَ تَباعُدِهِ عَلىٰ الدُّنُوِّ وعِنْدَ شِدَّتِه**

علىٰ اللِّينِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ علىٰ الْعُذْرِ حَتّىٰ كأنَّكَ لهُ عَبْدُ وكأنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عليْكَ) .

وحاصل هذه الكلمات أنّه إذا قَطع الأخ في الدّين صِلتك وصَدَّ أي مَنع نفسه من اللّطف والمُقاربة اليك ومَنع البَذل والعَطاء وإختار التّباعُد عنك علىٰ التّقارُب والجُرم علىٰ العُذر وفي بعض النّسخ وعند شدّته علىٰ اللّين زيادةً علىٰ ماذكرناه فلا تكن مثله بل أحمل وألزم نفسك منه حتّىٰ كأنّك له عبد وكأنّه أي الأخ ذو نعمةٍ عليك يجب عليك شُكره فَتقدير الكلام أحمل نفسك من أخيك حتّىٰ كأنّك له عبد إذا فَعل بك كذا وكذا وسُمّي ذلك بالعَفو إصطلاحاً .

(قال الصّادق عليه السلام ثلاثة من مَكارم الدّنيا والآخرة، أن تَعفو عمّن ظَلَمك، وتَصل من قَطعك وتَحلم إذا جهل عليك « مشكاة الانوار ص ١٦٦»...

(وعن الباقر عليه السلام ثلاثة لا يزيد اللّه بهنّ المَرء المُسلم إلّا عزّاً الصّفح عمّن ظَلمه وإعطاء من حَرمه وصلة من قَطعه انتهىٰ« ص ٢٢٥»...

(وعن الصّادق عليه السلام قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله عليكم بالعَفو فأنّ العَفو لا يَزيد العَبد إلّا عِزّاً فَتعافُوا يَعزّكُم اللّه « ص ٢٢٥»...

▫ **قوله عليه السلام: أَنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أوْأنْ تَفْعَلهُ بِغيرِ أهْلِهِ ...**

وذلك لأنّ وضع الشّئ في غير مَوضعه يُعدّ ظلماً ولأجل ذلك قال عليه السلام وأيّاك أي إحذر أن تَضعه في غير مَوضعه فأنّه يُوجب التّجري في الخاطئ والظّلم علىٰ غيره كما قيل بالفارسية:

تَرّحُم بر پلنگ تيز دندان   ستمكارى بود بر گوسفندان

▫ **قوله عليه السلام: لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيْقِكَ صَدِيقاً فُتعادِيَ صَدِيْقَكَ...**

أي إذا إتّخذتَ عدّو صديقك صَديقاً لِنَفسك فكأنّك عادَيت صَديقك وأنّما نَهىٰ عليه السلام عنه لعدم إمكان الجَمع بين الصّديق وعَدُّوه وهو واضح .

▫ **قوله عليه السلام: ووأَمْحَضْ أخاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كانَتْ أَوْ قَبِيحَةً...**

أي أنصح أخاك علىٰ كلّ حال ولا تُحرمه عنها سواء كانت النّصيحة عنده حَسَنة أو قَبيحة وأنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ النّصيحة قد تَسّر أخاك كما إذا كانت

فيها مَنفعة له وقد تَسُوُه كما إذا كانت بِضَرره في الدّنيا بِزَعمه والصّديق من لا يَخُون صَديقه ومحصّل الكلام قُل الحقّ ولو كان مُرّاً فأنّ كتمانه من الخِيانة وفاعله يُعدّ مُنافقاً.

◘ **قوله ﷺ: وَتَجَرّعِ الْغَيْظَ فإنِّي لمْ أَر جُرْعَةً أحْلَىٰ مِنْها عاقِبَةً ولا أَلَذَّ مَغْبَّةً ولِنْ لَمنْ غَالَظَكَ فإنَّه يُوشِكُ أنْ يَلِينَ لَكَ...**

تَجَرُّع الغَيظ كَظمُه وكَظم الغَيظ مَمدُوحٌ شرعاً وعقلاً، قال اللّه تعالى: **﴿وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاس﴾**[1] وكذلك قال ﷺ فأنّي لم أَر جُرعة أحلىٰ منها من حيث العاقبة وأن كانت مُرّاً في بَدو الأمر والأحاديث في الباب كثيرة وقد تكّلمنا في كظم الغَيظ غير مَرّةٍ:

قال الصّادق ﷺ من مَلَك نفسه إذا رَغب وإذا رَهب وإذا إشتهىٰ وإذا غَضب وإذا رَضىٰ وإذا سَخط حرّم اللّه جَسَده علىٰ النّار « مشكاة الانوار ص ٣٠٧»...

وقال النّبي ﷺ مَن كَظَم غَيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه أملا اللّه قلبه أمناً وإيماناً« مجموعة ورام ص ١٢٤ ج ١»...

وقال إبن عُمر قال رسول اللّه ﷺ ما جَرع عبد جُرعة أعظم من جُرعة غَيظ كَظَمها إبتغاء وجه اللّه « ص ١٢٤»...

فقوله ﷺ: **أَحلَىٰ، أفعل التّفضيل من الحلُو**، وألَّذ، من اللّذة والمَغَبّة بفتح الميم والقاف والباء العاقبة وأمّا قوله ﷺ: **ولِن**، فهو أمرٌ من لانَ يَلين واللّينة ضدّ الخشُونة والمعنىٰ أرفق لمن غالَظك في قوله أو فعله ولا تُجب الغَلظة بالغِلظة فأنّه يُوشك أن يلين لك إذا كُنت عملتَ باللّين وأمّا إذا عَملتَ بالغِلظة فلا.

روي في مشكاة الأنوار عن أخ حماد بن بشير قال كُنت عند عبد اللّه بن الحَسَن وعنده أخوه حَسَن إبن الحَسَن فَذكرنا أبا عبد اللّه فَنال منه فقُمت من

١-آل عمران-١٣٤

ذلك المَجلس فأتيت أبا عبد اللّه ليلاً فَدَخلتُ عليه وهو في فراشه قد أخَـذ الشعار فَخَبّرته بالمجلس الّذي كنّا فيه وما يقول حَسَن فقال عليه السلام يـا جـارية ضعي لي ماء فَأُتي به فَتَوضئ وقام في مسجد بيته فصّلىٰ ركعتين ثمّ قال يارب أنّ فلاناً بالّذي أتاني عن الحَسَن وهو يظلمني فقد غفرت له ولا تَأخذه ولا تُقاسه ياربّ قال فلم يزل يَلّح في الدّعاء علىٰ ربّـه ثـمّ إلتـفت الّـي فـقال إنصرف رحمك اللّه فإنصرفت ثمّ زاره بعد ذلك انتهىٰ « ص ٢١٦»...

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله من عاش مُدارياً مات شهيداً« ص ٢١٨»...

▫ قوله عليه السلام:**وخُذْ عَلىٰ عَدُوِّكَ بالْفَضْلِ فإنَّهُ أحْلِىٰ الظَّفَرَيْنَ...**

أي أحسن الىٰ عَدّوك فأنّ الإحسان اليه أَحلىٰ الظّفَرين والمُراد بالظّفرين الإحسان والإنتقام وذلك لأنّ من ظَفر علىٰ عَدّوه أمّا أن ينتقم منه وأمّا أن يَعفو عنه ويحسن اليه ولا ثالث في المقام وغَرَضه عليه السلام أنّ الإحسان اليه أَحلىٰ من الإنتقام كما قيل:

در عفو لَذّتى است كه در انتقام نيست .

وأنّما قال عليه السلام: **بالفَضل** ولم يقل بالعَفو لأنّ الفَضل هو العَفو مع زيادةٍ عليه وهي الإحسان بعده فهو أَفضَل من العَفو المُجّرد قال اللّه تعالىٰ خُذ العَفو وأمُر بالعُرف وأَعرِض عن الجاهلين .

وعن معاذ بن جبل قال لمّا بَعثني رسول اللّه صلى الله عليه وآله الىٰ اليَمن قال مـا زال جبرئيل يُوصيني بالعَفو فلولا علمي باللّه لَظّننت أنّه يُوصيني بترك الحدُود « المُستَطرف ج ١ ص ١٧١»...

وقال الحسن بن أبي الحسن إذا كان يوم القيامة نادىٰ مُناد من كـان له علىٰ اللّه أجر فَليَقُم فلا يقوم إلّا العافُون عن النّاس وتلا قوله تعالىٰ:

فَمن عَفىٰ وأَصلح فَأجره علىٰ اللّه « ص ١٧١»...

وعن علّيٍ عليه السلام قال إذا قَدرتَ علىٰ عَدّوك فإجعل العَفو عنه شكراً لـلقُدرة عليه « ص ١٧١»...

أي أن أردتَ أن تَقطع صِلة أخيك فلا تَقطعها بالكلّية بحيث لا تبقىٰ لك رجعة فيها بل أبق له لنفسك بقيّة تَرجع اليها أن بدا وظَهر لأخيك يوماً مُواصلة ما كُنت قَطَعته وأنّما قال ذلك لأنّ قَطع الصِلة لا يكون دائميّاً بل قد تُقطع لمصلحةٍ رأها القاطع ثمّ تُوصل بعد بُرهةٍ من الزّمان ففي المفروض لو لم يَبق له مجال للرّجُوع يقع في المَحذُور وأمّا إذا كانت القَطيعة في بعض الموارد بغير الرّجُوع عنها الىٰ الصِّلة فما بقيتَ له من نفسك لا إشكال فيه ولا يضُرك .

▫ **قوله ﷺ: وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ...**

أي صَدّقه بلزوم ماظنّ بك من الخير وذلك لأنّ تكذيب الغير من غير دليل يدّل عليه إيذاءٌ بل تفسيق له والأصل في الإعتقاد في المقام الصّدق والصّحة والكذب يحتاج الىٰ دليلٍ وإذ ليس فليس هذا مُضافاً الىٰ أنّ الإطّلاع علىٰ السّرائر لا يمكن لأحدٍ إلّا لِللّه تعالىٰ .

▫ **قوله ﷺ: وَلا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ إتّكالاً علىٰ ما بَيْنَكَ وَبَيْنِه فَاَنَّهُ لَيْسَ لَكَ بأخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ...**

أشار ﷺ بذلك الىٰ أنّ تضييع الحقّ ظلم قبيحٌ والأخ لا يظلم علىٰ أخيه فإذاً ظلم عليه بتّضييع حقّه فهو دليل علىٰ نفي الأخّوة فيلزم أن يكون أخاً وغير أخٍ والنّفي والإثبات لا يجتمعان .

ثمّ أنّ المُراد بتضييع حَقّه عدم المُراعاة لحقُوقه الشّرعية الثّابتة له مثل تَرك العيادة إذا كان مريضاً وتَرك التّشييع إذا مات والتّجاوز الىٰ عِرضه وماله وأمثال ذلك .

روي في مشكاة الأنوار عن سيف بن عميرة عن الصّادق ﷺ قال المؤمن لا يّغشّ المؤمن ولا يَظلمه ولا يَخُونه ولا يَخذله ولا يَكذبه ولا يغتابه ولا يقول له أُفّ فأنّه إذا قال له أُفّ لم تكن بينهما ولاية فإذا إتّهمه إنماث الإيمان في قلبه كماينماث الملح في الماء الحديث « ص ١٠٣»...

وعن الثّمالي عنه ﷺ قال ما من مؤمن يَخذل أخاه وهو يَقدر علىٰ نُصرته

إلّا خَذَله اللّه في الدّنيا والآخرة وأن نَصَره كـان أفـضل مـن صـيام شـهر وإعتكافه في المَسجد الحرام...

وقال – المؤمن لا يَشبع ويَجوع أخوه ولا يُروىٰ ويَظمأ أخوه ولا يُكسىٰ ويعرىٰ أخوه ما أعظم حقّ المُسلم....

وقال ﷺ أحبّ للمُسلم ما تحبّ لِنَفسك وأكره له مـا تَكـره لِـنَفسك وإذا إحتجتَ فَسَله وإذا سألك فأعطِه ولا تمله خيراً ولا يمّله لك وكُن له ظهيراً فأنّه لك ظهير وإذا غاب فأحفظه في غيبته وإذا شهد فَزُره وأكرمه وأجله فأنّه منك وأنت منه وأن أصابه خير فأحمد اللّه وأن إبتلىٰ فأعضده وتَمهل له وأعنه وإذا قال الرّجل لأخيه أُفّ لك فقد إنقطع ما بينهما من الولاية فأن أَهنته إنماث الإيمان في قلبك كما ينماث الملح في الماء انتهىٰ« ص ١٠٣ »...

وعنه ﷺ قال رسول اللّه المؤمن مرآة المؤمن (مرآة أخيه) يـميط عـنه الأذىٰ « ص ١٠٦ »...

والأخبار في باب الحقُوق كثيرة وتَضييع كلّ واحد منها يُوجب الخرُوج عن الأخُوة بحَسبه.

▫ **قوله ﷺ: ولا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَىٰ الْخَلْق بكَ وَلا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عنك...**

أهل الرّجل أقربائه وعشيرته وقال الرّاغب أهل الرّجل من يَجمعه وأيّاهم نَسبٌ أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعةٍ وبيتٍ وبَلَدٍ قال فأهل الرّجل في الأصل من يَجمعه وأيّاهم في مسكنٌ واحد انتهىٰ .

إذا عرفتَ معنىٰ الأهل فالمعنىٰ لا يكن أهلك من أشقىٰ المخلُوقين بك فأن قُلنا أنّ البّاء في قوله (بك) للسّببية فمعنىٰ العبارة لا تكن سبّباً لشقاوتهم من جهة سُوء تأديبهم أو تَرك أمرهم بالمعروف ونَهيهم عن المُنكر أو غير ذلك وأن قُلنا بعدم السّببية فالمعنىٰ لا يكن أهلك مُعاندين لك بسُوء عَمَلك بالنّسبة اليهم فكأنّه قال أَرفِق بهم ولا تُضّيق عليهم في أمر المَعيشة وغيرها .

وأمّا قوله ﷺ: **ولا تَرغَبّن فيمن زَهد عنك** فمعناه من أعرض عنك وتَركك

فأترُكه ولا تَرغَبنّ فيهِ أصلاً لأنّ الرّغبة اليه دليل على الحقارة والضّعف في العقل والدّين .

□ قوله ﷺ: **ولا يَكُونَنَّ أخُوكَ عَلىٰ مقُاطَعَتِكَ أقْوَىٰ مِنْكَ عَلىٰ صَلَتهَ وَلا تَكُونَنَّ عَلىٰ الإسَاءَةِ أَقْوَىٰ مِنْكَ عَلىٰ الإحْسَانِ...**

أي إذا كان أخوك علىٰ قطع الصّلة فكُن أنت علىٰ وصلها أَشَدّ وأَقوىٰ فيه علىٰ قطعها وإذا كان علىٰ الإساءة بك فكُن في الإحسان اليه أَقوىٰ منه عليها وذلك لأنّ قطع الصّلة والإساءة كلاهما مذمُومان كما أنّ الصّلة والإحسان مَمدُوحان والضّعف في الأخذ بالفضائل يُنافي الإيمان الكامل .

□ قوله ﷺ: **ولا يَكْبُرَن عَلَيْكَ ظُلْمُ مِنْ ظَلَمَك فَإنَّهُ يَسْعَىٰ فِي مُضَرَّتِه ونَفْعِكَ وَلَيْسَ جَزَاءَ مَنْ سَرَّكَ أنْ تَسُوءَهُ...**

أي أنّ الظّالم بظلمه عليك يسعىٰ في مَضّرته أي يسعىٰ في الإضرار علىٰ نفسه وإيصال النّفع اليك وهو لا يعلم به ﷺ بل يظّن أنّه أضّرَ بك فهو في الحقيقة يَسّرُك لإيصاله النّفع اليك وليس جزاء من يَفعل هذا بك أن تَسُوؤه وإذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فلا يَكبّرن عليك ظلمه أي لا تعدّ ظلمه عليك كبيراً عظيماً وعليه فأن إستّعفاك فأعف عنه وأن إعتَذر منك فأقبل عُذره .

الفصل السّابع

□ قوله ﷺ: **واعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ الرِّزْق رِزْقان رِزْقٌ تْطْلُبُهُ ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ فإنْ أنْتَ لمْ تأتِهِ أَتَاكَ .مَا أَقْبحَ الْخُضُوعُ عِنْدَ الْحَاجَةِ والجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنىٰ إنَّ لَكَ منْ دُنْيَاكَ ما أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ وَإنْ جَزِعْتَ عَلىٰ مَا تَفَلَّتَ منْ يَدَيْكَ فأجْزَعْ عَلىٰ كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إليْكَ إسْتَدِّلَّ عَلَىٰ مَا لمْ يَكُنْ بمَا قدْكانَ وَلا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ العِظَةُ إلَّا إذَا بالَغْتَ فِي إيلاَمِهِ فَإنَّ العَاقِلَ يَتَّعِظُ بالآدَابِ والبَهائِمُ لا تَتَّعِظ إلَّا بالضَّرْبِ إطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُوم بِعَزائِمِ الصَّبْرِ وحُسْنِ اليَقِينِ مَنْ تَرَكَ القَصْدَ جَار.**

والصَّاحِبُ مُنَاسَبٌ والْصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ والْهَوَىٰ شَرِيكُ العَنَاءِ رُبَّ قَرِيبٍ أَبعَدُ منْ بَعِيدٍ ورُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ منْ قَرِيْبٍ والْغَرِيْبُ من لَم يَكُنْ لهُ حَبِيبٌ منْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كانَ أَبْقَىٰ لهُوأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ .وَمَنْ لَمْ يُبالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ.قَدْ يَكُونُ اليَأس إدْرَاكاً إذاكانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً لَيْسَ كلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرَ ولا كلُّ فُرْصَةٍ تصَابُ. ورُبَّما أَخْطَا البصِيرُ قَصْدَهُ وأصَابَ الأَعْمَىٰ رُشْدَهُ أَخِّرِ الشَّرَّ فإنَّكَإذَا شِئتَ تَعجَّلْتَهُ وَقطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ العَاقِلِ .مَنْ أَمِنَ الزَّمانَ خانَهُ وأَعظَمَهُ أهانَهُ لَيْسَ كلُّ مَنْ رَمَىٰ أَصَابَ إذَا تَغَيَّرَ السُّلْطانُ تَغيَّرَ الزَّمانُ .سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وعَنْ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ إيَّاكَ أنْ تَذْكُرَ في الكلامِ مُضْحِكاً وإنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيرِكَ.

وَإِيَّاكَ ومُشاوَرَةِ النِّساءِ فإِنَّ رَأيَهُنَّ إلىٰ أَفَنٍ وعَزْمُهُنَّ إلىٰ وَهْنٍ وأكْفُفْ عَليْهِنَّ منْ أبْصارِهِنَّ بِحِجابِكَ أيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَالحِجاب أبْقَىٰ عَلَيْهِنَّ وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَ بأشَدَّ منْ إدْخالِكَ منْ لايُوثَقُ بِهِ عِلَيْهِنَّ وَإنْ اسْتَطَعْتَ أنْ لا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فأفْعَلْ وَلا تُمَلِّكْ الْمَرْأةَ منْ أمْرِها مَا جاوزَ نَفْسَها فإنَّ المَرْأةَ رَيْحَانَةٌ ولَيْسَتْ بِقَهْرَمانَةٍ ولا تَعْدُ بكَرَامَتِها نَفْسَها ولا تُطْمِعْها فِي أنْ تَشْفَعَ بِغَيرِها وإِيَّاكَ والتَّغايُرَ فِي غَيرِ مَوضِعَ غَيْرَةٍ فإنَّ ذلكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إلىٰ السُّقْم والبَرِيئَةَ إلىٰ الرَّيْبِ. وأجْعَلْ لِكلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأخُذُهُ بِهِ فَأنَّهُ أحْرَىٰ أن لا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ وإِكْرِمْ عَشيرَتَكَ فإِنَّهُمْ جَناحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ وأصْلُكَ الَّذِي إلَيْهِ تَصيرُ وَيَدُكَ الَّتِي بهَا تَصُولُ.

اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِيْنَكَ ودُنْيَاكَ وأسْأَلُهُ خَيْرَ القَضَاءِ لَكَ فِي الْعاجلَةِ والآجِلَةِ والدُّنْيا والآخِرَةِ والسَّلاَمَ.

◁ اللغة

(مَثواك) أي آخرتك أو منزلتك من الكرامة في الدّارين (تَفَلّت بتشديد اللاّم أي فات (إيلامه) أي ملامته (أطرح) أي أبعد (واردات الهموم) الخواطر

النّفسانية (**العناء**) الشّقاء (**أفنٍ**) الأفَن بالتّحريك ضعف الرّأي (**السُّقم**) المَرَض:

◁ المعنىٰ

(**واعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ الرِّزْق رِزْقان رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ**) بجدّك (**ورزقٌ يطلُبك**) أينما كُنتَ يصل اليك (**فإنْ أنْتَ لمْ تأتِهِ**) ولم تطلبه فهو (**أتَاكَ**) لا محالة (**مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعُ**) والذّلة (**عِنْدَ الْحَاجَةِ**) من حوائج الدّنيا لدىٰ أبنائها (**والجَفَاءَ**) أي ما أقبح الجفاء (**عِنْدَ الْغِنىٰ**) والثّروة علىٰ المحتاج اليك (**إنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ما أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ**) أي كرامتك في الدّارين وأمّا غيره فليس لك بل للوارث (**وَإنْ جَزِعْتَ عَلىٰ مَا تَفَلَّتَ**) أي فات وسقَط (**مِنْ يَدَيْكَ**) فلم تقدر علىٰ حَفظه (**فأجْزَعْ عَلىٰ كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إلَيْكَ**) لعدم الفرق بين المقامين فأنّ الجَزع علىٰ ما فات كالجَزع علىٰ ما لم يَصل، (**إسْتَدْلَّ عَلَىٰ مَا لمْ يَكُنْ بِمَا قدْ كانَ**) من حيث أنّه أيضاً كأن لم يكن (**وَلا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ**) فأنّ الموعِظة تُحيي القلوب (**إلَّا إذَا بالَغْتَ فِي إيلاَمِهِ**) وملامته (**فَإِنَّ العَاقِلَ يَتَّعِظُ بالآدَابِ**) كما (**والبَهائِمُ لا تَتَّعِظ إلَّا بالضَّرْبِ إطْرَحْ**) أي أبعد (**عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُوم**) أي الخواطر والوساوس (**بِعَزائِمِ الصَّبْرِ**) والإستقامة (**وحُسْنِ اليَقِينِ**) و الإطّمئنان (**مَنْ تَرَكَ القَصْدَ**) والإعتِدال (**جَار**) ومالَ عن الصّواب (**والصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ**) فيُراعىٰ فيه ما يُراعىٰ في قرابة النّسب (**والصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ**) أي من حفظ لك حقّك وهو غائب عنك (**والْهَوىٰ**) ومتابعة النّفس (**شَرِيكُ العَنَاءِ**) والشّقاء (**رُبَّ قَرِيبٍ**) اليك هو (**أَبعَدُ منْ بَعِيدٍ**) واقعاً (**ورُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ منْ قَرِيْبٍ**) في الواقع (**والْغَرِيْبُ**) حقّاً (**من لَم يَكُنْ لهُ حَبِيبٌ**) وصَديق (**منْ تَعَدّىٰ الْحَقَّ**) وجارزه (**ضَاقَ مَذْهَبُهُ**) ومسلكَه (**وَمَنِ اقْتَصرَ عَلىٰ قَدْرِهِ**) ومنزلته (**كانَ أبْقِىٰ لهُ**) مِمّن لا يقتصر عليه (**وأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ**) لأنّه السّبب الّذي لا ينفصل أصلاً (**وَمَنْ لَمْ يُبالِكَ**) ولا يعتني بك (**فَهُوَ عَدُوُّكَ**) وليس بصديقك (**قَدْ يَكُونُ اليَأْس**) والحِرمان بنفسه (**إدْرَاكاً للمطلُوب وأنت لا**) تعلم به وذلك فيما (**إذَا كانَ الطّمَعُ هَلاَكاً**) فَعَدم الوصُول الىٰ ما تطمعه خير لك

من الوصول اليه (**لَيْسَ كلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرَ** (**ولا كلُّ فُرْصَةٍ تصَابُ**) وتُوجد (**ورُبَّما أَخْطأَ البَصِرُ قَصْدَهُ**) لئلاّ يعتمد علىٰ بصيرته (**وأَصَابَ الأَعْمَىٰ رُشْدَهُ**) لئلاّ ييأس من عماه (**أَخِّرِ الشَّرَّ**) ولا تَعجّل به (**فإنَّكَ إذَا شِئتَ تعجَّلْتَهُ**) بخلاف الخير لأنّه فُرصة (**وَقطِيعَةُ الْجَاهِلِ**) صلته (**تَعْدِلُ صِلَةَ العَاقِلِ .مَنْ أَمِنَ الزَّمانَ**) وحوادثه (**خَانَهُ**) الدّهر (**وأَعظَمَهُ**) أي ومن أعظَم الدّهر (**أَهانَهُ**) الدّهر بالتّسلط عليه (**لَيْسَ كلُّ مَنْ رَمَىٰ أَصَابَ**) فأنّ الرّامي قد يُخطئ (**إذَا تَغَيَّرَ السُّلْطانُ تَغَيَّرَ الزَّمانُ**) عدلاً كان أو ظُلماً.

(**سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وعَنْ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ**) لئلاّ تندم في سفرك وجوارك بعد الوقُوع فيهما (**إيَّاكَ أنْ تَذْكُرَ في الكلامِ مُضْحِكاً**) أي لا تذكر في كلامك ما يُوجب الضّحك (**وإنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيرِكَ** لأنّه يُوجب وَهن المُتّكلم و حقارته (**وَإِيَّاكَ ومُشاوَرَةِ النِّساءِ**) في أُمور الدّين والدّنيا (**فإنَّ رَأْيَهُنَّ**) ينجّر (**إلىٰ أَفَنٍ**) وضعف (**وعَزْمُهُنَّ**) يَنجَرُّ (**الىٰ وَهنٍ**) وفُتور (**وأكْفُفْ عَلَيْهِنَّ منْ أبْصارِهِنَّ بِحِجابِكَ أَيَّاهُنَّ**) أي إجعلهنّ تحت الحجاب (**فَإنَّ شِدَّةِالحِجَابِ أبْقَىٰ عَلَيْهِنَّ** في حفظهِنّ (**وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَ بأشَدَّ منْ إدْخالِكَ منْ لايُوثَقُ بِهِ عِلَيْهِنَّ**) فأنّ فيه الفساد كلّه (**وَإنْ اسْتَطَعْتَ أنْ لا يَعْرِفْنَ**) النّساء (**غَيْرَكَ**) من الأجانب (**فأفْعَلْ**) ذلك (**وَلا تُمَلِّكْ الْمَرْأةَ منْ أمْرِها مَا جاوَزَ نَفْسَها**) بل كُن عليهنّ ناظراً (**فإنَّ المَرْأةَ رَيْحَانَةٌ**) ينبغي أن يُواظب عليها (**ولَيْسَتْ بِقَهْرَمانَةٍ**) حتّىٰ يتّصرف في أُمورها بما شاءت (**ولا تَعْدُ بكَرَامَتِها نَفْسَها ولا تُطْمِعْها فِي أنْ تَشْفَعَ بِغْيرِها**) فأنّ ذلك يُوجب تسلّطها عليك (**وإيَّاكَ والتَّغايُرَ في غَيرِ مَوضِعَ غَيْرَةٍ**) فأنّه من وضع الشّئ في غير محلّه (**فإنَّ ذلكَ يَدْعُو الصَّحِيَحةَ إلىٰ السُّقْم والبَرِيئَةَ إلىٰ الرِّيْبِ**) أي أنّه يُوجب التُّهمة في حقّ غيرك (**وأجْعَلْ لِكلِّ إنْسانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ فَأَنَّهُ أَحْرَىٰ أن لا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ**) ويتّكل بعضهم علىٰ بعض (**وإكْرِمْ عَشيرَتَكَ**) وأقربائك (**فإنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذي بِهِ تَطِيرُ وأصْلُكَ الَّذِي** فَكَسرهم كسرُك وقوتّهم قوتّك (**وأَصْلَكَ**

الَّذِى إِلَيْهِ تَصيرُ وَيَدُكَ الَّتِي بهَا تَصُولُ) أي أنّهم لك بمنزلة الجناح والأصل واليَد (**اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِيْنَكَ**) أي إجعله وديعة عنده (**ودُنْيَاكَ**) كذلك (**وإسئله خير القَضاء لك في العاجلة والآجلة والدّنيا والآخرة**) فأنّه خير موّفقٍ ومُعينٍ .

◁ الشّرح

واعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ الرِّزْق رِزْقان رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ فإنْ أنْتَ لمْ تأتِهِ أَتَاكَ ...

الرّزق تارةً يُقال ويُراد به العَطاء الجاري دنيَوياً كان أم آخرَوياً وأُخرىٰ يُقال ويُراد به النَّصيب وثالثة يُراد به ما يصل الىٰ الجوف ويتّغذىٰ به ولأجل ذلك قالوا الرّزق كلّ ما تنتفع به وقال بعض المُحققين الأرزاق نوعان ظاهرة لِلأبدان كالأقوات وباطنة للقلُوب كالمعارف والعلُوم والمُراد بالرّزق في المقام هو الأوّل من المعنيين أعني الأقوات والثّالث من الثلاثة أعني به يَصل الىٰ الجوف ويتّغذىٰ به وذلك لأنّ الرّزق من قبيل المعارف والعلُوم لا يَصلَح للتّقسيم المذكُور في المتن (النّص) فأنّه لا يَطلبك أبداً بل لابدّ لك من طَلبه لو أردتَ تحصيله وهو واضح .

ثمّ أنّ الرّزق أعني ما يُرتَزق به لِلأبدان علىٰ قسمين علىٰ ما ذكره ﷺ طِبقاً للآيات والأخبار أحدهما الرّزق الّذي أنت تَطلبُه وثانيهما الرّزق الّذي يَطلبُك .

أمّا الأوّل أعني به الّذي تَطلبُه فهو زيادة علىٰ ما رُزق لك ولأجل هذا تحتاج الىٰ الطّلب بتجارةٍ أو زراعةٍ أو صناعةٍ أو غيرها من الحِرَف فإذا لم تَطلبه بهذه الأسباب لا تَصل اليه أصلاً وأمّا الثّاني أعني به الرّزق الّذي يَطلبُك فهو الرّزق المَقسُوم من اللّه تعالىٰ لِعباده بحسب المَصلَحة واليه الإشارة في قوله تعالىٰ:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (١)

و : **﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُوم﴾** (٢)

---

١ - هود ـ ٦

٢ - الصّافات ـ ٤١

و : ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ (١)

و : ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ (٢)

ثمّ لا يذهب عليك أنّ الرّزق بالمعنىٰ الأوّل لا يرتبط بمشّيئة اللّه وإرادته بل يرتّبط بالطّلب فقط وذلك لأنّ الكلّ بمشّيئته إلّا أنّه تعالىٰ عَلّق الأوّل علىٰ الطّلب بأيّ وجه كان وأمّا الثّاني فَلَم يُعلّقه عليه ولأجل ذلك أُمرنا بطلب الرّزق بالحِرَف والصّناعات أو بالدُّعاء والأعمال ومنه يظهر أنّه أي الطّلب ليس بمذمُومٍ بل مَمدُوحٌ مُرَّغب فيه .

قال رسول اللّه ﷺ أنّ الرّزق لينزل من السّماء علىٰ عدد قطر المَطر الىٰ كلّ نفسٍ بما قدّر لها ولكن لِلّه فقول فإسألوا اللّه من فضله انتهىٰ « بحار الانوار ج ٣ ص ٤١»...

وعن أبي عبد اللّه ﷺ قال أنّ اللّه قَسّم الأرزاق بين عباده وأَفضل فضلاً كبيراً لم يُقسمه بين أَحدٍ قال اللّه وإسألوا اللّه من فَضله انتهىٰ« ص ٤١»...

فالحاصل من كلام أمير المؤمنين ﷺ في المقام تَقسيم الرّزق الىٰ قسمين وأنّه لو أَردتَ الزّيادة علىٰ ما قُدّر لك فاطلبها من اللّه تعالىٰ بالأسباب التّكوينية والتّشريعية وإلّا فالمُقَدّر يَصل اليك لا محالة وحيث انجّر الكلام الىٰ الرّزق فلا بأس بالإشارة الىٰ حلاله وحَرامه فَنقول الإختلاف في الباب بين الأشاعرة والمُعتزلة فالأشاعرة علىٰ العمُوم والمُتزلة علىٰ الخصُوص أي أنّ الرّزق عند الأشاعرة أعمّ من الحَلال والحَرام وعند المُعتزلة يختّص بالحَلال وهذا الخلاف قد نَشأ بينهم من تَفسير الرّزق فالأشاعرة فَسّروه بكلّ ما إنْتُفع به حلالاً كان أو حراماً، والمُعتزلة فَسّروه بكلّ ما صَح إنتفاع الحَيوان به بالتّغذي وحيث أنّ الحَرام لا يصَح التّغذي به فهو خارج عن مَفهُوم الرّزق .

ثمّ أنّ الأشاعرة تَمسكوا في دَعوايهم بما رُوي عن النّبي ﷺ في حديث عُمر بن قيّرة حيث قال يارسول اللّه أنّ اللّه قد كَتب عَلّي الشّقوة فلا أَراني

١- العنكبوت ـ ١٧   ٢- النحل ـ ٧١

أُرزَق إلّا مِن دَفّي بكفّي فأذَن في الغناء بغير فاحشةٍ قال ﷺ لا آذنُ لك ولا كرامة ولا نعمة أي عدّو اللّه لقد رزقك اللّه طيّباً فإخترت ما حَرّم عليك من رزقه مكان ما أحلّ اللّه لك من حلاله أم أنّك لو قُلت بعد ذلك بهذه المَقالة ضَربتك ضَرباً وَجيعاً انتهىٰ رواه في «البحار ج ٣ ص ٤٢» ورواه الطّريحي في المجمع مادّة رَزَق...

وأمّا المُعتزلة فقد تَمّسكوا في دَعواهُم بقوله ﷺ أنّ اللّه تعالىٰ قَسّم الأرزاق بين خَلقه حلالاً ولم يُقسّمها حَراماً...

وأصل الحَديث رواه في البحار عن أبي حَمزة الثمالي عن أبي جعفر ؑ قال قال رسول اللّه ﷺ في حجّة الوَداع ألا أنّ الرّوح الأمين نَفَثَ في رَوعي أنّه لا تَموت نفس حتّىٰ تُستكمل رزقها فاتّقوا اللّه وأجملُوا في الطّلب ولا يَحمّلنكم إستبطاء شيءٍ من الرّزق أن تَطلبُوه بشيءٍ من معصية اللّه فأنّ اللّه تعالىٰ قد قَسّم الأرزاق بين خَلقه حلالاً فمن إتّقىٰ اللّه وصَبر أَتاه رزقه من حِلّه ومن هَتَك حجاب ستر اللّه عزّ وجلّ وأَخذه من غير حِلّةٍ قصّ به من رزقه الحلال وحُوسب عليه انتهىٰ« ج ٣ ص ٤٢»...

وقد أَجاب المُعتزلة عن هذا الحديث بِطَعنهم في سنده تارةً وبتَأويلهم الحديث أُخرىٰ وحاصل التّأويل أنّ سياق الكلام يَقتضي أن يُقال فإختَرت ما حَرّم اللّه عليك من حرامه فكان ما أَحلّ اللّه لك من حلاله وأنّما قال ﷺ من رزقه مكان من حرامه للمُشاكلة فأطلق علىٰ الحَرام إسم الرّزق وأنا أقول هذا النّزاع لا يرجع الىٰ مَحصّل وذلك لأنّه من النّزاع اللّفظي حيث أنّ الأشاعرة يقولون بإطلاق الرزّق علىٰ الحَلال والحَرام والمُعتّزلة يقولون بإختصاصه بالحَلال وقد قُلنا أنّ مَنشَأ الخَلاف فيهم تَفسيرهم لكلمة الرّزق من جهة اللّغة وأمّا من حيث المعنىٰ فأن أَراد بالرّزق ما قَسّمه اللّه لعباده وقَدّره لهم أعنّي به الرّزق المحتُوم المَقسُوم الّذي يَطلبك ولا تَطلبه فلا إشكال أنّه مُختّص بالحَلال فأنّ اللّه أعزّ وأجلّ من أن يُقدّر لعبده الحرام ثمّ ينهاه عن أكله في

الشّريعة وأن أرادوا به الرّزق الّذي تَطلبه فهو ممّا يجئ فيه العامّ والخاصّ فأنّ الّذي تَطلبه قد يكُون حلالاً وقد يكُون حَراماً وتَحصيلهما بإختيارك وتَحت قُدرتك إلّا أنّ الحقّ أنّ الّذي حَصّلته لنفسك من طريق الحَرام لا يُعَدّ رِزقاً بالمعنىٰ الأوّل أعني الرّزق المَقسُوم المَحتُوم وأمّا بالمعنىٰ الثّاني فلا إشكال فيه لأنّك طَلبته إلّا أنّه ليس من الرّزق المَحتُوم واقعاً بل هو من الزّيادة والفَضل وإطلاق الرّزق عليه يكون مُجازاً بِضرب من المُشاكلة.

▫ **قوله ؛: مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعُ عِنْدَ الْحَاجَةِ والجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنىٰ إنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ...**

أشار ؛ بقُبح الخضُوع للمُحتاج والجَفاء أي الظّلم علىٰ المُحتاج لِللغنّي وذلك لأنّ الخضُوع يُوجب تَحقير النّفس وتَذليلها والجَفاء من الغنىٰ يَنشَأ من الكِبر والفَخر وكما أنّ التّكبر مَذمُوم عَقلاً وشرعاً كذلك تَحقير النّفس لأجل الدّنيا وما فيها مَذمُوم عقلاً وشرعاً.

▫ **قوله ؛: ما أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ...**

أي أنّ لك من دنياك ما يُوجب إصلاح مَنزلتك وكَرامتك في الدّنيا والآخرة وأمّا ما سواه من الأموال والذّخائر فَليس لك بل هو للوارث بعد مَوتك.

▫ **قوله ؛: وَإِنْ جَزِعْتَ عَلىٰ مَا تَفَلَّتَ منْ يَدَيْكَ فَاْجْزَعْ عَلىٰ كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إلَيْكَ...**

تَفلّتَ كَتَصَرف فعل ماضٍ من الفَلَت ومنه الفَلتَة في قوله كانت بيعة أبي بكر فَلتَة وقىٰ اللّه شَرها والفَلتَة وقوع الأمر من غير تَدّبرٍ ولا رَوّية وقد وَرد في الحَديث **شيعتنا يَنطقُون بنور اللّه ومَن يُخالفُونهم بتَفَلّتٍ** أي من غير فكرٍ ولا تَدّبرٍ والتّفلّت والإفلات والإنفلات التَخلص.

والمعنىٰ أن جَزعت وتَأسّفت علىٰ ما تَفلّت وتَخلّص من يديك فأجزع كذلك علىٰ كلّ ما لم يصل اليك أيضاً وذلك لأنّ المَلاك في الجَزعين واحد وهو عدم وجود الشّئ حين الجَزع إذا كان كذلك فَلِمَ لا تَجزع علىٰ ما لم يصل

اليك وتَجزع علىٰ ما فات عنك فكما أنّ الجَزع علىٰ ما لم يَصل اليك قبيح عقلاً كذلك بالنّسبة الىٰ ما فات عنك فأنّه أيضاً لا يصل اليك كما قيل:

ولَستُ بِمُدركٍ ما فات منّي بلَهفَ ولا بليتَ ولا لو أنّي

□ **قوله ﷺ: إِسْتَدِلَّ عَلَىٰ مَا لمْ يَكُنْ بِمَا قدْكانَ الأُمور أشباه...**

أي إستَدل علىٰ غير الموجود بما قد وُجد فأنّ الأمور يشبه بعضها بعضاً والمقصُود من هذا الكلام أن ما لم يُوجد لك مثل ما وُجد لك في عدم البَقاء فإذا كان الموجود عندك لا يبقىٰ لك بل لابدّ لك من الإرتحال عن الدّنيا فكذلك ما لم يُوجد لك وأنت تأمله ولنعم ما قيل:

وأنّ إمرءاً قد جرّب الدّهر لم يَخف
تَقلُّب عَصريه لغير لبيبِ
وما الدّهر والأيّام إلّا كما ترىٰ
رزّية مالٍ أو فراق حبيبِ

وقال الآخر:

وإذا أَمسك الزّمان بضُرٍ عَظمُت دونه الخطُوب وجَلّت
وأتَت بعده نوائب أُخرىٰ سَئمت نفسك الحياة ومَلّت
فإصطبر وإنتظر بلُوغ الأماني فالرّزايا إذا تَولّت تَولّت
وإذا أوهَنت قواك وحَلّت كَشَفت عنك جملة وتَخَلّت

فلا تأسف علىٰ ما فات منك ولا تَفرح بما أتاك فأنّ الموجود فيها كالمَعدوم وبالعكس.

□ **قوله ﷺ: وَلا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بالَغْتَ فِي إِيلاَمِهِ فَإِنَّ العَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ وَالبَهائِمُ لا تَتَّعِظ إِلَّا بالضَّرْبِ ...**

قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**(١)

١- البقرة ـ٢٧٥

و : ﴿قُل أنّما أَعِظكُم بواحدةٍ أن تَقُومُوا لِلّه مَثنىٰ وفراداىٰ﴾[1]

و : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[2] وغيرها من الآيات.

ثمّ أنّ تأثير المَوعِظة في القلُوب ممّا لا يخفىٰ علىٰ أحَدٍ إلّا أنّ هذا التّأثير ليس علىٰ إطلاقه بل تحتاج الىٰ أصلين أحدهما وجود المُقتضىٰ في القَلب وثانيهما عَدم المانع أو رَفعه كما هو الشّرط في تأثير كلّ مُؤثرٍ في أثره فإذا كان القَلب ممّا لا يُوجد فيه المُقتضىٰ أو يُوجد مع المانع لا تأثير للمَوعِظة فيه وهل إيجاد المُقتضىٰ ورَفع المانع كلاهما بيد اللّه أو تحت إختيار العَبد أو التّفصيل في المَقام فيه أقوال ثلاثة:

أحدها: أنّهما بيد اللّه تعالىٰ ولا إختيار للعَبد فيهما أصلاً وهو قول الجَبّريين

وثانيها: أنّهما تحت إختيار العَبد ولا دَخل لِلّه تعالىٰ فيهما بعد إيجاد العَبد وهو قول المُفَوِّضة .

وثالثها: القول بالتّفصيل وهو أنّ إيجاد المُقتضىٰ بيد اللّه وأمّا رفع المانع فهو وظيفة العَبد وهو قول من يقول لا جبر ولا تَفويض بل أمرٌ بين الأمرين وعليه الشّيعة الإماميّة كما ثَبت في محلّه فقوله عليه السلام: **لا تَكُونَنّ ممّن لا تَنفعه العِظة** معناه أرفع المانع أو المَوانع من البُخل والحَسَد والكِبر والعُجب وغيرها من الرّذائل القَلبية الّتي تُوجب قَساوة القَلب عن قلبك لِيُؤثر الوَعظ فيه وأمّا إذا كانت موجودة فهي من المَوانع لِتأثير الوَعظ فلا يُؤثر في القَلب وأن كان الواعظ هو اللّه تعالىٰ أو رسوله كما أَخبر اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾[3]

و : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾[4]

١- سبأ ـ ٤٦
٢- يونس ـ ٥٧
٣- الشعراء ـ ١٣٦
٤- الاعراف ـ ١٦٤

قال النّبي ﷺ أنّ المَرء إذا أذنَب كانت نُقطَة سوداء في قلبه فأن تاب ونَزع فإستغفر صقل قلبه منها وأن زاد فذلك الرّين الّذي ذكره اللّه تعالىٰ في كتابه:(كلّا بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبُون « مشكاة الانوار ص ٢٥٤»...

والىٰ هذا المعنىٰ أشار اللّه تعالىٰ بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (١).

ثمّ أنّ المَوعِظة قد تكون تشّريعية كمواعِظ اللّه تعالىٰ ورسوله وأوصيائه وغيرهم.

وقد تكون تكوينّية وهي الّتي ليست بالحرُوف والكلمات بل تكون بالوجود في الكائنات والدّنيا وتَقلباتها وجوادثها وما فيها من النّعم كلّها موعظة بهذا المعنىٰ لمن كان له قلب ولأجل ذلك أُمرنا بالإعتبار بها والتّفكر في أحوالها ولا سيّما أحوال الماضين وما بقىٰ من آثارهم بل الإنصاف أنّ المَواعِظ التّكوينية أشدّ وأبلَغ من التّشريعية بمراتب لكونها من المَحسُوسات وتلك من المعقولات والمحسُوس مُقدّم علىٰ المعقول.

وأمّا قوله عليه السلام: **إلّا إذا بالَغت في إيلامه** فقال البحراني رحمه الله أي إلّا إذا بالَغتَ العِظة والنّصيحة والتّوبيخ في إيلامه وأذاه ورُوي بالتّاء المُخاطب أي في إيلامه بالقول وغيره انتهىٰ.

أقول :الضّمير في إيلامه يرجع الىٰ كلمة (مَن) في قوله مِمّن والمعنىٰ ولا تكوننّ مَمّن لا تَنفعه العِظة إلّا إذا بالَغتَ في إيلامه فأنّ كثيراً من النّاس كذلك لا يَقبلُون العِظة بسهُولةٍ بل يَحتاجُون الىٰ المُبالَغة والشّدة في الكلام بحيث كثيراً ما تَنجّر الىٰ إيذائهم فأنّ العاقل يَتّعِظ بالآداب ويَنتفع بها وأمّا البَهائم والحَيوانات لا تَتّعِظ إلّا بالضّرب فلو كان الإنسان أيضاً كذلك فما لفرق بينه وبين البَهائم من هذه الجهة .

١- الزّمر-٢٢.

□ **قوله ﷺ: إِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وحُسْنِ اليَقِينِ ...**

المُراد بالهمُوم الواردة علىٰ القلب ما يحصل للإنسان بسبب حوادث الدّهر وتَقلّبات الدّنيا من المرض والفقر وفقد الأحبّة وغير ذلك والمعنىٰ أنّه إذا وردت الهمُوم علىٰ قلبك فأطرحها عنك بالصّبر علىٰ النّائبة واليَقين بأنّ ما أتاك كان مُطابقاً للمَصلَحة وفيه خير الدّنيا والآخرة ففي هذه الصُّورة تُسهّل عليك الهمُوم وقد مّر الكلام في الصّبر واليَقين غير

□ **قوله ﷺ مَنْ تَرَكَ القَصْدَ جَار. والصَّاحِبُ مُنَاسَبٌ والْصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ والْهَوَىٰ شَرِيكُ العَنَاءِ ...**

القَصد الإعتدال والمعنىٰ من تَركَ الإعتدال في مَشيه في أمر دينه ودنياه وأخذ بَطرفي الإفراط والتّفريط جار أي مال وأعرض عن الصّواب فأنّ اليمين والشّمال مِضَلة وطّريق الوسطىٰ هي الجّادة وقوله والصّاحب مناسِب أي يُراعىٰ فيه ما يُراعىٰ في قرابة النَّسب وفي بعض النّسخ مناسب بكسر السّين وعليه فالمعنىٰ أنّ الصّاحب والرّفيق ينبغي أن يكون مُناسباً للإنسان وقوله والصّديق من صَدق غيبه معناه أنّ الصّديق الواقعي من حَفظ لك حقّك في غَيبتك والهَوىٰ أي هوىٰ النّفس شريك العناء والشّقاء.

□ **قوله ﷺ: مَنْ تَرَكَ القَصْدَ جَار. والصَّاحِبُ مُنَاسَبٌ والْصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ والْهَوَىٰ شَرِيكُ العَنَاءِ رُبَّ قَرِيبٍ أَبعَدُ منْ بَعِيدٍ ورُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ منْ قَرِيْبٍ ...**

يمكن أن يكون المراد بالقريب والبَعيد القُرب والبُعد في النَّسب ويمكن أن يكون المراد القُرب والبُعد في المعنىٰ ويمكن أن يكون المُراد كِلا المعنيين أعني الأعمّ من النَّسب والمعنىٰ وهو الأظهر إذ لا دليل علىٰ التّخصيص لا عقلاً ولا نقلاً وعليه فالمعنىٰ ربّما يكون شخصاً بحسب الظّاهر من أقرب النّاس الىٰ الإنسان نَسباً ومعنىً وفي الواقع يكون أبعد النّاس اليه وربّما يكون بالعكس وهو صحيح ونظائره كثيرة ألا ترىٰ.

أنّ أبا لَهب كان أقرب النّاس نَسَباً الىٰ رسول اللّه وأبعد النّاس اليه واقعاً

ومقداد وسلمان وعمّار وأمثالهم كانوا أبعد النّاس اليه نَسَباً وأقربهم واقعاً هذا في القُرب والبُعد بحسب النَّسب وكذلك الأمر في غيره فكثيراً ما يكون الشّخص أقرب موردَاً للإعتماد وهو يخون صديقه وبالعكس ولنعم ما قيل بالفارسية:

من از بيگانگان هرگز ننالم   كه هر چه كرد با من آشنا كرد

والمقصُود من هذا الكلام أنّ الإعتماد مُشكل فيجب الفَحص الشّديد من الأقرباء وأيضاً لا ينبغي الحُكم بِطَرد البَعيد في جَميع المَوارد إذ ربّما يكون أَنصَح وأَفيَد من القَريب والأقرب

▫ قوله ﷺ: **والغَريب منْ لَم يَكُنْ لهُ حَبِيبٌ منْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ ...**

رُبّما يُظَن أنّ الغَريب هو البَعيد عن وَطنه كما هو الظّاهر المُتعارف عند النّاس مع أنّ الواقع بِخَلافه فأنّ الغَريب في الحَقيقة من كان وَحده سواء كان في السّفر أم في الحَضَر فمن لَم يكُن له حبيب فهو غريب وأن كان في وَطنه ومن كان له فهو ليس به وأن كان بعيداً عن وَطَنه والمُراد بالحَبيب الصّديق الواقعي أعني به الأخ في الدّين لا غيره من المُتملقين المُدّلسين الّذين يقولون بأفواهم ما ليس في قلُوبهم كأكثر الأحبّاء في هذا القَصر ولنعم ما قيل:

وما المَرء إلّا بأخوانه   كما يَقبض الكَف بالمِعصَم
ولا خَير في الكَف مَقطُوعة   ولا خَير في السّاعد الأجذَم

قال بعضهم خير ما إكتَسبَ المَرء الأخوان فأنّهم مَعونة على حَوادث الزّمان ونوائب الحَدثان وعَون في السّراء والضّراء ونُسب الى علَي أنّه قال:

عليك بأخوان الصّفاء فأنّهم   عمادٌ إذا إستَنجَدتهُم وظهورٌ
وأنّ قليلاً ألف خلّ وصاحب   وأنّ عدوّاً واحداً لكثيرٌ

وقال سليمان بن عبد المَلك أكَلت الطّيب ولبست اللّين وركبت الغارة وإفتَضضتُ العذراء فلم يبق من لذّاتي إلّا صديق أطرح مَعه مؤنة التّحفظ وفيه قال الشّاعر:

وما بَقيَت من اللّذات إلّا	محادثة الرّجال ذوي العقول
وقد كُنّا نَعدّهم قليلاً	فقد صاروا أَقلّ من القَليل

وقال لبيد:

ما عاتَب المَرء اللّبيب كنَفسه	والمَرء يُصلحه الجليس الصّالح

قيل لإبن السّماك أي الأخوان أحقّ ببقاء المَودّة قال – الوافر دِينه، الوافي عقله الّذي لا يَملك على القرب ولا يَنساك على البُعد أن دَنوتَ منه داناك وأن بَعدتَ عنه راعاك وأن إستَعنت به عَضدك وأن إحتَجت اليه رَفدك وتَكُون مَودة فعله أكثر من مودّة قوله وفيه قيل:

أنّ أخاك الصّدق من يَسعىٰ مَعك	ومَن يَضر نفسه لِيَنفعك
ومَن إذا ريب الزّمان صَدَعك	شتّت فيك شَمله لِيَجمَعك

وقوله ﷺ: **ومن تَعدّىٰ الحقّ ضاق مَذهبه** المُراد بالمَذهب ليس المُصطَلح منه وهو الشّريعة بل المُراد منه معناه العامّ الشّامل لها ولِغيرها وهو المَسلَك أيّ مَسلَكٍ كان ومعنىٰ العبارة أنّ من تَجاوز عن طريق الحقّ والعَدل ضاق مَسلَكه بمعنىٰ أنّ الحقّ في كلّ مَسلَكٍ من المَسالك يُوجب سِعَته كما أنّ التّعدي عنه أعني به الظَلم يُوجب ضيقه فأنّ في العَدل سِعَةٌ لا تُوجد في غيره.

▫ **قوله ﷺ: وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلىٰ قَدْرِهِ كانَ أَبْقىٰ لهُ ...**

أي من إكتفىٰ علىٰ قَدره ومنزلته ولم يتَجاوز عن حَدّه وطَوره كان القَدر أبقىٰ له وذلك لأنّ المُتّعدي عنه لا يَقدر علىٰ إبقاء ما وَقع فيه وإدّعاه لِنَفسه وإذا كان كذلك فلا محالة يَسقط سَريعاً بخلاف من إكتفىٰ بما هو حاصل له فأنّه مُطابق لإستعداده ممكن له حفظه وما ذكره في المقام يجري في جميع الشّئون ولَعمري أنّه أصلٌ أصيل يبتني عليه جميع السّقَطات والهَلَكات الدّنيوية والأُخرّوية كما وَرد في الحَديث رَحم اللّه إمرؤٌ عَرف قَدرَه ولم يتَجاوز طَوره.

ولِنَضرب لَك مثلاً في الكَسب والتّجارة ثمّ قِس عليه المَوارد كلّها وهو إنّا إذا فَرضنا أنّ زيداً رأس ماله ألف دينار وهو به يشتغل بالتّجارة فتارةً تكُون

مُعاملاته أعني بيعه وشرائه لا تتجاوز رأس ماله وأخرىٰ تتَجاوز ففي الصّورة الأولىٰ يكُون ضرره في المُعاملة مِائة دينارٍ أو أقَل أو أكثر ويبقىٰ له تسع مِائة دينار وأمّا في الثّانية أعني بها إذا إشترىٰ مَبيعاً بعشرة ألف مثلاً وَتَّضَرر به فَضرره في هذه المُعاملة ألف دينار مثلاً وهو رأس ماله فلا يبقىٰ له شئ بعد ذلك حتّىٰ يتّجر به فَيصير مُفلساً فقيراً وذلك لأنّه لم يَقتَصر علىٰ قَدره وهذا يجري في جميع الشّئون العبّادية والسّياسة والإجتّماعية وغير ذلك بل نقول مُراعاة هذه القاعدة وعَدَمها أصل السّعادة والشّقاوة.

▫ **قوله ﷺ: وأَوْثَقُ سَبَبٍ أخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ . ...**

والمُراد بالسّبب هو رابطة العبُودية بين العَبد ومعبُوده فأنّ هذه الرّابطة إذا كَصَلَت للعَبد خالصاً مخلصاً يحصل التّوكل عليه في جميع الأمور والرّضا برِضائه ولا سَبب أوثَق منه لأنّ كلّ سَبب غيره من الأسباب المّادية ينقطع لا محالة بخلاف ذلك السّبب لعَدم إنقطاعه أبداً والسّر فيه هو أنّ السّبب مُتَصلّ باللّه تعالىٰ وهو موجود لا يَتطرق اليه الفناء والعَدم فلا يَنقطع السّبب وهو المَطلوب.

▫ **قوله ﷺ: وَمَنْ لَمْ يُبالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ...**

خَصّه المُعتزلي في شَرحه بالحُسن وأمثاله من الولاة وأرباب الرّعايا فقال وليست عامّة للسُّوقة من أفناء النّاس وذلك لأنّ الوالي إذا أَنس من بعض رَعيته أنّه لا يُباليه ولا يَكترث به فقد أَبدىٰ صَفحته ومن أبدىٰ لك صفحته فهو عَدُوك وأمّا غير الوالي من أفناء النّاس فليس أحدهم إذا لم يُبال الأخير بِعَدوٍ له انتهىٰ.

وأنا أقول: لا دليل علىٰ هذا الإختصاص والأولىٰ حَمل العبارة علىٰ العمُوم والمعنىٰ من لم يُبالك ممّا قال لك أو عليك وممّا يُقال عنده لك أو عليك فهو عدُوك وذلك لأنّ الصّديق لا يكون بالنّسبة الىٰ صديقه كذلك فأنّ لكلّ شئ أثراً أو آثاراً وأثر العَداوة ما ذكرناه كما قال الشّاعر:

وليس أَخـي مـن وَدّنـي بلسانه ... ولكن أخي من وَدّني وهو غائب

وقال الآخر:

خليلي للبغضاء حال مُبّينة وللحُبّ آثار تُرىٰ ومعارف
فما تَنكر العينان فالقلب مُنكِر وما تَعرف العينان فالقلب عارف

وقال الآخر:

وليس فتىٰ الفِتيان من جُلّ هَمّه صبوحٌ وأن أمسىٰ فَفضلُ غبُوق
ولكن فتىٰ الفتيان من داح أو غَدا لضرب عدّو أو لنفع صديق

فيُقال للشّارح المُعتزلي أن كان الأمر كما ذَكرت فأيُّ معيارٍ للحُبّ والبُغض والمَفروض أنّهما من الأمور القَلّبية الّتي لا يطلع عليها إلّا اللّه تعالىٰ ثمّ هل يُعرف الشّئ إلّا بلوازمه وآثاره فأنّ المُسلم مثلاً يحبّ اللّه ورسوله فإذا لم يُبال ممّا قيل أو يُقال عنده علىٰ اللّه ورسوله مثل أن شَتَم الشّاتم عنده رسول اللّه ﷺ فقال المُسلم أنا لا أُبالي به فهل يحكم المُعتزلي بحُبّه للرّسول أو بعداوته.

▫ **قوله ﷺ: قَدْ يَكُونُ اليَأس إدْرَاكاً إذَاكانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً...**

وذلك كَطَمع الإنسان في شئٍ يُوجب هَلاكه قبل الوصُول اليه أو بَعده ففي هذه الصّورة لَو يَئسَ عنه وتَرك ما كان فيه فهو في الحقيقة مُدرك لا يائس إذ الإدراك الّذي فيه الهَلاك ليسَ إدراكاً واقعاً وأمّا اليأس الّذي فيه البقاء فهو عين الإدراك والمُراد بالهَلاك ما يشمل الهَلاك في الدّنيا والآخرة وهَلاك الآخرة أشدّ من هَلاك الدّنيا وكيف كان يُستفاد من هذا الكلام في شئٍ يُوجب هَلاك الطّامع في دينه أو دنياه والدّنيا وما فيها كذلك وذلك لأنّ الوصول اليها أمر غير ممكنٍ عادة وعقلاً فمن طَمع فيه فقد أَقدم علىٰ هَلاكه أو نقول بعد البلُوغ اليها ففيه هَلاكه فأنّ أكثر أبناء الدّنيا هَلكوا بها لا بغيرها وقد مرّ الكلام في ذمّ الطّمع

▫ **قوله ﷺ: لَيْسَ كلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرَ (تطّهر)...**

العَورة بفتح العين سَوأةُ الإنسان وذلك كناية وأصلها من العار وذلك لما يَلحق في ظهوره من العار أي المَذّمة ولذلك سُمّي النّساء عَوَرة ومن ذلك العوراء للكلمة القَبيحة قاله الرّاغب في المُفردات.

أقول: ومنه ما في الحَديث من تتبّع عَورة أخيه المُسلم فكذا أي مَن تجّسس ما سَتره اللّه من الأفعال والأقوال على أخيه وكلّ شيئٍ سَتَره الإنسان أنفةً أو حَياءً فهو عَورة إذا عرفت معناها فنقول:

الموجود في بعض النّسخ بعد كلمة العَورة (يَظهر) بالظّاء وفي بعض آخر (**تَطّهر**) بالطّاء.

فعلىٰ الأوّل: يصير معنىٰ العبارة ليس كلّ عَورةٍ أي قبيح يَظهر.

وعلىٰ الثاني: ليس كلّ قبيح تَطَهر أي محكوم بالطّهارة ولكلّ واحدٍ من المعنيين وجهٌ وجيهٌ.

أمّا الأوّل: فلأنّ العَورة أعني بها القَبيح المَستُور من القَول والفعل والعضُو قد تَظهر وقد لا تَظهر وتبقىٰ علىٰ الإستتار أو أنّها تَظهر في بعض الأفراد ولا تَظهر في بعضٍ آخر وذلك لأنّ القَبائح في بعض الأفراد خَفيّة مُستترة لاتَظهر علىٰ النّاس كما في المُنافقين وغيرهم من المُسلمين الّذين يُراعُون الظّواهر فَيقولون ويفعلّون ما يَشاؤن في الخَفاء ويَظهرون خلافه في النّاس ولأجل هذا يَزعم من لا خبرة له أنّهم من الصُّلَحاء والعدُول وليس كذلك وعلىٰ هذا المعنىٰ فمعنىٰ العبارة لا تحكم في النّاس بِظَواهرهم إذ ليس كلّ عَورة تَظهر لتعلم حال صاحبها .

وعلىٰ الثّاني: فالعَورة كناية عن النّساء والمَعنىٰ ليس كلّ عَورة محكوماً بالطّهارة بل كثير منها أو أكثرها خَبيثَة قَذرة (كثيفة) فإذا أردتَ النّكاح مثلاً لاتغفل عن هذا الأصل.

□ قوله ﷺ: ولا كلُّ فُرْصَةٍ تصَابُ. ورُبَّما أَخطأَ البَصِيرُ قَصْدَهُ وأَصَابَ الأَعْمَىٰ رُشْدَهُ ه...

أي أنّ الفُرصة وإن كانت مُغتَنمة إلّا إنّها ليست بمُصابة في كلّ المَوارد بل كثيراً منها لا تُصاب وذلك لأنّ القَضاء والقَدر ليسا بتابعين للفُرصة بل هي تابعة لهما ولأجل هذه الدّقيقة ترىٰ كثيراً من النّاس يَنتَهزُون الفُرصة فإذا وَجدوها

إستَفادوا منها أكثر الإستفادة ومع ذلك لم يَصلُوا الىٰ ما أرادُوه ثـمّ يَـتأسفُون ويتّألمُون ولم يَعلمُوا أنّ عَدم وصولهم الىٰ ما أرادوا ليس ليتساهلهم في الأمر بل لأنّ العَبد أراد شيئاً واللّه أراد شيئاً آخر فأنّ العَبد يُدّبر واللّه يُقّدر وهو غافل عن تَقديره مُتّوجه الىٰ تدبير نفسه ويقول لِمَ صار كذا وكذا.

ألا تَرىٰ أنّ البَصير بالأُمور قد لا يَصل ما قصده ولا يَبلغ ما أراده والأعمىٰ أي عدم البَصر يجد رشده ويبلغ مَقصَده وهو دليل علىٰ وجود الخالق الحكيم المُدّبر وأنّ الأمور تابعة للقَضاء والقَدر وأنّ الإنسان العارف بالحَقائق لا يَعتمد علىٰ بصيرته وعَقله بل يَعتمد علىٰ اللّه تعالىٰ فلولا هدايـته تـعالىٰ وإرشـاده وتَوفيقه لما يمكن البلُوغ الىٰ المَقصَد ولا سيّما الأمور الدّينية الأخرّوية .

فأنّ العَقل قد كَلَّ عن دركها وعَجز عن فهمها وقَصُر عن النَّيل بـحقائقها ولابدّ له من الإقتداء بالأنبياء والإهتداء بأنوارهم .

هذا بالنّسبة الىٰ الأُمور الأخرّوية ظاهر لا كلام فـيه وأمّـا الدّنـيوية فأيـضاً كذلك والدّليل عليه ما نراه بالحسّ والعَيان أنّ الحمقاء والجُهّال قد أحـاطوا بالدّنيا فَجمعوا لأنفسهم زخارفها ونعمها وبَلغُوا الىٰ أقـصىٰ مـقاصدهم فـي مقاماتها والعُقلاء فيها في ضيق المَعيشة والإنزواء في زوايا البيُوت لايُعبأ بهم ولا يُجَلّل عنهم بل يُحَقّرون ويُذّللون وليس ذلك كلّه لأجل أنّ العُقلاء تَركوا الدّنيا بل لأجل أنّ الدّنيا حالها كذلك وأنّ العُقلاء ينبغي أن يعتبروا بها ليعلموا أنّ الدّنيا وما فيها لو قُسِمّت علىٰ العقُول أو كانت مَقسومة عليها من أوّل الأمر لكان الأحمق قد مات جوعاً وحيث أنّ الأمر بالعَكس فبالعَكس قيل بالفارسية:

پـــديد آمـــد رســوم بـــيوفائى
نـــماند از كس نشـــان آشـــنائى
بَـــرند از فــاقة پـيش هـر خسيسى
كـــنون اهـــل هـــنر دست گـدائـى

کسی کو فاضل است امروز در دهر

نمی بیند زغم یگدم رهائی

ولیکن جاهل است اندر تَنَعُّم

متاع او بود هردم بهائی

خِرد در گوش هوشم دوش میگفت

برو صبری بکن در بی نوائی

قناعت را بضاعت ساز ومی سوز

در این درد عنا وبی نوائی

ولو كان البلوغ الىٰ الدّنيا والتّعيش فيها بقدر العقُول لكانت الدّنيا بتمامها للأنبياء والأوصياء والأولياء والعُلماء لأنّهم أعقل النّاس مع إنّا نريٰها لفرعون ونمرود وأمثالهما في كلّ عصر وزمانٍ وحاصل الكلام أنّ الأمور بيد اللّه تعالىٰ وليس لعقل العاقل فيها حظٌّ ولا نَصيب ولنعم ما قيل:

عقل در سودای او حیران بماند

جان زفجر انگشت بردندان بماند

چیست جان درکار او سرگشتهٔ ای

دِل جگر خواری بخون ْغشتهٔ ای

زأو مکن چندین قیاس الحقّ شناس

زآنکه نایدکار بیچون در قیاس

در جلالش عقل وجان فرتُوت شد

عقل حیران گشت وجان مبهُوت شد

چون نَبُود از انبیاء واز رُسل

هیچکس یک جزویش درکلّ کلّ

جملة عاجز روی بر خاک آمدند

در خطاب ما عرفناک آمدند

هذا كلّه إذا قلنا مُراده ﷺ بالبَصير والأعمىٰ بصير القَلب وعَدمه وأمّا إذا قُلنا أنّ المُراد بهما البصير والأعمىٰ في الظّاهر فهو أيضاً كذلك طابق النّعل بالنَعل .

▫ قوله ﷺ: **أَخِّرِ الشَّرَّ فإنَّكَ إذَا شِئتَ تَعجَّلتَهُ...**

أي لا تَعجل في الإتيان بالشّرور كالمعاصي مثلاً بل أَخّرها وذلك لأنّك إذا شئت الإتيان بها في كلّ زمانٍ تقدر علىٰ الإتيان بها مُعجّلاً وفي هذا الكلام إشارة الىٰ أصلين:

أحدهما : أنّ التّعجيل في الشّر مَذمُوم عقلاً وذلك لأنّ التّعجيل به يمنع عن التّفكر فيه ثمّ بعد ذلك تَظهر النَدامة لك ولا فائدة فيها بخلاف ما إذا كُنتَ غير مُعجّلٍ به فأنّه ربّما يَمنعك التّفكر فيه عن إتيانه مُضافاً الىٰ العَمل بالباطل ممكن فيّ كلّ وقتٍ من الأوقات وليس هو كَعَمل الخَير الّذي قلّما يتّفق للإنسان أن يُوَّفق به وإذا كان العَمل تحت إختيار العَبد مادام العُمر فلا معنىٰ لتَعجّيله .

وثانيهما: أنّ العبارة تدّل بِمَفهُومها أنّ الخَير لا تُؤَخّره عن وقته لعدم إمكان القُدرة عليه دائماً ويدّل عليه قوله تعالىٰ: ﴿**وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم**﴾ (١)

و : ﴿**وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (٢)

و : ﴿**أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ (٣)

ويدّل علىٰ ما ذكره ﷺ من حُسن تأخير الشّر وذمّ التّعجيل به قوله تعالىٰ:﴿**وَتَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (٤)

و : ﴿**فَتَرَىٰ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ**﴾ (٥)

▫ قوله ﷺ: **وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ العَاقِلِ ...**

١- آل عمران ـ ١٣٢
٢- آل عمران ـ ١١٤
٣- المؤمنون ـ ٦١
٤- المائدة ـ ٦٢
٥- المائدة ـ ٥٢

أي قطع صلة الجّاهل يُساوي صِلة العاقل وذلك لأنّ الجاهل إذا قطعك إنتفعت ببُعده عنك في دينك ودنياك فأنّ مُعاشرة الجّاهل ومجالسته ومُواصلته لا خير فيها، كما أنّ صِلة العاقل أي إيجاد المواصلة بينه وبينك تنفعك في الدّنيا والآخرة فنفع الأوّل مساوٍ لنفع الثّاني لك وفيه إيماء الىٰ ترك مجالسة الجّاهل ومواصلته وحُسن مُعاشرة العاقل ومواصلته وقد وردَ في الأثر فرّ من الأحمق فرارك من الأسَد:

▫ قوله ﷺ **مَنْ أَمِنَ الزَّمانَ خانَهُ وأَعظَمَهُ أهانَهُ لَيْسَ كلُّ مَنْ رَمَىٰ أَصَابَ ...**

أي من إعتمد علىٰ الزّمان وجَعَله محّلاً آمِناً لنفسه فقد خانه الزّمان بالغدر والمكر ومن أعظم الزّمان أي جَعَله عظيماً أَهانه الزّمان بالتّسلط عليه وفي بعض النّسخ أهابه، بالباء، من هاب شيئاً إذا سلّطه علىٰ نفسه وهو الأظهر وأن كان الأوّل أيضاً لا إشكال فيه ومن المعلوم أنّ الزّمان بما هو هو لا ذمّ فيه وذمّه بإعتبار من فيه كما أنّ الدّنيا أيضاً كذلك إذ لا ذمّ في الموجود بما هو موجود.

ومَن يأمن الدّنيا يكن مثل قابضٍ ... علىٰ الماء خانته فروج الأصابع

وأمّا قوله ﷺ: **ليس كلّ من رمىٰ أصاب،** فهو أيضاً حقّ لأنّ الرّامي قد يُخطئ سواء كان الرّمي حِسّياً أم مَعنَوياً والأوّل كالصّياد والثّاني كَمن قصد شيئاً ولم يَصل اليه وهو كثير عرفت اللّه بفسخ العزائم ونقض الهِمَم.

▫ قوله ﷺ: **إذَا تَغَيَّرَ السُّلْطانُ تَغَيَّرَ الزَّمانُ...**

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال أنّ اللّه عزّ وجلّ جَعَل لِمن جَعَل له سلطاناً مدّةً من ليالي وأيّام وسنين وشهور فأن عدلوا في النّاس أمَرَ اللّه عزّ وجلّ صاحب الفَلَك أن يُبطئ بإدارته فطالت أيّامهم ولياليهم وسنونهم وشهورهم وأن هم جاروا في النّاس ولم يعدلوا أمَر اللّه عزّ وجلّ صاحب الفلك فأسرع إدارته وأسرع فناء لياليهم وأيّامهم وسنيهم وشهورهم «الحديث ج ١٦ ص ٢١١»...

وقال رسول اللّه ﷺ صنفان من أُمتّي إذا صَلحا صلحت أُمتّي وإذا فسدا فسدَت أُمّتي الأُمراء والقرّاء« ص ٢١٠»...

ثمّ أنّ المراد بتّغير السّلطان تغيّر نيتّه وعَمله وبتغيّر الزّمان تغيّر أهله بحذف المضاف من قبيل إسأل القَريَة أي أهلها أو تغيّر الزّمان من حيث البـرّكـات والنّعم الإلٰهية والحقّ أنّ المعنىٰ الثّاني موقوف علىٰ الأوّل كتّوقف اللازم علىٰ ملزومه وتوضيح العبارة أنّه لا إشكال في أنّ النّاس علىٰ دين ملوكهم فإذا كان السّلطان عادلاً تكون الرّعية أيضاً كذلك وأن كان ظالماً جائراً فاسقاً فكذلك الرّعية وهذا الحكم صادق بإعتبار الأكثر لا العموم الإستغراقي ثمّ أنّ العدالَـة الّتي سَرت من السّلطان الىٰ رعيّته توجب نزول البركات السّماوية والأرضية كما قال اللّه تعالىٰ:﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ**﴾(١)

وأمّا الظّلم والفسق إذا شاع في الخلق فيوجب نزول العذاب منه تعالىٰ كما قال في كتابه: ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً**﴾(٢)

وأنّما جَعَل عليه السلام الملاكَ في تغيّر أهل الزّمان تغيّر السّلطان لأنّهم يتبَعُونه في أفعاله وأقوله وحركاته وسكناته أمّا خوفاً منه أو تَقرّباً اليه ولأجل هـذا قـيل النّاس علىٰ دين ملوكهم قيل بالفارسية:

اگـر ز بـاغ رَعـيّت خُـورد مـلك سيبى
بــر آورنــد غــلامان او درخت از بـيخ

□ قوله عليه السلام: **سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وعَنْ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ...**

أي إذا أردت السّفر ومَعَك رفيق فيه فإسأل عن حاله وإذا أُردتَ السّكونة في الدّار فإسأل قبلها عن جارها وهذا أمرٌ يَحكم به العقل ويؤيده الشّرع فأنّ الرّفيق في الطّريق إذا كان فاسداً فاسقاً سارقاً وهكذا يوجب إيذاء الإنسان أو تأثير صفاته فيه وهكذا الجار إذا كان غير مُناسبٍ لِلإنسان يوجب إيذائه في ليله ونهاره وهذا لا يحتاج الىٰ دليلٍ لِوضُوحه

□ قوله عليه السلام: **إيَّاكَ أنْ تَذْكُرَ في الكَلامِ مُضْحِكاً وإنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيرِكَ...**

١- الاعراف ـ٩٦.　　٢- الكهف ـ٥٩.

أي لا تتّكلم بشيءٍ يوجب الضّحك ولو نقلاً عن غيرك وذلك لوجهين:
أحدهما: أنّ ذلك يُوجب الخِفّة ويذهَب السّطوة والهَيبَة كما قيل:

فأيّــاك أيّــاك المــزاح فأنّــه
يُـجّري عـليك الطّـفل والرّجـل النّـذلا
ويــذهب مــاء الوجــه بــعد بــهائه
ويُــورَث بــعد العِــزّ صــاحبه ذّلاً

وثّانيهما: أنّ الضّحك في نفسه مذموم لقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ (١)

واذا كان كذلك فالباعث عليه لفعله أو لكلامه أيضاً مذمُوم.

□ **قوله ﷺ: وَإِيَّاكَ ومُشاوَرَةِ النِّساءِ فإِنَّ رَأْيَهُنَّ إلىٰ أَفَنٍ وعَزْمُهُنَّ إلىٰ وَهْنٍ...**

الأفَن بفتح الهمزة وفتح الفاء وقيل بكسرها ضَعف العَقل وقيل ضَعف الرّأي والوَهن أيضاً الضّعف والمعنىٰ إحذر عن مُشاوِرةِ النِّساءِ لنقص رأيهنّ وضعف عَزمَهنّ وقد مرّ منه ﷺ الكلام في توصيف النِّساءِ سابقاً حيث قال أنّ النِّساءِ نواقص العقول نواقص الحظوظ نواقص الإيمان ألخ ومن كان كذلك لا يصلح لِلمشاورة فالنّساء لا تصلح لها وصورة القياس هكذا.

النّساء ضعفاء العقول والآراء وكلّ من كان ضعيفاً لا يصلح للمُشاورة فالنّساء لا تصلح لها.

أن قلت ـ لا نسّلم هذا فأنّا نرىٰ كثيراً من النّساء بخلافه فكيف قال ﷺ ما قال:

قلتُ ـ ليس الحكم علىٰ سبيل الإستغراق الكلّي بحيث يشمل جميع الآحاد بل الحكم بإعتبار الأكثر كما هو الشّأن في أكثر الأحكام كما ورد النّهي في الأخبار عن مُجالسة الأغنياء والسّلاطين والأمراء والأمر بمُجالسة الفقراء والضُعفاء والعُلماء ونحن نعلم علماً قطعياً أنّ بعض الفقراء والضّعفاء والعلماء

١ ـ التّوبة ـ ٨٢

أخبَث وأرجَس من بعض الأغنياء والأمراء والجّهال وهـذا لا يُـضّر بـصّحة الحكم لكونه ناظراً الىٰ الأكثر وأكثر الأغنياء والفقراء كذلك بل نقول كلّ صنفٍ من أصناف الإنسان كذلك فاذا فرَضنا وجود بعض علماء السُّوء في العُلماء لا يصّح أن يقال لا تخالط العلماء بل يُقال خالطهم لأنّ أكثرهم من الأخيار وما نحن فيه من هذا القبيل فأنّ النّساء ضعفاء العقول والآراء في الأغلب وهو لا يُنافي وجود من ليس كذلك فيهنّ فأنّه قليل والقليل لا حكم له في جنب الكثير بل تابعٌ له حُكماً وهذا الّذي ذكرناه معيار عقّلي في جميع الأحكام الصّادرة ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ يقول في كتابه: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَىٰ النِّسَاءِ﴾ (١) مع إنّا نرىٰ بعض الرّجال لا يصلح لهذا الحُكم لسفاهته وبلاهته بحيث أنّ الشّارع الحاكم بهذا الحُكم جَعَل له في ماله وأولاده ولّياً وناظراً وقيّماً ومن المعلوم ضعفه في تدبير أُمور نفسه فضلاً عن عياله وأولاده فهل يجوز لقائل أن يقول أنّ الآية الشّريفة منقوضة بفلان وفلان فثبت أنّ خروج بعض النّساء عن الحكم لا يضّربه وبذلك إندفع الإشكال عن كلامه ﷺ وهو ظاهر علىٰ المُتأمِل.

▫ **قوله** ﷺ: **وأكْفُفْ عَلَيْهِنَّ منْ أبْصارِهِنَّ بِحِجابِكَ أيَّاهُنَّ فَإنَّ شِدَّةِالحِجَابِ أبْقَىٰ عَلَيْهِنَّ ...**

أكفُف فعل أمرٍ من الكَفّ وهو المنع أي امنع النّساء من رؤيتهنّ غيرهنّ فأنّ شدّة الحجاب أبقىٰ عليهنّ دِيناً ودُنياً لأنّ في الإبصار من الطّرفين خطر عظيم وفي الكلام نكاتٌ ينبغي التّنبيه عليها.

الأولى: أنّ الابصار في قوله ﷺ **هل هو** بفتح الألف أو بكسرها فعلىٰ الأوّل يكون جمعاً للبَصَر وعلىٰ الثّاني يكون مصدر أبصَر يُبصر ففي أكثر النُّسخ الموجودة بفتح الألف بصورة الجمع وقال الشّارح المعتزلي كلمة (مِن) زائدة علىٰ مذهب الأخفش وغير زائدة علىٰ مذهب سيبويه.

وعلىٰ الثّاني: أي فاكفُف عليهنّ بعض أبصارهن يعني كلمة مِن للتّبعيض .

١- النّساء - ٢٤

أقول: الحقّ في المقام الكَسر علىٰ هيئة المَصدَر والمعنىٰ وإمنع عليهنّ من رؤيتهنّ لغيرهنّ من الرّجال بسبب حجابك أيّاهنّ أي أنّ المنع من أبصارهنّ ينبغي أن يكون بسبب الحجاب لا بسبب آخر فأنّ شدّة الحجاب أبقىٰ عليهنّ من غير الحَجاب وأن كان مآل الفتح أيضاً الىٰ ما ذكرناه.

الثّانية أنّ الحجاب في أصِل اللّغة السَّتِر والإستتار كما قال اللّه تعالىٰ:(**حتّىٰ توارت بالحجاب**) أي غابت الشّمس بالأُفق وإستَتَرت به وقال الرّاغب في المفردات الحَجب والحجاب المنع من الوصول يقال حَجَبه حجباً وحجاباً وحجاب الجوف ما يَحجُب من الفؤاد انتهىٰ.

ثمّ أنّ قوله ﷺ: **بحجابك** الظّاهر أنّ الباء للسّببية فعلىٰ المشهور يصير المعنىٰ إمنعهنّ من الإبصار بسبب السّتر الواقع بينهنّ وبين غيرهنّ من الرّجال وأمّا علىٰ قول الرّاغب فالمعنىٰ إمنعهنّ عن الوصول الىٰ مقاصدهنّ في رؤيتهنّ بأيّ وجهٍ إتّفق سواء كان بالسّاتر أم بغيره فعلىٰ قول الرّاغب لا تحتاج النّساء في اللّيلة الظّلماء الىٰ السّتر لكون الظّلمة مانعة عن الوصول أعني الرّؤية وكذلك إذا لم يكن المرئي مقابلاً لِلرّائي لعدم تحقّق الرّؤية خ وأمّا علىٰ قول المشهور فلا لعدم تحقّق السّتر لغة وعُرفاً.

الثّالثة، والمراد بشدّة الحجاب كيف تكون أبقىٰ علىٰ النّساء، نقول أنّ الحجاب كليٌّ وله مصاديق كثيرة مختلفة شدةً وضعفاً وكمالاً ونقصاً وهذا الكلّي يُسمّىٰ عندهم بالمشّكك بخلاف الكلّي المتواطي الّذي صدقه علىٰ مصاديقه علىٰ التّساوي وعليه فكلّما كان الحجاب أشدّ كان أبقىٰ علىٰ النّساء في العِفّة والصّيانة عن الخطأ.

ثمّ أنّ الأصل في هذا الحكم قوله تعالىٰ:**﴿وَقُل لِلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾**(١)

□ **قوله ﷺ: وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بأَشَدَّ مِنْ إدْخالِكَ مَنْ لا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ ...**

١- النّور-٣١

قال بعض الشّراح في شرح الكلام أي إذا أدخلتَ على النّساء من لا يُوثق بأمانته فكأنّك أخرجتَهنّ الى مختلط العامّة فأيّ فرقٍ بينهما.

وقال المعتزلي في شرح الكلام ما لفظه أي أنّ خروجهنّ أهوَن من ذلك، وذلك لأنّ مَن تلك صنعته يتمكن من الخَلوَة ما لا يتّمكن منه مَن يراهنّ في الطُّرقات انتهى.

أقول: والّذي نفهم من العبارة أنّه إذا دار الأمر بين خروج النّساء عن بيوتهُنّ لحاجةٍ من الحاجات ودخول من لا يُوثق به عليهنّ في البيوت لتعليم علم أو حرفةٍ أو صناعةٍ أو غير ذلك ففي هذه الصُورة ليس خروجهنّ أشدّ من دخول الغير عليهنّ بل هو أهوَن منه لأنّ مضّرة الخلوة أشدّ من مضّرة الرُّؤية في الطّريق وإذا كان كذلك فخُروجهن من البيت أصلَح من دخول من لا يُوثق به عليهنّ وأمّا إذا كان الدّاخل مِمّن يوثق به فدخوله أولىٰ من خروجهنّ قطعاً وفي هذا الكلام رَدّ علىٰ مَن زعم أنّ خروج النّساء مطلقاً ممنوع.

▫ **قوله ﷺ: اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَأَفْعَلْ ...**

أي ما ذكرناه في الكلام السّابق أنما هو في صورة الدّوران بين خروجهنّ ودخول الغير عليهنّ كالمُراجعة الىٰ الطّبيب أو تعّلم الأحكام أو غيرها من موارد الإضطرار العقلي أو الشّرعي ففي أمثال هذه الموارد قلنا خروجهنّ أهوَن من دخول من لا يوثق به عليهنّ وأمّا في غير هذه الموارد كما إذا أمكنَ لك رفع حاجاتهنّ من غير خروجهنّ عن البيت بحيث لا يُعرفنّ النّساء غيرك فإفعل ذلك ومن المعلوم أنّ القضّية شرطية مُعلقة علىٰ الشّرط وهو الإستطاعة وقلّما يتّفق هذا للنّاس لعدم تحقّق شرطها غالباً.

▫ **قوله ﷺ: وَلا تُمَلِّكْ الْمَرْأةَ منْ أمْرِها مَا جاوزَ نَفْسَها فإنَّ المَرْأةَ رَيْحَانَةٌ ولَيْسَتْ بِقهْرَمانَةٍ ...**

أي لا تملّك المرأة زيادةً علىٰ ما هو مربوط بنفسها ممّا هو يرتبط بغيرها من أمور النّاس وبعبارةٍ أُخرىٰ لا تُسّلط المرأة علىٰ غيرها من النّاس في تدبير

أمورهم لأنّها ريحانة خُلقت لك وليست بقهرمانة وهو الّذي يحكم في الأمور ويتّصرف فيها وكأنّه من هذا الكلام أخذ الشّاعر قوله:

أنّ النّســـاء ريـاحين خُـلِقن لنـا وكُــلنّا نشــتهي شــمّ الرّيـاحين

وفي قوله ﷺ: **ما جاوز نفسها** إشارة الىٰ أنّ ما لم يتجاوز نفسها لا منع فيه وهو كذلك فأنّ النّاس مُسلّطون علىٰ أموالهم وأنفسهم فَمنعها عَن مـالها وتـدبير أُمورها لا وَجه له وفي قوله ﷺ: **لا تملّك** الىٰ آخر ما قال إشارة الىٰ عدم جواز توليتها أُمور النّاس بعنوان الحكومة عليهم والرّتق والفَتق في أُمورهم ولأجل ذلك مَنَع الشّارع عن قضاوتها ولو لِلنّساء فإذا كان القضاء لها ممنوعاً فالسّلطنة والولاية والرّئاسة بطريق أولىٰ إذا كانت عامّة وأمّا إذا كانت الولاية خاصّة فيما أجازه الشّرع فلا إشكال فيه.

▫ **قوله ﷺ: ولا تَعْدُ بكَرَامَتِها نَفْسَها ولا تُطْمِعْها فِي أنْ تَشْفَعَ بِغَيْرِها ...**

تَعدُ بفتح التّاء وسكون العين وضَم الدّال فعل مضارع من عدىٰ يَعدو والتّاء للخطاب بمعنىٰ التّجاوز أي لا تجاوز بكرامة المـرأة نـفسها وبـعبارةٍ أُخـرىٰ إجعل كرامتها لنفسها فَحَسبُ ولا تجاوز بها لغيرها فتُكرم غيرها بشفاعتها ولا تطمعها أي لا تُطمع المرأة في أن تشفَع بغيرها بالوِساطة فأنّ فـي وسـاطتها خطرٌ عظيم أقلّه تسلطها عليك وتصّرفها في الأمور .

▫ **قوله ﷺ: وإيَّاكَ والتَّغايُرَ في غَيرِ مَوضِعَ غَيْرَةٍ فإنَّ ذلكَ يَدْعُو الصَّحِيَحةَ إلىٰ السُّقْم والبَرِيئَةَ إلىٰ الرِّيْبِ...**

أي إحذر من أن تظهر الغيرة علىٰ المرأة بسُوء الظّن في حـالها فـي غـير مَوضعه فأنّ ذلك يدعُوا المرأة الصّحيحة السّالمة عن العيب الىٰ السّقّم والإتّهام والبـريئة المـتّنفرة عـن الرّيب والشّك الىٰ الرّيب ويـمكن أن يكـون المـراد بالصّحيحة والبريئة غير المرأة مِمّن تتّهمه بإرتباطه معها وأنما قـال ﷺ ذلك لأنّ إستعمال كلّ شئٍ في غير مَورده قبيح ينتج السّوء فالتّغاير وأن كان في نفسه حَسناً إلّا أنّ له مَوضعٌ خاصاً وليس كلّ شئ في كلّ موردٍ مَمدوحاً فما مَنعه ﷺ

عنه ليس إلّا قسماً من الحماقة والجهالة ونحن نرىٰ كثيراً من الإتّهامات الواردة علىٰ النّساء وغيرهن من هذا القبيل.

▫ **قوله ﷺ: وأجْعَلْ لِكلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ فَأَنَّهُ أَحْرَىٰ أن لا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ...**

أي إجعل لكلّ عَملٍ من الأعمال من خَدَمك مَسئولاً تأخذه به لو لم يَعمل به فأنّه أحرىٰ وأَليَق أن لا يتّواكلوا أي يتّكل بعضهم علىٰ بعض في خدمتك والحاصل أنّه إذا لم يكُن لكلّ عملٍ مقاماً مسئولاً يَتّكل بعضهم على بعض ويَقع الهَرج والمَرج.

▫ **قوله ﷺ: وإِكْرِمْ عَشيرَتَكَ فإنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ وأصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصيرُ وَيَدُكَ الَّتِي بهَا تَصُولُ...**

أي وأَكرم عشيرتك وأقربائك مالاً ولساناً وعملاً وذلك لأنّهم بمنزلة الجناح لك الّذي تطير به في العرُوج الىٰ المدارج العالية والصّعُود الىٰ الكَمالات الرّاقية وأيضاً أنّهم كالأصل وأنت كالفَرع والفَرع قائم بالأصل وصائر اليه فأن قُطِع الأصل لا بقاء للفرع، وأنّهم لك كاليَد الّتي بها تَصُول وتَقهر علىٰ غيرك ومَن كان هذا شأنه ينبغي أن يُكرَم.

▫ **قوله ﷺ: اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِيْنَكَ ودُنْيَاكَ وأسْأَلْهُ خَيْرَ القَضَاءِ لَكَ فِي الْعاجِلَةِ والآجِلَةِ والدُّنْيا والآخِرَةِ والسَّلاَمَ...**

أي أرجو من اللّهَ أن يَحفظ دِيْنَك ودُنْيَاكَ ويَجعلك في كَنفه وحِمايَته وأسأله خير القَضاء لك في الدّارين فأنّ الأمر بيده وهو علىٰ كلّ شيئ قدير وبالإجابة جدير والسّلام تَذنيبٌ، حيث إنجّر البحث في هذا الكلام المَلكُوتي الىٰ النّساء أَحبَبتُ أن أَذكُر في خاتمة البَحث شطراً من حالات النّساء ليكُون تَوضيحاً لما ذَكره ﷺ في المقام وأنّما دَعاني اليه ما ذَكره ﷺ في لزوم الحجاب لَهُنّ وعَدم تَملكّهن ممّا جاوز نَفسهنّ وعدم جواز تَصَرفهنّ في الأمُور وغيرها فأنّ هذه الأمُور ممّا لا يُوافق مذاق أكثر النّاس في هذا الزّمان حتّىٰ مَن عَدَّ نفسه

في المُسلمين فَضلاً عن الكافرين المُلحدين فأنّهم يقولون بأنّ النّساء أَحد رُكنَي الأجتماع فكيف يمكن إخراجهنّ عنه بِجَعلهنّ في زوايا البيُوت ومَنعهنّ عن التّدبير والتّصرف في الأمور فنقول:

لا شكّ أنّ بقاء الجامعة وحياتها السّياسية والإجتّماعية والإقتصادية والأخلاقية وغيرها ممّا يَرتبط رُشد الإجتماع به علىٰ أصلين أحدهما الرّجل، والآخر المرأة، وأنّما قُلنا ذلك لأنّ وجود الإجتماع موقُوف علىٰ وجودهما بحيث لولاهما لما كان من الإجتماع عَين ولا أَثر فهو يدور مَدارهما بل نقول لا وجود له إلّا وجُودهما ولا يمكن لأحدٍ أن يقول أنّ أحدهما أَشرف من الآخر من هذه الجهة فأنّهما لَكفَّتَي الميزان أو كالجناحين للطّائر فكما أنّ وجود الميزان بهما كذلك وجود الإجتماع بهما وكما أنّ الطّائر لا يقدر علىٰ الطَّيران بجناحٍ واحد كذلك الإجتماع لا يَقدر علىٰ التّرقي والتّعالي إلّا بهما وهذا ممّا لا شكّ فيه فوجُود المرأة كوجود الرّجل وما يتّرتب علىٰ أحدهما من النّفع يَتّرتب علىٰ الآخر بعينه والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في القرآن حيث قال تعالىٰ: ﴿يَٰأَيُّهَاالنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِل﴾ (١) دلّت الآية الشّريفة بأنّ النّاس كلّهم من ذكرٍ وأُنثىٰ أعني الرّجل والمرأة ثمّ وُجدت القَبائل والشّعُوب ومفهُومها أنّه لو لن يكن الذّكر والأُنثىٰ لَما تُوجد النّاس وهذا لا يُنافي قُدرته تعالىٰ وذلك لأنّه قادر علىٰ خلق النّاس بغيرهما كما في أبينا آدم وحواء وبغير الرّجل كما في عيسىٰ ابن مريم إلّا أنّه تعالىٰ أراد الخَلق كذلك فأنّ الدّنيا دار الأسباب والىٰ اللّه أن يجري الأمور إلّا بأسبابهما وهما سببان لوجود النّسل وكثرته إذا عرفت هذا فالبحث يقع في أُصُولٍ:

الأصل الأوّل: أنّ حفظ نظام الإجتماع يتّوقف علىٰ حفظ نظام الفَرد وذلك لأنّ الإجتماع بما هو هو لا وجود له مُستَقلاً ومُنفكاً عن وجود الفَرد بل وجوده يُنتزع من وجود الآحاد كما هو الشّأن في كلّ مُركّب فأنّه موجود لوجود أجزاءه

١ - الحجرات-١٣

وحيث إنّا قد ذكرنا أصالة الرّجل والمرأة فلا محالة يكون نظم الإجتماع وجوداً ناشئاً عن نظم وجود الأصلين هذا بالنّسبة الىٰ الوجود.

وأمّا النّظام السّياسي والأخلاقي والأقتصادي وغيرها فهو تابع للنّظام الوجودي إذ ما لا وجود له لا سياسة له ولا إقتصاد ولا أخلاق ولا غيرها فلو شئنا حفظ النّظام بكلا معنييه لابدّ لنا أوّلاً من التّوجه الىٰ الأصل وبعبارةٍ أخرىٰ لابدّ لنا من إصلاح الأصل قبل إصلاح الفَرع بل صلاحه بِصَلاحه وفَساده بِفَساده فإذا كان الأصل صالحاً يكون الفَرع أيضاً كذلك ومحصّل الكلام أنّ حفظ النّظام الإجتماعي وجوداً وصفةً يتوقف علىٰ حفظ الأصلَين أعني الرّجل والمرأة وهو المَطلُوب.

الأصل الثّاني: في كيْفية حِفظهما وهي علىٰ قسمين:

أحدهما: حفظ الوجود، وثانيهما حفظ آثاره وتَبعاته، أمّا الأوّل فالمُراد به حفظ الإنسان عن الخَطرات الّتي تُوجب فناءه وهَلاكه كالقَتل أو نقصه كالجرح والضّرب وقد أمَر الشّارع بوجوب حفظه علىٰ كلّ فَرد فقال: **﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ﴾**(١)

و: **﴿ومِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْفَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾**(٢)

وثانيهما: حفظ ما يتّرتب علىٰ الوجود ونعني به المعنّويات من دينه وعقله وأخلاقه وكمالاته اللّائقة وذلك لأنّ الإنسان كما يجب عليه حفظ نفسه أي بدنه وحفظ نفس غيره من النّاس كذلك يجب عليه حفظ معنّوياته وكمالاته فلا يجوز لأحدٍ أن يتّصف بالأخلاق السّيئة القَبيحة المُنافية لشأن الإنسان كما لا يجوز أن يتّصف غيره بها فَمن أخرج نَفسه أو غيره عن حدُود الإنسانية والمَلكَات الفاضلة وأوقعه في الفَساد فكأنّما قتله بل هذا القَتل أشدّ من القَتل بمعنىٰ الأوّل كما أنّ من أحياه كذلك فهو خير له من الدّنيا وما فيها وعلىٰ ما

١- البقرة-١٩٥

٢- المائدة-٣٢

ذكرناه قد ظهر لك أنّ الإنسان يجب أن يُحفظ في وجوده وما يترتب عليه من الكمالات ولا يمكن هذا إلّا بعد تعيين حدُوده ووظائفه.

الأصل الثّالث: أنّ حفظ النّظام يُوجب عدم التّخطي لكلّ فردٍ عمّا هو مُقَرر له عقلاً وشرعاً وذلك لأنّ حفظ النّظام موقُوف علىٰ وجود النّظام وهو عبارة عن تعيين الحدُود والوظائف وحفظهما منعه عن التّجاوز عنها فللرّجل وظيفة وللمرأة وظيفة أُخرىٰ في الإجتماع ضرورة أنّ المُغايَرة بالأثنينة تُوجب المُغايَرة بالوظيفة إذ لو كانت الوظيفة فيهما واحدة لكان الأثر المُترتب عليهما أيضاً واحداً فأنّ المعلُول الواحد يَستَلزم علّةً واحدة وحيث إنّا نرىٰ الآثار المُترّتبة عليهما مُختَلفة نَكشف تغايرهما وجوداً وصفةً وإذا كانت الوَظيفة مُتغايَرة مُختَلفة فَحفظ النّظم وبَقاء الإجتماع يَقتضي أن لا يَتّخطىٰ الإنسان عمّا قُرّر له بحسب الفِطرة والعَقل وحيث أنّ الإنسان لا يَقدر علىٰ تَشخيص وظيفته من عند نفسه فَيحتاج الىٰ المُشّخص والمُقّرر وأن شئت قُلت الىٰ المُقّنن وحيث أن المُقّنن لابدّ له من الإحاطة بجميع ما يحتاج اليه الإنسان وما يضّره وينفعه وفيه خَيره أو شَره وصَلاحه وفَساده وليس أحد أعرف بحال نفسه وغيره من خالقه فالمُقّنن لا يكون إلّا هو ونُعبّر عن قانُونه بالدّين ولأجل ذلك جَعل اللّه تعالىٰ لكلّ واحدٍ من الرّجل والمرأة من الوَظائف والأحكام الشّرعية والإجتّماعية ما يُوجب بلُوغهما الىٰ الكمالات ووصُولهما الىٰ أعلىٰ الدّرجات في صورة الإطاعة والإنقياد وهبُوطهما الىٰ الدَّرَكات والهَلَكات في صورة المُخالفة والعصيان فأنّ ربّك ليس بظّلامٍ للعبيد.

الأصل الرّابع: في تقسيم الأمور بينهما ونعني بالأُمور الأمور الإجتماعية فأنّ الأمور علىٰ قسمين:

أحدهما: الأمور الأخرّوية كالصّلوة والزّكوة والحجّ والصّوم وغيرها من الأحكام الخمسة التّكليفية.

وثانيهما: الأمور الدّينوية الإجتّماعية كالتّجارة والصّناعة والزّراعة وغيرها.

أمّا القسم الأوّل: فهما مُشترَكان فيه فأنّ الصّلٰوة تجب عليها كما تجب عليه وشرب الخَمر حرام عليها كما هو حرام عليه وهكذا ولا فرق فيهما من جهة أصل التّكليف وهو واضح .

وأمّا القسم الثّاني: أعني الأمور الإجتماعية فَقسّمها اللّه تعالىٰ بينهما بمُقتضىٰ الحِكمة والمَصلَحة فَجَعل للرّجل تحصيل الرّزق بسبب الكَسب وللمرأة تربية الأولاد وإدارة أُمور البيت من الطّهارة والنّظافة وأمثالهما وليس هذا لأجل تَضعيف المرأة وتَحقيرها كما تُوّهم بل الوَجه فيه أنّ المرأة من حيث الخِلقة أَنسَب وأَحرىٰ من الرّجل لإدارة هذه الأمور كما أنّ الرّجل أَليَق بما فُوِّضَ له من الكَسب والصِّناعة وغيرهما فلو فَرضنا تَرك المرأة بيتها ودخولها في الإجتماع يلزم منه الخروج عن الوَظيفة ولا نعني بالإختلال إلّا هذا ولأجل هذا قال عليه‌السلام فأنّ المرأة ريحانة ولَيست بقهرمانة، فأنظر الىٰ كمال لطف البارئ في حقّها حيث جَعل اللّه مشّاق الأعمال علىٰ أعناق الرّجال وجَعَل النّساء بِمَعزلٍ عنها .

الأصل الخامس: الحجاب الّذي هو المَعركة العُظمىٰ في زمانا هذا بين المُسلمين فضلاً عن غيرهم والسّبب الأصلي في الطّعن علىٰ الإسلام من الكُفّار بل من أكثر المُسلمين الّذين يتّهمُون القائلين به الىٰ القّشريين تارةً والمُرتَّجعين أُخرىٰ وحيث أنّهم رأوا ضرورة الدّين من الكتاب والسُنّة والإجماع علىٰ ثبوته في الشّريعة فلا جرم تَصّدوا لتأويل الآيات الواردة فيه وتَضعيف الأخبار والإجماع فقالوا فيه ما قالوا ونسبُوا فيه الىٰ الرّسول ما نَسبُوا وليس ذلك إلّا لوجهين:

أحدهما: أنّهم رأوا الغَربّيين من الكُفّار لا يَعتَنُون بالحجاب بل يُخالفُونه ويَستَهزؤن فاعله ويَطعنُون علىٰ الإسلام في ذلك الحكم فأرادوا إنطباق الإسلام علىٰ الكُفر فأوّلوا الحجاب بما يَنطبق علىٰ مَسلكهم ومَذهبهم ظَنّاً منهم أنّ هذا ترويج للدّين .

وثانيهما: أنّهم رأوا دخول النّساء في الإجتماعات مُكَشّفات الرّؤوس ناشرات الشّعُور أوفق بِغَرائزهم وطِباعهم الحَيوانية فأنكروا الحجاب وقالوا أنّه ليس من الإسلام وأنّما إختَرعه القّشريون المُخالفون للتّمَدن البَشري.

والحقّ أنّ الحجاب من الأحكام المُسَلّمة في الإسلام بنّص الكتاب العزيز وإجماع الأمّة وهذا القَدر منه ممّا لا خلاف فيه ظاهراً عند الكلّ وأنّما الخلاف في تَعيين ماهّيته بعد وضوح مفهُومه:

قال الرّاغب في المُفردات الحَجب والحجاب المَنع من الوصُول، وقال في المَجمع الحجاب الحاجز، وقال في المُنجد حَجَبه حجباً وحجاباً، سَتَره مَنعه من الدّخول، حَجَب بينهما، حَالَ، حَجَب صدره ضاق وقال الحجاب مَصدر السّتر وكلّ ما إحتَجب به، كلّ ما حالَ بين شَيئين، حجاب الشّمس ضوئها، حجاب القلب جلدة تَحجب بين القَلب والبَطن وأمثال ذلك من التّعابير في كلمات أهل اللّغة.

والّذي يَحصل لنا من مجمُوع هذه الكلمات أنّ الحجاب مجهُول الكُنه والحقيقة فتارةً يطلقونه ويَقصدُون به الأمر العَدَمي كما في قول الرّاغب حيث قال أنّه المَنع من الوصول، وأُخرىٰ يَقصدون به الأمر الوجودي أي أنه شيئ موجود في الخارج مصداقاً كما في قول المَجمع حيث قال أنّه الحاجز ويظهر لنا من مجمُوع هذه الإطلاعات هو صحّة إطلاقه علىٰ الكلّ وأنّما يختلف بحسب موارد الإستعمال ففي كلّ مَوردٍ له معنىً يُناسبه إذا عرفت هذا فَنقول من جملة الموارد إستعماله في النّساء في لسان الآيات والأخبار فإذا قيل وَجَب الحجاب لِلمرأة معناه وجب السّتر لها وأمّا إذا قيل حَجَب صدره مثلاً فليس معناه سَتر صدره بل معناه ضاق صدره وهكذا فإذا قُلنا أنّ المرأة مَحجُوبة معناه أنّها مَستُورة تحت اللّباس بحيث لا يمكن رؤيتها وإذا قُلنا الأمير مَحجُوب معناه أنّه ممنُوع عن الدّخول عليه أو مَحجُوب عن الأنظار لا أنّه مَستُور تحت اللّباس فالقول بأنّ لغة الحجاب في مَورد سَتر المرأة تحت اللّباس مثلاً لغة

مُستَحدثة جديدة لا نفهم معناه أَليس سَتر المرأة جَسدها عن غيرها مانعاً عن رؤية الغير أيّاها، فأن كان، فهي مَحجُوبة، وأن لم يكن فهي ليست بِمَستُورة عن غيرها فليست بِمَحجُوبة إذ السّتر في حقّها كما قُلنا حجابها وحجابها سترها وأن شئت قُلت لازم السَّتر الحجاب فإذا قُلنا المرأة محجُوبة ذكرنا اللّازم وأردنا المَلزوم هذا إذا لم نقل بترادف اللّغتين أعني الحجاب والسّتر وأمّا أن قلنا به فلا حاز في السَّببَين والتّحقيق في المَقام أنّ المَقصُود واحد بالحقيقة مُختَلف بالإعتبار فبإعتبار عدم الرُّؤية يُعبّر عن المعنىٰ بالحجاب وبإعتبار عدم ظهوره في الخارج بالسَّتر فإذا قُلنا يجب عليها الحجاب معناه يجب أن لا يراها أحد وإذا قلنا يجب عليها السّتر معناه يجب أن تكون مَستُورة أي غير ظاهرة ولأجل هذه الدّقيقة يجب عليها السّتر في الصّلٰوة ولا يجب عليها الحجاب فيها فيما إذا كانت في البيت وحدها لأنّ إعتبار رُؤية الغير أيّاها في مكان الخَلوة لا يَتّحَقق فلا يطلقون كلمة الحجاب عليها مع أنّ المآل فيهما واحد وحيث أنّ أكثر العُلماء لم يَتّفطنُوا لهذه الدّقيقة فقالوا أنّ لغة الحجاب في النّساء مُستّحدَثة، فإستعمال لغة السّتر أولىٰ في النّساء.

مع أنّ لَفظ الحجاب لا ذنب له إذا لم يكن مُغيّراً للمعنىٰ وقد عرفت عدم كونه مُغيّراً ولقد أعجبني مارأيت من بعض المُعاصرين ﷺ في رسالته الّتي كتبها لتَحقيق الحجاب في الإسلام وسَمّاها (مسئلة حجاب) بالفارسية قال فيها ما لَفظه:

إستعمال كلمة حجاب در مورد پوشش زن يک إصطلاح نسبتاً جديد است در قديم ومَخصوصاً در إصطلاح فقهاء كلمة (ستر) كه بمعناى پوشش است بكار رفته است فقهاء چه در كتاب الصّلٰوة وچه در كتاب النّكاح كه مُتّعرض اين مطلب شدهاند كلمة ستر را بكار بردهاند نه كلمة حجاب را بهتر اين بود كه اين كلمة عوض نمى شد وما هميشه همان كلمة پوشش را بكار مى‌برديم زيرا چنانكه گفتيم معنىٰ شايع لغت حجاب پرده است واگر در مورد پوشش بكار

برده میشود باعتبار پشت پرده واقع شدن زن است وهمین أمر موجب شده که عدّه زیادی گمان کنند که إسلام خواسته است زن همیشه پشت پرده ودر خانه محبوس باشد وبیرون نَرود وظیفة پوشش که إسلام برای زنان مقّرر کرده است بدین معنیٰ نیست که از خانه بیرون نروند زندانی کردن وحَبس زن در إسلام مَطرح نیست.

ومحصّل هذه الكلمات أنّ خوف هذا القائل أنّما هو من إستعمال لفظ الحجاب في معنىٰ السَّتر ولذلك قال أنّها لغة مُستَحدثة فَعليه ينبغي أن يُقال وَجَب السّتر علىٰ المرأة مثلاً لا الحجاب ولم يعلم أنّ المقصُود واحد والإعتبار مُختلف فلباس المرأة من حيث أنّه يَستُر بدنها يُقال له السّاتر وبإعتبار أنّ النّاظر لا يرىٰ جسدها يُقال له الحجاب وأمّا إستدلاله علىٰ مُدّعاه بأنّ الحجاب معناه الجسم الحائل الّذي يُقال له بالفارّسية (پرده) فلو أُطلق الحجاب علىٰ السّتر يلزم أن تكون المرأة كذا وكذا ففيه إشكالات كثيرة نشير الىٰ بعضٍ منها:

أحدها: أنّ معنىٰ الحجاب علىٰ ما يُستفاد من أهل اللّغة مطلق المانع عن الرُّؤية سواء كان المانع من الأجسام كما ذكره أم من غيرها كالظّلمة مثلاً.

وثانيها: أنّ عَدم إستعمال بعض الفقهاء هذه الكلمة وإستعمال السّتر في موضعها لا يدّل علىٰ أنّها أي كلمة الحجاب مُستَحدثة بل غايته أنّهم رأوا إستعمال السّتر أقرب الىٰ الفَهم .

وثالثها: أنّ إطلاق كلمة الحجاب لا يلزم منه كون النّساء في البيوت دائماً إذ لا ملازمة بين الحجاب وملازمة البيت لا عقلاً ولا شرعاً.

ورابعها: أنّ كلمة الحجاب لو كانت مُستَحدثة فكيف إستعملها أمير المؤمنين عليه السلام في المقام غير مرّةٍ وغيرها من الإشكالات ونحن لسنا فعلاً بصدد تحقيق معنىٰ الحجاب وللبحث فيه مقام آخر والّذي نقول هو أن هذه الكلمة ليست بمُستَحدثة بل كانت مُتَداولة شائعة من صدر الإسلام الىٰ زماننا هذا وثانياً ليس المُراد به ما ذكره هذا القائل وأمثاله بل المُراد به مطلق الحاجب

والمانع بأيّ وجهٍ كان والمرأة يجب عليها حفظها عن النّاظر عدا ما إستثنىٰ سواء سَمّيته ستراً أو حجاباً والدّليل علىٰ ما ذكرناه قوله تعالىٰ: **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب﴾**(١)

و: **﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾**(٢)

و: **﴿حتّىٰ تَوارت بالحِجاب﴾**(٣)

و: **﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾**(٤) وغيرها من الآيات وأنت ترىٰ كلمة الحجاب في هذه الآيات إستُعملت في مطلق المانع إلّا أنّ هذا المانع تارةً يتّحقق في الجسم وأُخرىٰ بالإستتار وثالثة في بُعد المسافة وهكذا.

١- الشورىٰ ـ ٥١
٢- فصّلت ـ ٥
٣- ص ـ ٣٢
٤- الاسراء ـ ٤٥

ومن كتاب له عليه السلام (٣٠)
الى معاوية

▫ قوله عليه السلام: وأَرْدَيْتَ جِيلاً منَ النّاس كثِيراً خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ وأَلْقَيْتَهُمْ في مَوْجِ بَحْرِكَ تَغْشاهُمُ الظُّلُماتُ وتتلاَطَمُ بِهُم الشُّبُهاتُ فَجازُوا عَنْ وِجْهَتِهِم ونَكَصُوا علىٰ أعقَابِهِمْ وتَوَلَّوا علىٰ أدْبارِهِم وعَوَّلُوا علىٰ أحْسابِهُمْ إلَّا مَن فاءَ مَنْ أهْلِ البَصائِرِ فإِنَّهُمْ فارَقُوكَ بعْدَ مَعْرِفَتِكَ وهَرَبُوا إلىٰ اللّهِ منْ مُوازَرَتِكَ إذْ حَمَلْتَهُمْ علىٰ الصَّعْبِ وعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ القَصْدِ فاتَّقِ اللّهَ يا مُعاوِيَةَ في نَفْسِكَ وجاذِبِ الشَّيْطانَ قِيادَكَ .فإِنَّ الدّنيا مُنقَطِعَةٌ عنْكَ والآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ والسَّلاَمُ متن.

◁ **اللّغة**

(أَرْدَيْتَ) أي أَهلَكتَ (جِيلاً) الجيل طائفة منَ النَّاسِ (بِغَيِّكَ) الغَي الضَلال (وِجهتِهِم) الوِجهة بكسر الواو جهة القَصد (نَكَصُوا) النكص الرّجوع (عَوَّلُوا) التّعويل الإعتماد (مُوَازَرَتِك) المُوازرة المُعاضدة (قِيادَكَ) القِياد ما تُقاد به الدّابة.

◁ **المعنىٰ**

(وأَردَيْتَ) أي أَهلَكتَ (جِيلاً) وطائفة (منَ النَّاسِ) في الدّنيا والآخرة (كثيراً) أي أنّ النّاس الّذين أَهلَكتهُم كانُوا كَثيراً (خَدَعْتَهُمْ) وأغفَلتَهُم (بِغَيِّكَ) وضَلالك (وأَلْقَيْتهُمْ) أي أَلقَيت النّاس (في مَوْجِ بَحْرِكَ تَغْشاهُمْ) وتَسترهُم

(**الظُّلماتُ**) فـي بَـحر الضـلالة (**وتَتلاطَمْ بِهُم الشُّبُهاتُ**) أي شـبهات الغَـي والضَلالة (**فَجازُوا**) وعَدلُوا (**عَنْ وِجْهَتِهِم**) الّتي قَصدُوها (**ونَكصُوا**) ورَجعُوا (**علىٰ أَعقابِهمْ**) في عَـهد الجـاهلّية (**وتَوَلَّوا علىٰ أدبارِهِم وعَوَّلُوا**) وإعـتمدُوا (**علىٰ أَحسابَهمْ**) وأَنسابَهُم (**إلَّا مَنْ فاءَ**) ورَجَع (**منْ أَهْلِ البَصَائِرِ فَإنَّهُمْ**) أي أهل البَصائر (**فارَقُوكَ بعد مَعْرِفَتِكَ**) وإنّك ضَال مُضل وهَرَبُوا) وفَرُّوا (**الىٰ اللّهِ من مُوَازَرَتِكَ**) ومُـعاضَدتِك (**إذْ حَمَلْتَهُمْ علىٰ الصَّعْبِ وعَدَلْتَ بَهِمْ عَنِ القَصْدِ**) والإعـتدال (**فاتَّقِ اللّهَ يا مُعاوِيَةَ في نَفْسِكَ**) ولا تُـلقِها الىٰ التَّهلكة (**وجاذِبِ الشَّيْطانَ قِيادَكَ**) أي إمنع نَفْسِكَ من مُتابعته (**فإِنَّ الدُّنْيا مُنقَطِعَةٌ عنْكَ**) لا محالة (**والآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ**) بِمَوتك.

◁ الشَرح

▫ **قوله ﷺ: وأَرْدَيْتَ جِيلاً منَ النَّاسِ كثِيراً...**

إختار ﷺ الأرداء علىٰ الإهلاك فقال أَردَيتَ ولم يَقُل أَهلَكتَ لِنكتته و هى أنّ الأرداء الإهلاك الّذي فيه السّقُوط عن مقامٍ شـامخٍ الىٰ مـقام نـازلٍ رَديّ ولذلك فَسّر بعضهم الأرداء بالإهلاك اذا وُجد بِسَبب الإغواء وهـذا بـخلاف الإهلاك فأنّه الإماتة والإفناء كيف كان فَمن قَتَل مُؤمناً فقد أَهلَكَه مـع أنّـه لم يسقط عن مقامه بل تَرّقىٰ الىٰ مقام الشّهادة، يُقال فلان تَردىٰ اذا سَـقط فـي جَهَنم ثمّ أنّ الإداء قد يُطلق ويُراد به القَتل كما اذا قَتلت شخصاً وقـد يُـطلق ويُراد به قَتل دينه وشَرَفَه كما اذا أَضلَلت شخصاً في دينه.

وقد يُطلق ويُراد به كلا المَعنَيين معاً وما نحن فيه من هذا القبيل وذلك لأنّ معاوية بِبَغيّه علىٰ الإمام أَردىٰ كثيراً من النّاس أي أَخرَجهم عن دينهُم ودنّياهُم أمّا إخراجهُم عن الدّين فَمعلُوم وأمّا إخراجهُم عن دنياهُم فلأنّه أوقَعهُم في القَتل وخسران الدّنيا وحاصل المعنىٰ أنّك أَهلَكتَ كثيراً من النّاس وأَسقَطتَهُم عن مقام الإنسّانية وأرسَلتَهُم الىٰ دار البَوار.

□ **قوله ﷺ: خَدَعتَهُمْ بِغَيِّكَ وأَلْقَيْتَهُمْ في مَوْجِ بَحْرِكَ تَغْشاهُمُ الظُّلُماتُ وتَتلاطَمُ بِهِم الشُّبُهاتُ...**

شبّه ﷺ معاوية في غَيه وضلالته بالبَحر المَواج وشبّه أتباعه وأصحابه بِمَن يُوقع في المَوج ولا يَقدر علىٰ الخَلاص منه فقال ﷺ: (**خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ**) فقلتَ لهم مثلاً أنّي أُقاتل عليّاً لأنّه قاتل عثمان وقد قال اللّه تعالىٰ:﴿**ومن قُتِلَ مَظلُوماً فَقد جَعلنا لِوَلِّيه سلطاناً**﴾ وإنّا وَلّي الدَّم، أو قلتَ لهم أنّ عَليّاً لا يدفع الينا قتلة عثمان لِنَقتلهم وأمثال ذلك من الأقاويل الّتي لا طائل تحتها وأنت أيضاً تَعلم بكذبها، وقد عَبّر ﷺ عن هذه الأقاويل بِالخُدعة للإشارة الىٰ أنّ غرض معاوية شيء آخر وهو الحكُومة إلّا أنّه جَعَل هذه الأقوال وسيلة وسَبباً للوصُول اليها ولا نعني بالخُدعة إلّا هذا وفي قوله ﷺ: **بِغَيِّكَ** إشارة إلىٰ أنّ العلّة والمَنشَأ لهذه الخدعة هو الغَي والضَلالة فأنّ مَن يُؤمن باللّه واليوم الآخر لا يخدع أحداً في دنياه فَضلاً عن دينه ثمّ قال ﷺ: و**أَلْقَيتَهُم** الىٰ آخر ما قال أي أنّك بعد الخُدعة أَلقَيتَ النّاس في مَوج بحر الضَلالة تَغشاهم وتَستَرهم في البحر ظُلمات جهلك وتتلاطم بهم شُبهات غَيّك.

□ **قوله ﷺ: فَجازُوا عَنْ وِجهَتِهم ونَكصُوا علىٰ أعقَابِهمْ وتَوَلّوا علىٰ أَدْبارِهِم وعَوَّلُوا علىٰ أَحسابِهم ...**

أي فَعَدلُوا وتَعدّوا عن وِجهَتهم أي عن جهة قَصدهم فأنّهم كانُوا يَقصدُون حقّاً فَأغواهُم معاوية وأَوقَعهُم في طريق الباطل ﴿**ونَكصُوا علىٰ أعقَابِهُم**﴾ أي رَجَعُوا الىٰ عَهد الجاهلّية ﴿**وتَوَلّوا علىٰ أدبارِهِم**﴾ بعد الإسلام وعَوّلُوا واعتَمَدوا علىٰ أَحسابِهمْ وشرف قَبائلهُم فَتَعصّبُوا تعصّب الجاهلّية ونَبذُوا الحقّ وراء ظهورهُم وفي قوله نَكصُوا إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ**﴾ (١)

و: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ**﴾ (٢) ولا شك أنّ الرّجوع الىٰ الكُفر

١- المؤمنون -٦٦ ٢- الانفال -٤٨

بعد الإسلام أَقبَح من البقاء علىٰ الكُفر وحيث أنّهم أَسلَمُوا ظاهراً ثمّ رَجَعُوا الىٰ ما كانُوا عليه قبل إسلامهِم عَملاً فإستَحَقّوا بذلك الذّم كما قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْنَ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ (1)

و: ﴿ لقد كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعقابِكُمْ تَنكِصُونَ) (2)

و: ﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ) (3) وفي قوله ﷺ وتَوَلَّوا علىٰ أَدبارهِم أي أَعرضُوا عن الحقّ ورَجَعُوا الىٰ الباطل وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاعَلَىٰ أَدْبَارِهُمْ نُفُوراً﴾ (4)

و: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾ (5)

وفي قوله ﷺ: وعَوَّلُوا علىٰ أَحسابِهِمْ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿بَل قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاءَبَآءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُهْتَدُونَ﴾ (6)

و: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا﴾ (7)

و: ﴿وقَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا﴾ (8) ووَجه الذّم في التّعويل علىٰ الأحساب أنّ الإسلام أَمحىٰ رسُوم الجاهلّية فمن أَحياها في الإسلام فكأنّما أَحيىٰ الكُفر فيه والكُفر والإسلام لا يَجتمعان وأمّا الأعراب فكانُوا يَفتَخرُون بآبائهم وأجدادهم وكأنّ هذا الفَخر كان من سَجّيتهم وجِبلّتهم وذلك لما نَراهم الآن أيضاً كذلك وأشعارهم في صدر الإسلام تُنادي بهذه الرّذيلة كما قال قائلهُم:

وأنّي من القوم الّذين هُمُ هُمُ
اذا مات منهم سيّدٌ قام صاحبه

1- آل عمران ـ 144
2- المؤمنون ـ 66
3- آل عمران ـ 149
4- الاسراء ـ 46
5- الفتح ـ 22
6- الزّخرف ـ 22
7- المائدة ـ 104
8- لقمان ـ 21

نـــجُوم ســـماءٍ كـــلّما غـاب كَـوكبُ

بـــداكـــوكبٌ تأوي اليـــه كـواكـبه

أضـــاءَت لهـم أحســابهُم ووجــوهَهُم

دجـىٰ اللّـيل حـتّى نـظّم الجـزم ثـامته

ومـــازال فـــيهم حـيث كـان مُسَـوداً

تَسـير المَـنايا حـيث سـارت رَكـائبه

وقال الآخر:

لقد فاخَرتنا من قُرَيش عصابةٌ بمطّب خدودٍ وإمتداد أصابع

فلمّا تنازعنا الفخار قضىٰ لنا عليهم بما نهوىٰ نداء الصّوامع

ولآخر:

أنّ القـبائل مـن قُـرَيش كـلّها ليَـرون أنـاهام أهـل الأبـطح

وترىٰ لنا فضلاً علىٰ ساداتها فضل المنار علىٰ الطّريق الأوضح

وقال المرواني:

ألسنا بني مروان كيف تَبدّلت بنا الحال أو دارت علينا الدّوائر

اذا وُلد المَـولُود مـنّا تَـهلّلت له الأرض وإهتَزَّت اليه المنابر

ولأجل ذلك ذَمّهم اللّه في كتابه حيث قال: **﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾** وأمّا المُسلِم فيقول:

أَبـي الإسلام ولا أَب لي سواه اذا افـتخروا بـقيسٍ أو تـميمِ

ومِمّا نُسب الىٰ علّي عليه السلام:

لاتَـقل أَصـلي وفَـصلي أبـداً أنّما أَصل الفتىٰ ما قد حَصَل

والأشعار والحكايات في الباب كثيرة وقُبح هذه الصّفة ممّا لا يحتاج الىٰ مزيد بيان.

□ **قوله عليه السلام: إلّا مَن فاءَ منْ أهْلَ البَصائِرِ فإنَّهُمْ فارَقُوكَ بغْدَ مَعْرفتِكَ وهَرَبُوا إلىٰ اللّه من مُوازرتِك ...**

أي إلّا من رَجَع من الباطل الىٰ الحقّ من ذوي البّصيرة في الدّين فأنّهم أي أهل البَصيرة فارَقُوك وتركُوك بعد معرفتهم أيّاك وَهَرَبُوا وفَرّوا إلىٰ اللّهِ تعالىٰ من مُعاضدتك، فقوله ﷺ إلاّ من فاءَ مأخوذ من الآية الشّريفة: **﴿فَإِنْ فَآءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (١)

و: **﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾** (٢) ومن قوله ﷺ وَهَربوا الىٰ اللّه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** (٣)

ومن المعلوم أنّ الهَرب والفِرار الىٰ اللّه تعالىٰ لا يكون إلّا في مَوردٍ لا يَصّح الفرار الىٰ غيره تعالىٰ بمعنىٰ إنّ غير اللّه تعالىٰ لا يقدر أحدٌ علىٰ نجاته كما اذا وَقع الإنسان أسيراً للشّيطان ولأجل هذا أُمرنا بالإستعاذة منه فنقول أعُوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم، والإستعاذة هي الفَرار منه اليه فقوله ﷺ وهَرَبُوا الىٰ اللّهِ إشارة الىٰ أنّ معاوية كان شيطان الإنس لا يمكن التّخلص منه إلّا بالهَرب اليه تعالىٰ كما قال الشّاعر:

هَـربتُ الىٰ المُهيمن مـن أُنـاسٍ   يَـرون الرّفـض حُبّ الفـاطّمية

▫ **قوله ﷺ: إذ حَمَلْتَهُمْ علىٰ الصَّعْبِ وعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ القَصْدِ ...**

تعليل لمفارقتهم أيّاه وهَربهم منه الىٰ اللّه وحاصله أنّك حَمَلْتَهُمْ علىٰ الصَّعْبِ وهو ترك الدّين ومُتابعة الشّيطان ومُخالفة الإمام وعَدَلت بهم أي جاوزتَهم عن الإعتدال وجعلتهم في طريق الضّلال ومن المعلُوم أنّ الخروج عن الدّين وإشتراء رضا المخلوق بسخط الخالق أمرٌ صَعب بل لا شئ أَصعَب وأشّق منه.

▫ **قوله ﷺ: فاتَّقِ اللّهَ يا مُعاوِيَةَ في نَفْسِكَ وجاذِبِ الشَّيْطانَ قِيادَكَ فإنَّ الدُّنيا مُنْقَطِعَةٌ عنْكَ والآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنكَ...**

ثّم حذّرَه فقال إتّق اللّه يا معاوية في نفسك ولا تَجعَلها مكاناً للشّيطان بَل

١- البقرة ـ٢٢٦   ٢- الحجرات ـ٩
٣- الذّاريات ـ٥٠

جاذبه قِيادك، والقِياد بكسر القاف مصدر قولك قاد يَقود قَوداً وقِيادةً وقِياداً والقياد ما تُقادُ به الدّابة وقد يُعبّر عنه بالذّمام والمعنىٰ اذا جذبك الشّيطان بهواك فجاذبه أي إمنع نفسك من متابعته وبعبارةٍ لا تكن كالدّابة يَقودك الشّيطان حيث شاء وأراد فأنّ الدّنيا مُنقطعة عنك، والآخرة قريبة منك والعاقل لا يأخذ بما لا بقاء له ولنِعم ما قيل:

حقيقٌ بالتّواضع من يَموت — وحَسب المرء من دُنياه قوتٌ
فما للمَرء يُصبح ذا إهتمام — وشغل لا يقوم له النّعُوت
ضيّع مَليكنا حسنٌ جميلٌ — وما أرزاقنا ممّا تفوتُ
فيا هذا مُسترحَل عن قريبٍ — الىٰ قومٍ كلامهُم السّكُوت

ومن كتاب له عليه السلام (٣١)

الىٰ قثم ابن العبّاس وهو عامله علىٰ مكّة

▫ قوله عليه السلام: أَمّا بَعْدَ فإِنَّ عَيْنِي بالمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ وُجِّهَ علىٰ المَوْسَمِ أُناسٌ منْ أَهْلِ الشَّامِ. الْعُمْيِ الْقُلُوبِ الصُّمِّ الأَسْمَاعِ الْكُمْهِ الأَبْصَارِ الّذينَ يَلْتَمِسُونَ الحَقَّ بالْباطِلِ ويُطِيعُونَ المَخْلُوقَ في مَعْصِيَةِالخالِقِ ويَحْتَلِبُونَ الدُّنْيا دَرَّها بالدِّينِ ويَشتَرُونَ عاجِلَها بآجِلِ الأَبْرَارِ والمُتَّقِينَ ولَنْ يَفُوزَ بالخَيرِ إِلاَّ عَامِلُهُ ولا يُجْزىَ جَزَاء الشَّرَّ إِلَّا فاعِلُهُ فأَقِمْ علىٰ ما فِي يَدَيْكَ قِيامَ الحازِمِ الصّلِيبِ والنَّاصِحِ اللَّبِيب والتَّابعِ لِسُلطَانِه المُطِيع لإِمَامِه وإِيَّاكَ وما يُعتذَرُ مِنهُ ولا تَكُنْ عِنْدَ النَّعماء بَطِراً ولا عِنْدَ البَأسَاءِ فَشِلاً والسَّلاَمُ.

◁ اللغَة

(العَين) الجاسُوس أيِ أميني الّذي يخبرنّي عن الأمُور (المَوْسَمِ) الحَجّ أو وَقتَه (أُناسٌ) جمع الإنس وهو البَشر وقيل غير الجّن والملاك (العُمْي) بضّم العين جمعُ عَمياء (الصُّمِّ) بضّم الصّاد جمع صَمّاءٍ (الْكُمهِ) جمع كَمهاء وهو مصدر أَكَمه يقال كَمه بصره أي عمي أو صار أعشىٰ (يَحتَلِبُونَ) الإحتلاب طلب الحَلب يقال حَلَب الشّاة اذا أخرج ما في ضرعها من اللّبن وعليه فالإحتلاب طلب الضّرع (دَرَّها) الدَرّ بفتح الدّال وتشديد الرّاء اللّبن (الحازِم) فاعل من حَزَم يحزم اذ أضبط أمره وأحكَمه وأخَذَ فيه بالثِّقة (الصِّليبِ) الشّديد (اللَّبِيبَ) العاقل (بَطِراً) البَطِر بفتح الباء وكسر الطاء شدّة الفَرح مع ثقةٍ بدوام

النّعمة (**البَأسَاءِ**) الشّدة والمشّقة كما أنّ النّعماء الرّخاء والسّعة (**فَشِلاً**) الفَشل العجز والضّعف .

◁ **المعنىٰ**

(**أمَّا بَعْدَ**) الحمد والثناء عليه تعالىٰ (**فإنَّ عَيني**) ومن عليه إعتمادي (**بالمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ وُجِّهَ**) من قِبل معاوية (**علىٰ المَوْسِمِ**) وقت الحجّ (**أُناسٌ من أهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ**) فلا يفقهون بها (**الصُّمَّ الأَسْمَاعِ**) فلا يسمعون بها (**الْكُمهِ الأَبْصَارِ**) فلا يبصرون بها (**الّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الحَقَّ**) ويطلبونه بزعمهم (**بالْبَاطِلِ**) أي بسبب الباطل (**ويُطِيعُونَ المَخْلُوقَ**) وهو معاوية في المقام (**في مَعْصِيَةِ الخالِقِ**) وهو اللّه (**ويَحْتَلِبُون الدُّنْيا**) ويستخلصونها (**دَرّها**) أي منافعها (**بالدِّينِ**) بسببه (**ويَشتَرُونَ عاجِلَها**) عاجل الدّنيا (**بآجِلِ الأَبْرَارِ والمُتَّقِينَ**) أي بآخرتهم (**ولَنْ يَفُوزَ**) ولَن يصل (**بالخَيرِ**) أبداً (**إلَّا عَامِلُهُ ولا يُجْزَىٰ جَزَاء الشَّرِّ**) في الآخرة (**إلَّا فاعِلُهُ**) أي فاعل الشّر (**فأقِمْ**) وأثبت (**علىٰ ما فِي يَدَيْكَ**) من الحكُومة وما يتبعها (**قِيامَ الحازِمِ الصّلِيبِ**) أي كقيام المُواظب الشّديد (**والنّاصِحِ اللَّبِيبِ**) أي كقيام النّاصح العاقل (**والتّابعِ لِسُلْطَانِه.المُطِيعِ لإمَامِه**) أي كقيام التّابع المُطيع (**وأيَّاكَ وما يُعْتَذرُ مِنْهُ**) أي إحذر من فعل تحتاج الى الإعتذار عنه (**ولا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْماءِ بَطِراً**) شديد الفَرح (**ولا عِنْدَ البَأسَاءِ**) والشدّة (**فَشِلاً**) أي ضعيفاً عاجزاً.

◁ **الشَرح**

▫ **قوله** ﷺ **أمَّا بَعْدَ فإنَّ عَيني بالمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ وُجِّهَ علىٰ المَوْسَمِ أُناسٌ منْ أهْلِ الشَّامِ ...**

إعلم: أنّ هذا الكتاب كَتبه ﷺ الىٰ ابن عمّه قثم بن العبّاس بن عبد المطّلب وكان والياً من قِبَله على مَكّة وهو أخو عبد اللّه بن العبّاس وعُبيد اللّه بن العبّاس وكان عبد اللّه والياً علىٰ البَصرة وعُبيد اللّه والياً علىٰ اليَمن هذا ما فَعَله

أمير المؤمنين بأولاد العبّاس في حكومته ولأجل ذلك لمّا وَصَلت نوبة الحكُومة اليهم فَعَلوا بأولاد علّي ما فَعَلوا من الحَبس والقَتل والضّرب والجَرح فَظَهر صدق قوله عليه السلام في بعض كلماته كما يأتي في كلمات القِصار، إتّق شَّر مَن أحسَنتَ اليه كَتَب اليه أمّا بَعْدَ فأنّ عَيني أي من يُخبَرني عمّا يقف عليه وقد يُعبّر عنه بالجاسُوس، بالمَغرب أي مغرب الأرض كَتَب أنه وُجّه وأُرسِل من معاوية على المَوسم ووقت الحجّ (أُناسٌ منْ أهْلِ الشَّامِ) أي أفراد من البَشَر لَم يسّم بأسماءهم تحقيراً لهم ومشعراً بأنّهم لا يليقون بأسم الإنسان.

وَصَف عليه السلام الأُناس بأوصاف ثلاثة هي مَنشأ الرّذائل ومَبدأ الخبائث بحيث أن وُجدت في شخصٍ لا ينبغي إطلاق إسم الإنسان عليه فأنّ الإنسانية تدور مدارها وجوداً وعَدماً:

أحَدها: العُمي القلوب، وهو كناية عن عدم بَصيرتهم كما قال اللّه تعالى:﴿**ولكن تَعْمَي الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾(١)

و : ﴿**ولَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾(٢)

و : ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾(٣)

و : ﴿**وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَفْقَهُونَ**﴾(٤)

وقد مرّ الكلام في القلب ومعناه وآثاره:

وثانيهما: الصُمّ الأسماع – وهو كناية عن عدم لياقتهم إستماع الحقّ والعَمل به لأنّهم لا يسمعون واقعاً اذ من كان كذلك لا تكليف له من هذه الجهة وحيث أنّ كثيراً من النّاس يسمعون ولا يترتّبون الأثر على إستماعهم فكأنّهم لا يَسمعُون وذلك لعدم الفرق بين عدم السَمّع ووجوده اذا لَم يكن هناك أثَر مُترتبٌ عليه اذ ما لا أثَر له فكأنّه لا وجود له أو وجوده وعَدمه سيّان ولذلك ترىٰ في كثير من الآيات عُبّر عنهم بعَدم الإستماع مع وجُود الحاسّة فيهم قال

١- الحجّ ـ٤٦
٢- الاعراف ـ١٧٩
٣- محّمد ـ٢٤
٤- التّوبة ـ٨٧

اللّـه تـعالىٰ فـي كـتابه فـي شأن هـذه الطّـائفة:﴿ونَـطْبَعُ عَـلىَ قُـلُوبِهِمْ فَـهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ (١)

و : ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (٢)

و : ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ (٣)

و : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْيَعْقِلُونَ﴾ (٤)

و : ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَسْمَعُوا﴾ (٥)

وثالثها: الكُمه الأبصار وهو كناية عن عدم رؤيتهم الحقّ وترتيب الآثار عليه لأنّهم لا يَبصرُون واقعاً فهم يُبصرون ولكن بلوازم الأبصار لا يلتزمُون ومن كان كذلك فكأنّه لا يَبصر وبعبارةٍ أُخرىٰ هو والأعمىٰ من هذه الجهة لا فرق بينهما ولذلك وَرد في ذمّ هذه الطّائفة.

أيضاً ما وَرد في القرآن - قال تعالىٰ:﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ (٦) وقال: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ (٧) وغيرها من الآيات:

والسِرّ العلمي في الكلّ هو أنّ الغرض من إيجاد السّمع والبَصر والقَلب بل وغيرها من الاعضاء والجَوارح في بدن الإنسان ليس مجّرد إظهار الخّالقية والقدرة وحُسن الصُّنع من اللّه تعالىٰ بل الغَرض الأصلي في إيجادها تَرتب الآثار المَطلُوبة منها عليها فَمُطلق الأثر لا يكفي في المقام بل المَطلُوب أثرٌ خاصّ مُترتب علىٰ الإدراك وذلك لأنّ الأثر المُترَتب عليها علىٰ قسمين عامّ، وخاصّ:

ونعني بالعامّ مَطلق الأثر كالرّؤية للبَصر والإستماع للسّمع والإدراك للقَلب والشّم للشّامة واللّمس لِلّامسة والذّوق لِلذائقة والحَركة لليد والرّجل وهكذا وأنّما عَبّرنا عنها بالأثر العامّ لأنّ هذا الأثر لا يَختّص بالإنسان بل هو مُشترك بينه

١- الاعراف ـ ١٠٠
٢- الاعراف ـ ١٧٩
٣- الانفال ـ ٢١
٤- الفرقان ـ ٤٤
٥- الاعراف ـ ١٩٨
٦- الاعراف ـ ١٧٩
٧- الاعراف ـ ١٩٨

وبين الحيوان فأنّ الحيوان يبصر ويسمع ويدرك وهكذا فلو كان الغرض من إيجادها في الإنسان ترتب هذه الأثار عليها فلا فضل للإنسان على الحيوان بل نقول أنّها في أكثر الحيوانات أكمل وأدّق منها في الإنسان كما ثبت في محلّه:

ونعني بالخاصّ ما يترتب على هذه الأثار المُطلقة العامّة من التّفكر والتّدبر فيها ثمّ العَمل بِمُقتَضاه وهذا هو المُميز(المايز) بين الإنسان والحيوان في المُدرَكات ومن زَعم أنّ الإدراك في الإنسان أكمل وأفضل من الإدراك في الحيوان فقد أخطأ خَطأً فاحشاً فأنّ الإدراك بما هو هو لا فرق فيه بينهما لو لم نقل بكونه أكمل في أكثر الحَيوانات من الإنسان بمراتبٍ كثيرة.

بل الفَرق بين الإدراكين في الأثر المُرتب على الدّرك فالحَيوان يدرك ولا غير والإنسان يدرك ثمّ يَجعل ما أدرَكَه في ميزان التّعقل والتّفكر والتّدبر ثمّ ينتج منه نتيجة كلّية فيها خَيّره أو شرّه وهذا هو المُراد بِقَولهم الإنسان يدرك الكلّيات بخلاف الحَيوان فأنّه لا يَدرك إلّا جُزئياً، فالمعنى أنّ الإنسان يَدرك الكلّيات من طريق الجُزئيات والحَيوان لا يَقدر عليه اذا عَرفت هذا، فإعلم أنّ شرف الإنسان ليس بوجود هذه القوى فيه ولا بما يَدركه بها في بَدو الأمر بل شَرفه وفَضيلته في إرجاعه الإدراكات الى العاقلة الصّحيحة المَصُونة عن الوَسائس المَحفُوظة عن شوائب الأوهام والخيالات الباطلة حتّى يَتوصل بذلك الى كماله المُترتب ولذلك ترى اللّه تعالى في كثير من الآيات رَغّبه وحَرّصه على التّفكر والتّدبر ونَهاه عن تَركه.فقال في التّعقل:﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(١)

و : ﴿**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(٢)

و : ﴿**ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(٣)

و : ﴿**وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾(٤)

١- البقرة ـ ٢٤٢
٢- آل عمران ـ ١١٨
٣- الانعام ـ ١٥١
٤- الانعام ـ ٣٢

و: ﴿ويَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (١)

وقال في التّدبر: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢)

و: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (٣)

و: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَائَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾ (٤)

وقال في التّفكر: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥)

و: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ والْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦)

و: ﴿وتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٧)

و: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٨)

و: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٩) والآيات كثيرة.

فهذه الآيات وأمثالُها تُنادي بأعلىٰ صَوتها أنّ الغَرض الأصلي من إيجاد الباصرة والسّامعة وغيرهما الإدراك أوّلاً والتّدبر والتّفكر ثمّ التّعقل ثانياً فمن أَدرك أوّلاً ثمّ غَفل عن التّدبر والتّأمل في ما أدركه فكأنّه لَم يدرك أصلاً وهذا هو السِّر في سَلب الإبصار والإدراك في الآيات بالنّسبة الىٰ بعض الأشخاص فافهم ذلك.

وحيث أنّ معاوية وأصحابه ومن يَحذُو حَذوَهُم في زماننا هذا الىٰ يوم القيامة لم يَفقهُوا بقلُوبهم ولم يَسمعُوا بأسماعِهم ولَم يَبصروا بأبصارهم بمعنىٰ أنّهم لَم يَترتبُوا علىٰ إدراكاتهم الظّاهرية من الأثار ما يَنبغي أن يَترتب عليها فَكأنّهم كانُوا فاقدين للقَلب والسّمع والبَصر لوجود المَلاك فيهم فَصَح أن يُقال لهم عُمي القلُوب صُمّ الأسماع كُمه الأبصار ومَن أَعمىٰ قَلباً مِمّن لَم يَتفقه في

١- يونس ـ ١٠٠
٢- محمّد ـ ٢٤
٣- ص ـ ٢٩
٤- المؤمنون ـ ٦٨
٥- البقرة ـ ٢١٩ و٢٦٦
٦- الانعام ـ ٥٠
٧- الحشر ـ ٢١
٨- آل عمران ـ ١٩٠ و ١٩١
٩- الاعراف ـ ١٧٦

دينه ولَم يُفرق بين علّي ومُعاويةٍ وهو يرىٰ بعينيه وبصره أعمالهما ويَسمع نِدائهما وهذا هو الّذي قال اللّه تعالىٰ في حقّه: ﴿**أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُم أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (١)

▫ **قوله ﷺ:الّذينَ يَلْتَمِسُونَ الحَقَّ بالْباطِلِ ويُطِيعُونَ المَخْلُوقَ في مَعْصِيَةِاالخالِقِ ويَحْتَلِبُونَ الدُّنْيا دَرَّها بالدِّينِ ويَشتَرُونَ عاجِلَها بآجِلِ الأَبْرَارِ والمُتَّقين..**

فكأنّه قيل له ﷺ ما الدّليل علىٰ كونهم عُمي القلُوب وصُمّ الأسماع وكُمه الأبصار مع أنّا نعلم أنّ لهم قلُوب وأسماع وأبصار مُدركة، فقال ﷺ في الجواب ما حاصله أنّ الدّليل علىٰ وجود الأوصاف فيهم أُمورٌ أربعة كلّما تُوجد في حقّ أيّ شخصٍ من الأشخاص دلّت علىٰ وجود الأوصاف السّابقة فيه.

أحدها قوله ﷺ: **يَلْتَمِسُونَ الحَقَّ بالْباطِلِ**، وذلك لأنّ الحقّ لا يُلتَمس إلّا بالحقّ والباطل بالباطل فأنّ الحقّ والباطل لا يَجتمعان بمعنىٰ أنّ وجود أحدهما ينفي وجود الآخر وأهل الشّام كانُوا كذلك أي كانُوا يَطلبُون الدّين بالكُفر والعَدل بالظّلم والحقّ بالباطل أعني مُعاوية فمن تبع الشّيطان كيف يصل الىٰ الحقّ وأنّما قال ﷺ: **يَلتَمسُون الحَقّ** لأنّهم لَم يَدّعوا الكُفر بل كانُوا يَدّعون الإسلام إلّا أنّهم أخطأوا في طريق الوصول اليه ولَم يعلمُوا أنّ ما أخذوا به هو طريق جهنّم.

ثمّ أنّ في هذا الكلام إشعار بأنّ الحقّ لا يُدرك إلّا به كما أنّ الباطل أيضاً لا يُدرك إلّا به وهو رّدٌ علىٰ بعض المسالك المُستحدثة في عصرنا فأنّها بُنيت علىٰ أصل فاسدٍ وهو أنّ المَقصد والهَدَف يُوجّه السّبب والوسيلة المُوصلة اليه فعلىٰ هذا المَسلَك المقصُود الأصلي أخذَ النّتيجة بأيّ سببٍ كان وأنت خبير أنّ العقل لا يساعده فيما اذا كان،المَقصَد والمَطلوب حقّاً فأنّ الوصُول اليه لا يكون إلّا من طريق الحقّ ولا توجيه في المقام أصلاً وأمّا المقاصد الباطلة فلا كلام لنا فيها.

١-الاعراف - ١٧٩

وثانيها قوله ﷺ: **وَيُطِيعُونَ المَخْلُوقَ في مَعْصِيَةِالخالِقِ**، أي أنّهم يعصون اللّه لرضاية المخلوق فيقدّمون رضاية المخلوق على رضاية الخالق وأنت ترىٰ أنّ من كان كذلك فهو في الحقيقة عبدٌ للمخلوق لا للخالق فأجره علىٰ من أطاعه وعبَده وهم الّذين قال اللّه تعالىٰ في حقّهم: **﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾** (١)

و: **﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾** (٢)

و: **﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾** (٣)

و: **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾** (٤)

قال أبو عبد اللّه ﷺ **إتّقوا اللّه وإعملوا له فأنّه من يَعمل لِلّه يكن في حاجة ومن يعمل لغير اللّه يَكِله اللّه الىٰ من عمل له انتهىٰ» مشكاة الانوار ص ٣١١»...**

ثمّ أنّ المُراد بالمخلوق معناه العامّ فيشمل هَوىٰ النَفس لأنّ النّفس أيضاً مخلوقة له تعالىٰ فَمن أطاعها فقد أطاع المخلوق والحاصل أنّ الطّاعة والإنقياد لِلّه تعالىٰ ومَن أمَر اللّه بوجوب الطّاعة له الأنبياء والأوصياء وأن كانت الطّاعة لهم الىٰ طاعته فمن أطاعهم أَطاع اللّه ومن عَصاهم عَصىٰ اللّه فَمّجَرد الطّاعة لا إشكال فيه بل الإشكال في الطّاعة الّتي تُوجب مَعصية الخالق وهو ظاهر لا خَفاء فيه.

وثالثها قوله ﷺ: **وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيا دَرَّها بالدِّينِ** ، أي يَجعَلُون الدّين وسيلة وسَبباً للوصُول الىٰ الدّنيا ثمّ بعد الوصُول اليها يَستَخلصُونها لأنفسهم كما يَحتلب لَبَن الشّاة حالبها لنفسه، شبّه ﷺ الدّنيا بالشّاة ومنافع الدّنيا بِلَبَن الشّاة وطالب الدّنيا بحالب الشّاة أي من أراد ضَرع اللّبَن ووجه الشّبه ظاهر إلّا أنّ

١- البقرة-١٦
٢- هود-٢١
٣- هود-٢٢
٤- الكهف-١٠٣

استخلاص الدّنيا والإستفادة منها يتّصور علىٰ وَجهين:

أحدهما: الوصُول اليها بالأسباب الموجودة فيها من التّجارة والصّناعة والزّراعة وغيرها من الحِرَف الّتي تُوجب البلُوغ الىٰ نعم الدّنيا في أكثر المَوارد وهذا القسم وأن كان مذمُوماً اذا كان تَحصيل الدّنيا للدّنيا فأنّه يدّل علىٰ حُبّها وحُبّها رأس كلّ خَطيئة إلّا أنّ الكلام ليس فيه في المَقام وقد مرّ الكّلام فيه غير مرّةٍ فيما مَضىٰ في ذمّ الدّنيا وحُبّها.

وثانيهما: الوصُول الىٰ الدّنيا بغير طُرقها المُعّدة له بل بالدّين بمعنىٰ أنّ الإنسان جَعل دينه وسيلة وسبباً لِتَحصيل الدّنيا والتّنعم بما فيها فهذا هو الدّاء المُعضل الّذي لا دواء له الاّ بتَوفيقٍ من اللّه تعالىٰ والإستمداد من ألطافه وهذا هو الّذي أشار عليه السلام اليه في كلامه ولاشك أنّه أقبح من الأوّل بمراتب كثيرة ونحن نُشير الىٰ بعضٍ منها:

أحدها: أنّ هذا العَمَل إهانة بالدّين وتَحقيرٌ له وذلك لأنّ الدّين جُعل في طريق الوصُول الىٰ الدّنيا فالدّنيا صارت مطلُوبة والدّين سببٌ ووسيلة لها ولاشك أنّ المَقصد دائماً يكون أشرف وأفضل من السَّبَب ولازم ذلك كون الدّنيا أَشرف من الدّين وأيّ تَحقيرٍ للدّين أعظم منه وهذا معنىٰ قولنا أنّه إهانة بالدّين والإهانة به إهانة باللّه تعالىٰ

وثانيهما: أنّه يُوجب تَشويه وَجه الدّين في أنظار العوامّ ولازمة قلّة إعتناقهُم بالدّين لو لَم يَتركُوه بالمَرة وذلك المعنىٰ في حقّ العُلَماء أَعظَم لو كانُوا كذلك اذ أعمالهُم وأَقوالهُم حُجّة عند العوام ولذا وَرَد في حقّهم فإتهّموه علىٰ دينه.

وثالثها: أنّه من علائم النّفاق وقد ثَبت أنّ ضَرر المُنافق في الدّين أَكثر من ضَرر الكافر ووجه كونه من النّفاق ظاهر لأنّه يقول بالدّين ويَطلب الدّنيا به وغير ذلك من الوجوه المُحتَملة ثمّ أنّ في قوله عليه السلام: **ويَحتَلبُون** إشارة الىٰ نقطةٍ دقيقة وهي أنّ المَوصُوفين بهذه الصّفة بعد بلُوغهم ما أرادوه أعني به الدّنيا

يَستَخلصُونها لأنفسهم وهو إشعار بشدة علاقتهم بها بحيث لا يَتركُونها فهُم أشدّ حُبّاً لها من غيرهم ممّن يطلبها بها.

و رابع: الأقسام قوله ويَشتَرون عاجلها بآجل الأبرار والمُتّقين، أي يَشتَرون الدّنيا بالآخرة والشّقاوة بالسّعادة والفاني بالباقي والنّار بالجنّة أولئك الّذين قال اللّه تعالىٰ فيهم:﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ (١)

و : ﴿**بَلْ تُؤْثِرونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**﴾ (٢)

و : ﴿**فَأَمَّا مِن طَغَىٰ وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**﴾ (٣) وهذه الأوصاف الأربعة المَذكُورة لو إجتَمَعت في شخصٍ أو أشخاص فلا شك أنّه مُصّداق لقوله تعالىٰ: (**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾ (٤)

□ **قوله ﷺ: ولَنْ يَفُوزَ بالخَيرِ إلاَّ عَامِلُهُ ولا يُجْزىَ جَزَاء الشَّرِّ إلَّا فاعِلُهُ ...**

كلمة (**لَن**) تفيد التّأبيد في النّفي وهذا هو الفَرق بينها وبين إخواتها من الحروف النّافية وأنمّا أتىٰ ﷺ بها في المَقام دون إخواتها إشعاراً بأنّ عَدم الفَوز والفَلاح أبَدّي دائمّي لِمَن لا يَعمَل به ولا يَختَص بوقتٍ دُون وقتٍ.

وأنّما قال ﷺ: **في الخَير**، عامله، وفي الشّر فاعله لِنُكتتهِ خَفيت علىٰ الشّراح فأنّهم إعتَقدوا أنّ الغَرض عَدم التّكرار وليس كذلك، وهي أنّ العَمَل أخصّ من الفعل فأنّ العَمَل هو الفعل الصّادر من فاعله بقصدٍ وإرادة وأمّا الفعل فلا يُشترط فيه القَصد والإرادة وأن شئت قلت العَمَل مسبوق بالإختيار والفعل أعمّ منه وحيث أنّ الخير لا يصدر من صاحبه إلّا بالقصد والإرادة فقال ﷺ: **عامله** وأمّا الشّر فقد يكون كذلك وقد لا يكون فقال ﷺ: **فاعله ولأجل هذا** ينسبُون الفعل الىٰ الإنسان والحيوان والجّماد وأمّا العَمَل فلا ينسبُونه الىٰ غير الإنسان: قال اللّه تعالىٰ:(**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ (٥)

١- الرّوم ـ٧
٢- الاعلىٰ ـ١٦
٣- النّازعات ـ٣٨
٤- البقرة ـ١٨
٥- الاحقاف ـ١٩

و: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١)

و: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٢) ولنعم ما قيل بالفارسية:

اهل دِل شو یا که بنده اهل دِل
ورنَه هم چون خَر فرو مانی بگِل
هرکه را دِل نیت او بی بهرة است
در جهان از بی نوائي شهرة است
رو بأسفل دارد او چون گاو وخر
نیستش کاري بجز از خواب وخور
حقّ همي گويد كه ايشان في المَثل
هم چو گاوَند وچه خر بل هم أضل

وحيث أنّ الإنسان لا يخلوا عَمَله في الدّنيا من خيرٍ أو شّرٍ فلا محالة يكون إمّا فائزاً بالخيرات أو طالحاً بالشّرور والآفات فأن إختار الدّنيا وإتّبع هواه فهو من أولياء الطّاغوت وأن إختار الآخرة وعَمِل صالحاً فهو من أولياء اللّه الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون:

تو همای دَولتي اي مُمتحن
چند جوئي جيفة چون زاغ وَزَغن
شاهباز دست سلطاني چرا
در جهان باشي چو بُومان بي نوا
این دِه وسرانة با جغدان گذار
كُن بقاف قرب چون عنقا گذار

١- غافر-٤٠

٢- الزلزال-٨

با گدايان كم نشين شاهي طَلب
غافلي بگذار وآگاهي طَلب
از فلك چون هست قدر تو فزون
پس چرا بردست شيطاني زبون
اين دُو روزه عمر را فرصت شمار
هان مشو از دوست غافل زينهار
هر چه آن اينجا نياوردي بدست
تانه پنداري دِلا آنجات هست

▫ **قوله ﷺ: فأَقِمْ علىٰ ما فيَ يَدَيكَ قِيامَ الحازِمِ الصّلِيبِ والنّاصِحِ اللَّبِيبِ .والتّابع لِسُلطَانِه المُطِيعِ لإمَامِه ...**

ثُم أمَرَه ﷺ بأمُور أربعة لا بدّ للوالي من القيام بها والمُراعاة لها في الدّولة الحَقّة:

أحدها: الإستقامة والثّبات في حفظه ما في يَديه من أمر الحكومة وأموال المُسلمين وقمع الأشرار والمُفسدين فقال له أقِم علىٰ ما في يَديك قيام الحازم الصّلِب أي كقيام من يثّق بما في يَديه ويَطمئّن به فيحفظه بشدّةٍ لا كقيام من يَضطرب في عَمَله وأنّما قال ﷺ له ذلك لأنّه كان والياً من قِبَل الإمام المعصوم المنصُوص ومن كان كذلك فقلبه مُطمئنٌ بالإيمان فلا يَجوز له الإهمال والمُسامحة في الأمُور.

وثانيهما: قوله والنّاصح اللّبيب، أي فلا تكن غافلاً في حكُومتك عمّا يعمل الظّالمُون فأنّ المؤمن من شأنه أن يكون ناصحاً لَبيباً فِطناً عاقلاً واللُبّ جُوهر العقل وحقيقته الّتي لا يشوبها الوَهم والوَسوَسة والخيال الفاسد ولذلك قال تعالىٰ: **﴿إنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾**(١)

وثالثها: قوله والتّابع لسلطانه، اذ المُتابعة له واجب عقلاً وشرعاً أمّا عقلاً

١- زمر ٩

فمعلوم وأمّا شرعاً فلأنّ إمامه عادل واجد لشرائط الإمامة وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**[1] وعليّ كان في زمانه كرسُول اللّه ﷺ في زمانه في لزوم المُتابعة له:

ورابعها: المُطيع لإمامه، لقوله تعالىٰ: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**[2] وعليّ عليه السلام كان بعد الرّسُول من أُولي الأمر فَوجب إطاعته لِلكلّ ومن عَصاه فقد عصىٰ اللّه.

▫ **قوله عليه السلام: وإِيَّاكَ وما يُعتذَرُ مِنهُ ولا تَكُنْ عِنْدَ النَّعماء بَطِراً ولا عِنْدَ البَأسَاءِ فَشِلاً والسّلاَمُ...**

أي لا تفعل شيئاً يحتاج الىٰ الإعتذار منه ولا تكُن عند النَعْماء بَطِراً أي شديد الفَرَح مُطمئناً بدوام النّعمة ولا أي ولا تكُن عند البأساء والضّراء فَشِلاً ضَعيفاً:

أمّا الأوّل: فلأنّه يدّل علىٰ الجهالة والحماقة فأنّ العاقل لسانه وراء قلبه فهو يتّفكر أوّلاً ثمّ يفعل ثانياً فلا يندم على ما فَعَله أصلاً لكون الفعل منه مسبوقاً بالتّأمل والتّدبر ورعاية المَصلَحَة وأمّا الجاهل فقَلبه وراء لسانه وفِعله فهو يَفعل ويَقول ثمّ يَندَم علىٰ قوله وفعله فلا مُحالة تحتاج الىٰ الإعتذار ومن المَعلُوم أنّ الإعتذار لا يُقبَل في جميع المَوارد واذا كان كذلك فَالأحسن رؤية العقلاء مُضافاً الىٰ أنّ الإعتذار يُوجب الذّلة والحقارة من المُعتَذر بالنّسبة الىٰ مَن يُعتَذر عنه والمؤمن العاقل لا يفعل هذا – چرا عاقل كند كارى كه باز آرد پشيمانى .

وأمّا الثاني: فلأنّه يدّل علىٰ الغفلة عن حقيقة الدّنيا وما فيها والغفلة تُوجب الهلاكة في الدّارين أمّا الغفلة، فلأنّ الدّنيا وما فيها في معرض الفناء فَمَن فَرح بها وإطمّئن بما في يده غَفل عنها ومَن غَفل عنها إعتمد عليها وأَحَبّها وحُبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة ولا نعني بالهلاك إلّا هذا. قال اللّه تعالىٰ: **﴿فَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا**

١- الاحزاب ٢١ ٢- النساء ـ ٥٩

الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ (١)

و : ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ﴾ (٢)

و : ﴿وفَرِحُواْ بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فِي الأَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (٣)

و : ﴿وإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا﴾ (٤)

(وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَيكُمْ﴾ (٥)

وأمّا الثّالث: أعني الفَشل عند البأساء فلأنّه يدّل علىٰ عَدم الرّضا بما قَسمه الحقّ تعالىٰ وهو من ضَعف الإيمان فأنّ المُؤمن في السّراء والرّخاء واحد لعلمه بأنّهما من اللّه لَمصلَحةٍ رأها فيهما ولذلك قال اللّه تعالىٰ:(**لِكَيْلاَ تَاسُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُواْ بِمَا أَتَاكُم**﴾ (٦)

و : ﴿وإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (٧)

و : ﴿والصَّابِرِينَ فِي الْبَأسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ﴾ (٨)

١- الشورىٰ ـ٤٨
٢- الانعام ـ٤٤
٣- الرّعد ـ٢٦
٤- الروم ـ٣٦
٥- الحديد ـ٢٣
٦- الحديد ـ٢٣
٧- الرّوم ـ٣٦
٨- البقرة ـ١٧٧

(٣٢) ومن كلام له عليه السلام

الىٰ محمّد بن أبي بكر،

لمّا بلغه توجده من عَزله بالأشتر عن مِصر ،ثمّ توفىٰ الأشتر في توجهّه

▫ قوله عليه السلام: **أَمَّا بَعْدُ فَقدْ بَلَغَني مَوْجِدَتُكَ من تَسْرِيحِ الأَشْترِ إلىٰ عَمَلِكَ وإنّي لمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ إسْتِبْطاءً لَكَ في اَلجهدَ ولا إزْدِياداً في اَلجَدِّ وَلْو نَزَعْتُ ما تَحْتَ يَدِكَ من سُلْطانِكَ وَلَّيتكَ ما هُوَ أَيْسَرُ عَلْيكَ مؤُنَةً وأعْجَبُ إلَيكَ وِلايَةً .**

إنَّ الرَّجُلَ الّذِي كُنْتَ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كانَ لَنا رَجُلاً ناصِحاً وعلىٰ عَدُوِّنا شَدِيداً نَاقِماً فَرَحِمَهُ اللّٰهُ فَلَقد إسْتَكْمَلَ أيَّامُهُ ولاقَىٰ حِمَامَهُ ونَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ أوْلاَهُ اللّٰهُ رِضْوَانَهُ وضَاعَفَ الثَّوَابَ لهُ فأَصْحِرْ لِعَدُوَّكَ وأمْضِ علىٰ بَصِيرَتِكَ وشَمِّرْ لِحَرْب مَنْ حارَبَكَ وأدْعُ إلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ وأكْثِرِ الاسْتِعانَةَ باللّٰهِ يَكْفِكَ ما أَهَمَّكَ ويُعِنْكَ علىٰ مَا نَزَلَ بكَ إنْ شَاءَ اللّٰهُ.

◁ اللغة

(مَوْجِدَتُكَ) بفتح الميم وكسر الجيم ومعناه التّكدر والغيظ (نَاقِماً) أي كارهاً من نِقَم اذا كَره (حِمَامَهُ) الحِمام بكسر الحاء المَوت (فأَصْحِرْ) أي أبرِز وأظهِر.

◁ المعنىٰ

(أمّا بَعد) الحمد والثناء علىٰ اللّه (فَقدْ بَلَغني مَوْجِدَتُكَ) وتغيّظك (من تَسْرِيحِ الأَشْترِإلىٰ عَمَلِكَ) وهو ولاية مِصر (وأنّي لَمْ أفْعَلْ ذَلِكَ) أي لَم أعزلك

(إسْتِبطاءً لَكَ في اَلجهْدِ) أي ما رأيت منك تقصيراً (ولا إزْدِياداً في اَلجدِّ) أي ما أردت أن أعاقبك بذلك لِتَزداد جدّاً (وَلْو نَزَعْتُ ماتَحْتَ يَدِكَ من سُلْطانِكَ) في مِصر (ولَّيْتكَ ما هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤونَةً) من حيث المَسئولية (وأَعْجَبُ إليكَ وِلايَةً) من حيث الكيْفية (إنَّ الرَّجُلَ الّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ) وهو الأشتر (كانَ لَنا رَجُلاً ناصِحاً) أميناً (وعلىٰ عَدُوِّنا شَدِيداً نَاقِماً) كارهاً (فَرَحِمَهُ اللّهُ فَلَقَدِاسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ) في الدّنيا فَمات (ولاقَىٰ حِمَامَهُ) ومَوته الّذي يُلاقيه كلّ أحدٍ (ونَحْنُ عَنهُ رَاضُونَ أَوْلاَهُ اللّهُ رِضْوانَهُ) أي جَعَل الجنّة مَثواه (وضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ) فأنّه يُضاعف الثّواب لِمَن يَشاء (فأَصْحِرِ وأَبرِزْ لِعَدوِّكَ) وهو معاوية وأصحابه (وإمْضِ علىٰ بَصِيرَتِكَ) في دينك (وشَمِّرْ) وإجتهد (لِحَرْبِ مَنْ حارَبَكَ) كائناً من كان (وأُدْعُ إلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ) بالحكمة والمَوعِظة الحَسَنة (وأَكْثِرِ الاسْتِعانَةَ باللّهِ يَكْفِكَ ماأَهَمَّكَ ويُعِنْكَ علىٰ مَانَزَلَ بكَ إنْ شَاءَ اللّهُ) فأنه تعالىٰ خير موّفق ومُعين ومن توّكل علىٰ اللّه فهو حَسبه.

◁ الشّرح

◘ قوله ﷺ أَمّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَني مَوْجِدَتُكَ من تَسْرِيحِ الأَشْترِ إلىٰ عَمَلِكَ ...

هذا الكتاب كَتبه ﷺ الىٰ محمّد بن أبي بكر بعد عَزله عن حُكُومة مِصر ونصب الأشتر والياً عليها وقد مّر الكلام سابقاً في نَسبهما وأنهما كانا من خيار أصحابه وأنّما عَزَله عن مِصر بعد هجُوم أصحاب مُعاوية عليها علىٰ ما مَرّ الكلام فيه أيضاً فقال ﷺ: (فَقَدْ بَلَغَني مَوْجِدَتُكَ) وغَضبك عمّا فَعلته بِك من عَزلك والمَوجدة مَصدر قولك وجد يجد وَجداً وجدةً ومَوجِدة ووجداناً، عليه غَضب.

◘ قوله ﷺ: وأَنّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ إسْتِبطاءً لَكَ في اَلجَهْدِ ولا إزْدِياداً في اَلجدِّ ...

أي أنّي عَزلي أيّاك عن ولاية مِصر لَم يَكن عن تَقصير صَدر عنك فأردت أن أُعاقبك به لِتَزداد جدّاً كما ظَننتَ بل لِمَصلحةٍ رأيتها فيه.

◘ قوله ﷺ: وَلَوْ نَزَعْتُ ما تَحْتَ يَدِكَ من سُلْطانِكَ وَلّيْتكَ ما هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ

مَؤونَةً وأعْجَبُ إلَيكَ ولايَةً ...

أي لو عَزلتَك عن سلطانك علىٰ مِصر لَم أُخرجك عن الحكُومة بل (وَلَّيْتُكَ ما هُوَأَيْسَرُ)وأَسهَل عليك من حيث المَؤنة وأَعجب لك من حيث الحكُومة والولاية.

□ **قوله ﷺ: إنَّ الرَّجُلَ الّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كانَ لَنا رَجُلاً ناصِحاً وعلىٰ عَدُوِّنا شَدِيداً نَاقِماً ...**

وصف ﷺ الأُشتر بِوَصفين أَحدهما كونه ناصحاً وثانيهما كونه نَاقماً علىٰ الأعداء وكلاّهما حَسَن.

والدّليل علىٰ حُسن الأَوّل: قوله تعالىٰ: **﴿لَيْسَ عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَىٰ الْمَرْضَىٰ وَلاعَلَىٰ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنفِقُونَ حَرَجُ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**(١)

وعلىٰ الثّاني: قوله تعالىٰ: **﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾**(٢)

و: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾**(٣) والأشتر ﷺ كان كذلك.

□ **قوله ﷺ: فَرَحِمَهُ اللّٰهُ فَلَقدِ إسْتَكْمَلَ أيَّامُهُ ولاقَىٰ حِمَامَهُ وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ أَوْلاَهُ اللّٰهُ رِضْوَانَهُ وضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ ...**

ثمّ تَرحم ﷺ عليه فقال (**رَحِمَهُ اللّٰهُ فَلَقدِ إسْتَكْمَلَ أيَّامُهُ**) في الدّنيا ولاقىٰ حِمامه ومَوته الّذي لابّد له لكلّ مخلوقٍ ونحن راضُون لكونه مُؤمناً حقّاً (**أَولاَهُ اللّٰهُ رِضْوَانَهُ وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ.**

قال المُؤلف لو لَم يكن للأشتر إلّا هذا الدّعاء من ولّي اللّه ووصّي رسوله لكان كافياً له:

□ **قوله ﷺ: فأصْحِرْ لِعَدُوِّكَ وأمْضِ علىٰ بَصِيرَتِكَ وشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حارَبَكَ...**

١- التّوبة ـ ٩١
٢- السّجدة ـ ٢٢
٣- الفتح ـ ٢٩

أي فأَبرِز لَعَّدُوك ولا تَغفل عنه وإمض علىٰ بَصيرتك فـي ديـنك وشَـمِر وإجتهد لحَرب من حاربك من معاوية وأصحابه فأنّ المَسامحة والمُساهلة في القِتال مع الأعداء ممّا لا يَنبغي لِلمُؤمن.

□ **قوله ﷺ: وأُدْعُ إِلَىٰ سَبِيل رَبِّكَ وأَكثر الإستعانة باللّه يَكفِك ما أَهمّك ويُعينك علىٰ ما نَزل بك إنشاء اللّه ...**

قال اللّه:﴿**أُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ (١)

ثمّ أَمَره بالإستعانة باللّه لقوله تعالىٰ: ﴿**قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا**﴾ (٢)

و : ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وأيَّاكَ نَستَعين﴾ (٣) فاذا كُنتَ كـذلك أي دعوت الىٰ ربّك وإستَعنتَ به في أمُورك فهو تعالىٰ يكفي لك ويُعينك علىٰ ما نزلّ بك فأنّ من إستعان به فهو يُعينه قطعاً.

١- النّحل ـ١٢٥

٢- الاعراف ـ١٢٨

٣- الفاتحة ـ٥

ومن كتاب له عليه السلام (٣٣)

الىٰ عبد اللّه بن العبّاس ،

بعد مَقتل محمّد بن أبي بكر وهو الثّالث والثلاثون

▫ قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدَ فإنَّ مِصْرَ قَدِ أفْتُتِحَتْ ومُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللّه قَدِ أسْتُشْهِدَ فَعِنْدَ اللّٰهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً ناصِحاً وعامِلاً كادِحاً وسَيْفاً قاطِعاً ورُكناً دَافِعاً وقدْكُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ علىٰ لِحَاقِهِ وأمَرتُهُمْ بِغِياثِهِ قَبْلَ الوَقْعَةِ ودَعَوتُهُمْ سِرَّاً وَجَهْراً وعَوْداً وبَدءً فَمِنْهُمُ الآتي كارهاً ومِنْهُمُ المُعتَلُّ كاذِباً ومِنْهُمُ الكاذِبِ خاذِلاً أسألُ اللّهَ أنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجاً عاجِلاً فَوَاللّهِ لوْ لا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي في الشَّهادَةِ وتَوْطيني نَفْسِي علىٰ المَنِيَّةِ لأَحبَبْتُ أنْ لا أَبْقَىٰ مَعَ هَؤلاءِ يَوْماً واحِداً ولا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أبَداً.

◁ اللّغة

(كادِحاً) من الكَدِح وهو السّعي أي ساعياً (حَثثتُ) من الحَثّ وهو البَعث أي بَعثتُ (تَوْطِيني) التّوطين التّهيئة (المَنِيَّةِ) المَوت (لا أَلْتَقِيَ) أي لا أجتمع.

◁ المعنىٰ

(أمَّا بَعْدَ فإنَّ مِصْرَ قَدِ أفْتُتِحَت) أي فَتَحُوها (ومُحَمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللّهُ قَدِ أُسْتُشْهِدَ) أي صار شهيداً بيد الأعداء (فَعِنْدَ اللّٰهِ نَحْتَسِبُهُ) أي أسأل اللّه الأجر علىٰ الرّزية (وَلَداً ناصِحاً وعامِلاً كادِحاً) ساعياً (وسَيفاً قاطِعاً) علىٰ الأعداء

(ورُكْناً دَافِعاً) عن الحقّ (وقدْ كُنتُ حَثَثتُ النَّاسَ) وبَعثتهُم (علىٰ لِحَاقِهِ) علىٰ أن يلحقُوا به (وأَمَرتُهُمْ) أي النّاس (بِغِياثِهِ) ونُصرته (قَبْلَ الوَقْعَةِ) أي قبل فتح مِصر وقَتل محمّد (ودَعَوْتُهُمْ سِّراً وَجَهْراً وعَوْداً وبَدءٍ) أي دَعوتهم علىٰ كلّ حالٍ (فَمِنْهُمُ الآتي كارِهاً) عن كُرهٍ (ومِنْهُمُ المُعتَلُّ كاذِباً) أي وبعض منهم كان يأتي بالعِلَل وهو يكذب (ومِنهُمُ الكاذِب خاذِلاً) تاركاً لِلنصرة (أَسألُ اللّهَ أنْ يَجْعَلَ) لي (مِنْهُمْ فَرَجاً عاجِلاً فَوَاللّهِ) أُقسم به (لوْلا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي في الشَّهادَةِ) في سبيل اللّه (وتَوطِيني نَفْسِي علىٰ المَنِيَّةِ) والمَوت (لأَحبَبْتَ أنْ لا أبْقَى مَعَ هَؤلاءِ) المُنافقين (يَوْماً واحِداً) فضلاً عن أكثر منه (ولا أَلْتَقِيَ) أي لا أَجتمع (بِهِمْ أبَداً) لِنفاقهم وخلافهم.

◁ الشرح

أمَّا بَعْدَ فإنَّ مِصْر قَدِ أفْتُتِحَت ومُحَمَّدُ بْن أبي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللّهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ...

هذا الكتاب كَتبه عليه السلام الىٰ عَبد اللّه بن العبّاس وكان والياً من قِبله علىٰ البَصرة أَخبره بِشَهادة محمّد بن أبي بكر في مِصر وأنّها قد أُفتُتِحت علىٰ يد الأعداء أَعني بهم عَمرو بن العاص وأصحابه وَجّههم معاوية الىٰ مِصر فَقَتلُوا محمّد بن أبي بكر وفَعلُوا ما فَعلُوا كما سَتعرف الكلام فيه.

□ **قوله عليه السلام: فَعِنْدَ اللّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً ناصِحاً وعامِلاً كادِحاً وسَيْفاً قاطِعاً ورُكْناً دَافِعاً ...**

أي أَحتسِبُه عند اللّه تعالىٰ وأَسأله الأجر علىٰ المُصيبة ثمّ وَصفه بأوصاف ستّة:

أحدها: سمّاه وَلَداً لِنفسه وذلك لأنّه كان رَبيباً له عليه السلام فانّ أُمّه أسماء بنت عُميس كانت أوّلاً مع جعفر بن أبي طالب وَولدت له محمّداً وعَوناً وعبد اللّه بالحَبشة أيّام هَجْرتها معه اليها ثمّ بعد شهادة جعفر في غزوة مُؤتة تزَوجها أبو بكر بن أبي قحافة فَولدت له محمّداً هذا ثمّ بعد وفاة أبي بكر تزَوجها أمير المؤمنين عليه السلام فَولَدت له يحيىٰ ولأجل ذلك سمّاه وَلَداً فانّ محمّداً رَبّاه أمير

المُؤمنين وكان ﷺ يحُبّه حُبّاً شديداً ونَقل أنه بكىٰ علىٰ قَتله وأيضاً نَقلُوا عنه ﷺ أنّه قال محمّد من صُلب أبي بكر وهو إبني، ومحمّد هذا كان من خواصّ شيعته ومُحبّيه بحيث قيل لا يُوجد في أصحابه وشيعته أفضَل وأكرَم منه وكان ﷺ مُلازماً لأمير المُؤمنين دائماً وكان رجلاً شجاعاً وقَضاياه مسطُورة في الكُتب.

وثانيها: وَصَفه بكونه ناصحاً كما وَصَف ﷺ الأشتر به علىٰ ما عَرفت وهو من أَعلىٰ الصّفات.

وثالثها: وصَفَه بالعقل ومن صدّق عليّ عَقله فهو غَنّي عن التّوصيف والمُراد بالعَقل في كلامه ﷺ وكَلمات المَعصُومين ما عُبد به الرّحمن وأكتسب به الجنان وهو كان كذلك.

ورابعها: وَصَفه بالكَدح والسّعي في طريق الحقّ ورضاية الرّب وهو يدّل علىٰ زُهده ووَرَعه فأنّ العُبُودية الحقيقة لا تَحصل إلّا بالسّعي والجّد في البلُوغ الىٰ مَقام رضاية الرّب عن العَبد.

وخامسها: سَيْفَاً قاطِعاً، شبّهه ﷺ بالسّيف القاطِع أعناق المُلحِدين والكافرين والمُؤمن الواقعي كذلك ووَصف السّيف بكونه قاطِعاً لأنّ السّيف بما هو هو لا فائدة فيه وإنّما كماله في كونه قاطِعاً وهكذا المُؤمن فأنّه اذا كان بَليداً مُسامِحاً في الأُمور لا فائدة فيه إلّا قَليلاً.

وسادسها: رُكناً دَافِعاً، أمّا كونه من الأركان فهو ظاهر وأمّا كونه دافِعاً فلأنّه كان يدفع الباطل بِلسانه وفِعله في طول حياته.

قوله ﷺ: **وقدْ كُنتُ حَثثتُ النَّاسَ علىٰ لِحَاقِهِ وأَمَرتُهُمْ بِغِياثِهِ قَبْلَ الوَقْعَةِ ودَعَوْتُهُمْ سِّراً وجَهْراً وعَوْداً وبَدْءً ...**

أي أنّي ما كنتُ غافلاً عنه بل حَثثتُ وبَعثتُ النّاس علىٰ لحاقه ونَصرته وأَمَرتهُم بِغياثِه وإعانته قبل الوَقعة أي قبل شهادته ودَعوتهُم أي دَعوتُ النّاس في السّر والجَهر والعَود والبَدء والحاصل أنّي لَم آل جُهداً في نُصرة محمّد لِلقتال مع الأعداء.

□ **قوله ﷺ: فَمِنْهُمُ الآتي كارِهاً ومِنْهُمُ المُعْتَلُّ كاذِباً ومِنْهُمُ الكاذِبُ (القاعد خ ل) خاذِلاً...**

أي أنّ الّذين دَعوتهم الىٰ نُصرته كانُوا علىٰ أربعة أَصناف فَمِنْهُمْ من أتىٰ الينا علىٰ سبيل الكُره من غير رغبةٍ له في القِتال (ومِنْهُمُ المُعتَلُّ) أي يأتي بالعِلَل كذباً من غير عُذرٍ له واقعاً ومِنْهُمُ الكاذِبُ (القاعِد) عن القِتال خاذلاً لِدين اللّه ويَجمع الأَوصاف كلّها النّفاق.

□ **قوله ﷺ: أَسألُ اللّهَ أنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجاً عاجِلاً فَوَاللّهِ لوْلا طَمَعي عِنْدَ لِقائي عَدُوِّي في الشَّهادَةِ وتَوطِيني نَفْسِي علىٰ المَنِيَّةِ لأَحْبَبْتُ أنْ لا أَبْقىٰ مَعَ هؤلاءِ يَوْماً واحِداً ولا أَلْتَقِيَ بِهمْ أَبَداً...**

لما وَصَف ﷺ النّاس بما وَصَف من النّفاق والخلاف قال أَسألُ اللّهَ تعالىٰ أنْ يَجْعَلَ لي فَرَجاً مِنْهُمْ بالمَوت سَريعاً فَوَاللّهِ لوْلا طَمَعِي عِنْدَ لِقائي عَدُوِّي في الحَرب في الشَّهادَةِ وتَوْطِيني أي ولولا تَوْطِيني نَفْسِي علىٰ المَنِيَّةِ والمَوت وإشتياقي اليه لأَحبَبتُ أنْ لا أَبْقىٰ مَعَ هؤلاءِ المُنافقين الكاذبين يَوْماً واحِداً ولا أَجتمع بهم أبداً فأنّ الحياة مع الظّالمين ليست إلاّ بَرَماً وفيما ذكره ﷺ إشعارٌ بِنِفاق أصحابه وسُر قوله في بدو خلافته دَعُوني والتَمِسُوا غيري.

وأمّا كيّفية شهادة محمّد بن أبي بكر بمصر: فقد ذكر ابن الأثير في الكامل أنّ أهل الشّام كانوا ينتظرون بعد صِفّين أمر الحَكَمين فلمّا تَفرقا بايع أهل الشّام معاوية بالخلافة ولم يزدادوا إلّا قوةً واختلف النّاس بالعراق علىٰ علّي وما كان لمعاوية هَمٌّ إلّا مِصر وكان يَهاب أهلها لِقربهم منه وشدّتهم علىٰ من كان علىٰ رأي عثمان وكان يرجو أنّه اذا ظهر عليها ظَهر علىٰ حَرب علّي لِعظَم خراجها.

فدعا معاوية عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبُسر بن أرطأة والضّحاك بن قيس وعبد الرّحمٰن بن خالد وأبا الأعور السّلمي وشرحبيل بن السّمط الكندي فقال لهم أَتدرُون لِمَ جمعتكم فأنّي جمعتكم لأمرٍ لي مهمّ فقال عمرو بن العاص دعوتنا لتَسألنا عن رأينا في مِصر فأن كُنتَ جمعتنا لذلك فاعزم

وأصبر فنِعمٌ الرأي رأيتُ في إفتتاحها فأنّ فيه عـزّك وعِزّ أصـحابك وكـبت عدوّك وذّل أهل الشّقاق عليك فقال معاوية أهمّك يا بن العاص ما أهـمّك وذلك أنّ عُمرٌ كان صالح معاوية علىٰ قتال علّيٍ علىٰ أنّ له مِصر طعمة ما بقي وأقبل معاوية علىٰ أصحابه فقال أصاب أبو عبدٍ اللّه فما ترون فقالوا ما نرىٰ إلّا ما رأىٰ عمرو قال فكيف أصَنع فأنّ عمرواً لم يفسّر كيف أصَنَع فقال عمرو أَرىٰ ان نَبـ ـث جيشاً كثيفاً عليهم رجل حازم صابر صارم تأمنه وتثق به فيأتي مِصر فأنّه سيأتيه من كان علىٰ مثل رأينا فيظاهره علىٰ عدّونا فأن إجتمع جندك ومن بها علىٰ رأينا رَجوت أن ينصُرك اللّه قال معاوية أرىٰ أن نُكاتب من بها من شيعتنا فنُمّنيهم ونأمرهم بإثبات ونُكاتب مَن بها من عدوّنا فندعوهم الىٰ صلحنا ونُمنيّهم شكرنا ونُخوفّهم حَربنا فأن كان ما أردنا بغير قتال فذاك الّذي أردنا وإلّا كان حربهم من بعد ذلك أنّك يا بن العاص بُورك لك في الشّدة وأنا بُورك لي في التؤدة فقال عُمر إفعل ما ترىٰ فما أرىٰ أمرنا يصير إلّا الىٰ الحرب.

فَكتب معاوية الىٰ مسلمة بن مُخلّد ومعاوية بن خديج السّكوني وكانا قد خالفا علّياً يشكرهما علىٰ ذلك ويحثّهما علىٰ الطّلب بدم عـثمان ويـعدهما المُواساة في سلطانه فلمّا وقفا عليه أجاب مسلمة بن مخلّد الأنـصاري عـن نفسه وابن خُدّيج - أمّا بعد فأنّ الأمر الّذي بذلنا له أنفسنا وأتبعنا به أَمر اللّه أمرٌ نرجُو ثواب ربّنا والنّصر علىٰ من خالفنا وتعجيل النّقمة علىٰ مَن سعىٰ علىٰ إمامنا وأمّا ما ذكرتَ من المُواساة في سلطانك فتاللّه أنّ ذلك أمر ما له نَهَضنا ولا أيّاه أردنا فعجّل الينا بخيلك ورجلك فأنّ عدّونا قد أصبحوا لنا هـائبين فأن يأتينا مَدد يفتح اللّه عليك والسّلام.

فوصل الكتاب الىٰ معاوية وهو بفلسطين فدعىٰ أُولئك النّفر وقال لهم ما تَرون قالوا نرىٰ أن تبعث جُنداً فأمر عمرو بن العاص ليتّجهز اليها وَبعث معه ستة آلاف رجل ووصّاه بالتؤدة وترك العجلة وسار عمرو فَنَزل أداني أرض مِصر فإجتمعت اليه العثّمانية فأقام بهم وكتب الىٰ مُحمّد بن أبي بكر أمّا بعد

فتَنَّح عنّي بدمك يا بن أبي بكر فأنّي لا أحبّ أن يصيبك منّي ظفر أنّ النّاس بهذه البلاد قد إجتمعوا علىٰ خلافك وهُم مُسلموك فإخرج منها أنّي لك من النّاصحين وبعث معه كتاب معاوية في المعنىٰ أيضاً ويتّهدده بقصده حصار عثمان فأرسل مُحمّد الكتابين الى علّي ويخبره بنزول عمرو بأرض مِصر وأنّه رأىٰ التّثاقل ممّن عنده ويستّمده فكتب اليه علّيٌ يأمره أنْ يضّم شيعته اليه ويَعده إنفاذ الجيوش اليه ويأمره بالصّبر لعدّوه وقتاله وقام مُحمّد بن أبي بكر في النّاس وَنَدبهم الى الخروج الى عدّوهم مع كنانة بن بَشر فإنتدب مَعه ألفان وخرج مُحمّد بعده في ألفين وكنانة على مقدمته وأقبل عمرو نحو كنانة فلمّا دنا منه سَرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة الاّ حَمل عليها فألَحقها بعمرو بن العاص فلمّا رأىٰ ذلك بَعث الى معاوية بن حُديَج فأتاه في مثل الدهم فأحاطوا بكنانة وأصحابه وإجتمع أهل الشّام عليه من كلّ جانب فلمّا رأىٰ ذلك كنانة نَزل عن فرسه ونَزَل معه أصحابه فضاربهم بسيفه حتّىٰ إستشهد وَبلغ قتله مُحمّد ابن أبي بكر فتَفرق عنه أصحابه وأقبل نحوه عمرو.

كيفّية قتل محمّد بن أبي بكر بمصر: وما بقىٰ مَعه أحد فخرج مُحمّد يمشي في الطّريق فانتهىٰ الى خربة في ناحية الطّريق فأوىٰ اليها وسار عمرو بن العاص حتّىٰ دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حُدَيج في طلب مُحمّد بن أبي بكر فانتهىٰ الى جماعة على قارعة الطّريق فسألهم عنه فقال أحدهم دخلتُ تلك الخَرِبة فرأيت فيها رجلاً جالساً فقال بن خديج هو هو فدخلوا عليه فإستخرجوه وقد كاد يموت عَطشاً وأقبلوا به نحو الفِسطاط فَوثب أخوه عبد الرّحمٰن بن أبي بكر الى عمرو بن العاص وكان في جُنده وقال أتَقتل أخي صبراً إبعث الى ابن خَديج فأنهه عنه فبعث اليه يأمره أن يأتيه بمُحمّد فقال قَتلتم كنانة بن بشر وأُخلّي أنا مُحمّداً أكفاركم خير من أولئكم أم لكم بَراءة في الزّبر هيهات هيهات فقال لهم مُحمّد إسقوني ماءً فقال له معاوية بن خديج لا سقاني اللّه أن سَقيتك قَطرة أبداً أنّكم منعتم عثمان شُرب الماء واللّه لاقتلنّك

حتّىٰ يسقيك اللّه من الحميم والغساق فقال له مُحمّد يا بن اليّهودية النّساجة ليس ذلك اليك أنمّا ذلك الى اللّه يُسقي أوليائه ويُظمئ، وأنمّا أعـداؤه أنت وأمثاله أما واللّه لو كان سيفي بيدي ما بَلغتم منّي هذا ثُمّ قال له مـعاوية بـن حُديج أتَدري ما أصنع بك أدخلك في جوف حمار ثُمّ أحرقه عليك بـالنّار فقال مُحمّد أن فعلت بي ذلك فطالما فعلتم ذلك بأولياء اللّه وأنّي لارجو أن يجعلها عليك وعلى أوليائك ومعاوية وعمرو ناراً تَلّضىٰ كلّما خَبَت زادها اللّه سعيراً فَغَضب منه وقَتَله ثمّ ألقاه في جيفة حمار ثمّ أحرَقه بالنّار فلّما بلَغ ذلك عائشة جَزَعت عليه جَزَعاً شديداً وقَنتت في دبر الصلّوة تَدعو على معاوية و ؟؟؟:

فأخَذَت عيال مُحمّد اليها وكان القاسم بن مُحمّد بن أبي بكر لم يأكل شواء من ذلك الوقت وساق الحديث الى أن قال ثُمّ أنّ الحجّاج بن غزية الانصاري قدم من مِصَر فأخبر علّياً بقتل مُحمّد وكان معه وقدم عليه أيضاً عبد الرّحمٰن بن شبيب الفزاري من الشّام وكان عينه هناك فأخبره أنّ البشـارة مـن عـمرو وردت بقتل مُحمّد وملك مِصَر وسرور أهل الشّام بقتله فقال علّيّ عليه السلام أمّا أنّ حُزننا عليه بقدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافاً وقام في النّاس خطيباً وقال ألا وأنّ مِصر قد إفتتحها الفجرة أُولي الجَور والظّلمة الّذين صدّوا عن سبيل اللّه وبغوا الأسلام عوجاً ألا وأنّ مُحمّد بن أبي بكر أُستشهد فَعِنْدَ اللّـهِ نَـحْتَسِبُهُ وساق الكلام الى آخر الخطبة بأدنىٰ تفاوتٍ في ألفاظها لما ذُكِر في المتن قال – معاوية بن حُدَيج بضّم الحاء وفتح الدّال المُهملتين انتهىٰ.

وقدْ ذكروا كيْفية قَتله في كُتب التّواريخ بغير ما ذكرناه من حيث الإجمال والتّفصيل وأمّا الأصل في القضية محفوظ في الكلّ وليس هذا من الظّـالمين ببعيدٍ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [1] والحمد لِللّه ربّ العالمين.

١–الشعراء ـ ٣١

ومن كتاب له عليه السلام (٣٤)
الى عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش

▫ قوله عليه السلام: فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً من المُسلِمينَ فَلمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً ونَكَصَ نادِماً فَنَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وقد طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ فاقْتَتَلُوا شَيْئاً كلاَ ولا. فَما كانَ إلاَّ كَمَوْقِفِ ساعَةٍ حتىٰ نَجَا جَرِيضاً بَعْدَ ما أُخِذَ مِنْهُ بالمُخَنَّقِ ولم يَبْقَ مِنْهُ غيرُ الرَّمَقِ فَلأْياً بلأْيٍ مَا نَجَا فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وتَرْكاضَهُمْ في الضَّلاَلِ وتَجْوَالَهُمْ في الشِّقاقِ وجِمَاحَهُمْ في التِّيهِ فَإِنَّهُمْ قدْ أجْمَعُوا على حَرْبي كإجْماعِهِمْ على حَرْبِ رسُولِ اللّهِ صلى اللّهُ وآلِهِ قَبْلي فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنّي الجَوَازِي فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمي وسَلَبُونِي سُلْطانَ ابْنِ أُمّي.

وأمَّا ما سَأَلْتَ عنهُ منْ رَأيي في القِتالِ فإنَّ رَأيي في قِتَالِ المُحِلينَ حَتىٰ أَلقىٰ اللّهَ لا يَزِيدُني كَثْرَةُ النَّاس حَوْلي عِزَّة ولا تَفَرُّقُهُمْ عَنّي وَحْشَةً ولا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أبِيكَ ولوْ أسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً ولا مُقِرَّاً لِلضَّيْمِ واهِناً ولا سَلِسَ الزِّمامِ لِلقَائِدِ ولا وَطِيءَ الظَّهْرِ للرَّاكِبِ المُتَقَعِّدِ ولكِنَّه كَما قالَ أخو بَني سُلَيْمٍ.

فإنْ تَسألِيني كَيْفَ أنْتَ فإنَّني صَبُورٌ على رَيْبِ الزَّمان صَليبُ
يَعِزُّ عَلَيَّ أنْ تُرَىٰ بي كآبَةٌ فَيَشْمَتَ عادٍ أوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

◁ اللغة

(سرّحتُ) أي بعثتُ (كَثِيفاً) أي مُجتمعاً كثيراً (نَكَصَ) رَجع (طَفَلَتِ) أي دَنَت وقَرُبَت (لِلإِيَابِ) الايّاب الرّجوع (كلاً ولا) كناية عن السرعة التّامة

(**جَرِيضاً**) الجُريض بالجيم المضموم وبالحاء السّاقطة (**بالمُخَنَّقِ**) بضّم الميم وفتح الخاء ثمّ النّون المشدّدة الحّلق محّل بالرِضع الخناق (**الرَّمَقِ**) محركّة بقية الرّوح (**فَلأْياً بِلأْيٍ**) لاياً مصدر محذوف العامل ومعناه الشدّة والعُسر (**ما نجا**) نجا في معنىٰ المَصدر أي عسرت نجاته عُسراً بعُسرٍ (**تَرْكاضَهُمْ**) التّركاض مُبالغة في الرّكض إستعارة لسُرعة خواطرهم في الضّلال (**تَجْوَالَهُمْ**) أيضاً مبالغة في الجَولان (**الشّقاقِ**) الخلاف (**جِمَاحَهُمْ**) أي إستعصاؤهم (**التِّيهِ**) الضّلال (**الَجوَازِي**) جمع جازية بمعنىٰ المُكافاة (**المُجلينَ**) جمع المَجلّ وهم الّذين يحلّلون القتال ويجوزّونه (**لِلضَّيْمِ**) الضيم الظّلم (**واهِناً**) الوَهن الضّعف (**سَلِسَ الزِّمامِ**) سَلِسَ بفتح السّين وكسر اللاّم السّهل (**وطِيْ الظَّهْرِ**) الوطئ اللّين (**المُتّقعِد خ ل**) أمّا الأوّل فمعناه الّذي يتّخذ الظّهر قعوداً يستعمله للرّكوب في كلّ حاجاته والثّاني معناه الرّاكب (**صليبٌ**) أي شديد (**لَيِّنٌ**) من عَزّ أي يَشّق (**كآبة**) الكآبة ما يظهر على الوجه من أثر الحزن عادٍ أي عدّوه:

◁ **المعنىٰ**

(**فَسَرَّحْتُ**) أي بعثتُ (**إِلْيهِ**) الى بُسر بن أرطأة (**جَيْشاً كَثِيفاً**) كثيراً (**من الْمُسلِمينَ فَلَمَّا بَلَغَهُ**) أي بَلغ بُسر (**ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً ونَكَصِ**) ورَجَع (**نادِماً**) على ما فعل (**فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيق وقد طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ**) أي قَرب غروبها (**فاقْتَتَلُوا شَيْئاً كلاَولا**) أي سريعاً قليلاً (**فَما كَانَ إلاَّ كَمَوْقِفِ ساعَةٍ حتّىٰ نَجَا جَرِيضاً**) ومغموماً (**بَعْدَ ما أُخِذَ مِنْهُ بالمُخَنَّقِ ولم يَبْقَ مِنْهُ غَيرُ الرَّمَقِ**) كناية عن ضعفه عن المُقاتلة (**فَلأْياًبلأْيٍ مَا نَجَا**) أي عسرت نجاته عسراً بعُسرٍ (**فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وتَرْكاضَهُمْ في الضَّلاَلِ**) أي سُرعة خواطرهم فيه (**وتَجْوَالَهُمْ في الشّقاقِ**) أي جولانهم في الخلاف والعصيان (**وجِمَاحَهُمْ**) وإستعصاؤهم (**في التِّيهِ**) والغواية (**فإنَّهُمْ قدْ أجْمَعُوا على حَربي كإجْماعِهِمْ على حَرْبِ رسُولِ اللّهِ قَبْلي فَجَزَتْ قُرَيْشاً عنّي الَجوازِي**) دعاءٌ عليهم بالجزاء على أعمالهم (**فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمي**) بمُخالفتهم (**وَسَلَبُونِي سُلْطانَ ابْنِ أُمّي رسول اللّه** ﷺ **وأمّا ما**

سَأَلْتَ عَنهُ منْ رَأيي في الْقِتالِ) مــع الأعــداء **(فأنَّ رَأيي في قِتَالِ المُحِلينَ)** المجوزّين له **(حَتّىٰ أَلْقىٰ اللّهَ لا يَزيدُني)** في قَصدي هذا **(كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلي عِزَّة ولا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَّةً)** فهما عندي على السّواء **(ولا تَحْسَبَنَّ)** يا عقيل **(ابْنَ أبِيكَ)** أراد ﷺ نفسه الشّريفة **(ولوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَّضَرِّعاً مُتَخَشّعاً)** لغير اللّه تعالىٰ **(ولا قِصراً** ومعتقداً **(لِلضَّيْمِ)** والظّلم **(واهِناً)** ضعيفاً **(ولا سَلِسَ الزِّمامِ لِلقْائِدِ)** بأن يسيره حيث شاء **(ولا وِطئَ الظَّهْرِ للرّاكِبِ المُتَقَعِّدِ)** فيركبه متىٰ أراد **(ولكِنَّهُ)** ابن أبيك **(كَما قالَ أخُو بَني سُلَيْمٍ)**:

◁ الشَرح

▫ **قوله ﷺ: فَسَرَّحْتُ إليْهِ جَيْشاً كَثِيفاً من الْمسلِمينَ...**

اعلم: أنّ هذا الكتاب كتبه ﷺ في جواب كتاب أخيه عقيل بن أبي طالب في قصّة بُسر ابن أرطأة وهي علىٰ ما ذكره في الكامل أنّ معاوية بَعَث بُسر ابن أرطأة وهو من عامر بن لؤي في ثلاثة آلاف الىٰ الحجاز واليَمن فسار حتّىٰ قدم المدينة وبها أبو أيوب الأنصاري عامل علّي عليها فهرب أبو أيّوب فأتىٰ عليّاً بالكوفة ودخل بُسر المدينة ولم يقاتله أحد فصعد مَنبرها فنادىٰ عليه يا دينار يا نجّار يا زريق وهذه بطون من الأنصار شخي شيخي عهدته هيهنا بالأمس فأينَ هو يعني عُثمان، ثُمّ قال واللّه لولا ما عهد الّي معاوية ما تركتُ بها مُحتلماً فأرسل الىٰ بني سَلَمة وقال واللّه مالكم عندي أمان حتّىٰ تأتوني بجابر بن عبد اللّه الأنصاري فأنطلق جابر الىٰ أمّ سَلمة زوج النّبي فقال لها ماذا ترين أنّ هذه بيعة ضلالة وقد خشيت أن أُقتل قالت أرىٰ أن تبايع فأنّي قد أمرت ابني عمرو وختني ابن زمعة أن يبايعا وكانت ابنتها زينب تحت ابن زَمعة فأتاه جابر فبايعه وهَدم بالمدينة دوراً ثمّ سار الىٰ مكّة فخاف أبو موسىٰ الأشعري أن يقتله فهرب منه وأكره النّاس علىٰ البيعة ثُمّ سار الىٰ اليَمن وكان عليها عبيد اللّه بن عبّاس عاملاً لعلّي فهرب منه الىٰ علّي بالكوفة وإستخلف علىٰ اليّمن عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه وأخذ ابنين لعبيد اللّه .

بن العبّاس صغيرين هما عبد الرّحمٰن وقثم فقتلهما وكانا عند رجلٍ من كنانة بالبادية فلمّا أراد قتلهما قال له الكناني لَم يقتل هذين ولا ذنب لهما فأن لَست قاتلهما فأقتلني معهما فقتله وقتلهما بعده فقالت امرأة منهنّ يا هذا قتلت الرّجال فعلامَ تقتل هذين واللّه ما كانوا يقتلون في الجاهلّية والإسلام واللّه يا بن أرطأة أنّ سلطاناً لا يقوم إلّا بقتل الصّبي الصّغير والشّيخ الكبير ونزع الرّحمة وعقوق الأرحام لسُلطان سَوء وقتل بُسر في مسيره ذلك جماعة من شيعة علّي باليَمن وبلغ علّياً الخبر فأرسل جارية بن قدامة السّعدي في ألفين ووَهب ابن مسعود في ألفين فسار جارية حتّىٰ أتىٰ نجران فقتل بها ناساً من شيعة عثمان وهرب بُسر وأصحابه منه وأتبعه جارية حتّىٰ أتىٰ مكّة ثُمّ سار حتّىٰ أتىٰ المدينة وأبو هريرة يُصلّي بالنّاس فهرب منه فقال جارية لو وجدت أبا سِنّور لقتلته القصّة:

أقول: وعليه فقوله ﷺ: (**فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً من الْمُسلِمينَ**)، المراد بالجيش هو جيش جارية ابن قدامة ومرجع الضّمير في (اليه) هو بُسر ابن أرطأة هكذا فسّره الشّارح المُعتزلي أيضاً والعلم عند اللّه:

▫ **قوله ﷺ: فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً وَنَكَصَ نادِماً فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وقد طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ ...**

أي فَلَمَّا بَلغ بُسر ابن أرطأة خَبر الجَيش إختار الفرار علىٰ القرار ونَكَصَ ورجَع حال كونه نادماً علىٰ ما فَعَله من القتل والضّرب والجَرح فلحقوه أي لحقته الجيش ببعض الطّريق أوان المَغرب:

▫ **قوله ﷺ: فاقْتَتَلُوا شَيْئاً كلاَ ولا فَما كانَ إلاَّ كَمَوْقِفِ ساعَةٍ حتّىٰ نَجَا جَرِيضاً بَعْدَ ما أخِذَ مِنْهُ بالْمخَنَّقِ ولم يَبْقَ مِنْهُ غيرُ الرَّمَقِ فلأْياً بِلأْيٍ مَا نَجَا ...**

أي فأقْتَتَلُوا قتالاً مثل لا ولا وهو كناية عن سرعة القتال وقلّة عمره فأنّ لا ولا، حرفان ثانيهما حرف لين سريعا الإنقضاء عند السّمع قال الشّاعر:

وأسرع في العين من لَحظةٍ ... وأقصَر في السّمع من لا ولا

فما كان القتال الّا كموقفِ ساعةٍ حتّىٰ نجا جريضاً أي نجا بُسر ابن أرطأة من القتل حال كونه مغمّوماً بعد ما أُخِذ منه أي من بُسر بالمُخَنق أي أُخِذ بضيق الخناق وهو كناية عن استئصاله ولَم يبق منه غير الرَّمَق فَلاياً بلائي ما نجا أي عَسُرت نجاته عسراً بعُسر واللاّي مصدر لاي مثل وقىٰ يَقي وَقياً و(ما) بعده مصّدرية ونجا في معنىٰ المصدر والمعنىٰ ما ذكرناه.

▫ **قوله ﷺ: فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وتَركاضَهُمْ في الضَّلاَلِ وتَجْوَالَهُمْ فيِ الشّقاقِ وجِمَاحَهُمْ في التِّيهِ ...**

ثم شكىٰ ﷺ عن قُرَيش وقال (**فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً**)أي إتركهُم و(**تَركاضَهُمْ**)أي وَدَع أيضاً تَركاضَهُمْ وهو كناية عن سرعة خواطِرهُم في الضّلال والتّركاض مُبالغة في الرّكض وهو التَّحرك، والتَّجوال مُبالغة في الجَولان وحاصل المعنىٰ دَع (**تَرْكاضَهُمْ**) و(**تَجْوَالَهُمْ**) أي حَركَتَهُم وجَولانهُم في الشّقاق والخَلاف وجِمَاحَهُمْ وإستقصائهُم في التِّيهِ والضّلال:

▫ **قوله ﷺ: فإنَّهُمْ قَد أجْمَعُوا علىٰ حَرْبي كإجْماعِهِمْ علىٰ حَرْبِ رسُولِ اللّهِ قَبْلي ...**

أي فأنّ قُرَيْشاً قد أجمعوا علىٰ حَربي كما أجمعوا علىٰ حَرب رسول اللّه قبلي وذلك لأنّ أبا سفيان وعتبة وشيبة ووليد وحنظلة وغيرهم حاربوا الرّسُول وأولادهم حاربوا علّياً ﷺ والملاك الملاك:

▫ **قوله ﷺ: فَجَزَتْ قُرَيْشاً عنّي اَلجوَازِي فِقَدْ قَطَعُوا رَحِمي وَسَلبُوني سُلْطانَ ابْنِ أُمِّي ...**

الجوازي جمع جازية وهي المكافاة وهي فاعل قوله ﷺ: **جَزت وقريشاً** بالنّصب مفعوله والتّقدير فجزت الجوازي قُريشاً عنّي والمعنىٰ جزاهم اللّه بما عملوا أو المعنىٰ أنّ جزاؤهم مكافاة أعمالهم فقد قطعوا رَحِمي أي أنّهم مع قرابتهم لَم يراعوا حقّها ولم يصلوا الرّحم الّذي أمَرَ اللّه بصِلَته وسلبوني سلطان ابن أُمّي أي سلبوا عنّي سلطان رسُول اللّه ﷺ الّذي كان لي بعده وانّما

قال ﷺ: **ابن أُمّي** ولم يقُل رسُول اللّه لأنّ فاطمة بنت أَسَد أُمّ أمير المؤمنين رَبّت رسول اللّه في حجرها فقال النّبي في شأنها فاطمة أُمّي بعد أُمّي فكأنّ رسول اللّه ﷺ ابنها مضافاً الىٰ أنّ في هذا التّعبير إشارة الىٰ مقام قرابته من رسُول اللّه وأنّه أقرب النّاس اليه فكيف أخذوا بعد الرّسُول سلطانه بسبب قرابتهم له ﷺ والحال أنّ عليّاً كان فيهم وهو عجيب وقد مَرّ البحث فيه سابقاً.

▫ **قوله** ﷺ: **وأمّا ما سَألْتَ عنهُ منْ رَأيي في الْقِتالِ فإنَّ رَأيي في قِتَالِ المحِلينَ حتّىٰ ألْقىٰ اللّهَ ...**

أي أمّا ما سَألتَني من قتال هؤلاء القوم فأنّي أُقاتل المحِلينَ أي الّذين أحّلوا القتال يُقال أحلّ الرّجل اذا خرج من ميثاق كان عليه وحيث أنّ القاسطين والمارقين والناكثين كانوا كذلك عبّر ﷺ بالمُحلّين فأنّهم بأجمعهم نقضوا عهده وخرجوا عن ميثاقهم بعد تحقّق البيعة له ﷺ وفي قوله ﷺ: **حتّىٰ ألْقىٰ اللّه** إشارة الىٰ أنّ الحَرب معهم لا تختّص بزمانٍ دون زمانٍ فلا مجال للصّلح مَعهم ما داموا علىٰ الخلاف ومنه يظهر عدم جواز المُصالحة والمُسالمة مع أعداء الدّين الّا لضرورة.

والحقّ أنّ هذا الحكم مُختّص به ﷺ وبالمعصومين بعده ولا يشمل غيرهم وذلك لأنّ الخروج عن طاعة الإمام المعصُوم الّذي جَعَله اللّه إماماً مفترض الطّاعة هو الخروج عن طاعة اللّه بعينه ولا فرق في الخروجين عندنا ومن خرج عن طاعة اللّه مُرتّد عن دينه إرتداداً فطّرياً والمُرتّد من فطرةٍ وجب قتله في أوّل الأمر ولا تُقبل توبته في الدّنيا إجماعاً ولأجل هذا قال ﷺ ما قال:

وأمّا غير الإمام المعصوم فليس كذلك ولأجل هذا قال لا يجوز قتال هؤلاء بعدي، أي لا يجوز قتالهم للخلفاء الغاصبين بعدي وذلك لأنّ غصب الخلافة ذنبه أعظم الذّنوب وأن قلنا أنّ المجوّز لقتالهم هو بَغيهم وخُروجهم علىٰ الإمام لا إرتدادهم كما هو أحد القولين في المسئلة فهو يتّم بناءً علىٰ أنّ الإمامة من ضرّوريات المَذهب لا من ضرّوريات الدّين كما ذهبت العامّة وبعض

الخاصّة اليه وعليه فمن أنكر الإمام ليس بمرتدٍ لأنّه لم ينكر ضرورة الدّين ولتّحقيق البحث مقام آخر وكيف كان فعلىٰ هذا القول أيضاً لا يسري جواز القتال الىٰ غير الإمام العادل فأنّ المسّلم عدم جواز البغي علىٰ الإمام العادل ومن بغىٰ عليه فهو مهدور الدّم ولا شك أنّ المتيقن من الإمام العادل هو المعصوم اذ غير المعصوم كائناً من كان لا يكون إماماً عادلاً واقعاً بل وظاهراً في العادة وإن أمكن في العقل والإمكان العقلي لا يكفي لثبوت الحُكم وبعد اللّتيا واللّتي نقول ما حَكم به لا يسري الىٰ جميع الحكّام بل ولا الىٰ بعضهم الّا أن يكون إماماً معصوماً أو إماماً عادلاً حقّاً ومن إدّعىٰ غير ما ذكرناه فعليه بالإثبات:

□ **قوله ﷺ: لا يَزيدُني كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلي عِزَّةً ولا تَفَرُّقُهُمْ عنّي وَحْشَةً...**

أي أنّي أُقاتلهم ما دُمتُ حيّاً ولا توجب كُثرة النّاس عزّةً وعظمةً لي كما أنّ تفرّقهم وتشتّتهم عن حولي لا يوجب لي خوفاً ولا وحشةً والحاصل أنّ إقبال النّاس وإدبارهم إلّي واحدٌ وفيه إشارة الىٰ أنّه من يتّوكل علىٰ اللّه فهو حسبه وليس معناه أنّ وجود النّاس في النُصّرة كعدمهم ضرورة أنّ الأمر بخلافه بل المقصود عدم التّوكل عليهم وأنّ الأمر بيد اللّه تعالىٰ ويمكن أن يكون المراد أنّ المؤمن بعد ما عرف الطّريق وعلم وظيفته في أمر الدّين ينبغي له المُداومة والإحتراز عن التّساهل والتّسامح سواء فيه موافقة النّاس ومُخالفتهم كما قال ﷺ في بعض كلماته فيما مضىٰ أيّها النّاس لا تستوحشوا في طريق الهُدىٰ لقلّة أهله:

□ **قوله ﷺ: ولا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبيكَ ولوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِعاً مُتَخشِّعاً ولا مُقِرّاً لِلضَّيمِ واهِناً ولا سَلِسَ الزِّمامِ لِلْقائِدِ ولا وطِيَّ الظَّهْرِ للرَّاكِبِ المُتَقعِّدِ ولكِنَّهُ كَما قال أَخُو بَني سُلَيمٍ فأن تسألني الىٰ آخر البيت ...**

أراد ﷺ بابن أبيك نفسه الشّريفة والمعنىٰ لا تحسبنّ يا عقيل أنّ ابن أبيك علّي ابن أبي طالب لو أسلَمه النّاس وقبلوه بالطّاعة والإمامة وصاروا مُنقادين له أن يتّصف بأمورٍ:

أحدها: أن يكون مُتّضرعاً خاشِعاً للنّاس بإطاعتهم له كما هو شأن أكثر المُلوك والحُكام فأنّهم يَطيعُون النّاس فيما يَشتهُون كما أنّهم يَطيعُونهُم فيما يَريدُون فأنّ الطّاعة مِن الطّرفين فكما أنّ النّاس كانوا تابعين لِمُعاوية هو أيضاً كان تابعاً لهُم في أميالهُم وشَهواتهُم وأمّا أمير المُؤمنين ومن حذىٰ حَذوه من خُلفاء الحقّ فهُم أَتباع الحقّ لا أَتباع النّاس وتَضرعهُم وخَشيَتهُم لِربّهم لا لِغَيره مِن المَخلوق فَمن كان على طريق الحقّ لا يَعرف الاّ الحقّ ولا يَعتَني بغيره كائناً من كان وأن كان فيه نفُورٌ لاهل الباطل من النّاس ولعلّ السّر في مُخالَفة أَكثر النّاس لحُكّام الحقّ هو هذا ألا ترىٰ أنّ النّاس كانوا أَطوع لِمُعاوية في حكُومته من أمير المؤمنين فأنّ مُعاوية أيضاً كان أَطوع لهُم من علّي عليه السلام وحاصل الكلام أنّ العارف باللّه لا يَعرف الاّ اللّه ولا يَقصد بحكُومته الاّ إجراء أحكامه وأمّا رضاية النّاس فهي لا تَحصُل الاّ لمن استَرضاهُم.

وثانيها: ولا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ واهِناً، أي مُثبتاً لِلظّلم بالسّكوت في مُقابل الظّالم أو بالظّلم على بعضِ النّاس كالضّعفاء مثلاً لإرضاء بعض آخرٍ كما هو شأن الحكّام غالباً أو أَكثراً وذلك لانّهم يَظنّون أنّ الملاك في دوام الحكُومة هو جلب رضاية الاغنياء والاقوياء وأمّا الفُقراء الضّعفاء فلا يُعتَنىٰ بهم لعَدم قدرتهم على شئٍ بِزَعمهم فَيُؤيّدون الظّالم دائماً ولاجل ذلك ترىٰ سجُونهم ممّلوّة من الضّعفاء والقانُون أيضاً يَجري فيهم غالباً وأمّا القَوي فهو في أمنٍ وأمانٍ وهذا هو إثبات الظّلم عَملاً وأمّا مَن فَسّر كلامه بأنّ المُراد بالإقرار للظّلم الإقرار القَلبي الإعتقادي فقد أَخطأ فأنّ الحاكم الجائر لا يَقّر بحسن الظّلم ولا يَعتَقد به فَضلاً عن غيره وذلك لانّ قُبح الظّلم عَقليّ فَكلّ عاقلٍ يَقول بِقُبحه ولكنّه يُثبتّه بعَمَله فَحاصل المعنىٰ أنّي لا أُقِر الظّلم في حكُومتي وآخذ حقّ المَظلُوم من الظّالم ولو كان الظّالم أَقرب النّاس إلّي ولا أُسامِح فيه أَصلاً من غير وَهنٍ وضَعفٍ.

وثالثها: ولا سَلِسَ الزِّمامِ لِلْقائِدِ، شَبّه عليه السلام نفسه في **الحكُومة** بالبَعير أو كلّ

مَركب وشَبّه النّاس أو الشّيطان بالقائد ثمّ أثبت لِلحكُومة زماماً تَخييلاً والمعنىٰ أنّي لستُ سَهل الزّمام لِلقائِد بحيث يَسُوقني الى ما أراد فلا يَقدر أحد مِن الخَلق إنساناً كان أو شيطاناً على إخراجي عن الطَريقة الحَقّة وإيقاعي في الهَلَكة فأنّي مُسَلّطٌ على نفسي وليس لغير اللّه تعالىٰ عَلَيّ من سبيل.

ورابعها: ولا وطيءُ الظَّهْرِ للرَّاكِبِ المُتَقعِّدِ، هذا تَشبيه آخر وحاصل معناه أنّي لستُ بلين الظّهر لِيَركبَني غيري ويَستَعملني في حاجاته شَبّه نَفسه بالمَركب وغيره بالرّاكب وفيه إشارة الى أنّ أكثر الحكّام لولا كُلّهُم الاّ ما شَذّ ونَدَر مَثَلهم مَثل المَركَب الّذي يسهل لِلرّاكب الرّكُوب عليه من غير منع للمَركُوب عن ركُوبه فَيَقضي الرّاكب به حاجاته ويُسَيره حيث شاء وأمّا أولِياء الحقّ فَليسُوا كذلك فلا يَمكن لغيرهم التّسلط عليهم بِنَحوٍ من الانحاء ثمّ أنّ المَوجود في بعض النُسَخ المُتَقَعّد بِتَقديم التّاء على القاف وتَشديد العين من تَقَعَّد يَتَقَعّد نحو تَصّرف يَتَصّرف وفي بعضٍ آخر المُقتَعد بتَقديم القاف على التّاء المَفتُوحة من غير تشديدٍ للعين من إقتَعد يَقتَعد نحو إكتَسَب يَكتَسب.

والفاعل منه المُقتَعد وعلى التَقديرين يكون اللّفظ بصيغة الفاعل إلاّ أنّه على الاوّل من تَقَعُّد وعلى الثّاني من أقتَعد فإن قلنا بالاوّل فَمعناه القعُود وإن قُلنا بالثّاني فَمعناه طلب القعُود والفَرق لا يخفي وأن كان المآل واحداً.

ثمّ أنّه عليه السلام بعد ما سَلب عن نفسه الشّريفة الاوصاف المَذكورة الّتي لم تكن لائقة بحاله تَمّثل بشعرٍ قاله رجل من بني سليم وبه بَيّن عليه السلام حاله لاخيه عقيل وشيعته الى يوم القيامة فقال ولكنّه أي ولكن ابن أبيك كما قالَ أخُو بَني سُلَيْم:

فَأن تَسألني أي عن حالي بسؤالٍ كيف أنت فالجواب أنّي صَبورٌ في الحَوادث والبَلايا وما يَرد عَلَيّ من أبناء الزّمان صَلبٌ أي شديد في الصّبر على المكاره يَعزّ أي يشّق علَيّ أن تُرىٰ بي كآبة من آثار الحُزن على الوجه فيشمت العدّو ويساء الحبيب أي أنّ العدّو يسّر به ويشمت والحبيب يَحزن ويتألم.

ومن كتاب له عليه السلام (٣٥)
الى معاوية

□ قوله عليه السلام: **فَسُبْحانَ اللّهِ! ما أَشَدُّ لزُومَكَ لِلأَهْواءِ المُبْتدَعَةِوالحَيْرَةِ المُتعِبَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الحقَائِقَ واطِّرَاحِ الوَثائِقِ الّتي هِيَ لِللّهِ طِلْبَةٌ وعلىٰ عِبَادِهِ حُجَّةٌ فأمَّا إكثارِكَ الحِجَاجَ في عُثمانَ وقَتَلِه فإنَّكَ إنّما نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ كانَ النَّصرُ لكَ وخَذَلتَهُ حَيْثُ كانَ النَّصرُ لهُ والسَّلاَمُ.**

◁ **اللغة**

(**طِلْبَةٌ**) بكسر الطاء وسكون اللاّم وفتح الباء بعدها الأسم من المُطالبة (**الحِجَاجَ**) بالكسر الجدال:

◁ **المعنىٰ**

(**فَسُبْحَانَ اللّهِ**) عن النّقائص (**ما أشَدُّ لزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ المُبْتدَعَةِ**) بحيث لا تقدر علىٰ التّخلص منها (**والحيْرَةِ المُتعِبَةِ**) في دينك بحيث قد أتعبَتك (**مَعَ تَضْيِيعِ الحقَائِقِ**) الدّينية والعقّلية (**واطِّرَاحِ الوَثائِقِ**) أي ومَعَ **اطِّرَاحِ الوَثائِقِ** وإعراضك عنها (**الّتي هِيَ**) أي الوَثائِقِ (**لِلّلهِ طِلْبَةٌ**) أي أنّ اللّه مطالب بها (**وعلىٰ عِبَادِهِ حُجَّةٌ**) من اللّه فللّه الحُجّة البالغة علىٰ عِبادِهِ (**فأمّا إكثارِكَ الحِجَاجَ**) والجدال (**فِي عُثمانَ وقَتَلِه**) حيث تطلبهم منّي (**فإنَّكَ إنّما نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ كانَ النَّصرُ لَكَ**) أي حيث كان لِلإنتصار فائدة لك في حياته (**وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كانَ**

النَّصْرُ لهُ) أي لعثمان وهو بعد وفاته أو حين حَصره:

◁ الشرح

فَسُبْحَانَ اللّهِ ما أَشَدُّ لزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ المُبْتدَعَةِ والحيْرَةِ الْمُتعِبَةِ ...

سُبحان بضَم السّين أصله مصدر نحو غفران ومعناه التّنْزيه أي تنيزه الله عن النّقائص وكلمة (ما) في قوله ﷺ: **ما أشدّ** تعجّبيّة والمعنىٰ أنّ الله تعالىٰ مُنَزّهٌ عن النّقائص ما أشدّ أي شدّة لزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ المُبْتدَعَةِ والحيْرَةِ الْمتعِبَةِ توجب العَجَب فأنّها شديدة جدّاً

وأنّما وَصَف الأهواء بالبدعة والحَيرَة بالتُّعب لأنّ البدعة أعني بها دخول ما ليس من الدّين فيه من آثار الهَوىٰ والنّفس الأمّارة بالسّوء كما أنّ التّعَب أعني المشّقة من آثار الحيرة وذلك لأنّ المُتّحير لا يدري ما يَصنَع وبعبارةٍ أخرىٰ المُتّحير في دينه أو دنياه يقع في مشّقةٍ وتُعَب في تعيين تكليفه وتشخيص طريقه ومسلكه وأمّا غير المُتّحير فليس كذلك لوضوح الطّريق عنده ومعاوية كان مصداقاً كاملاً لهاتين الصّفتين وهو ظاهر:

▫ **قوله ﷺ: مَعَ تَضْيِيعِ الحقَائِقِ واطِّرَاحِ الوَثائِقِ الّتي هِيَ لِلّهِ طِلْبَةٌ وعلىٰ عِبَادِهِ حُجَّةٌ ...**

(تَضْيِيعِ الحقَائِقِ تَقليبها وتَلبيسها والوَثائِقِ)جمع وَثيقة وهي كُلّ مَوثُوق به وطرحها إعراضها والمعنىٰ أنّك ضَيّعت وأبطَلت الحَقائق الدّينية والعقّلية بهدم إلتزامِك بها وأَطرَحت الوَثائِقِ بالإعراض عنها فَلَم تَأخذ بشيءٍ مُوثّق في دينك ودُنياك الّتي أي الوَثائق الّتي هي لِللّهِ طِلْبَةٌ أي مطالب بها كَمعرفة الله ومَعرفة رسُوله ودينه ووَصّيه فأنّها حجّة علىٰ عباده.

▫ **قوله ﷺ: فأمَّا إِكْثارُكَ الحِجَاجَ فِي عُثمانَ وَقَتَلَتِهِ فإنَّكَ إنّما نَصَرْتَ عُثْمانَ حَيْثُ كانَ النَّصْرُ لَكَ وخَذَلْتَهُ حَيْثُ كانَ النّصرُ لهُ والسَّلاَمُ ...**

أي فأمّا كثرة جِدّالك في عثمان وقَتَلته بأن تقول تارةً عَليٌ قَتل عثمان وآخر تَقول أنا أُطالب بِدَمه وثالثة تقول أطلبُ من عليّ قَتلَة عثمان وأمثال ذلك من

الأقاويل الكاذبة الّتي تعلم أنت أيضاً كذبها وأنّما جَعَلتها وسيلةً وسبباً للوصُول الىٰ مَقصدك والبلُوغ الىٰ أَمَلك فأقول لك في الجواب (أنّما نَصَرت عُثْمانَ حَيْثَ كانَ النَّصْرُ) أي نُصرته لك أي راجعة اليك وخَذَلته حيث كانت فائدة النّصرة راجعة الىٰ عثمان وهو أيّام حَصره في داره ومحصّل الكلام أنّك نَصرتَ عثمان في أيّام حكُومته وخلافته لِعلمِك بأنّ فائدة النُّصرَة ترجع اليك في إِمارتك وخَذَلته حيث كان عثمان مُحتاجاً الىٰ النّصر وهو الدّليل علىٰ كذبك وأنّ التّمسك بدَم عثمان سببٌ لِلبلُوغ الىٰ الأماني والأمال وأمّا العوام فلا يَعلمُون به وفائدة جَهلهُم تَرجع اليك والىٰ أمثالك.

ومن كتاب له عليه السلام (٣٦)
الىٰ أهل مِصر، لمّا وَلّىٰ عليهم الأشتر)

□ قوله عليه السلام: منْ عَبْدَ اللّهِ عَلّي أميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام إلىٰ القَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلّهِ حِين عُصِيَ في أَرضِهِ وَذُهِبَ بِحَقِّهِ فَضَرَبَ الجَوْر سُرَادِقَهُ علىٰ البَرِّ والفَاجِرِ والمُقِيمِ والظَّاعِنِ فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ ولا مُنْكَرٌ يُتَناهَىٰ عَنهُ.

أَمَّا بَعْدَ فَقدْ بَعثْتُ إِلَيكُمْ عَبْداًمنْ عِبَادِ اللّهِ لا يَنامُ أَيَّامَ الخَوْفِ ولا يَنْكُلُ عَن الأَعْدَاءِ سَاعاتِ الرَّوْعِ أَشَدّ علىٰ الْفُجّارِ منْ حَرِيقِ النَّارِ وهُوَ مالِكَ ابْنُ الحارِثِ أَخُو مَذْحَجٍ فاسْمَعوُا لهُ وأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابقَ الحقَّ فإِنَّهُ سَيْفٌ منْ سُيُوفِ اللّهِ لا كلِيلُ الظُّبَةِ ولا تَأبىٰ الضّرِيبَةِ فأنْ أَمَركُمْ أنْ تَنْفِرُوا فانْفِرُواوأنَّ أَمَرَكُمْ أنْ تُقِيمُوا فأَقِيمُوا فإِنَّهُ لا يُقْدِمُ وَلا يُحْجِمُ ولا يُؤخِّرُ ولا يُقَّدمُ إلاَّ عَنْ أَمْرِي وقدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ علىٰ نَفْسِي لِنَصيحَتِهِ لكُمْ وشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ علىٰ عَدُوِّكُم.

◁ اللّغة

(سُرَادِقَهُ) السّرادق بضّم السّين الغطاء الّذي يُمَد فَوق صَحن البيت (الظّاعِنِ) الرّاحل (يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ) أي يُعمَل به (لا يَنْكُلُ) من نَكل اذا رَجع (الرَّوْعِ) بفتح الرّاء الخَوف (مَذْحَجٍ) كَمسجد أبو قبيلة من اليَمن (الظُّبَةِ) بضَم الظّاء وفَتح الباء مُخفف، حدّ السّيف والسّنان (الضَّرِيبَةِ) المَضروبة (آثَرْتُكُمْ) أيِ إختَرتكُم (شَكِيمَتِهِ) أي عَدوته وأصل الشّكيمة الحديدة المُعترضة في فَم الفَرس.

◁ المعنىٰ

(مِنْ عبْدِ اللّهِ عَلّيٍ أميرِ المُؤْمِنينَ) أي هـذا كتابٌ منه (إلىٰ القَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلّهِ حين عُصِيَ) الله (في أرْضِهِ) بأنواع المعاصي (وذُهِبَ بِحَقِّهِ) أي بحقّ اللّه علىٰ عباده (فَضَرَبَ الجَوْرُ) والظّلم فيها (سُرَادِقَهُ) وغطائه (علىٰ البَّر والفَاجِرِ والمُقِيمُ والظَّاعِنِ) الرّاحل (فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إلَيْهِ) يُعمَل به (ولا مُنْكَرٌ يُتناهَىٰ عَنهُ) ويُترك (أمَّا بَعْدَ فَقدْ بَعَثْتُ إلَيكُم عَبْداً منْ عِبَادِ اللّهِ) لِلإمارة عليكم وهو مالك ابن الحرث (لا يَنامُ) ولا يغفل (أيَّامَ الخَوْفَ ولا يَنْكُلُ) ولا يرجع (عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعاتِ الرَّوْعِ) والخَوْف (أشَدَّ علىٰ الْفجَّارِ منْ حَرِيقِ النَّارِ وهُوَ مالِكُ ابْنُ الحَارِثِ أخُو مَذْحَجٍ) أي قبيلة مَذحج) (فأسْمَعُوا لهُ) أي للأشتر (وأطِيعُوا أمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الحَقَّ) لاَ فيما خالفه (فإنَّهُ) أي مالك (سَيْفٌ منْ سُيُوفِ اللّهِ) سَلّهَ الله علىٰ أعدائه (لا كلِيلُ الظُّبَةِ) أي ليس هذا السّيف كليل الحدّ (ولا نَابِي الضَّرِيبَةِ) بحيث لا يؤثّر فيها (فإنْ أَمَرَكُمْ أنْ تَنْفِرُوا فانْفِرُواوإنْ أَمَرَكُمْ أنْ تُقِيمُوا) ولا تنفروا (فأقِيمُوا فإنَّهُ) أي فأنّ الأشر (لا يُقْدِمُ ولا يُحْجِمُ ولا يُؤَخِّرُ ولا يُقَدِّم) في أمرٍ من الأُمور (إلاَّعَنْ أمْرِي وقدْ آثَرْتُكُم) وإخترتكم (علىٰ نفسي لِنَصِيحَتِهِ) أي لِنَصيحَةِ مالك أيّاكم (وشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ) وعداوته (علىٰ عَدُوِّكُمْ).

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ منْ عَبْدِ اللّه عَلّيٍ أميرِالمؤُمِنينَ إلىٰ القَومَالَّذِينَ غَضِبُوا لِلّهِ حين عُصِي في أرْضِهِ وذُهِبَ بِحَقِّهِ ...

قد مضىٰ الكلام في كونه ﷺ أميرِ المُؤمِنين وأنّه من ألقابه الخاصّة به ولا يطلق علىٰ غيره الىٰ يوم القيٰمة والمعنىٰ أنّ هذا الكتاب (منْ عَبْدِاللّهِ عَلّيٍ أميرِ المُؤمِنينَ الىٰ القَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا)لِلّه مُتقرباً اليه (حِين عُصِيَ) اللّه (في أَرْضِهِ وذُهِبَ بِحَقِّهِ)الثّابت علىٰ عباده بسبب العصيان:

□ **قوله ﷺ: فَضَرَبَ الجَوْرُ سُرَادِقَهُ علىٰ البَرِّ والفَاجِرِ والمُقِيمُ والظَّاعِنِ فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ ولا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَىٰ عَنهُ ...**

أي أنّ الجَور بعد عصيانهم ربّهم ضرب سُرَادِقَهُ وغطائه علىٰ كلّهم من البَرِّ والفَاجِرِ والمُقِيمِ والظَّاعِنِ الرّاحل فَلاَ مَعْرُوفٌ هناك يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ ويُعمل به ولا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَىٰ عَنهُ ويترك فعله أعلم أنّ كلامه ﷺ هذا مشعر بمدح أهل مِصر في قتلهم عثمان وذلك لأنّه مَدَحهم أوّلاً بأنّهم الّذين غَضبُوا لِلّه أي غَضبُوا على عثمان لِللّه تعالىٰ حين عُصِيَ اللّهِ في أَرْضِهِ وذُهِبَ بحقّه أي حين عَصىٰ عثمان وولاته في أرض اللّه أعني بها أرض مِصر أو مُطلق الارض الّتي كانت تحت حكُومته، وثانياً بأنّ الجَور أي جَور عثمان وحُكّامه ضَرَب سرادقه على جميع أصناف النّاس وهو كناية عن عمُوم ظلمه بحيث يَتخلص منه أحد فَصار النّاس بذلك مَظلُومين ولا سيّما أهل مِصر لانّ الوالي عليها وهو ابن أبي سَرح كان من أشقىٰ النّاس وأَخبَثَهُم، وثالثاً بأنّ أَهل مِصر وَقَعُوا في مَوقع لم يبق فيهم معروف يُعمَل به ولا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَىٰ عنه بل عَمَّت المُنكرات جميع شئونهم.

والشّارح المُعتزلي قد إضطرب في المقام وتَصَدىٰ لِتَأويل كلامه ﷺ بحيث يَتّبرأ عثمان منه فقال في قوله ﷺ: **وعُصي في الارض**، من ولاة عثمان لا منه، وفي قوله ﷺ: **ضرب الجَوْرُ سُرَادِقَهُ**، بولايتهُم وأمرهم (**على البَرِّ والفَاجِرِ والمُقِيمُ والظَّاعِنِ**) فَشاع المُنكر وفُقد المَعروف قال المؤلّف أن كان مُراد الشّارح بما ذكره أنّ عثمان لَم يَجئ الى مِصر ولَم يَظلمهُم بالمُباشرة فهو حقّ لا مَرية فيه ولَم يَقل أَحد بأنّ عثمان باشر الظّلم على أَهل مِصر وغيرها من البلدان وأن أَراد تَبرئة عثمان من الظّلم بالكُلّية بمعنىٰ أنّه ما ظلم أحداً ولا رضىٰ به، فَلِقائل أن يقول فَمن أمَّر على مِصر ابن أبي سَرح المَلعُون حتّى فَعل بأهلها ما فَعل فأن أَمَره عليها عثمان فهو شريك له في عَمَله اذ مَن سَلّط الظّالم على المَظلُوم كَمن ظَلَم عليه بنفسه .

أن قلت ـ لعلّ عثمان لَم يَعلم حاله، قُلت أمّا أوّلاً فكان عليه أن يَفحص عن

حاله ثمّ يُؤمّره وثانياً أنّه كان من أقربائه فكيف لَم يَعرف حاله وثالثاً أنّ أهل مِصر قد شكوا الى عثمان غير مَرةٍ فَلِمَ لَم يَعزله عن مِصر فاذا كان كذلك لا يكون عثمان بَريئاً من الظّلم هذا كلّه مُضافاً الى أنّ العُرف أيضاً لا يَقول بِمَقالة المُعتَزلي اذ يَلزم على ما ذَكره أن يكون فرعون ونَمرود وأمثالهُما أيضاً غير مُتّصف بالظّلم اذ لم يَثبُت ظلم فرعون بالمُباشرة وأنّما هو كان آمراً به راضياً له والحاصل أنّ السّلاطين والخُلفاء كُلّهم كانوا في قصُورهم وبيوتهم مُتَنّعمين وفي شَهواتهُم مُنغَمرين وفي لَذّاتهُم مُنهَمكين وأنّما فَعَل ما فَعل بالنّاس من الظّلم والجَور أمراؤهُم وحُكّامهم فهل يقول عاقل أنّهم لا ذنب لهم أليس قاتل الحُسين وأصحابه هو عُمر بن سَعد وأصحابه فما ذنب يَزيد بن مُعاوية وعُبيد اللّه بن زياد وقِس عليه البواقي والشّارح وأمثاله لَم يَعلمُوا أنّ عثمان وأمثاله كانوا مُؤسّسين لِلظّلم راضين به اذ لو لم يكونوا كذلك لكانوا مُعتَنين بشكايات النّاس عن وُلاتهم وقد عَلمت سابقاً أنّ عثمان هذا هو الّذي عَزل ابن أبي السّرح ثمّ كَتب اليه بقَتل المَصّريين ومحمّد ابن أبي بكر على ما ذكروه في التّواريخ ولقد أتعَبَ المُعتَزلي نفسه في المقام لِتَوجيه كلامه عليه السلام بما لا طائل تحته بل الحقّ أنّه زاد في الطّنبُور نَغمةً أُخرىٰ.

فقد حَصل ممّا ذكرناه في المقام تَفسيراً لِلكلام أنّه عليه السلام مَدَح أهل مِصر بِقيامهم على الظّلم والظّالم وأنّه أدّل دليلٍ على أنّ عثمان لم يُقتَل مَظلُوماً بل قُتِل بما أسّسه وأبدَعه.

▫ **قوله عليه السلام: أمّا بَعْدُ فَقدْ بَعْثتُ إليْكُمْ عَبْداً منْ عِبادَ اللّهِ لا يَنامُ أيّامَ الخَوْفِ ولا يَنْكُلُ عَنِ الأعْدَاءِ سَاعاتِ الرَّوْعُ أَشَدَّ على الْفُجّارِ منْ حَرِيقِ النَّارِ وهُوَ مالِكُ ابْنُ الحَارِثِ أخُو مَذْحَجَ...**

أي أمّا بعد ما ذكرتُ في الكلام السّابق (فَقدْ بَعثْتُ إليْكُمْ عَبْداً منْ عِبادِ اللّهِ)، أي جَعَلته والياً عَليكُم وَصَفه عليه السلام بِامُور أربعة كلّ واحدٍ منها يكفي في إثبات إيمانه وعلّو مقامه:

أحدها: أنّه عبد مِن عِبَادِ اللّهِ، وَصَفه بالعَبْودية الّتي هي من أعلىٰ المَراتب وأسنىٰ المَدارج في طريق السّلوك الى اللّه ولأجل ذلك إختاره اللّه على جميع الاوصـاف حـيث قـال: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ [(١)] ولَم يقل برسوله مثلاً ولعلّه لذلك إختاره على بَقّية الاوصاف وقال عبدٌ من عِباده فكأنّه ﷺ وَصَفه بأحسن ما يُمكن أن يُوصَف به.

وثانيها: وَصَفه بأنّه (**لا يَنَامُ أَيَّامَ الخَوْفِ**)، المُراد بالأيّام في كلامه ﷺ أمّا أن يكون أيّام الدّنيا أي أيّام عُمره فيها فأنّها أيّام الخَوف لِلقاتل المُؤمن بالآخرة وأمّا أن يكون المُراد بها الايّام الخاصّة أعني بها الأيّام الّتي فيها فَطّنَته الخَوف من الاعداء، فعلىٰ الاوّل معنىٰ العبارة أنّه لا ينام أي لا يَغفل في الدّنيا عن الآخرة وعلى الثاني معناها أنّه لا يَنامُ أيَّامَ الخَوْفِ من الاعداء حتّىٰ يَستأصلهُم ويَقتلهُم وكيف كان ففي الكلام دلالة على أنّ الرّجل ليس من أهل الغفلة وهو مَدحٌ عظيم.

وثالثها: (**ولا يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعاتِ الرَّوْعِ**)، أي أنّه لا يرجع عنهم بالفرار (سَاعاتِ الرَّوْعِ)والفَزَع والوَحشة فأنّه كَرّار غير فرّار كما قال رسُول اللّه ﷺ **في علّيٍ أنّه كَرارٌ غير فَرارٌ**:

ورابعها: وَصفَه بأنّه أشَدَّ علىٰ الْفجّارِ منْ حَرِيقِ النَّارِ، كما قال تعالىٰ:﴿**أشدّاء عَلَىَ الْكُفَّار**﴾ فكما أنّ النّار تحرقّ الحَطَب كذلك الأشتر فأنّ نار غضبه تحرق الفَجّار ووجه كونه مدحاً هو أنّ الشدّة على الكفّار لِلّه تعالىٰ دليل علىٰ إيمان المَرء وأنّه لا يخاف في اللّه لَومة لائم:

ثُمّ بعد ذكره الأوصاف الأربعة بيّن الموصوف بها وقال هو مالك ابن الحارث أخو مذحج أي أنّه من قبيلة مذحج من قبائل يَمَن:

□ **قوله** ﷺ: **فاسْمَعُوا لهُ وأطِيعُوا أمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الحَقَّ فإنَّهُ سَيْفٌ منْ سُيُوفِ اللّهِ لا كليلُ الظُّبَةِ ولا نَابي الضَّرِيبَةِ** ...

١- الاسراء ـ ١

أمَرَ عليه السلام أهل مِصر بالسّمع والطّاعة له وقيّد الحكم بما طَابقَ الحَقّ مُشعراً بأنّه لا طاعة لأحدٍ في معصية الخالق كائناً من كان أي فأن طابق قوله وعمله الحقّ فأطيعوه وأسمعوا له والاّ فلا، ثُمّ وَصَفه بأنّه أي مالك **سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللّٰهِ** شبّهه عليه السلام بالسّيف من حيث أنّ السّيف هو الفاصل بين الحقّ والباطل ومالك كان كذلك وأمّا العّامة فيقولون أنّ خالد بن الوليد كان سيفاً **من سُيُوفِ اللّٰهِ** وأسنَدوا الحديث الىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله كغيره من مسنداتهم مع أنّ الخالد كان جبّاراً شقّياً ملعُوناً قلّما يُوجد أشقىٰ منه نعم أنّه كان من أعداء أمير المؤمنين ومع ذلك كان له سَهمٌ وافر فيما وقع عليه عليه السلام من المصائب وهو الّذي صار مأموراً بقتل علّيٍ وتفصيله مسطور في الكُتب وأظنّ أنّ العبارة أعني بها خالد سيف من سُيوفُ اللّه، أخذوها من كلام علّيٍ عليه السلام في هذا المقام وعلّقوها علىٰ الخالد وأسندوها الىٰ رسُول اللّه وأمّا قوله عليه السلام **لا كليل الظّبَة** ولا نابي الضّريبة، فالظُّبَة بضّم الظاء وفتح الباء المُخفّفة حدّ السّيف والسّنان ونحوهما والكليل الّذي لا يقطع فقوله عليه السلام: **لا كليل الظُّبَة** معناه أنّ الأشتر متّصف بحدّة السّيف لا بكليله وقوله ولا نابي الضّريبة يقال بنا عنها السّيف اذا لَم يؤثر فيها أي في الضّريبة وهي المَضروبة والمعنىٰ أنّه ليس ممّن لا يؤثر سيفه في المضروب بل يُؤثر تأثيراً فاحشاً، وهذين الوصفين من أوصاف السّيف فأنّ السّيف قاطع وغير قاطع وحيث أنّه عليه السلام قال **أنّه سيف من سيُوف اللّه** وَصَف السّيف بما وَصَف ويمكن أن يُقال أنّه كالسّيف الّذي كذلك حاله:

▫ قوله عليه السلام: **فإنْ أمَرَكُمْ أنْ تَنْفِرُوا فانْفِرُوا وإنْ أمَرَكُم أنْ تُقِيمُوا فأقِيمُوا فإنَّهُ لا يُقْدِمُ ولا يُحْجِمُ ولا يُؤَخِّرُ ولا يُقَدَّمُ إلاَّ عَنْ أمْرِي ...**

الفاء للتّفريع أي أن كان مالك بن الحرث علىٰ ما وصفناه من كونه **عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللّٰهِ** الىٰ آخر الأوصاف فأن أمَرَكم بشيٍ من التّنفير والأقامة فأطيعوه فأنّ أمره أمري وأمري أمر اللّه:

▫ قوله عليه السلام: **وقدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ علىٰ نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وشِدَّةِ شكِيمَتِهِ علىٰ عَدُوِّكُمْ ...**

أي قد إخترتكم لولاية مالك عليكم علىٰ نَفْسِي وذلك لِنَصِيحَتِهِ مالك لكُمْ وشِدَّةِعداوته علىٰ عَدُوِّكُمْ وفي كلامه عليه السلام هذا إشعار بالمدح البالغ في حقّ الرّجل حيث قال عليه السلام: (آثَرْتُكُمْ بِهِ علىٰ نِفْسِي) فأنّ معناه أنّي أرسلت اليكم مالكاً مع شدّة علاقتي به وكمال أُنسي له والعِلّة ما ذكره وقد ذكرنا سابقاً من الأخبار ما دّل علىٰ عظمة الأشتر وأن كان ما ذكره عليه السلام في المقام يَكفينا ولا نحتاج الىٰ أزيَد منه بل لا يُمكن المَدح أبلَغ وأوفىٰ ممّا ذكره في المقام ولا سيّما قوله آثرتكم به علىٰ نفسي.

(٣٧) ومن كتابٍ له عليه السلام

الىٰ عمرو بن العاص

□ قوله عليه السلام: فإنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيا أمْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ يَشِينُ الكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ ويُسَفِّهُ الحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ فاتَّبَعْتَ أثَرَهُ وطَلَبْتَ فَضْلَهُ إتّباعَ الكَلْبِ لِلضرْغامِ يَلُوذُ إلىٰ مَخالِبِهِ ويَنْتَظِرُ ما يُلْقَىٰ إلَيْهِ منْ فَضْلِ فَرِيسَتِه فأَذْهَبْتَ دُنْياكَ وآخِرَتَكَ ولوْبالحقِّ أخَذْتَ أدْرَكْتَ ما طَلَبْتَ فإنْ يُمكِّنِّي مِنْكَ ومِنَ ابْنِ أبي سِفْيانَ أجْزِكُما بِمَا قَدَّمْتُما وإنْ تُعْجِزَا وتَبْقَيا فَما أمامكُما شَرٌّ لكُمَا.

◁ اللّغة

(غَيُّهُ) الغَي الضّلالة (مَهْتُوكٍ) مفعول من الهِتك (يَشِينُ) أي يَعيب (لِلضرْغامِ) الأسد (يَلُوذُ) أي يلتجأ (فَرِيسَتِه) صَيده:

◁ المعنىٰ

(فإنَّكَ) يا بن العاص (جَعَلْتَ دِينَكَ) أن كان (تَبَعاً لِدُنْيا أمْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ) وضلالته (مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ) لتجاهره بالفسق (ويَشِينُ الكَرِيمَ بمَجْلِسِهِ ويُسَفِّهُ الحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ) فيحكم بسفاهة الحليم اذا خالطَه (فاتَّبِعْتَ أثَرَهُ وطَلَبْتَ فَضْلَهُ إتّباعَ الكَلْبِ لِلضرْغامِ) أي كإتّباع الكَلْبِ لِلأسد (يَلُوذُ إلىٰ مخالِبِهِ ويَنْتَظِر ما يُلْقَي) الأسد (إلَيْهِ منْ فَضْلِ فَرِيستَهِ) وصيده (فأَذْهَبْتَ دُنْياكَ وآخَرتِك) بمتابعتك أيّاه (ولوْ بالحَقِّ أخَذْتَ) أي والحال أنّك لو أخذت ما أخَذتَ بالحق

(أدْرَكْتَ ما طَلَبْتَ) من الدّنيا (فإنْ يُمكِّنِّي) اللّه (مِنْكَ ومِنَ ابْنِ أبي سِفْيانَ) وهو معاوية (أجزِكُما بمَا قَدَّمْتُما) من الأعمال (وأنْ تُعجِزَا وتَبقَيا) بعدي في الدّنيا (فَما أمامكُما) من العذاب يوم القيامة (شَرٌّ لكُما) من مُجازاتي في الدّنيا:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ فإنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبعاً لِدُنْيا أمرئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ يَشِينُ الكَرِيمَ بِمَجْلسِهِ ويُسَفِّهُ الحِليمَ بِخِلْطَتِهِ فاتَّبَعْتَ أثَرَهُ وطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتّباعَ الكَلْبِ لِلضرْغام ...

أي أنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبعاً لِدُنْيا أمروٌ له أوصاف رذيلة:

أحدها: أنّه ظاهر غيّه وضلالته ولا يخفىٰ هذا علىٰ أحدٍ.

وثانيها: أنّه مَهْتُوكٍ السّتر أي مُتجاهرٌ بالفسق والعصيان،:

وثالثها: أنّه يُذّم الكريم بسبب مجالسته أيّاه لخباثته ودنائته، ورابعها أنّ الحليم يُسّفه أي يحكم بسفاهته بسبب خُلطته ومعاشرته أيّاه فأتبعتَ أثره وطَلبتَ فضله وأنّما مثلك مثل الكلّب في إتّباعه الأسَد:

▫ قوله ﷺ: يَلُوذُ إلىٰ مخالِبهِ ويَنْتَظِرُ ما يُلْقَي إلَيْهِ منْ فَضْلِ فَرِيستَهِ ...

أي يَلُوذُ الكَلْبِ الىٰ مخالبه وينتظر أن يأكل الأسَد ما إصطاده ويُلقي الىٰ الكَلب ما زاده منه.

▫ قوله ﷺ: فأَذْهَبْتَ دُنْياكَ وآخِرَتَكَ ولوْ بالحَقِّ أخَذْتَ أدْرَكتَ ما طَلَبْتَ ...

أي (فأَذْهَبْتَ دُنْياكَ وآخِرتَكَ) بمُتابعتك لمعاوية وجَعله إماماً لنفسك والحال انک لو أخذتَ بالحقّ من أوّل الأمر وأعرضتَ عن الباطل أدركتَ ما طَلَبْتَ من دنياك مُضافاً الىٰ الآخرة:

▫ قوله ﷺ: فإنْ يُمكِّنِّي مِنْكَ ومِنَ ابْن أبي سِفْيانَ أجْزِكُما بمَا قَدَّمْتُما وإنْ تُعْجِزَا وتَبْقَيا فَما أمامكُما شَرٌّ لكُما ...

أي فإنْ يُمكّنّي اللّه تعالىٰ بالتّسلط عليك وعلىٰ معاوية أجزكما في الدّنيا بما قدمتما من سيّئات الأعمال وقبائح الأفعال والأقوال وأن لم يُمكنّي اللّه

منكما وبقيتما بعدي في الدّنيا فما أمامكما من العذاب في الآخرة شّر لكما من عذاب الدّنيا فأفعلا ما شئتما فأنّ اللّه لبالمرصاد:

أقول: في هذا الكتاب الّذي كتبه عليه السلام الى عمرو بن العاص فوائد كثيرة لابأس بالإشارة اليها إجمالاً، وقبل ذلك نذكر طرفاً من نَسَب عمرو بن العاص وحالاته فنقول:

نَسَب عمرو بن العاص :قال في الإصابة، هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بالتّصغير بن سهم بن عمرو بن حصيص بن كَعب بن لؤي القرشي السّهمي أمير مِصر يُكنّىٰ أبا عبد اللّه وأبا مُحمّد وأُمّه النّابغة بن عَنزَة بفتح العين المُهملة والنّون أسلَمَ قبل الفتح في صفر سنة ثمان وقيل بين الحُديبّية وخيبر الىٰ أن قال، وولّىٰ عمرو إمرة مِصر في زَمن عُمر بن الخطاب وهو الّذي إفتتحها وأبقاه عثمان قليلاً ثُمّ عَزَله وولّىٰ عبد اللّه بن أبي سَرح وكان أخا عثمان من الرّضاعة فآل أمر عثمان بسبب ذلك الىٰ ما إشتهر ثُمّ لَم يزل عمرو بغير أمرةٍ الىٰ أن كانت الفِتنة بين علّي ومعاوية فلحق بمعاوية وكان مَعه يدّبر أمره في الحَرب الىٰ أن جرىٰ أمر الحَكَمين ثُمّ سار في جيشٍ جهّزه معاوية الىٰ مِصر فولّيها معاوية عليها من صفر سنة ثمان وثلاثين الىٰ أن مات سنة ثلاث وأربعين وقيل قبلها بَسَنة وقيل بعدها ثُمّ اختلفوا فقيل بسّتٍ وقيل بثمان وقيل بأكثر من ذلك قال يحيىٰ ابن بكير عاش نحو تسعين سنة وقال العجلي عاش تسعاً وتسعين سنة الىٰ آخر ما قال انتهىٰ ما أردنا دكره:

أقول : قال ابن أبي الحديد ذَكر الزّمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال كانت النّابغة أمّ عمرو بن العاص أَمَة لرجلٍ من عَنزَة فسُبَيت فأشتراها عبد اللّه بن جذعان بمكّة وكانت بغّياً ثُمّ أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المُطلب وأُمّية بن خلف الحجمي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل السّهمي في طُهرٍ واحدٍ فولدت عمرواً فأدّعاه كلّهم فحكَمَت أمّه فيه فقالت هو من العاص بن وائل وذلك لأنّ العاص ينفق عليها كثيراً قالوا

وكان أشبه بأبي سفيان:

قال وروىٰ أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ في كتاب الأنساب أنّ عمرواً إختصم فيه يوم ولادته رجلان أبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فقال أبو سفيان أما أنّي لا أشكّ أنّي وضعته في رحم أمّه فأبت إلّا العاص فقيل لها أبو سفيان أشرف نسباً فقالت أنّ العاص بن وائل كثير النّفقة علّي وأبو سفيان شحيح ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لعمرو بن العاص حين هجاه مُكافئاً له من هجاء رسُول اللّه ﷺ:

أبوك أبو سفيان لا شّك قد بَدَت
لنا فيك منه بيّنات الدّلائل
فـفاخَر به أما فخرت فلا تكن
تفاخر بالعاص الهجين بن وائل
وأنّ الّتي في ذاك يا عمرو حكمت
فقالت رجاء عند ذلك القائل
من العاص عمرو تخبر النّاس كلّما
تَجمّعَت الأقوام عند المحافل

ومن المعلوم الثّابت عندنا وعند غيرنا من المُنصفين المُمارسين حَول الأخبار المرّوية عن الرّسُول ﷺ أنّ المُعادي والمُبغِض لعلّي بن أبي طالب وأولاده المعصومين لا يكون إلّا وَلَد الزّنا كائناً من كان و ما ورد في ذمّ عمرو ومعاوية كاناكذلك فهما من أولاد الزّنا وقد مَرّ نَسَب معاوية قريباً ممّا ذكرناه في نَسَب عمرو من كثرة الأباء فأنّ معاوية أيضاً إختصم فيه مسافر بن أبي عمرو وعمارة بن الوليد بن المُغيرة وعبّاس ابن عبد المطّلب، والصّباح وقد قالوا أنّ الصّباح كان مُغّن لعمارة بن الوليد وكان أبو سفيان دميماً فقيراً والصّباح عسيفاً لأبي سفيان شابّاً وسيماً فدعته هند الىٰ نفسها فَغَشيها وقالوا أنّ عتبة بن أبي سفيان من الصّباح أيضاً وقالوا أنّها كرهت أن تَضَعه في منزلها فخرجت الىٰ أجياد

فوضعته هناك كما قال حسّان فيه:

لِـمَن الصّـبي بـجانب البـطحاء ... في التّـرب مُـلقىً غير ذي مـهدٍ
بَــخَلت بــه بــيضاء آنســة ... مـن عـبد شـمس صلته الخَـدُّ

وأمّا الأخبار في ذمّهما كثيرة ونحن نُشير الىٰ بعض ما ورد منها:

دخل رسُول اللّه ﷺ المَسجد وفيه عمرو بن العـاص والحَكَـم بـن أبـي العاص فقال عمرو يا أبا الأبتر وكان الرّجل في الجاهلية اذا لم يكـن له ولد يسمّىٰ أبتراً ثمّ قال عمرو أنّي لأشناء مُحمّداً وأبغضه فأنزل اللّه علىٰ رسُول اللّه أنّ شانئك أي مُبغِضك عمرو بن العاص هو الأبتر يعني لا دين له ولا نَسَب «بحار الأنوار ج ٨ ص ٥٦٠».

وعن المناقب بأسناده عن أبي هريرة وابن عبّاس وفي تفسير ابن جريح عن عطا عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (١) أنّ النّبي قد انتَبَه من نومه في بيت أُمّ هاني فَزَعاً فسألته عن ذلك فقال يا أُمّ هاني أنّ اللّه عزّ وجلّ عَرَض علّي في منامي القيامة وأهوالها والجنّة ونعيمها والنّار وما فيها وعذابها فأطّلعت علىٰ النّار فإذا أنا بمعاوية وعمرو بن العاص قائمين في حرّ جهنّم ترضح رؤسهما الزّبانية بحجارة من جمر جهنّم يقولون لهما هل آمنتما بولاية علّي بن أبي طالب قال ابن عبّاس فـيخرج عـلّيٌ مـن حـجاب العظمة ضاحكاً مُستبشراً وينادي حَكَم لي وربّ الكعبة فذلك قوله أَليس اللّه، بأحكم الحاكمين فيبعث الخبيث الىٰ النّار ويقوم علّيٌ في الموقف يشفع في أصحابه وأهل بيته وشيعته انتهىٰ« بحار الانوار ج ٨ ص ٥٦٠».

دخل زيد ابن أرقم علىٰ معاوية فاذا عمرو بن العاص جالس مـعه عـلىٰ السّرير فلمّا رأىٰ ذلك زيد جاء حتّىٰ رمىٰ بنفسه بينهما فـقال له عـمرو بـن العاص أما وجدت لك مجلساً إلّا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين فقال زيد أنّ رسُول اللّه ﷺ غزا غزوةً وأنتما مَعَه فرآكما مجتمعينَ فنظر اليكـما نـظراً

١- تين ٨

شديداً ثُمّ رآكما اليوم الثّاني واليوم الثّالث كلّ ذلك يديم النّظر اليكما فقال في اليوم الثّالث اذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعينَ ففرّقوا بينهما فأنّهما لَن يجتمعا علىٰ خيرٍ انتهىٰ» ج ٨ ص ٥٦٥».

وعن مُحمّد بن فضيل بأسناده قال أخبرني أبو هلال أنّه سمع أبا برزة الأسلمي أنّهم كانوا مع رسُول اللّه فسمعوا غناءً فتشرفوا له فقام رجل فاستَمع له وذلك قبل أن تحرم الخمر فأتاهم ثُمّ رجع فقال هما معاوية وعمرو بن العاص يجيب أحدهما الآخر وهو يقول:

لا يزال حوار تلوح عظامه ذو الحَرَب عنه أن تجِنّ فيقبرا

فرفع رسُول اللّه ﷺ يديه فقال اللّهم أركسهم في الفِتنة رَكَساً اللّهم دعّهم الىٰ النّار دعّاً ج ٨ ص ٥٦٥.

والأحاديث في ذمّهما كثيرة جدّاً لا يمكن إحصاؤها كما أنّها في فضل علّي كذلك اذا عرفت هذا فنقول ذكرَ ﷺ في هذا الكِتاب الىٰ ابن العاص أُموراً يستفاد منها أُموراً هي:

أحدها: أنّ عمرو جَعَل دينه تبعاً لدينا معاوية وفيه إشارة الىٰ أنّ عمرواً كان أَخبث من معاوية وذلك لأنّ معاوية باع آخرته بدنياه وعمرو باع آخرته بدينا غيره وهو دليل علىٰ كمال حماقته وجَهله .

وثانيهما: أنّ معاوية كان موصوفاً بما ذكره ﷺ ومن كان كذلك ينبغي تركه وطَرده بل لَعنه لا متابعته .

وثالثها: أنّه ﷺ شبّه معاوية بالضّرغام وعمرواً بالكلب الّذي يَنْتَظِر ما يُلْقيَ إلَيْهِمن فَرِيستَهِ ولا شكّ أنّ الأسد خير من الكلب حيث أنّه يصطاد بنفسه والكلب يعجز عنه فمعاوية خير منه:

ومن كتاب له ﷺ (٣٨)
الىٰ بعض عمّاله

▫ قوله ﷺ: أمّا بَعْدُ فَقدْ بَلَغني عَنْكَ أمْرٌ إنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقدْ أسْخَطْتَ رَبَّكَ وعَصَيْتَ إمامَكَ وأَخْزَيْتَ أمانَتَكَ.

بَلَغَني أنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ فأخَذْتَ ماتَحْتَ قَدمَيْك وأَكلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ فارْفَعْ إلَيَّ حِسابَكَ وأعلَم أنْ حِسَابَ اللّهِ أعْظَمُ منْ حِسَابِ النَّاسِ .

◁ اللغَة

(أَسْخَطْتَ) أي أغضبتَ (جَرَّدْتَ الأَرْضَ) أي رَعَيت ما عليها ولم تَبق للرّعية منها شيئاً.

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ أمّا بعد الحمد والثناء عليه (فَقدْ بَلَغني عَنْكَ أَمرٌ إن كُنْتَ فَعَلْتَهُ)...

فقد التَزمتَ بإمُور ثلاثة كُلّها يَضرك أحدها سَخط الرّب وغَضبه وثانيها عصيانك إمامك وثالثها الخزي والخِيانة في الأمانة فأنّ أموال المُسلمين أمانة منهم عندك وقد أمرك اللّه تعالىٰ بِأداء الأمانة الىٰ أهلها ثُمّ قال ﷺ بَلغني أنّك جَرّدتَ الأَرضَ، أي إختَصَصتها بنفسك ولَم تَبق للرّعية فيها شيئاً وأَكَلت ما تحت يَديك وما أُشركت فيه أحداً فإرفع الّي حسابك فأنّك مَعْول عندي وعند اللّه وإعلم أنّ حساب اللّه أَعظم من حساب خَلقه أي أنّك أن لَم تَرفع إلَيَّ

حسابك فلا شك أنّ اللّه يُحاسبك به غداً يوم القيامة وهو أشدّ وأعظم وهذا الكتاب كتبه عليه السلام الى بعض عُمّاله ولَم يُعلم أنّه من هو والّذي يَهمّنا عتابه أيّاه في تَصرفه لأموال النّاس وفيه إشعار بأنّ الوالي ليس له حقّ التّصرف في أموال المُسلمين كيف يشاء بل وَظيفته حِفظ أموالهم ونفوسهم وصيانة عرضهم وسدّ ثغُورهم وحِفظ أمنيتهم وغير ذلك من الامُور السّياسية والإجتّماعية ممّا فيه صلاح الامّة فهو في الحقيقة خادم النّاس كما قال رسول اللّه سيّد القوم خادمهُم، وأمّا الولاة في زماننا هذا فَنَستَجير باللّه منهم ونحن نقول كما قال الشاعر:

أَميرنا يَرتشي وحاكمنا يَلُوط والرّأس شّر ما رأس

ومن كتاب له عليه السلام (٣٩)
الى بعض عُمّاله

□ قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ في أَمانَتي وجَعَلْتُكَ شِعارِي وبِطانَتي ولمْ يَكُن رجُلٌ منْ أهْلي أَوْثَقَ مِنكَ في نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي ومُوَازَرَتي وأَداءِ الأَمانَةِ إِلَّي فَلمَّا رَأيْتُ الزَّمَانَ علَى ابْنَ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ والعَدُوَّ قدْ حَرِبَ وأَمَانَةِ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ وهذِهِ الأُمَّةَ قدْ فَنَكَتْ وشَغَرَتْ قَلَبْتَ لِابْنِ عِمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فَفارَقْتَهُ مَعَ المُفارِقينَ وخَذَلْتَهُ مَعَ الخَاذِلينَ وخُنْتَهُ مَعَ الخَائِنينَ فَلاَ إبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ ولا الأَمانَةَ أَدَّيْتَ وكأَنَّكَ لَمْ تُرِيدُ بِجِهادِكَ وكأَنَّكَ لَمْ تَكنْ علىٰ بَيِّنَةٍ منْ رَبِّكَ وكأَنَّكَ إنّما كُنْتَ تَكِيدُ هذِهِ الأُمَّةَ عَنْ دُنْياهُمْ وتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ فَلَمَّا أَمكَنْتَكَ الشِّدَّةُ في خِيانَةِ الأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ وعاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وإخْتَطَفْتَ ما قَدَرْتَ علْيهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ المَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وأَيْتامِهِمْ إِخْتِطافَ الذِّئبِ الأَزْلِ دَامِيَةَ المِعْزَىٰ الكَسِيرَةِ فَحَمَلْتَهُ إلىٰ الحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدرِ بِحَمْلِهِ غيرَ مُتأثِّمٍ منْ أَخْذِهِ كأَنَّكَ لا أَبا لِغيرِكَ حَدَرْتَ إلى أَهْلِكَ تُراثاً منْ أَبِيكَ وأُمِّكَ فَسُبْحانَ اللّٰهِ أَمَا تُؤمِنُ بالمَعادِ أوَ ما تَخافُ نِقاشَ الحِسابِ أَيُّها المَعْدُودُ كانَ عِنْدَنا منْ ذَوِي الأَلْبابِ كيفَ تُسيغُ شرَاباً وطَعاماً. وأنتَ تَعلَم أَنَّكَ تَأكُلِ حَرَاماً وتَشْرَبُ حَرَاماً وتَبْتاعُ الإمَاءَ وتَنْكِحُ النِّساءَ منْ مالِ اليَتامىٰ والمَساكِينَ والمُؤمِنينَ والمُجاهِدِينَ الّذِينَ أَفاءَ اللّٰهُ عليْهِمْ هذِهِ الأَمْوَالَ وأَحْرَزَ بِهِمْ هذِهِ البِلاَدَ فَأتقِ اللّٰهَ وأَرْدُدْ إلى هؤُلاءِ القَوْمِ أَموَالَهُمْ فإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللّٰهُ مِنكَ

لأُعْذِرَنَّ إلىٰ اللّهِ فِيكَ ولأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الّذِي ما ضَرَبْتَ بِه أحداً إلّا دَخَلَ النّارَ ووَاللّهِ لوْ أنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الّذِي فَعلْتَ ما كانتْ لهُما عِنْدِي هَوَادَةٌ ولا ظَفِرَا مِنّي بإرَادَةٍ حتّىٰ آخُذَ الحَقَّ مِنهما وأُزِيلَ الباطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا وأُقسِمُ باللّهِ رَبِّ العالِمين ما يَسُرُّني أنَّ مَا أَخَذْتَ منَ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِي أنّ أَتْرُكَهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي فَضَحِّ رُوَيْداً فَكَأَنَّكَ قَدْبَلَغْتَ المَدَىٰ ودِفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَىٰ وعُرِضَتْ عَلَيكَ أَعْمالكَ بِالمَحَلِّ الّذِي يُنادِي الظَّالِمُ فِيهِ بالحَسْرَةِ ويَتَمَنّىٰ المُضَيِّعُ الرَّجْعَةَ ولاتَ حِينِ مَنَاصٍ.

◁ اللّغة

(بِطانَتِي) البِطانة بكسر الباء السّريرة ومن الثّوب خلاف ظهارته (المُوَاسَاتى) المُواخاتى (المُوازَرة) المُناصرة (كَلِبَ) كَفَرح أي إشتّد وخَشن (حَرِبَ) كَفرح إشتّد غَضبه أو كَطلب بمعنىٰ سَلب ما لنا (خَزِيتَ) كَرَضيت وَقعت في بلّية الفساد الفاضح (فَنَكَتْ) الجارية صارت ماجنة (شَغَرَتْ) لَم يَبق فيها من يَحميها (المِجَنّ) التّرس وهو مَثل يُضرب لِمَن يُخالف ما عهده فيه (آسَيْتَ) أي ساعَدتَ وشاركَتَ في المُلمات (تَكِيدْ) الكَيد الخُدعة (غِرَّتَهُمْ) الغِرّة بكسر الغين الغفلة (فَيْئِهِمْ) الفَيْ مال الغَنيمة (الْكَرَّةَ) الحَملَة (الوَثْبَةَ) بفتح الواو وسكون الثّاء وفَتح الباء بعدها علىٰ وَزن الطَفْرة مصدر قولك وَثَب يَثب ومعناها النّهوض والقيام بالشّئ (إخْتَطَفْتَ) إختَطَف الشّئ إستَلَبه وإنتَزَعه (الأَزْلِ) السّريع الجَريْ وقيل الخَفيف لحم الوَركين (الدّامِيَةَ) المَجرُوحة (المَعْزَىٰ) أُخت الضّان (الكَسيرَةِ) المَكسُورة (حَدَرْتَ) أي أسرَعت (نِقَاشَ) بكسر النّون المُناقشة بمعنىٰ الإستقصاء في الحِساب (هَوَادَةٌ) الهَوادة بفتح الهاء الصُلح (فَضَحِّ) من ضَحيتَ الغَنم اذا رَعيتها في الضُحىٰ أي فارع نفسك على مَهلٍ (المَدَىٰ) بفتح الميم الغاية (مَنَاصٍ) الفرار.

◁ **المعنىٰ**

(**أَمَّا بَعْدَ فإنّي كُنْتُ أَشْرَكْتُك**) أي جَعلتُك شريكاً لي (**في أَمانَتي**) وإمارتي (**وجَعَلْتُكَ شِعارِي وبِطانَتي**) أي كالإشعار والبِطانة لِنفسي (**ولمْ يكُنْ رجُلٌ من أهْلي أَوْثَقَ مِنك في نَفْسِي**) بل كُنتَ أنتَ أَوْثَقَ منهم أو مثلهم (**لِمُوَاسَاتِي**) أي مُواخاتي (**ومُوَازَرَتي**) ومُناصرتي (**وأَداءِ الأَمَانَةِ**) وردّها (**إِلَّي فلمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ على إِبْنِ عَمِّكَ قد كَلِبَ**) أي إشتَد وضاق (**والعَدُوَّ قدْ حَرِبَ**) وغضب (**وأَمَانةَ النَّاسِ قدْ خَزِيت**) وفَسدت (**وهذِهِ الأُمَّةَ قَدْ فَنَكتْ**) وتلاشت في أمرها (**وشَغَرَتْ**) فَلَم يَبق من يَحميها (**قَلَبْتَ لإِبْنَ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ**) أي قَلَبتَ ما كنتَ فيه من العَهد فَخالفته (**فَفارَقْتَهُ**) أي إبن عنك (**مَعَ المُفارِقِينَ وخَذَلْتَهُ مَعَ الخَاذِلِينَ وخُنْتَهُ مَعَ الخَائنينَ فَلاَ إبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ**) وساعَدتَ (**ولا الأَمانة أَدَّيْتَ**) الىٰ أهلها (**وكأَنكَ لَمْ تَكُنِ اللّهَ تُرِيدُبِجِهادِكَ**) في الغَزَوات بل أردتَ الدّنيا ومَتاعها(**وكأَنّكَ لَمْ تكَنْ علىٰ بيِّنةٍ**) وحُجةٍ (**منْ رَبِّكَ وكأَنَّكَ إنّما كُنْتَ تَكِيد هذِهِ الأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ**) بظواهر أعمالك وأقوالك (**وتَنوي**) في قَلبك (**غِرَّتهُم**) وغفلتهم (**عَنْ فَيْئِهِمْ فلَمَّا أَمكَنَتْكَ الشِّدَّةُ في خِيانَةِ الأُمَّةِ**) بسرقة أموالهم (**أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ وعاجَلْتَ الْوَثْبَة**) أي أسرعتَ وعاجَلتَ في النهوض علىٰ أخذ أموالهم (**وإخْتَطَفْتَ**) وإنتزعتَ (**ما قَدَرْتَ علَيهِ مِنْ أَمْوَالِهم المَصُونَةِ لِأَرَامِلِهمْ وأَيْتامِهِمْ اخْتِطافَ**) أي كاختطاف (**الذِّئبِ الأَزْلِ**) السَريع الجَريّ (**دَامِيَةَ المِعْزَىٰ الكَسيرَةِ**) أي المِعزَىٰ المَجروحة المَكسُورة (**فَحَمَلْتَهُ**) المال (**إلىٰ الحِجَاز رَحِيب الصَّدْرِ**) كناية عن فَرحه وسرُوره به (**بِحَمْلِه**) المال (**غيرَ مُتأثِّمٍ**) كمن لا إثم ولا ذَنب له (**منْ أَخْذِهِ**) المال (**كأَنَّكَ لا أَبَا لِغيرِكَ**) توبيخ مع التحامِي من الدّعاء عليه (**حَدَرْتَ**) وأَسرعتَ (**إلى أَهلِكَ تُرَاثاً**) ومِيراثاً (**منْ أبِيكَ وأُمِّكَ فَسُبْحَانَ اللّهِ أَمَا تُؤمِنُ بالمَعادِ أَوَ ما تَخافُ نِقاشَ الحِسَابِ**) والإستقصاء فيه يوم القيامة (**أَيُّها المَعْدُودُكانَ عِنْدَنا منْ ذَوِي الأَلْبابِ**) والعقول (**كَيفَ تُسِيغُ**) وتَشرَبُ (**شرَاباً وطَعاماً وأنْتَ تعلمُ أَنَّكَ تَأكُلُ حَرَاماً وتَشْرَبُ**

حَراماً وتَبْتاعُ الإِمَاءَ وتَنْكِحُ النِّساءَ منْ مَالِ الْيَتامىٰ والمَساكِينَ والمُؤمِنينَ والْمُجاهِدِينَ) في سبيل اللّـه (الَّذِينَ أَفاءَ اللّهُ عليْهِمْ هذِهِ الأَمْوَالَ وأَحْرَزَ بِهِمْ هذِهِ الْبِلاَدَ فاتَّقِ اللّهَ وأرْدُدْ إلى هؤلاَءِ القَوْمِ) الّذين أشرت اليهم (أَمْوالَهُمْ فإنكَ إنْ لمْ تَفْعَل) أي أن لَم تردّها اليهم (ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللّهُ مِنْكَ لأُعْذِرَنَّ إلىٰ اللّهِ فِيكَ) أي لو أمكنني اللّه منك لأعاقبنّك عقاباً يكون لي عذراً عند اللّه. (ولأَضْرِبَنَّكَ بَسَيْفِي الّذِي ما ضَرَبْتُ بِه أحَداً إلّا دَخَلَ النّارَ) لكونه مُستحقاً لها (وَوَاللّهِ) أي أقسم به (لَو أنّ الحَسَنَ والحُسيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الّذِي فَعَلْتَ) من الخيانة في أموال المُسلمين (ما كانتْ لهُما عِنْدِي هَوَادَةٌ) أي صُلح ومَحبّة (ولا ظَفِرَا مِنِّي بإرَادَةٍ حتّىٰ آخُذَ الحَقَّ مِنْهَما وأُزِيلَ) وأرفع الباطل (عَنْ مَظْلِمَتِهِما) فكيف بك (وأُقْسِمُ باللّهِ رَبِّ العالِمين ما يَسُرُّني أنَّ مَا أخَذْتَ منْ أمْوالِهِمْ) علىٰ سبيل السّرقة (حَلالٌ لي أتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي) بل هو مال المُسلمين (فَضَحِّ رويْداً) أي فأرع نفسك علىٰ جهلٍ (فَكأَنَّكَ قَدْ بَلَغتَ المَدَىٰ) وأشرفتَ علىٰ المَوت (ودُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَىٰ) وهو القبر (وعُرِضَتْ عَليكَ أعْمالَكَ بالمَحَلِّ الَّذِي يُنادِي الظَّالمُ فِيهِ بالحَسْرَةِ) وهو موقف الحساب (وَيَتَمَنَّىٰ المُضَيِّعُ الرَّجْعَةَ) من اللّـه تعالىٰ الىٰ الدّنيا **﴿ولات حين مناص، كلّا أنّها كلمة هو قائلها﴾**

◁ الشّرح

أعلم: أنّه اختلفت كلمات الشّراح في المكتوب اليه بهذا الكتاب بعد اتّفاقهم علىٰ أنّه كان من بني أعمامه وحيث قد ثبت أنّه لم يكن من بني أعمامه ﷺ متّصدياً لأمر الحكومة في خلافته إلّا أولاد عبّاس بن عبد المطّلب فلا محالة يكون المكتوب اليه واحداً منهم مِمّن كان مُتّصدياً لها وهم عبد اللّه بن العبّاس وعبيد اللّه بن العبّاس وقثم بن العبّاس فالأوّل كان والياً علىٰ البَصرة والثّاني علىٰ اليَمن والثّالث علىٰ مكّة وعليه فالمخاطب بهذه الكلمات والمكتوب اليه بهذا الكتاب يدور مدارهم ولا يخلوا عن هؤلاء الثلاثة لأنّ أمير المؤمنين ﷺ كرّر في الكتاب جملة ابن عَمّك، ونحن نشرح لك أوّلاً ألفاظ

الكتاب ثُمّ نتكلم في المراد به فنقول:

▫ **قوله ﷺ: أمَّا بَعدُ فإنِّي كُنْتُ أشْرَكْتُكَ في أمَانَتي وَجعَلْتكَ شَعّارِي وبِطانَتي ...**

المراد بالأمانة أمّا الأموال الموجودة في بيت المال فأنّها أمانات النّاس عند الحاكم عليهم، وأمّا أصل الحكومة فأنّها أمانة اللّه تعالىٰ عند الوالي علىٰ النّاس والشّعار بفتح الشين الثّوب الّذي يلي الجَسَد لمماسة الشّعَر والبِطانة بكسر الباء من الثّوب خلاف ظهارته ومن الرّجل أهله وخاصّته وقد تطلق علىٰ السّريرة والمعنىٰ أنّي أشرَكتَك في حكومتي أو في حفظ أموال المُسلمين وجعلتك شَعَري وبِطانتي أي جعلتك من نفسي بمنزلة الثّوب الّذي يلي الجَسد ومن خواصّي وأقربائي في الحكومة ومحصّل الكلام لم يكن أحدٌ أقرب منك إلّي في أمر الحكومة فأن التّشبيه بالشّعار يفيد هذا المعنىٰ اذ لا ثوب أقرب منه الىٰ الجَسد،والشّعار أيضاً ما يُشعر به الإنسان نفسه في الحَرب أي يُعلِّم والمعنىٰ الأوّل أوفق بسياق العبارة وهو واضح:

▫ **قوله ﷺ: وَلمْ يَكنْ رجُلٌ منْأهْلي أوْثَقَ مِنكَ في نَفْسِي لِمُوَاسَاتي ومُوْازَرَتي وأدَاءِ الأَمانَةِ إليَّ ...**

ولمْ يَكنْ رَجُلٌ منْ أهْل بيْتي عندي أوْثَقَ مِنكَ في نَفْسِي لِمَوَاسَاتي أي مُواخاتي ومناصرتي وأدَاءِ الأَمانَةِ إلّيَ.

▫ **قوله ﷺ: فَلمَّا رَأيْتَ الزَّمَانَ عَلىٰ ابْنِ عَمِّكَ قَدْكَلِبَ والعَدُوَّ قدْ حَرِبَ وأمَانَةِ النَّاسِ قدْ خَزِيَتْ وَهذِهِ الأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ وشَغَرَت ...**

أي (كُنْتَ علىٰ ما وصَفناك من المُوَاسَاة والمُوازرة وأدَاءِ الأَمانَةِ فَلَمّا رَأيْتَ الزَّمَانَ علىٰ ابْنِ عَمِّكَ قَد كَلِبَ)وضاق بسبب نفاق النّاس والعدّو وهو معاوية وأصحابه قد حَرِبَ أي خشن وغضب أو سَلَبَ ما لنا من الأموال بالغارة والسّرقة وهتك الأعراض وقتل النّفوس وغير ذلك، وأمانة النّاس قد خَزِيَت وَوَقعت في بليته الفساد، وهذه الأُمّة قد فَنَكت أي أخَذَت بغير حزمٍ في أمرها لنفاقهم وتَشتت آرائهم وشَغَرت فلم يبق من يَحميها ويُعينها:

١ ـ قوله ﷺ: **قَلَبْتَ لأبْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ** أي قَلَبْتَ عَهدك الّذي كُنتَ عليه سابقاً وصِرتَ من الناقضين له قوله ﷺ: **ظهر المِجّن** مثل يضرب به لمن يخالف ما عهد فيه:

٢ ـ قوله ﷺ: **فَفارَقْتَهُ مَعَ الْمفارِقينَ**، أي فارقت ابن عَمِّكَ مَعَ غيرك من المُفارِقينَ:

٣ ـ قوله ﷺ: **وخَذَلْتَهُ مَعَ الخاذِلينَ**، أي صرتَ مُعيناً لهم في خذلانهم أيّاه:

٤ – قوله ﷺ: **خُنْتَهُ مَعَ الخَائِنينَ**، أي خُنتَ إبْن عَمِّكَ في سَرقتك الأموال مع غيرك والحاصل أنّك بعد ما رأيت الأمُور الأربعة المَذكُورة في النّاس فَعَلت الشّنائع الأربعة الأخيرة.

▫ **قوله ﷺ: فلاَ ابْنَ عَمِّك آسَيْتَ ولا الأَمانة أدّيْتَ ...**

أي مع أنّي كُنتُ أطمع منك المُواساة وأداء الأمانَةَ فقد خنتني فيهما فلا آسَيتَ ولا أدّيتَ الأمانة.

▫ **قوله ﷺ: وكأَنكَ لمْ تَكُنِ اللّهَ تُرِيدُ بِجِهادِكَ وكأنكَ لمْ تَكنْ علىٰ بيِّنةٍ مِنْ رَبِّك وكأَنّكَ إنما كُنْتَ تَكِيدُ هذِهِ الأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ وتَنْوِي غرِتَّهُم عَنْ فَيْئِهِم ...**

اذ لو أردت اللّه تعالىٰ بجهادك لما فعلت هذا بل أردت بجهادك الدّنيا وزخارفها، (وكأنّك لمْ تَكُنْ علىٰ بَيِّنةٍ)وحجّةٍ من ربّك أي كأنّ الحجّة منه تعالىٰ لم تتّم عليك، (وكأنّك أنّما كُنْتَ تكيدُ هذِهِ الأُمّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ) بظواهر أعمالك وأقوالك فأظهرت الزّهد في الدّنيا ونَويتَ في قلبك غِرّتَهُمْ وغفلتهم عَنْ فَيْئِهِم الّذي أفاءَه اللّه عليهم والحاصل أنّك كنتَ من المُتظاهرين بالإيمان وأمّا عملك هذا يشعر بنفاقك وأنّ سريرتك غير ظاهرك وعلانيتك:

▫ **قوله ﷺ: فلَمّا أمكَنَتْكَ الشِّدّةُ في خِيانَةِ الأُمَّةِ أسْرَعْتَ الْكَرَّةَ وعاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وأخْتَطَفْتَ ما قَدَرْتَ علَيْهِ مِنْ أمْوَالَهِمْ المَصُونَةِ لأَرَامِلِهِمْ وأيْتامِهِم إخْتِطافَ الذِّئبِ الأَزْلِ دَامِيَةَ المِعْزَىٰ الكَسِيرَةِ ...**

لمّا بيّن ﷺ في الجملة السّابقة مخالفة ظاهرة لباطنه وعلانيته لسريرته

وقوله لِفعله فرّع عليه وقال ﷺ: **فلمّا أمكنتكَ الشّدة في خيانة الأُمّة** أي فلمّا قَدِرت علىٰ إيجاد ما أضمرته في قلبك وهو الخيانة في أموال المُسلمين أسرَعتَ الكَرّة وعاجَلتَ الوَثبة أي القيام والنّهوض بما كان في قلبك وإختطفَت وأنتزعتَ ما قدرتَ عليه من أموالهم أي لم تقدر علىٰ أكثر ممّا أخذتَ من أموالهم المصُونة في بيت المال لأرامِلهم وأيتامهم وضعفائهم وفقرائهم مثل إختطاف الذّئب الأزّل السّريع الجَري دامية المِعزىٰ الكسيرة، والمِعزىٰ أُخت الضأنْ والجملة أعني بها دامية المِعزىٰ الكسيرة وقعت مفعولاً لِلإختطاف والذّئب فاعله وحاصل المعنىٰ أخَذَت ما أخَذَت وسَلَبت ما سَلَبت كأخذ الذّئب المِعزىٰ المجروحة المكسورة من الأغنام وفرّرت كما يفّر الذّئب.

▫ قوله ﷺ: **فَحَملتَهُ إلىٰ الحِجَاز رَحِيبُ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غيرَ مُتأثِّم منْ أخْذِهِ ...**

أي فَحَمِلت ما أخَذَت من الأموال الىٰ الحِجَاز رَحِيبَ الصَّدْرِ أي مَسَروراً بحمله غير مُتَأثِّم من أخذِه أي كأنّك ظَننتَ أنّه لا إِثْمَ لك فيما فَعَلت:

▫ قوله ﷺ: **كأَنَّكَ لا أباً لِغيرِك حَدَرْتَ إلىٰ أهْلِكَ تُرَاثاً منْ أبِيكَ وأُمِّكَ سبُحَانَ اللّهِ أمَا تُؤمِنُ بالمَعادِ أو ماتَخافُ نِقَاشَ الحِسَاب ...**

قوله (لا أباً لِغَيرك) جملة معترضة بين قوله كأنّك وقوله حَدرتَ، أراد ﷺ بها التّوبيخ والتّعيير له مع التّجافي عن الدّعاء عليه ولو أراد بها الدّعاء عليه لينبغي أن يقول لا أباً لك، وتقدير العبارة كأنّك حَدرتَ وأسرعتَ الىٰ أهلِك تراثاً وميراثاً من أبيكَ وأُمّك، وبعبارةٍ أُخرىٰ كأنّك حَملتَ اليهم ميراث (أبِيكَ وأُمّك فَسُبحَانَ اللّهِ أَمَا تُؤمِنُ بالمَعادِ أو ما تَخافُ نِقَاشَ الحِسَاب)أي مناقشته وإستقصائه اذ لو كُنتَ مؤمناً بالمعاد وخائفاً من الحساب لما فَعَلت ما فَعَلت من سرقة أموال المُسلمين :

▫ قوله ﷺ: **أيُّها المَعْدُودُ كانَ عِنْدنا منْ ذَوِي الأَلْبابِ كيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وطَعاماً وأنْتَ تَعلَم أنَّكَ تأكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً وتَبْتاعُ الإِمَاءَ وتنْكِحُ النّساءِ منْ مَالِ الْيَتامَىٰ والمَساكِينَ والْمُؤمِنِينَ والمُجاهِدِينَ الّذِين أفاءَ اللّهُ عليْهِمْ هذِهِ الأمْوَالَ وأحْرَزَ بِهِمْ هذِهِ الْبِلاَدَ...**

أيّها الإنسان الّذي كنّا نَعِده في الماضي من ذوي الألباب والعقول (كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وطَعَامَاً) أي كيف يسهل إنحدارهما لك وهو مأخوذ من قوله تعالىٰ **(سائغاً للشاربين)** وأنت تعلم أي والحال أنّك (تَعلمُ تَأكُلُ حَرَاماً وتَشْرَبُ حَرَاماً وتَبْتاعُ الإِمَاءَ وتَنْكِحُ النِّساءَ)أي كيف تشتري الإماء من هذه الأموال المَسروقة وتنكح النّساء وتجعل صداقهنّ منها مع أنّ الكلّ (منْ مَالِ الْيَتَامَىٰ والمَسَاكِينَ والْمُؤمِنِينَ والْمُجاهِدِينِ)في سبيل اللّه بسيوفهم الّذين أفاءَ اللّه عليهم هذه الأموال وأَحَرزَ بهم هذه البلاد وهذا العمل قبيح ومنك أقبَح وأَفَحش:

□ قوله ﷺ: **فاتَّقِ اللّهَ وأُرْدُدْ إلىٰ هؤلاَءِالقَوْمِأمْوَالَهُمْ فإنكَ إنْ لمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أمْكَنْنِي اللّهُ مِنكَ لأُعْذِرَنَّ إلىٰ اللّهِ فِيكَ ولأَضْرِبَنّكَ بسَيْفي الّذِي ما ضَرَبْتُ بِه أحَداً إلَّا دَخَلَ النّارَ ...**

أي إحذَر اللّه تعالىٰ وأُردُد الىٰ هؤلاء القوم أموالهم الّتي أخَذتها وسرقتها فأنّك أن لم تفعل ولم تردّها الىٰ المُسلمين ثُمّ أَمكنني اللّه فيك وسلّطني عليك لأُعاقبنّك عقاباً يكون لي عذراً عند اللّه في فعلتك هذه ولأَضربنّك بسيفي الّذي ما ضربت به أحداً إلّا دخل النّار، وفيه إشارة الىٰ أنّ المقتول بسيفه ﷺ كائناً من كان يدخل النّار والوجه فيه أنّ سَيفه ﷺ سيف الرّسُول وهو سيف اللّه فَمَن قتله أمير المؤمنين كمن قتله رسُول اللّه وهو لا يكون إلّا كافراً أو منافقاً معانداً يجب قتله في الإسلام ولا سبيل له الىٰ النّار فأنّ المعصوم لا يفعل ولا يقول إلّا بأمرٍ من اللّه تعالىٰ ولا يقتل أحداً إلّا بالحقّ وقتل الخطأ في حقّه غير معقولٍ وهذا بخلاف غير المعصُوم فأنّه قد يقتل بغير حقٍّ فيمكن أن ندخل مقتوله في الجنّة ولأجل هذا نقول ما حَكَم ﷺ به في المقام مختّص بمقام العِصمة .

□ قوله ﷺ: **ووَاللّهِ لوْ أنَّ الحَسَن والحُسيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الّذِي فَعَلْتَ ما كانَتْ لهُما عِنْدِي هَوَادَةٌ ولا ظَفَرا مِنِّي بإرَادَةٍ حتّىٰ آخُذَ الحَقَّ مِنْهَما وأُزِيل الْباطِلَ عَنْ مَظْلِمَتِهمَا ...**

ثُمّ أقسم باللّه تعالىٰ وقال لو أنّ الحَسَنين مع مكانتهما عندي وقربهما برسُول اللّه فعلا مثل الّذي فعلت من الخيانة في أموال المُسلمين ما كانت لهما عندي هوادة أي صُلح وقيل أي لا أُصالحهما أصلاً ولا ظفِرا منّي بإرادةٍ حتّىٰ آخذ الحقّ منهما وأَردّهُ الىٰ بيت المال وأزيل وأرفع الباطل عن مظلِمتهما وهي بكسر اللاّم الّذي يُؤخذ ظلماً وبالفَتح المَصدر واذا كان فعلىٰ بالحسن والحُسين هكذا لو فَعلا ما فَعلت فما ظَنّك بغيرهما.

▫ قوله ﷺ: **وأُقْسِم باللّهِ رَبِّ الْعالِمين ما يَسُرُّني أنَّ مَا أَخذْتَ منْ أَمْوَالِهِمْ حلاَل لِي أَتْرُكهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي ...**

ثُمّ أُقْسِم باللّهِ ثانياً وقال أُقسم به أنّه ما يَسُرُّني أنّ المَأخوذ من أموال النّاس منك ومن غيرك أن يَكون حَلالاً لي أكله وشُربه وبعد مَوتي مِيراثاً لِمَن بعدي من الوَرثة وَبِعبارةٍ أُخرىٰ ما أُريد أن أخذ المال منك وأَجعَله خاصّة لنفسي وأهلي بل هو مال الفُقراء أَرُدّه اليهم.

▫ قوله ﷺ: **فَضَحِّ رُوَيْداً فَكأَنَّكَ قدْ بَلَغْتَ المَدَىٰ ودِفِنْتَ تحْتَ الثَّرَىٰ وعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمالُكَ بالمَحَلِّ الَّذِي يُنادِي الظَّالِم فِيهِ بالْحَسرَةِ ويَتمَنّىٰ المُضَيِّعُ الرَّجْعَةَ ولاتَ حِينِ مَناصٍ ...**

أي فأرعَ نفسك على مَهلٍ فأنّما أنت على شَرف المَوت فكأنّك قد بَلَغْتَ المَدَىٰ والغاية وكأنّك دُفِنتَ تحت الثّرىٰ في قَبرك وكأنّك عُرِضَت أعمالك عليك في الآخرة بالمّحل الّذي يُنادي الظّالم فيه بالحَسرة ويقول واحَسرتاه، ويَتّمَنىٰ المُضّيع في الدّنيا أعماله الرّجعىٰ اليها فيقول:(**ربّ إرجعُون لعلّي أعمل صالحاً فيما تَركت ولاتَ حين مَناص**). أي ليس الوقت وقت فرار وأنّما عَبّر بقوله، فكأنّك، لأنّ المَوت والمَراحل بعده حقّ لا مَرية فيه وقد ثبت أنّ المُستَقبل المُحقّق الوقُوع في حُكم الماضي وعليه فكأنّه قد وَقع وفيما ذَكره في آخر الكلام مَوعِظة شريفة لِمَن كان له قَلب وقد تَكّلَمنا في المَوت وما بعده من المَنازل غير مَرّةٍ فلا نعيد الكلام ثانياً ولِنَرجع الىٰ ما وَعدناك في صدر

الكلام من أنّ المَكتُوب اليه بهذا الكتاب من هو فَنقول:

قد ظَهر لنا ولك من ألفاظ الكتاب أنّه ﷺ كَتب هذا الكتاب الىٰ واحدٍ من بني أعمامه الّذين كانوا في حكُومته ﷺ مُتَصدين لأمر الولاية والإمارة من قِبله وقد قُلنا أنّ بني أعمامه الموصُوفين بما وَصَفناه عبد اللّه وعُبيد اللّه وقثم فالمكتوب اليه لا يكون خالياً عنهم.

أمّا قَثم ابن العبّاس فكان والياً علىٰ مكّة ولا يمكن كون الكتاب راجعاً اليه وذلك لأنّ ألفاظ الكتاب يَدّل علىٰ أنّ المكتُوب اليه سَرق المال وحَمَله الىٰ الحجاز ولا معنىٰ لِحَمل المال من الحجاز الىٰ الحجاز فلا مُحالة حَمَله من مكانٍ آخر اليه والدّليل علىٰ ما ذكرناه قوله ﷺ: **فَحَمَلته الىٰ الحجاز**، هذا مُضافاً الىٰ أنّه لَم يَقل أحد من المُؤرّخين بكونه مكتُوباً اليه فالأمر يَدور بين عُبيد اللّه وعبد اللّه والأوّل كان والياً علىٰ اليَمَن والثّاني علىٰ البَصرة.

نقل المُعتزلي في شرحه عن الرّاوندي أنّه قال المَكتُوب اليه هذا الكتاب هو عُبيد اللّه بن العبّاس ثُمّ قال المُعتزلي وليس بصَحيح فأنّ عُبيد اللّه كان عامل علّيٍ علىٰ اليَمَن ولم يَنقل أحد أنّه أخذ مالاً ولا فارق طاعة انتهىٰ أقول ما ذكره حقّ فإنّا بعد ما تَفّحصنا الكُتب عَلمنا أنّه ليس بمُرادٍ فَلم يَبق لنا في المقام إلّا عبد اللّه بن العبّاس الّذي كان والياً علىٰ البَصرة ومع ذلك كان من نُدبائه وتَلامِذته وعبد اللّه هذا، كان عالِماً فاضلاً شجاعاً خَطيباً وهو الّذي كان علّي ﷺ يُحبّه ويُقّربة وقد أراد ﷺ في قصّة الحَكمين أن يَجعله حَكماً من قِبَله فكان أبي موسىٰ الأشعري إلّا أنّ المُنافقين خالَفوه فيه ولَم يَرضوا إلّا بأبي موسىٰ المُنافق وبالجملة قصّة الرّجل مع أمير المُؤمنين مشهورة عند الخاصّة والعامّة وهذا ممّا لا كلام فيه أنّما الكلام في أنّ عبد اللّه مع هذه المَكانة والمَنزلة والعلم والفهم كيف أَقدَم علىٰ هذه الخيانة والسّرقة من بيت مال المُسلمين وهذا هو الّذي جَعل العقُول حَيارىٰ والأفهام صَرعىٰ ومنهم الشّارح المُعتزلي حيث رَجّح في شرحه قول النّافين واستَدل عليه بما رَواه أبو الفَرج

من كتابه الّذي كتّبه الىٰ معاوية من البَصرة بعد قَتل علّي عليه السلام وأنّ معاوية لَم يَقدر علىٰ أن يَخدعه ويَجّره الىٰ جهته مع أنّه إختَدع كثيراً من عُمّال علّي عليه السلام وإستَمالَهم بالأموال فمالُوا الىٰ آخر ما قال، وقال المُعتزلي بعد نقله مقالةَ أبي الفَرج ما لَفظه وهذا عندي هو الأمثَل والأَصوَب انتهىٰ.

ثُمّ قال في آخر كلامه وقد أشكل عَلّي أمر هذا الكتاب فأن أنا كَذّبت النّقل وقُلت هذا كلام موضوع علىٰ أمير المؤمنين خالَفتُ الرّواة فأنّهم قد أَطبقُوا علىٰ رواية هذا الكلام عنه وقد ذكر في أكثر كُتب السّير وأن صرفته الىٰ عبد اللّه بن عبّاس صَدَّني عنه ما أَعلمه من مُلازمته لِطاعة أمير المؤمنين في حياته وبعد وفاته وأن صَرفته الىٰ غيره لَم أَعلم الىٰ من أَصرفه من أهل أمير المؤمنين والكلام يُشعر بأنّ الرّجل المُخاطب من أهله وبني عَمّه فأنا في هذا المَوضع من المُتَوقفين انتهىٰ كلامه.

وأنا أقول – لا إشكال عندي عقلاً ولا شَرعاً ولا عُرفاً في كون المَكتُوب اليه به هو عبد اللّه بن العبّاس وأيّ مَحذُورٍ فيه بعد ما عَلِمنا بأنّ عَبد اللّه كغيره من النّاس وقد ثبت أنّ الإنسان يَصيب ويُخطئ ويطيع ويُذنب ويَصدق ويكذب إلّا من عَصَمه اللّه ومع ذلك نَستّدل علىٰ جواز الإنتساب بالعَقل والنّقل.

أمّا العَقل: فَحاصله أنّه قد ثَبت عنه بالأدّلة العَقلية أنّ الإنسان محّل السّهو والنّسيان والطّاعة والعصيان والصّواب والخَطأ إلّا من عَصَمه اللّه ونُعَبّر عنه بالمَعصُوم فأنّه خارج عن هذه القاعدة العامّة بالأدّلة المَذكُورة في محلّها والمُتّيقن من المَعصُومين الأنبياء بعد البعثة عند العامّة وقبلها وبعدها عندنا والأوصياء أيضاً كذلك علىٰ مَذهبنا وأمّا العامّة فلا يَقولون بعصمَتهم ولا بحث لنا معهم في هذا المقام وأمّا الأنبياء فَعليهم الإتّفاق في باب العِصمَة وعليه فَنقول عبد اللّه بن العبّاس لَم يكن من المَعصُومين قَطعاً بإجماع الفَريقين بأيّ إشكال عقلاً في جواز الخَطأ عليه بل العَقل يعطي جَوازه ووقوعه في حقّه كما في حقّ غيره فيمكن أن يكون الإنسان في بَدو الأَمر مُحسِناً ثُمّ مُسيئاً وبالعكس

وعبد اللّه لَم يكن خارجاً عن القاعدة أو مُستَثنياً عنها فالعَقل لا يأبىٰ الإنتساب وهو المطلوب.

وأمّا النّقل: فقد رَوىٰ المَجلسي ﷺ في البحار بأسناده عن الزّهري قال سمعتُ الحرث يقول إستعمل عليٌ علىٰ البَصرة عبد اللّه بن عبّاس فَحَمل كلّ ما في بيت المال بالبَصرة ولَحِق بمكّة وتَرك عليّاً وكان مَبلغه ألفي ألف درهم فَصَعد عليٌ عليه السلام المنبر حين بَلغه ذلك وبكىٰ فقال **هذا ابن عمّ رسول اللّه في علمه وقَدره يَفعل مثل هذا فَكيف يُؤمن من كان دونه اللّهم أنّي قد مَلَلتهم فَأَرحني منهم وأَقبضني اليك غير عاجزٍ ولا مَلولٍ انتهىٰ...**

قال الكشي شيخ من اليمامة يذكر عن معّلىٰ بن هلال عن الشّعبي قال لمّا إحتَمل عبد اللّه بن عبّاس بيت مال البَصرة وذَهب به الىٰ الحجاز كَتب اليه علّي ابن أبي طالب من عبد اللّه علّي ابن أبي طالب الىٰ عبد اللّه بن عبّاس أمّا بعد فأنّي قد كنتُ أشركتك في أمانتي الكتاب.

والحاصل أنّه لا غُرو في هذا الفعل وأمثاله منه ومن غيره فأنّ النّاس عبيد الدّنيا واذا مُحصّوا بالبَلاء قَلَّ الدّيانون.

ومُجّرد تَجليل أمير المؤمنين عليه السلام عنه لا يَدّل علىٰ عَدم جواز الذّنب منه مُضافاً الىٰ أنّ الإنسان مادام كونه علىٰ الحقّ يَستَحق التّعظيم والتّجليل وأمّا بعد خروجه عنه فلا والّذي قال عليه السلام في مَدحه كان قبل إختلاسه بيت المال وأمّا بعده فَلَم يَمدحه أصلاً بل ذَمّه كما ترىٰ في هذا الكتاب وله نَظائر كثيرة في الإسلام ألا تَرىٰ أنّ حسّان بن ثابت الأنصاري كان في بَدو إسلامه شاعراً لِرَسول اللّه صلى الله عليه وآله ومادحاً له ولأهل بيته ثُمّ بعد وفاة الرّسول صار مُعانداً لاهل البيت وهكذا أمثاله.

هذا كُلّه اذا أَردنا تَنزيه الرّجل وإلّا فَنقول عبد اللّه بن عبّاس لَم يكن من خواصّ شيعته حتّىٰ نَحتاج الىٰ هذه التّكلفات في تَنزيه ساحته بل تَشيّعه لَم يَثبت عندنا فَضلاً عن كونه من الخواصّ أَليس عبد اللّه هذا بايع أبا بكر قبل

علّي فلمّا قال به لِمَ بايعتَ قال بايعه النّاس فَبايعته، أَلَيس من نُدماء عُمر بن الخَطّاب في خلافته ولعثمان هكذا فإنّا لَم نجد في الكُتب منه طعناً علىٰ الخُلفاء الثلاثة أصلاً مع أنّ عمّار بن ياسر وأبا ذرّ والأُشتر وغيرهم من شيعة علّيٍ كانوا طاعنين عليهم ولا سيّما علىٰ عثمان كما لا يَخفىٰ علىٰ المُتتّبع الخَبير وفيما ذكرناه كفاية للناقد البَصير.

ومن كتاب له عليه السلام (٤٠)

الىٰ عُمر ابن أبي سَلَمة المَخزُومي، وكان عامله علىٰ البَحرين، فَعَزله، وإستَعمل نعمان بن عجلان الزُرَقي مكانه

▫ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فإِنّي قد وَلَّيْتُ نُعْمَانَ بْنَ عِجْلاَنَ الزُّرَقِي علىٰ البَحْرَيْنِ ونَزَعْتُ يَدَكَ بِلاَ ذَمٍ ولا تَثرِيبٍ عَلَيكَ فَلَقَد أَحْسَنْتَ الْوِلاَيَةِ وأَدَّيْتَ الأَمانَةَ فَأَقْبِل غيرَ ظَنِينٍ ولا مَلُومٍ ولا مُتَّهَمٍ ولا مَأثُومٍ فَلَقَدْ أَردْتُ المَسيرَ إلىٰ ظَلَمةِ، أَهْلِ الشَّامِ وأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي فإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ علىٰ جِهَادِ العَدُوِّ وإقامَةِ عَمودِ الدِّينِ إنْ شَاءَ اللّٰهُ.

◁ اللغة

(تَثرِيبٍ) التَثّريب اللَّوم والذَّم (ظَنِين) الظَّنين المُتّهم (مَأثُومٍ) اسم مفعول من أثِم يَأثم (ظَلَمةِ) بالتّحريك جمع ظالم (أَسْتَظْهِرُ) أي أستَعين.

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدُ فإِنّي قدْ وَلَّيْتُ) أي جَعلت حاكماً (نُعْمَانَ بْنَ عِجْلاَنَ الزُّرَقِي علىٰ البَحْرَيْنِ ونَزَعْتُ يَدَكَ) عن الولاية (بِلاَ ذَّم ولا تَثرِيبٍ) ولَومٍ (عَلَيْكَ) في عَزلك عنها (فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلاَيَةِ وأَدَّيْتَ الأَمانَةَ) أيام ولايتك (فأقْبِلْ) إلّي (غيرَ ظَنِينٍ) أي لَست بِمَظنونٍ عندي (ولا مَلُومٍ ولا مُتَّهَمٍ ولا مَأثُومٍ) كلّ ذلك لَم يكن (فَلَقَدْ أَرَدْتُ المَسيرَ إلىٰ ظَلَمةِ أَهْلِ الشَّامِ) معاوية وأصحابه (وأَحْبَبْتُ أَنْ

تَشْهَدَ) وتحضر (مَعِي فإنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرَ) وأستعين (بِهِ على جِهَادِ العَدُوِّ وإِقامَةِ عَمودِ الدِّينِ إنْ شَاءَ اللَّهُ.

◁ الشَرح

هذا الكتاب كتبه ﷺ الى عُمر بن أبي سَلَمة بعد عَزله عن البَحرين وإستعمال نعمان بن عجلان مكانه.

أمّا عُمر بن أبي سَلَمة فقد قال في الإصابة هو عُمر بن أبي سَلَمة بن عبد الأَسَد ابن عَمّ الّذي قبله وهو رَبيب النّبي ﷺ أُمّه أُمّ سَلَمة أُمّ المؤمنين وُلد بالحَبشة في السَنّة الثّانية وقيل قبل ذلك وقبل الهُجرة الىٰ المَدينة ويَدّل عليه قول عبد اللّه بن الزّبير كان أكبر منّي بِسَنتين قال الزّبير ووَلّي البَحرين زَمن علّي وكان قد شَهد مَعه الجَمَل وَوَهَم من قال أنّه قُتل فيها بل مات بالمَدينة سنَةَ ثلاث وثمانين في خلافة عبد المَلك بن مروان انتهىٰ ما ذكره.

وأمّا نعمان بن عجلان فقال في نَسَبه هو نعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر بن زريق الأنصاري الزّرَقي قال أجبو عمرو كان لسان الأنصار وشاعرهُم وهو الّذي خَلف علىٰ خَولة بنت قيس إمرأة حَمزة بن عبد المُطّلب بعد قَتلِه وهو القائل يَفخر بقومه من أبيات:

فقل لقُرَيشٍ نحن أصحاب مكّة ... ويوم حُنين والفَوارس في بَدرٍ
نَصرنا وآوينا النّبي ولَم نخف ... صروف اللّيالي والعظيم من الأَمرِ
وقلنا لقوم هاجروا مرحباً بكم ... وأهلاً وسَهلاً قد أَمنتُم من الفُقرِ
نُقاسمكُم أموالنا وديارنا ... كقسمة أيسار الجزور علىٰ الشّطر

وهو القائل يوم السّقيفة :

وقُلتم حَرامٌ نصب سعدٍ ونَصبكم ... عتيق ابن عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبو بكر لها خير قائم ... وأنّ عَليّاً كان أَخلَق بالأَمر
وأنّ هَواناً في علّيٍ وأنّه ... لأهل لها من حيث يَدري ولا يَدري

▫ **قوله ﷺ: أمَّا بَعدُ فإنّي قدْ وَلَّيْتُ نُعْمَانَ بْنَ عِجْلاَنَ الزُّرَقِي على البَحْرَيْنِ ونَزَعْتُ يَدَكَ بِلاَ ذَمٍّ ولا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ ...**

أي أنّي قد جَعَلت نُعْمَانَ بْنَ عِجْلاَنَ والياً على البَحْرَيْنِ وخلعتك وعزلتك عنها من غير ذَمٍّ ولا لَوم عليك وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ كثيراً ما يكون عزل الولاة معلولاً لهذه الأمور فأنّ الوالي اذا عمل بوظيفة لا يُعزل في الأكثر وحيث أنّ عُمر بن أبي سَلمة كان يمكن له أن يظّن أنّ علّة عزله تقصيره في الوظائف المحّولة اليه قال ما قال دفعاً لهذا التّوهم ثُمّ أوَضحه بقوله:

▫ **قوله: فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلاَيَةَ وَأَدَّيْتَ الْأَمانَةَ فأَقْبِلَ غيرَ ظَنِينٍ ولا مُتَّهَمٍ ولا مَأْثُومٍ ...**

صدّر ﷺ الكلام باللاّم المفيد للتّأكيد وكلمة قد الّتي للتّحقيق والتّأكيد مُشعراً بأنّ العلّة في عزلك ليست تقصيرك في الولاية بل **فَلَقَدْ أَحْسَنْتُ الْوِلاَيَة** وعَملت بوظائفك **وأَدَّيْتَ الأَمانَةَ** إلى صاحبها **فأقبل** إلّي **غير ظنّين ولا مُتَّهمَ ولا مَأْثُومٍ**، أي لست بظنّينٍ عندي ولا بمتّهم ولا بمُذنبٍ بل أنت عندي حَسَن السّريرة مُؤدي الأمانة وحافظها:

▫ **قوله ﷺ: فَلَقدْ أَرَدْتُ المسيرَ إلىٰ ظَلَمةِ أَهْلَ الشَّامِ وأَحْبَبْتُ أنْ تَشْهَدَ مَعِي فإنّك مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِعلىٰ جِهَادِ العَدُوِّ وإقامَةِ عَمودِ الدِّينِ إنْ شَاءَ اللّٰهُ ...**

وهذا أعني المسير الى ظَلَمة أهل الشّام كان علّة عَزله لقوله ﷺ: **وأحببتُ أن تشهد** وتَحضر معي في هذا المَسير ثُمّ بيّن ﷺ علّة الحُبّ وقال فأنّك مِمّن أستَظهر وأستَعين به على جهاد العدّو وإقامَةِ الدّينِ فقوله ﷺ وإقامة الدّين كالغاية لِلجهاد أي أنّ جهادي لأجل هذا.

ومن كتاب له عليه السلام (٤١)

الىٰ مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامله علىٰ أردشير ضرَه

□ قوله عليه السلام: بَلغني عَنكَ أَمْرٌ إنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقدْ أَسْخَطْتَ إلٰهكَ وأَغْضَبْتَ إمَامَكَ أنَّكَ تَقسِمَ فَيْءَ المُسْلمينَ الّذِي حازَتْهُ رِماحُهُمْ وخُيُولهُمْ وأُرِيقَتْ عليهِ دِماؤهُمْ فِيمَنْ اعتَامَكَ منْ أعْرَابِ قَوْمِكَ فوَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَءَ النَّسمةَ لَئِنْ كانَ ذٰلِكَ حَقّاً لَتَجِدنَّ بكَ عَلَّي هَوَاناً ولَتَخِفَّنَّ عِنْدي مِيزَاناً فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ ولا تُصْلِحْ دُنْياكَ بِمَحْقِ دِينِكَ فَتَكُونَ منَ الأَخْسَرِينَ أعْمالاً.

ألا وإنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وقبَلَنا منَ الْمُسلِمينَ في قِسْمِةَ هَذَا الفَيْءِ سَوَاءٌ يَرِدُون عِنْدِي عَلَيْهِ ويَصْدُرُونَ عَنْهُ ...

◁ اللّغة

(حازَتْهُ) من الحِيازة وهي الأَخذ والجَمع في المال (أُرِيقَت) مـن الإراقـة وهي سَفك الدّم (إعتَامَكَ) أي إختارك وأصله أخذ العِمة بالكسر وهي خيار المال.

◁ المعنىٰ

(بَلَغني عَنْكَ أمْرٌ إنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسخَطْتَ إلهكَ وأَغْضَبْتَ إمَامَكَ) علىٰ نفسك وهو (أنَّكَ تَقسِمُ فيْءَ الْمُسْلمينَ) وأموالهُم في بيت مالهم (الّذِي حازَتْهُ) وجَمَعَته (رِماحُهُمْ) وأَسِنَّتَهم (وخُيُولُهُمْ) ودَوابّـهم فـي الجـهاد مـع الأعـداء

(**وأُرِيقَتْ**) وسَفكت (**عليْهِ دِماؤهُمْ**) في الغَزوات (**فِيمَنْ إعْتامَكَ**) وإختارك (**منْ أعْرَابِ قَوْمِكَ فوَالَّذِي**) أي أُقسم بالّذي (**فلَقَ الحَبّةَ وبَرَأَالنَّسَمةَ**) وهو اللّه تعالىٰ خالق كلّ شئ (**لَئِن كانَ كذلِكَ**) الّذي بَلَغني عَنك (**حَقّاً لَتجِدَنَّ بكَ عَلَّي هَوَاناً**) أي لِتَّجدن بسبب فعلك هوانك عندي (**ولَتَجِفَّنَّ عِنْدي مِيزَاناً**) أي صار عندي وَزنك خفيفاً (**فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رِبِّكَ**) أي لا تَعّده حقيراً (**ولا تُصلحْ دُنْياكَ بِمَحْقِ دِينِكَ**) ومَحوه (**فَتَكُونَ منَ الأَخْسَرِينَ أعْمالاً**) في الدّارين (**ألا وإنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وقبَلَنا منَ الْمُسلِمينَ في قِسْمَةِ هَذَاالفَيْ سَوَاءٌ**) فأنّ المال سيتّعلق بجميعهم (**يَرِدُون عِنْدِي عَلَيْهِ ويَصْدُرُونَ عَنْهُ**) تأكيدٌ لِتَساويهم في الإستحقاق وأنّه لهم كالشّريعة المُشتركة.

◁ الشّرح

قد تَقدّم الكلام في في ذكر نَسَب مصقلة عند فراره ولحُوقه بمعاوية وأردشير خرة قالوا أنّه كُورة من كُور فارس وأمّا في زماننا هذا فهو مجهُول علينا.

▫ **قوله ﷺ: بَلَغني عَنكَ أَمْرٌ إنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقْد أَسْخَطْتَ إلٰهكَ وأَغْضَبْتَ إمَامَكَ...**

وفيه إشارة الى أنّ غَضبه ﷺ كان تابعاً لِغَضبِ اللّه ورِضاه لرضاه وهو دليلٌ علىٰ كونه إماماً من قِبل اللّه على خَلقه بعد رسُول اللّه ﷺ اذ لا نعنىٰ بالإمام الاّ هذا والفَرق بين السّخط والغَضب أنّ السَخْط والسَخْط الغَضب الشّديد المُقتضي للعقُوبة، وأمّا الغَضَب فهو ثَوران دَم القَلب لاجل الإنتقام واذا وُصِف اللّه تعالىٰ به فالمُراد به الإنتقام دون غيره لِتَنزهه عن الجسم وما لا جسم لَه لا قَلب له وما لا قَلب له لا دَم له لِيَثُور عند الغَضَب وكلاّهما يُطلقان على اللّه تعالىٰ وعلى غيره بإعتبار ما ذكرناه وعليه فقوله ﷺ: **أسخَطْتَ إلٰهك** معناه فَعَلتَ ما تَستّحق به العقُوبة من اللّه تعالىٰ وأغضَبتَ إمامك بمعناه المُصطلح:

□ قوله ﷺ: **أَنَّكَ تَقسِم فيَ المُسْلمينَ الّذِي حازَتْهُ رِماحُهُمْ وخُيُولُهُمْ وأُرِيقَتْ عليْهِ دِماؤُهُمْ فِيمَنْ إعْتامَكَ منْ أعْرَابَ قَوْمِكَ ...**

بَيّن له الأمر الّذي أوجَب السَّخط والغَضَب وقال (**أَنَّكَ تَقسِم فَيَّ المُسلِمينَ وغنمائمهُم الّتي حازَتْهُ رِماحُهُمْ وخُيُولُهُم وأُرِيقَتْ**) أي سَفكَت عليه دِمائهم فيمَن إعتامك وإختارك من أعراب قَومك وجَعَلوك سيّداً لأنفسهم.

□ قوله ﷺ: **فَوَالَّذِي فَلَق الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسمةَ لَئِن كانَ ذلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بكَ عَلَّي هَوَاناً ...**

أي أُقسم باللّه الّذي فَلَق الحَبّة وفَتَقها وبَرء النَّسَمةَ وخَلَقها لأن كان ذلك الّذي بَلَغني عَنكَ حَقًّا لَتَجِدنَّ بكَ عَلَّي هَوَاناً أي أنت هيّن عندي بسبب فِعلك.

□ قوله ﷺ: **ولَتَخِفَّنَّ عِنْدي مِيزَاناً فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رِبِّكَ ولا تُصْلِحْ دُنياك بِمَحق دِينِكَ فَتَكُونَ منَ الأَخْسَرِينَ أعْمالاً ...**

أي لو كان حقّاً تكون عندي خفيفاً ذليلاً (**فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ**) أي لا تَجعله موهُوناً (**ولا تُصْلِحْ دُنْياكَ بمَحْقِ دِينِكَ** ومَحوه **فَتَكُونَ منَ الأَخْسَرِينَ أعْمالاً**)، إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال:﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِئُكُم بِالْأَخسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً، أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً**﴾(١)

□ قوله ﷺ: **ألا وإنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وقِبَلَنا منَ المُسلِمينَ في قِسْمَةِ هَذَا الفَيْءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ ويَصْدُرُون عَنْهُ ...**

ثُمّ قال ﷺ ما حاصله أنّ الفَيءِ المَوجود في بيت المال حقّ لجميع المُسلمين ولا يَختّص ببعضٍ دون بعض والقِبَل بكسر القاف وفتح الباء بمعنىٰ عند أي أنّه حقّ من عندك وعندنا منَ المُسْلِمينَ وقوله ﷺ: (**يَرِدُون عِنْدِي عِلَيْهِ ويَصْدُرُون عَنْهُ**) تأكيدٌ لما ذكره أوّلاً من التّساوي بينهم في الحقُوق حيث أنّه شَبّه نفسه الشّريفة بالشّريعة المُشتَركة لِلوارد عليها والخارج عنها.

١- الكهف ـ١٠٣ و ١٠٥

(ومن كتاب له عليه السلام (٤٢)

الى زياد بن أبيه،
وقد بَلَغه أنّ معاوية كَتب اليه يَريد خَديعته باستلحاقه

▫ قوله عليه السلام: وقد عَرفت أنّ مُعاوِيَةَ إلَيْكَ يَسْتزِلُ لُبَّكَ ويَسْتَّفِلُّ غَرْبَكَ فاْحْذَرْهُ فإنَّما هُوَ الشَّيْطانُ يَأتي المُؤمِنَ منْ بيْنَ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ وعنْ يَمِينِهِ وعَنْ شِمَالِهِ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ ويَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ.

وقدْ كانَ من أبي سِفْيَانَ فى زَمَنِ عُمَرَ فَلْتَةٌ منْ حَدِيثِ النَّفْسِ ونَزْغَةٌ منْ نَزَغاتِ الشَّيْطانِ لا يَثْبُتُ بها نَسَبٌ ولا يَسْتَحَقُّ بها إرْث والمُتَعَلِّقُ بها كالْوَاغِلِ المُدَفَّعِ والنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ .

فَلَمّا قَرأَ زِياذُ الكِتابَ قَالَ شَهِدَ بِها ورَبِّ الْكَعْبَةِ ولَمْ يَزَلْ في نَفْسِهِ حتّىٰ ادّعاهُ مُعاوِيةُ.

قال الرّضي رحمه الله: الوَاغِلُ هُوَ الّذِي يَهْجُمُ على الشُّرْبِ لِيَشرَبَ مَعَهُمْ ،ولَيْسَ مِنهُمْ فلاَ يَزَالُ مُدَفَّعاً مُحاجَزاً .والنَّوطُالمُذَبْذَبُ هُوَ مَا يُنَاطُ بِرجلِ الرّاكِبِ مِن قُعْبٍ أوْ قَدَحٍ أوْ ما أشْبَهَ ذلِكَ فهُوَ أبَداًيَتَقَلْقَلُإذاحَثّ ظَهْرَهُ واسْتَعْجَلَ سَيْرَهُ.

◁ اللّغة

(يَستزِلُ) أي يَطلب الزّلل والخَطأ (لُبَّكَ) اللّب القَلب (يَسْتَّفِلُّ) مُضارع إستَّفَل أي يَطلب أن يَفّل حدّك أي عَزمك (غِرَّتَهُ) الغِرّة بكسر الغين خلو العَقل عن مضارب الحِيَل والمَراد منها العَقل السّاذج (فَلْتَةٌ) بفتح الفاء أمرٌ وَقَع من

غير تَثَبُّتٍ ولا رَوّية وبقية اللّغات أوضحها الرّضي ﷺ.

◁ الشّرح

إعلم: أنّ هذا الكتاب كَتبه ﷺ الىٰ زياد بن أبيه قيل أنّه كان والياً من قِبله علىٰ فارس أو بعض أعمال فارس فَضَبطها ضَبطاً صالحاً وجَبىٰ خراجها وحماها وعرف ذلك معاوية فَكتب اليه أمّا بعد فأنّه غرّتك قلاع تأوي اليها ليلاً كما تَأوي الطّير الى وِكرها وأَيم اللّه لولا إنتظاري بك ما اللّه أعلم به لكان لك منّي ما قاله العبد الصّالح:﴿ **فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾[1] و كَتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تَنسىٰ أباك وقد شالت نعامته   اذ يَخطب النّاس والوالي لهم عُمر

فلمّا وَرد الكتاب علىٰ زياد قام فَخَطب النّاس وقال العَجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النّفاق يُهدّدني وبينه وبيني ابن عمّ رسول اللّه وزوج سيّدة نساء العالمين وأبو السّبطين وصاحب الولاية والمَنزلة والأخاء في مِائة ألف من المُهاجرين والأنصار والتّابعين لهم بإحسانٍ أما واللّه لولا تَخطّي هؤلاء أجمعين إلّي لَوَجدني أحمَر فَحِشّاً ضَرّاباً بالسّيف ثُمّ كَتب الىٰ علّيٍ ﷺ وبَعث بكتاب معاوية في كتابه فلمّا وصل الكتاب الىٰ علّيٍ ﷺ كَتبَ اليه بالكتاب المَذكُور ونحن نَشرح لك ألفاظ الكتاب أوّلاً ثُمّ نُردِفه بذكر نَسَبه وحالاته:

▫ **قوله ﷺ: وقدْ عَرَفْتُ أنَّ مُعاوِيَةَ إليْكَ يَستْزِلُّ لُبَّكَ ويَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ فأحْذَرْهُ فإنَّما هُوَ الشَّيْطانُ يَأتي المُؤمِنَ منْ بيْنَ يَدَيْهِ ومِن خَلْفِهِ وعنْ يَمِينِهِوعَنْ شِمَالِهِ...**

أي وَقَدْ عَرَفْتُ من كتابك أنّ مُعاوِيَةَ كَتبَ اليْكَ يَطلب به زَلَل قلبك وفَل غَربك أي ثلم حَدّك وذلك لأنّ الإستفلال طلب الفَل وهو الثّلم وغَرب الشّيئ حدّه وهو كناية عن كَسر قوّته في نُصح علّيٍ ﷺ ومُحصّل المعنىٰ أنّ العدو

1- النّمل ـ37

وهو معاوية يطلب خَطأ قَلبك وكَسر قُوّتك ولذلك قال عليه السلام:

﴿فأحْذَرْهُ فإنّما هُوَ الشّيطْانُ﴾ المُجَسّم أعني به شيطان الإنس يأتي المؤمن من بين يَديه ومن خَلفه وعن يَمينه وعن شِماله بحيث لا يَقدر المؤمن علىٰ التّخلص من شّره إلّا بالإستعانة بالله تعالىٰ وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حكاية عن الشّيطان حيث قال: **﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَآئِلِهِمْ وَلاتَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾**[1].

□ **قوله عليه السلام: لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ ويَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ ...**

اللاّم في قوله عليه السلام: **لِيَقْتَحِم** للغاية أي يأتي الشّيطان ليدخل غَفلَتَهُ بَغتةً فيأخذه فيها شبّه عليه السلام الغفلة بالبيت يسكن فيه الغافل والشّيطان بمن يدخل فيه ويأخذ الإنسان، وقوله ويستلب غِرتّه أي يسلب الشّيطان بعد تسّلطه العقل السّاذج فأنّ الغِرّة بكسر الغين خلّو العقل عن مضارب الحِيَل والمراد منها العقل السّاذج الخالي عن الوساوس والأوهام والخِدَع:

□ **قوله عليه السلام: وقَدْ كانَ من أبي سِفْيَانَ في زَمَنِ عُمَرَ فَلْتَةٌ منْ حَديثِ النَّفْسِ ونَزْعَةٌمنْنَزَعاتِ الشَّيْطانِ لا يَثْبُتُ بَها نَسَبٌ ولا يُسْتَحَقُّ بَها إرْث والمُتعَلِّقُ بها كالْوَاغِلِ الُمدَفَّعِ والنَّوْطِ الُمذَبْذَبِ ...**

ثُمّ أشار عليه السلام الىٰ أصل القضّية وهو أنّه كانَ منْ أبي سِفْيَانَ في زَمَنِ خلافة عُمر فَلتة أي كلام بلا روّية ولا فكر أشبه شئ بحديث النّفس وخرافاتها ونَزغَة وَوسوَسةٌ من وساوس الشّيطان لا يثبت بها أي بالنّزغَة نَسَب ولا يستحق الإنسان بها إرث فأنّ الإرث يتوقف علىٰ النّسب الصّحيح فمن لا نَسَب له لا إرث له والمُتعلّق بها أي التّمسك بالفَلتة والنّزغة في ثبوت النّسب ثمّ الإرث بعده كالواغل المُدَفع أي كمن (يَهجُمُ علىٰ الشُّرْبَ لِيشرَبَ مَعَهُمْ ولَيْسَ مِنْهُم فلاَ يَزَالُ، مُدَفَّعاً مُحاجَزاً) بضَم الميم وفتح الدّال المشددة اسم مفعول من إدّفع

١- الاعراف ـ١٦ و ١٧

يدّفع، والنّوط المّذبذب أي هو كالنّوط المُذَبْذَبْ، والنُّوطُ بفتح النّون ومعناه علىٰ ما ذكره الرّضي ﷺ ما يُناط برجل الرّاكب من تعبٍ أو قدحٍ أو ما أشبه ذلك فلمّا قرأ الكتاب قال شهد بها وربّ الكَعبة ولم يزل في نفسه ماقال عليّ ﷺ له حتّىٰ أدّعاه معاوية:

أمّا نَسَب زياد بن أبيه وذكر بعض أخباره: فقد ذكر الشّارح المُعتزلي في شرحه ما لفظه فأمّا زياد فهو زياد بن عُبيد فمن النّاس من يقول عبيد بن فلان وينسبه الىٰ ثقيف والأكثرون يقولون أنّ عبيداً كان عبداً و أنّه بقىٰ الىٰ أيّام زياد فأبتاعه وأعتقه ونسبته زياد لأبيه (لغير أبيه) لخمول أبيه والدّعوة الّتي إستلحق بها فقيل تارةً زياد بن سميّة وهي أُمّه وكانت أَمة للحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثّقفي طبيب العَرَب وكانت تحت عُبيد وقيل تارةً زياد بن أبيه وقيل تارة زياد بن أُمّه ولمّا إستلحق قال له أكثر النّاس زياد بن أبي سفيان لأنّ النّاس مع الملُوك الّذين هم فطّنته الرّهبة والرّغبة وليس أتباع الدّين بالنّسبة الىٰ أتباع الملوك إلّا كالقطرَة في البحر المُحيط فأمّا ما كان يُدعىٰ به قبل الإستلحاق فزياد بن عُبيد ولا يشّك في ذلك أحد انتهىٰ ما ذكره:

وأمّا قصة أبي سفيان في زمن عُمر الّتي عبّر أمير المؤمنين عنها تارة بالفَلتَة وأُخرىٰ بحديث النّفس وثالثة بالنَّزْغة فقد نقلوا أنّ عُمر بَعَث زياداً في إصلاح فسادٍ واقع باليَمن فلمّا رجع من وجهه خطب عند عُمر خطبة لم يُسمع مثلها وأبو سفيان حاضر وعلّي ﷺ وعُمر بن العاص فقال عمرو بن العاص لِللّه أبو هذا الغلام لو كان قُرشياً لسياق العَرب بعصاه فقال أبو سفيان أنّه لقُرشي وأنّي لأعرف الّذي وَضَعه في رحم أُمّه فقال علّي ﷺ ومَن هو قال، أنا، فقال مَهلاً يا أبا سُفيان فقال أبو سفيان:

أمـا واللّه لولا خوف شَخصٍ ... يـرانـي يـا علّيُ مـن الأعـادي
لأظهر أمرَه صخر بن حَرب ... ولَـم يـخف المقالة في زيادٍ
وقـد طـالت مُـجاملتي ثقيفاً ... وتـركوا فـيهم ثَـمر الفـؤاد

نقل أرباب السّير أنّه لمّا وَرَد كتاب زياد علىٰ معاوية غمّه وأحزَنه وبَعث الىٰ المُغيرة بن شعبة فخلا به وقال يا مُغيرة أنّي أُريد مشاورتك في أمرٍ أهمّني فأنصحني فيه وأشِر علّيَ برأي المجتهد وكُن لي أكُن لك فقد خصصتك بسّري وآثرتك علىٰ وَلدي قال المُغيرة فما ذاك واللّه لتجدنّ في طاعتك أمضىٰ من الماء في الحدور ومن ذي الرَوَّنق في كفّ البَطل الشّجاع:

قال يا مُغيرة أنّ زياد قد أقام بفارس يُكش لنا كشيش الأفاعي وهو رجل ثاقت الرأي ماضي العزيمة جوّال الفكر مُصيب اذا رمىٰ وقد خفتُ منه الآن ما كُنتُ آمنه اذ كان صاحبه حيّاً وأخشىٰ ممالاته حَسناً فكيف السّبيل اليه وما الحيلة في إصلاح رأيه قال المُغيرة أنا له إن لَم أمُت أنّ زياداً رجل يحبّ الشّرف والذّكر وصعود المنابر فلولا طفته المسئلة وأَلِنتَ له الكتاب لكان لك أَميَل وبك أوثق فإكتب اليه وأنا الرّسُول:

فكتب معاوية اليه – من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سُفيان الىٰ زِياد بن أبي سفيان أمّا بعد فأنّ المرء ربّما طَرحه الهوىٰ في مطارح العَطَب وأنّك للمَرء المضروب به المَثَل قاطع الرَّحم وواصل العدّو وحَملَك سُوء ظنّك بي وبُغضك لي علىٰ أن عَققت قرابتي وقطعتَ رَحِمي وتبّتَ نَسبي وحُرمتي حتّىٰ كأنّك لستَ أخي وليس صخر بن حرب أباك وأبي وشتّان ما بيني وبينك أطلب بدم بن أبي العاص وأنتَ تُقاتلني ولكن أدرَكك عِرق الرّخاوة من قبل النّساء فكُنت:

كتاركةٍ بيضها بالعَراء ... ومُلحفةٍ بَيض أُخرىٰ جناحا

وقد رأيت أن أعطُف عليك ولا أؤخذك بسُوء سعيك وأن أصِل رحمك وأبتغي الثّواب في أمرك فاعلم أبا المغيرة أنّك لو خضتَ البحر في طاعة القوم فتضرب بالسّيف حتّىٰ ينقطع متَنه لِما أزدَدتَ منهم إلاّ بُعداً فأنّ بني شمس أبغض الىٰ بني هاشم من الشّفرة الىٰ الثور الصّريع وقد أُوثق لِلذّبح فأرجع رحمكَ اللّه الىٰ أصلك واتّصل بقومك ولا تكُن كالموصول بريش غيره فقد

أصبحتَ ضالّ النّسب ولعُمري ما فعل بك ذلك إلاّ اللّجاج فدعه عنك فقد أصبحت على بينةٍ من أمرك ووضوحٍ من حجّتك فأن أحببتَ جانبي وَوثقتَ بي فإمرة بإمرة وأن كرهتَ جانبي ولَم تثق بقولي ففعلٌ جميلٌ لا علّيَ ولا لي والسّلام:

فَرحل المُغيرة بالكتاب حتّىٰ قدم فارس فلمّا رآه زياد قرّبه وأدناه ولطف به فَدفع اليه الكتاب فَجعل يتأمّله ويضّحك فلمّا فَرغ من قراءته وَضَعه تحتَ قَدمه ثُمّ قال حسبك يا مُغيرة فأنّي أطّلع علىٰ ما في ضميرك وقد قدمت من سفرةٍ بعيدة فقم وأرح ركابك قال أجل فَدَع عنك اللّجاج يرحمك اللّه وأرجع الىٰ قومك وصِل أخاك وأنظر لِنفسك ولا تقطع رَحِمك قال زياد أنّي رجل صاحب أناة ولي في أمري رَوية فلا تَعجل علّيَ ولا تبدأني بشيٍ حتّىٰ أبدَأك ثمّ جَمع النّاس بعد يومين أو ثلاثة فصعد المنبر فَحمد اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس إدفعوا البلاء ما إندفع عنكم وأرغبوا الىٰ اللّه في دوام العافية لكم فقد نظرتُ في أُمور النّاس مُنذُ قُتل عثمان وفكرت فيهم فوجدتهم كالأضاحي في كلّ عيدٍ يذبحون ولقد أفنىٰ هذان اليومان يوم الجَمَل ويوم صفّين ما ينيّف علىٰ مِائة ألف كلّهم يزعم أنّه طالب حقّ وتابع إمام وعلىٰ بَصيرةٍ من أمره فأن كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنّة كلّا ليس كذلك ولكن أشكل الأمر والتَبس علىٰ القوم وأنّي لخائف أن يرجع الأمر كما بدا فكيف لإمرئٍ بسلامة دينه وقد نظرت في أمر النّاس فوجدت أحد العاقبتين العافية وسأعمل في أُموركم ما تُحمدون عاقبته ومَغبته فقد حَمدتُ طاعتكم انشاء اللّه ثُمّ نَزل وكتَب جواب الكتاب.

أمّا بعد فقد وَصل كتابك يا معاوية مع المُغيرة بن شعبة وفهمتُ ما فيه فالحَمد لِلّه الّذي عَرفّك الحقّ وردّك الىٰ الصّلة ولَستُ مِمّن يجهل معروفاً ولا يغفل حَسَباً ولو أردتُ أن أُجيبك بما أَوجَبته الحُجّة وإحتمله الجواب لطال الكتاب وكثُر الخطاب ولكنّك أن كتبتَ كتابك هذا عن عقدٍ صحيح ونيّة حَسَنة

وأردتَ بذلك بَراً فستزرَع في قلبي مَودّةٌ وقبولاً وأن كُنتَ أنّما أردتَ مكيدةً ومكراً وفساد نيّة فأنّ النّفس تأبىٰ ما فيه العَطَب ولقد قُمت يوم قرأت كتابك مقاماً يعبأ به الخطيب المدّرة فتركت من حَضر لا أهل ورد ولا صَدر كالمُتّحيرين بمُهمّةٍ ضلّ بهم الدّليل وأنا علىٰ أمثال ذلك قدير وكتب في أسفل الكتاب:

اذا معشري لَم ينصفوني وجدتني
أُدافع عنّي الضّيم ما دمتُ باقياً
وكم معشرٍ أعيت قناتي عليهم
فلاموا وألفوني لدىٰ الغرم ماضياً
وَهّمٍ به ضاقت صدورٌ فَرجّته
وكنتُ بطّبي للرّجال مُداوياً
أُدافع بالحلم الجهول مكيدةً
وأخفي له تحت العصاه الدّواهيا
فأن تدنُ منّي أدنُ منك وأن تَبن
تجدني اذا لم تدنُ منّي نائياً

فلمّا وصل الكتاب الىٰ معاوية أعطاه جميع ما سأله وكتَب اليه بخطّ يده ما وثَق به فدخل اليه الشّام فقّربه وأدناه وأقرّه علىٰ ولايته ثُمّ إستعمَله علىٰ العراق:

قال المؤلف قد عرفت من الكتاب أنّه كان بعد شهادة أمير المؤمنين أيّام إمارة الحسن الزّكي عليه السلام وقد أثبتَ زياد بلحُوقه الىٰ معاوية وإتّصال نَسَبه الىٰ أبي سفيان وأولاد أُمّية كذباً علىٰ خلاف السّنّة أنّه كان من أولاد الزّنا قل كلٌّ يعمَل علىٰ شاكلته وأمّا كيفيّة ا إستلحاقه:

قالوا لمّا أراد معاوية إستلحاق زياد وقد قدم عليه الشّام جمع النّاس وَصَعد المنبر وأصعَد زياداً مَعه فأجلَسه بين يديه علىٰ المرقاة الّتي تحت مرقاته وحمد اللّه وأثنىٰ عليه ثُمّ قال:

أيّها النّاس أنّي قد عرفتُ نَسَبنا أهل البيت في زياد فمن كان عنده شهادة فليقُم بها فقام ناسٌ فَشَهدوا أنّه ابن أبي سفيان وأنّهم سَمعوا ما أقَرَّ به قبل مَوته فقام أبو مريم السَلَولي وكان خمّاراً في الجاهلّية فقال أشهد يا أمير المومنين أنّ أبا سفيان قدم علينا الطّائف فأتاني فأشتريت له لحماً وخمراً وطعاماً فلما أكَل قال يا أبا مريم أصِب لي بغيّاً فخرجت فأتيتُ بسمّية فقلت لها أنّ أبا سفيان ممّن قد عرفت شَرفه وجوده وقد أمرني أن أصب له بغيّاً فَهل لك فقالت نعم يجئ الآن عُبيد بَغنمه وكان راعياً فاذا تعشىٰ ووضع رأسه أتيتُه فرجعت الىٰ أبي سفيان فأعلمته فلم تلبث أن جاءت تجّر ذيلها فدخلت مَعه فلم تزل عنده حتّىٰ أصبحت فقلت له لمّا إنصرفَت كيف رأيت صاحبتك قال خير صاحبة لولا زفرٌ في إبطيها، فقال زياد من فوق المنبر يا أبا مريم لا تشتم أمّهات الرّجال فتشّتم أُمّك فلمّا إنقضىٰ كلام معاوية ومُناشدته قام زياد وأنصَتَ النّاس فَحَمد اللّه وأثنىٰ عليه ثُمّ قال أيّها النّاس أنّ معاوية والشّهود قد قالوا ما سمعتُم ولستُ أدري حقّ هذا من باطله وهو والشّهود أعلم بما قالوا وأنّما عُبيد عبدٌ مبرور ووالٍ مَشكُور ثمّ نَزَل انتهىٰ.

أقول: انظروا معاشر المُسلمين كيف لَعِبوا مَع الإسلام والخلافة وسنّة الرّسُول أَليسَ رسول اللّه ﷺ قد قال الوَلَد لِلفراش ولِلعاهر الحَجَر وهو حكمٌ إجماعّي لم يخالف فيه أحَد من الفِرَق الإسّلامية إلّا آل أُمَيّة لعنهم اللّه وفي رأسهم معاوية وهذا أعني إستلحاق زياد بأبي سفيان علىٰ خلاف حكم رسُول اللّه أوّل بدعةٍ جليّة في حكومة معاوية بعد غَصبه الخلافة وهذا أعني معاوية هو الّذي عُرف عند العامّة بخال المؤمنين وهو عندهم من المُجتهدين ولعلّ هذا الحكم كان بأجتهاده، والعَجَب كلّ العَجَب أنّ أحداً من الحضّار في المَسجد لم ينكر علىٰ معاوية مع أنّه قلّب الحكم وجعل الوَلَد لِلعاهر وأثبت له في الإسلام نَسَباً وإرثاً وليس ذلك لِجهل معاوية بالحكم بل هذا الحكم أعني كون الوَلَد لِلفراش كان ظاهراً مسّلماً عنده وأنّما فَعَل ما فَعَل لَوجهين:

أحدهما: أنّ معاوية بهذا الإستلحاق علىٰ رؤس الأشهاد وعدم مخالفة النّاس أيّاه أعلَم النّاس الىٰ يوم القيامة حماقة أهل الشّام وجهلهم بالكتاب والسّنّة وأثبت قول المشهُور أنّهم لم يفرّقوا بين النّاقة والجَمَل فكيف يتّوقع منهم الفرق بين علّي ومعاوية:

وثانيهما: أنّ الحكُومة الباطلة لا أساس لهاإلّا الكذب والمكر والخيانة فأنّ المقصد فيها الرّئاسة وحيث أنّ النّاس علىٰ دين ملوكهم غالباً فَميل الحاكم خير من ألف شاهد ولا شك أنّ الباطل لا يطلب إلّا الباطل ومعاوية كان مُحتاجاً الىٰ زياد وأمثاله فأنّ وَلد الحَلال لا يفعل ما يفعل وَلَد الحَرام ومعاوية أراد في حكومته قمع الدّين وإماتة أحكام الشّريعة كما هو واضح علىٰ المطّلع المُمارس في كتب السّير والتّواريخ ولأجل ذلك همّ بقتل الأخيار والأبرار والعُلماء ولا سيّما شيعة أمير المؤمنين ومَن يفعل ذلك غير زياد وأمثاله فهو الّذي قتل من شيعة علّي خلقاً كثيراً لما ولاّه معاوية علىٰ العراقين علىٰ ما شهدت به صَفحات التّواريخ:

رُوي أنّ زياد مَّر و هو والي البَصرة بأبي العريان العَدَوي وكان شيخاً مكفوفاً ذا لَسَنٍ وعارضةٍ شديدة فقال أبو العريان ما هذه الجَلبة قالوا زياد بن أبي سفيان قال واللّه ما ترك أبو سفيان إلّا يزيد ومعاوية وعُتبة وعَنبَة وحنظلة ومُحمّداً فَمِن أينَ جاء زياد وبلغ الكلام زياد وقال له قائل لو سدَدّتَ عنك فَم هذا الكَلب فأرسل اليه بمائتي دينار فقال له رسول زياد أنّ ابن عمّك زياد الأمير قد أرسل اليك مائتي دينار لتنفُقها فقال وصلة رحم أي واللّه ابن عمّي حقّاً ثمّ قَربه زياد من الغَد في موكبه فَوقف عليه فَسّلم وبكىٰ أبو العريان فقيل له ما يُبكيك قال عرفت صَوت أبي سفيان في صَوت زياد فَبَلغ ذلك معاوية فكتب الىٰ أبي العريان:

ما ألبستَك الدّنانير الّتي بُعثتَ ... أن لَونّتَك أبا العريان ألواناً
أمسىٰ اليك زياد في أرُومته ... نكراً فأصبح ما أنكَرتَ عرفاناً

لِــللّه دَر زيـــادٍ لو تَــعجّلها كانت له دون ما يخشاه قـرباناً

فلما قُرِئَ كتاب معاوية علىٰ أبي العريان قال أُكتب جوابه يا غلام:

أحدث لنا صلةٌ تحيا النّفوس بها قد كدتَ يابن أبي سفيان تنسانا

أمّـا زيـاد فـقد صـحّت مَـناسبه عندي فلا أبتغي في الحقّ بهتانا

مَن يُسد خيراً يُصبه حين يفعله أو يُسد شَـراً يُـصبه حـينما كـانا

وقال في الإستيعاب دَخل بنو أُمَية وفيهم عبد الرّحمٰن ابن الحكم علىٰ معاوية أيّام ما إستلحق زياداً فقال له عبد الرّحمٰن يـا مـعاوية لو لم تـجد إلّا الزّنـج لإستكثرت بهم علينا قلّة وذلّة يعني علىٰ بني أبي العاص فأقبل معاوية علىٰ مروان وقال أُخرج عنّا هذا الخليع فقال مروان أي واللّه أنّه لَخليع ما يُطاق فقال معاوية لولا حلمي وتجاوزي لعلمتَ أنّه يطاق أَلَم يبلغني شعره فيَّ وفي زياد قال مروان أسمَعينه فأنشَد:

ألا أبـلغ مـعاوية ابـن حـرب لقـد ضـاقت بما يأتـي اليـدانِ

أتـغضب أن يُـقال أبوكَ عَـفٌّ وتـرضىٰ أن يُـقال أبـوك زانٍ

فأشـهد أن رَحـمك مـن زيـادٍ كـرَحم الفـيل مـن ولد الأفـان

وأشـهد أنّـها حـملت زيـاداً وصـخرٌ مـن سُـمّية غـير دانٍ

ثُمّ قال معاوية واللّه لا أَرضىٰ عنه حتّىٰ يأتي زياد فَيتَرضاه وليَعتذر اليه فَجاء عبد الرّحمٰن الىٰ زياد مُعتَذراً يَستَأذن عليه فلَم يَأذن له فَأقبَلت قُرَيش الىٰ زياد تُكلّمه في أمر عبد الرّحمٰن فلمّا دَخل سلّم فَتَشاوس له زياد بعينه وكان يكسر عينه فقال له زياد أنت القائل ما قِلت قال عبد الرّحمٰن ما الّذي قُلت قال قلت ما لا يُقال قال أصلح اللّه الأمير أنّه لا ذَنب لِمَن أَعتب وأنّما الصَّفح عَمَّن أذنب فإسمع منّي ما أقول قال هاتِ فأنشده:

إليك أبـا المُـغيرة تُـبتُ مـمّا جَرىٰ بالشّام من خَـطَل اللّسـان

وأَغـضَبتُ الخَـليفة فـيك حـتّىٰ دعـاه فَـرط غـيظٍ أن هَـجاني

وقلت لِمَن لحاني فـي إعـتذاري إليك إذهب فَشأنك غـير شأنـي

عرفتُ الحقّ بعد ضلال رأيي وبعد الغّي من زيغ الجنان
زيادُ من أبي سفيان غُصنٌ تُهادي ناضراً بين الجنان
أراك أخاً وعَماً وابن عمّ فما أدري بعيبٍ ما تراني
وأنّ زيادةً في آل حَربٍ أحبّ إلّي مِن وسُطىٰ بناني
ألا أبلغ معاوية بن حَربٍ فقد ظَفرت بما تأتي اليدان

وبالجملة قصص الرّجل وحكاياته كثيرة والأشعار في هَجوه مشهورة وقد ذَكر الشّارح المُعتزلي كثيراً منها في شَرحه وأشار الى بعض نوادره وحالاته وأمّا نحن فَنكتفي بذكر ما ذَكرناه مات زياد سنة ثلاث وخَمسين بالكُوفة في شهر رمضان وكان مَولده سنة إحدىٰ من الهُجرة وعليه فكان عُمره حين وَفاته اثنين وخمسين سنة عليه لعنة الله ولعنة ملائكته والنّاس أجمعين فأنّه كان جبّاراً شقّياً قَتل خيار الأصحاب قَلّما يُوجد في الحُكّام مثله في الخَباثة والظّلم.

ومن كتاب له عليه السلام (٤٣)

الىٰ عُثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله علىٰ البَصرة وقد بَلغه أنه دُعي الىٰ وَليمة قومٍ من أهلها، فَمَضىٰ اليها

□ قوله عليه السلام: أَمَّابَعْدُ ياابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغني أَنَّ رَجُلاً منْ فِتْيةِ أَهْلِ البَصْرَةَ دَعاكَ إلىٰ مَأدَبَةٍ فأَسْرَعْتَ إلَيْهاتُستَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ وتُنْقَلُ إليْكَ الجِفانُ وما ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجيبُإلىٰ طَعام قَوْمٍ عائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ .وغَنِيُّهُمْمَدْعُوٌّ فأَنْظُرْ إلىٰ ماتَقْضِمهُ منْ هذَا المَقْضَمِ فمااِشْتَبَهَ علَيْكَ عِلْمُهُ فَأَلفِظْهُ وما أَيْقَنْتَ بِطيبِ وُجُوهِه فَنَلْ مِنْهُ.

ألاَ وإنَّ لِكلِّمَأمُومٍ إمَاماً يَقْتَدِىٰ بهِ ويَسْتَضِيُّ بنُورِ عِلْمِه ألاَ وأنَّ إمامَكُم قداِكْتفىٰ منْ دُنْياهُبِطِمْرَيْهِ ومِنْ طُعْمِه بِقُرْصَيْهِ .أَلاَ وإنَّكُم لا تَقْدِرُونَ علىٰ ذٰلِكَ ولكِنْ أعِينُوني بِوَرَعٍ واِجْتِهادٍ وعِفَّةٍ وسدَادٍ فَوَاللّٰهِ ماكَنَزْتُ منْ دُنْياكُمْ تِبْراً ولا إدَّخَرْتُ مِنْ غَنائِمِها وَفْراً ولا أَعددْتُ لِبَالي ثَوْبي طِمْراً بَلىٰ كانَتْ في أَيْدِينا فَدَكٌ منْ كُلِّ ما أَظَلَّتْهُ السَّماءِ فَشَحَّتْ عَلَيها نُفُوسُ قَوْمٍ وسَخَتْ عَنْها نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرينَ ونِعْمَ الحَكَمُ اللّٰهُ وما أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغيرِ فَدَكٍ والنَّفْسُ مَظانُّها في غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ في ظُلْمَتِهِ آثارُها وتَغيبُ أَخْبارُها وحَفْرَةٌ لوْ زِيدَ في فُسْحَتِها وأَوْسعتْ يَدَا حافِرِها لأَضْغَطَها الحَجَرُ والمَدَرُ وسَدَّ فُرَجَها التُّرَابُ المُتَرَاكِمُ وإنَّما هي نَفْسِي أَرُوضُها بالتَّقْوَىٰ لِتَأْتيَ آمِنَةً يَوْمَ الخَوْفِ الأكْبَرِ وتَثْبُتَ علىٰ جَوَانِبِ المَزْلَقِ ولَوْ شِئتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إلىٰ مُصَفَّىٰ هَذَا العَسَلِ ولُبَابِ هَذَا القَمْحِ ونَسَائِجِ هَذَا القَزِّ ولكِنْ هَيْهاتَ أَنْ يَغْلِبَني هَوَايَ ويَقُودَنْي جَشَعِي إلىٰ

تَخَيُّرِ الأطْعِمَةِ وَلعَلَّ بالحِجَازِ أوِ اليَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لهُ في القُرْصِ ولا عَهْدَ لهُ بالشِّبَعِ أوْ أَبِيتَ مِبْطاناً وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَىٰ وأكبَادٌ حَرَّىٰ أوْ أكُونَ كما قَالَ القَائِلُ شعراً:

وحَسْبُكَ دَاءً أنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وحَوْلَكَ أكْبَادٌ تَحِنُّ إلىٰ القِدِّ

ءَأَقْنَعُ منْ نَفْسِي بأنْ يُقالَ أميرُالمُؤْمِنينَ ولا أُشارِكَهُمْ في مَكارِهِ الدَّهْرِ أوْ أكُونَ أُسْوَةً لهُمْ في جُشُوبَةِ العَيْشِ فَما خُلِقتُ لِيَشْغَلَني أكْلُ الطَّيِّباتِ كالبَهِيمَةِ المَرْبُوطَةِ هَمُّها عَلَفُها أوِ المُرْسَلَةِ شُغْلُها تَقَمُّمُها تَكْتَرِشُ منْ أعْلافِهَا وتَلْهُو عَما يُرَادُ بهَا أوْ أُتْرَكَ سُدًىٰ وأُهْمَلَ عابِثاً أوْأُجِرَّ حَبْلَ الضَّلالَةِ أوْ أعْتَسِفَ طَرِيقَ المَتاهَةِ وكأنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إذا كانَ هَذاقُوتُ ابْنِ أبِي طالِبٍ فَقدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَان ومُنازَلةِ الشُّجْعانِ إلا وإنَّ الشَّجَرَةَ البَرِّيَّةَ أصْلَبُ عُوداً والرَّوَائِعُ الخَضِرَةُ أرَقُّ جُلُوداً والنَّابَاتُ البَدَوِيَّةُ أقْوَىٰ وُقُوداً وأبْطأُ خُمُوداً وأنَا منْ رَسُولِ اللّهِ كالصِّنْوِ منَ الصِّنْوِ والذِّرَاعِ منَ العَضُدِ واللّهِ لوْتَظَاهَرَتِ العَرَبُ علىٰ قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْها ولَوْ أمكَنَتِ الفُرَصُ منْ رِقابِها لَسَارَعْتُ إليْها وَسأجْهدُ في أنْ أُطَهِّرَ الأرْضَ منْ هَذاالشَّخْصِ المَعْكُوسِ والجِسمِ المَرْكُوسِ حتّىٰ تَخْرُجَ المِدْرَةُ منْ بينِ حَبِّ الحَصِيدِ.

إلَيْكِ عَنِّي يادُنْيا فَحَبْلُكِ علىٰ غارِبِكِ قَدِانْسَلَلْتُ منْ مَخالِبِكِ وأفْلَتُّ منْ حَبائِلِكِ واجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ في مَدَاحِضِكِ أيْنَ القَوْمُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بمَدَاعِبِكِ أيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخارِفِكِ هَاهُمْ رَهائِنُ القُبُورِ ومَضامِينُ اللُّحُودِ واللّهِ لوْ كُنتِ شَخصاًمَرْئِيًّا وقالَباً حِسِّيًّا لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللّهِ في عِبادٍ غَرَرْتِهِمْ بالأَمانِيِّ وألْقَيْتِهِمْ في المَهاوِي ومُلوكٍ أسْلَمتِهِمْ إلىٰ التَّلَفِ وأوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ البَلاَءِ إذْ لا وِرْدَ ولا مَدرَ هَيْهاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ ومَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ ومَنِ ازْوَرَّ عنْ حِبالِكِ وُفِّقَ والسَّالِمُ مِنْكَ لا يُبالِي إنْ ضَاقَ بهِ مُناخُهُ والدُّنْيا عِندَهُ كَيَوْمٍ حانَ إنْسِلاَخُهُ.

أُغْرُبِي عَنِّي فَوَاللّهِ لا أذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّني ولا أسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِيني وأيْمُ اللّهِ

يَميناً أَستَثْنِىٰ فِيهَا بمَشيئَةِ اللّهِ لأُروضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَها إلىٰ الْقُرْصِ إذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً وتَقْنَعُ بالمِلْحِ مَأْدُوماً وَلأَدَعَن مُقْلِتي كَعْينِ ماءٍ نَضَبَ مَعِينُها مُسْتَفرِغَةٍ دُمُوعُها أَتَمْتَلِئُ السَّائِمةُ مِنْ رَعْيِها فَتَبْرِكَ وتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ منْ عُشْبِها فَتَرْبِضَ ويأكلُ عَلِّي مِنْ زَادِهِ فَيهْجَعَ قَرَّتْ اذا عَيْنُهُ إذا اقْتَدَىٰ بعْدَ السِّنينَ المُتطَاوِلَةِ بالبَهِيمَةِ الهَامِلةِ والسَّائِمةِ المرْعِيَّةِ.

طُوبَىٰ لِنَفْسٍ أَدَّتْ إلىٰ رَبِّها فَرْضَها وعَرَكَتْ بِجَنْبِها بُؤْسَها وهَجَرَتْ في اللَّيْلِ غُمْضَها حتّىٰ إذَا غَلَبَ الْكرَىٰ عَلَيْها إفْتَرَشَتْ أَرْضَها وتَوَسَّدَتْ كَفَّها في مَعشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعادِهِمْ وتَجافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفاهُهُمْ وتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ ألاإنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ فاتَّقِ اللّهِ يَاابْنَ حُنَيفٍ ولْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ لِيكُونَ منَ النَّارِ خَلاَصُكَ .

◁ اللغة

(فِتْيةٍ) بكسر الفاء جمع فَتىٰ وهو الشّاب الحَدَث السّخي الكريم (مَأدبَةٍ) بفتح الدّال وضمّها يصنع لدعوةٍ أو عُرسٍ (الجِفانُ) بكسر الجيم جمع جفنة وهي القصعة (مَجْفُوّ) اسم مفعول من جفا يَجفُو أي مطرود مَمنُوع (تَقْضِمَهُ) من القَضم وهو الأكل بطرف الأسنان (المَقْضَمِ) كمَقعَد المأكل (فَألفِظْهُ) أي أطرحه (بِطِمْرَيْهِ) تثنية الطِّمر بكسر الطّاء وهو الثّوب البلي الخلق (تِبْراً) التِّبر بكسر التاء وسكون الباء فتاة الذّهب والفِضّة قبل أن يُصاغ (وَفْراً) بفتح الواو وهو المال (فَشَحَّتْ) أي بَخلت (جَدَثٍ) بالتّحريك القَبر (أَرُوضُها) أي أُذللها (المَزْلَقِ) كاالمَعتل موضع الزّلة (القَمْحِ) الحنطة (نسائج) جمع نَسيجة وهي الثّوب المنسوج (القَزِّ) الحرير (جَشَعِي) الجَشَع شدّة الحرص (مِبْطاناً) بكسر الميم عظيم البطن (غَرْثَى) أي جائعاً (حَرَّىٰ) مؤنث حرّان أي عطشان (بِبِطْنَةٍ) البِطنة بكسر الباء البطر والأشتر (القِدَّ) بكسر القاف وتشديد الدّال سير من جلدٍ غير مدبُوغ (جُشُوبَةِ) بضّم الجيم أي الخُشونة (لَقُمُها) إلتقاطها القمامة أي

الكناسة (تَكْتَرِشُ) أي تملاء كرشها (المَناهَةِ) موضع الخَيرة (الرَّوائِعُ) جمع رائعة وهي الخُضرة (وُقُوداً) الوقودإشتعال النّار (الصِّنْوِ) النّخلَة والصِنّوان النّخلتان يجمعها أصل واحد (المَرْكُوسِ) من المركس وهوزّو الشّئ مقلوباً (المِدْرَةُ) بكسر الميم وفتح الدّال وقيل بفتحها قطعة الطّين اليابس (حَبِّ الحَصِيدِ) حَبُّ النّبات المحصود كالقَمح (غارِبِكِ) الغارب الكاهل وما بين السّنام والعُنق (أفْلتُّ) أي خَلصتُ (حَبائِلكَ) الحبائل جمع حبالة شبكة الصّياد (مَداحِضِكَ) جمع مُدحض وهو محلّ السّقوط (بمَدَاعِبَكَ) جمع مُدعَبة من الدّعابة وهي المَزاح (لا وِرْدَ ولا صَدرَ) الورد بكسر الواو ورود الماء والصّدر بالتّحريك الخروج عنه بعد الشّرب (دَحْضَكِ) مكان دحض بفتح فسكون أي زلق لا تثبت فيه الأرجل (ازْوَرَّ) مثل إحِمَّر أي إنحَرف ومالَ (حانَ) أي حَضر (انْسِلاَخُهُ) زواله (أُعْزُبي) فعل أمر من عزبَ يعزُب نحو قعد يَقْعد أي بَعُد عَنّي (تَهُّش) أي تَفرح (لَأَدْعَنَّ) أي لأَترُكَنّ (مُقْلتِي) أي عَيني (نَضَبَ) غار (مَعِينُها) بفتح فكسر أي ماؤها الجاري (الرَّبِيضَةُ) الغنم مع رعاتها اذا كان في مَرابِضها والرّبوض للغنم كالبّروك لِلابل (فيَهْجَعَ) أي يَسكن (الهَامِلةِ) المُستَرسلة (عَرَكَتْ) صَبرت (بُؤسَها) أي ضُرّها (غُمْضَها) بضَم الغين النّوم والكَرىٰ.

◁ **المعنىٰ**

(**أمَّا بَعْدُ يابْنَ حُنَيْفٍ فَقدْ بَلَغني أنَّ رَجُلاً من فِتْيةِ أهْلِ البَصْرَةِ**) وأسخيائهم (**دَعاكَ إلىٰ مَأدبَةٍ**) وطعام (**فَأسْرَعْتَ إلَيْها**) إلىٰ المأدبة (**تُسْتَطابُ لَكَ الألْوانَ**) أي يَطلب لك طيبها (**وتُنْقَلُ إلَيْكَ الجِفانُ**) والظّروف (**وما ظَنَنْتَ أنَّكَ تُجيبُ إلىٰ طَعامِ قَوْمٍ عائِلُهُمْ**) وفقيرهم (**مَجْفُوٌّ**) مَطرود (**وغَنِيّهُمْ مَدْعُوٌّ**) فيه (**فانْظُرْ إلىٰ ما تَقْضِمُهُ**) وتأكله (**منْ هذَا المَقْضَمِ**) والمَأكل (**فمااشْتَبَهَ عليْكَ عِلْمُهُ**) من الطّعام (**فألْفِظْهُ**) وأطرحه (**وما أيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِه**) وأنّه حَلال لك (**فَنَلْ مِنْهُ**) وكُله (**ألاَ وإنَّ لِكلِّ مأمُومٍ إمَاماً يَقْتَدِي بهِ**) في جميع شئونه (**ويَسْتَضِيْ**) ويَهتدي

(بِنُورِ عِلْمِه ألاَ وأنَّ إمامَكُم) أراد نفسه الشّريفة (قدِاكْتَفىٰ منْ دُنْياهُبِطِمْرَيْهِ) وثوبيه (ومِنْ طُعْمِه) وطعامه (بِقُرصَيْهِ ألاَ وإنَّكُم لا تَقْدِرُون علىٰ ذٰلِكَ) الّذي أنا فيه (ولكِنْ أَعينُوني) وعاوَنُونى (بِوَرَعٍ وإجْتِهادٍ وعِفَّةٍ وسدَادٍ) أي إتّصفوا نفوسكُم بهذه الأوصاف حتّىٰ الإمكان (فَوَاللّٰهِ ما كَنَزْتُ) وادَّخَرْتُ (مِنْ دُنْياكُمْ بِتْراً) أي ذَهباً وفِضّة (ولا إدَّخَرْتُ مِنْ غَنائِمِها وَفْراً) أي مالاً (ولا أَعدَدْتُ لِبالي ثَوْبي طِمراً) أي ثوباً آخر بَدلاً عن البالي (بَلىٰ كانَتْ في أَيْدِينا فَدَكٌ منْ كُلِّ ماأَظَلَّتْهُ السَّماء فَشَحَّتْ) ونَحلت (عَلَيْها نُفُوس قَوْمٍ وسَخَتْ عَنْها نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ) وهُم نفُوس علّي وفاطمة والحَسَنين (ونِعْمَ الحَكَمُ اللّٰهُ) يَوم القيامة (وما أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغيرِ فَدَكٍ والنَّفْسُ) أي والحال أنّ النَّفْس (مَظانُّها) ومَصيرها (في غَدٍ الىٰ جَدَثٍ) وقبرٍ تحت التّراب (تَنْقَطِعُ في ظُلْمِتِه آثارُها) عمّا كانت مُتَعلقة بـه (وتَغِيبُ أَخْبارُها) عـنها (وحَفْرَةٌ لوْ زِيدَ في فُسْحَتِها) وسِعَتها (وأُوْسَعتْ يَدَا حافِرِها لأَضْغَطَهاالحَجَرُ والمَدَرُ) أي جَعَلها من الضَيق بحيث تَضغط (وسَدَّ فُرَجَها التُّرَابُ المُتَراكِمُ) الّذي يَحثُونه عليه بأيديهم (وإنَّما هِي نَفْسِي أُرُوضُها) وأُذللـها (بالتَّقْوَىٰ لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الخَوْفِ الأَكْبَرِ) وهـو يَـوْمَ القيامة (وتَثْبُتَ علىٰ جَوانِبِ المَزْلَقِ) أي مَواضع الزّلة كالصّراط (ولوْ شِئتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إلىٰ مُصَفّى هَذَاالعَسَلِ ولُبَابِ هَذَاالقَمْحِ) والحُنطة، (ونَسَائِجِ هَذَا القَزِّ) أي مَنسُوجات الحَرير (ولكِنْ هَيْهاتَ أنْ يَغْلِبَني هَوَايَ ويَقُودَني) ويَجرّني (جَشَعِي) وشدّة حِرصي (إلىٰ تَخَيُّرِ الأطْعِمَةِ وَلَعلَّ بالحِجَازِ أوِاليَمامَةِ مَنْ لا طَمعَ لهُ في القُرْصِ ولا عَهْدِ لهُ بالشِّبَعِ) لِفقره واستئصاله (أَوْ أَبيتَ مِبْطاناً) عظيم البطن (وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى) جائعة (وأَكْبَادٌ حَرَّىٰ) عطشاناً (أَوْ أكُونَ كَما قالَ القَائِلُ:

وحَسْبُكَ دَاءً أنْ تَبيتَ بِبِطْنَةٍ وحَوْلَكَ أكْبادٌ تَحِنُّ إلىٰ القِدِّ

(أَأَقْنَعُ منْ نَفْسِي بأنْ يُقالَ أميرُالمؤُمِنينَ ولا أُشَارِكَهُمْ) أي لا أُشارك النّاس (في مكاره الدَّهْرِ) وشدائده (أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً) أي مُقتَدىٰ (لَهمْ في جُشُوبَةِ العَيْشِ)

وخشونته (فَمَا خُلِقْتُ) في الدّنيا (لِيَشْغَلَني أكْلُ الطَّيِّباتِ) من الطّعام والشّراب (كالبَهيمة المَرْبُوطَةِ) بالحَبل وغيره الّتي (هَمُّها) وقصدها (عَلَفُها أوِ الْمُرسَلَةِ) أي البَـهيمة المُـرسلة (المطلقة) الّـتي (شُغْلُها تَقَمُّمُها) للـقمامة أي الكـناسة (وتَكْتَرِشُ) أي تـملأ كـرشها (منْ أَعْلاَفِهَا وتَلْهُو عَمّا يُرَادُبها أوْ أُتْرَكَ سُدىً وأُهمَل عابثاً) فلا يُسأل عنّي يوم القيامة (أوْ أُجَرَّ حَبْلَ الضّلاَلةِ) والغواية (أوْ أعْتَسِفَ طَرِيقَ المَتاهَةِ) والحَـيرة (وكأنّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إذاكانَ هَذَاقُوتَ ابْنِ أبي طالِبٍ فَقدْ قَعْدَ بِهِالضَّعْفُ) والعَجز (عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانَ ومُنَازَلَةِ الشُّجْعانِ) و مُبارَزَتهم ولَم يَعلم هذا القائل حقيقة الحـال (ألا وإنَّ الشَّجَرَةَ البَرِيَّةَ أَصْلَبُ) وأحكم (عُوداً) من غيرها (والرَّوَائِعُ الخَضِرةُ) والأشجار والأعشاب الحَسنة (أرَقُّ جُلُوداً) من غيرها (والنَّبَاتَاتُ البَدَوِيَّةُ أَقْوَىَ وُقُوداً) وإشتعالاً من غيرها (وأَبْطَأُ خُمُوداً) أي دَوام نـارها أكـثر (وأنَا منْ رَسُولِ اللّهِ كالصِّنْوِ منَ الصِّنوِ والذِّرَاعِ منَ العَضُدِ) لا يمكن فصل أحدهما عـن الآخـر (واللّهِ لوْ تَظَاهَرَتِ العَرَبُ) أي إتّفَقَت (علىٰ قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتَ عَنْها) عن العَرب (ولَوْ أمكَنَتِ الْفُرَصُ منْ رِقابِها لَسَارَعْتُ إليْها) الى الفُرَص (فيّ أنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ منْ هَذَا الشَّخْصِ المَعْكُوسِ) في الإنسانية، (والجِسْمِ المَرْكُوسِ) المقلوب (حتّىٰ تَخْرُجَ المِدْرَةُ) وهي قطعة من الطّين اليابس (منْ بيْنِ حَبِّ الحَصِيدِ) أي حبّ النّبات المَحصُود (إلَيْكِ عَنِّى يا دُنْيا) أي بَعّدِ عنّي (فَحَبْلُكَ علىٰ غارِبِكَ) وكاهلك (قدِ إنْسَلَلْتُ منْ مَخَالِبِكِ وأَفْلَتُّ) وخَلصتُ (منْ حَبائِلِكَ) ومَكائِدُك (واجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ في مَدَاحِضِكَ) ومَسـاقطك (أَيْن القَوْمُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكَ) وحِيلك (أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخارِفِكِ هَاهُمْ رَهائِنُ الْقُبُورِ) وأُسَراءَها، (ومَضامِينَ اللُّحُودِ) وسُكّـانها (واللّهِ لوْكُنْتِ شَخْصاً مَرْئِياً وقالَباً حِسِّيّاً) كَسـائر المَحسُوسات لأَقمتُ عليك حدُود اللّه في عبادٍ غَرَرتِهم بـالأماني) والآمـال (وأَلْقَيْتِهمْ في المَهاوِي) والمَـهالك (ومُلوكٍ أسلَمْتِهمْ إلىٰ التلَف) والهَـلاك (وأَورَدَتْهِمْ مَوَارِدَ البَلاَءِ) في الدّنيا والآخرة (إذْ لا وِرْدَ ولا صَدَرَ) أي إذْ لا وِرْدَ

في الماء ولا خروج عنها (هَيْهاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضكِ زَلِقَ) لا تثبت فيه الأرجل (ومَنْ رَكِب لُججكِ غَرِقَ) فيها (ومَنِ إزْوَرَّ) أي مال وتنكب (عنْ حِبالِكَ وُفِّقَ) لما يُحبّ في الدّنيا والآخرة (والسَّالِمْ مِنْكَ لا يُبالِي إنْ ضاقَ بهِ مُناخُهُ والدُّنْيا عِندَهُ كيَوْم حانَ إنْسِلاخُهُ) حَضَر زَواله (أُغْرُبي) وبَعْدِي (عنِّي فَوَاللّهِ لا أذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذلِّيني) أي تجعلني حقيراً (ولا أسْلَسُ)أي لا أنقاد (لَكِ فَتَقُودِيني) وتجرّني حيث شئت (وأيْمُ اللّهِ) وأقسم به (يَميناً) وقَسَماً (أُسْتَثْنِي فِيهَا بمَشِيئَةِ اللّهِ).وإرادته (لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِياضَةً تَهشُّ) النفس أي تبسط (مَعَها إلىٰ الْقُرْصِ) والرّغيف (إذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً) فلا تطلب منّي أكثر (وتَقْنَعُ) النّفس (بالمِلْحِ مَأدُوماً) مكان الإدام (ولأَدَعَنَّ) وأتركَنّ (مُقْلتي) وعيني (كَعَيْنِ ماءٍ نَضَبَ مَعِينُها) أي غار ماؤها الجاري (مُسْتَفْرِغةٍ دُمُوعُها) حتّىٰ لا يبقىٰ لها دمعٌ (أَتَمْتلئُ السَّائِمةُ مِنْ رَعْيِها فَتَبْرُكَ) بسبب الإمتلاء (وتَشْبَعُ) أي أشبع (الرَّبِيضَةُ) والغَنَم (مِن عُشْبِها فَتَرْبِضَ) مِنْ كثرة الأكل (ويأكلُ عَلِّيٌ مِنْ زادِهِ فَيَهْجَعَ) ويسكن كما سكنت الحيوانات (قَرَّتْ إذاعَيْنُهُ إذاً إقْتَدَىٰ) في أكله (بَعْدَ السِّنين المُتطَاوِلَةِ بالبَهِيمَةِ الهَامِلةِ) المسترسلة (والسَّائِمةِ المَرْعِيَّةِ) في مَرعاها (طُوبَىٰ لِنَفْسٍ أدَّتْ إلىٰ رَبِّهَا فَرْضَها) وعَملت بوظيفتها (وعَرَكَتْ) وصَبرت (بِجَنْبِها بُؤْسَها) وضَرها وبعبارةٍ أُخرىٰ كانت صابرة علىٰ البأساء (وَهَجَرَتْ) وتَركت (فى اللّيلِ غُمْضَها) ونومها (حتّىٰ إذَا غَلَبَ الْكَرَىٰ) والنّوم (عَلَيْهاافْتَرَشَتْ أَرْضَها) أي نامت علىٰ الأرض الخالية (وتَوَسَّدَتْ كَفَّها) أي جَعَله وسادة (في مَعشَرٍ أسْهَر عُيُونَهُمْ خَوْفَ مَعادِهِمْ وَتَجافَتْ عَنْ مَضاجِعِهِمْ جُنُوبُهمْ وهَمْهَمَتْ بِذِكرِ رَبِّهِمْ شِفاهُهُمْ وتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفارِهِمْ ذُنُوبُهُم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ ألا إنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ فاتَّقِ اللّهِ) واحذره (ياابْنَ حُنَيْفٍ ولْتَكْفِكَ أقْراصُكَ لِيكُونَ منَ النَّارِ خَلاَصُكَ.

◁ الشَرح

كَتَبَ ﷺ هذا الكتاب ظاهراً الىٰ عثمان بن حُنيف الأنصاري وكان عامله علىٰ البَصرة وأمّا في الواقع فقد كَتَبه الىٰ جميع شيعته ومن أحبّ أن يَحذو حِذوه حاكماً أو غيره فأنّه قد ذكر هي هذا الكتاب ما لا يُوجد في غيره من المَواعِظ الشّافية إلّا علىٰ سبيل الشّذوذ ولا سيّما بالنّسبة الىٰ حُكّام المُسلمين الّذين يَدّعون الإسلام في حكُوماتهم ويَطلبُون الشّيطان في أعمالهم.

أمّا نَسَبه: فهو عثمان بن حُنيف بضَم الحاء بن واهب بن العكم بن ثعلبة بن الحارث الأنصاري ثُمّ الأوسي ويُكَنىٰ أبا عمرو وقيل أبا عبد اللّه وكان هو وأخوه سَهل بن حُنيف من خيار الصّحابة وَلّىٰ أمير المؤمنين سَهلاً علىٰ المَدينة بعد خروجه ﷺ عنها الىٰ البَصرة وأمّا عثمان هذا فكان والياً علىٰ البَصرة من قِبله وكان فيها حتّىٰ أخرجه منها طلحة والزّبير في فتنة الجَمَل ثمّ بعد الجَمَل أَقَرّه ﷺ عليها وقيل أمّر عليها عبد اللّه بن عبّاس وكيف كان لاشك في زهده وفقهه ودينه وأنّه كان من خيار شيعته سَكَن عثمان الكُوفة بعد وفاة علّي ﷺ ومات بها في سلطنة معاوية لعنه اللّه.

▫ **قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ ياابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغني أَنَّ رَجُلاً من فِتْيَةِ أَهْلِ البَصْرَةِ دَعاكَ إلىٰ مَأدبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إلَيها تُسْتَطابُ لَكَ الأَلْوَانُ وتُنْقَلُ إلَيْكَ الجِفانُ ...**

الفِتية بكسر الفاء جمع فتىٰ وهو في الأصل الشّاب وقد يُطلق علىٰ السّخي يُقال فلان فتىٰ قَومه اذا كان مُتّصفاً بالسّخاوة والجُود والأوّل حقيقي والثّاني مَجازّي وأمّا في المقام فكلا المَعنَيين مُحتَملّ.

والمعنىٰ أمّا بعد الحَمد والثّناء علىٰ اللّه يابن حُنَيف لَم يُسَم بإسمه تحقيراً له، (**فَقدْ بَلَغني أَنَّ رَجْلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ البَصْرَةِ**) أي من شبابها أو من أسخياؤها (**دَعاكَ إلىٰ مَأدبَةٍ**) أي طعام يُصنَع، لِدَعوةٍ أو عُرسٍ فأَسرَعت اليها أي الىٰ المأدُبة لِتَأكل منها تُستَطاب لك الألوان وأَصناف الطّعام (**وتُنْقَلُ إلَيْكَ الجِفانُ**) أي يُطلب لك طيبها وتُنقَلَ إليْكَ الظّروف فأنّ الجِفانُ جمع جِفنة وهي

القَصعة أعني بها الظَّرف الّذي فيه الغذاء.

▫ **قوله ﷺ: وما ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إلىٰ طَعامِ قَوْمٍ عائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ...**

وهذا هو العلّة في تَوبيخه وتَغييره وحاصله أنّ المؤمن لا يَنبَغي له الإجابة الىٰ طَعامِ قوْمٍ عائِلُهُمْ وفقيرهم مَطرودٌ ممنُوع عنه وغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ فيه وحيث أنّك من المؤمنين **فما ظَنَنتُ** بك الإجابة هذا.

ويمكن أن يكون قُبح الإجابة مُضافاً الىٰ ما ذَكرناه شيئاً آخر وهو أنّ عثمان بن حُنَيف كان والياً عليهم من قِبل الإمام المَعصُوم المَنصُوص الّذي فعله وقوله وتَقريره حجّة علىٰ النّاس وعليه فالإجابة من عثمان بِمَنزلة الإجابة من أمير المؤمنين ولو في أنظار العَوام وحيث كان الأمر على هذا المنوال فإستَحق به اللّوم من جهة عَدم مُراعاته مقام الولاية فَذنبه أَعظم من هذه الجهة وإلّا فالحكم ثابت في أصله بالنّسبة الىٰ كلّ مؤمنٍ ضرورة أنّ هذا العَمَل يُوجب تَكسير قلب الفَقير وتَقوية قلب الغنّي ونتيجته برُوز الإختلاف بين الفُقراء والأغنياء وهو خلاف الإسلام.

▫ **قوله ﷺ: فأنظُرْ إلىٰ ماتَقْضِمهُ منْ هذَاالمَقْضَمِ فما اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَألْفِظْهُ وما أَيقَنْتَ بِطِيبِ وجُوهِه فَنَلْ مِنْهُ ...**

ثُمّ بيّن ﷺ وظيفة الأكل في هذه المَوارد وحاصلها أنّ المَأكول لا يَخلُو حاله عن أمرين:

أحدهما: أن يكون مُشتَبهاً من حيث الحلّية والحرقة.

وثانيهما: ما يكون مُتَيقناً من حيث الحلّية فالأوّل مَطرود مَطرُوح، والثّاني مأخُوذ مأكُول ولأجل هذا قال ﷺ: له **فأنظر الىٰ ما تَقضَمه** وتَأكله بِأطراف أسنانك من هذا المَقْضَم والمَأكل فأن كان مُشتَبهاً عليك فألْفِظْهُ وأَطرِحه وأن كان حلالاً طيباً من جميع الوجوه فَكُله وهذه قاعدة كلّية في جميع المَأكُولات لِجَميع الأفراد واذا كان حال المُشتَبه كذلك فما ظَنّك بالحَرام.

□ **قوله ﷺ: ألاَ وإنَّ لِكلِّ مَأمُومٍ إمَاماً يَقْتَدِي بِهِ ويَسْتَضيءُ بنُورِ عِلْمِهِ ألاَ وإنَّ إمامَكُم قدِ اكْتَفىٰ منْ دُنْياهُ بِطِمْرَيْهِ ومِنْ طُعْمِه بِقُرْصَيْهِ ...**

بيّن ﷺ في المقام أمرين:احدهماأنّ لِكلّ مَأمُوم إمَاماً، وثانيهما أنّ إمامك مَن هو: قال اللّه تعالىٰ:**﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ﴾**(١)

ثُمّ أنّ الإمام علىٰ قسمين، حقّ وباطلٌ:

فإلىٰ الأوّل:

أشار اللّه بقوله:(**وجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعلَ الْخَيْرَاتِ﴾**(٢)

و : **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾**(٣)

و : **﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾**(٤)

والىٰ الثّاني:

أشار بقوله:**﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾**(٥)

و : **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ﴾**(٦)

فَثبت أصل الحكم وهو إنَّ لِكلِّ مَأمُوم إمَاماً وهو من يُؤتّم ويُقتدىٰ به في الأمُور دنيوياً كانت أو أُخرَوياً وثبت أيضاً أنّ الإمام حقٌّ وباطلٌ فقوله ﷺ ألا وإنّ لِكلِّ مَأمُوم إمَاماً لا شك فيه وأنّما خُصّ الإمام بالمأموم وقال لِكلِّ مَأمُومٍ ولم يَقل لكلّ أحدٍ أو لكلّ النّاس مثلاً لِنُكتته و هي أنّ الإمامة والمأمُوميّة مُتضايفان كالفوقية والتّحتية فكما أنّ الفوق لا يُقال إلّا لما كان له تحتاً وبالعكس كذلك الإمام لا يقال إلّا لمن كان له مأموم وبالعكس وعليه فكلّية الحكم ثابتة على هذه القاعدة أي كلّما ثبت المأموم ثبت الإمام له وإلّا لا يكون المأموم مأموماً وحيث أنّه ﷺ أراد إثبات الحكم علىٰ طريق الكلّي فقال ما قال وهذا

١- الاسراء-٧١
٢- الانبياء-٧٣
٣- السّجدة-٢٤
٤- الفرقان-٧٤
٥- التّوبة-١٢
٦- القصص-٤١

بخلاف ما اذا قيل مثلاً لكلّ أحدٍ أو لكلّ النّاس فأنّ من النّاس من لا يكـون مأموماً لغيره كالنّبي والوصّي بعده فأنّ النّبي إمام وليس بمأموم والوصّي بعده هكذا بل يُمكن أن يُوجد في النّاس كثيراً منهم لا دين ولا مَسلَك ولا مَكتَب لهم من حقّ أو باطلٍ إلّا من عند أنفسهم وبالجملة يمكن وجود شخصٍ أو أشخاص لا يكون مأموماً لغيره فليس له إمام اللّهم إلّا أن يُقال أنّ إمامة الشّيطان فهو مأموم له فلا يُوجد فيهم من لَيس بمأمومٍ فأن ثبت هذا وقلنا به، فَمورد الإستثناء هو النّبي والوَصي بَعده وهذا يَكفي في نَقض الكلّية فلا يَصّح القَول بأنّ لكلّ أحدٍ إماماً ويصّح القول بأنّ لكلّ مأمومٍ إماماً وهو المطلوب وصورة القياس هذا مأموم، وكلّ مأموم له إمام، فهذا له إمامٌ.

ثُمّ بعد ثبُوت أصل الحكم نقول أنّ عثمان بن حُنيف كان مأموماً فلا محالة له إمام وإمامه كان أمير المؤمنين ﷺ لا معاوية مثلاً لكونه من شيعته ووالياً من قِبله فكان يَنبغي له الإقتداء بإمامة والإستضاءة بنُور عِلمه اذ لولا الإقتداء والإستضاءة لم يَتَّحقق أصل الحكم أعني الإمام والمأموم وذلك لانّ إقتداء المأموم بإمامه ممّا لا بدّ له منه فأنّ الإقتداء والإئتمام من مقّومات ماهّية الإمام والمأموم ولذلك قال ﷺ يقتدي به ويستضيّ بنور عِلمه وأمّا قوله ﷺ: **وأنّ إمامكُم قد إكتفىٰ** الىٰ قوله **بقُرصيه** فهو فرعٌ علىٰ الأصل المَذكُور بمعنىٰ إنّا اذا قبلنا الأصل فلابدّ لنا من قبُول الفَرع وحاصله أنّ إمامكُم قد إكتفىٰ في لباسه بِطَمريه والطِّمر هو الثّوب الخَلِق ومن طعامه بِقُرصَيه أي قُرص الحُنطة والشّعير فَمن يَدّعي أنّه مأمومٌ لهذا الإمام يَنبغي له الإقتداء به في لباسه وطعامه وعبادته وزُهده وجميع شئونه وتَخصيص الطِّمر والقُرص بالذّكر لأجل أنّ اللّباس والطّعام أساس التّعَيش في الدّنيا أو لأنّ البَحث في الدّنيا وما يَلحق بها كما قال ﷺ قد إكتفىٰ من دُنياه.

□ **قوله** ﷺ: **ألاَ وإنّكُم لا تَقْدِرُونَ علىٰ ذٰلِكَ ولكِنْ أَعينُوني بِوَرَعٍ وإجْتِهادٍ وعِفّةٍ وسدَادٍ ...**

كأنّه قيل له عليه السلام ومَن يقدر علىٰ الإكتفاء بما ذَكرتَ فقال عليه السلام في الجواب أنّي أعلَمُ أنّكم لا تقدرون عليه ولكن أعينوني وأنصرُوني بوَرَعٍ في دنياكم وإجتهاد في أُموركم وعِفَّةٍ في شَهواتكم وسدادٍ في إيمانكم وأنّما قال عليه السلام وأعينُوني ولَم يَقُل أَعينُوا اللّه مثلاً كما قال تعالىٰ: **﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ إمّا لأنّ إعانَته** عليه السلام إعانة اللّه أو لأنّ البَحث في وظيفة المأموم بالنّسبة الىٰ الإمام:

▫ **قوله** عليه السلام: **فَوَاللّهِ ما كَنَزْتُ منْ دُنْياكُمْ تِبْراً ولا أدَّخَرْتُ مِنْ غَنائِمِها وَفْراً ولا أعْدَدْتُ لِبَالي ثَوبْي طِمْراً ...**

بعد ما ذكر عليه السلام في الجملة السّابقة إنَّكُم لا تَقْدِرُونَ علىٰ ذٰلِكَ، أمّا وفي هذا المقام علّة الحكم بعدم القُدرة فقال عليه السلام: **واللّه** أي أُقسم بِاللّه صادقاً وأنّي ما كنزتُ من دُنياكم ذهباً ولا فِضّة ولا إدّخرت لنفسي أو لأهلي من غنائم الدّنيا مالاً وثروةً ولا أعدَدتُ بدلاً عن الثّوب البالي طِمراً أي ثوباً آخر وهو عليه السلام كان كما ذكره بشهادة المُوافق والمُخالف ومن يقدر علىٰ ذلك غيره:

▫ **قوله** عليه السلام: **بَلَىٰ كانَتْ في أيْدِينا فَدَكٌ منْ كُلِّ ما أَظَلَّتْهُ السَّماء فَشَحَّت عَلَيْها نُفُوسُ قَوْمٍ وسَخَتْ عَنْها نُفُوسُ قَوْمٍ آخرين ...**

ثُمّ قال عليه السلام: إستدراكاً لكلامه السّابق بلىٰ أي نَعم كانتْ في أيْدِينا آل مُحمّد من كلّ ما وقع تحت السّماء من النِعم الدّنيوية فَدَكُ فَشَحَّتْ أي بَخِلَت عَليْها نُفُوسُ قَوْمٍ ولأجل ذلك هَمّوا بغصبها وأخذِها عن آل مُحمّد عُدواناً فأخذُوها كذلك وسَخَتْ عَنْها أي مالت وأعرَضَت نُفُوسُ آخرين وهُم نُفُوسُ أميرِ المؤمِنينَ وفاطمة والحسنين وعشيرتهم ونحن نتكلم فيها إجمالاً في فُصولٍ:

الفصّل الأوّل: في تفسيرها وبيّان ماهيّتها فنقول:

فَدَك بفتح الفاء والدّال قرية من قُرىٰ اليهود بينها وبين مَدينة النّبي يومان مُنصرفٌ وغير منصرف وكانت بها أشجار كثيرة وقد نقلوا أنّ عوائدها كانت في كلّ سنةٍ تقرب سبعون ألف دينار من الذّهب وقيل أقلّ وقيل أكثر وقد نقل

الشّارح المُعتزلي أنّه قال لمُتَكلم من مُتَكلمي الإمّامية يعرف بعلّي بن تقي من بلدة النّيل وهل كانت فَدَك إلّا نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير فقال له ليس الأمر كذلك بل كانتْ جليلة جدّاً وكان فيها من النّخل نحو ما بالكوفة الآن (القرن السّادس من الهجرة) من النّخل انتهىٰ:

الفصّل الثّاني: هل كانت خاصّة لرسُول اللّه ﷺ في حياته أو كانت لجميع المُسلمين وهذا هو الأصل في الإختلاف الواقع بين العامّة والخاصّة فقد اتّفقت الخاصة على علىٰ أنّها كانت لرسُول اللّه خاصّة اذ لم يُحجف عليها بخيل بخيل ولا ركاب وأمّا العامّة فمنهم من يقول بمقالة الخاصّة ومنهَم من يقول بخلافها ولابدّ لنا من بيان مَعنىٰ الفيْ أوّلاً ثُمّ نَبحث في ما نحنُ بصَدَده فنقول الفَيْ بفتح الفاء في الأصل الرّجوع الىٰ حالةٍ محمودة قال اللّه تعالىٰ:﴿**حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ**﴾[1] ومنه فاء الظِلّ، أي رجَع ثُمّ أنّه يُقال للغنيمة الّتي لا يلحق فيها مشقّة وأنّما أطلق عليها الفَيْ الّذي هو الظِلّ تنبيهاً علىٰ أنّ إشراف إعراض الدّنيا يَجرى مجرىٰ ظلٍّ زائل كما قيل:

أنّـــما الدّنـــيا كـــظلٍّ زائـــلٍ　　　أو كـضيفٍ بـات فـيها وإرتَـحَل

وقال الآخر، أرىٰ المال أفياء الظّلال عشّية اذا عرفت معنىٰ الفيْ فقد علمتَ أنّ الغَنيمة الّتي حَصَلت من غير مشّقةٍ يطلّق عليها الفيْ والّتي حَصَلت بها ليسَت به هذا بناء علىٰ التّفسير المذكور الّذي نقله الرّاغب في كتابه المسّمىٰ بالمُفردات وعبارته هكذا، وقيل للغنيمة الّتي لا يلحق فيها مشّقة فيْ قال اللّه تعالىٰ:﴿**ما أفاء اللّه علىٰ رسوله**﴾ **انتهىٰ**:

وأنا أقول ـ ما ذكره من إختصاص الفيْ بالغنيمة الّتي لا يلحق فيها مشّقة لا دليل عليه وذلك لأنّ الفيْ كما ذكره جميع أرباب اللّغة ومنهم هو في الأصل الرّجوع سواء كان بمشّقةٍ أو بغيرها فكلمّا يَحصل للمُسلمين من أموال الكُفّار بأيّ نحو حَصَل فيْ لهم اللّهم إلّا أن يُقال أنّ هذا إصطلاح خاصّ وكيف كان

١ - حجرات ٩

لاشك أنّ فَدَك كانت من الأفياء لأنّها أُخذت من اليهود فهذا ممّا لا خلاف فيه عند الكلّ وأنّما الخلاف في أنّ هذا الفيئ هل هو كان مُختّصاً برسُول اللّه ﷺ أم لا وقلنا في صدر البحث أنّ الشّيعة لا خلاف عندهم في إختصاصه بـه ﷺ والخلاف ثابت عند العامّة والّذي ظَهر لنا من كُتبهم في الباب هو أنّ الأكثر منهم علىٰ الإختصاص برسُول اللّه ﷺ والمُخالف مُعانِدٌ مُكابرٌ فأنّ اللّه تعالىٰ قد بيّن الحكم في كتابه بحيث لا يقبل تأويلاً أصلاً:قال اللّه تعالىٰ: **﴿ما أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولَ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامىٰ والْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآآتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأنْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** (١)

الأخبار في كون فَدَك كانت خالصة له ﷺ وقال اللّه تعالىٰ: **﴿وَمَا أَفَآءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَآأَوْجَفتُمْ عَلَيْهِ مَنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلىٰ مَنْ يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (٢)

دلّت الآية الأُولىٰ: علىٰ أنّ ما أفاء اللّه علىٰ رسُوله من أهل القُرىٰ فهو لِللّه ولِلرّسُول وعلّل ذلك بقوله كي لا يكون دولة بين الأغنياء، ولا يضّره قوله ولذي القُربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السّبيل وذلك لأنّهم عيال اللّه فما كان لِللّه ولِرّسُوله فهو في الحقيقة لهم ولعلّه لأجل هذا التّوهم ذكر قوله كي لا يكون دَولة بين الأغنياء، ضرورة أنّ الفيئ اذا لم يكن مُختصاً لِللّه ولِرّسُوله فلا معنىٰ لِخروج الأغنياء فأنّ الغنّي والفقر فيه واحد وحيث أنّه تعالىٰ علّل إختصاص الفيئ برسُول اللّه بأن لا يكون دَولة بين الأغنياء يُعلم خروجهم عن مورد القِسمة وهو المطلوب:

وأمّا الآية الثّانية: فقد دّلت على أنّ العِلة في إختصاص الفيئ بِاللّه وبرسوله هي أنّ المُسلمين لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب فمفهوم الآية أنّ الغنيمة اذا حَصَلَت بغير ذلك فهي لا تختص باللّه وبرسُوله بل هي للمُوجفين فقد حصّل

١ - الحَشر ـ ٧

٢ـ الحشر ـ ٦

لنا من الآية الشّريفة أن كلّ شيءٍ لم يُوجف عليه بخيل ولا ركاب فهو لِلّه ولِرسوله فهذا للّه و رسوله وما ليس كذلك فهو لمن يُوجف عليه وصورة القياس هكذا هذا ممّا لم يُوجف عليه بخيل ولا ركاب، وكلمّا كان كذلك فهو لِلّه ولرسُوله، اذا عرفت هذا فلنرجع الىٰ ما نحن بصدده فنقول:

لا شك عند المُسلمين أنّ فَدَك كانت لليَهود أوّلاً ثمّ صارت لِلإسلام فهذا القدر ممّا لا خلاف فيه وأنّما الخلاف في أنها هل يُوجف عليها بخيلٍ وركاب أم لا فأن ثَبت الأوّل فهي فيءٌ للمُسلمين ولا إختصاص لها برسُول اللّه وعلىٰ الثّاني فهي مُختّصة به بلا كلام، أمّا الوجه الأوّل فلم يثبت وعلىٰ المدّعي الإثبات وأنّىٰ له بإثباته والقرآن ناطق بخلافه فيبقىٰ في المقام الوجه الثّاني وهو المطلوب:

وقد دّلت عليه الأخبار أيضاً من الطّرفين ونحن نُشير الىٰ شطرٍ منها وأن كنا غير مُحتاجين الىٰ ذكرها بعد دلالة ظاهر الكتاب علىٰ المدّعىٰ ومع ذلك فنقول:

روىٰ الشّارح المُعتزلي في شرحه بأسناده عن الزّهري قال بقيت بقيّة من أهل خير تحصّنوا فسألوا رسُول اللّه أن يحقن دمائهم ويسيّرهم ففعل فسمع ذلك أهل فَدَك فَنزَلوا علىٰ مثل ذلك وكانت للنّبي ﷺ خاصّة لأنّه لم يوجف عليها بخيلٍ ولا ركاب...

وروي أيضاً عن مُحمّد بن إسحاق أنّ رسُول اللّه لمّا فرغ من خيبر قَذَف اللّه الرّعب في قلُوب أهل فَدَك فَبعثُوا الىٰ رسُول اللّه ﷺ فصالحوه علىٰ النّصف من فَدَك وساق الحديث الىٰ أن قال وكانَت فَدَك لرسُول اللّه خالصةً له لأّنه لم يوجف عليها بخيلٍ ولا ركاب...

روي السيّوطي في الدرّ المنثور بأسناده عن الزّهري في قوله تعالىٰ: (فما أوجفتم عليه من خيلٍ ولا ركاب) قال صالح النّبي ﷺ أهل فَدَك وقرىٰ سماها وهو محاصر قوماً آخرين فأرسلوا بالصّلح فأفاء اللّه عليهم من غير

قتال ولَم يوجفوا عليه خيلاً ولا ركاباً فقال اللّه فما أوجَفتم عليه من خيلٍ ولا ركاب يقول بغير قتالٍ وكانت أموال بني النّضير للنّبي ﷺ خالصاً لم يفتتحوها عنوة أنّما أفتتحوها علىٰ الصّلح فقسّمها النّبي ﷺ بين المُهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلّا رجلين كانت بهما حاجة أبو دجانة وسهل بن حنيف انتهى «ج ۶ ص ۱۹۲»...

وقال وأخرج أحمد والبّخاري ومسلم وأبو داوود والتّرمذي والنّسائي وابن المُنذر عن عُمر بن الخطاب قال كانت أموال بني النّضير ممّا أفاء اللّه علىٰ رسوله ممّا لم يوجف عليه المُسلمون بخيلٍ ولا ركاب فكانت لرسُول اللّه ﷺ خاصّة فكان ينفق علىٰ أهله منها نفقة سنتهم ثمّ يجعل ما بقىٰ في الكّراع والسّلاح «ص ۱۹۲»...

وأخَرجَ ابن مردويه عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ ﴿وما أفاء اللّه علىٰ رسُوله﴾ الآية قال أمر اللّه رسُوله بالسّير الىٰ قريظة والنّضير وليس للمؤمنين يومئذٍ كثير خيلٍ ولا ركاب فجعل رسُول اللّه ﷺ يحكم فيه ما أراد ولَم يكن يومئذٍ خيلٍ ولا ركاب يوجف بها قال والإيجاف أن يوضعوا السّير وهي لرسُول اللّه ﷺ فكان من ذلك خيبر وفَدَك وقرىٰ عربيّة أمَر اللّه رسوله فأتاها رسُول اللّه فأحتواها كلّها فقال أُناس هلاّ قسّمتَها فأنَزل اللّه ما أفاء اللّه علىٰ رسوله من أهل القرىٰ فلِلّه ولِلرّسُول الىٰ شديد العقاب « ص ۱۹۲»...

والأخبار في الباب كثيرة جدّاً من طريق العامّة وفيما ذكرناه كفاية وأمّا الخاصّة فلم يخالف منهم أحد في المسئلة ومع ذلك نشير الىٰ بعض ما ورد عنهم تيمّناً وتبّركاً.

روىٰ البحراني في تفسير البُرهان في قوله تعالىٰ ما أفاء اللّه علىٰ رسوله الآية بأسناده عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين قال ؑ نحن واللّه الّذي عنىٰ اللّه بذي القربىٰ الّذين قرنهم اللّه بنفسه ونبّيه ﷺ فقال ما أفاء اللّه علىٰ رسُوله من أهل القرىٰ فلِلّه وللرّسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين، وابن

السّبيل منّا خاصّة ولم يجعل لنا سهماً في الصّدَقة أكرم اللّه نبيّه وأكـرمنا ان يُطعمنا أوساخ ما في أيدي النّاس انتهىٰ:

وبأسناده عن أبي عبد اللّه قال ﷺ ما أفاء اللّه علىٰ رسوله الآية قال ﷺ الفيء ما كان من أموالٍ لم يكن فيها هراقة دمٍ أو قتلٍ والأنفال مَثل ذلك وهو بمنزلته انتهىٰ...

وبأسناده عن مُحمّد بن مُسلم عن أبي جَعفر ﷺ قال سمعته يقول الفيء والأنفال ما كان من أرضٍ لم يكن فيها هراقة دمٍ (من الدّماء) وقوم صُولحوا وأعطوا بأيديهم وما كان من أرضٍ خربة أو بطون أودِية فهو كلّه من الفيء فهذا لِللّه ولرسوله فما كان لِللّه فهو لرسُوله يضعه حيث يشاء وهو لِلإمام بَعد الرّسُول وقوله تعالىٰ (ما أفاء اللّه) الآية قال ﷺ ألا ترىٰ هو هذا الحديث...

وبأسناده عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه قال سألت أبا جعفر ﷺ عن قول اللّه عزّ وجلّ ما أفاء اللّه الآية...

الأخبار من طريق العّامة علىٰ إعطاء الرّسُول فَدَك لفاطمة:

فقال أبو جعفر ﷺ هذه الآية نزلت فينا خاصّة فما كان لِللّه وللرّسول فهو لنا ونحن أُولوا القُربىٰ ونحن المساكين لا تذهب مسكنتنا من رسول اللّـه أبـداً ونحن أبناء السّبيل فلا يُعرف سبيلٌ إلّا بنا والأمر كلّه لنا إلّا اللّه انتهىٰ:

قال الطّبرسي في تفسيره، قال ابن عبّاس نزل قوله ما أفاء اللّه علىٰ رسوله الآية في أموال الكُفّار من أهل القرىٰ وهم قريظة وبني النّضير وهما بالمدينة وفَدَك وهي من المدينة علىٰ ثلاثة أميال وخيبر وقرىٰ عرنية ويَنبَع جعلها اللّه لرسوله يحكم فيها ما أراد وأَخبر أنّها كلّها له فقال أُناس فهّلا قسّمها فنزلت الآية وقيل أنّ الآية الأُولىٰ بيان أموال بني النّضير خاصّة لقوله وما أفاء اللّه علىٰ رسوله منهم الآية والثّانية بيان الأموال الّتي أُصيبت بغير قتالٍ وقيل أنّهما واحد الىٰ آخر ما ذكره ؓ أن شئت راجعه اذا عرفت هذا وعلَمت أنّ فَدَك كـانت لرسُول اللّه خاصّة بأمرٍ من اللّه تعالىٰ نَرجع الىٰ أصل المُدّعىٰ وهو أنّها بعد

الرّسُول هل كانت لأولاده أو لجميع المُسلمين فهذا هو معركة الآراء بين العامّة والخاصّة فالخاصّة على الاوّل والعامّة على الثّاني ونحن نذكر لك أدلّة الطّرفين ثمّ أقض فيها ما أنت قاضٍ من غير تعَصبٍ ولا عناد فنقول:

أمّا الخاصّة فأستدلوا على مُدّعاهم بأنّ الرّسُول قد أعطاها فاطمة في حياته بأمرٍ من اللّه تعالى والأخبار بذلك ناطقة من الطّرفين ونُشير الى شطرٍ منها:

أمّا العامّة – فقد روى السّيوطي في الدّر المَنثور في قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذا القُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (١) ما لفظه:

وَأَخرج ابن مردوية عن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما قال لمّا نزلت وآتِ ذا القربىٰ حقّه أقطع رسول اللّه فاطمة فَدَكاً انتهىٰ:

وأخرج البزاز وأبو ليلىٰ وابن أبي حاتم وابن مردوية عن أبي سعيد الخِدري قال لمّا نزلت هذه الآية وآتِ ذا القربىٰ حقّه دعا رسُول اللّه ﷺ فاطمة فأعطاها فَدَك انتهىٰ:

وفي فضائل الخمسة عن الصّحاح السّتة بعد نقله ما نقلناه عن السّيوطي قال ما لفظه (الهيثمي في مَجمعه« ج ٧ ص ٤٩» قال عن أبي سعيد قال لمّا نزلت وآتِ ذا القُربىٰ حقّه، دعا رسول اللّه فاطمة وأعطاها فَدَكاً، قال رواه الطّبراني، أقول وذكره الذّهبي أيضاً في ميزان الإعتدال «ج ٢ ص ٢٢٨».

وصححّة المنتقي في كنز العمّال« ج ٢ ص ١٥٨» عن أبي سعيد قال لمّا نزلت وآتِ ذا القربىٰ حقّه، قال النّبي ﷺ يا فاطمة لك فَدَك، قال أخرجه الحاكم في تاريخه وابن النّجار انتهىٰ «ج ٣ ص ١٣٦».

ورُوي في البحار عن فرات بن إبراهيم الكوفي مُعنعناً عن أبى سعيد الخُدري قال لمّا نزلت الآية دعا النّبي ﷺ فاطمة فأعطاها فَدَك فقال هذا لكِ ولعقبكِ بعدكِ انتهىٰ « ج ٨ ص ٩٣»..

وعن الحُسين ابن الحَكَم مُعنضاً عن عطيّة قال لمّا نزلت هذه الآية فآتِ ذا

١- اسراء ٢٦

القربىٰ حقّه، دعا النّبي ﷺ فاطمة فأعطاها فَدَك فكلّما لم يوجف عليه أصحاب النّبي ﷺ بخيلٍ ولا ركاب فهو لرسُول اللّه ﷺ خاصّة يضعه حيث يشاء فَدَك ممّا لم يوجف عليه بخيلٍ ولا ركاب انتهىٰ» ج ٨ ص ٦٨».

وفي حديثٍ آخر قلت أَرَسُول اللّه أعطاها قال لا بل اللّه أعطاها انتهىٰ «ص ٩٣»..

وعن كتاب سعد السّعود من تفسير مُحمّد بن العبّاس بن علّي بن مروان قال روي حديث فَدَك في تفسير قوله تعالىٰ وآتِ ذا القُربىٰ حقّه عن عشرين طريقاً» ص ٩٣».

وعن عطّية العوفي قال لمّا إفتتح رسُول اللّه ﷺ خيبر وأفاء اللّه عليه فَدَك وأنزَل عليه وآتِ ذا القربىٰ حقّه قال ﷺ يا فاطمة لك فَدَك انتهىٰ» ص ٩٣».

وأمّا الخَاصة فلا خلاف عندهم في المسئلة وأنّه ﷺ أعطاها فَدَك في حياته لمّا أُمر به من عند اللّه تعالىٰ حيث قال وآتِ ذا القُربىٰ حقّه، ومع ذلك نُشير الىٰ شطرٍ ممّا ورَد عنهم:

قال البحراني في تفسير البُرهان عند الآية الشّريفة ما لفظه:

ابن بابويه قال حدّثنا علّي بن الحسين بن شاذويه المُؤدّب وجعفر بن مُحمّد بن مسرور عن مُحمّد بن عبد اللّه بن جعفر الحميري عن أبيه عن الرّيان بن الصّلت عن الرّضا ؑ قال قوله وآتِ ذا القُربىٰ حقّه وخصّوصيته خصّهم اللّه العزيز الجبّار بها وإصطفاهم علىٰ الآية قال فلمّا نزلت هذه الآية علىٰ رسول اللّه ﷺ قال أُدعُوا لي فاطمة فَدُعيت له فقال يا فاطمة قالت لبّيك يا رسول اللّه فقال هذه فَدَك وهي ممّا لم يوجف عليها بخيلٍ ولا ركاب وهي لي خاصّة دون المُسلمين فقد جعلتها لكِ لما أَمَرني اللّه تعالىٰ خُذ بها لكِ ولولدِكِ انتهىٰ...

وفيه أيضاً بأسناده عن علّي بن الحُسين ؑ أنّه قال لرجُلٍ من أهل الشّام أما قرأتَ وآتِ ذا القُربىٰ حقّه قال بلىٰ قال ؑ فنحن أُولئك انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال لمّا أنزل اللّه وآتِ ذا القُربىٰ حقّه والمسكين قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله يا جبرئيل قد عرفت المسكين فمن ذوي القُربىٰ قال هم أقاربك فدعا حَسناً وحُسيناً وفاطمة فقال أنّ ربّي أمَرني أن أُعطيكم ما أفاء عَلّي قال أعطيتكم فَدَك انتهىٰ...

وعن أبان بن تغلب قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام كان رسُول اللّه أعطىٰ فاطمة فَدَكاً وقفها وأنزَل اللّه وآتِ ذا القُربىٰ حقّه فأعطاها رسُول اللّه حقّها قال عليه السلام بل اللّه أعطاها انتهىٰ...

وعنه قال قلت لأبي عبد اللّه أكان رسول اللّه أعطىٰ فاطمة فَدَكاً قال كان لها من اللّه انتهىٰ...

وأمّا العامّة فلا دليل لهم علىٰ مدّعاهم فيما نعلم وما رَووه في الباب من الشّواذ فهو مجعول موضوع وذلك لأنّ الآية الشّريفة مصّرحة بكونها مختّصة برسُول اللّه صلى الله عليه وآله وأيّ حديثٍ يُؤخذ به مع وجود النّص من الكتاب علىٰ خلافه واذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال:

فقد ظهر لك أنّ فَدَكاً لم تكن لجميع المُسلمين بل كانت له صلى الله عليه وآله خاصّة وقد عرفت أيضاً أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله أعطاها فاطمة بأمرٍ من اللّه تعالىٰ في حياته فصارت مُلكاً لها عليها السلام ولأولادها بعدها:

الفصل الثّالث: في غَصِب فَدَك بعد مَوت الرّسُول صلى الله عليه وآله علىٰ مذهب الخاصّة وعَدَم الغَصب علىٰ مذهب العامّة فنقول:

لا شّك أنّ أبا بكر أَخَذ فَدَكاً بعد رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وجَعَلها للمُسلمين بِزَعمه وكانت قبل الأَخَذ تحت يَدَها فهذا القدر ممّا لا خلاف فيه وأنّما الخلاف في أنّ الأَخَذ كان مُصداقاً للغَصِب أم لا فالشيّعة إتّفقت علىٰ أنّ الأخذ كان غَصِباً والدّليل عليه من وجوهٍ:

أحَدها: أنّ الأخبار من الطّرفين قد دلّت علىٰ أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله أعطاها أي فاطمة فَدَكاً لمّا نزلت قوله تعالىٰ وآتِ ذاالقُربىٰ حقّه كما عرفت فصارت مُلكاً

لها ولا سيّما أنّه ﷺ قال لها هذه لكِ ولذّريتّكِ ولولم يقل ﷺ هذه الكلمة أو ما شابهها لكانت أيضاً مُلكاً لها لأنّ الإعطاء ظاهر في التّمليك إلّا أنّ يدّل دليل علىٰ كونه علىٰ سبيل العارية والأمانة مثلاً وحيث لم يقل بهذا القول أحد فالمُدّعىٰ ثابت واذا كان ثابتاً فأخَذها عنها أمّا كان برضاها أو بغير رضاها لا سبيل الىٰ الأوّل فالثّاني متعيّن ولا نعني بالغَصب إلّا هذا فأنّ الغَصب هو الإستقلال بإثبات اليّد علىٰ مال الغير ظلماً أو عدواناً، ومن المعلوم أنّ أبا بكر إستّقل بإثبات يده علىٰ فَدَك وهي كانت لغيره ظلماً وعدواناً فهو غاصب وذاك مغصوب:

وثانيها: أنّ عثمان بن عفّان وَهَبها في خلافته لمروان بن الحَكَم وهو دليل علىٰ أنّ أبا بكر كان غاصباً وذلك لأنّها لو كانت للمُسلمين كما إدّعاه أبو بكر فكيف جاز لعثمان هبتها اليه ثُمّ كيف لم ينقموا عليه بأنّ هذه مال المُسلمين هذا كلّه مضافاً الىٰ رَدّها في حكومة عُمر بن عبد العزيز الىٰ أولاد فاطمة فأن كان أبو بكر مُحِقّاً صادقاً في قوله وحديثه يلزم أن يكون عثمان كاذباً خاطِئً وهكذا عُمر بن عبد العزيز وأن كانا صادقين فكان أبو بكر كاذباً حيث أَخذ مال الغَير ظلماً وهو المطلوب:

وثالثها: لا يخلو الأمر أمّا أن نحكم بصدق أبي بكر ودعواها في أنّها للمُسلمين وكذب فاطمة ؏ بإدّعائها مالكّيتها لها وأمّا أن نحكم بكذب أبي بكر وصدق فاطمة في دعواها:

أمّا الأوّل فلا سبيل اليه اذ يلزم تكذيب اللّه في كتابه حيث شهد بطهارة فاطمة وأنّها منّزهة عن الكَذِب والحَسَد وغيرهما فقال:﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ [1] إلّا والكَذِب من الرُّجس فتصديق أبي بكر وتكذيب فاطمة مستلزم للكُفر باللّه تعالىٰ وهو كما ترىٰ .

فالثّاني وهو تكذيب أبي بكر وتصديق فاطمة هو الحقّ واذا ثبت كذب أبي

١-احزاب ٣٣

بكر في دعواه يلزم أن يكون المأخوذ غَصباً وهو ظاهر:

وأمّا العامّة فَدليلهم على عدم الغَصب حديث رواه أبو بكر عن رسول الله ﷺ نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صَدَقة وحاصل الإستدلال به أنّه لم يأخذ مال الغير ظلماً بل أخذ مال المُسلمين وجعله لهم وعليه فكان مخالفاً للظّالم ومُعيناً للمظلوم اذ أخذ حقّه عنه وقد أجيب عنه بوجوه:

احدها: المُطالبة بسند الحديث فما لا سَنَد له لا أصل له:

وثانيها: أنّه على فرض ثبوته خبر واحد وهو ليس بحجّةٍ عند العامّة فكيف أخذوا به.

وثالثها: أنّه مخالف لمحكم الكتاب ولا يجوز تخصيص الكتاب إلّا بدليلٍ ثابت مقطوع عليه لا بالخبر الواحد الّذي لم يصّح الأخذ بعموم ظاهره لمُخالفته ماثبت من سيرة الأنبياء الماضين:

ورابعها: أنّ الحديث يشمل الأنبياء كلّهم مع أنّ القرآن ناطق بوجود التّوارث بينهم حيث قال: **﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾**(١) وقوله سبحانه عن زكّريا: **﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾**(٢) فأن قلنا بصدق الحديث يلزم منه كذب القرآن وأن شئت قلت تَصديق أبي بكر في حديثه بعينه تَكذيب الله في كتابه ومن المعلوم أنّ حقيقة الميراث إنتقال مُلك المَوروث الى وَرَثته بعد مَوته بحكم المولى سُبحانه فَحمل الآية الكَريمة على العلم والنّبوة كما فَعَله القَوم إمّا عِناداً ونَقصّاً وإمّا جهلاً وحماقة خلاف الظّاهر بل خلاف العَقل والنّقل فأنّ النّبوة والعِلم لا يُورثان كيف والنّبوة تابعة للمَصلَحة العامّة مُقدّرة لأهلها من أوّل يومها عند بارئها والعلم موقُوف على من يَتّعرض له ويَتّعَلمه .

وخامسها: أنّ هذا الحديث لم يُنقل إلّا عن أبي بكر فلو كان حقّاً لِيَنبغي أن ينقله غيره أيضاً اللّهم إلّا أن يُقال أنّه من أسرار النّبوة الّتي لا يَعلمُها إلّا أهلها

١- النّمل ـ١٦

٢- مريم ـ٦

وأبو بكر كان أهلاً لها لا غيره ولأجل ذلك لَم يقل رسُول اللّه هذا الحديث إلّا له من غير أن يَطلع علىٰ أحد غيره والوجوه المُستَخرَجة الدّالة علىٰ بُطلان الحديث وكَذبه ومَجْعوليتّه كثيرة مع أنّ لفظ الحديث يُنادي بكذبه لمن كان له سَمعٌ وقلبٌ.

ثُمّ أنّ أبا بكر ومن تَبعه مِن أصحابه بهذا الحديث أَخَذُوا حقّها ومَنعُوها عن مالها وهذا أوّل ظلم وقع في الإسلام بعد غَصب الخلافة والعَجب من الخَليفة في طلبه البنّية عن فاطمة ولَم يعلم أنّ البنّية على المُدّعىٰ واليَمين علىٰ من أنكر وهو الّذي إدّعىٰ كون فدك للمُسلمين، فكانت البنّية عليه وأمّا فاطمة عليها السلام فكانت ذو اليَد ومع ذلك مُنكرة لما إدّعاه أبو بكر فكيف طُولِبَت بالبنّية وأعجَب من ذلك كلّه أنّها أَتَت بها ولَم يَقبلها أبو بكر ورَدّ شهادة أمير المؤمنين مع أنّ رَدّ شهادته رَدّ شهادة اللّه ورَسُوله.

ومحّصل الكلام في المقام أنّ فَدَك لا يَخلو حالها من أمرين، إمّا أن وهَبَها رسُول اللّه أيّاها في حياته فَصارت مِلكاً لها علىٰ ما تَقّدم شرحه وأمّا أن بَقيت علىٰ مِلكه صلى الله عليه وآله مادام حياته ولَم يُوهبها أيّاها وعلىٰ التّقديرين كانت فَدَك لها بعد رسُول اللّه صلى الله عليه وآله فكان التّصرف فيها بغير إذنها تَصّرفاً ناشئاً عن الظّلم والعُدوان فالمطلوب حاصل.

أن قلت ـ يَظهر من خُطبتها المَشهورة وغيرها أنّ فَدَك كانت مِيراثاً لها أَتَرث أباك ولا أَرث أبي وأمثال ذلك من العبارات مع أنّ الظّاهر من الأخبار خلافه وأنّها كانت مِلكاً لها اذ وَهَبها الرّسُول في حياته.

قلتُ ـ يمكن أن يكون الوجه في تَعبيرها عنها بالمِيراث أحد الأمرين، **أحدهما**: أنّ الرّسُول صلى الله عليه وآله قد وَهَبها أيّاها عوائدها ما دام حيّاً وكانت فَدَك باقية علىٰ مِلّكية الرّسُول ثمّ بعد مَوته صلى الله عليه وآله صارت ميراثاً لها ونظائره كثيرة في الأباء بالنّسبة الىٰ أولادهم.

وثانيهما: أنّها قد عَلِمت إنكارهم الهَبة وأنّ الرّسُول أعطاها أيّاها بأمرٍ من

الله وحيث رأت عليها السّلام ذلك إدَّعَت كونها إرثاً فَكأنّها قالت أن أنكرتُم ما أنزَل الله فما تَقولُون في الإرث فأنّه قد ثبت بالكتاب والسُنّة وآيات الإرث لا تقبل التّأويل وَمَن أَنكَرها فقد أَنكَر الحكم الضّروري من الدّين بالإستدلال بها أَقوىٰ من الإستدلال بغيرها اللّهم إلّا أن يُقال أنّ فَدَك من أوّل الأمر لَم تكن خالصة لِرَسُول الله ﷺ وهو كما ترىٰ مُخالف لما رَووه في كتُبهم وأن كان هذا منهم غير بعيد إلّا إنّا لَم نَسمعه منهم ولا رأيناه في كتُبهم وعليه فلا أدري لهم مَخلَصاً عن هذه الوَرطة العَويصة، وأمّا إحتجاجاتها وغَضبها علىٰ أبـي بكر وبُكائها طول حياتها بعد الرّسُول وغير ذلك من الأمُور الفَجيعة الدّالة علىٰ أنّها ماتت وهي غاضِبةٌ عليه فقد مَرَّ الكلام فيها فيما مضىٰ بما لا مَزيد عليه فلا نعيد الكلام بذكره ثانياً مع أنّه أَظهر من الشّمس وأبيَّن مـن الأَمس ولا سيّما فـي الخطبة الّتي خطبها عليه السلام عند دَفنها فَراجع هناك أن شئت.

◻ **قوله عليه السلام: وما أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغير فَدَكٍ والنَّفْسُ مَظانُّها فِي غَدٍ جَدَثٌ ...**

بعد ما ذَكر عليه السلام في الجملة السّابقة شُح نفُوسهم علىٰ فَدَك وغَصبهم إيّاها قال عليه السلام: **وما أَصنَع بفَدَك** وغيرها من الزّخارف الدّنيوية والحال أنّ الإنسان مَصيرها الىٰ القَبر لا محالة وفي ما ذَكره عليه السلام إشارة الىٰ أمرين:

أحدهما: أنّ ما ذكرته من أَمر فَدَك كان الفرض منه سوء أعمالهم بعد النّبي مع أهل بيته وبُخلهم وحَسَدهم علىٰ ما أتاهم الله من فَضله وإلّا فالدّنيا بأسرها لا يَزن عند جناح بَعُوضة فضلاً عن فَدَك.

وثانيهما: أنّ مَصير الإنسان الىٰ المَوت وبعده الىٰ القَبر وهذا ممّا لا مَحيص عنه لأحدٍ ومن المعلوم أنّ الزّاد فيه هو العَمَل الصّالح لا مَتاع الدّنيا ومن إعتَقد هذا لا يُبال ممّا فات عنه منها فيها.

◻ **قوله عليه السلام: تَنْقَطِعُ في ظُلمَتِهِ آثارُها وتَغيبُ أَخْبارُها وحَفْرَةٌ لَوْ زِيدَ في فُسْحَتِها وأَوْسَعَتْ يَدَاحافِرِها لأَضْغَطَهاالحَجَرُ والمَدَرُ وسَدَّ فُرَجَهاالتُّرابُ المُتَرَاكِمُ ...**

ثُمّ بَيّن عليه السلام أوصاف القَبر فقال تَنْقَطِعُ في ظُلْمَة القَبر آثارُها أي آثار النّفس فلا تَقدر علىٰ شئ فيه وتَغيب أخبارها فلا تَقدر علىٰ الإخبار أصلاً والمُراد بأخبارها وساوسها وإدراكاتها أي أنّها تَعجز عنها في القَبر ويمكن أن يكون المُراد أنّ أخبارها الّتي كانت ثابتة لها في الدّنيا فهي قد غُيبّت عنها بالمَوت فلا تَدري منها شيئاً فعلىٰ الأوّل تَنقطع عنها آثارها المُترّتبة عليها وجوداً وعَدماً وعلىٰ الثّاني تَنقطع عنها أخبارها الصّادرة عنها في الدّنيا قبل فِراق النّفس عن البَدن والأمر أوضح من أن يُخفىٰ علىٰ أحدٍ.

بقىٰ في المقام إشكال عَقّلي وحاصله أنه قد ثَبت أنّ النّفس جسمّانية الحدُوث وروحانّية البقاء بمعنىٰ أنّها تحدث مع الجَسَد ولا تفنىٰ مَعه فهي بعد إنقطاعها عن البَدن تَبقىٰ ولا تَفنىٰ قد مَرّ الدّليل عليه غير مَرّةٍ وقد قال رسُول اللّه خُلقتُم للبقاء لا لِلفناء، وقال تعالىٰ:**﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾**[1] وغيرها من الآيات والأخبار مُضافاً الىٰ الأدّلة العَقّلية الدّالة علىٰ بقائها بعد إنقطاعها عن البَدن وقد فَرغنا وفَرغُوا عن البَحث عنه واذا كان الأمر علىٰ هذا المِنوال فما معنىٰ قوله عليه السلام: **والنّفس فطّانها في غدٍ جَدَث** الىٰ آخر ما قال أَليس معنىٰ كلامه أنّ النّفس تَدخل القَبر تَنقطع في ظلمَة القَبر آثارها وتَغيب أخبارها، فأن كان المُراد هذا فهو مُخالف لِما إتّفق عليه الكلّ وأن كان المُراد غير ما ذَكرناه فما معنىٰ العِبارة ويَمكن الجواب عنه بوَجهين:

أحدهما: أنّ كلمة النّفس كما تطلق علىٰ الجَوهر المُجَرد كذلك تُطلق علىٰ الجَسَد، والدّم والعَين والشّخص وغيرها يقال هو عظيم النّفس أي الجَسَد،دفق نفسه أي دَمه، إصابته نفس أي عينٌ، نفس الشّئ شخصه وهكذا تطلق علىٰ الهِمّة والعزّة والإرادة والرّأي والعَيب وأمثالها وعليه فقوله عليه السلام والنّفس فطانّها في غدٍ جَدَث أُريد بها الجَسَد أي والجَسَد فطّانها كذلك.

وثانيها: أنّ النّفس وأن تَبقىٰ بعد إنقطاعها عن البَدن لِتَجّردها إلاّ أنّها لمكان

١- الفجر-٢٧

تَعلّقها بالبَدن في الدّنيا لها علاقة تَدْبيرية به فلا محالة تكون مَورداً لِلسّؤال في القَبر وعليه فلا يبعد أن يكون المُراد أنّ النّفس ولو مُؤقتاً تكون في القَبر مُتّعلقة بالبَدن وقد دَلَّت عليه الأخبار أيضاً والعَقل يُؤيّده اذ الجَسَد مع قطع النَظر عنها لا يَصلَح لِلسّؤال.

وأمّا قوله ﷺ: **وحفرة** الخ فهو وَصف آخر لِلقَبر وحاصله أنّ القَبر حفرةٌ لو زيد في فُسحَتها وأَوسَعت يدا حافرها لأَضغَطها الحَجر والمَدر أي جَعَلها من الضّيق بحيث تَضغط وتعصر الحال فيها ولأجل هذا لا تزداد في فُسحَتها بل تكون ضيّقة غير فَسيحة ومَصير الإنسان الىٰ هذا المَكان.

▫ **قوله ﷺ: وإنَّما هِي نَفْسِي أُرَوضُها بالتَّقْوَىٰ لِتَأتَي آمِنَةٍ يَوْمَ الخَوْفِ الأكْبَرِ وتَثْبُتَ علىٰ جَوَانِبِ المَزْلَقِ ...**

أي أنا أُذَلّل نفسي وأُحَقّرها بسبب التَقوىٰ أعني بها إتيان الواجبات وتَرك المُحَرّمات فأنّ فيها تَذليل النَّفس قطعاً ثُمّ عَلّل ذلك بقوله لِتَأتي الخ أي إفعَل ذلك لتكون النّفس آمنة من العذاب يوم الخَوف الأكبر وهو يوم القيامة وتثبت النّفس علىٰ جَوانِبِ المَزلَقِ أي مَواضع الزّلة كالصّراط مثلاً وأنما قال ﷺ بالتّقوىٰ لأنّ المُذلّل لِلنّفس ليس إلّا التّقوىٰ والوجه فيه أنّ التّقوىٰ لا تَحصل إلّا بعد الخَوف النّاشئ عن المَعرفة باللّه فالمُتّقِي خائف لا محالة كما أنّ المُتّجرئ العاصي لا يَخاف لعَدم مَعرفته باللّه تعالىٰ.

▫ **قوله ﷺ: ولَوْ شِئتُ لأُهْتَدَيْتَ الطَّرِيقَ إلىٰ مُصَفَّىٰ هَذَاالعَسَلِ ولُبَابِ هَذَا القَمْحِ ونَسَائِجِ هَذَاالقَزِّ ...**

لمّا قال ﷺ في ما مضىٰ من كلامه ما قال من أنّه إكتفىٰ من الدّنيا بِطَمْرَيْهَ ومِنْ طُعْمهِ بِقُرْصَيْهِ إلىٰ آخر ما قال وكان هناك فِطَنة سئوال بأنّه ﷺ كان لم يقدر علىٰ التَّعَيش في الدّنيا أحسن ممّا كان فيه كأكثر الفُقراء الّذين يعيشون في العُسرة إجباراً وإضطراراً فأجاب ﷺ بما حاصله أنّ الأمر ليس كما تَظنّون وأنّ هذا التّعَيش ليس من جهة عَدم القُدرة علىٰ أحسَن منه أو لأجل أنّ اللّه تعالىٰ

حَرّم الطّيبات عَلّي بل الوَجه فيه هو عَدم الإعتناء بالدّنيا ونِعمها وأنّي أحبّ الزّهد فيها لأنّه شعار الصّالحين وعباد اللّه المُخلصين وذلك لأنّي لو شئت أن أكل من هذا العَسَل المُصّفىٰ ولُبّ هذا القَمح والحِنطة ونَسائج هذا القَزّ أيّ ومَنسُوجات الحرير لكان لي جائزاً ومُمكناً، أمّا جوازه شَرعاً وعَقلاً فلأنّ اللّه تعالىٰ قال في كتابه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (١)

وأمّا إمكانه أي إمكان الوصُول اليه فهو ظاهر، أمّا في الظّاهر فلأنّه كان خَليفة وسُلطاناً ومع ذلك كان عليه السلام ذا ثروةٍ ومالٍ وأمّا في الواقع فلأنّه عليه السلام كان أفضل الخَلق بعد رسول اللّه وأقرب الخلق الىٰ اللّه تعالىٰ وقد ثبت أنّ الأنبياء والأوصياء بل والكاملين من العرفاء والزّهاد وإرادتهم إرادة اللّه فكلّما أرادوا شيئاً يحصل لهم بلا كلام وأمير المؤمنين عليه السلام كان بعد رسول إمام الخلق وسيّدهم وأفضلهم وأكملهم وأقربهم الىٰ اللّه تعالىٰ فلو شاء عليه السلام وأراد أن يأكل في الدّنيا تمام عمره من طعام الجنّة ويلبس من لباسها لكان له ممكناً حاصلاً فضلاً عن نعيم الدّنيا وهذا ممّا لا شكّ فيه لمن عَرِفَ مَقامه وفَضله وقُربَه عند اللّه تعالىٰ:

□ قوله عليه السلام: **ولكِنْ هَيْهَاتَ أنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ويَقُوْدَني جَشَعِي إلىٰ تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ وَلَعلَّ بالحِجَازِ أوْ اليَمَامَةِ مَنْ لا طَمعَ لهُ في القُرْصِ ولا عَهْدِ لهُ بالشِّبَعِ ...**

ثُمّ استدرك كلامه السّابق وقال هيهات أي بعيد عنّي غاية البُعد أنْ يَغْلِبَنِي هَوَاىٰ نفسي فأكون مغلوباً مُطيعاً لِهَواي ويقُودَني ويَجُرّني جَشَعِي وحِرصي علىٰ الدّنيا ونِعَمها الىٰ الأطعمة اللّذيذة كالعَسَل وأمثاله ولَعَلّ بالحِجَازِ أوِ اليَمَامَةِ يُوجد من لا يقدر علىٰ تحصيل القُرص من الخُبز ولا يعلم كيف يَشبَع الإنسان من الطّعام:

١- الاعراف-٣٢

□ قوله ﷺ: أوْ أَبِيتُ مِبْطاناً وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَىٰ وأكْبَادٌ حَرَّىٰ أوْ أكُونَ كَما قَالَ القَائِلُ:

وحَسْبُكَ دَاءً أنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وحَوْلَكَ أكْبَادٌ تَحِنُّ إلىٰ القِدِّ

أي وهيهات أنْ أبيتَ مِبْطاناً أي مُمتلئ البَطِن من الطّعام والحالُ أنّ حَولي بطُوناً غرّثىٰ أي جائعة وأكباداً حَرّىٰ أي عَطشان أو أكون أي وهيهات أن أكون كما قال القائل وحسبك أي يكفيك داءٌ ومَرَضاً أن تَبيت وتنام بِبطنةٍ أي ممتلئ البَطِن من الغذاء والحال أنّ حَولك أكباد تَحِنّ وتميل الىٰ القِدّ وهو الجِلد اذا كان غير مدبوغ أي أنّها تطلبه ولا تجده وهو كناية عن فقرها وإستئصالَها:

□ قوله ﷺ: أأَقْنَعُ منْ نَفْسِي بأنْ يُقالَ أميرُالْمُؤمِنينَ ولا أُشَارِكَهُمْ في مَكارِهِ الدَّهْرِ أوْ أكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ في جُشُوبَةِ العَيْشِ ...

الإستفهام إنكارّي أي لا أقنَعُ بهذا اللّقَب من غير أن أكُون مشاركاً لهُم في الشّدائد والمَكاره (أوْ أكُونَ أُسْوَةً وإمَاماً لهُمْ في جُشُوبَةِ العَيْشِ)وخشُونته وذلك لأنّ وجه الشّبه بين الإمام والمأموم لا بدّ من أن يكون موجوداً وإلّا لا يكون الإمام إمَاماً والمأموم مأموماً له وفي قوله ﷺ: أوَ أكُونَ أُسْوَةً إشارة إلىٰ أنّ الإمام ينبغي أن يكون في جشُوبة العيش أشدّ من المأموم ليكون أسوة له فأنّ الأُسوة المتابعة ومن المعلوم أنّ المُقتدي فيما يُقتدىٰ به يكون أعَرَف وأظَهر ولذلك قال اللّه تعالىٰ:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١)

□ قوله ﷺ: فما خُلِقتُ لِيَشْغَلَني أكْلُ الطَّيِّباتِ كالبَهِيمَةِ المَرْبُوطَةِ هَمُّها عَلَفُها أوِ المُرسَلَةِ شُغْلُها تَقَمُّمُها تَكْتَرِشُ منْ أعْلافِهَا وتَلْهُو عَمّا يُرَادُ بهاأوْ أُتْرَكَ سُدىً وأُهمَل عابثاً أو أُجَرّ حَبِل الضّلالة أو أعْتَسِفَ طَرِيقَ المَتاهَةِ ...

أي أنّي لم أُخلق لِيَشغَلني أكْلُ الطَّيِّبات من الطّعام عن الغاية الّتي خُلِقتُ لأجلها وهي العرُوج الىٰ مقام القُرب بَترك الدّنيا وزخارفها كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢) ولم يقل إلّا ليأكلون مثلاً ومحصّل

١- الاحزاب ـ ٢١
٢- ذاريات ٥٦

الكلام لم أُخلق كذلك لأكون كالبَهيمة المَربُوطة الّتي هَمّها عَلَفها ولا هَمّ لَها غيره أو البَهيمة المُرسلة المُطلقة الّتي شُغلها تقُّمها والتّقّمم علىٰ ما فسّره الشّارح المعتزلي أَكل الشّاة ما بين يَديها تَمقّتها أي بشفتيها وكلّ ذي ظِلف كالثّور وغيره فهو ذو مقّمة انتهىٰ:

وقوله عليه السلام: **تكترش** أي تملأ كِرشَها من أعلافِها وتلهُو عمّا يراد بها والحاصل أنّ الإنسان الّذي هَمّه بَطنه كالحيوان الّذي كذلك ولا فرق بينهما من هذه الجّهة ثمّ قال أو أُترك سُدىٰ، في الدّنيا وهو إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً**﴾ (١) أي مُمهلاً غير مُكّلف لا يُحاسب ولا يُعذّب ولا يُسئل عن شيء ومنه قول المعصوم لم يُترك جوارحك سُدىٰ، وقوله وأُهمل عابثاً تفسير لقوله سُدىٰ وتوضيح له ويمكن أن يكون المراد من قوله عابثاً العَبَث في الخلقة وهو أيضاً يرجع الىٰ ما ذكرناه وأمّا قوله أو أَجُرّ حَبَل الضّلالة فالظّاهر أنّ قوله أَجُرّ، بفتح الألف وضّم الجيم بصيغة التّكلم من جَرّ يَجرّ والمعنىٰ لو كُنتُ كذلك أي مشغولاً بأكل الطّيبات مُعرضاً عن الحَقائق لكُنتُ ممّن يَجُرّ حبل الضّلالة ويمكن أن يكون بضّم الألف وفتح الجيم علىٰ صيغة المجهول وهو أوضح لبيان العبارة أو أعتِسفُ طريق المتاهة أي أركب الطّريق علىٰ غير قصدٍ والمتاهة من التّيه أي موضع الحيرة ومُلخص الكَلام أنّي ما خُلِقت ليشغلني أكَل الطّيبات عن الوصول الىٰ الغايات كهذه المذكورات:

□ قوله عليه السلام: **وكأنّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كانَ هَذَاقُوتُ ابْنِ أَبي طالِبٍ فَقدْ قَعْدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالَ الأَقْرَانَ ومُنازَلةِ الشُّجْعانِ .ألا وإنَّ الشَّجَرَةَ البَرِيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً والرَّوَائعُ الخَضِرَيَّة (الخَضِرةُ) أَرَقُّ جُلُوداً والنَّباتَاتْ البَدَوِيَّةُ أقْوَىٰ وُقُوداً وأَبْطأُ خُمُوداً ...**

أي ولقائل أن يقول وربّما قال اذا كان هذا قوت علّي عليه السلام فلازمه الضّعف عن قتال الأقران والأمثال ومبارزة الشّجعان أمثال عمرو بن عبد ودّ ومُرحب

١- القيامة ـ٣٦.

الخَيبري والوليد وأمثالهم وليس كذلك لأنّا نعلم قتاله معهم وقتله أيّاهم في الحروب ومن المعلوم أنّ تلك القوّة والقدرة لا يناسب هذا الغـذاء والطّـعام الّذي ذكره عليه السلام في هذه المقالة وبعبارةٍ أُخرىٰ شجاعته وقوّته لا تُوافق هـذه المقالة فأجاب عليه السلام عنه بما حاصله أنّه لم يفهم حقيقة الحال ولم يعلم أنّ القوّة والشّجاعة لا ربط لها بأكل الطّيبات أو بكثرة الأكل وإمتلاء البطن من الغَذاء وإستدّل عليه السلام علىٰ المُدّعىٰ:

بالحّسيات الّتي لا ينكرها أحد والأمثلة المذكورة الدّالة علىٰ المدّعي ثلاثة:

أحدها: إنّ الشَّجرَةَ البَريَّةَ وهي الّتي توجد فـي الصّـحاري وقُـلل الجـبال أَصْلَبُ عُوداً من الشَّجَرَةَ الأهلّية الّتي توجد في المزارع مع أنّ البّرية لا صاحب لها ليواظب عليها من جهة الماء والتّربية وأمّا الأهلّية فليست كذلك فأنّها تكون تحت المُواظبة الشّديدة من جميع الجهات بل كثيراً ما يتّفق في الشَّجَرَةَ البَرِيَّةُ أن لا يصل اليها ماءٌ أصلاً غير ماء المَطَر لو كان وهذا محسوس ومَع ذلك فهي أَصَلب عُوداً من الأهلية بمراتب كثيرة فلو كان الملاك في القدرة والإستقامة هو أكل الطّيبات أو كثرة الأَكِل مثلاً ينبغي أن يكون الأمر علىٰ عكس ما ذكرناه بأن تكون الأهلّية أَصْلَبُ عُوداً لأنّها أَكَلت وشَربت من الماء مثلاً مـا لم تشـرب البّرية وهكذا الإنسان:

وثانيها: أنّ الرّوائع الخَضِرة أعني بها الأشجار والأعشاب الغَضة النّاعمة الحَسَنة أرّق جلوداً من غيرها من الأشجار الخَضِرة الّتي نَبَتَت في الصّحاري أمّا من حيث دوام العُمر وعَدمه أو من جهة بقاء الخِضْرة وعَدمه أو من جهة عدم مقاومة أحدهما في جنب الحوادث الأرضية والسّماوية ومقاومة الآخر وكيف كان نحن نشاهد دوام الخِضْرة في الشّجرة والنّبات البّرية أكثر منه في الأهلّية بل الخضرة في كثير من البرّيات تكون دائمية لها ما دام وجودها، وأمّا الشّارح المعتزلي فقد جَعَلَ قوله عليه السلام: **والرّوائع الخَضِرة** مـن المـثال الأوّل وجـزءٌ له والحقّ ما ذكرناه فأنّ قوله عليه السلام: **أصلب عُوْداً** إشارة الىٰ صلابة عُوده وفي المقام

أشار الى دوام خضرتها وخُشونة جلدها تلويحاً والأوّل بحث في الكمّية، والثّاني في الكيْفية وهما مقولتان لا ربط لأحدهما بالآخر:

وثالثها: أنّ النباتات البدّوية وفي بعض النّسخ النباتات البدّوية وفي نسخة المُعتزلي والنّباتات العَذِبة والمآل في الكلّ واحد والإختلاف في اللّفظ والمقصود أنّ النّابت في الأرض الخالية من الماء سَقيا أقوىٰ وقُوداً وإشتعالاً وإبَطَأ خُموداً من غيرها من النّباتات الأهْلية وهو أيضاً ممّا لا شَك فيه لكونه مقروناً باليَقين النّاشئ عن الحِّس والمشاهدة فأنّ النّار اذا وُقدت بالنّباتات البدّوية تكون أقوىٰ إشتعالاً من غير البَدْوية ومع ذلك أبْطأ خُموداً أي أدْوَم عُمْراً، واذا كان الأمر فيها علىٰ هذا المنوال فَقِس عليها الإنسان من هذه الجهة أعني القّوة والقُدرة الجِسْمانية لا الفِكر والعلم والدرك وأمثالها من الحقائق فأنّ البحث ليس فيها بل البحث في أنّ الأكِل والشّرب كمّاً وكيفاً لا دخل له في القّوة الجسّمية ولذلك نرىٰ يكون الرّجل البدّوي أقوىٰ من الأهلي جسماً وأكثر منه عُمراً وأشدّ فيه إستقامةً غالباً والحكم تابع لِلأعّم الأغلب مع أنّه لا يأكل ولا يشرب ما يأكله الأهلي من الطّعام والشّراب وهو واضح:

▫ **قوله ﷺ: وأَنَا منْ رَسُولِ اللّهِ كالصِّنْوِ منَ الصِّنْوِ والذِّرَاعِ منَ العَضُدِ واللّهِ لوْ تَظَاهَرتِ العَرَبُ علىٰ قِتَالِي لَمَا ولَّيتُ عَنْها ...**

الصِنْوان النّخلتان يجمعهما أصلٌ واحد فكلامه هذا إشارة الىٰ أنّه من جُرثومة الرّسُول وذلك لأنّ أبا طالب وعبد اللّه كانا لأبٍ وأُمٍّ واحد ولم يكن أحد من أبناء عبد المطّلب أخاً لعبد اللّه كذلك غيره واذا كان كذالک فحال أمير المؤمنين بعينه حال رسُول اللّه ﷺ في شدّة البأس وخُشونة المعيشة أو إنّه بالنّسبة الىٰ رَسُولِ اللّهِ كالذِّرَاع من العَضُدِ وفي هذين التشّبيهين لطائف ولابأس بالإشارة الىٰ بَعضها أمّا التشّبيه الأوّل فنقول:

الصِّنْو بكسر الصّاد وسكون النّون والواو في الأصل المِثل ومنه الحديث عن ابن عبّاس عمّ الرجل صِنْو أبيه أي عمّ الرّجل مثل أبيه ولعلّه من أجل هذا

يُقال الصِّنْوان نخلتان من أصلٍ واحدٍ أي أنّهما مثلان والأصل فيهما واحد فكلّ واحدةٍ منهما صِنْوٌ لِلأُخرىٰ أي مثل لها ويُقال لِلأخوين صِنوان أي أحدهما مثل الآخر في كونهما من أصل واحدٍ فالمَثِيْلية هنا ترجع الىٰ وحدة الأصل لا أنهما مثلان من حيث الجسم اذا عرفت هذا فاعلم أنّه عليه السلام شبّه نفسه الشّريفة بالصِنْو لرسُول اللّه صلى الله عليه وآله لأُمور:

أحدها: ما ذكرناه في صدر البحث من أنّ أبا طالب وعبد اللّه كانا أخوين لأبٍ وأمٍّ واحدٍ:

وثانيهما: أنّه عليه السلام أفاد بهذا الكلام المثْلية مع رسول اللّه وأنّه لا فرق فيهما من جميع الجهات خَرجت عن هذا الأصل مقام النّبوة بدليل خارج وبقىٰ تحت الضّابطة غيرها كائناً ما كان وعليه فهو عليه السلام مثله صلى الله عليه وآله في العِلم والقُدرة والزّهد والحلم والصّبر وشدّة البأس وجشُوبة المعيشة وغيرها من الصّفات والحالات الّتي كانت لرسول اللّه صلى الله عليه وآله ويُؤيّد هذا المعنىٰ ما ورد عن الرّسُول في حقّه عليه السلام كقوله صلى الله عليه وآله **من أحبّه فقد أحبّني ومَن أبغَضه فقد أبغضني**، وقوله صلى الله عليه وآله **أنتَ منّي بمنزلة هارون من مُوسىٰ إلّا أنّه لا نّبي بَعدي**، وقوله صلى الله عليه وآله **كذب مَن يَزعم أنّه يحبّني ويبّغض عليّاً** وأمثال ذلك من الأحاديث فأنّها ثابتة بمُقتضىٰ المثّلية والصّنْوية واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله **أنا وعلّي من شجرةٍ واحدة وسائر النّاس من أشجارٍ شتّىٰ**.

وثالثها: أنّه كما أنّ بين الصّنوين لا يمكن الفصل والفَرق كذلك بين الرّسُول وعلّي عليه السلام لا يمكن الفصل فهو خليفة له بلا فصل ومن فَصل بينهما فقد جَفا عليهما:

ورابعها: علّو مقامه ورفعة شأنه بحيث لا يُقاس اليه أحد بعد رسول اللّه اذ لم يكن أحد مثل الرّسُول غيره عليه السلام:

صهر النّبي وصِنْوه ورَبيبه   وأخوه عند تعذّر الأخوان

ونُسب اليه عليه السلام أنّه قال :

أنا أخو المصطفىٰ لاشك في نَسَبي مَعه ربيت وسبطاه هما وَلدي
جدّي وجدّ رسول اللّه منفرد وفاطم زوجتي لا قول ذي فَندٍ
والحَمد لِللّه شكراً لا شريك له البّر بالعبد والباقي بلا أمَدٍ

وأمّا التشبيه الثّاني وهو قوله والذّراع من العَضُد فيه أيضاً نُكات:

الأُولىٰ: أنّ الذّراع مُتّصل بالعَضُد لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فكذلك علّي عليه السلام متّصل بالنّبي لا يمكن فصله عنه وهو واضح:

والثّانية: أنّ العَضُدِ اذا لم يكن له ذراع لا أثر له ولا يقدر علىٰ إيجاد آثاره في الخارج كذلك الرّسالة اذا لم تكن فيها الإمامة لا أثر لها أصلاً فأنّ الرّسالة كالقشر والإمامة كاللُّب وفي الظّاهر أيضاًكذلك ألا ترىٰ أنّ علّياً في الإسلام كان مثل اليد لرسُول اللّه فكلّما أراده الرّسُول صلى الله عليه وآله من قتل الكفّار ودَفع شّر الأشرار وأمثال ذلك وَصَل اليه بسبب علّيٍ الّذي كان له بمنزلة يده.

الثّالثة: أنّ القّوة في العَضُد والفّعلية في الذّراع الّذي فيه الكفّ والأصابع فلو فرضنا قطع الذّراع عن العَضُد لا يقدر الإنسان علىٰ شئ ولو كان شُجاعاً فكذلك الرّسول صلى الله عليه وآله والإمام بَعده أعني أمير المؤمنين عليه السلام فكما أنّه لولا علّيّ في الحُروب والمعارك لما قُتل العدّو بحسب الظّاهر كذلك لولا علّيّ والأئمّة بعده لما كان للدّين بعد الرّسُول أساس وقائمة ونشرٌ وبسطٌ في الأرض وأن كان كلّ هذه الأثار في الحقيقة من أثار الرّسالة إلّا أنّ فعّليتها من علّيٍ وأولاده وقد ثبت في العلوم العقلية أنّ شيئّة الشّئ بفعّليته وصُورته لا بمادّته وقوتّه فمقام النّبوة مقام القّوة ومقام الإمامة مقام الفعّلية وأنّ كانت الفّعلية متوقفة علىٰ القّوة كما أنّ الإمامة موقوفة علىٰ الرّسالة وهذا بعينه موجود في الذّرّاع والعَضُدِ فأنّ حركة الذّراع وأثارها المُتّرتبة عليها كلّها موقوفة علىٰ وجود العَضُد والقّوة الكافية فيه:

ورابعها: أنّ العَضُد لا يكون تابعاً للذّراع بل الذّراع تابع له في القّوة والضّعف والحركة والسّكون فكذلك الرّسُول لا يكون تابعاً للإمام بل الإمام

تابع له في جميع شئونه وأفعاله وأعماله فهو الآمر وذاك المأمور وهو المُقتدىٰ وذاك المُقتدي:

وأمّا قوله عليه السلام: **واللّه لو تظاهرت العَرب علىٰ قتالي لِما ولّيتُ عنها** إشارة الىٰ مقام شجاعته عليه السلام وأنّه كان لا يخاف إلّا من اللّه تعالىٰ والتّعبير بالتّظاهر مأخوذ من قوله تعالىٰ ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1] وصدّر عليه السلام كلامه بالقسم واسم الجلالة لِلدّلالة علىٰ أنّ قوله هذا حقّ لا شك فيه إلّا لِمن لا يعرف اللّه ولا يعلم معنىٰ القسم وأنّه إمامٌ صادق معصُوم ومع ذلك فقد شهّد علىٰ ما إدّعاه عليه السلام ما فَعَله في الحُروب وأنّه كان كرّاراً غير فرّاراً ولم يدّع أحدٌ من أعدائه أنّه عليه السلام فَرَّ من أعدائه ولو مرّةً واحدة في الغَزَوات وغيرها كيف وهو الّذي يُضرب به المَثَل في الشّجاعة وهو الّذي قد أنسىٰ من كان قَبله من الشّجعان والأبطال في طول الزّمان ولم يأتِ بعده مثله وهو الّذى قتل في يوم بدر خمساً وثلاثين مُبارزاً دون الجرحىٰ علىٰ قول العامّة وقيل بضعة وأربعين رجلاً وفي يوم أُحُد عشرين رجلاً سوىٰ مَن قتلهم بعد ما هَزَمهم ولا إشكال في هزيمة عُمر وعثمان فيه وأنّما الخلاف في أبي بكر هَل ثبت الىٰ وقت الفَرج أو إنهَزم بعد الإتفاق علىٰ أنّهم لم يقتلوا أحداً وفي يوم حُنين قتل أربعين رجلاً وفارسهم أبو جَروَل وأنّه عليه السلام قدّه عظيماً بنصفين بضربةٍ في الخوذة والعماة والجوشن والبدن الىٰ القربُوس ووقف عليه السلام يوم حُنين في وسط أربعة وعشرين ألف ضارب سيفٍ الىٰ أن ظهر المَدَد من السّماء:

وفي غزاة السّلسلة قتل السّبعة الأشّداء وكان أشدّهم آخرهم وهو سعيد بن مالك العجلي وفي بني النضّير قتل أحدَ عَشَر منهم غروراً وهكذا في سائر الغَزَوات وقد سمّاه رسُول اللّه صلى الله عليه وآله كرّاراً غير فرّارا في حديث خيبر، قال معاوية يوم صفّين أُريد منكم واللّه أن تشجروه بالرّماح فتريحو العباد والبلاد منه قال مروان واللّه لقد ثقلنا عليك يا معاوية اذ كُنتَ تأمرُنا بقتل حيّة الوادي

١- اسراء ٨٨

والأسد العادي ونهض مُغضباً فأنشأ الوليد بن عقبة:

يقول لنا معاوية بن حربٍ أما فيكم لِواتركم طلوبُ
يَشدّ علىٰ أبي حسنٍ علّيٍ بأسمر لا تهجنّه الكُعوب
فقلت له أتَلعب يابن هندٍ فأنّك بيننا رجل غريبُ
أتأمُرنا بحيّة بطن وادٍ يتاح لنا به أسدُ مُهيبُ
كأنّ الخلق لمّا عاينوه خلال النّقع ليس لهم قُلوبُ

فقال عمرو بن العاص والله ما يعيّر أحد بفراره من علّي بن أبي طالب ولما نعىٰ بقتل أمير المؤمنين دخل عمرو بن العاص علىٰ معاوية مُبشّراً وقال أنّ الأسد المُفترش ذراعيه بالعراق لاقىٰ شعوبه فقال معاوية:

قل لِلأرانب تربع حيثما سَلكَت ولِلظّباءِ بلا خوف ولا حَذَر

ولِنعم ما قال أبو العَلاء السّروي:

تخاله أسداً يحمي العرين اذا يوم الهياج بأبطال الوغىٰ رَجفا
يظلّه النّصر والرّعب اللّذان هما كانا له عادة اذ سار أو وقفا
شواهدُ فَرَضَت في الخلق طاعته برَغم كلّ حَسُودٍ مالَ وإنحَرَفا

ولآخر:

ما جردّت من علّيٍ ذو الفقار يد
إلّا وأغمده في هامة البَطَل
لم يقترب يوم حرب للكمي به
إلّا وقرّب منه مدّة الأجل
كم كُربةٍ لأخيه المصطفىٰ فَرَجت
به وكان رَهين الحادث الجَلل

وقد مَرّ الكلام فيما مضىٰ في شجاعته غير مرّةٍ مع أنّها لا تحتاج الىٰ إثباتٍ أو مزيد بيان في حقّه عليه السلام كيف وهي تدور مدار وجوده وجوداً وعَدماً ونحن نقول ما قاله السّروجي:

فـقلتُ أمّا عـليٌ آيـة خُـلِقت
والله أظـهرَها للنّاس فـي رَجُـلٍ
مـخفية بـعلّي ثُـمّ ألحـقَها
بـذي الفِـقار وفـيه قـبضة الأجـل
مـا سّـلَه وَرُحـاء الحَـرب دائـرة
إلّا وأغـمده فـي هـامة البَـطَل
مـا صاح في الجيش صَوتاً ثمّ أتبَعه
أنـا عـليٌ تـولّى الجيش مُـنجَفِل

▫ قوله عليه السلام: **ولوْ أمكَنَتِ الْفُرصُ منْ رِقَابِها لَسَارَعتُ إليْها وَسأجهَدُ في أنْ أُطَهِّرِ الأرْضَ منْ هَذَاالشَّخْصِالَمعكُوسِ والجِسْم المَرْكُوسِ حتّىٰ تَخرُجَ المِدْرَةُ منْ بيْنِ حَبِّ الحَصِيدِ ...**

الفُرَص جمع فُرصة كالغُرَف جمع غُرفة والمعنىٰ لو أمكَنتْ أي ساعدتني الفُرصة من رقاب العَرَب لسارعتُ اليها كما سارع اليها رسُول اللّه صلى الله عليه وآله فقتل من بني قُريظة في يوم واحد أكثر من ألف إنسان وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِالْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظَ عَلَيْهِمْ﴾**[1] فأنّ من يُجاهد الكفّار يجب عليه أن يغلِظ عليهم ويستأصل شأفتهم ولا تأخذه رأفة في حقّهم فأنّ العَفو له مقام والإنتقام له مقام فقد ظهر لما ذكرناه لك أنّ المقصُود من العَرب في قوله عليه السلام ليس كلّ العَرَب بل المقصود منها المُنافقين المُعاندين كأصحاب معاوية والخـوارج مـثلاً ولذلك قـال عليه السلام: **وَسأجهَدُ في أنْ أُطَهِّرِ الأرْضَ منْ هَذَاالشَّخْصِ الَمعكُوسِ والجِسْم المَرْكُوسِ** أي معاوية بن أبي سفيان ففي قوله عليه السلام: **أُطَهِّر الأرض** إشارة الىٰ نجاسة معاوية وخباثة ذاته فكما أنّ الأرض ينبغي تطهيرها عن النّجاسات الظّاهرة القذِرة كذلك ينبغي تطهيرها عن الأشرار والأوباش بل الحقّ أنّهم أضّر علىٰ الأرض ومن عليها من الأضيار من النّجاسات المحسُوسة:

١- التوبة ـ٧٣ والتحريم ٩

وفي وَصفه بالمعكُوس والمركُوس أشار عليه السلام الیٰ إنعكاس عقيدة معاوية وكونه من المُرتكسين في الضّلال وأصلّ الرّكس ردّ الشّيْ مقلوباً هكذا فسّروه:

أقول: فيما ذكره عليه السلام نكتة أُخرىٰ وهي أنّ العَكس في اللّغة ردّ آخر الشّيْ علىٰ أوّله، والرّكس فيه إعادته الیٰ حالته السّابقة الّتي كان عليها فقوله عليه السلام: **المعكُوس** معناه أنّي أُردّه الیٰ أوّله وفيه إشارة الیٰ أنّ معاوية كان من المُعاندين المُحاربين لرسُول اللّه صلى الله عليه وآله فهذا أوّله ثُمّ أظهر الإسلام بلسانه دون قلبه وعُدّ من المُنافقين وهذا آخره، ثُمّ أنّه كان قبل إسلامه كافراً مَهدُور الدّم وأمّا بعده فقد تُظَن أنّه لا يجوز قتله لإسلامه وليس الأمر كذلك بل هو الآن كما كان في مهّدورية دَمه وسأجهد في قتله حتّىٰ يرجع الیٰ جهنّم كما لو كان مقتولاً قبل إسلامه ومحّصل الكلام أنّه رجل معكُوس أوّله كآخره وآخره كأوّله فهو فيآخر أمره كما كان في أوّله فكما أنّي لو قَدرتُ عليه قبل تظاهره بالإسلام قتلته كذلك في الحال :

وأمّا كونه مركُوساً فهو إشارة الیٰ مقام نفاقه وأنّ ظاهره يُخالف باطنه والنّاس غافلون عنه وأنّي سأجهد أن أُطهّر الأرض من هذا الرّجل المُنافق والتّعبير بالجسم إشارة الیٰ أنّه لا يليق أن يُطلق عليه الإنسان بل هو في الحقيقة جسمٌ من الأجسام كالجمادات والنّباتات إلّا أنّه يأكُل ويشرَب ويتّكلم وليس مدار الإنسانية علىٰ هذه الأشياء كما أنّ التّعبير بالشّخص أيضاً لنُكتته و هي أنّ الشّخص في الأصل سواء الإنسان وغيره تراه من بُعدٍ فلمّا قرُب علم أنّه ليس بإنسانٍ، ومعاوية كان كذلك لأنّه كان بصُورة الإنسان وسيرة الحيوان أو أنّه كان إنساناً في العوام وغير إنسانٍ في الخواصّ ومحّصل الكلام في الفَقرَتين خروجه عن مقام الإنّسانية وأنّه كان سواء الإنسان أو مقلوبه ومن كان كذلك يَنبغي تَطهير الأرض من وجوده، وأمّا قوله حتّىٰ تَخرج المَدرة وهي بالتّحريك في الأصل قطعة الطّين اليابس وحَبِّ الحَصيدِ معناه حبّ النّبات المَحصُود كالقَمح ونحوه وأمّا في المقام فالأوّل كناية عن الكُفر والثّاني عن الإيمان أي

حتّىٰ تخرج الكَفَرة من المؤمنين أو يُميز الحقّ عن الباطل وذلك لأنّ الزرّاع يَجتّهدون في إخراج المَدر والحَجر والشّوك ونحوها من المُفسدات من بين الزرّع كي تفسد منابته فَيفسد الحبّ الّذي يخرج منه فهو عليه السلام شَبّه معاوية بالحَجر والشّوك وشَبّه النّاس أو الدّين بالحبّ الّذي هو ثمرة الزّرع وهو من أحسَن الإستعارات والكنايات فأنّ الإجتماع لو لَم يُطّهر من الأشرار والمُنافقين لَن يَصلح أبداً والسّر فيه أنّ الأشرار في النّاس كالموانع في قبُول النّاس الرّشد والصّلاح، وأمّا المُقتَضي فهو موجود فيهم بحسب الفِطرة ولا أثر للمُقتَضي مع وجود المانع واذا إرتَفع المانع فالعلّة تُؤثر في المَعلُول قطعاً ألا ترىٰ أنّ النّار لا تَحرق الجسم اذا كان رَطباً وحيث كان كذلك فالواجب أوّلاً رفع المَوانع ولأجل هذا ترىٰ الأنبياء والأوصياء كانوا يَهتَمّون به بل الحقّ أنّ الدّين في الحقيقة جُعل لرفع المَوانع لا لإيجاد المُقتضىٰ فأنّه موجود بحسب الخلقة والفِطرة وهذا هو السّر في قوله عليه السلام: **وسَأَجهَد في أن أُطَّهر الأرض** الخ اذ مع وجود معاوية وأمثاله في النّاس لا يُؤثر المَواعظ والأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكر بل الضّرب والتّأديب وشدّة البأس وأمثالها بالنّسبة الىٰ عامّة النّاس أيضاً لا يَنفع فأنّها في جسم الإجتماع من قبيل الدّواء المُسّكن اذا كان الأشرار مَوجودين وهذا هو السّر في عَدم إمكان سَوقهم الىٰ الرّشد والصّلاح قبل قَطع مادّة الفَساد كما أنّ الطّبيب الحاذق يقطع مادّة المَرض عن البَدن وغير الحاذق يُسَكن الدّاء مُؤقتاً.

□ قوله عليه السلام: **إلَيْكِ عَنِّي يادُنْيا فَحَبْلُكِ علىٰ غارِبِكِ قَدِ انْسَلَلْتُ منْ مَخالِبِكِ وأفْلَتُّ منْ حَبائِلِكَ واجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فيِ مَدَاحِضِكَ أيْنَ القَوْمُ الَّذِينَ غَرَرْتِهمْ بِمَدَاعِبِكَ أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخارِفِكِ هَاهُمْ رهَائِنُ القُبُورِ ومَضامِينُ اللُّحُودِ ...**

ثمّ خاطب عليه السلام الدّنيا الدّنية الفَانية الّتي حُبّها رأس كلّ خطيئة والإعتماد عليها يوجب الحَسرة والنّدامة وقال عليه السلام: **اليكِ عني** أي أبعدِ عنّي أو أذهبي عنّي

يا دُنيا فحبلك علىٰ غاربك شبّهها بالبعير أو الحيوان الّذي حبله علىٰ غاربه والغارب الكاهل وما بين السّنام والعُنق وحَبلَه زمامه الّذي يقاده وحبل الحيوان علىٰ غاربه كناية عن تركه وأنّه يذهب حيث يشاء، ثمّ شبّهها ثانياً بالسّبع الّذي له مخالب، والإنسلال عدم التّعلق بها والمعنىٰ أنّي قد إنسَللتُ أي إنقطعتُ عن مخالبك ومخالب الدّنيا كناية عن شهواتها وزخارفها فكما أنّ الحيوان الّذي له مخلبٌ يهلك ما وقع في مخلبه كذلك الدّنيا تهلك من يقع في مخالبه ولا مناص عن الهَلاك إلّا بالإنسلال عنها، وشبّه عليه السلام ثالثاً الدّنيا بالصّياد وشبّه علائقها بالحبائل وهي جمع حبالة، شبكة الصّياد ووجه الشّبه ظاهر فأنّ الصّياد لا يمكن له الصّيد إلّا بحبائله كذلك الدّنيا لا تقدر علىٰ إصطياد النّاس إلّا بما لها من المادّيات، فمن قدر علىٰ التّخلص عنها نجىٰ ومن وقع فيها هَلك ولذلك قال وأفلتُ أي خلصتُ من حبائلك، وشبّهها رابعاً بالأرض الواسعة الّتي لها مراتع كثيرة خضرة وشبّه نفسه الشّريفة بمن يرتع فيها فقال إجتنبتُ الذّهاب في مداحضك ومراتعك أي أنّي لا أدخل في مراتعك أصلاً: وبعد ذكره أوصاف الدّنيا وبيّن خَطَرها أشار الىٰ ما هو كالدّليل علىٰ ما ذكره فقال أينَ القوم الّذين غرِرّتهم بَمداعبك جَمع مَدعبة من الدّعابة وهي المزاح والتاآت والكافات كلّها بالكَسر خطاباً للدّنيا وفيه إشارة الىٰ أنّ الدّنيا في الحقيقة تمزح بأهلها وتُداعبهم وهُم غافلُون:

ثُمّ قال عليه السلام وأينَ الأُمم الّذين فَتَنتهم بزخارِفك من المال والمقام والأولاد وغيرها فأجاب عليه السلام وقال هاهُم أي المغْرورين والمفتُونين بك رهائن القُبور وأُسراؤها ومضامين اللّحُود، إستعار لفظ المضامين للمَوتىٰ لِشبّههم في اللّحُود بالأجنّة في بُطون أُمّهاتهم والحاصل أنّهم بأجمعهم دُفنوا في القُبور وسُكنوا في اللّحُود فَلم يبق منهم عين ولا أثر في الدّنيا إلّا أعمالهم وآثارهم:

□ قوله عليه السلام: **واللّهِ لوْ كُنْتُ شَخْصاً مَرْئيّاً وقالَباً حِسِّيّاًلأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللّهِ في عِبَادٍ غَرَرْتِهم بالأَمانِيِّ وأَلْقَيْتِهمْ فِيالمَهاوِي ومُلوكٍ أَسْلَمْتِهمْ إلىٰ التَّلَفِ وأَوْرَدْتِهمْمَوَارِدَ البَلاَءِ إذْلا وِرْدَ ولا صَدرَ ...**

ثُمّ خاطب الدّنيا ثانياً وقال واللّه أي أُقسم به لو كُنْتُ شخصاً مرْئياً بالأبصار وقالباً حسّياً كالأجسام المحسُوسة لأقمتُ عليكِ حُدود اللّه تعالىٰ في عبادٍ غرّرتهم بالأماني والآمال وصَيرّتهم من الخاسرين الّذين ضَلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهو يحسبُون أن يحسنُون صُنعاً، وألْقيتهم في المَهاوي والمَهالِك الّتي لا يمكن لهم التّخلص منها بعد مَوتهم وملوك أسلَمتهم الىٰ التّلَف وأورَدتهم موارد البلاء اذ لا وِرد ولا صَدَر أي لا وُرود لهم ولا خروج وهو كناية عن وقوعهم في خَطَرٍ عظيم لا يمكن لهم الخُروج عنه وبعبارةٍ أُخرىٰ سُدَّ عليهم باب الوُرود والخُروج وهو عالَم القَبر وما بعده من الموارد ويمكن أن يكون المراد سَدّ باب الوُرود عليهم من أقربائهم لِيَطّلعُوا علىٰ أحوالهم وسَدّ باب الخُروج لِلمَوتىٰ فلا يقدرون علىٰ الرّجوع الىٰ الدّنيا:

▫ **قوله ﷺ: هَيْهَات مَنْ وَطِيءَ دَحْضِكِ زَلِقَ ومَنْ ركَبَ لُجَجكَ غَرِقَ ومَنِ ازْوَرَّ عنْ حِبالِكَ وُفِّقَ ...**

يُقال هذا مكانٌ دَحْض بفتح الدّال وسكون الحاء، أي زَلِقَ، دَحَض رِجله أي زَلِقَ والمعنىٰ من وَطِئَ أي مشىٰ علىٰ مدحَضَتِك زَلق أي لا تثبت فيها الأرجل ومن ركب لُججك غَرِق لكونها فاسدة وَمَن إزْوَر أي مال وتنكب عن حبالك وُفّق لِما يُحبّ ويَرضىٰ:

▫ **قوله ﷺ: والسَّالِمُ مُنْكَ لا يُبَالِي إنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخَهُ والدُّنْيا عِندَهُ كيُومٍ حانَ إنْسِلاَخُهُ ...**

أي مَن سَلِمَ من كَيدِك وخُدعَتِك لا يُبالي أن ضاق به مناخه أي لا يُبَالي بالفقر والمَرض والحَبس وغيرها من المِحَن لأنّ هذه البَليات كلّها لا إعتداد بها في جنب السّلامة من فتنة الدّنيا، فأنّ الدّنيا عِندَهُ كَيَومٍ حانَ إنْسِلاَخُهُ أي قَرُبَ إنقضاؤه وفنائه:

▫ **قوله ﷺ: أُغْرُبي عنِّي فَوَا اللّهَ لا أذِلُّ لَكَ فَتَسْتَذِلِّيني ولا أسْلَسُ لَكَ فَتَقُودِيني ...**

أي إبعدي (**عنّي يا دُنيا فَوَا اللّهِ لا أذِلُّ لَكِ**) أي لا أجعل نفسي ذليلاً حقيراً لكِ فتُحقّريني ولا أنقاد لكِ فَتَقُودِيني حيث شِئتِ وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ مَن أذّل نفسه لغيره فهو يستذّله لا محالة ومَن إنقاد له فهو يقوده حيث شاء سواء كان للدّنيا أم لغيرها من أبنائِها:

▫ **قوله ﷺ: وأيْمُ اللّهِ يَمِيناً إستَثْنِيْ فِيهَا بمَشيئَةِ اللّهِ لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهاإلىٰ الْقُرْصِ إذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً وتَقْنَعُ بالمِلحِ مَأدُوماً وَلأدَعَنَّ مُقْلِتي كَعْينِ ماءٍ نَضَبَ مَعِينُها مُسْتفرِغَةٍ دُمُوعُها ...**

أي أُقسم باللّه قسماً إستثنىٰ فيها بِمَشيئة اللّه أي أُعلّقها علىٰ مَشيئته تعالىٰ لأُروضنّ نفسي رياضة أي لأُدَرِبَنها بالجُوع وأؤدبها بأدبٍ تَهَش أي تنبسط معها أي مع الرّياضة الىٰ القُرص وتفرَح به من شدّة ما حرمها وأن شئتُ قُلتُ أجعل نفسي مَحرومة عن لذائذ الأطعِمة حتّىٰ إكتَفَت بالقُرص وفَرِحَت به اذا قَدِرت النّفس عليه أي علىٰ القُرص مطعُوماً وتَقنع أي النّفس بِالمِلح مَأدُوماً مكان الإدام فيكون الملح إدامه والقُرص طِعامه ولأدَعنّ أي لأتْرُكنّ مُقلَتي وَعيني كعين ماءٍ نَضَب وغار مَعِينها أي أبكي حتّىٰ لا يبقىٰ دَمعٌ في عَيني ومُحصّل هذه الكَلمات هو إعتياد النّفس بالقُرص والمَلِح وإعتياد العين بالبكاء من خشية اللّه تعالىٰ:

فأنّ الرّياضة ليست إلّا كفّ النّفس عن مشتهياتها وخوف القلب من خشية اللّه المُوجبة للبكاء فمن زَعَم أنّ الرّياضة تحصل بالجُوع فقط أو بأكل الشّعير مثلاً فقد أخطَأ بل هي تحصل بالكَف عن الشّهوات والخوف من اللّه تعالىٰ ومن المعلوم أنّ الخائف يكون باكياً:

▫ **قوله ﷺ: أتَمْتَلِيُّ السَّائِمةُ مِنْ رَعْيِها فَتَبْركَ وتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ منْ عُشْبِها فَترِبِضَ ويأكلُ عَلّيٌ مِنْ زَادِهِ فيَهْجَعَ قَرَّتْ اذاً عَيْنُهُ إذَّاقْتَدَىٰ بعْدَ السِّنينَ المُتطَاوِلَةِ بالبَهِيمَةِ الهَامِلِةِ والسَّائِمةِ المَرْعِيَّةِ ...**

الهمزة في قوله أتمتلئ لِلإستفهام الإنكاري أي ليس كذلك وحاصل

المعنىٰ أنّ السّائمة من الإبل وهي الّتي ترعىٰ ولِلرّبيضة من الغنم وهي أيضاً ترعىٰ والبرُوك يقال للأوّل والرّبوض للثّاني اذا كانتا تشبعان في أكلهما وعليّ أيضاً كان كذلك فما الفرق بين الثّلاثة وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّ الإبل السّائمة تأكل من رعيها فتبرك والرّبيضة من الغَنَم أيضاً همّها عَلَفها فتأكل حتّىٰ تربض من غير توجهٍ منهما الىٰ أبناء نوعهما من الحيوانات فلو كان علّي يأكل من زاده حتّىٰ يَهجع ويسكُن به كما سَكَنت الحيوانات بعد طعامها فإذاً ما الفرق بين علّي وبين الحيوانات بل لو كان الأمر علىٰ هذا المنوال ينبغي أن يقال لعلّي قرّت عينك حيث إقتديت بعد السّنين المُتطاوِلَةِ الّتي مضيت من عمرك بالبَهِيمَةِ الهَامِلةِ المُسترسلة الّتي ترعىٰ نهاراً بلا راعٍ والسّائمة المرعية في مراعيها حتّىٰ تمتلئ ومُحصّل الكلام أنّ الإنسان لو كانَ هَمّه بَطنه فما الفرق بينه وبين الحَيوان كما قال السّعدي بالفارسية:

بني آدم أعضاء يكديگرند	كه در آفرينش ز يك گوهرند
چه عضوي بدرد آورد روزگار	دِگر عضوها را نماند قرار
تو كز محنت ديگران بيغمي	نشايد كه نامت نهند آدمي

□ **قوله ﷺ: طُوبَىٰ لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَىٰ رَبِّها فَرْضَهاوعَرَكَتْ بِجَنْبِهابُؤْسَها وهَجَرَتْ في اللَّيْلِ غُمْضَها ...**

أي (طُوبَىٰ لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلىٰ ربِّها) ما فَرَض عليها من الواجبات ولم تتركها من غير عذر فأنّ كمال الطّاعة في أداء الوظيفة، (وَعَركَتْ أوىٰ وطُوبَىٰ لِنَفْسٍ عَرَكَتْ) وصَبَرت علىٰ الشّدائد والمكاره الّتي ترد عليها، وهَجَرت أي تركت في اللَّيْلِ غُمْضَها أي نومها وكمال الإنسان في السّلوك الى اللّه وصوله الىٰ هذه المقامات أعني الإتيان بالفرائض والصّبر علىٰ الشّدائد والقيام باللّيل لِلتّهجد فَمَن وصف بها فقد فاز فوزاً عظيماً:

□ **قوله ﷺ: حتّىٰ إذاغَلَبَ الْكَرَىٰ عَلَيْهاإفْتَرَشَتْ أرْضَها وتَوَسَّدَتْ كَفَّها في مَعشَرٍأسْهرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعادِهِمْ وتَجافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفاهُهُمْ وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ إسْتِغْفارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ (أُولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ ألاَ إنَّ**

حِزْبَ اللّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ...

أي حتّىٰ إذَا غَلَبَ النّوم عليها لم يكن لها فراش إلّا الأرض ولم تكن لها وسادة إلّا الكَفّ في (**مَعشَرِأَسْهرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعادِهِمْ**) فكأنّهم لا يقدرون علىٰ النّوم خَوفاً من المعاد (**وتَجافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وتَقَشَّعَتْ**) أي وأَنجَلت بِطُولِ إسْتِغْفارِهِمْذُنُوبُهُمْ (**أُولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ وهُمُ المُفْلِحُون**) يوم القيٰمة – قال اللّه تعالىٰ: ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾ (١)

□ **قوله ﷺ: ولْتكْفِكَ أقْرَاصُكَ لِيَكُونَ منَ النَّارِ خَلاَصُكَ ...**

وقال الشّارح المُعتزلي ولتكفف أقْرَاصُكَ ثُمّ وقع فى مَخمَصةٍ وإشكال وقال أنّ التّاء للأمر وهو عوض عن الياء وقد قيل أنّ رسول اللّه قرأ ولِتَفرحُوا، بدل ولِيَفرحُوا بتبديل الياء تاء فعلىٰ هذا قوله تكون الجملة مفيدة للنّهي كما قال أنّما هو نهىٰ لابن حنيف أن يَكفّ عن الأقراص وأن كان اللّفظ يقتضي أن تَكِفّ الأقراص عن ابن حُنَيف انتهىٰ:

وأنا أقول: ما أدري من أينَ أخَذ الشّارح ما إدّعاه فأنّ النّسخ الموْجودة بَين أيدينا ولْتَكْفِكَ أقْرَاصُكَ أي ينبغي أن تكفيك الأقراص الموجودة بين يديك فأقنع بها ليكون من النّار خلاصك وذلك لأنّك أن لم تَقنَع بها لابدّ لك أمّا السّؤال من غيرك لتحصيل غرضك وأمّا التّصرف في مال الغَير بالسّرقة والغَصب وأمثال ذلك ومن كان كذلك فَمَصيره الىٰ النّار وأمّا ما ذَهَب اليه المعتزلي فهو ليس من الفصيح بشئٍ مُضافاً الىٰ أنّه لم يروه أَحَد إلّا هو وتبديل الياء بالتّاء لم يلتزم به أحَدٌ من الأُدباء في أمثال المقام ونسبة التّبديل الىٰ رسول اللّه ﷺ في قوله تعالىٰ فبذلك (فَلْتَفرحُوا) لا مُستَند له وكيف كان مُلَخّص الكلام في المقام أنّه ﷺ أمَر عثمان بن حُنيف بالقناعة بما رزقه اللّه فأنّها كنزٌ لا ينفد كما قال النّظامي:

قرص جَوي مي شكن ومي شَكيب
تا نخوري گندم آدم فريب

---

١ - السّجدة ـ ١٦

تــــا شكـــــمي نـــان وكـفى آب هست
كـفجة مكـن بـر سـر هـركاست دست
آن خُور وآن نـوش چـه شير وپـلنگ
كــــاوري آنــــرا هـــمه روزه بـچنگ
نان خورش از سينهٔ خـودكن چـه آب
واز جگـــر خـويش چــه آتش كـباب
گـــــر دِل خـــورسند نـظامي تـرا است
مُـــــلك قــــتاعت بـــتمامي تـــرا است
وقال أيضاً:

خـــورسندي را بــطبع دَر بَـند | مىباش بدانچه هست خورسند
أُجرت خُورِ دسترنج خود باش | گر محتشمي بكُنج خـود بـاش
نـزديک رسـيد كـار مـي سـاز | بـاگـردش روزگـار مـي سـاز
جز آدمـيان هـر آنچه هستند | بَـــر سُـــفرهٔ قـانعي نشســتند
در جُســتن رزق خـود شتابند | ســازند بـدان قَـدَر كـه يـابند
آنگـــــاه رســـي بــــر بـلندي | كـــــايمن شـوي از نـيازمندي

وأيضاً:
اگـر بـاشي بـه تـخت وتـاج مـحتاج
زمـين را تـخت كُـن خورشيد را تـاج
بـــخورسندي بـــر آور ســر كــهرَستي
بـــلاي مـــحكم آمـــد خـود بـرَستي
دَر ايـن هسـتي كـه يـابي نـيستي زود
نـبايد شـد بـهست ونيست خوشنود
لباسى پوش چون خورشيد وچـون مـاه
كـه بـاشد تـا تو باشي با تو هـمراه

جهان چون مـار و أفـعي تـيغ تـيغ است
فحواه از وَي كز او در دست هـيچ است

ومن كتاب له عليه السلام (٤٤)
الىٰ بعض عمّاله

▫ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فإنّكَ ممَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ علىٰ إقامَةِ الدِّينِ وأقمَعُ بهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ وأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ المَخُوفِ فأستَعِنْ باللّٰهِ علىٰ مَا أَهَمَّكَ وأخلِط الشِّدَّةِ بِضِغْثٍ منَ اللِّينِ وأَرْفُقْ مَا كانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ واعْتَزِمْ بالشِّدَّةُ حِينَ لا يُغْني عنْكَ إلاَّ الشِّدَّةُ وأخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وأَلِنْ لهُمْ جانِبَكَ وآس بَيْنَهمْ في اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ والإشَارَةِ والتَّحِيَّةِ حتّىٰ لا يَطْمَعَ العُظَماءِ في حَيْفِكَ ولا يَيْأَس الضُّعَفاءِ منْ عَدْلِكَ والسَّلاَمُ ...

◁ اللغة

(أسْتَظْهِرُ) أي أستَعين (نَخْوَةَ الأثِيمِ) النَّخوة بفتح النَون الكِبر والأثِيمفاعل الخطايا (لَهَاةَ الثَّغْرِ) اللّهاة في الأصل قطعة لحم مدلاة في سَقف الفَم علىٰ باب الحَلق والثّغر بفتح الثاء المكان الّذي يَخاف منه هجُوم العَدو، وقيل كلّ فرجةٍ أو وادٍ (بِضِغْثٍ) الضِّغث الخلط (أَلِنْ أمر من ألان يُلين (آسِ) أي شارك وسَوِ بينهم.

◁ الشَرح

▫ قوله عليه السلام أَمَّا بَعْدُ فإنّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ علىٰ إقامَةِ الدِّينِ وأقمَعُ بِهِ نَخوَةَالأثِيمِ وأسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ المَخُوفِ ...

أي أمّا بعد الحَمد والثّناء على اللّه فإنّك مِمّنْ أستَظْهِرَ وأستَعين به على إقامة الدّين وإجراء أحكامه وأَقمَع به نَخوة الأثيم أي الكِبر من فاعل الخطايا وأسُدَّ به لَهَاةَالثّغر المخوف أي مَوضع هجُوم العدّو والمقصُود من هذه الكلمات أنّ لك في الحكومة مَوقعٌ لا يُوجد لغيرك فلا تكن علىٰ غِفلةٍ منه وكُن من الشّاكرين ومَع ذلك ففيه إشارة الىٰ أنّ إقامة الدّين وحِفظ المَملكة يحتاج الىٰ رجال لا تُلهيهم تجارة ولابيع عن ذِكر اللّه وأنّ الدّين لا يكون إلّا مع حِفظ الأمْنية وبقائها.

▫ **قوله ﷺ: فاستَعِنْ باللّهِ علىٰ مَا أَهَمَّكَ وأخْلِط الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ منَ اللِّينِ وأرْفُقْ مَا كانَ الرِّفْقُ أَرفَقَإلىٰ آخر الكتاب ...**

ثُمّ أمرَه ﷺ بأمُورٍ لابدّ لكلّ واحدٍ من مُراعاتها ولا سيّما الحكّام وهي ستّة:

أحدها: الإستعانة باللّه كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِوَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**(١)

و: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**(٢)

وثانيها: خَلط الشّدة بِضِغْثٍ من اللّين الضّغث الخَلط أيضاً والمعنىٰ تَخلط به الشّدة من اللّين وذلك لأنّ الشّدة تُوجب تَنفر النّاس واللّين يُوجب يُوجب ضعف الحاكم وخير الأمُور اوسَطها وهو خلطهما معاً.

وثالثها: الرّفق والمُداراة مادام كانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ وأصوَب من عَدمه اذ لولا ذلك لكان الرّفق في غير محلّه وهو مِصداق الظّلم فأنّه وضع الشّئ في غير محلّه كما قيل بالفارسية:

تَرحّم بر پلنگ تيز دندان   ستمكارى بود بر گوسفندان

ورابعها: العَزم علىٰ إعمال الشّدة حين لانعني عنها غيرها فأنّ الرّفق في مَورد الشّدة كالشّدة في مَوضع الرّفق وكلاهما خروج عن طور العدالة ودخول في الظّلم.

١- الاعراف ـ١٢٨ ٢- الفاتحة ـ٥

وخامسها: خفض الجناح لِلرّعية واللّين لهم لقوله تعالىٰ مُخاطباًالنّبيه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

وسادسها: المُواساة والمُساواة بينهم في اللَّحظة والنَّظرة والفرق أنّ اللَّحظَة المرّة من اللَّحظ النّظر بمؤخّر العين عن يمينٍ ويسار أي وقتاً كقَدر لَحظَة العين، والنّظرة المرّة من النّظر تقليب البصر والبَصيرة لإدراك الشّيْ ورؤيته وغرضه ﷺ التّسوية بين النّاس فيهما وهو كناية عن عدم إعمال الخصُوصية في المُعاشرة والمُجالسة للنّاس ولا سيّما الحُكّام منهم وهكذا الإشارة والتّحية فأنّ الإشارة أو التّحية من الحاكم لشخصٍ دون آخر تُوجب أن يَطمَع العُظماء والأشراف في حَيفه وظُلمه ولازم ذلك هو يأس الضّعفاء من عدله وقد مرّ منه ﷺ هذا الكلام في كتاب الخامس والعشرين مُخاطباً لمُحمّد بن أبي بكر حين قلدّه مِصر حيث قال فأخفض لهم جناحك وأَلِن لهم جانبك وأبسط لهو وجهك وآسِي بينهم في اللّحظة والنّظرة حتّىٰ لا يطمع العُظماء في صَنيعك لهم ولا ييأس الضّعفاء من عَدلك عليهم الىٰ آخر ما قال وقد تكلمْنا فيه هناك مُفصّلاً وأنتَ خبير بأنّ ما ذكره في المقام من الأُصول السّبعة هو الكامل الجامع لِلسّالك الىٰ اللّه تعالىٰ فأنّ مَن جَمع لِنفسه هذه الصّفات فقد جَمع الخير كُلّه ولا سيّما الحُكام والأُمراء وأنّىٰ لهم هذه الكمالات بل لا يُوجد فيهم واحد منها فضلاً عن جميعها:

---
١ - الحجر ـ٨٨

ومن وصيّته عليه السلام (٤٥)

للحسن والحسين عليهما السلام لمّا ضربه ابن مُلجم لعنه الله

▫ قوله عليه السلام: أُوصِيكُما بِتَقْوَىٰ اللّهِ وأنْ لاَتَبْغِيا الدُّنْيا وإنْ بَغَتْكُما ولا تأسَفا عَلىٰ شَيْءٍ مِنْها زُوِيَ عَنْكُما وقُولاً بالحَقِّ وأعْمَلاً لِلأَجْرِ وكُونا لِلظّالِمِ خَصْماً ولِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

أُوصِيكُما وَجَمِيعَ وَلَدِي وأهْلِي ومَنْ بَلَغَهُ كِتَابي بِتَقْوَىٰ اللّهِ ونَظْمِ أمْرِكُمْ وصَلاَحُ ذَاتَ بَيْنِكُم فإنّي سَمِعْتُ جَدَّكُما صلّىٰ اللّهُ عَليْهِ وآلِهِ يَقُولُ صَلاَحِ ذَاتِ البَيْنِ أفْضَلُ منْ عامَّةِ الصَّلاَةِ والصِّيامِ.

واللّهَ اللّهَ في الأَيْتام فَلاَ تُغِبُّوا أفْوَاهَهُمْ ولا يَضِيعُوا بِحضْرَتِكُمْ.

واللّهَ اللّهَ في جِيرَانِكُمْ فإنَّهُمْ وصِيَّة نَبِيِّكُمْ ما زَالَ يُوصِي بِهِمْ حتّىٰ ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ.

واللّهَ اللّهَ في الْقُرْآن لا يَسْبِقْكُمْ بالعُمَلِ بِهِ غيرُكُمْ.

واللّهَ اللّهَ في الصَّلاَةِ فإنَّها عَمُودُ دِينِكُمْ.

واللّهَ اللّهَ في بَيْتِ رِبِّكُمْ لا تُخَلُّوهُ ما بَقِيتُمْ فإنَّهُ إنْ تُرِكَ لمْ تُناظَرُوا.

واللّهَ اللّهَ في الجِهَادِ بأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ وألْسِنَتِكُمْ في سَبِيلِ.

اللّهِ وعَلَيكُمْ بالتَّوَاصُلِ والتَّبادُلِ وإيَّاكُمْ والتّدابر (والتَّبادُلَ) والتَّقاطُعَ لا تَترَكُوا الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَيُوَلِّىٰ عَليكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُستَجابُ لَكُمْ.

يا بَني عَبْدِ المُطَّلِب لا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِماءَ المُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ قُتِلَ أميرُالمؤمِنينَ ألا لاتَقتُلَنَّ بي إلاَّ قاتِلي أُنْظُرُوا إذَا أنامُتُّ منْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فاضْرِبُوهُ ضُربَةً بِضَرْبَةٍ ولا يُمَثَّلُ بالرَّجُلِ فإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ إيَّاكُمْ والمُثْلَةَ ولوْ بالكَلْبِ العَقُورِ.

◁ اللغة

(لاَ تَبْغِيا) أي لا تطلبا (زُوِيَ) بضّم الزّاء بصيغة المجهول أي قُبض ونحیٰ عنكما، (فَلاَ تُغِبُّوا) أغَبَّ القوم جاءهم يوماً وتَرَك يوماً أي لا تتركوا أفواههم من الطّعام (تُناظَرُوا) بضّم التاء مَبني للمجهول من ناظر يُناظر أي لا يُنظر اليكم بالكرامة (التَّباذُلِ) مصدر قولك تباذَل مأخوذ من البَذل والعطاء (لا أُلْفِيَنَّكُم) أي لا أجدّنكم (لا يُمَثَّلُ) التّمثيل التّنكيل والتّعذيب أو هو التّشويه بعد القتل أو قبله:

◁ المعنیٰ

(أُوصِيكُما بِتَقْوَیٰ اللّهِ) فأنّها مفتاح كلّ خير (وأنْ لا تَبْغِيا الدُّنْيا) ولا تطلباها (وأن بَغَتْكُما) وطلبتكما (ولا تَأسَفا) في الدّنيا (علیٰ شَيْءٍ زُوِيَ) وقُبض (عَنْكُماْ وقُولاً بالحَقِّ واعْمَلاَ لِلأَجْرِ) أي لِلّه تعالیٰ فأنّه يُوجبُ الأجر (وكُونا لِلظّالِمِ خَصْماً) وعدّواً (ولِلْمَظْلُومِ عَوْناً) وناصراً (أُوصِيكُما وجَمِيعَ ولَدِي) أي أولادي (وأهْلي ومَنْ بَلَغَهُ كِتَابي) الیٰ يوم القيامة من شيعتي (بِتَقْوَیٰ اللّهِ) فأنها خير الزّاد (ونِظْمِ أمْرِكُمْ وصِلاحَ ذَاتِ بَيْنَكُمْ فأنّي سَمِعْتُ رسُول اللّه ﷺ يَقُولُ صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنَ) أي الإصلاح بين المؤمنين (أفْضَلُ من عامَّةِ الصَّلاَةِ والصِّيامِ) لكونه أكثر نفعاً منها فهو أفضَلُ.

(واللّهَ اللّهَ في الأَيْتامِ) أي إذكروا اللّه فيهم (فَلاَ تُغِبُّوا أفْوَاهَهُمْ) أي لا تقطعوها عن الإطعام (ولا يَضِيعوُا بُحَضْرتِكُمْ) وعندكم (واللّهَ اللّهَ في جِيرَانِكُمْ فإنَّهُمْ وصِيَّة نَبِيِّكُمْ) قد أوصیٰ بهم (مَا زَالَ يُوصِي) النّبي (بِهِمْ) بالجيران (حتّیٰ

ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ) أي يجعل لهم حقاً في الميراث (واللّهَ اللّهَ في القُرآنِ) والعَمَل به (لا يَسْبِقْكُمْ بالعُمَلِ بِهِ) بالقرآن (غيرُكُمْ) فأنكم أحَقّ بالعَمَل به (واللّهَ اللّهَ في الصَّلاَةِ) وإقامتها (فإنَّها عَمُودُ دِينِكُمْ) الصَّلاةِ عَمُودُ الدِّين (واللّهَ اللّهَ في بَيْتِ رَبِّكُمْ) وهو الكَعبة (لا تُخَلُّوهُ) أي لا تتركوا زيارة البيت (ما بَقِيتُمْ) في الدّنيا فأنّه (إن تُرِكَ لمْ تُناظَرُوا) أي لا يُنظر اليكم بالكرامة من اللّه تعالىٰ (واللّهَ اللّهَ في الجِهَادِ بأَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ وأَلْسِنَتِكُمْفي سَبِيلِ اللّهِ) والتّقرب اليه لا لأمرٍ آخر (وعَلَيْكُمْ بالتَّوَاصُلِ) صلة الأرحام (والتّباذُلِ) أي الجُود والعطاء (وأيّاكُمْ والتَّبادَلَ والتَّقاطُعَ) أي أحذروا عن قطع الصِلّة والأِمساك (لا تَترَكُوا الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ) لوجوبهما علىٰ كلّ مُسلم بشرائطهما (فَيُوَلّي عَليكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ) اللّه (فَلاَ يُسْتَجابُ لَكُمْ) بسببِ تركهما (يا بَني عَبْدِ المُطَّلِب لا أُلْفِيَنَّكُمْ) أي لا أجدَنكم بعدي (تَخُوضُونَ دِماءَ المُسْلِمينَ خَوْضاً تَقُولُونَ قُتِلَ أَميرُ المؤمِنينَ لا تَقْتُلَنَّ بي إلاَّ قاتِلي) فأنّ النّفس بالنّفس (أُنْظُرُوا إذَا أنا مُتُّ منْ ضَرْبَتِهِ) أي من ضربة ابن مُلجم (هَذِهِ) الضَربة (فأضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ) كما هو مُقتضىٰ العَدل (ولا يُمَثَّلُ بالرَّجُلِ) أي لا تمثّلوه بعد قتله أو قبله (فإنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ أَيّاكُمْ والمُثْلَةَ) أي إحذروها (ولوْ بالكلْبِ العَقُورِ) فضلاً من الإنسان:

◁ الشّرح

إعلم: أنّ هذه الوصّية ممّا أوصاه عليه السلام لما ضَربه ابن مُلجم للحسن والحُسين بحسب الظّاهر ولجميع شيعته ومُحبّيه الىٰ يوم القيامة بحسب الواقع ونحن نتكلم إنشاء اللّه في كيّفية شهادته عليه السلام ووقتها وعِلتّها وما وقع بعدها وفي نسب ابن مُلجم وحالاته بعد الفِراغ عن شرح كلماته:

▫ **قوله عليه السلام: أُوصِيكُما بِتَقْوىٰ اللّهِ وأَنْ لاَتَبْغِيا الدُّنْيا وإنْ بَغَتْكُما ...**

إفتتح عليه السلام وصيّته بالتّقوىٰ لأنّها أصل العَمَل وأساسه فأنّ اللّه تعالىٰ يقول في

كتابه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١) فلا قيمة لِلعمل اذا لم يصدر عن التّقوىٰ وقد مرّ الكلام فيها غير مرّةٍ وأمّا قول ﷺ: **وأنْ لاَتَبْغِياالدُّنْيا وإنْ بَغَتْكُما**، فقد إتّفقوا علىٰ أنّ المراد لا لا تطلبا الدّنيا وأن طلبتكما وفي هذا التّفسير إشكالان، أحدهما أنّ البَغي في اللّغة لَم يجئ معنىٰ الطّلب إلاّ بضربٍ من التأويل فكيف فسّروه به في المقام، وثانيهما أنّ طلب الدّنيا علىٰ إطلاقه لا ذَمّ فيه وأنّما المَذمُوم فيه طلب الدّنيا للدّنيا وأمّا طلبها لِلآخرة فأيّ إشكال فيه:

والجواب أنّ البَغي في الأصل طلب تَجاوز الإقتصاد فيما يَتَّحرىٰ تَجاوزه أو لَم يَتجاوزه فَتارة يعتبر في القدر الّذي هو الكمّية وأُخرىٰ في الوَصف الّذي هو الكيْفية يقال بغيتَ الّشيْ اذا طَلبتَ أكثر ما يجب وعليه فالمعنىٰ لا تَطلبا الدّنيا أكثر ممّا يجب أن تَطلب وأمّا طلبها بقدر ما يجب فلا إشكال فيه بل هو مَمدوحٌ فأنّ الكّاد فيه لعياله كالمُجاهد في سبيل اللّه ومنه يظهر الجواب عن الإشكال الثّاني أيضاً لأنّ طلبها لها خارج عمّا يجب وطلبها لِلآخرة داخل فيه وبذلك ظهر لك أنّ تَفسيرهم الكلام بما فَسّروه علىٰ إطلاقه لا يَصّح فأنّ البَغي مُطلقاً ليس مذمُوماً منّهياً عنه ألا ترىٰ أنّ تجاوز العَدل الىٰ الإحسان والفرض الىٰ التّطوع من البَغي وهو مَمدوح وأمّا تجاوز الحقّ الىٰ الباطل أو تجاوزه الىٰ الشُّبه فهو مذمُومٌ فالمنّهي عنه في المقام هو البَغي المَذمُوم لا المَمدُوح وأمّا الشّراح حيث لَم يَتّوجهوا الىٰ هذه النكتته الدقيقة الخَفية فَفَسّروه بالطّلب المُطلق وغَفلُوا عن الإشكال الوارد عليهم من أنّه كيف نَهىٰ ﷺ عن طَلب الدّنيا بقولٍ مُطلق وهو مُخالف للعقل والشّرع أَليستَ التّجارات والزّراعات والصّناعات وغيرها من الحِرَف كُلّها طلباً للدّنيا فلو كان طلبها مذمُوماً علىٰ الإطلاق يلزم إختلال النّظم في العالم وهو كما ترىٰ.

وفي المقام إحتمال آخر وهو أن يكون المعنىٰ لا تَبغيا أي لا تَظلما أهل الدّنيا وأن بَغتكما أي وأن بغىٰ أهل الدّنيا عليكما لأنّكما لو كنتما مظلومين خير

١-مائده - ٢٧

من أن تكونا ظالمين وعليه فَحُذف المُضاف وهو الأهل وأُقيم المُضاف اليه وهو الدّنيا مقامه مثل قوله تعالىٰ: ﴿وإسأل القرية﴾ أي أهلها، وهذا المعنىٰ ممّا يساعده اللّغة أيضاً فأنّ البَغي في الأصل التّجاوز وهو معنىٰ الظّلم بعينه ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ (١) أي ظلمكُم.

▫ **قوله ﷺ: ولا تَأسفا علىٰ شيْ زُوِيَ عنكما وقُولاً بالحَقّ واعْمَلاً لِلأَجْرِ وكُونا لِلظَّالِمِ خَصْماً ولِلْمَظْلُومَ عَوْناً ...**

ثمّ أوصاهما بأمُور أربعة أو خمسة:

أحدها: عَدم التّأسف علىٰ ما مضىٰ وفات فقال ﷺ: **ولا تَأسفا علىٰ شيْ منها** زوىٰ عنكما والوجه فيه ظاهر لكونه لغواً عَبثاً لا فائدة فيه فأنّ التّأسفٍ عليه كالتّأسف علىٰ ما لَم يأت بعد.

وثانيها: القول بالحقّ ولعلّه هو المُراد في الأحاديث الواردة كقول الصّادق ﷺ أُوصيكُم بتّقوىٰ اللّه وصدق الحديث وأداء الأمانة، وفي آخر عليكم بالوَرع والإجتهاد وصدق الحديث وهكذا وقد قال علّي ﷺ **قولوا الخير تُعرفوا به** الحديث وقد مَرّ الكلام فيه.

وثالثها: العَمَل لِلأجر والمقصُود منه الأجر علىٰ العَمَل من اللّه تعالىٰ لا مطلق الأجر من أيّ شخصٍ كان والأكل عَمَل له أجرٌ لا محالة وعليه فالمراد أنّ العَمَل ينبغي أن يكون لِللّه تعالىٰ لا لغيره وقال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً﴾ (٢)

و: ﴿وإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ (٣)

و: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ (٤)

ورابعها: كُونا لِلظّالم خَصماً ولِلمظلُوم عَوناً، قلباً ويَداً ولِساناً وقد ورد أنّ من أحبّ حجراً اللّه مَعه حشره اللّه معه ومن أعان ظالِماً سَلطّه اللّه عليه فمن

١- يونس ٢٣
٢- النّساء ـ ١١٤
٣- النّساء ـ ٤٠
٤- البقرة ـ ١١٢

أحبّ ظالماً يُحشَر مَعه ومن أحبّ مظلوماً كذلك واذا كان حُبّ الظّالم مذمُوماً فيكون بغضه مَمدُوحاً لعدم الفصل بين الحُبّ والبُغض ولا نعني بالخُصومة إلّا البُغض كما لا نعني بالمعاونة لِلمظّلوم إلّا الحُبّ هذا بالنّسبة الىٰ القلب وأمّا اللسّان واليَد فهما من توابع الحبّ والبُغض القلَبّيين فهو الأصل وهما الفرعان عليه والإطلاق يشمل الكلّ قال بعض المؤرخين لمّا أراد ابن هُبيرة أن يجعل رجلاً للقضاء أبىٰ وإمتنع من القبول ولمّا سأله ابن هُبيرة عن علّة إمتناعه قال ما كنتُ لآلي لك بعد ما حدّثني إبراهيم قال وما حدّثك قال حدّثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسُول اللّه ﷺ اذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ أينَ الظَلَمة وأعوان الظّلمة وأشباه الظّلمة حتّىٰ مَن برىٰ لهم قَلماً أو لاق لهم دواة، فيجعلون في تابوت من حديد ثمّ يُرمىٰ بهم في نار جَهنّم انتهىٰ« مجموعة ورّام ج ١ ص ٥٥»...

وقد روىٰ أنّ مَن مشىٰ مع ظالمٍ ليُعينه وهو يعلم أنّه ظالم فقد خَرَج من الإسلام انتهىٰ« ص ٥٤»....

وعن بعضهم، مَن دَعا لظالمٍ بالبقاء فقد أحبّ أن يُعصي اللّه في أرضه انتهىٰ« ص ٥٤»...

□ قوله ؛: **أُوصِيكُما وجَمِيعَ وَلَدِي وأهْلي ومَنْ بَلَغَهُ كِتَابي بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ ونَظْمِ أمْركُم وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنَكُمْ فإنّي سِمِعْتُ جَدَّكُم ﷺ يَقُولُ صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ أفْضَلُ منْ عامَّةِ الصَّلاَةِ والصِّيامِ ...**

ثمّ قال، أُوصيكما وجميع وِلدي وأهلي من الرّجال والنّساء ومَن بَلغه كتابي الىٰ يوم القيامة بتّقوىٰ اللّه فأنّها خير الزّاد ليوم القيامة ونظم أمْرَكم وصلاح ذات بينكم لكونه (أفْضَلُ منْ عامّةِ الصَّلاَةِ والصِّيامِ) وأمّا التّقوىٰ فلا كلام فيها فأنّها الأصل والأساس في كلّ عَمل وقد مرّ الكلام فيها غير مرّة:

وأمّا نظم الأمر وصلاح ذات البين فقد قيل أنهما واحد والثّاني تفسير لِلأوّل وتوضيح له وهذا هو الّذي يظهر من الشّراح في المقام فأنّهم لم يُفسّروا قوله

ﷺ: **نظم أمرَكم،** مُستقلاً بل قنعُوا بما قالوا في صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ ومحصّل ما أفادوه في المقام في تفسير الكلام هو أنّ المراد إيجاد الأُلفة بينهم ورفع الإختلاف والنّفاق عنهم لو كان وهذا ممّا لا بأس به اذ لا شك في حُسن الأُلفة وقُبح الإختلاف بين المُسلمين وأنّه يجب على كلّ مُسلمٍ صلاح ذات البين وأنّما الإشكال في الحديث الّذي رواه ﷺ عن رسُول اللّه.

▫ **قوله ﷺ: صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عامَّةِ الصَّلاَةِ والصِّيامِ...**

بأنّه (**أَفْضَلُ مِنْ عامَّةِ الصَّلاَةِ والصِّيامِ**) وحيث أنّه ﷺ روي الحديث وقال سمعتُ جدّكما، فلا يمكن الخدشة في صحّة الحديث أصلاً واذا كان كذلك فما معنى الحديث وكيف يكون(صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ أَفْضَلَ مِنْ عامَّةِ الصَّلاَةِ والصِّيامِ)وهذا الإشكال جَعَلهم حيارىٰ في شروحهم فمنهم مَن فَرَّ من المعركة كالشّارح المُعتزلي حيث قنع في تفسيره بشعرٍ عن عبد الملك بن مروان ولم يأتِ بشيءٍ آخر كما هو دأبه في شرح المفصلات ومنهم من يتّصدىٰ لحلّ المُعضَل فقال في شرحه ما قال كالشّارح البحراني كما ستعرف وأمّا غيرهما من الشّراح فهم في الحقيقة شرحوا بعض ألفاظ الكتاب فما ذكروه بعنوان الشّرح ليس بشرح بل ترجمة اللّفظ فَحسبُ ونحن أيضاً لا نتوقع منهم أكثر منه لأنّ شرح كلام أمير المؤمنين موقوفٌ علىٰ فهم كلامه وهو مُشكلٌ جدّاً وقد سألني بعض الخُطباء عن هذه المسئلة وقال أنّي راجعتُ الشّروح ولَم أُقنَع بما قالوا لأنّهم لم يذكروا شيئاً يشبعني بل فَرّوا من المعركة وخلصّوا نفوسهم وعُقولهم من الخَطَر:

وأنا أقول: أنّي أُقرّ علىٰ نفسي بالعَجز عن فهم المراد ولا أدعّي دَركه وفَهمه ولكنّي أذكر في المقام ما ألهَمَني اللّه فيه بِبَركة صاحب الوَلاية فأن كان حقّاً فهو وإلّا فعلّيَ وقبل الخوض في أصل الإشكال والجواب عنه نقول:

الحقّ أنّ قوله ﷺ: **نَظْم أمركم،** يُغاير قوله صَلاَحُ ذَات البَيْنِ فهو شيءٌ وذاك شيءٌ آخر وذلك لأنّ المراد بنظم الأمر هو الإنضباط وإجراء العَدل في جميع

الشّؤن والوفاء بالعَهد وصلّة الرّحم وأمثالها كلّ ذلك بمقتضىٰ موازين العقل والشّرع فأنّ المؤمن يكون مُنظبطاً وعلىٰ هذا المعنىٰ يحمل ما وَرَدَ من الأخبار كقولهم المؤمن اذا عَهد وفا، وقولهم المؤمنون عند شروطهم».

وأمّا صلاح ذات البين فالظّاهر أنّ المراد رفع الإختلاف والنّفاق من بينهم ولازمه إيجاد الأُلفة والوَحدة بين المُسلمين لقوله تعالىٰ: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾**(١)

وأمّا الإشكال فيه ليس في أصل الحكم فأنّه أمرٌ ممدوح مُرغبٌ فيه عقلاً وشرعاً وأنّما الإشكال في كونه (**أَفْضَلُ منْ عامَّةِ الصَّلاَةِ والصِّيامِ**) وهنا إحتمالات:

أحدها: أن يكون المراد بعامّة الصَّلاَةِ والصِّيامِ عامتّهما بالنّسبة الىٰ الفاعل وعليه فالمعنىٰ، صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ لكلّ شخصٍ من الأشخاص أفضل من صلاته وصيامه بطريق العموم:

وثانيهما: أن يكون المراد بعامّة الصَّلاَةِ والصِّيامِ صلوة العامّة وصيامها وذلك لأنّ صلٰوة العامّة وصيامها كثيراً ما تكون فاقدة لشرائط الصّحة وعليه فهو من إضافة الصّفة الىٰ الموصوف من قبيل جرد قطيفةٍ والمعنىٰ أنّ صلاح ذات البين أفضل من الصّلاة والصّيام الّتي يفعلونها عَوام النّاس:

وثالثها: أن يكون المراد من الصّلوة والصّيام المندوبة منهما لا الواجب والمعنىٰ أنّ صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ أَفْضَلُ منْ الصَّلاَةِ المندوبة وهذا المعنىٰ إحتمله بعض الشّراح ثُمّ قَطَع به .

ورابعها: حمل الصّلوة والصّيام علىٰ معناهما اللّغوي لا المعنىٰ المُصطَلح في عُرف الشّرع وذلك لأنّ الصّلوة في اللّغة الدّعاء أو مطلق الذّكر وفي الإصطلاح الأفعال والأركان والأذكار المخصوصة المسبوقة بالنّيّة أولها التّكبير وآخرها التّسليم علىٰ ما بيّن في الشّرع والصّوم في اللّغة الصّمت قال أبو عبيدة

١- ال عمران ١٠٣

كلّ ممسكٍ عن طعامٍ أو كلامٍ فهو صائم، وفي الشّريعة هو الكّف عن المُفطرات مع النّية ومعنىٰ الحديث أنّ صلاح ذات البين أفضل من الأدعية والكّف والإمساك عن الكلام أي أنّ المؤمن لا يَشتَغِل بالدّعاء أو السّكوت في هذا المَورد:

وخامسها: أن يكون اللّفظ علىٰ ظاهره وكون صلاح ذات البين أفضل من جهة أنّ صلاح ذات البَين يوجب الأُلفة والوَحدَة بين النّاس فَنَفعه عامّ وأمّا الصّلٰوة والصّيام تُوجب تقّرب العَبد الىٰ اللّه تعالىٰ ونفعها خاصّ لا يسري من الفاعل الىٰ غيره ومن المعلوم أنّه اذا دار الأمر بين إصلاح النّاس وإصلاح الشّخص فالأوّل أَولىٰ وأَفضَل كما ورد، من أَصبح ولم يهتّم بأُمور المُسلمين فَليس بمُسلم.

سادسها: ما ذكره الشّارح البحراني ﷺ من أنّ الذّات كناية عن الحالة الموجبة للبَين والإفتراق وقيل هي الحالة بين الرّجلين أو القبلتين أو الرّجل وأهله ، أُمِر بإصلاح ما بينهما من فسادٍ:

وسابعها: ما ذكره أيضاً وهو أن يراد بالبين الوصل وبالذّات النّفس أي أصلحوا نفسٌ وصلكم من فسادٍ يقع فيه:

وثامنها: ما ذكره أيضاً وحاصله أنّ الذّات هنا زائدة كقوله تعالىٰ: ﴿**وأصلحوا ذات بينكم**﴾ هو صلاح ذات البين من لوازم الأُلفة والمحبّة في اللّه وهي فضيلة تحت العفّة الىٰ آخر ما ذكرناه وهذا الوجه الأخير قوّاه الشّارح في المقام وإستّدل عليه بأنّ إنتظام النّاس لن يتّم تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران الفِتنة بينهم فكان صلاح ذات البين ممّا لا يتّم أهم مطالب الشّارح الأخير وهذا المعنىٰ غير موجودٍ في الصّلٰوة والصّيام لإمكان المطلوب المذكور بدونهما فتحّققت فضيلته من هذه الجهة علىٰ الصّلٰوة والصّيام فهذه هي الوجوه المُحتملة في المقام في شرح الحديث ولَعلّ أَحَسنها الوجه الخامس أو الوجه الثّامن الّذي ذكره البحراني واللّه أعلم:

ثمّ أنّ إصلاح ذاتِ البَيْنِ ممّا أشار اللّه تعالىٰ اليه في مواضع من كتابه قال تعالىٰ: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (١)

و: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (٣)

و: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٤)

و: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٥) والغرض من ذكر الآيات أنّ الإصلاح بين النّاس من الأمور المهّمة الّتي لا ينبغي إهمالها بل هو في رأس الأُمور اذ الإجتماع اذا لم يكن فيه صلاح وسداد لا خير فيه أصلاً لا في الدّنيا ولا في الآخرة بل الدّين عند التّحقيق سببٌ ووَسيلة الىٰ هذا الأصل الأصيل ،ألا ترىٰ أنّ الصّلٰوة مع الجماعة أفضل منها بغيرها لأنّ إجتماع المُسلمين في صفوف واحدة مُتشكّلة يُوجب الإتّفاق والإتّحاد والتّأليف بين القلوب مع أنّ الصّلٰوة في الجماعة وغيرها واحدة من حيث الإذكار والأوراد والأركان وغيرها وأنّما الفرق في أثر الصّلوتين:

وأمّا الحجّ والصّوم والزّكاة والجهاد وأمثالها من الواجبات فكونها مُقدّمة للوصول الىٰ تأليف القلوب لا يحتاج الىٰ توضيح وبيان ولمّا وصلتُ الىٰ هذا المقام وكتبت في معنىٰ الحديث ماكتبتُ خَطَر ببالي شئٍ آخر في معنىٰ الحديث فأردتً أن أذكره وملخصّه أنّ صلاح ذات البين يُطلق بحسب

١- النّساء-١١٤
٢- هود-١١٧
٣- الاعراف-١٧٠
٤- الانفال-١
٥- الحّجرات-٩ و ١٠

الإشتراك الصّناعي على أمور:

أحدهما: ما هو المُتعارف بين النّاس من رفع الإختلاف والنّفاق وتبديل العداوة والبغضاء بالصّلح والصّفا في أُمور الدّنيا كالإختلافات المَالية والمَقامية والكسّبية والزّراعية وأمثال ذلك من الإختلافات النّاشئة عن سوء الفّهم وقلّة التّدبر والعصّبية وما شابهها وما ذكره البحراني ﷺ من هذا القبيل وجامعه الإختلاف في أُمور الدّنيا:

وثانيهما: أن يكون المراد بالصّلاح ما يُقابل الفساد في أمر الدّين لا في أمر الدّنيا كما اذا رأينا شخصاً أو أشخاصاً أو إجتماعاً شاع فيهم الفساد والعصيان فالواجب حينئذٍ علىٰ كلّ من يقدر علىٰ إصلاح النّاس أن يُصلحهم ولا يجوز له أن ينعزل عن النّاس في بيته وهذا الصّلاح هو الّذي أفضل من كلّ شئ وبهذا يَفْرق بين العابد والعالم:

وثالثها: أن يكون الصّلاح مُقابلاً لِلفساد في الخُلق فأنّ من كان مُتّصفاً بالأخلاق الفاسدة كالحَسَد والبُخل والظّلم والكِبر وأمثالها يجب إصلاحه وإصلاحه أفضل من عامّة الصّلوة والصّيام في حقّه لأنّ العبادة النّاشئة عن القلب الفاسد المُتّصف برذائل الأخلاق لا قيمة لها ويمكن أن يكون إصلاحه أفضل من الصّيام والصّلوة في حقّ الفاعل أيضاً من حيث الثّواب فأنّ نجاة الفاسد من فساده وإرشاده الىٰ طريق الثّواب لا يعلم ثوابه إلّا اللّه تعالىٰ وذلك لِما ورَد في الحديث أنّه خير ممّا طَلَعت الشّمس عليه الىٰ يوم القيامة:

اذا عرفت هذه الإحتمالات في صلاح ذات البَين فالحقّ أنّ المراد به المعنىٰ الثّاني والثّالث وإن كان الأوّل أيضاً لا يُنكر فضله إلّا أنّهما أعنّي الأخيرين أهَمّ وأفضل واذا كان كذلك فيصير المعنىٰ إصلاح شخصٍ أو أشخاص في أمر دينهم بإنقاذهم عن الهَلَكات وإرشادهم الىٰ طريق الثّواب وبالجملة نجاته أو نجاتهم عن الضّلالة والغواية أفْضَلُ منْ عامَّةِ الصّلوة والصّيامِ ثواباً وأجراً وهذا ممّا لا إشكال فيه أصلاً فتأمل في المقام لأنّه دقيق واذا أضفت هذه الوجوه

الثلاثة الىٰ ما ذكرناه سابقاً تصير الوجوه المُحتملة في المقام أَحَد عشر وَجهاً: وأنتَ مُختار في إختيار كلّ واحدٍ منها فأقضِ ما أنتَ قاض وباللّه التّوفيق:

□ **قوله ﷺ: واللّهَ اللّهَ في الأَيْتامِ فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ ولا يَضيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ...**

بعد أمره ﷺ بصلاح ذات البَيْنِ ذكر (**الأَيْتامِ وقال فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ**)وهو كناية عن إطعامهم وعدم الغفلة عنهم يُقال أغَبّ القوم اذا جاءهم يوماً وترك يوماً، أي لا تفعلوا بالأيتام هكذا بل وصلوا أفواههم بالطَعام ولا تقطعُوا عنهما وقوله ﷺ: **ولا يَضّيعُوا بِحَضْرَتِكُم أي لا يَضيعُوا الأَيْتامِ** وأنتم حاضرون ولعلّ المراد بتّضيعيهم تضيع حقوقهم أو المراد مُطلق التّضييع وكيف كان فهو إشارة الىٰ نُصرة الأيتام ورفع الجور عنهم، قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾** (١)

و :**﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾** (٢)

و :**﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾** (٣)

وقال مُخاطباً لنّبيه: **﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾** (٤)

روي في البحار بأسناده عن أبي جعفر قال ﷺ أربع من كُنّ فيه بنىٰ اللّه له بيتاً في الجنّة من آوىٰ اليَتيم ورَحِمَ الضّعيف وأشفَق علىٰ والديه ورَفِق بمملوكه انتهىٰ« ج ١٦ ص ١١٩»...

وبأسناده عن الصّادق عن آبائه قال قال رسُول اللّه ﷺ مَن عالَ يُتيماً حتّىٰ يُستغني عنه أوجب اللّه عزّ وجلّ له بذلك الجنّة كما أوجَبَ لِآكِل مال اليَتيم النّار« ص ١٢٠»...

وبأسناده عن الصّادق عن آبائه قال قال أمير المؤمنين ما من مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ يَضع يده علىٰ رأس يتيم تَرحُمّاً له إلاّ كَتب اللّه له بكلّ شعرة مرّت يده عليها حَسَنة «ص ١٢٠»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال ما من عبدٍ يَمسح يَده علىٰ رأس يتيم

١ - الضّحىٰ ـ٩
٢- الإنسان ـ٨
٣- البلد ـ١٥
٤- الضّحىٰ ـ٦

رحمةً له إلاّ أعطاه اللّه بكلّ شعرة نُوراً يوم القيامة « ص ١٢٠»...

وعن أنس بن مالك قال قال رسُول اللّه ﷺ ألا مَن كان في منزله يَتيم فأشبعه أو كساه ولم يؤذه ولم يضربه يُقبل منه عَمله « مشكاة الانوار ص ١٦٧»...

وقال رسُول اللّه ﷺ مَن ضَم يَتيماً بين أبوين مُسلمين حتّىٰ يستغني فقد وَجبت له الجنّة ألبتة « ص ١٦٧»...

وقال رسُول اللّه ﷺ أَشبِع اليَتيم والأرملة وكُن لليَتيم كالأب الرّحيم الحديث « ص ١٦٨»...

▫ قوله ﷺ: واللَّهَ اللَّهَ في جِيرَانِكُمْ فإنَّهُمْ وصِيَّة نَبِيِّكُمْ ما زالَ يُوصِي بِهِمْ حتّىٰ ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُوَرِّثهُمْ ...

ثُمّ عقب الكلام بذكر الجيران وأوصاهما ومن بعدهما بمُراعاة حقوقهم فأنّ حقّ الجار علىٰ الجار عظيم بحيث قال ﷺ: **ظَنَنَّا** أنّ رسُول اللّه سَيُوَرِّثهُم أي يجعل لهم حقّاً في الميراث: قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتَامىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾**(1)

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال عليكم بحُسن الجوار فأنّ اللّه عزّ وجلّ أمَرَ بذلك « الخبر ج ١٦ ص ٤٣»...

في مناهي النّبي ﷺ أنّه قال من خان جاره شبراً من الأرض جَعلها اللّه طوقاً في عُنقِه من تخوم الأرضين السّابعة حتّىٰ يلقي اللّه يوم القيامة مطوقاً إلاّ أن يتوب ويَرجع وقال من آذىٰ جاره حرّم اللّه عليه ريح الجنّة ومأواه جهنّم وبئس المَصير ومن ضَيع حقّ جاره فليس منّا وما زال جبرائيل يُوصيني بالجار حتّىٰ ظنَنت أنّه سيُورّثه انتهىٰ « ص ٤٣»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال من كَفَّ أذاه في جاره أقالَّ اللّه عزّ وجلّ

1- النساء ـ ٣٦

عترته يوم القيامة « الخبر ص ٤٣»...

وبأسناده عن الرّضا عليه السلام قال ليس مِنّا مَن لم يأمَن جاره بوائقه « ص ٤٣» والأحاديث كثيرة.

□ **قوله عليه السلام: واللّهَ اللّهَ في الْقُرْآنِ لا يَسْبِقْكُمْ بالعُمَلِ بِهِ غيرُكُمْ ...**

أشار عليه السلام بكلامه هذا الىٰ أمرين أحدهما، أنّ القرآن لِلعَمَل بـه لا لِـلقراءة فقط، وثانيهما أنِ لا يَسْبِقْكُمْ بالعُمَل بِهِ غيرُكُمْ بل ينبغي أن تكونوا سابقين فيه علىٰ غيركم والوجه فيه أمران:

الأوّل: أنّ القرآن والعَمَل بـه خـير بـل أحسَـن الخـيرات وقـد قـال اللّـه تعالىٰ:﴿**فإستبقوا الخَيرات**﴾

والثّاني: أنّهم أهل البيت وهُم أوّلىٰ بالعَمَل بالقرآن من غيرهم لأنّه نزَل في بيوتهم .قد مرّ الكلام في القرآن والعَمَل به وذكرنا هناك شـطراً مـن الأخـبار الواردة فيه ولكن لما كانت الحوالة تُوجب الملالة نذكر في المقام أيضاً شطراً آخر منها:

روي الفيض رحمه الله في مُقدمات تفسيره عن العياشي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نجىٰ بها مـن كـان قـبلكم فأعـملُوا بـه ومـا وجدتموه مِمّا هلك بها من كان قبلكم فأجتنبُوه انتهىٰ...

وفي تفسير الإمام قال قال رسُول اللّه أنّ هذا القرآن هـو النّـور المُـبين والحَبل المَتين والعُروة الوُثقىٰ، والدّرجة العلياء والشّفاء الأشفىٰ والفضيلة الكُبرىٰ والسّعادة العُظمىٰ مَن إستضاء به نَوّره اللّه ومَـن عَـقد بـه أُمـوره عَصَمه اللّه ومَن تَمَسّك به أنقذَه اللّه ومَن لم يُفارق أحكامه رَفَعه اللّه ومَن إستشفىٰ به شفاه اللّه ومَن آثرهُ علىٰ ما سواه هداه اللّه ومَن طلب الهُدىٰ في غيره أضَلّه اللّه ومَن جَعله شعاره ودثاره أسعده اللّه ومَن جَعَله إمامه الّذي يقتدي به ومعوّله الّذي ينتهي اليه أدّاه اللّه الىٰ جنّات النّعيم والعيش السّليم انتهىٰ...

أقول: هذا الحديث يكفينا في المقام:

ثُمّ أنّ المراد بالعَمَل به إجراء أحكامه في الخارج فإذا مَرّ الإنسان بآية الصّلٰوة مثلاً صلّىٰ وفي الزّكٰوة زكّىٰ وفي الصّوم صام وهكذا في المُحرّمات من الغيبة والكِذب والزّنا وأمثالها تركها فمَن عَمِل بالقرآن فقد فاز فوزاً عظيماً في الدّنيا والآخرة:

□ قوله ﷺ: **واللّٰهَ اللّٰهَ في الصَّلاَةِ فإنَّها عَمُودُ دِينكُمْ واللّٰهَ اللّٰهَ في بَيْتِ ربِّكُمْ لا لاتُخَلُّوهُ ما بَقِيتُمْ فإنَّهُ إنْ تُرِكَ لَمْ تُناظَرُوا ...**

أشار ﷺ الىٰ قول الرّسول ﷺ الصّلٰوة عمود الدّين إن قُبِلَت قُبِلَ ما سِواها وإن رُدّت رُدّ ما سِواها وقال من تَرَك الصّلٰوة عَمداً فقد كَفَرَ وأمّا بيت الرّب فالمراد به الكَعبَة الّتي جَعَلها اللّه قياماً للنّاس وقال في حقّه من دَخَله كان آمناً وغير ذلك من الأخبار والآيات الواردة في فضلهما وشرفهما وحيث إنّا قد فصّلنا الكلام في الصّلٰوة والحجّ فيما مضىٰ بما لا مزيد عليه فلا نُطول الكلام به ثانياً وأمّا قوله ﷺ فأنّه أن تُرِكَ لَم تُناظَرُوا فالظّاهر أنّه بفتح الظاء بصيغة المجهول والمعنىٰ لو تُرِكَ الحجّ من غير عذرٍ عقلي أو شرعي لم تُراقبوا من اللّه ومن الخَلق فأنّ المُناظَرة المُراقبة وبعبارةٍ أُخرىٰ لا ننظُر اليكم بالكرامة لا مِن اللّه ولا مِن النّاس لاهمالكم فرض دينكم:

□ قوله ﷺ: **وَاللّٰهَ اللّٰهَ في الجِهَادِ بأَمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ وألْسِنَتِكُمْ في سَبِيلَ اللّٰهِ...**

وقد مرّ الكلام في الجهاد أيضاً غير مرّةٍ وقوله ﷺ: **بأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ وألْسِنَتِكُمْ** في سبيل اللّه إشارة الىٰ أصلين لابدّ لِلمُجاهد مُراعاتهما ولا سيّما الثّاني فيهما:

أحدهما: أنّ الجهاد لا ينحصِر بالقتال في سبيل اللّه بالسّيف والسِنان أو بمطلق السّلاح في كلّ عصرٍ وزمانٍ بل الجهاد قد يكون بالمال وقد يكون بالنّفس وقد يكون باللّسان بمقتضىٰ الزّمان والمكان وثانيهما، أن يكون ذلك

كلّه في سبيل اللّه أي تقّرباً اليه لا في سبيل الطّاغوت للوصول الىٰ الدّنيا وشهواتها من المال والمقام والشّهرة وغيرها وهذا هو الأصل في الباب والدّليل عليه عقلي ونقلي:

أمّا العقل: فواضح لأنّ المُجاهد في غير سبيله لا يكون مجاهداً له تعالىٰ بل يكون مجاهداً لشهواته وأمياله.

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ: **﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾**(١)

و: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾**(٢) والآيات كثيرة:

دلّت الآية الأُولىٰ بدلالة المفهوم علىٰ أنّ من لم يجاهد في سبيل اللّه لا يرجُو رحمة اللّه بل يرجُو رحمة مَن جاهد في سبيله، والثّانية علىٰ أنّ المجاهد في غير سبيلنا لا نَهديه سُبُلنا، وهو المطلوب.

□ **قوله ﷺ: وعَلَيكُمْ بالتَّوَاصُلِ والتَّباذُلِ وإيَّاكُمْ والتّدابر (والتَّبادُلَ) والتَّقاطُعَ...**

لعلّ المراد بالتّواصل صلّة الرّحم وبالتّباذُل الجُود والسّخاء والمراد بالتّبادُل بالدّال المُهملة تبديل شيءٍ بشيءٍ وفي أكثر النّسخ والتّدابر وهو الأدبار والإعراض وقيل التّدابر الإختلاف يقال تدابر القوم أي تعادوا وإختلفوا وعلىٰ الأوّل معنىٰ العبارة أيّاكم أي إحذروا التّبادل والتّقاطع أي قطع صلّة الرّحم وعلىٰ الثّاني إحذروا الإختلاف وقطع الصِلّة والأصّح التّدابر كما في أكثر النّسخ وأمّا التّبادل فلم أرِه إلّا في نسخة واحدةٍ ومعناه أيضاً لا يستقيم مع النّظر بسياق الكلام والحاصل أوصىٰ ﷺ في المقام بأمرين صلة الرّحم والجُود، ونهىٰ عن أمرين، الإختلاف وقطع الرّحم، أمّا صلة الأرحام فقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾**(٣)

وقال تعالىٰ في البَذل والجُود والعطاء والجامع الإنفاق في سبيل اللّه: **﴿وَمَا**

١- البقرة ـ ٢١٨
٢- العنكبوت ـ ٦٩
٣- الرّعد ـ ٢١

تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (١)

وغيرها منها وأمّا التّدابر والتّقاطع، قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَيَقْطَعُونَ مٰآأَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢) وقد مرّ الكلام في صلة الرّحم وقطعها أيضاً مفصّلاً:

▫ قوله عليه السلام: **لا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَيُوَلِّي عليكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجابُ لَكُمْ ...**

أشار عليه السلام في كلامه هذا الىٰ ما روىٰ عن النّبي صلى الله عليه وآله حيث قال: لتأمرنّ بالمعروف ولتنهن عن المُنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم فَيدعُوا خِيارِكُم فلا يُستَجاب لهم انتهىٰ رواه فى « جامع السّعادات ج ٢ ص ٢٣٠».

وأعلم أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنْكَرِ من أعظم مراسم الدّين وأهمّ الواجبات الّتي بعث اللّه لأجلها النّبيين ونَصب من بعدهم من الخُلفاء والأوصياء بل هو القطب الّذي تدور عليه أرحية الملل والأديان وتطرّق الإختلال فيه يؤدي الىٰ سقوطها عن الدّوران ونحن وأن تكلّمنا في الباب فيما مضىٰ من الكلام علىٰ سبيل الإجمال إلّا أنّا لم نستوفي الكلام هناك ولأهمّية البحث في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ولا سيّما في زماننا هذا الّذي شاع فيه الفساد وكثُر المعاصي والطّغيان لابدّ لنا مِن التّكلم فيها علىٰ وجه أبسط لتعلم حقيقة الحال فيهما راجياً من اللّه أن يجعلنا من الآمرين به والنّاهين عنه: فنقول يقع البحث في فصُولٍ:

الفصل الأوّل: في بيان ماهيّتهما، قال الرّاغب في المُفردات المَعْرُوفِ إسم لكلّ فعلٍ يُعرَف بالعقل أو الشّرع حُسنه والمُنْكَرِ ما ينكر بهما، وعليه فكلّ فِعلٍ يحكم العقل أو الشّرع بحُسنه فهو معروف وضدّه مُنكر والحقّ في التّعريف أن يقال المعروف إسم لكلّ شئ يُعرف بالعقل أو الشّرع حُسنه ليشمل القول والنّية وذلك لأنّ المعروف كما يطلق علىٰ الفعل كذلك يطلق علىٰ القول والنّية

١- البقرة ـ ٢٧٢ ٢- البقرة ـ ٢٧

فيقال قول معروف ونيّة معروفة أو حسنة كما ستعرف الحال فيهما وهكذا في المُنكر اللّهم إلّا أن يراد بالفعل معناه العامّ:

وقيل، المعروف إسم جامع لكلّ فعلٍ يُعرف حسنه بالشّرع والعقل من غير أن ينازع فيه الشّرع وقيل المعروف إسم جامع لكلّ ما عرف من طاعة اللّه والتّقرب اليه والإحسان الىٰ النّاس وكلّ ما يندب اليه الشّرع من المحسّنات وترك المُقبّحات وقيل غير ذلك والمآل واحد وأمّا المُنكِر فهو في الكلّ بخلاف المعروف نعم يمكن الفرق بين ما ذكره الرّاغب وغيره بأنّ الرّاغب لم يقّيد العقل فعلىٰ قوله لو حكم العقل بحسن شئ فهو معروف وأن لم يحكم به الشّرع وبالعكس لأنّ ظاهر قوله بالعقل أو الشّرع، أنّ كلمة (أو) للتّخيير لا للجمع وإلّا فحقّ العبارة أن يقول بالعقل والشّرع وذلك لما ثبت في علم الأدب أنّ الواو للجمع و(أو) للتّخيير، وأمّا علىٰ قول غيره حيث قال بالشّرع والعقل فالمعروف ما حكم العقل والشّرع معاً تحسّنه ولا يكفي الواحد منهما وأمّا القول الثّالث فالظّاهر أنّ الملاك في صدقه حكم الشّرع لا غيره:

الفصل الثّاني: في وجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكرِ والدّليل عليه من العقل والنّقل أمّا العقل فلأنّ المَعرُوف ما يحكم العقل بحُسنه والمنكر ما يحكم بقبحه كما مرّ الكلام فيه ومن المعلوم أنّ ما يُعرف العقل حُسنه يحكم ويأمر بإيجاده كما أنّ ما يُعرف قبحه يحكم بِمَحوه وإعدامه، فالمعروف يجب إيجاده عقلاً والمُنكر يجب إعدامه كذلك ولا نَعني بوجوبهما إلّا ذلك وصورة القياس هكذا، هذا معروف، وكلّ معروف يجب إيجاده عقلاً، فهذا يجب إيجاده عقلاً، ويُقال هذا مُنكر، وكلّ مُنكرٍ يحكم العَقل بمحوه وإعدامه فهذا كذلك حتّىٰ أنّ كثيراً من أهل التّحقيق قالوا بأنّهما عقليتان لا شرعيتان ولأجل ذلك يرىٰ علماء الكلام يتّعرضون لهما والبحث فيهما في كُتُبهم الكلامية العقلّية هكذا قالوا والحقّ أنّهما شرعّيان لا عقلّيان نعم العقل يحكم بحُسنهما وأمّا الوجوب فهو شئ آخر اذ ليس كلّ معروفٍ أوحَسَنٍ واجباً فأنّ المندوب

مثلاً معروف وليس بواجب كما أنّه ليس النّهي عن كلّ قبيح واجباً بل قد يكون واجباً وقد يكون مُستّحباً وحاصل الكلام أنّ الوجوب والحُرمة: وهكذا غيرهما من الأحكام الخَمسة أُمور زائدة علىٰ حُسن الفعل وقبحه نعم لا يبعد أن يكون الحسن والقبح منشأ، لِلأحكام وعلّة لجعلها والعلّة غير المعلول فالمعروف غير الوجوب والمُنْكَرِ غير النّهي نعم لو قلنا بوجوبهما عقلاً وأردنا من الوجُوب حكم العقل لا إشكال فيه وأمّا أن أردنا من الوجُوب الوجُوب الشّرعي فلا دلالة للعقل عليه وكيف كان فلا إشكال في حُسن المعروف وقبح المُنكَرِ عقلاً وهو يكفينا في المقام وقال المُحقّق الطّوسي ﷺ في التّجريد ما لفظه:

والأَمْرَ بالمَعْرُوفَ واجب وكذا النّهي عن المُنكر وبالمندوب مندوب سمعاً وإلّا لزم ما هو خلاف الواقع، أو الإخلال بحكمته تعالىٰ انتهىٰ وقال العلاّمة في شرح الكلام بعد ما بيّن ما هيّتهما ما هذا لفظه وهل يجبان سمعاً وعقلاً إختلف النّاس في ذلك فذهب قوم الىٰ أنّهما يجبان سمعاً للقرآن والسّنة والإجماع، وآخرون ذهبوا الىٰ وجوبهما عقلاً وإستّدل المصنّف علىٰ إبطال الثّاني بأنّهما لو وجبا عقلاً لزم أحد الأمرين وهو أمّا خلاف الواقع أو الإخلال بحكمته تعالىٰ والتّالي بقسميه باطل فالمتّقدم مثله، بيان الملازمة أنّهما لو وجبا عقلاً لوجبا على اللّه تعالىٰ فأنّ كلّ واجب عقلي يجب علىٰ كلّ من حَصل في حقّه وجه الوجوب ولو وجبا عليه تعالىٰ لكان أمّا فاعلاً لهما فكان يلزم وقوع المعرُوف قطعاً لأنّه تعالىٰ يحمل المكّلفين عليه وإنتفاء المُنكر قطعاً لأنّه تعالىٰ يمنع المُكّلفين عنه وهذا خلاف ما هو الواقع في الخارج وأمّا غير فاعلٍ لهما فيكون مُخّلاً بالواجب وذلك محال لما ثبت في حكمته انتهىٰ.

أقول: مراده ﷺ أنّه لولا أَمَر الشّارح بوجوبهما لم يكونا واجبين اذ لو كانا واجبين عقلاً مع قطع النّظر عن الشّرع لَوَجبا علىٰ اللّه تعالىٰ أيضاً لأنّ وَجه الوجُوب حاصل في حقّه مثلاً اذا قلنا بقُبح الظّلم عقلاً فهو في حقّه تعالىٰ أيضاً

قبيح لعدم التّخصيص في الأحكام العقليّة، ولو وجبا عليه تعالىٰ يلزم ما ذكره من خلاف الواقع أو الإخلال بحكمته هذا محصّل ما قال ﷺ في المقام ولَنا مَعه بحثٌ ليس هنا موضع ذكره وقد ذكرنا أنّا لا نحتاج الىٰ هذه الأبحاث في المقام بعد إتّفاق العقلاء علىٰ حُسن المعروف وقُبح المُنكر عقلاً وهو يكفي لنا:

وأمّا النّقل: فمن الكتاب قوله تعالىٰ: **﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**(١)

وقوله تعالىٰ: (كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢)

و : **﴿يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**(٣) وغيرها من الآيات:

ومن الأخبار – قال رسول اللّه ﷺ ما أعمال البرّ عند الجهاد في سبيل اللّه إلّا كنفثة في بحرٍ لُجّي، وما جميع أعمال البّر في الجهاد في سبيل اللّه عند الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عن المُنكر إلّا كنفثة في بحرٍ لُجي انتهىٰ...

وفي خبر جابر عن الباقر ﷺ أنّ الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ سبيل الأنبياء ومنهاج الصُلَحاء فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحلّ المكاسب وترّد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر فأنكروا بقلوبكم وألفظوا بألسنتكم وصكّوا بها جباههم ولا تخافوا في اللّه لومة لائم الخبر رويناهما عن جامع السّعادات باب الأمر بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ...

وفي مجموعة ورّام عن السكوني عن أبي عبد اللّه ﷺ قال قال أمير المؤمنين خير العَمَل أن تُلقي أهل المعاصي بوجوه مُكفَهرة...

١- آل عمران-١٠٤

٢- آل عمران-١١٠

٣- آل عمران-١١٤

وعنه عليه السلام قال الأمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهيَ عَنِ المُنْكَرِ خلقان من خلق اللّه فمن نَصرهما أعزّه اللّه ومَن خَذَلهما خَذَله اللّه...

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ويل لقومٍ لا يدينون اللّه بالأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ:

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال بئس القوم يُعيبُون الأمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنكرِ «ج ٢ ص ١٢٢ وص ١٢٤»...

وقال الرّضا عليه السلام كان رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يقول اذا أُمتّي تواكّلت الأمر بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فلِتأذن بوقاعٍ من اللّه انتهىٰ...

وعن محمّد بن عرفة قال سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول لَتأمُرنّ بالمَعْرُوفِ ولَتنهَين عن المُنْكَرِ أو ليستَعملنّ عليكم شِراركم فيدعُوا خياركم ولا يُستَجابُ لُهم انتهىٰ« رويناهما عن مشكاة الانوار ص ٣٩ و ٥٠»...

الفصل الثّالث: في شرائطهما وهي أربعة:

الأوّل: العلم بكونهما مَعرُوفاً ومُنكراً ليأمَن من الغَلَط فلا يجبان في الأُمور المُتشابهة وذلك لأنّ الأمر بالشّئ أو النّهي موقوف علىٰ معرفته فَمن لم يعرف شيئاً حُسناً وقُبحاً كيف يأمر به أو ينهي عنه قال بعض المُحققين من علم بالقطع الوجوب أو الحُرمة فله أن يأمر وينهي ويحتسب به علىٰ كلّ أحدٍ ومن لم يعلمها كذلك بل عِلمهما بالظّن الحاصل من الإجتهاد أو التّقليد وجّوز الإختلاف فيه فليس له الأمر والنّهي والحِسبَة إلاّ علىٰ من كان علىٰ هذا الإعتقاد من مُجتهدٍ أو مقّلدٍ:

الثّاني: تجويز التأثير فلو علم أو غلب علىٰ ظنّه أنّه لا يؤثر فيه لم يجب لعدم الفائدة:

الثّالث: القُدّرة والتّمكن منه وعدم فطنّته مفسدة فلو ظنّ توّجه الضّرر اليه أو الىٰ أحدٍ من المُسلمين بسببه سقط منه إذ لا ضرر ولا ضِرار في الدّين:

الرّابع: أنّ يكون المأمور أو المَنّهي مُصّراً علىٰ الإستمرار فلو ظهر منه إمارة

الإقلاع سقط للزوم العَبَث والدّليل علىٰ الثّلاثة الأوّل ما رُوي عن الصّادق عليه السلام لمّا سُئِل أنّ الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ أَواجبٌ علىٰ الأُمّة جميعاً فقال عليه السلام لا فقيل له وَلِمَ، قال أنّما هو علىٰ القوّي المُطاع العالم بالمَعْرُوفِ من المُنْكَرِ ولا علىٰ الضّعيف الّذي لا يهتدي سبيلاً الىٰ أيٍّ من أيٍّ من أيِّ يقول من الحقّ الىٰ الباطل والدّليل علىٰ ذَلك كتاب اللّه عزّ وجلّ:﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(١)

فهذا خاصّ غير عامّ كما قال اللّه عزّ وجلّ:﴿ومِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(٢) وَلم يقل علىٰ أُمّة موسىٰ ولا علىٰ كلّ قومٍ وهُم يومئذٍ أُمَمٌ مُختلفة والأُمّة واحد فصاعداً كما قال عزّ وجلّ:﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ﴾(٣) يقول مُطيعاً لِلّه عزّ وجلّ وليس علىٰ من يعلم ذلك في هذه الهُدنة مِن حَرَجٍ اذا كان لا قوّة له ولا عُذر ولا طاقة انتهىٰ«مشكاة الانوار ص ٥٠».

قال سعدة سمعتُ أبا عبد اللّه عليه السلام يقول وسُئِلَ عن الحديث الّذي جاء عن النّبي أنّ أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائر ما معناه، قال عليه السلام هذا أن يأمره بعد معرفته وهو مع ذلك يقبل منه وإلّا فلا انتهىٰ « ص ٥١»...

وفي خبرٍ آخر أنّما يؤمر بالمَعْروفِ وينهي عن المُنْكَرِ مؤمن مُتّغيظ أو جاهل يتّعلم فأمّا صاحب سوطٍ أو سيفٍ فلا انتهىٰ« جامع السّعادات ج ٢ ص ٢٣٧»...

وفي خبرٍ آخر من تعرّض لسلطانٍ جائر وأصابته بلّية لم يؤجر عليها ولم يُرزق الصّبر عليها انتهىٰ« ص ٢٣٨»...

وأمّا العدالة في الآمر والنّاهي وإئتمار الآمر بما يأمر وإنتهاء النّاهي عمّا ينهىٰ عنه فالحقّ عدم إشتراطها لاطلاق الأدّلة ولأنّه يوجب سَدّ باب الجَنّة بالكلّية عن غير المعصُوم.

١-آل عمران-١٠٤
٢-الاعراف-١٥٩
٣-النحل-١٢٠

الخامس: أنّ يظهر المُنكر من المُحتسب من غير تجسسٍ فلا يَجب بل لا يجُوز التّجسس كَفتح الباب المُغلق ووضع الأُذُن والأنف لاحتباس الصّوت والرّيح وأمثال ذلك والدّليل عليه نَصّ الكتاب حيث قال تعالىٰ:﴿**فلا تجسّسُوا**﴾

الفصّل الرّابع: في مراتبهما وهي أُمور:

أحدها: الإنكار بالقلب بأن يبغضه علىٰ إرتكاب المعصية وهذا مشروط بعلم النّاهي وإصرار المُنّهي:

وثانيهما: التّعريف بأن يعّرف المُرتكِب للمنكر بأنّه معصية فأنّ بعض النّاس قد يرتكب بعض المعاصي لجهلهم بأنّه معصية ولو عرف كونه معصية تَركه:

وثالثها: إظهار الكراهة والإعراض والمهاجرة.

ورابعها: الإنكار باللّسان والوعظ والنُصّح والتّخويف والزّجر وتباً الأيسر فالأيسر الىٰ أن تَصل الىٰ التّعنيف بالقول والتّغليظ في الكلام كقوله يا جاهل، يا أحمق لا تخالف ربّك وأمثال ذلك من الكلمات:

وخامسها: المنع بالقهر مُباشرةً مثل كسرألات اللّهو وإراقة الخمر وإستلاب الثّوب المغصُوب منه وردّه الىٰ صاحبه، وسادسها، التّهديد والتّخويف كقوله دَع هذا.

وإلاّ ضربتك أو كسرت رأسك أو حَبستك وسابعها، مباشرة الضّرب باليد والرّجل وغير ذلك من دون أن ينتهي الىٰ شهر سلاح وجراح وأمّا الجرح بشهر بعض الأسلحة فَقد جوزّه سيّدنا المرتضىٰ من أصحابنا وجماعة أُخرىٰ والباقون إشترطوا فيه إذن الإمام:

الفصّل الخامس: في شرائط الأمر بالمَعْرُوفِ والنّاهي عن المُنكَرِ وهذه الشّرائط لَيسَت من الشّرائط الشّرعية الواجبة عليهما بل هي أخّلاقية بمعنىٰ أنّه ينبغي لهما مُراعاتها:

منهاـ أن يكون مُتّصفاً بحُسن الخُلق والصّبر والحِلم وقوّة النّفس لئلا يضطرب اذ قيل في حقّه ما لا يليق به ومنها أنْ يكون رفيقاً بالنّاس فأنّ الوعظ بالرّفق أوقَع وأشّد تأثيراً في قلوب أكثر النّاس:

ومنهاـ أنْ يكون قاطعاً لِلطّمع عن النّاس فأنّ الطّامع في أموالهم لا يقدر علىٰ الحِسبَة ومنها أن يكون مُجتنباً عن الثّناء والمَدح والتّدليس فأنّ من كان مُتصّفاً بها لا يقدر على الحِسبَة وأمّا الأخبار والآيات الواردة في وجوبهما فهي كثيرة جدّاً وقد أومأنا الىٰ شطرٍ منها وفيه كفاية ويكفيك في المقام أنّهما من الواجبات الّتي لا خلاف في وجوبهما عند الأُمّة بل وغيرها من الأُمم السّالفة.

▫ **قوله ﷺ: يا بَني عَبْدِ المُطَّلِب لا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِماءَ المُسْلِمينَ خَوْضاً تَقُولُونَ قُتِلَ أميرُالْمؤمِنينَ لا تَقْتُلُنَّ بي إلاّ قاتِلي أنْظُرُوا إذَا أنا مُتُّ منْ ضَرْبَتِهِ هَذهِ فاْضرِبُوهُ ضَرَبةً بِضَرْبَةٍ ولا يُمَثَّلُ بالرَّجُلِ فإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ إيَّاكمُ والمُثْلَةَ ولوْ بِالكلْبِ العَقُورِ ...**

أفاد ﷺ في هذا المقام أمرين يجب مراعاتهما علىٰ كلّ مُسلم أحدهُما قتل القاتل لا غير وثانيهما عدم جواز المُثلة في الإسلام وهي تقطيع الأعضاء والجَسد بعد القتل:

فقوله ﷺ: **يا بَني عَبْدِ المُطَّلِبِ** الىٰ قوله **ضَرَبةً بَضَرْبَةٍ** إشارة الىٰ الأوّل وقوله لا يُمثّل بالرّجل إشارة الىٰ الثّاني وحيث أنّ الحُكمين ممّا إتّفق عليه الكُلّ لا نحتاج الىٰ نقل الأقوال فيهما:

﴿ومن كتاب له ﷺ (٤٦)﴾
الىٰ معاوية

□ قوله ﷺ: وإنَّ البَغْيَ والزُّورَ يُذِيعَانَ بالمَرْءِ في دِينِهِ ودُنْياهُ ويُبْدِيانِ خَلَلَهُ عِنْدَمَنْ يَعِيبُهُ وقدْ عَلِمتُ أنَّكَ غيرَ مُدْرِكٍ ما قُضِيَ فَوَاتُهْ وقدْ رَامَ أقْوَامٌ أمْرأَبِغَيرِ الحقِّ فَتأَوَّلُوا علىٰ اللّٰهِ فأكْذَبُهمْ فاحْذَرْيَوْماًيَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أحْمَدَ عاقِبَةَ عَمَلِهِ ويَنْدَمُ مَنْ أمكَنَ الشَّيْطانَ منْ قِيَادِهِ فَلْم يُجاذِبْهُ.

وقدْدَعَوْتَناإلىٰ حُكْمَ الْقُرْآنِ ولَسْتَ منْ أهْلِهِ ولَسْناإيَّاكَ أجبْنا وَلكِنَّا أجبْنا الْقُرْآنَ في حُكْمِه والسّلاَمُ...

◁ اللّغة

(يُذِيعَانِ) من أذاع يُذيع أي يشهرانه ويفضحانه (يُبْدِيانِ) أي يُظهران:

◁ المعنىٰ

(وإنَّ البَغْيَ والزُّورَ) والظّلم والبُهتان (يُذِيعَانِ) ويفضحان (بالمَرْءِ في دِينِهِودُنْياهُ) فيصير خسر الدّنيا والآخرة (ويُبدِيانِ خِلَلهُ) ونقصه (عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ) وينقصه (وقدْ عَلِمْتُ أنَّكَ غيرَ مُدْرِكٍ ما قُضِي فَوَاتُهْ) وهو دَم عُثمان ونُصرته (وقدْ رَامَ أقْوَامٌ أمْراً) وهم أصحاب الجَمل الّذين طلبُوا بَدم عثمان (بِغَيرِ الحقِّ فَتأَوَّلُوا علىٰ اللّٰهِفأكْذَبهُمْ) أي أكذبهم اللّٰه علىٰ تأويلهم أحكام اللّٰه (فأحْذَرْ) يا معاوية (يَوْماً يَغْتَبِطُ فِيهِ مِنْ أحْمَدَ عاقِبَةَ عَمِلِهِ) وهو يوم القيامة

الّذي يَفرَح من جَعَل عاقبة عَمَله محمودة بإحسان العَمَل (**ويَنْدَمُ مَنْ أمكَنَ الشَّيْطانَمنْ قِيَادِهِ**) أي مكنّه من زمامه ولم ينازعه (**وقَد دَعَوْتَناإلىٰ حُكم الْقُرآنِ**) في صفّين (**ولَسْتَ منْ أهْلِهِ**) منْ أهل القرآن: (**ولَسْنا إيَّاكَ أجبْنا وَلَكِنَّاأجَبْنا الْقُرْآنَ في حُكمِه والسّلاَمُ**).

◁ الشّرح

▫ **قوله ﷺ وإنَّ البَغْيَ والزُّورَ يُذِيعَانِ بالمَرْءِ في دِينِهِ ودُنْياهُ ...**

البَغْيَ طلب تجاوز الإقتصاد فيما يُتَحرىٰ والمقصود فيه في المقام تجاوز الحقّ الىٰ الباطل أو تجاوزه الىٰ الشُبّه، والزَّور بفتح الزّاء في الأصل أعلىٰ الصّدر وبضّم الزّاء الكذب لكونه مائلاً عن جهة واليه الإشارة بقوله تعالىٰ:﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾(١)

و : ﴿**وإنّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً**﴾(٢)

و : ﴿**فَقَدْ جَآءُوظُلْماً وَزُوراً**﴾(٣) وأمّا إنَّ البَغْيَ والزُّور يُذِيعَانِ أي يفضحان في دين المَرء ودُنْياهُ فهو واضح لان المُتّصف بهما مَخذُول عند النّاس ومنصُورٌ عند اللّه فهو في الحقيقة مُعذبٌ في الدّنيا والآخرة.

▫ **قوله ﷺ ويُبْدِيانِ خِلَلهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ وقدْ عَلِمْتُ أنَّكَ غيرَ مُدرِكٍ ما قُضِي فَوَاتُهْ...**

أي إنَّ البَغْيَ والزُّورَ يُبْدِيانَ ويُظهران خِلَل المُتّصف بهما عند من يَعيبه وذلك لأنّ العائب قبل بروز الوَصفين في الموصوف بهما لا يدري ما يقول في حقّه وأمّا بعده فيصير عالماً بغيبه ونقصه والباعث عليه هو نفسه وأمّا قوله ﷺ وقد علمت الىٰ آخر الكلام فهو إشارة الىٰ طلب معاوية بَدم عثمان وحاصله أنّك علمتَ أنّ ما قُضي فواته لم تقدر علىٰ دَركَه أي لا تقدر علىٰ المُطالبة بدَم عثمان والتّثبت به لأنّ النّاس قد عَلِموا بمكرك وكذلك:﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّـهُ**

١- الحج ـ ٣٠
٢- المجادلة ـ ٢
٣- الفرقان ـ ٤

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]:

□ قوله عليه السلام: وقدْ رَامَ أقْوَامٌ أمراً بِغَيرِ الحقِّ فَتأَوَّلُوا علىٰ اللّهِ فأكْذَبهُمْ ...

أي وقد قَصَد أقوامٌ وهَم طلحة والزّبير وعائشة ومن تَبَعهم من أصحاب الجَمَل أمراً بغير الحقّ وهو الخلافة في الحقيقة من طريق المُطالبة بَدم عثمان فتأولوا على الله أي تطاولوا علىٰ أحكامه بالتّأويل فأكذبهم اللّه أي حكم بكذبهم فقُطع دابر القوم الّذين ظلموا والحَمد لِللّه ربّ العالمين وأنتَ أيضاً مثلهم في هذه الدّعوىٰ:

□ قوله عليه السلام: فأحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أحْمَدَ عاقِبَةَ عَمَلِهِ ويَنْدِمُ مَنْ أمكَنَ الشَّيْطانَ منْ قِيَادِهِ فَلْم يُجاذِبْهُ ...

ثُمّ حذّره عن القيامة فقال إحذَر يوماً يغتبط ويفرح فيه من أحمَدَ عاقبة عَمَلِهِ ويندَم مَن مكنَّه الشيطان من زمامه ولم يُنازعه:﴿ يَوْمَ لاٰ يَنفَعُ مٰالٌ وَّ لاٰبَنُونَ، اِلاّٰ مَنْ اَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2]

و : ﴿لِلّٰهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[3] وقال تعالىٰ:(قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[4]

والىٰ النّدامة أشار بقوله:﴿وَأَسَرُّواالنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاالْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[5]

□ قوله عليه السلام: وقدْ دَعَوْتَنا الىٰ حكم القرآن ولَستَ مِن أهله ولَسْنا إيّاكَ أجَبْنا ولَكِنّا أجَبْنا الْقُرْآنَ فِي حُكمِه والسّلاَمُ.

أيِ وقدْ دَعَوْتَنا إلىٰ حُكم الْقُرآنِ في صفّين والحال أنّك لستَ من أهل القرآن وأمّا إجابتنا هُناك لم تكُن لأجل دَعوَتك بل كانت لأجل القرآن وحُكمه وقد مرّ الكلام فيه تفصّيلاً:

١-سورة آل عمران آيه ٥٤
٢) الشعراء آية ٨٩
٣- الروم-٤
٤- يونس -٥٨
٥- سبأ-٣٤

ومن كتاب له عليه السلام (٤٧)

الىٰ غيره

□ قوله عليه السلام: **أمَّا بَعْدُ فإنّ الدُّنْيا مَشْغَلَةٌ عنْ غيرها ولمْ يُصبْ صَاحِبْها مِنْها شيْئاً إلاّ فَتَحتْ لهُ حِرْصاً عليْها ولَهَجاً بها وأنْ يَسْتَغْنَي صاحِبُها بمَا نالَ فِيها عمَّا لمْ يَبْلغْهُ مِنْها ومنْ ورَاءِ ذٰلِكَ فِرَاقُ ماجَمَعَ ونَقْضُ ماأبرَمَ ولو إعْتَبَرْتَ بما مَضىٰ حَفِظْتَ ما بَقِيَ والسَّلاَمُ.**

◁ الشرح

إعلم: أنّ هذا الكلام أنّما صَدَر عنه عليه السلام في ذمّ الدّنيا وعدم الإعتماد عليها وقد مرّ الكلام في هذا الموضوع مفصلاً غير مرّةٍ فقوله عليه السلام: **أنّ الدّنيا مُشغلة** معناه أنّها محلّ الإعراض عن الآخرة وبعبارةٍ أُخرىٰ هي شاغلة عن الآخـرة ووجهه واضح فأنّ أبناءها يشتغلون بها ومن كان كذلك لا يتّوجه الىٰ غيرها وقوله عليه السلام: **لم يُصب** الىٰ قوله **ولهجاً بها** معناه أنّ طالب الدّنيا لا يشبع أبداً بل كلّما أصاب منها يفتح له الحِرص علىٰ الدّنيا أكثر ممّا كان عليه فأنّ مَثَل الدّنيا وما فيها من الزّخارف مثل الماء المالح كلّما شرب الإنسان منه يزداد فيه عَطشاً وقوله عليه السلام: **ولَن يستغني** الىٰ قوله **منها** كأنّه بمنزلة التّوضيح للجملة السّابقة ومعناه أنّ صاحب الدّنيا كلّما وصل الىٰ شئٍ منها يطلب شيئاً آخر وقوله عليه السلام **ومِن وراء ذلك** الىٰ قوله **ما أبرَم** إشارة الىٰ حقّيقةٍ أُخرىٰ وهي أنّ مال الدّنيا الىٰ الفراق ونقض ما أبرَم وأثبَت فيها فلا يبقىٰ شئ منها علىٰ حالةٍ واحدة **فكلّما**

جَمَعتَه فيها لابدّ لك من الفراق عنها وكلّما أثبتّه فيها تنقصه لا محالة واذا كان كذلك فلا محالة لو إعتَبرت الدّنيا بما مضىٰ عنها حفظت فيها ما بقىٰ ومحصّله أنّ المُستقبل منها في حكم ما مضىٰ فأنّ حكم الأمثال واحد فمن رأىٰ الدّنيا كيف يعتمد عليها ولأجل ذلك وَرَد فيها مِن الذّم ما ورَد فاعتبرُوا يا أُولي الأبصار:

ومن كتاب له عليه السلام (٤٨)
الىٰ أُمراءه علىٰ الجيوش

□ قوله عليه السلام: منْ عَبْدِاللّٰهِ علّي أمِيرِالمؤمِنينَ إلىٰ أصْحابِ المَسَالِحِ.

أمَّا بَعْدُ فإنَّ حَقّاً علىٰ الْوَالِي أنْ لا يُغَيِّرَهُ علىٰ رَعيَّتِه فَضْلٌ نالَهُ ولا طَوْلٌ خُصَّ بِه وأنْ يَزِيدَه ما قَسَم اللّٰهُ لهُ منْ نِعَمِه دُنُّواًمنْ عِبادِهِ وعَطْفاً علىٰ إخْوَانِه.

ألاَ وإنْ لَكْم عِنْدِي أنْ لا أَحْتَجِزَ دُونُكمْ سرّاً إلاّفي حَرْبٍ ولا أطْوِيَ دُونَكُمْ أمْراً إلّا فِي حُكمٍ ولا أؤخِّرَلكم حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِولا أَقِفَ بِهِدُون مَقْطَعِهِ وأنْ تَكُونُوا عِنْدِي في الحَقِّ سَوَاءَ فإذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ وجَبَتْ لِلّٰهِ عَليكُمُ النِّعْمَةُ ولِي عليكُمُ الطَّاعةُوأنْ لاتَنكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ ولا تُفَرِّطُوا في صَلاَحٍ وأنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إلىٰ الحَقِّ فإنْ أنتمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا علىٰ ذٰلِكَلَمْ يَكُنْ أحَدٌ أَهْوَنَ عليَّ مِمَّنِ إعْوَجَّ مِنكُمْ ثُمَّ أُعْظِمُ لهُ الْعقُوبَةَ ولا يَجِدُ عِنْدِي فِيها رُخْصَةً فَخُذُوا هٰذا منْ أُمَرَائِكُمْ وأَعْطُوهُمْ منْ أنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللّٰهُ بِهِ أمْرَكُمْ.

◁ اللّغة

(المَسالح) جَمع مَسلَحة وهي موضع السّلاح وقيل هـي قَـوم ذو سـلاح (طَول) بفتح الطّاء عظيم الفَضل (أَطوي) يُقال طواه عنه اذا لَم يَحصل له نَصيباً فيه وأطـوىٰ مُـتكلم وحـدة مـنه أي لا أَدَع مُشـاورتكم (لا تشكصُوا) أي لا تتأخروا (الغَمَرات) الشّدائد

◁ **المعنىٰ**

(منْ عَبْدِاللّٰهِ علّي أمِيرالمؤمِنينَ إلىٰ أصْحابِ المَسَالِحِ) أي مَن له سلاح الحَرب (أمَّا بَعْدُ فإنَّ حَقّاً علىٰ الْوَالِي) من اللّه تعالىٰ (أنْ لا يُغَيِّرَهُ علىٰ رَعِيَّتِه فَضْلٌ نالَهُ) من اللّه تعالىٰ أي لا يُغيّر علىٰ الرَّعية نِعمة اللّه الّتي أنعم اللّه بها عليه وهي الحكُومة (ولا طَوْلٌ خُصَّ بهِ) أي وليس لَه أنَّ يُغير عليهم الفضل الواجب عليه في حقّهم (وأنْ يَزِيدَه ما قَسَم اللّهُ له منْ نِعَمِه دُنُوّاً) وقُرباً (منْ عِبادِهِ وعَطْفاً علىٰ إخْوَانِه) أي ينبغي لِلوالي أنَّ يَجعَل أموال المُسلمين وَسيلة الىٰ التَّقرب للعباد وجَلب مَحبتهم (ألاَ وأنَّ لَكم عِنْدِي أنْ لا أحْتَجِزَ دُونَكْم سِرّاً) أي لا أُكتم عنكم سِراً (ولا أَطْوِيَ) وأخفي (دُونَكُمْ أمْراً إلّا فِي حُكْمٍ) مِن الأحكام الشَّرعية (ولا أُؤخِّرَ لَكُم حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ) بل أُؤدّيه فيه (ولا أَقِفَ بهِ دُونَ مَقْطَعِه) أي دون الحدّ الّذي قَطع به أنْ يكون لكم (وأنْ تَكُونُوا عِنْدِي في الحقِّ سَوَاءَ) كما هو مُقتضىٰ العدالة الإسلامية (فإذَا فَعَلْتُ ذلِكَ وَجَبَتْ لِلّٰهِ عَليكُم النِّعْمَةُ) ولكم الشّكر عليها (ولِي عليكُمُ الطَّاعَةُ) فيجب عليكم الإنقياد (وأنْ لا تَنْكُصُوا) ولا تتأخروا (عَنْ دَعْوَةٍ) أدعوكم بها (ولا تُفَرِّطُوا) ولا تُضيّعُوا (في صَلاَحٍ) وسدادٍ وهو ما فيه المَصلحة (وأنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ) والشّدائد (إلىٰ الحقِّ فإنْ أنتمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا علىٰ ذٰلِكَ) الّذي ذكرته لكم (لَمْيَكُنْ أحَدٌ) منكم (أَهْوَنَ) وأضعَف (عَلَيَّ مِمَّنِ إعْوَجَّ مِنكُمْ).

أي مِمّن عَدَل عن طريق الحقّ (ثُمَّ أُعْظِمُ لهُ الْعُقُوبَةَ ولا يَجِدُ عِنْدِي فِيها) في العقوبة (رُخْصَةً) ومخَلصاً (فَخُذُوا هٰذامِن أُمَرَائِكُمْ وأعْطُوهُمْ منْ أنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللّٰهُ بهِ أمْرَكُمْ) أي خذُوا هذا الحقّ منهم ثُمّ أعطوهم حقوقهم الواجبة عليكم:

◁ **الشَرح**

كَتَب عليه السلام هذا الكتاب الىٰ أصحاب المسالح أعني بهم أصحاب الثّغور لأنّها

مواضع السّلاح وقد مرّ الكلام في معنىٰ أمير المؤمنين وإختصاص هذا اللّقب به من اللّه تعالىٰ وأنّه لا يطلق علىٰ غيره كائناً من كان وهو ممّا إتفقت عليه الإماميّة:

▫ **قوله** عليه السلام: **أمّا بَعْدُ فإنّ حَقّاً على الْوالي أنْ لا يُغَيِّرَهُ علىٰ رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نالَهُ ولا طَوْلٌ خُصّ بِهِ ...**

أشار عليه السلام في هذا الكتاب الىٰ بعض الحقوق الواجبة الّتي ينبغي مُراعاتها من الوالي والّتي ينبغي مُراعاتها من الرّعية وبَدَأ بما يجب علىٰ الْوالي لأنّ ما يجب علىٰ الرّعية فرعٌ عليه فاذا لَم يُراع الوالي شيئاً منها في حقّ الرّعية لا يجب علىٰ الرّعية إطاعة الوالي بل تحرم فضلاً عن التّكريم والشّكر والواجب علىٰ الوالي أُمور:

أحدها: ما أشار عليه السلام اليه بقوله **فأنّ حقّاً علىٰ الوالي** الىٰ قوله **خُصّ به** وحاصله أنّ الحكومة والولاية علىٰ النّاس من نِعَم اللّه الّتي أَنعَم اللّه بها علىٰ بعض عباده وجَعَل أمور النّاس بيده وليس المقصود منها الرّئاسة علىٰ النّاس بل الغرض الأصلي إقامة العَدل بينهم في جميع الشّئون واذا كان كذلك فعلىٰ الوالي أن لا يُغَيّر هذه النّعمة علىٰ رَعِيَّتِهِ بتضييع حقوقهم والظّلم عليهم فأنّ اللّه تعالىٰ قد خَصّه بالطَّول أي عظيم الفضل فيجب عليه الشّكر له وحقيقة الشّكر تأدية حقوق النّاس وإقامة القسط والعَدل فيهم ويُعَبّر عنه بالشّكر العَمَلي:

▫ **قوله** عليه السلام: **وأنْ يَزِيدَه ما قَسَم اللّهُ لهُ منْ نِعَمِه دُنُوّاً منْ عِبادِهِ وعَطْفاً علىٰ إخْوانِه ...**

وثانيها: أن يَزِيدَه ما قَسَم اللّه لهُ أي يَزِيد الْوالي علىٰ الرّعية من نِعَم اللّه ليكون ذلك موجباً لدُنوه وقُربه الىٰ عباده ورحمة وشفقةً علىٰ أخوانه المؤمنين وذلك لأنّ الوالي لو كان بخيلاً مُمسكاً يمنع النّاس عن حقوقهم يصير ذلك مُوجباً لبُعده وتنَفره من النّاس وهو واضح.

▫ قوله عليه السلام: **ألاَ وإنَّ لَكمْ عِنْدِي أنْ لا أحتَجِزُ دُونَكُم سِرّاً إلّا في حَرْبٍ ولا أطْوِيَ دوُنَكمْ أَمَراً إلّا فِي حُكْمٍ ولا أُؤخِّرَ لَكُم حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ ولا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِه وأنْ تَكوُنُوا عِنْدِي في الحَقِّ سَوَاءٌ ...**

وثالثها: أن لا يخفي الوالي عن الرّعية أمَراً من الأمور إلّا أمَر الحَرب والحُكم الشّرعي والىٰ الأمرين أشار عليه السلام بقوله ألا وأنّ لَكم عندي الىٰ قوله في حكم أمّا عَدَم الخَفاء في الأوّل فلأنّ الوالي لا يقدر علىٰ إستمرار الحكومة إلّا بموافقّة النّاس وتأييدهم أيّاه في دَولته وهو لا يكون إلّا بمَشورة الوالي لهم في أمُورهم وإعتنائه بأفكارهم وأميالهم فاذا كان الوالي مُستّبداً في حكومته:

لا محالة يكون مُنعزلاً عن النّاس مُتَفرداً في حكومته عليهم ومن كان كذلك لا يكون مُعتضداً بهم قطعاً وأمّا إستثنائه الحَرب والحكم فَالوجه فيه أنّ الحَرب من الأسرار الّتي لا ينبغي إنشائها في النّاس لأنّه يُوجب إطّلاع العَدّو عليها واذا إطّلع يستّعد للمقابلة والمُحاربة وقد ثبت أنّ الحرب خُدعة وأمّا الحكم فلأنّه لا دَخَل لأراء النّاس فيه وبعبارةٍ أُخرىٰ حكم اللّه تعالىٰ لا يتغّير ولا يتّبدل ولأجل ذلك قال عليه السلام ولا أطوي دونكم أي لا أَدَع مشاورتكم في أمرٍ من الأمور إلّا في حكم.

وأمّا قوله عليه السلام: **ولا أُؤخِّرَ لَكَمْ حَقّاً** الىٰ قوله عليه السلام: **سَواء** ففيه دلالة علىٰ المُساواة في الحقوق الماليّة وإجراء العدّالة ورفع الظّلم وأمثالها فكلّ حقّ من أيّ شخصٍ كان يجب أن يُؤدي في وقته وعن محلّه ولا يجوز تأخيره من غير عُذرٍ عقلّي أو شرعي كما يجب إجراء الحُكم من حقّ الغنّي والفقير والعالم والجاهل والعالي والداني ولا نعني بالعدالة إلّا هذا:

▫ قوله عليه السلام: **فإذَا فَعَلْتُ ذلِكَ وَجَبَتْ لِلّهِ عَليكُمْ النِّعْمَةُ ولي عليكُمُ الطَّاعةُ ...**

أي فإذا كُنت في حكومتي علىٰ ما وَصفناه لكم وَجَبَتْ لِللّهِ عَليكُمْ النِّعْمَةُ وذلك لأنّ الوالي المُتّصف بالأوصاف المذكورة من أفضل النّعم الإلٰهية علىٰ عباده فيجب عليهم الشّكر وقوله ولي عليكم الطّاعة إشارة الىٰ مقام شكر الرّعية عَملاً كما أنّ الشّكر علىٰ نعمة اللّه ليس إلّا طاعته وإنقياده ويمكن أن

يكون المراد أنّ شكركم على نعمة اللّه هو إطاعتكم عن ولّي اللّه لأنّ إطاعته إطاعة اللّه ومُخالفته مُخالفته:

▫ **قوله ﷺ: ولا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ ولا تُفَرِّطُوا في صَلاَحٍ وأنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إلى الحَقِّ ...**

أي ولا تتأخروا عن دَعوتي اذا دَعوتكم ولا تُفرطّوا ولا تُضيعوا في صلاح وأن تخوضوا الغَمَرات أي الشّدائد اذا كانت في طريق الحقّ وهذا هو معنى الطّاعة:

▫ **قوله ﷺ: فإنْ أنتمْ لَمْ تَسْتَقِيموُا على ذلِكَ لَمْ يَكُنْ أحَدٌ أهْوَنَ عليَّ مِمَّنِ أعْوَجَّ مِنْكُمْ ...**

أي فأن أنتم لَم تعملوا بوظائفكم المقّررة لكم شَرعاً وعقلاً بالنّسبة الى الوالي لم يكن أحد منكم أهْوَنَ وأضعَف عَليّ مِمَّنِ إعْوَجَّ وإنحَرَف عن طريق الحقّ وأن كان قوّياً ومحصّل الكلام، أنّي أجري عليكم الأحكام وآخذ حقّ المظّلوم عن الظّالم وليس أحدكم أضعف عندي من الآخر بل أنتم عندي على حدٍّ سواء كما هو مقتضى العدالة:

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ أعْظِمُ لهُ الْعُقُوبَةَ ولا يَجِدُ عِنْدِي فِيها رُخْصَةً فَخُذُوا هٰذا منْ أُمَرَائِكُمْ وأعْطُوهُمْ منْ أنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللّهُ بِهِ أمْرَكُمْ ...**

أي ثُمّ أعظم العقوبة مِمّن إعْوَج وإنحَرَف عن الحقّ فأُعاقبه عقاباً يليق بشأنه من غير زيادة ونقيصة ولا يجد عندي فيها أي في العقُوبة رُخصة ومخلصاً فأنّي مِمّن لا يأخذه في اللّه لومّة لائم واذا كان الأمر على هذا المنوال فخذوا هذا الّذي ذكرتّه لكم من أُمرائكم وأعطوهُم من أنفسكم ما يصلح اللّه به أمركم وحاصله أنّ الأُمراء يجب عليهم العَدل والإنصاف في حقّ الرّعية كما أنّه يجب على الرّعية الطّاعة والإنقياد منهم وهذا أعني عدل الوالي وطاعة الرّعية هو الّذي يُوجب صلاح أمرهم في الدّنيا والآخرة ودونه خرط القتاد وسيأتي تفصيل الكلام فيه:

ومن كتاب له عليه السلام (٤٩)

الىٰ عمّاله علىٰ الخراج

▫ قوله عليه السلام: منْ عَبْدِ اللّٰهِ عليّ أمِيرِ المُؤمِنينَ إلىٰ أصْحابِ الخَرَاجِ.

أمَّا بَعْدُ فإنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ ما هُوَ صَائِرٌ إلَيْهِ لمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِه ما يُحْرِزُها. وأعْلَمُوا أنّ ما كُلِّفْتُمْ يَسيرٌ وأنَّ ثَوَابَهُ كَثيرٌ ولوْلمْ يكُنْ فِيما نَهىٰ اللّٰهُ عنْهُ منَ الْبَغْيِ والْعُدوَانِ عِقابٌ يُخافُ لكانَ في ثَوَابِ إجْتِنابِهِ مالا عُذْرَ في تَرْكِ طَلَبِهِ فأنْصِفُوا النَّاسَ منْ أنْفُسِكُمْ. وأصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فإنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ وَوُكلاَءُ الأُمَّةِ وسُفَرَاءُ الأئِمّةِ ولاَ تَحْشُموا أحَداً عَنْ حاجَتِهِ ولاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طِلْبَتِهِ ولا تَبيعَنَّ لِلنَّاسِ في الخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتاءٍ ولاَ صَيْفٍ ولاَدَابَّةٍ يَعْتَمِلُونَ عليها ولا عَبْداً ولا تَضْرِبَنَّ أحَداً سَوْطاً لِمكَانِ دِرْهَمٍ ولا تَمَسَّنَّ مالَ أحَدٍ منَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلا مُعاهِدٍ إلاَّ أنْ تَجِدُوا فَرَساً أوْ سِلاحاً يُعْدَي بِهِ علىٰ أهْلِ الإسْلاَمِ فإنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلمُسْلِمِ أنْ يَدَعَ ذلِكَ في أيْدِي أعْدَاءِ الإسْلاَمِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَليهِ ولا تَدَّخِرُوا أنْفُسَكمْ نَصِيحَةً ولا الجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ ولا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً ولا دِينَ اللّٰهِ قُوَّةً وأبْلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ما إسْتَوْجَبَ عليكُمْ فإنّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ قَدِ إصْطَنَعَ عِنْدَنا وعِنْدَكُمْ أنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنا وأنْ نَنْصُرَهُ بِما بَلَغَتْ قُوَّتُنا لا قُوَّةَ إلّا باللّٰهِ ...

◁ اللغة

(خُزَّانُ) بضّم الخاء جمع خازن (وسُفَرَاء) جمع سَفير وهو الرّسول (ولاَ تَحْشُموا) وفي بعض النّسخ ولا تحسَمُوا وفي بعضٍ آخر ولا تحشموا

والمقصود من الكلّ لا تقطعُوا (ولا تَدَّخِرُوا) أي لا تـمنَعُوا (وأبْلُوا) أي أدّوا (إصْطَنَعَ) أي طلب:

◁ المعنىٰ

(مِنْ عَبْدِ اللّٰهِ عليٍّ أمِيرِ المؤمِنينَ إلىٰ أصْحابِ الخَرَاجِ) أعني بهم من يجمع المال (أمَّا بَعْدُ فإنَّ مَنْ لَمْ يَحْذِرْ ما هُوَ صَائِرٌ إلَيهِ) أي العاقبة الّتي يصير اليـها (لمْ يُقَدَّمْ لِنَفْسِه ما يُحْرِزُها) أي لم يَعمل لِنفْسِه عَملاً يحفظها من سُوء المصير (واعْلَمُوا أنَّ ما كُلِّفْتُمْ) به من عند اللّه (يَسيرٌ) وقليل (وأنَّ ثَوَابَهُ كَثيرٌ) عند اللّه (ولوْ لمْ يكُنْ فِيما نهىٰ اللّهُ عنْهُ منَ الْبَغْيِ والْعُدوَانِ) والظّلم والإنحراف (عِقابٌ يُخافُ) كما وَرَد في كتابه العزيز (لَكَانَ في ثَوَابِ (إجْتِنابِهِ) أي إجتناب ما نهىٰ عنه (مالا عُذْرَ في تَرْكِ طَلَبِهِ) لأنّ ثوابه كثير جدّاً بحيث ينبغي تركه لأجله.

(فأنْصِفُوا النَّاسَ منْ أنْفُسِكُمْ وأصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فإنّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ) وحُفّاظ أموالهم (وَوُكلاَء الأُمَّةِ وسُفَرَاء الأئِمّةِ) والوكيل والسّفير لا يجوز لهما العَمَل علىٰ خلاف المُقَرر (ولاَ تَحْسُموا) ولا تقطعُوا (أحَداً) من النـاس (عَنْ حاجَتِهِ) من غير عُذرٍ (ولاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طِلْبَتِهِ ولا تَبِيعَنَّ لِلنَّاسِ في الخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتاءٍ ولاَ صَيْفٍ) أي لا تبيعُوا أو لا تضطرّوا النّاس لأن يَبيعُوا لأجل أداء الخراج شيئاً من كسوتهم الشّتوية والصّيفية (ولاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عليها ولا عَبْداً) أي ولا من الدّواب اللاّزمة لأعمالهم في الزّرع ولا عبداً من عبيدهم (ولا تَضْرِبَنَّ أحَداً سَوْطاً لِمكَانِ دِرْهَم) تـطلبونه مـنه (ولا تَمَسَّنَّ مالَ أحَدٍ منَ النَّاسَ مُصَلٍّ ولا مُعاهِدٍ) أي مُسلماً كان أو كافراً ذمّياً (إلّا أن تجدُوا) في أموالهم (فَرَساً أوْ سِلاَحاً يُعْدَىٰ بِهِ) أي يتّجاوز به (علىٰ أهْلِ الإسْلاَمِ) فأنّه ينبغي أخذه وذلك (فإنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلمُسْلِمِ أنْ يَدَعَ) ويترك ذلك الفَرس أو السّلاح (في أيْدِي أعْدَاءِ الإسْلاَمِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيهِ) وموجباً لتقويته علىٰ كـفره (ولا تَدَّخِرُوا) أي لا تـمنعُوا (أنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً ولا الجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ ولا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً ولا دِينَ اللّهِ قُوَّةً) وذلك لأنّ تركها يضر بالدّين والدّنيا (وأبْلُوا في سَبِيلِ اللّهِ ما اسْتَوْجَبَ عليكُمْ)

أي أدّوا الواجبات (**فإنّ اللّهَ قَد إصْطَنَعَ**) وطلب (**عِنْدَنا وعِنْدَكُمْ أنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنا**) حتّىٰ الإمكان (**وأنْ نَنْصُرَهُ**) أي ننصر دينه (**بِمَا بَلَغتْ قُوَّتُنَا ولا قُوّةَ إلّا بِاللّه**).

◁ الشّرح

مِنْ عَبْد اللّهِ عليٍّ أمِيرِالمؤمِنينَ إلىٰ أصْحابِ الخَرَاجِ ...

قد مضىٰ الكلام في كونه ﷺ أمِيرِ المؤمِنينَ وأنّه من ألقابه الخاصّة به وأمّا أصحاب الخراج فمعلوم.

□ **قوله ﷺ: أمَّا بَعْدُ فإنَّ مَنْ لمْ يَحْذَرْ ما هُوَ صَائِرٌ إلِيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِه ما يُحْرِزُها....**

أي مَنْ لَمْ يَحْذَرْ العاقبة الّتي يصير اليها لَم يَعمَل عَملاً لِنَفْسِه يحفظها من سُوء المصير فالواجب علىٰ كلّ مُكَلفٍ المواظبة علىٰ أعماله وأقواله والتّوجه الىٰ الآخرة الّتي لابدّ له من المصير اليها وتقديمه في الدّنيا ما يحفظه من العذاب غداً كما قال ﷺ في بعض كلماته **حاسبُوا أنفسكم قبل أن تُحاسبُوا.**

□ **قوله ﷺ: واعْلمُوا أنَّ ما كُلِّفْتُمْ يَسيرٌ وأنَّ ثَوَابَهُ كَثيرٌ. وَلوْ لمْ يكُنْ فِيما نَهَى اللّهُ عنْهُ منَ الْبَغْيِ والْعُدوَانَ عِقابٌ يُخافُ لَكانَ في ثَوَابِ إجْتِنابِهِ ما لا عُذْرَ في تَرْكِ طَلَبِهِ ...**

وحاصل ما أفاده في هذه الكلمات هو أنّ الأحكام الّتي كَلفّنا اللّه بها ليست فيها كثير مشّقةٍ بل هي سهلة يسيرةٍ لقول النّبي ﷺ **بُعثتُ الىٰ الشّريعة السّمحة السّهلَة** مع أنّ الثّواب المُترتب عليها كثير جدّاً بحيث لوْ لمْ يكُنْ فِي تَرْكِ المنْهيات عقاب يخاف منه لكان الثّواب المترتب عليها كافياً وافياً في تركها وبعبارةٍ أُخرىٰ المَنهيات في الشّريعة المُقّدسة قد جَعل اللّه تعالىٰ علىٰ فعلها عقاباً وعلىٰ تركها ثواباً فَمن تَرك المعصية خَلص من العقاب وأَحَرز الثّواب وحيث أنّ الثّواب كثير فلو لم يكن في تركها إلّا الثّواب لكان كافياً فكيف وفي تركها الخلاص عن العِقاب مضافاً الىٰ الثّواب المتّرتب:

▫ **قوله ﷺ: فأَنْصِفُوا النَّاسَ منْ أَنْفسِكُمْ وأَصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فإنّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ وَوُكلاَءِ الأُمَّةِ وسُفَرَاء الأَئِمةِ ...**

ثمّ أمَرَهم بالإنصاف وقضاء حوائج النّاس وعلّل ذلك بكونهم خزّان الرّعيّة والحافظين لأموالهم في بيت المال وأنّهم وكلائهم في جمع الأموال فيه وصرفها في مصالح العامّة وأنّهم سفراء الأئمّة ورُسُلهم في جمعها وخرجها ومحّصل الكلام أنّ الأموال ليست لهم بل تكون لغيرهم فلا معنىٰ لإمساكهم وبُخلهم وخرجها في غير مصالحهم وعدم قضاء حَوائجهم:

▫ **قوله ﷺ: ولاَ تَحْسُموا أَحَداً عَنْ حاجَتِهِ ولاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طِلْبَتِهِ ولا تَبِيعِنَّ لِلنَّاسِ في الخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتاءٍ ولاَ صَيْفٍ ولاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عليها ولا عَبْداً ...**

ثمّ نهاهم عن أُمورٍ:

أحدها قوله ﷺ: **ولا تُحسِموا أحداً** وفي نسخة المُعتزلي ولا تُحشِموا والمآل واحد والمقصود لا تقطعوا أحداً عن حاجته أي أقضوا حوائج النّاس حتّىٰ الإمكان:

وثانيها قوله ﷺ: **ولا تحبسوه عن طَلَبته** والطِلبة بكسر الطاء المطلوب أي لا تمنعوه عن الوصول الىٰ مطلوبه وبعبارةٍ أُخرىٰ لا تضّيقوا علىٰ النّاس ولا تكونوا حاجزين بينهم وبين مطلوبهم:

وثالثها قوله ﷺ: **ولا تبيعنّ** الخ وحاصله لا تضطّروا النّاس في أخذكم منهم الخراج الىٰ بيع شئ من كسوتهم الصّيفية والشّتوية ولا من دَوابّهم اللاّزمة ولا عَبدهم الّذي يخدمهم ويحتاجون اليه في أُمور معاشهم وقضاء حوائجهم فأنّها من مُستثنيات الدّيون:

▫ **قوله ﷺ: وَلا تَضْرِبنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمكَانِ دِرْهَم ولاَ تَمَسَّنَّ مالَ أَحَدٍ منَ النَّاسِ مُصَلٍّ ولا مُجاهِدٍ إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً، أَوْسِلاَحاً يُعْدَى بِهِ علىٰ أَهْلِ الإِسْلاَمِ فإنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذلِكَ في أَيْدِي أَعْدَاءِ الإِسْلامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عليه ...**

ورابعها: عدم ضربهم لأجل الدّرهم والدّينار فأنّه من الظّلم القبيح عقلاً

وشرعاً:

وخامسها: عدم ضبط أموالهم بالمُصادرة سواء كان المأخوذ منه مُسلماً أو كافراً ذمّياً لأنّه يُوجب مُضافاً الى الظّلم تزلزل المالكية في الإسلام وقد ثبت أنّ النّاس مُسلّطون على أموالهم وأنفسهم وإستثنى منه ما كان عِدّة للخارجين على الإسلام يَصُولون بها على أهله فأنّه يؤخذ منه كالفَرس والسّلاح الّذي يُعدى به على أهل الإسلام وذلك لأنّه لو بقى في يده يتضّرر:

الإسلام وأهله به مَع أنّ الإسلام يَعلُو ولا يُعلى عليه ودفع الضّرر واجب عقلاً وأمّا الأموال الّتي ليست كذلك فلا يجوز لأحدٍ أخذها ومُصادرتها:

▫ **قوله** ﷺ: **ولا تدَّخِرُواأنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً ولا الجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ ولا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً** ولا دِينَ اللّهِ قُوّةً ...

أدّخر الشّيء إستبقاه لا يُبذل منه لوقت الحاجة وضِمن أدّخر هيهنا معنى مَنع فعداه بنفسه لمفعولين أي لا تمنعُوا أنفسكم شيئاً من النّصيحة بدعوى تأخيره لوقت الحاجة بل حاسبُوا أنفسكم على أعمالها كلّ وقتٍ ومثل هذا يُقال في المعطوفات أي ولا تدّخروا ولا تمنعُوا الجُند حُسن السّيرة ولا تمنعُوا المَعونة عن الرّعية ولا عن دين اللّه قوّة وأنْ شئت قلت إنصحُوا أنفسكم وأحسنُوا السّيرة للجُند وأعينُوا الرّعية وأنصرُوا دين اللّه:

▫ **قوله** ﷺ: **وأبْلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ما إسْتَوْجَبَ عليكُمْ فإنّ اللّهَ سُبْحانَهُ قَدِ إصْطَنَعَ عِنْدَنا وعِنْدَكُمْ أنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنا وأنْ نَنْصُرَه بِما بَلَغَتْ قُوَّتُنا ولا قُوّةَ إلّا باللّهِ** ...

أي أدّوا في **سَبِيلِ اللّهِ ما إسْتَوجَبَ عليكُمْ** من الواجبات الشّرعية فأنّ اللّه سُبحانه **قَدِ إصْطَنَعَ** وطَلب **عِنْدَنا وعِنْدَكُمْ أنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنا** فأنّه واجب علينا عقلاً وشرعاً وأنْ **نَنْصُرَه** أي ننصر دين اللّه بما **بَلَغَت قُوّتُنا** فأنّ اللّه تعالى لا يُكلّف نفساً إلّا وُسعها ومن المعلوم أنّه لا قُوّةَ إلّا باللّه :

ومن كتاب له عليه السلام (٥٠)
الىٰ أمراء البلاد في معنىٰ الصّلٰوة

▫ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بالنَّاسِ الظُّهْرَ حتّىٰ تَفِيَّ الشَّمْسُ منْ مَرْبَضِ العَنزِ وصَلُّوا بِهمُ العِصْرَ والشَّمْسُ بَيْضاء حَيَّةٌ في عِضْوٍ منَ النَّهارِ حين يُسَارُ فِيها فَرْسَخانِ وَصلُّوا بِهمُ المَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ ويَدْفَعُ الحَاجُّ وصَلُّوا بِهمُ العِشَاء حِينَ يَتَوَارَىٰ الشَّفَقُ إلىٰ ثُلُثِ اللَّيْلِ وصَلُّوا بِهمُ الغَدَاةَ والرَّجُلَ يَعْرِفُ وجْهَ صَاحِبِه وصَلُّوا بِهمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِمْ ولا تَكُونُوا فَتَّانِينَ.

◁ اللغة

(تَفِيَّ) من فاء يفيئ اذا رَجَع (مَرْبَضَ العَنزِ) مربض إسم مكان من الرّبـض وهو موضع تربّض العَنز، والعَنَزَة بالتّحريك أطول من العصا وأقصر من الرُّمح وذلك نحو ذراع أو أكثر بزيادة يسيرة (عِضْوِ) بكسر العين مدّة أو قطعة مـن النّهار (فَتَّانِينَ) مبالغة من الفِتنة أي لا تكونوا مُفتّنين لِلنّاس:

◁ الشّرح

اعلم: أنّ هذا الكلام أنّما صدر منه عليه السلام لتـعيين أوقـات الصّـلٰوة الخَـمس ومواظبة الأُمراء عليها بعدم تأخيرها عن مواقيتها وذلك لأنّ الصّلٰوة في أوّل الوقت رضوان اللّه وفي آخره غفرانه ونحن نشير الىٰ بعض ما ورد في الباب ثمّ نشرح كلامه عليه السلام فنقول:

روي في الوسائل بأسناده عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام قال الصّلوات المفروضات في أوّل وقتها اذا أُقيم حدودها أطيب ريحاً من قضيب الأس حين يؤخذ من شجره في طيبه وريحه وطراوته وعليكم بالوقت الأوّل انتهىٰ « ج ٣ ص ٨٦»...

وبأسناده عن مُحمّد بن مسلم قال سمعت أبا عبد اللّه يقول اذا دخل وقت الصّلوة فُتِحَت أبواب السّماء لِصعُود الأعمال فما أحبّ أن يصعد عمل أوّل من عَمَلي ولا يكتب في الصّحيفة أحدٌ أوّل منّي انتهىٰ« ص ٨٧»...

وبأسناده عن الرّضا عليه السلام قال اذا دخل الوقّت عليك فصّلها فأنّك لا تدري ما يكون انتهىٰ« ص ٨٧»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه في حديثٍ قال لكلّ صلّوةٍ وقتان وأوّل الوقتين أفضلهما ولا ينبغي تأخير ذلك عمداً ولكنّه وقت من نسىٰ أو شغل أو سَها أو نام وليس لأحدٍ أنّ يجعل آخر الوقتين وقتاً إلّا من عُذرٍ أو عِلّةٍ انتهىٰ « ص ٨٧ »...

وبأسناده عن أبي جعفر قال عليه السلام أحبّ الوّقت الىٰ اللّه عزّ وجلّ أوّله حين يدخل وقت الصّلوة فصّل الفريضة فأن لم تفعل فأنّك في وقتٍ منهما حتّىٰ تغيب الشّمس « ص ٨٧»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ما من صلّوةٍ يحضر وقتها إلّا نادىٰ مَلَك بين يَدي اللّه (النّاس) أيّها النّاس قومُوا الىٰ نيرانكم الّتي أوقدتموها علىٰ ظهوركم فأطفئوها بصّلوتكم انتهىٰ « ص ٨٨»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه قال قال جبرئيل لرسُول اللّه (في حديث) أفضل الوّقت أوّله « ص ٨٨»...

وبأسناده – قال أبو عبد اللّه عليه السلام لكلّ صلوةٍ وقتان وأوّل الوّقت أفضلهما « ص ٨٩»...

وعن زرارة قال قلت لأبي جعفر عليه السلام أصلحك اللّه وقت كلّ صلوةٍ أوّل

الوّقت أفضل أو وسطه أو آخره قال ﷺ أوّله أنّ رسول اللّه ﷺ قال أنّ اللّه عزّ وجلّ يحبّ من الخير مايُعّجَل « ص ٨٩»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه قال ﷺ لكلّ صلٰوة وقتان وأوّل الوّقت أفضله وليس لأحدٍ أن يَجعل آخر الوقتين وقتاً إلّا في عُذرٍ من غير علّة انتهىٰ« ص ٨٩»...

ومن المعلوم أنّ المراد من أفضلّية الوَقت الأوّل إستحبابه لا وجوبه وإلّا يلزم أن يكون الصّلٰوة في آخر الوقت أو وَسَطه قِضاءً لا أداءً وهو خلاف ما عليه إجماع الأُمّة وأنّما تكون الصّلٰوة في أوّل الوقت مُستّحباً لأنّ تأخيرها عنه يُوجب تضييعها والإستّخفاف بها اذا كان من غير عُذرٍ عقلي أو شرّعي فالإتيان بها في أوّل وقتها يمنع عن تضييعها فهو راجحٌ وتركه مرجوح ولا نعني بالإستحباب إلّا هذا فقد روي في الوسائل عن السّاباطي عن أبي عبد اللّه قال ﷺ من صَلّىٰ الصّلٰوة المَفروضات في أوّل وقتها وأقام حِدودها رَفعها المَلَك الىٰ السّماء بيضاء نقيّة وهي تهتّف به تقول حفظك اللّه كما حَفَظتني وإستودعك اللّه إستَودعتني مَلَكاً كَريماً ومن صلاّها بعد وقتها من غير علّةٍ ولم يُقم حِدودها رَفَعها المَلَك سوداء مظلمة وهي تهتف به ضَيعّتني ضيّعك اللّه كما ضيّعتني ولا رعاك اللّه كما لم تَرعني «الحديث ج ٣ ص ٩٠» اذا عَرَفت فضيلة الوقت فنقول:

▫ قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بالنَّاسِ حَتّىٰ تَفِيَّ الشَّمْسَ منْ مَرْبَضِ العَنزِ ...

هذا الّذي ذكره وقت صلٰوة الظُّهْرِ وأنّما بَدأ بها لأنّها أوّل صَلٰوةٍ أُنزلت علىٰ رسول اللّه ﷺ فقد روي في الوسائل بأسناده عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد اللّه يقول صلٰوة الوُسطىٰ صلٰوة الظّهر وهي أوّل صلٰوة أنزل اللّه علىٰ بنّيه« ج ٣ ص ١٤»....

وهي الصّلٰوة الوُسطىٰ في قوله تعالىٰ حافظوا علىٰ الصّلوات والصّلٰوة الوُسطىٰ، ومحافظتها، أدائها في أوّل وقتها بحدّودها وشرائطها وقوله ﷺ: حتّىٰ

تَفيَ الشّمس من مَربَض العَنز، أي حتّىٰ ترجع وتميل الشّمس والمَرِبض بفتح الميم وكسر الباء موضع رَبَض الغَنم وهو كالجُلوس للإنسان وقيل كالإضطجاع له ومنه قول علّي عليه السلام في الخطبة الشّقشقيّة والنّاس حَولي كربيضة الغَنم، ومنه حديث المُنافق اذا رَكَع رَبَض واذا سَجَد نَقَر واذا جَلَس شَغَر، وأمّا العَنْز بفتح العين وسكون النّون والزّاء مصدر عَنَز وهو الأُنثىٰ من المَعَز وكذلك العَنزَة من الظّباء والمراد من مَرْبَضِ العَنزِ في المقام موضع ترَبُض العَنَز وذلك نحو ذراع أو أكثر بزيادة يسيرة وفي الحديث كان رسول اللّه يَجعل العَنزَة بين يَدَيه اذا صلّىٰ وكان ذلك ليستتر بها عن المارّة والعَنَزة بالتّحريك أَطوَل من العصا وأقصر من الرُّمح وفيه زجّ كزجّ الرُّمح والجمع عَنَزة وعَنَزات كقصبة وقصبات وقصب وحاصل المعنىٰ صلّوا بالنّاس حتّىٰ تَفيَ الشّمس أي تَصِل في ميلها جهة الغَرب الىٰ أن يكون لها فَيْ أي ظلّ من حائط المَربَض علىٰ قدر طوله وذلك حيث يكون ظلّ كلّ شيَ مثله وهذا الوقت للظّهر ممّا لا خلاف فيه عندنا:

قال في الحدائق، المسئلة الثّالثة لا خلاف بين الأصحاب في أنّ أوّل وقت الظّهر زوال الشّمس الّذي هو عبارة عن ميلها وإنحرافها عن دائرة نصف النّهار وقد نقل الإجماع علىٰ ذلك في المُعتبر والمُنتهي والأصل فيه الآية والأخبار قال اللّه عزّ وجلّ: **﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾**(١) ودلوكها زَوالها كما نَصّ عليه أهل اللّغة انتهىٰ موضع الحاجة منه ويُعبّر عن هذا الوقت بوقت الفَضيلة وهل هذا الوقت مُختّص بها أو مُشترك بينها وبين العَصر إلّا أنّ الظّهر قبل العَصر ففيه كلامٌ بين الفُقهاء فقد وَرد في بعض الأحاديث اذا زالت الشّمس دخل الوقتان الظّهر والعَصر إلّا أنّ الظّهر قبل العَصر وقال السيّد المُرتضىٰ رحمه الله اذا زالت الشّمس دخل وقت الظّهر فاذا مضىٰ مقدار أربع ركعات إشترَكت الصّلوتان الظّهر والعَصر في الوقت الىٰ أنْ يبقىٰ الىٰ مَغيب الشّمس

١- اسراء ٧٨

مقدار أربع ركعات فَيخرج وقت الظّهر ويبقىٰ وقت العَصر وبالغروب ينقضي وقت العَصر وتفصيل الكلام في الفقه .

▫ **قوله ﷺ: وصَلُّوا بِهمُ العَصْرِ والشّمْسُ بَيْضاء حَيَّةٌ في عِضْوٍ منَ النَّهارِ حِين يُسَارُ فِيها فَرْسَخانِ ...**

ثمّ أشار ﷺ الىٰ وقت صلٰوة العَصْرِ وقال صلّوا بهم أي بالنّاس العَصر والحال أنّ الشّمس بيضاء حيّة لم تصغر وذلك في جزءٍ من النّهار يَسَع السّير فرسَخَين والضّمير في قوله ﷺ: (**فيها**) لِلعِضْو بإعتبار معناه وهو كونه مدّة من النّهار:

▫ **قوله ﷺ: وصَلُّوا بِهِمُ المَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ ويَدْفَعُ الحَاجُّ ...**

أي وقت صلٰوة المَغْرِبَ حِينَ يَفْطِرُ الصَّائِمُ ويفيض الحَاجُّ من عَرَفات:

▫ **قوله ﷺ: وصلّوا بهم العشاء حين يتّوارىٰ الشّفق الىٰ ثلث اللّيل ...**

أي وقت صلٰوة العِشَاء بعد المَغرب حِينَ يَتَوَارَىٰ الشَّفَقُ أي يَغيب الىٰ ثلث اللّيل والمراد بالشّفق الحُمرة الباقية بعد إستتار القُرص وأمّا آخر وقت العشاء فقد إختلفوا فيه وتفصيل الكلام فيه أيضاً موكول الىٰ الفِقه وذلك لإختلاف الأخبار والأقوال فيها والمشهور عندنا الىٰ نصف اللّيل:

▫ **قوله ﷺ: وصَلُّوا بِهِمُ الغَدَاةَ والرَّجُلَ يَعْرِفُ وجْهَ صاحِبِهِ ...**

وفيه إشارة الىٰ ما ذهب اليه الأصحاب من أنّ وقت صلٰوة الصّبح هو طلوع الفجر الثّاني ويُقابله الفَجر الأوّل وهو الّذي يبدر كذَنب السّرحان مستدقاً مُستطيلاً الىٰ فوق ويسمّىٰ بالكاذب لعدم دلالته علىٰ الصّبح واقعاً وذاك يسمّىٰ الصّادق لصدقه علىٰ الصّبح والأخبار به كثيرة:

روي في الحدائق بأسناده عن أبي جعفر ﷺ قال كان رسول اللّه ﷺ يصلّي ركعتي الصّبح وهي الفَجر اذا إعترض الفَجر فأضاءَ حُسناً انتهىٰ .

وأيضاً روىٰ بأسناده عن أبي عبد اللّه قال ﷺ الصّبح هو الّذي اذا رايته مُعتَرِضاً كأنّه بياض سوداء انتهىٰ وأمثال ذلك من الأخبار:

▫ **قوله ﷺ: وصَلُّوا بِهمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِمْ ولاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ ...**

ثمّ نهىٰ الأئمّة في الصّلٰوة عن الفِتنَة أي التّطويل فيها لأجلها والمعنىٰ صلّوا بالنّاس صلٰوة أَضْعَفِهِم أي صلٰوة أضعف المأمومَين بمراعاة حالِه ولا تَكُونُوا في صَلٰوتكم سبَباً وباعِثاً، لِفِتنة المأمومين ونِفرَتهم عن صلٰوة الجماعة بالتّطويل المُمّل، وفي تعبيره بالفَتانين إشارةٌ الىٰ أنّ الإمام اذا لم يكن مُراعِياً حال المَأموم الضّعيف فهو فِي الحقيقة يكون مُرائياً في صلٰوته مُوجباً وباعِثاً لِفِتنَة النّاس فلعلّ غرضه تجليل النّاس وتَمجيدهم عنه واذا كان كذلك فَلَيست صلٰوته هذه لِللّه تعالىٰ وتقرّباً اليه بل هي للتّقرب الىٰ النّاس ولأجل ذلك عبّر عنهم بالفَتانين:

ومن كتاب له عليه السلام (٥١)

كَتَبه لِلأشتر النَخعي لمَا ولآه علىٰ مِصر وأعمالها حين إضطرب مُحمّد ابن أبي بكر وهو أطول عهدٍ وأجمع كتبه للمحاسن

الفصل الأوّل:

▫ هذَا ما أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللّهِ عَليٌّ أَمِيرُالمُؤمِنينَ مَالِكَ بْنَ الحارِثِ الأَشْتَرَ في عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ جِبايَةَ خَرَاجِها وجِهادَ عَدُّوها وإسْتِصْلاَحَ أَهْلِها وعِمَارَةَ بِلاَدِها:

أَمَرَهُ بِتَقْوَىٰ اللّهِ وإيثَارِ طَاعَتِه وإتْبَاعِ ما أَمَرَ به في كِتَابِهِ منْ فَرَائِضِهِ وسُنَنِهِ الّتِي لا يَسْعَدُ أحَدٌ إِلَّا بإتباعِها ولا يَشقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وإِضَاعَتِها وأنْ يَنْصُرَ اللّهُ سُبْحانَهُ بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ فأنَّهُ جَلَّ إسمُهُ قدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وإعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ،وأَمَرَهُ أنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ منَ الشَّهَوَاتِ ويَزَعَها عِنْدَ الجَمَحاتِ فإنَّ النَّفْسَ أمَّارَةٌ بالسُّوءِ إلَّامارَحِمَ اللّهُ:

ثُمَّ أعْلَمْ يامالِكَ أني قدْوجَّهتُكَ إِلىٰ بلادٍ قدْ جَرَتْ عَلَيْها دُوَلٌ قَبْلَكَ منْ عَدْلٍ وجَوْرٍ وأنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ منْ أُمُورِكَ في مِثْلِ ماكُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ منْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ ماكُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ وانَّما يُسْتَدَلُّ علىٰ الصَّالِحينَ بما يُجْرِي اللّهُ لهُمْ علىٰ أَلْسُن عِبادِهِ:

فَلْيكُنْ أَحَبُّ الذَّخائِرِ إِلَيكَ ذَخيرَةَ العَمَلِ الصَّالِحِ فامْلِكْ هَوَاكَ وشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ فإنَّ الشُّحَّ بالنَّفْسِ الإنصَافُ مِنْها فِيما أَحَبَّبْتَ أوْ كَرِهَتْ وأَشْعِرْ

قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ والمَحَبَّةَ لَهمْ واللُّطْفَ بِهمْ وَلا تَكُونَنَّ عَلَيهِم سَبُعاً ضارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلِهِمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ في الدِّينِ وأَوْنَظِير لَكَ في الخَلْقِ يَفْرُطُ مَنْهُمْ الزَّلَلُ وتَعرِضُ لهُمُ الْعِلَلِ ويُؤتَى علىٰ أَيْدِيهِمْ في العَمْدِ والخَطإ فأَعْطِهِمْ منْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أنْ يُعْطِيَكَ اللّهُ منْ عَفْوِهِ وصَفْحِه فإنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ واللّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ وقَدِ إسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وإِبْتَلاَكَ بِهِمْ ولا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللّهِ فإنّهُ لا يَدَي لَكَ بِنِقْمته ولا غِنىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِه ولاَ تَنْدَمَنَّ علىٰ عَفْوٍ ولا تبْجَحَنَّ بِعقُوبَةٍ ولاَ تُسْرِعَنَّ إلىٰ بادِرَةٍ وجَدْتَ مِنْها مَنْدُوحَةً ولا تَقُولَنَّ أنِّي مُؤمَّر آمِر فأُطاعُ فإنَّ ذلِكَ إدْغالٌ في الْقَلْبِ ومَنْهكَةٌ لِلدِّينِ وتقرُّبٌ من الْغِيَرِ وإذا أحْدَثَ لَكَ ما أنْتَ فيهِ منْ سُلْطَانِكَ أُبَّهةً أوْ مخيلَةً فأنْظُرْ إلىٰ عِظَمِ مُلْكِ اللّهِ فَوْقَكَ وقُدْرَتِه مِنْكَ علىٰ ما لاتَقْدِرُ علْيهِ منْ نَفْسِكَ فإنَّ ذلِكَ يُطامِنُ إلَيْكَ طِمَاحِكَ ويكُفُّ عَنْكَ منْ غَرْبِكَ ويَفئُ ألَيْكَ بما عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ !

إيَّاك ومُسَامَاةَ اللّهِ في عَظَمَتِهِ والتَّشَبهَ بهِ في جَبَرُوتِه فإنَّ اللّهَ يذِلُّ كلَّ جَبَّارٍ ويُهينُ كلَّ مُخْتالٍ أَنْصِفَ اللّهَ وأَنْصِفِ النَّاسَ منْ نَفْسِكَ ومنْ خاصَّةِ أهْلِكَ ومَنْ لَكَ فِيهِ هِوًىً منْ رَعِيَّتِكَ فإنَّكَ إلاّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ ومَنْ ظَلَمَ عِبادَاللّهِ كانَ اللّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبادِهِ ومَنْ خاصَمَهُ اللّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وكانَ لِللّهِ حَرْباً حتّىٰ ينزِعَ وَيَتُوبَ ولَيْسَ شَئ أدْعَى ألىٰ تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللّهِ وتعْجِيلِ نِقْمَتِه منْ إقامَةٍ علىٰ ظُلْمٍ فأنَّ اللّهَ سَميعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وهُوَ لِلظَّالِمينَ بالْمِرْصَادِ .

◁ اللغَة

(جِبايَةَ) بكسر الجيم مَصدر قولك جَبىٰ يَجبي يُقال جَبَيْتُ الخَراج جِبايَةَ جمعته (الجَمَحات) جَمَح أي أسرَع وقوله ﷺ وَيَزعها أي يَكُفها (دُوَلٌ) بضّم الدّال وفتح الواو جمع دَوْلة (شُحَّ) بضّم الشّين فعل أمر والشّحّ البُخل (يَفْرُطُ) أي يَسبق والزَلَل الخطأ (لا تَبْجَحَنَّ) فعل مضارع مؤكد بالنّون المُثَقلة من بجح يَبجح كفرح يفرح لفظاً ومعنىً (بادِرَةٍ) البادرة ما يبدر من

الحِدّة عند الغَضَب في قولٍ أو فعلٍ (مَنْدُوحَةً) المندوحة المُتّسع أي المخلص (مُؤَمَّر) كمُعظّم أي مسّلط (إدْغالٌ) إدخال الفساد (مَنْهَكَةٌ) يُقال نَهَكه أي أضعَفَه (الْغِيَرِ) بكسر الغين وفتح الياء الحادثات بتّبدل الدّول (أُبَّهةً) بضّم الهَمزَة وتشْديد الباء مفتوحةً، العَظمة والكبرياء (والمَخِّيلةً) بفتح الميم وكسر الخاء الخيلاء والعُجب (طِمَاحِكَ) الطِّماح مثل الكتاب النّشوز (المُسامَاةَ) المباراة في السّمُو أي العلو (يُهينُ) أي يُضّعف (أدحَض) أي أبطَل:

◁ **المعنىٰ**

(هذَا) الكتاب (ما أمَرَ بهَ عَبْدُ اللّٰهِ عَلِيٌّ أمِيرُ المؤمنينَ مالِكَ بْنَ الحارِثِ الأَشْتَرَ في عَهْدِهِ إليْهِ) أي عهد علّي الىٰ الأَشْتَرَ (حِينَ وَلاَّهُ) جَعَل الأَشْتَرَ والياً (مِصْرَ) علىٰ مِصرَ (جِبايَةَ خَرَاجِهَا) أي جمعها (وجِهادَ عَدُوِّها) من الكُفّار والمُنافقين (وإسْتِصْلاَحَ أهْلِها) عِلماً وَعَمَلاً (وعِمَارَةَ بِلاَدِها) أي عمارة بلاد مِصر (أَمَرَهُ) أي أمَرَ الأَشْتَرَ أوّلاً (بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ) فأنّها خير الزّاد (وإيثَارِ طَاعَتِهِ) طاعة اللّه (وإتِّبَاعِ ما أمَرَ) اللّه (بِه في كِتَابِهِ منْ فَرَائِضِهِ) وواجباته (وسُنَنِهِ) ومستّحباته (الّتي لا يَسْعَدُ) ولا يكون سَعيداً (أحَدٌ) من النّاس (إلّا بإتباعِها) والعَمَل بها (ولا يَشقَىٰ إلاّمَعَ جُحُودِهَا) وإنكارها (وإضَاعَتِها) بَعدم العَمَل بها (وأنْ يَنْصُرَ اللّٰهُ سُبْحانَهُ بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ) ونُصرته نُصرة دينه (فإنَّهُ جَلَّ إسْمُهُ قدْ تَكَفَّلَ) ضَمَن (بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وإعْزَازِ مَنْ أعَزَّهُ) أي بنصر مَن نَصَر دينه وإعْزَازِ من أعَزَّ دينه (وأَمَرَهُ أنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنْ الشَّهَوَاتِ) بالرّياضات (ويَزَعَها) أي يكفّها ويَمنعها (عِنْدَ الجَمَحاتِ) وميلها وسُرعتها الىٰ الباطل (فإنَّ النَّفْسَ أمَّارَةٌ بالسُّوءِ) والمعاصي (إلَّا ما رَحِمَ اللّٰهُ) ومَنعه منه (ثُمَّ إعْلَمْ يا مالِكُ أنّي قدْ وَجَّهْتُكَ) وأرسَلتك (إلىٰ بِلاَدٍ قدْ جَرَتْ عَليها دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدلٍ وجَوْرٍ) فمنهم مَن عَدَل ومنهم من جار وظَلَم (وأنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ منْ أُمُورِكَ) وأعمالك مثل ما كُنْتَ تَنْظُرُ فيهِ منْ أُمورِ الوُلاةِ قَبْلَكَ) من العَدل والجَور (ويَقُولُونَ) النّاس (فِيكَ) أي في أعمالك الّتي فَعلتها في ولايتك مثل (ما كُنْتَ

تَقُولُ فِيهِمْ) أي في حقّ من كان قبلك.

(وأنَّما يُسْتَدَلُّ علىٰ الصَّالِحينَ بَما يُجْرِي اللّٰهُ لهُمْ علىٰ أَلْسُنِ عِبَادِهِ) بما يقولون في حقّهم اذ لا معرفة الىٰ الصُّلحاء إلّا بشهادة النّاس (فَلْيَكُنْ أَحَبُّ الذَّخائِرِ إِلَيْكَ عند الله (ذَخيرَةَ العَمَل الصَّالحِ) في الدّنيا (فأمْلِكْ هَوَاكَ) أي كُن مالكاً لِهواك ومُسّلطاً عليه (وشُحَّ) أيَ أبخِل (بِنَفْسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ) من المُحرّمات فلا تدعها لتدخل فيها وتهلك (فإنَّ الشُّحَّ بالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْها) من النّفس (فيما أحَبَّتْ) النّفس (أوْ كَرِهَتْ) النّفس (وأشْعِرْ) وَفّهم (قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعيَّةِ والمَحَبَّةَ لهُمْ واللّطُف بهم) ليكون رحيماً لطيفاً لهم (ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ) علىٰ النّاس (سَبُعاً ضارِياً) أي حيواناًمضّراً بهم (تَغْتَنِمُ) السّبع (أكْلِهمْ) أي أكل النّاس (فإنَّهُمْ) أي النّاس (صِنْفَانِ) وقسمان (إِمَّا أَخٌ لَكَ في الدِّينِ) أن كان مُسلماً (أوْ نَظِير لَكَ في الخَلْقِ) أن كان غير مُسلم (يَفْرُطُ) ويسبق (مِنْهُمْ في الزَّلَلُ) والخَطأ (وتَعْرِضُ لهُمُ الْعِلَلُ) والعصيان (ويُؤْتَي علىٰ أيْدِيهِمْفي العَمْدِ والخَطإِ)أي تأتي السّيئات علىٰ أيديهم عَمداً كانت أو خطأ (فأعْطِهِمْ) أي أعط المُجرمين (مِن عَفْوِكَ وصَفْحِكَ) وطلاقة وجهك (مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أنْ يُعطِيَكَ اللّهُ منْ عَفْوِهِ وصَفْحِه) يوم القيامة (فإنَّكَ فَوْقَهُمْ) بولايتك عليهم (وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ) وهو الخليفة (فَوْقَكَ واللّٰهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ) أي أنّ الله فوق الإمام الّذي ولّاك علىٰ النّاس (وقَدِ إِسْتَكْفَاكَ) أي طلب منك كفاية (أمْرَهُمْ) أمر النّاس (وإبْتَلاَكَ) الله (بِهِمْ) بالنّاس (ولا تَنْصِبَنَّ) أي لا تَجعلنّ نفسك (لِحَرْبِ اللّهِ فإنّهُ لا يَدَيَ لَكَ بِنِقْمتِه) أي لا طاقةٍ لك بها (ولا غِنىٰ بكَ عَنْ عَفْوِهِ ورحْمَتِهِ) لأنّك محتاج الىٰ عفوه (ولاَ تَنْدَمَنَّ علىٰ عَفْوٍ) عَفوت (ولا تَبْجَحَنَّ) ولا تفرحن بِعقُوبَةٍ) أعملتها في حقّ غيرك (ولاَ تُسْرِعَنَّ إِلىٰ بادِرَةٍ) أي غَضَب في فعلٍ أو قولٍ (وَجَدْتَ مِنْها) من البادرة (مَنْدُوحَةٌ) ومخلصاً (وَلا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمِرٌ فأُطَاعُ) أي لا تَقُل أنّي آمرٌ عليكم ولابدّ لكم مِن الطّاعة (فإنَّ ذلِكَ) القول (إدغالٌ) وإفساد (في الْقَلْبِ ومَنْهَكَةٌ) ومُضعفة (لِلدِّينِ وتَقَرُّبٌ منْ الْغِيرِ)

والحادثات (وإذا أحْدَثَ لَكَ) في الدّنيا (ما أنْتَ فيهِ منْ سُلْطَانِكَ أُبَّهةً) وَعظمة (أوْ مَخيلَةً) وعُجباً (فإنْظُرْ إلىٰ عِظَمِ مُلْكِ اللّهِ فَوْقَكَ وقُدْرَتِهِ مِنْكَ علىٰ ما لاَ تَقْدِرُ عليْهِ منْ نَفْسِكَ)والحاصل أُنظر الىٰ قُدرة اللّه وعَجزك (فإنَّ ذٰلِكَ) التّوجه (يُطامِنُ) أي يخفض (مِنْ طِمَاحِكَ) ونشوزك (وَيَكُفُّ) ويمنع (عَنْكَ منْ غَرْبِكَ) وحِدّتك (ويَفِيُّ) ويرجع (اِلَيْكَ بِما عَزَبَ عَنْكَ) وغاب (مِنْ عَقْلِكَ وإيَّاك ومُسَامَاةَ اللّٰهِ)ومباراته (في عَظَمَتِه والتَّشَبهَ به) باللّه تعالىٰ (في جَبَرُوتِه فإنّ اللّهَ يُذِّل ويُحقّر كلَّ جبّارٍ ويُهينُ) ويضعف (كلَّ مُخْتالٍ) فخور (أَنْصِفِ اللّٰهَ وأنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسكَ ومنْ خاصّةِ أهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًىً مِنْ رَعِيّتِكَ)

فأنّ إنصافك من نفسك دليل علىٰ إيمانك (فإنَّكَ إلّا تَفْعَل) ذلك (تَظْلِمْ) علىٰ النّاس (وَمَنْ ظَلَمَ عِبادَ اللّهِ كانَ اللّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبادِهِ) يوم القيامة (ومَنْ خاصَمَهُ اللّهُ أَدْحَضَ) وأَبطَل (حُجَّتَهُ وَكانَ لِلّهِ حَرْباً) أي مُحارباً (حتّىٰ يَنزِعَ ويَتُوبَ) من ظُلمه (وليس شيٌ أدَعىٰ الىٰ تغيير نعمة اللّه و(تَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ) وعذابه (منْ إقامَةٍ علىٰ ظُلْمٍ فأنَّ اللّهَ سَميعٌ دَعْوَةَ المُضْطَهَدِينَ) المظلومين (وهُوَ لِلظَّالمينَ بالمِرْصَادِ) فيأخذهم علىٰ ظلمهم:

◁ الشرح

اعلم: أنّ هذا الكتاب الّذي كَتَبه ﷺ وأَملاه حين ولّىٰ مالك بن الحارث المشهور بالأشتر علىٰ مِصر من أحسَن الكُتُب وأَجمعها وأَكمَلها في بابه وذلك لتضّمينه سعادة الدّارين للحاكم والرّعية لَو عَمَلوا به كَيف لا ويبحث فيه عمّا يحتاج اليه النّاس في إقتصادهم وسياستهم ودينهم ومعاشرتهم والجهاد مع أعدائهم وغيرها كما ستعرف الكلام فيه:

▫ **قوله** ﷺ: **هذَا ماأَمَر بِهِ عَبْدُ اللّهِ عليٌّ أَمِيرُ المؤمِنينَ مالِكَ بْنَ الحارِثِ الأَشْتَرَفي عَهْدِهِإليْهِ حِينَ ولاَّهُ مِصْرَ جِبايَةَ خَرَاجِها وجِهادَ عَدُوِّها وإسْتِصْلاَحَ أَهْلِها وعِمَارَةَ بِلاَدِها...**

قد مضىٰ الكلام في وجه تسميته ﷺ بأمير المؤمنين وقلنا أنّ هذا اللّقب من

الألقاب الخاصّة به عليه‌السلام في الإسلام ولا يطلق على غيره كائناً من كان وقد مرّت الأخبار الدّالة عليه وهكذا تكلّمنا في ما مضىٰ في الأشتر ونَسَبَه ومَوضِعَه عند أمير المؤمنين وقد كفانا في شأنه أنّه عليه‌السلام قال في حقّه كان مالك لي كما كُنتُ لرسُول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله وقد إتّفقوا علىٰ أنّ علّياً عليه‌السلام ولّىٰ مالكاً علىٰ مِصر حين إضطرب أَمر مُحمّد بن أبي بكر فيها وقد مرّ تفصيل ذلك في كتابه عليه‌السلام الىٰ مُحمّد بعد أن توفىٰ الأَشْتَرَ في توجّهه الىٰ مِصر قبل وصوله اليها أُنظر كتاب (٣٢) وأمّا قوله عليه‌السلام جباية خراجها الىٰ آخره فهو إشارة الىٰ الأُصول الموجودة فيه وهي أربعة يدور الكلام عليها:

أحدها: جباية الخراج وجمعه في بيت المال ثمّ إنفاقه في مصالح المُسلمين:

وثانيها: جهاد الأعداء والقتال معهم لنَصرة دين اللّه وشوكة المُسلمين:

وثالثها: إستِصْلاَحَ أهْل البلاد في دينهم ودنياهم من حَيث الإقتصاد والمُعاشرة والأخلاق:

ورابعها: عمارة بلادهم من حيث الزّراعة والصّنعة والتّجارة وغيرها وأنّما قلنا يدور الكلام علىٰ الأُصول المذكورة لأنّ سعادة الجوامع البَشرية لا تحصل إلّا بمراعاتها كما سيظهر لك:

▫ **قوله عليه‌السلام: أَمَرَهُ بِتَقْوَىٰ اللّهِ وإيثَارِ طَاعَتِه وإتّبَاعِ ما أَمَرَ بِهِ في كِتَابِهِ منْ فَرَائِضِهِ وسُنَنِهِ الّتي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إلّا بإتباعِها ولا يَشْقَىٰ إلّا مَعَ جُحُودِهَا وإضَاعَتِها...**

أَمَرَهُ عليه‌السلام: **أوّلاً:** بِتَقوىٰ اللّه لأنّها خير الزّاد وأساس الإيمان وقد مرّ الكلام فيها غير مرّةٍ. **وثانياً:** بإيثار طاعته وهو إختيار طاعة اللّه علىٰ طاعة غيره فأنّ الإيثار هو الإكرام والإعطاء اذا كان فيه تقديم وتفصيل وبعبارة أُخرىٰ تقديم الغير علىٰ نفسه ففي كلام أمير المؤمنين إشعار بأنّ المؤمن الحَقيقي مَن يُؤثر طاعة اللّه علىٰ طاعة غيره في صورة الدّوران لا مُجّرد الطّاعة في غيرها وذلك لأنّ كثيراً من النّاس يُطيعُون اللّه وأمّا اذا دار الأمر بين طاعته تعالىٰ وطاعة غيره

فيقدّمون الغَير عليه فَيَشترون رضا المخلوق بِسَخَط الخالق وهذا هو السّر في تعبيره بالإيثار.

وثالثاً: أَمَره بإتباع الفرائض والسُنَن الّتي لا يَسعَد أحد في الدّارين إلّا باتّباعها ولا يَشقىٰ إلّا بِجَحُودها وإنكارها والدّليل عليه قوله تعالىٰ: **﴿مَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**(١)

▫ **قوله ﷺ: وأَنْ يَنْصُرِ اللّٰهُ سُبْحانَهُ بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ فإنَّهُ جَلَّ إسمُهُ قدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وإعْزَازِ مَنْ أعزَّهُ...**

والمراد بنصر اللّه نَصر دينه بالعَمَل بأحكامه بعد الإعتقاد بصَحتّه ولا شّك أنّ اللّه تعالىٰ ينصر من نَصَر دينه ويعزّ من أعزّهُ قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**(٢)

و: **﴿وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِندِ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾**(٣)

و: **﴿وَيَنصُرَكَ اللّٰهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾**(٤)

و: **﴿وَاللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾**(٥)

▫ **قوله ﷺ: وأَمَرَهُ أنْ يَكْسِرَ نَفْسَه مَنْ الشَّهَوَاتِ ويَزَعَها عِنْدَ الجَمَحاتِ فإنَّ النَّفْسَ أمَّارَةٌ بالسُّوءِ إلّا ما رَحِمَ اللّٰهُ...**

كَسِر النَّفس عن الشّهوات يحصل بسبب الرّياضات الشّرعية والمراد بكسرها عدم إتّباعها لها وقوله يَزَعها عند الجَمَحاتِ أي يكفّها ويَمنَعها عند المهالك وذلك لأنّها تَسرع الىٰ الشّهوات لكونها أمّارة بالسُّوء إلّا ما رحم اللّه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾**(٦) وقال رسول اللّه أعدىٰ عدّوك نَفسك الّتي بين جَنبيك:

روي في مُشكاة الأنوار من كتاب المَحاسِن عن أبي عبد اللّه ﷺ أنّه قال لرجلٍ أنّك قد جُعَلت طبيب نفسك وبيّن لك الدّاء وعرفت آية الصّحة ودُلّت

١- الحشر ـ٨
٢- الروم ـ٤٧
٣- آل عمران ـ١٢٦
٤- الفتح ـ٣
٥- آل عمران ـ١٣
٦- يوسف ـ٥٣

على الدّواء فأُنظر كيف قيامك على نفسك انتهى.

وعنه ﷺ – أحمل نفسك لنفسك لنفسك فأن لم تفعل لم يحملك غيرك انتهى.

وعنه ﷺ – قال لرجلٍ أجعل قلبك قريناً تُزاوله وأجعل عَمَلك والداً تتّبعه وأجعل نفسك عدّواً تُجاهده وأجعل مالك كعارية تَرُدّها انتهى.

وعنه ﷺ – قال أقصر نفسك عمّا يضّرها من قبل أن تُفارقك وأَسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فأنّ نفسك رهينة بعملك انتهى.

وعن أبي الحسن الأوّل قال ﷺ أيّاك أن تتّبع النّفس هواها فأنّ في هواها رداها وترك هواها دَوائها انتهى.

وقال رسول اللّه ﷺ من مَقَت نفسه دون مَقَت النّاس آمنه اللّه من فَزَع يوم القيٰمة انتهى« ص ٢٤٤».

□ **قوله ﷺ: ثُمَّ أعْلَمْ يا مالِكُ أنّي قدْ وَجَّهْتُكَ إلىٰ بِلاَدٍقدْ جَرَتْ عَليْها دُوَلٌ قَبْلَكَ مِن عَدلٍ وَجَوْرٍ...**

أي أنّي قد وليتّك على بِلاَدٍ قدْ جَرَتْ عَليها وَحَكَم فيها دُوَلٌ وحُكّام قبلك مِن عَدلٍ وجَورٍ أي منهم من كان مُتصفاً بالعدّالة مثل يوسف الصّديق ﷺ ومنهم من كان ظّالماً جائراً مثل الفَراعنة.

□ **قوله ﷺ: وأنّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ منْ أُمورِكَ مِثْلِ ما كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ منْ أُمُورِ الوُلاةِ قَبْلَكَ ويَقُولُونَ فِيكَ ما كُنْتَ تَقُولُ فيهِمْ وأنّما يُسْتَدَلُّ علىٰ الصَّالِحينَ بَما يُجْرِي اللّهُ لهُمْ علىٰ ألْسُنِ عِبَادِهِ...**

أي أنّ أعمالك لا تخفىٰ علىٰ النّاس فأنّهم يَرَونها كما أنّ أعمال الولاة قبلك لا تُخفىٰ عليك فأنّ الوّلاة أن ماتوا إلّا أنّ أعمالهم لَم تَمُت ولازم ذلك أن يحكموا فيك كما تحكم فيهم ويقولون فيك كما تقول فيهم فأنّ حكم الأمثال واحد ومن المعلوم أنّ الرّجل الصّالح لا يُعرَف إلّا بَعَمَله وما يجري اللّه له علىٰ ألسُن عباده فاذا قالوا بصلاحه وشهدُوا به فينكشف منه صلاحه وبالعكس

بالعكس واذا كان كذلك فلتكُن أعمالك في طريق الحقّ ورِضا الرّب الّذي فيه رِضا الخَلق:

□ **قوله ﷺ: فَلْيكُنْ أحَبُّ الذَّخائِرِ إلَيْكَ ذَخيرَةَ العَمَلِ الصّالِحِ فأمْلِكْ هَوَاكَ وشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لايَحِلُّ لَكَ فإنَّ الشُّحَّ بالنَّفْسِ الإنْصَافُ مِنْها فِيما إحَبَّتْ أوْ كَرِهَتْ...**

ثمّ بيّن ﷺ له ما ينبغي تحصيله وهو العمل الصّالح وذلك لأنّه أحبّ الذّخائر لِلمؤمن وأحسَنها لِمن آمن باللّه واليوم الآخر والدّليل نصّ الكتاب حيث قال تعالى: **﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً﴾** (١)

و: **﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتُ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾** (٢)

و: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ﴾** (٣) والآيات كثيرة: واذا كان كذلك فأملك هواك وسَلّط عليها ولا تتّبعها فأنّ مُتابعة الهَوىٰ توجب السّقوط قال اللّه تعالىٰ: **﴿وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾** (٤)

و: **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِّنَ اللَّهِ﴾** (٥)

و: **﴿وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾** (٦) ثُمَّ قال ﷺ وشُحَّ أي أبخل بنفسك عَمَّا لا يَحلُّ لَكَ فلا تفعلهُ والمراد به المحرّمات ولأجل هذا قال ﷺ: فأنّ الشُّح بالنّفس الإنصاف منها فيما أحبّته النّفس أو كَرِهته ولعلّ مراده ﷺ أنّ شُحّ النّفس عن مكروهاتها سَهلٌ يَسير ولا يكون دليلاً علىٰ الزّهد لكونه علىٰ مُقتضىٰ الجبّلة والغَريزة كما أنّ شُحّها عن مُشتهياتها أيضاً لا يكون دليلاً علىٰ الزّهد لإحتمال أن يكون ذلك لتّحصيل الدّنيا وزخارفها وأنّما الزّهد الحقيقي في شُحّ النّفس عن المحبُوب والمكرُوه اذا لم يكن حلالاً لها فأنّ الملاك هو الحِلّ والحّرمة لحُبها وكراهتها.

وهذا هو مقام إنصاف النّفس ومحصّل الكلام شُحّ بِنَفسِكَ عمَّا فيه سخط

١- مريم ـ٧٦
٢- الرعد ـ٢٩
٣- فاطر ـ١٠
٤- النّازعات ـ٤٠
٥- القصص ـ٥٠
٦- ص ـ٢٦

اللّه وغضبه سواء كان محبوباً عندها أو مكرُوهاً فأنّ الملاك رِضا الرّب وسخطه:

□ **قوله عليه السلام: وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ والمَحَبَّةَ لهُمْ واللُّطْفَ بهِمْ ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِم سَبُعاً ضارِياً تَغْتَنِم أَكْلِهِمْ...**

أي إجعَل شعار قلبك الرّحمة لِلرّعية والمَحبّة وألطِف بهم ولا تَكُونَنَّ علىٰ الرّعية كالسّبع الضّار الّذي يغتنم أكِل الغَنم أو غيره وذلك لأنّ الوالي جُعل لأجل الخِدمة فأنّ سيّد القوم خادمهم لا لِلجَور والظّلم وأكل أموال المُسلمين كما هو شأنهم في زماننا هذا فأنّ هذه السّيرة المَذمُومة تُوجب إنضجار النّاس ونفرّتهم وعداوتهم للوّالي كما أنّ الرّحمة والمَحبّة واللّطف توجب تحبيب قلوبهم ومن المعلوم أنّ الحكومة تبقىٰ مع الكُفر ولا تبقىٰ مع الظّلم:

□ **قوله عليه السلام: فإنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ في الدِّينِ أَوْ نَظِيرٌ لَكَ في الخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمْ في الزَّلَلُ وتَعْرِضُ لهُمُ الْعِلَلُ ويُؤتَى علىٰ أيْدِيهِمْ في العَمْدِ والخَطإِ فأعْطِهِمْ منْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أنْ يُعطِيَكَ اللّهُ منْ عَفْوِهِ وَصَفْحِه...**

علّل عليه السلام ما ذكره من الرّحمة والمحبّة بهم بما حاصله أنّ الرّعية علىٰ قسمين، مُسلمٌ وكافرٌ، أمّا الأوّل أعني المُسلم فهو أخٌ لك في الدّين ولا ينبغي الظّلم علىٰ الأخ بل ينبغي الشّفقة والرّحمة به وإلّا فلا يكون أخاً له وقد قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **المُسلم من سلم المسلمون من يَده ولسانه** والحاصل أنّ إشفاق المُسلم بالمُسلم من وظائفه الشّرعية، وأمّا الثّاني أعني به غير المُسلم فأنّه وأن لم يكن أخاً له إلاّ أنّه بَشَر مثله ونظيرٌ له في الخلق فلا ينبغي إيذائه أيضاً ثمّ أفاد عليه السلام أنّ البَشَر جائز الخطأ فقد يُعرض له العصيان والذّنب عمداً أو خطأً فأعْطِهِم منْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ ما تحبّ أنّ يعطيك اللّه من العفو والصّفح يوم القيامة بالنّسبة الىٰ سيّئاتك فأنّك كما تُدين تُدان فَمن لم يعف عن المُجرم في الدّنيا كيف يتوقع العفو غداً من اللّه هذا اذا لم يكن العفُو عن الخاطئ مُوجباً وباعثاً لتّضييع حقّ الغير وإلّا فلا محلّ لِعفو الحاكم وهو واضح:

□ **قوله ؑ: فإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ واللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ وَقَدِ إِسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وإِبْتَلاَكَ بِهِمْ ولا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فإِنَّهُ لا يَدَيْ لَكَ بِنِقْمتِه ولا غِنىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِه...**

أي أنّك فوق الرّعية رتبةً ومقاماً ووالي الأمر أعني الخليفة أو السّلطان فوقك مقاماً حيث جعلك والياً عليهم واللّه تعالىٰ فوق الوالي الّذي ولّاك فثبت أنّه تعالىٰ فوق الكلّ والحال أنّ اللّه تعالىٰ قد إستكفاك أي طلب منك كفاية أمرهم وإبتلاك بهم فجعلك والياً عليهم والولاية إختبارٌ وإبْتَلاءٌ لك ولا تنصبنّ نفسك لحرب اللّه بسبب الظّلم علىٰ خلقه فأنّه لا طاقة لك بنقمته وعذابه ولا غنىٰ بك عن عفوه ورحمته بل أنتَ عاجز ضعيف مُحتاج اليه.

□ **قوله ؑ: ولا تَنْدَ مَنَّ علىٰ عَفْوٍ ولا تَبْجَحَنَّ بِعقُوبَةٍ ولاَ تُسْرِعَنَّ إلىٰ بادِرَةٍ وجَدْتَ مِنْها مَنْدُوحَةً...**

أي اذا عفَوت عن المُجرم لا تندم عليه واذا عاقبته لا تفرَح بها ولا تُسرع الىٰ الغَضَبه والحِدّة أي لا تعمله اذا وجَدْتَ منه مَنْدُوحَةً أي مَخلِصاً ومَفراً فأنّ الغَضَب من جنّود الشّيطان:

فقد روي في مشكاة الأنوار عن الرّضا ؑ قال الغَضَب مفتاح كلّ شّر انتهىٰ «ص ٢١٩».

وقال الباقر ؑ أنّ هذا الغَضَب جمرة من الشّيطان تُوقد في قلب ابن آدم وأنّ أحدكم اذا غَضَب إحمّرت عيناه وإنتفخت أوداجه ودخل الشّيطان فيه فاذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فأنّ رِجز الشّيطان لِيذهب عنه عند ذلك «جامع السّعادة ج ١ ص ٢٨٩» وقد مرّ الكلام في الغَضَب مفصّلاً.

□ **قوله ؑ: ولا تَقُولَنَّ إِنّي مُؤَمَّر آمِرٌ فأُطاعُ فإنَّ ذلِكَ إِدْغالٌ في القَلْبِ ومَنْهكَةٌ لِلدِّينِ وتَقرُّبٌ منَ الغِيرِ...**

أي ولا تقل للنّاس أنّي مُؤمرٌ مُسلطٌ عليكم آمرٌ فيكم ما أريد فلا محالة أطاع أي لابدّ لكم من الإطاعة فأنّ ذلك القول إدغال أي إدخال الفساد في القلوب

ومُنهكةٌ أي مَضعَفة للدّين، إمّا أنّه إدغال في القلب فلأنّه يوجب فساد القلوب بالنّسبة الى الوالي ونفرتها عنه وأمّا أنّه مَضعَفة في الدّين فلأنّه يُوجب وَهَن الدّين وَضَعفه فأنّ الإستبداد بالرأي ليس من الدّين بشئٍ واذا كان الحاكم في الإسلام هكذا فما الفرق بينه وبين غيره من الكفّار في كيفيّة الحكومة وقوله عليه السلام: **وتَقرُّبٌ منَ الغِيرِ** بكسر الغين وفتح الياء معناه أنّه يُوجب التّقرب بل الوقوع في الإغترار بالسّلطة فأن الغِيَر حادثات الدّهر بتّبدل الدّول والإغترار بالسّلطة تقّرب منها:

▫ قوله عليه السلام: **وإذا أحْدَثَ لَكَ ما أنْتَ فيهِ منْ سُلْطَانِكَ أُبّهةٌ أوْ مَخِيلَةٌ فأُنْظُرْ إلَىٰ عِظَمِ مُلْكِ اللّهِ فَوْقَكَ وقُدْرَتِه مِنْكَ علىٰ ما لاتَقْدِرُ عليْهِ منْ نَفْسِكَ...**

أي اذا أوقَعك سلطانك في العظمة والعُجب كما هو كذلك في السّلاطين والحكّام فأنظُر الىٰ عظمة قُدرة اللّه وعظم مُلكه وسُلطانه فأنّه تعالىٰ مالك السّمٰوات والأرضين قادر علىٰ كلّ شئٍ بل اللّه تعالىٰ قادر علىٰ نفسك بما لا تقدر عليه فأنتَ اذا نظَرت الىٰ عِظمِ مُلكه وقُدرته أيقَنتَ إنّكَ ضعيف وسُلطانك حقير والمُلك كلّه لِلّه تعالىٰ فأنّ العَبد وما في يَده كان لِمولاه أينَ الفاني من الباقي والتّراب من ربّ الأرباب كما قال عليه السلام:

▫ قوله عليه السلام: **فإنَّ ذلِكَ يُطأْ مِنُ إليْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ويكُفُّ عَنْكَ منْ غَرْبِكَ ويَفيُّ إليْكَ بما عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكِ...**

أي فأنّ النّظر الىٰ عِظم ملك اللّه وقُدرته يُطأمِنْ ويخفض اليك من طماحك أي نُشوزك وإرتفاع بَصَرك ويكّف ويمنع عنك من غربك وحِدّتك ويفئ ويرجع اليك بما عَزّب وغاب من عقلك فهذه كلّها من آثار النّظر الىٰ عِظم ملك اللّه وقُدرته:

▫ قوله عليه السلام: **أيّاك ومُسَامَاةَ اللّهِ في عَظَمَتِه والتَّشَبهَ بهَ في جَبَرُوتِه فإنَّ اللّهَ يذِلُّ كلَّ جَبَّارٍ ويُهينُ كلَّ مُختالٍ...**

المساماة المُباراة في السّمو والعُلو قال في المُنجد سامىٰ مساماة الرّجل، ما

ضَره وباراه والمعنىٰ أحذِر عن مفاخرة اللّه ومُباراته في عظمته والتّشبه به تعالىٰ في جَبروته بأن تقول مثلاً لي كذا وكذا مِن المُلك كما قال فرعون:﴿**أليسَ لي مِلك مِصر**﴾ وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ يذّل ويُحقّر كلّ جبّار ويُهين ويُضعف كلّ مُختال مُتكبر فخُور كما قال تعالىٰ:﴿**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾(١)

و : ﴿**كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فِي الأرض**﴾(٢)

و : ﴿**إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ**﴾(٣)

و : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾(٤)

و : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالاً فَخُورٍ**﴾(٥)

□ **قوله** ﷺ: **وأَنْصِفِ النَّاسَ منْ نَفْسِكَ ومنْ خاصَّةِ أَهْلِكَ ومَنْ لَكَ فِيهِ هِوًىً منْ رَعِيَّتِكَ...**

الإنصاف يرجع الىٰ العدالة وذلك بأن لا يأخذ الإنسان من غيره الأمثل ما يُعطيه ولا يُنيله من المضار إلاّ مثل ما يناله منه ومحصّله إعطاء الغير حقّه فقوله ﷺ: **أَنْصِفِ اللَّهَ** معناه أعطه حقّه بأن تُعطيه حقّه في عُبوديتك أيّاه وأن لا تُخالفه في أعمالك وأقوالك فاذا فعلت ذلك فقد أنصفته وإلاّ فلا وأمّا قوله ﷺ: **وأَنْصِفِ النَّاسَ** فمعناه إستقِم علىٰ الحقّ ولا تعدل منه:

قال رسُول اللّه ﷺ لا يستكمل العبد الإيمان حتّىٰ يكون فيه ثلاث خصال الإنفاق من الإقتار والإنصاف من نفسه وبذل السّلام:

وقال ﷺ سيّد الأعمال إنصاف النّاس من نفسك: وقال ﷺ من واسىٰ الفقير من ماله وأنصَف النّاس من نفسه فذلك المؤمن حقّاً.

وكان ﷺ يقول في آخر خطبته طوبىٰ لمن طاب خلقه وطَهُرت سجيّته وصَلُحت سريرته وحَسُنت علانيته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وأنصف النّاس من نفسه:

١- ابراهيم ـ١٥
٢- غافر ـ ٣٥
٣- القصص ـ١٩
٤- النّساء ـ٣٦
٥- لقمان ـ١٨

وقال الصّادق عليه السلام ألا أُخبركم بأشدّ ما فرض اللّه على خلقه فذكر ثلاثة أشياء أوّلها إنصاف النّاس من نفسك:

وقال عليه السلام – من أنصف النّاس من نفسه رضىٰ به حَكَماً لغيره والأخبار كثيرة جامع السّعادات ج ١ ص ٢٧٣ وكما أنّه يجب الإنصاف من نفسه يجب الإنصاف من خاصّة الأهل كالأولاد والأقرباء ومن كلّ الأحباب ولأجل ذلك قال عليه السلام ومن خاصّة أهلك الىٰ آخر ما قال ولا سيّما في حقّ الحاكم بالنّسبة الىٰ رعّيته فأنّهم بمنزلة أولاده وأقربائه وخاصّة أهله فلا ينبغي له الفرق بين الأقرباء وغيرهم من الرّعية فأنّ ذلك يُوجب التّشتت والنّفرة وهدم قواعد الحكومة ومع الأسف نرىٰ الحكّام لا يُراعون هذا الحكم أَصلاً وهو ظلمٌ فاحش:

▫ **قوله عليه السلام: فإنَّكَ أن الاّتَفْعَلْ تَظْلِمْ ومَنْ ظَلَمَ عِبادَ اللّهِ كانَ اللّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبادِهِ ومَنْ خاصَمَهُ اللّهُ أدْحَضَ حُجَّتَهُ وكانَ لِلّهِ حَرْباً حتّىٰ يَنْزِعَ ويَتُوبَ...**

أي أنّ لا تنصف النّاس من نفسك ومن خاصّة أهلك فأنتَ تَظّلم بذلك علىٰ العباد ومَن ظَلَمَ عباد اللّه كان اللّه خَصِمه يوم القيامة ومن خاصَمَه اللّه أدحَضَ وأبطَلَ حُجّته ودَليلَه وكان لِلّه تعالىٰ حَرباً أي مُحارباً حتّىٰ ينزع عمّا كان فيه ويتوب ويرجع الىٰ اللّه تعالىٰ وقد مرّ منّا الكلام في قبح الظّلم وسُوء عاقبته ولنُشر الىٰ بعض ما ورد فيه في المقام أيضاً:

عن حذيفة قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أوحىٰ اللّه الّي أن يا أخا المُرسلين يا أخا المُنذرين أَنَذر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأجد من عبادي عند أحدٍ منهم مظلمة فأنّي ألعنه ما دام قائماً يصلّي بين يدّي حتّىٰ ترّد تلك الضّلالة الىٰ أهلها فأكون سمعهُ الّذي يَسمع به وأكون بَصَره الّذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصحابي ويكون جاري مع النّبيين والصّديقين والشّهداء في الجنّة:

وعن أبي هريرة رفعه، قال صلى الله عليه وآله لا تغبطنّ ظالماً بظلمه فأنّ له عند اللّه طالباً

حثيثاً ثمّ قرأ به كلّما ﴿خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ (١)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام يقول اللّه تعالىٰ (إشتدّ غَضبي علىٰ من ظلم مَن لم يجد ناصراً غيري« مجموعة ورّام ج ١ ص ٥٣».

□ **قوله عليه السلام: ولَيْسَ شَيْءٌ أَدْعىٰ إلىٰ تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللّٰهِ وتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ منْ أقامَ علىٰ ظُلْمٍ فأنّ اللّهَ سَميعٌ دَعْوَةَ المُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظّالمينَ بالمِرصاد...**

أي أنّ الظّلم أسَرع شيْ الىٰ تغيير النّعمة وتعجيل النّقمة والعذاب من اللّه تعالىٰ وذالك لأنّه تعالىٰ يسمع دعوة المُضطهدين أعني المُضطرين المظلومين يقال إضطهده وإضطهد به وإضطهده، قهره وجار عليه، آذاه، وإضطره، وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (٢) وفي قوله:**وهُوَ لِلظّالمينَ بالْمرصَادِ** إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (٣) ولنعم ما قيل:

لا تظلمنّ اذا ما كنت مُقتدراً   فالظّلم مصدره يفضي الىٰ النّدم
تنام عيناك والمظلوم مُنتبه   يَدعوا عليك وعين اللّه لم تَنَم

وقال الآخر:

أتهزء بالدّعاء وتزدريه   وما تدري بما هذا الدّعاء
سهام اللّيل نافذة ولكن   بها أقدٌ ولِلأمد إنقضاء
فيمسكها اذا ما شاء ربّي   ويرسلها اذ أنفذه القضاء

قال أبو الدرّداء أيّاك ودعوة المَظلوم فأنّها تسري باللّيل والنّاس نيام وقد مرّ البحث فيه أيضاً:

١ـ الأسراء ـ ٩٧
٢ـ النّمل ـ ٦٢
٣ـ الفجر ـ ١٤

الفصل الثاني

□ قوله عليه السلام: ولْيَكُنْ أَحَبُّ الأُمُورِ إلَيْكَ أَوسَطَها في الحَقِّ وأَعمَّها في العَدْلِ وأجْمَعَها لِرِضَىٰ الرَّعِيَّةِ فإنَّ سُخْطَ العَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الخَاصَّةِ وأنَّ سُخْطَ الخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَىٰ العَامَّةِ وليْسَ أحَدٌ منَ الرَّعيَّةِ أثْقَلَ علىٰ الوَالِي مَؤونَةً في الرَّخاءِ وأَقَلَّ مَعُونَةً لهُ في البَلاَءِ وأَكْرَهَ للإِنْصَافِ وأسأَلَ بالإلْحَافِ وأقَلَّ شُكراً عِنْدَالإعْطاءِ وأَبْطأَعُذْراًعِنْدَالمَنْعِ وأضْعَفَ صَبراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ منْ أهْلِ الخَاصَّةِ وإنّما عِمَادُالدِّينِ وِجمَاعُالمُسْلِمينَ والْعُدَّةِ لِلأَعْدَاء العامَّةُ مَن الأُمَّةِ فلْيَكُنْ صَفْوُكَ لهُمْ ومَيْلُكَ مَعهُم:

ولْيَكُنْ أبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنكَ وأشْنأُهُم عِنْدَكَ أطْلَبَهُمْ لَمعائِبِ النَّاسِ فإنَّ في النَّاسِ عُيُوباً الوَالِي أحَقُّ مَنْ سَتَرَها فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غابَ عَنْكَ مِنْها فإنَّما عَلَيْكَ تَطهِيرُ ما ظَهَرَ لَكَ واللّهُ يَحْكَمُ علىٰ ما غابَ عَنْكَ فاستُرِ العَوْرَةَ ما اسْتَطَعْتَ يَستُرِ اللّهُ مِنْكَ ما تُحِبُّ سَترَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ أطْلِقْ عَنِالنَّاسِ عُقْدةَكُلِّ حِقْدٍ وأقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ وتَغابَ عَنْ كُلِّ مالا يَصِحُّ لَكَ ولا تَعْجَلَنَّ إلىٰ تَصْدِيقِ ساعٍ فإنَّ السَّاعِيَ غاشٌ وإنْ تَشَبَّهَ بالنَّاصِحينَ:

ولا تُدْخِلَنَّ في مَشُورَتِكَ بَخيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنْ الفَضْلِ ويَعِدُكَ الفَقْرَ ولا جَباناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأُمُورِ ولا حَريصاًيُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بالجَوْرِ فإنَّ الْبُخْلَ والجُبْنَ والحِرْصَ غَرَائِزُ شتَّىٰ تَجْمَعُها سُوء الظَّنِّ باللّهِ.

إنَّ شَرَّ وُزَرَائِكِ مَنْ كانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً ومَنْ شَرِكَهُمْ في الآثامِ فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطانَةً فإنَّهُمْ أعْوَانُ الأَثَمةِ وأخْوَانُالظَّلَمةِ وأنْتَ واجِدٌ مِنْهُمْ خَيرَ الخَلَفِ مِمَّنْ لهُ مِثْلُ آرَائِهم ونَفاذِهِمْ وليْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصارِهِمْ وأوْزَارَهِمْ مِمَّنْ لمْ يُعاوِنْ ظَالِماً على ظُلْمِهِ ولا آثِماً علىٰ إثْمِهِ أُولئِكَ أخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وأحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وأحنَىٰ عَلَيْكَ عِطْفاً وأقَلُّ لِغَيرِكَ إلْفاً فاتَّخِذْ أُولَئِكَ خاصَّةً لِخَلَواتِكَ وَحفَلاَتِكَ ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الحقِّ لَكَ وأقَلَّهُمْ مُساعَدَةً فِيما يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللّهُ لأَوْلِيَائِهِ واقِعاً ذلك منْ هَوَاكَ حَيْثُ وُقَعَ وأَلْصَقْ

بأَهْلِ الْوَرَعِ والصِّدْقِ ثمَّ رُضْهُمْ علىٰ أنْ لا يُطْرُوكَ ولا يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لمْ تَفْعَلْهُ فإنَّ كثْرَةَ الإطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وتُدْني منَ الْعِزَّةِ ولا يكُونَنَّ المُحْسِنُ والمُسِيءُ عِنْدَكَ بمنزلةٍ سَوَاءٍ فإنَّ في ذلِكَ تَزْهِيداً لاهْلِ الإحْسَانِ في الاِحْسَانِ وتَدْرِيباً لأَهْلِ الإسَاءَةِ علىٰ الاساءَةِ .وألْزِمْ كُلاًّ مِنهُمْ ما أَلْزَمَ نَفْسَهُ وأعلمْ أنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بأَدْعَى إلىٰ حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ برَعِيَّتِه منْ إحْسَانِه إليهِمْ وتَخْفِيفِهِ المَؤُوناتِ عليهِمْ وتَرْكِ إسْتِكْرَاهِه إيَّاهُمْ علىٰ مَا لَيْسَ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ في ذلِكَ أمرٌ يَجْتمعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ برعِيَّتِكَ فإنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عنْكَ نَصَباً طَوِيلاً وإن أحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ وإنَّ أحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ.

ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صالِحَةً عَمِلَ بها صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ واجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ وصَلَحت عليْها الرَّعِيَّةُ ولا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ منْ ماضِي تِلْكَ السُّنَنِ فيكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّها والْوِزْرُ عَليكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْها.

وأكْثِرْ مُدَارَسةَ الْعُلَماءِ ومُنافثةَ الحُكَماءِ في تَثْبِيتِ ما صَلَحَ عليْهِ أمْرُ بِلاَدِكَ وإقامَةِ مَا إستَقامَ بِه النَّاسُ قَبْلَكَ.

◁ اللغة

(يُجْحِفُ) من أجحَف يُجحِفُ أي يذهب باطله (الإلْحَافِ) مصدر قولك ألَحَف يلحف اذا ألّح والإلحاف الإلحاح وهو الشدّة في السّؤال (صَغوُكَ) وفي بعض النّسخ صفوك والأوّل أصّح والصّغو الميل والرّغبة (أشْنأهُمْ) أطْرَدَهم وأسْوأهم (وِتر) بالكسر (العداوة تغاب) أي تغافل (غاشٌّ) من الغّش وهو الخيانة (الشَّرَه) بالتّحريك أشدّ الحِرص (بِطانَةً) بكسر الباء خاصّة الرّجل من الأهل والأقارب (الأثِمةِ) جمع آثِم وهو العاصي المذنب (آصارِهِمْ) الآصار جمع إصر بالكسر وهو الذّنب والأثم وكذلك الأوزار (إلْفاً) الإلف بكسر الألف الإلفة (بِمُرِّ الحقِّ) مُرّ الحقّ صعوبته (واقِعاً) بكسر الألف منصوب علىٰ الحاليّة أي نازلاً (رُضْهُمْ) أي عَوّدهم (لا يُطْرُوكَ) أي لا يزيدوا في مَدحك (ولا

يُبَجِّحُوكَ) أي لا يُفرّحوك (الإطْرَاءِ) مصدر أطَرءِ المُبالغة في المدح (الزَّهْوَ)بالفتح العُجب (تُدْني) أي تقّرب (تَزْهِيداً) مصدر قولك زهّد يزّهد أثراً رغّب والتّزهيد التّرغيب (تَدْرِيباً) أيضاً مصدر باب التّفعيل من درّب والتّدريب التّعويد (نَصَباً) النَّصَب بالتّحريك التّعب (منافَثَةَ) مصدر قولك نافث ينافث وهي المحادثة.

◁ المعنىٰ

(ولَيكُنْ أحَبُّ الأُمُورِ اِلَيْكَ أَوْسَطَها في الحَقِّ) فأنّ خير الأمور أوْسَطَها (وأعمَّها في العَدْلِ) أي أوْسَعها فيه (وأجْمَعَهَا لِرِضَىٰ الرَّعِيَّة) فإنّ ذلك يوجب الإلفة بين الوالي والرّعية (فإنَّ سُخْطَ العَامَّةِ) وغضبهم (يُجْحِفُ) ويذهب (بِرِضَىٰ الخَاصَّةِ) كما (أنَّ سُخْطَ الخاصَّةِ) وغضبهم (يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَىٰ العَامَّةِ)والحاصل ترجيح الأكثر في الرّضا (ولَيْسَ أحَدٌ منَ الرَّعيَّةِ أثْقَلَ علىٰ الوَالِي مَؤونَةً في الرَّخاءِ) واليسر (وأقَلَّ مَعُونَةً في البَلاَءِ) والعُسر (وأَكْرَهَ لِلإنْصَافَ وأَسألَ بالإلْحَافِ) والإلحاح (وأقَلَّ شُكراً عِنْدَ الإعْطاءِ وأبْطأَ) وأبعد (عُذْراً عِنْدَ المَنْعِ وأَضْعَفَ صَبراً عِنْدَ مُلِمّاتِ الدَّهْرِ) وحوادثه (منْ أهْلِ الخَاصَّةِ) وذلك لأنّهم يتّوقعّون ما لا يتّوقعه غيرهم من العامّة (وأنّما عِمَادُ الدِّينِ) وأساسه (وجِمَاعُ المُسْلِمينَ) وجماعتهم (والْعُدَّةِ لِلأَعْدَاءِ) أي لأعداء الدّين (العامَّةُ منَ الأُمَّةُ) لا الخاصّة منهم:

(فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ) ورغبتك (لَهُمْ ومَيْلُكَ مَعهُمْ ولْيَكُنْ أَبعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنكَ) في حكومتك، (وأشْنأَهُمْ) وأقبحهم (عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعائِبِ النَّاسِ فإنَّ في النَّاسِ عُيُوباً) لا محالة اذ الإنسان لا يخلو منها (والوَالِي أحَقُّ مَنْ سَتَرَها) أي العيوب (فَلاَ تَكْشِفَنَّ) أي لا تظهرنّ (عَمَّا غابَ عَنْكَ مِنْها) من العيوب فأنّ التّجسّس في الشّريعة ممنوع (فإنَّما عَلَيْكَ تَطهِيرُ ما ظَهَر لَكَ) من العيوب لا كَشفه (واللّهُ يَحكَمُ علىٰ ما غابَ عَنْكَفأستُرِ العَوْرَةَ ما إسْتَطَعْتَ) من النّاس (يَستُرِ اللّهُ مِنْكَ ما تُحِبُّ سَترَهُ مِنْ رَعِيّتِكَ) متّعلق بقوله فأستر (أطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدةَ كلِّ حِقْدٍ)

أي أحلل عُقد الأحقاد من قلوب النّاس (وأَقْطَعْ عَنْكَ) عن نفسك (سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ) وعداوة (وتَغَابَ) أي تغافل (عنْ كُلِّ ما لا يَصِحُّ لَكَ) عقلاً وشرعاً (ولا تَعْجَلَنَّ إلىٰ تَصْدِيقِ ساعٍ) نـمّام (فإِنَّ السَّاعِيَ غاشٌّ) خـائن (وأَنْ تَشَبَّهَ بالنَّاصِحينَ) كما هو شأن المُنافق (ولا تُدْخِلَنَّ في مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الفَضْلِ) والإحسان (ويَعِدُكَ الفَقْرَ) والإحتياج الىٰ النّاس (ولا جبَاناً) أي ولا تُـدْخِلَنَّ جـباناً فـي مشـورتك فأنـه (يُضْعِفكَ عَنِ الأُمُورِ) ويخّوفك (ولا حَرِيصاً)أي ولا تُدْخِلَنَّ حريصاً فيها لأنـه (يُزَيِّن لَكَ الشَّرَهَ) وهـو الحِـرْصَ الشَّديد (بالجَوْرِ) والظّـلم (فإنَّ الْبُخْلَ والجُبْنَ والحِرْصَ غَرَائِزُ شتَّى) وطـبائع متّفرقة تجتمع في سُوء الظّن (يَجْمَعُها سُوء الظَّنَّ باللّهِ) وهـو حـامها (إنَّ شَرَّ وُزَرَائِك مَنْ كانَ لِلأَشْرَارَ قَبْلَكَ وَزِيراً ومَنْ شَرِكَهُمْ في الآثامِ) والذّنوب (فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطانَةً) وخاصّة تعتمد عليه (فإنَّهُمْ أعْوَانُ الأثِمةِ) قـبلك (وإخْوَانُ الظّلَمةِ) في ظلمهم علىٰ الرّعية (وأنْتَ واجِدٌ مِنْهُمْ خَيرَ الخَلَفِ) أي لا تـغفل ذلك والحـال أنّك تـقدر عـلىٰ إنـتخاب الصّالحين (مِمَّنْ لهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ ونَفاذِهِمْ)في السّياسة وتدبير الأمور (ولَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصارِهِمْ وأوْزَارِهِمْ) من الإنحرافات والمعاصي (مِمَّنْ لمْ يُعاوِنْ) ولم يَنصر (ظَالِماً علىٰ ظلْمِهِ ولا آثِماً علىٰ إثْمِهِ أُولَئِكَ أَخَفُّ) وأسهل (عَلَيْكَ مَؤوَنَةً وأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وأحنَى عَلَيْكَ عِطْفاً وأَقَلُّ لِغَيرِكَ إلْفاً) ومـحبّة (فاتَّخِذْ أُولَئِكَ خاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وحفَلاَتِكَ)وشاورهم في أمورك (ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ) وأبذلهم (عِنْدَكَ أقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الحقِّ لَكَ) أي إجعل أفضلهم لديك أكثرهم قولاً بالحقّ المُرّ (وأقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيما يَكُونُ مُنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللّهُ لأَوْلِيَائِهِ واقِعاً منْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ) أي لا يساعدك علىٰ ما كره اللّه حال كونه نازلاً من ميلك اليه (وأَلْصِقْ بأهْلِ الْوَرَعِ والصِّدْقِ) بالمُجالسة والمُعاشرة (ثُمَّ رُضْهُمْ) وعَوّدهم (علىٰ أنْ لا يُطْرُوكَ).

أي علىٰ أن لا يزيدوك في المَدح علىٰ سبيل المُبالغة (ولا يَبْجَحُوكَ) أي لا يفرحوك (بِبَاطِلٍ لمْ تَفْعَلْهُ فإنَّ كثرَةَ الإِطْرَاءِ) والمَدِح (تُحْدِثُ) وتُوجد (الزَّهْوَ)

والعَجب (وتُدْني) وتقرّب (منَ الْعِزَّةِ ولا يكُونُ المُحْسِنُ والمُسِيُ عِنْدَكَ بمنزِلةٍ سَوَاءٍ) فأنّه ظلم على المُحسن مضافاً الىٰ أنّ في ذلِكَ تَزْهِيداً) وترغيباً، (لأَهْلِ الإِحْسَانِ في الإِحْسَانِ وتَدْرِيباً) وتـــعويداً (لأَهْلِ الإِسَاءةِ على الإساءَةِ) بإستمرارهم على فعلهم (وألْزِمْ كلاً مِنْهُمْ ما أَلْزَمَ نَفْسَهُ) من الثّواب في صورة الإحسان والعقاب على الإساءة (وأعلْم أنَّهُ لَيسَ شَيْ بأدْعَى إلىٰ حُسْنِ ظَنٍّ رَاعٍ)والٍ (برَعِيَّتِه منْ إحْسَانَهُ اليهِمْ) إلى الرَّعيّة (وتَخْفِيفِهِ المَؤُوناتِ عَليهِمْ) على الرَّعِيّة (وَتَرْكِ إسْتِكْرَاهِه) أي إستكراه الوالي (أيَّاهُمْ) الرّعِيّة (على مَالَيْسَ قَبْلَهُمْ) في الحكومات السّابقة (فَليَكُنْ مِنْكَ في ذلِكَ أمْرٌ يَجْمعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنَّ بِرعِيَّتِكَ فإنَّ حُسْنَ الظَّنَّ) بهم (يَقْطَعُ عنْكَ نَصَباً) وتَعَباً (طَوِيلاً وإنّ أحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤكَ عِنْدَهُ) أي أنّ أحقّ من يليق بحُسن الظّن منك مَن كان إختياره عندك حَسَناً كما (إنَّ أحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لِمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ) أي لا يكون مُختبراً عندك (ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صالِحَةً عَمِلَ بها صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ) ورؤساءهم (واجْتَمَعَتْ بهَا) بالسّنّة (الأُلْفَةُ) والإتّحاد (وصَلَحَت عليْها) على السّنَة (الرَّعِيَّةُ ولا تُحْدِثَنَ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْ منْ ماضِي تِلْكَ السُّنَنِ) الصّالحة الّتي عَمَل بها صدور الأُمّة (فَيكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّها والْوِزْرُ)والإثم (عَليكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْها) من السّنّة (وأكْثِرْ مُذَارَسةَ الْعُلَمَاءِ أوْ مُنافَثَةَ الحُكَماءِ) ومحادثتهم (في تَثْبِيتِ ما صَلَحَ عليْهِ أَمْرُ بَلاَدِكَ وإقامَةِ ما إسْتَقامَ بِهِ النَّاس قَبْلَكَ) فـــي الحكومة:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: ولَيكُنْ أَحَبُّ الأُمُورِ إليْكَ أَوْسَطَها في الحَقِّ وأعمَّها في العَدْلِ وأَجْمَعَها لِرِضَى الرَّعِيَّةِ...

أي ينبغي أنّ يكون أحبّ الأمور في الحكومة أوسطها في الحقّ لأنّ خير الأُمور أَوسطها وقد جعلنا الله تعالىٰ أُمّة وَسَطاً حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَىٰ النَّاسِ﴾[1] ومعنىٰ الوَسَط الإجتناب عن الإفراط والتّفريط في جميع الشّئون من العبادات والمعاملات والمُباحات كالأكل والشّرب والنّوم والتّكلم وغيرها فأنّ اليمين والشّمال مضلة والطّريق الوسطىٰ هي الجّادة وأعمّها في العَدل إشارة الىٰ سعة العدل أي كلّ أمرٍ يكون أوسع عدلاً فهم أحَقّ بالأخذ به ممّا هو أضيق عَدلاً فالمُراد أن يكون العَدل أشمَل وأبسَط وقوله ﷺ: **وأَجْمَعَها لِرِضَى الرَّعِيّةِ** أي أكملَها وأتَّمها له بأن يكون الرّاضين به أكثر مِمّن لا يرضىٰ به ومن المعلوم أنّ المراد بالأمُور ليس إلّا الأحكام أو الموضُوعات المُستّحدثة في الحكومة، لا الأُمُور الشّرعية المَجعولة في الشّريعة فأنّها ثابتة وليس لحُبّ الحاكم وغيره دخلٌ فيها.

▫ **قوله ﷺ: فإنَّ سَخْطَ العَامَّةِ يُجْحِفُ بِرضىٰ الخَاصَّةِ وأنَّ سُخْطَ الخَاصَّةِ يَغْتَفِرُ مَعَ رِضَىٰ العَامَّةِ...**

عَلّل ما ذكره ﷺ في الجملة السّابقة بما حاصله أنّ الأُمُور الحادثة لا يَخلو حالها من وجهين سخط العامّة وسخط الخاصّة وبعبارةٍ أُخرىٰ الأُمور التّي يفعلها الحاكم أو يريد فعلها في المَملكة أمّا أنّ تكون مُطابقة لميل العامّة أعني بهم الأكثر وأمّا أن تكون مطابقة لميل الخاصّة أعني الأقلّ ولا ثالث لهما عادةً وأن كانا ممكناً عقلاً بأن تكون مطابقةً لميل الكلّ أو مُخالفةً لميلهم اذ لا يتّفق ذلك إلّا علىٰ سبيل النُّدرة والوجه فيه أنّ النّاس مختلفون في الحُبّ والبُغض بالنّسبة الىٰ الأشياء فربّما يكون الشّئ مَحبُوباً عند بعض النّاس مَبغُوضاً عند آخرين وبالعكس فَتَحصيل رضىٰ الكلّ ممّا لا يمكن ولا يُوجد عادةً وعرفاً وأن أمكَن عقلاً والبحث ليس في الإمكان العقلي واذا كان كذلك فالأمر يدور بين سخط العامّة ولازمه رضىٰ الخاصّة، وبين سخط الخاصّة ولازمه رضىٰ العامّة والتّرجيح في المقام بمُقتضىٰ ما ذكره ﷺ ويُؤيده العقل والشّرع تقديم العامّة علىٰ الخاصّة وذلك لأنّ سخط العامّة يُجحف برضىٰ الخاصّة أي يذهب

١- البقرة ـ ١٤٣

به فلا ينفع رضىٰ الخاصّة مع سخط العامّة وهذا بخلاف سخط الخاصّة مع رضىٰ العامّة فأنّ سخط الخاصّة يُغتفر عقلاً اذا كان العموم راضين به فأنّ الأقلّ تابع لِلأكثر ولا عكس ومحّصل الكلام هو أنّ الأُمور الّتي يجريها الحاكم ينبغي أن يُراعي فيها رضىٰ العامّة وان سخط الخاصّة وهذا هو الّذي يقتضيه العقل في إدارة الأُمور بحسب التّدبير والسّياسة وأمّا الشّرع فَلَه مَسلك آخر ولا كلام لنا فيه فعلاً فَمن ذَهب الىٰ أنّ الأُمور في كُلّ عصرٍ وزمانٍ لابدّ لها من الجريان علىٰ هذه القاعدة وإستدّل علىٰ مُدّعاه قوله عليه السلام هذا فقد أخطأ خَطأً فاحشاً وذلك لأنّ كلامه عليه السلام ليس في الأحكام الشّرعية بل الكلام في الأحكام العَرفية والفرق واضح فأنّ الأحكام الشّرعية تابعة لِلمصالح والمفاسد الواقعية وأمّا العَرفية منها فهي تابعة لِلمصالح والمفاسد الظّاهرية الإجتماعية ولأجل ذلك نقول لا دخل لِسخَط العامّة والخاصّة ولا لِرضاهم في الشّرعيات بخلاف العَرفيات فأنّ لهم دَخلً فيها دَخلاً عظيماً، ألا ترىٰ أنّ الأُمور الشّرعية في أكثر الموارد تكون مُخالفة لِرضىٰ العامّة فأنّ أكثر النّاس علىٰ خلافها فلو إعتبرنا في إجرائها رضاهم يلزم تركها بالمرّة وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾**(١)

أن قلت ـ أَلَيسَ يلزم من قوله عليه السلام هذا أن يكون الوالي تابعاً لرضىٰ العامّة في الأُمور مَع أنّه قد يلزم منه مضافاً الىٰ سخط الخاصّة سخط اللّه أيضاً اذا كان الأمر علىٰ خلاف الشّريعة ومع ذلك كان مُوافقاً لرضىٰ العامّة وهو في الأُمور الجارية العَرفية كثير كما لا يخفىٰ:

قلتُ ـ ليس الأمر كما زعمت وذلك لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في الجملة السّابقة (**ولَيكُنْ أحَبُّ الأُمُورِ إليْكَ أوْسَطَها في الحَقّ**)ثُمّ جَعَل عليه السلام أساس البحث عليه أي بعد تشخيص الوالي كون الأمر حقّاً، فَلَه أن يُراعي فيه رضىٰ العامّة لا مطلقاً حتّىٰ يرد عليه ما ذكرت ففي الحقيقة جَعل عليه السلام الوالي تابعاً لِلحقّ لا لرضىٰ العامّة الّذي هو سن العوارض اللّاحقة به في المفروض فتأمّل في المقام:

١- السباء ـ ١٣

▫ **قوله ﷺ: وليسَ أحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أثْقَلَ علىٰ الوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخاءِ وأقَلَّ مَعُونَةً لهُ فِي البَلاَءِ وأكْرَهَ لِلإِنْصَافِ وأسألَ بالإلْحَافِ وأقَلَّ شُكراً عِنْدَ الإِعْطاءِ وَأبطأَ عُذْراً عِنْدَ المَنْعِ وأضْعَفَ صَبراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أهْلِ الخَاصَّةِ...**

وَصَفَ الخاصّة بأمورٍ سبعة قبيحة الدّالة علىٰ أنّهم يتّوقعُون أكثر ممّا يليقون به:

أحدها: أنّ الخاصّة **أثْقَلَ علىٰ الوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخاءِ** والنّعمة بالقياس الىٰ العامّة، وذلك لأنّهم يتّوقعُون منه أكثر من حقُوقهم ويطلبون منه أكثر من شئُونهم وذلك لإعتيادهم بما يختّص بهم وهذا بخلاف العامّة حيث أنّهم يقنعون بما في أيديهم ولا يطلبون شيئاً زائداً عليه:

وثانيها: أنّ الخاصّة **أقَلَّ مَعُونَةً لهُ فِي البَلاَءِ** والوجه فيه أيضاً واضح وذلك لأنّهم لم يعلموا في الدّنيا إلاّ الأكل والشّرب والإنغماز في الشّهوات والإستفادة من اللّذات ومن كان كذلك كيف يكون مُعيناً وناصراً في البلاء والمشّقة كالحُروب والقَحط وغيرهما ألا ترىٰ أنّهم يفرون من الحُروب أو يعتذرون منها بالأعذار لئلّا يقعوا فيها بل كثيراً ما يمنعون العامّة أيضاً عن الدُخول فيها:

وثالثها: أنّهم أي الخاصّة **أكْرَهَ لِلإِنْصَافِ** والعَدل مِن العامّة وذلك لأنّ الإنصاف يقتضي عدم الإمتياز في الطّبقات وأمّا اذا كان الإمتياز موجوداً فكيف يمكن الإنصاف وحيث أنّ الخاصّة مَعه يَرَون نفوسهم أعلىٰ وأشرَف من العامّة فلا محالة يكرهون النّصف والعَدل الّذي يقتضي التّساوي بين النّاس في الحقُوق وهذا هو السّر في عدم إجراء العَدالة في الخاصّة في الحكومات:

ورابعها: أنّهم **أسألَ بالإلْحَافِ** والإلحاح والشّدة في السّؤال عن الوالي ومنشأه كثرة توقعهم منه سواء كان السّؤال في أخذ المال أم كان في الوصول الىٰ المقام وقد يكون في كلّيهما:

وخامسها: أنّهم **أقَلَّ شُكراً عِنْدَ الإِعْطاءِ** وذلك لعدم إعتنائهم بالعطاء من حيث أنّهم يتّوقعونَ أكثر منه ولا يقنعون بحقوقهم أصلاً وهكذا حالهم بالنّسبة

الىٰ الخالق أيضاً فأن من لم يُشكر المخلوق لم يُشكر الخالق وقد يُعبّر عنه بكُفر النّعمة وقد قال اللّه: ﴿وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ ﴾(١)

وسادسها: أنّهم **أبطأ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ،** أي اذا مُنعوا عمّا يتّوقعون أو من حقوقهم لمصلحةٍ مؤقتاً أو أبداً لا يقبلون العُذر فيه وأن كان عقلّياً أو شَرعياً بسُهولةٍ:

وسابعها: أنّهم (**وأَضْعَفَ صَبراًعِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ**)وحَوادثه بمعنىٰ أنّهم لا يصبرون علىٰ الشّدة إلاّ قليلاً في صورة الإضطرار فتراهم يتأثرون ويتألّمون ويتقولون بمقالات تُنافي الإيمان فهذه الأُمور السّبعة المذكورة كلّها من علائم الخّواص وهم المُترفون في الحقيقة وليس المراد بهم الأقرباء فقط بل المراد بهم المّلازمون لِلأمير أو الأشراف من النّاس وهذه الصّفات تُنافي الإيمان فأنّ المؤمن لا يتفاوت حاله في الشّدة والرّخاء والنّعمة والبلاء لا يُلّح في السّؤال ولا يكفر عند الإعطاء ويرضىٰ برضاء اللّه في الحَوادث فالضّعف في الصّفات يحكي عن ضعف الإيمان ومن المعلوم أنّ الحكم بإعتبار الأغلب فلا يُنافيه خروج شخصٍ أو أشخاص منه:

□ **قوله ﷺ: وإِنَّما عَمادُالدِّينِ وجِمَاعُ الْمُسْلِمينَ والْعُدَّةِ لِلأَعْدَاءِ العامَّةُ مِنَ الأُمَّةِفَلْيَكُنْ صَفْوُكَ لَهُمْ ومَيْلُكَ مَعهُمْ...**

بعد فراغه ﷺ عن ذكر أوصاف الخاصّة أشار الىٰ مقام العامّةّ في الحكومة فقال أنّما عِمَادُ الدِّينِ وقوامه وجِمَاعُ المُسْلِمينَ وإجتماعهم والعُدَّةِ لمقابلة الأعداء، العامّةُ منَ الأُمّةِ لا الخاصّة منهم لِما مَرّ فَلْيَكُنْ صَفوَكَ ومَيْلَكَ لهم ومعهم وفي بعض النّسخ صَفوك بالفاء وعليه فالمعنىٰ، فَليكن إختيارك منهم لأنّ الإعتماد عليهم أكثر منه علىٰ الخاصّة وأمّا علىٰ الأوّل فالمقصود ومن الكلام إصنع الىٰ ما يقولون فأنّ الوالي ينبغي أن يكون تابعاً لِلأكثر وسامعاً الىٰ كلام الأغلب وقوله وميلك معهم معناه حبّ الوالي لهم لإعتضاده بهم في

١-ابراهيم- ٧

الحقيقة وذلك لأنّهم عماد الدّين وجماح المُسلمين والعماد ما يُبنىٰ عليه الشّيء فكأنّ الدّين بُني عليهم وإستقام بهم:

▫ قوله ﷺ: **وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنكَ وأَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعائِبِ النَّاسِ فإنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الوَالِي أَحَقُّ مِنْ سَتَرَها فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غابَ عَنْكَ مِنْها فإنَّما عَلَيْكَ تَطهِيرُ ما ظَهَرَ لَكَ...**

ثُمّ أمَره بما ينبغي له في إختياره من النّاس وقال وليَكُن أبعَد رَعيّتك منك في حكومتك وأشنأهم وأقبَحهم وأطرَدَهم عندك في المُجالسة والمُعاشرة من كان منهم أطلَب وأحرَص علىٰ ذكر معائب النّاس بأن يعيبهم عندك وذلك لأنّ في النّاس عُيوباً ينبغي أن تُستَر والوالي أحقّ وأولَىٰ بسترها من غيره لأنّه أمين لِلنّاس علىٰ أموالهم وأعراضهم فكما أنّه يحفظ أموالهم عن الإضاعة وثغور المَملكة عن الأعداء كذلك يجب عليه حفظ أعراضهم عن الهَتك ومن المعلوم أنّ حِفظها ستَرها وذلك لأنّ الإنسان لا يخلو عن عيبٍ لا محالة فَمن كَشَفه هتَكه وأظهَره ومَن سَتَره حفظه فاذا كان الوالي مُفتّشاً لعيوب النّاس مُفَحصاً لها بمعونة الأشخاص والجواسيس بإستماعها منهم فعلىٰ الحكومة السّلام ولذلك قال ﷺ فلا تكشفنّ أي لا تظهرنّ عمّا غاب عنك منها أي من العُيوب فأنّما عَلَيْكَ تَطهِيرُ ما ظَهَرَ لَكَ من عيوبهم بالموعظة والنّصيحة وإلّا فبالتّستّر لا إفشائها وإظهارها في النّاس فأنّ ذلك قبيح من كلّ مُسلمٍ ولا سيّما الوالي الحافظ لنواميس المُسلمين وأعراضهم:

▫ قوله ﷺ: **واللّهُ يَحْكَمُ علىٰ ما غابَ عَنْكَ فأَستُرِ العَوْرَةَ ما إسْتَطَعْتَ يَستُرِ اللّهُ مِنْكَ ما تُحِبُّ سَترَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ...**

أي اذا أظهَرت عيوب النّاس الّتي كانت غائبة عنك فاللّه تعالىٰ يحكم علىٰ ما غابَ عَنْكَ ويقول لك لِمَ أظهرتها فأستر العَورة ما إستطعتَ فأنّ اللّه تعالىٰ لا يُكلّف نفساً إلّا وُسعها ليستر اللّه منك ما تحبّ ستره من رعيّتك فأنّك كما تُدين تُدان والوَجه فيه أنّ اللّه تعالىٰ ستّار العُيوب بمعنىٰ أنّه تعالىٰ يكره ظُهور

المعاصي ويحبّ سَترها:قال **النّبي ﷺ مَن إرتَكَب شيئاً من هذه القـاذورات فليستّتر بستر اللّه عليه فهو أن عصىٰ اللّه بالذّنب فلم يخل قلبه من محَبّة ما أحبّه اللّه الحديث .**

واذا كان ستر المعّصية مِن فاعلها ممدُوحاً فما ظنّك بغيره من الأشخاص في هَتك سَتره ولِنُشر الىٰ بعض ما ورَدَ في كشف السِّر وكِتمانه:

أمّا الأوّل : فقد قال اللّه تعالىٰ في كتابه:**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**(١) دلّت الآية علىٰ أنّ اللّه تعالىٰ يُعذّب يـوم القيامة من كان في الدّنيا مُحبّاً لِشيوع الفاحشة والعَيب منها فَمن أحبّ أن يشيع العَيب يثبت له العَذاب ومن المعلوم أنّ المراد به العيب الباطني الّذي خـفيَ علىٰ النّاس وأمّا العيب الظّاهري الّذي يَرونه فلا سواء كان خَلَقياً كالعمىٰ وغيره من نقص الأعضاء أم خُلَقياً كالظّلم والفُحش وسوء الخُلق وأمثالها فأنّ العيب بهذا المعنىٰ خارج عن البحث نعم ذكره في الخلّقيات يدخل في الغيبة وأمّا في الخُلَقيات فأن كان من الفسق الظّاهر فلا إشكال في ذِكره وأنّما الكـلام فـي العُيوب الباطّنية المخّفية علىٰ أكثر النّاس مُرتبطاً بَخلقه أم كان مرتبطاً بخُلقه فأنّه من الأسرار الّتي يجب إخفائها:

قال رسُول اللّه ﷺ **مَن أذاع فاحِشة كان كمُبتدئها ومَن عَيّر مؤمناً بشيءٍ لم يمت حتّىٰ يرتكبه انتهىٰ** وعن أبي جعفر عليه السلام قال قال **رسُول اللّـه ﷺ يـا معشر من أسلَم بلسانه ولم يسلم بقلبه لا تتّبعُوا عثرات المُسلمين فأنّه مَن يتّبع عثرات المُسلمين يتتّبع اللّه عثراته ومَن تَتّبع اللّه عثراته يَفضحه انتهىٰ.**

وقال **الباقر** عليه السلام **مَن أقرب ما يكون العبد الىٰ الكُفر أن يُواخي الرّجل الرّجل علىٰ الدّين فيحصي عليه زلّاته ليُعيّره بها يوماً ما انتهىٰ« جامع السّعادات ج ٢ ص ٢٦٥»...**

وأمّا الثّاني: أعني به كِتمان السِّر فهو مَمدوح:

١ـ النّور ـ ١٨

قال رسُول اللّه ﷺ مَن سَتر علىٰ مُسلمٍ سَتره اللّه فـي الدّنـيا والآخـرة انتهىٰ

وقال رسُول اللّه ﷺ - لا يَستُر عبدٌ عيب عبدٍ إلاّ سَتره اللّه يوم القيامة...

وقال ﷺ - لا يرىٰ إمرؤٌ مِن أخيه عَورةٍ فيسترها عليه إلاّ دَخل الجـنّة» جامع السّعادات ج ٢ ص ٢۶۶»...

ثُمّ قال صاحب الكتاب وقد ورَد أيضاً أنّه يؤتي يوم القيامة بـعبدٍ يـبكي فيقول اللّه سُبحانه، لِمَ تبكي فيقول أبكي علىٰ ما سينكشف عنّي من عوراتي وعُيوبي عند النّاس والملائكة فيقول اللّه عبدي ما إفتَضحتُك في الدّنيا بكشف عيوبك وفواحشك وأنتَ تعصيني وتضحك فكيف أفضحك اليوم بكشـفها وأنتَ لا تعصيني وتبكي، وفي خبرٍ آخر أنّ رسُول اللّه ﷺ يطلب يوم القيامة مِن اللّه سُبحانه ألاّ يُحاسِب أُمّته بحضرةٍ من الملائكة والرّسُل وسائر الأُمم لئلا تظهر عيوبهم عندهم بل يُحاسبهم بحيث لا يطّلع علىٰ معاصيهم غيره سُبحانه وسواه ﷺ فيقول اللّه سُبحانه يا حبيبي أنا أرأف بعبادي مـنك فـاذا كـرهت عُيوبهم عند غيرك فأنا أكره كشفها عندك أيضاً فأُحاسبهم وحدي بـحيث لا يطّلع علىٰ عثراتهم غيري انتهىٰ« ج ٢ ص ١۶٧».

□ قوله ﷺ: **أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدةَ كُلِّ حِقْدٍ وأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ وتَغابَ عَنْ كُلِّ مالا يَصِحُّ لَكَ ولا تَعْجَلَنَّ إِلىٰ تَصْدِيقِ ساعٍ فإنَّ السَّاعِيَ غاشٌ وإنْ تَشَبَّهَ بالنَّاصِحينَ...**

الحِقد بكسر الحاء العداوة القـلّبية يـتربّص صـاحبها فـرصة الإيـقاع بـها والمعنىٰ فَكُّ عن النّاس عقدة كُلّ حقدٍ فلا تكُن حاقداً بالنّسبة اليهم واقـطع عنك أي عن نفسك سَبب كلّ وِترٍ وعِنادٍ وتغاب أي تغافل عن كلّ ما لا يصّح لك العلم به ولا تُعجّلنّ أي لا تَسرعنّ الىٰ تصديق ساع بل تفّحص فيه فأنّ السّاعي في حقّ الغير وقد يُعبّر عنه بالنّمام غاشّ أي يَغّش في قوله وسعيه وأن تشّبه نفسه بالنّاصحين عندك، أمَره ﷺ بأُمور أربعة ينبغي المُواظبة عليها لكلّ

أحدٍ ولا سيّما الوالي أحدها إخراج الحِقد عن القلب بالنّسبة الىٰ المُسلم فأنّ الحِقد من الخبائث القلّبية وهو من ثمرة الغَضَب لأنّ الغَضَب اذ ألزم كظمه لَعَجزٍ عن التّشفي في الحال رجع الىٰ الباطن واحتَقن فيه فصار حِقداً وهو من المُهلكات العظيمة ولذلك قال رسُول اللّه ﷺ المؤمن من ليس بحقُودٍ:

وقال النّبي ﷺ ما كان جبرائيل يأتيني إلّا قال يا مُحمّد أتّق شُحناء الرّجال وعداوتهم.

وقال ﷺ – ما عهد إلّي جبرائيل قطّ في شئٍ ما عهد إلّي في معاداة الرّجال.

وقال الصّادق ؑ مَن زَرع العداوة حَصَد ما بَذَر، والأخبار في ذمّه كثيرة:

وثانيها: قطع سبب كلّ وِترٍ أعني العداوة الظّاهرة الّتي هي من لوازم الحِقد لأنّه اذا قوي قوّة لا يقدر معها علىٰ المُجاملة أظهر العداوة بالمُكاشفة وحيث أنّ كلّ ما يُوجد فَله علّة لا محالة فَله أيضاً علّة وسَبَب فعلاجه قطع سَبَبه والسَبَب يختلف فتارةً يكون سبب العداوة من قبيل الأموال كما اذا غَصَب أحد مال غيره فيكون المغصُوب فيه عدّواً للغاصب ، وقد يكون في الظّلم كما اذا ظلم أحد علىٰ غيره فالمظلوم يكون عدّواً للظّالم، وهكذا والحاصل أنّ مَنشأ العداوة أيّ شئٍ كان يجب قطعه حتّىٰ الإمكان بأيّ نحو من الأنحاء:

وثالثها قوله ؑ: **وتَغابَ عَنْ كُلِّ ما لا يَصِحُّ لَكَ**، أي تغافل عنه كأنّك ما رأيته بحيث يظُنّ عَدم رؤيتك وأن كُنت رأيته أو علمته واقعاً وفيه إشارة الىٰ أنّه لا ينبغي للمؤمن الإطّلاع علىٰ أسرار النّاس أو عيُوبهم أو مُحادثاتهم ومكالمتهم بطبعه وإرادته لأنّه من شؤون الأشرار وأمّا اذا إطّلع عليها قهراً وإتّفاقاً فلا إشكال فيه له نعم يجب عليه التسّتُر كما مرّ:

ورابعها: عدم التّعجيل في تصديق السّاعي النّمام بل ينبغي التّأمل في كلامه والفَحص عمّا قال وذلك لأنّ السّاعي غاشّ أي يخلط الصّدق بالكذب بل يلبس علىٰ الكذب لباس الصِدّق كما هو شأن المُنافق أو يقول بلسانه بخلاف ما في قلبه ولذلك قال ؑ وأن تشّبه بالنّاصحين والوجه فيه أنّ السّاعي فاسق

والفاسق لا يُصَدَّق في قوله قبل التّبين كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿إن جَآءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَاءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَافَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**(١) ثمّ أنّ في قوله ﷺ: (**إلىٰ تَصْدِيقِ ساعٍ**) حيث لم يقل الىٰ تصديق نمّام، مع أنّ السّاعي هو النّمام إشارة الىٰ نكتة دقيقة خفيت علىٰ الشّراح وهي أنّ السّاعي وأن كان بمعنىٰ النّمام في أصل اللّغة إلّا أنّ السّاعي غير النّمام بحسب مورد الإستعمال فأنّ النّميمة تُطلق في الأكثر علىٰ أنّ ينمّ قول الغير الىٰ المقول فيه كان يقال فلان تكلّم فيك بكذا وكذا أو فعل فيك كذا وكذا وعلىٰ هذا فهي نوع من إفشاء السّر وهتك السّتر وهي الّتي يتّضمن فساداً أو سعاية وقيل غير ذلك والجامع أنّ كلّ ما يُرىٰ من أحوال النّاس ولم يرضوا بإفشائه فإذاعته فهو نميمة:

وأمّا السّعاية فهي النّميمة بشرط كون المحكّي له من يخاف جانبه كالسّلاطين والأُمَراء والحكّام والرؤوساء وأمثالهم فهي أشدّ أنواع النّميمة إثماً ومعصيةً ولذلك قال رسُول اللّه ﷺ: السّاعي بالنّاس الىٰ النّاس لغير رُشده، يعني ليس ولد حلال وقد ذكرت السّعاة عند بعض الأكابر فقال ما ظنّك بقوم يُحمد الصّدق من كلّ طبقة إلّا منهم.

روي أنّ رجلاً أتىٰ أمير المؤمنين يسعىٰ اليه برجل فقال ﷺ يا هذا نحن نسأل عمّن قلت فأن كُنت صادقاً مَقتناك وأنّ كُنت كاذباً عاقبناك وأن شئت أن نقيلك أقلناك قال أقلني يا أمير المؤمنين انتهىٰ« جامع السّعادات ج ٢ ص ٢٧٤ »ونقل أنّ رجلاً زار بعض الحُكّماء وأخبره بخَبرٍ عن غيره فقال قد أبطأتَ عنّي الزّيارة و بغضتَ الىٰ أخي وشغلتَ قلبي الفارّغ وإتّهمتَ نفسك الأمنية:

والأصل في حُرمتها شرعاً قوله تعالىٰ: **﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾**(٢) وأمّا حكم العقل بقُبحها فلا شّك فيه:

قل للّذي لستُ أدري مِن تَلوّنه ... أنَاصحٌ أم علىٰ غشّ يُناجيني

١- الحجرات ـ ٦

٢- القلم ـ ١٠

أنّي لأُكثر ممّا سمتني عجباً | يَدُ تشّج وأُخرىٰ منك تأسُوني
تغتابني عند أقوام وتمدحَني | في آخرين وكلٌّ عنك يأتيني
هذان شيئان قد نافيت بينهما | فأكفُف لسانك عن شتمى وتزيينى

كتب الفضل بن سهل في جواب كتاب ساعٍ نحن نرىٰ أنّ قبول السّعاية شَّر من السّعاية لأنّ السّعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دَل علىٰ شئٍ وأخبر به كمن قَبَله وأجازه فإتّقُوا السّاعي فأنّه لو كان في سعايته صادقاً لكان في صدقه لئيماً اذ لم يحفظ الحُرمة ولم يستر العَورة:

وقال المأمون النّميمة لا تقّرب مودّة إلّا أفسدتها ولا عداوة إلّا جدّدتها ولا جماعة إلّا بددّتها ثمّ لابدَ لمن عرف بها ونسب اليها أن يُجتنب ويُخاف من معرفته ولا يُوثق بمكانه، وأنشد بعضهم:

مَن نمّ فىالنّاس لَم تُؤمن عقاربه | علىٰ الصّديق ولم تؤمن أناعيه
كالسّيل باللّيل لا يدري به أحد | من أين جاء ولا من أَين يأتيه
الويل لِلعَهد منه كيف ينقضه | والوَيل لِلوّد فيه كَيف يُفنيه

□ **قوله ﷺ: ولا تُدْخِلَنَّ في مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الفَضْلِ ويَعِدُكَ الفَقْرَ ولا جَباناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأُمُورِ ولا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بالجَورِ فإنّ البُخْلَ والجُبنَ والحِرصَ غَرائِزُ شتَّىٰ يَجْمَعُها سُوء الظَّنِّ باللّهِ...**

لا شّك أنّ المشورة في كلّ أمرٍ من الأُمور ممّا يَحكم بحسنها العقل والشّرع:

أمّا العقل، فلأنّ الإنسان لا يدرك الحقائق كما هي لنقصان عقله وقلّة فهمه ودَركه ولا سيّما في غير المَحسُوسات وهذا ممّا لا كلام فيه ثُمّ أنّ العقول في النّاس مُتفاوتة والإدراكات مختلفة فكلّ إنسانٍ يفهم شيئاً لا يفهمه الآخر فاذا كان مُستَبداً برأيه مُعتَمداً علىٰ دَركه وعقله يقع في الخطأ لا محالة في أكثر الموارد وأمّا اذا شاوره غيره في الأمر يكون خطأه أقلّ وأندر كما اذا شاور أكثر من واحدٍ يكون أقلّ خطأً فكلّ ما كانت المشورة أكثر تكون الإصابة أكثر والخَطأ أقلّ وبالعكس بالعكس وهذا مُسلّم عقلاً بل حِسّاً:

وأمّا الشّرع فلقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(١) ثُمّ أنّ هذه المَشورة بالنّسبة الى الحكّام والأُمراء أبلغ وآكد مِن غيرهم وذلك. لأنّ الفَرد المتّكفل لأُمور نفسه اذا لم يُشاور غيره ثُمّ وقع في الخطأ والضّرر لا يتّوجه الضَرر إلّا به كما أنّه في صورة الإصابة لا يتّوجه النّفع إلّا اليه وهذا بخلاف الوالي على النّاس والحاكم فيهم فأنّ ضرر الخطأ منه يتّوجه الى عُموم النّاس ومن المعلوم أنّ ضَرر الفَرد بالنّسبة الى ضَرر الإجتماع أمرٌ سهل ولذلك قلنا أنّ المشورة في حقّ الحاكم أبلغ وآكد ولا يُبعد أن يكون قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أيضاً إشارة الى الحُكّام والوّلاة لا الأشخاص والأفراد من أحاد الرّعية وإلّا فحقّ العبارة أن يُقال وأمره شورى بينهم فتأمل:

ثُمّ بعد رجحان المَشورة عقلاً وشرعاً يقع البحث في المُستشار أعني به مَن ينبغي أن يُؤخذ صالحاً لَلشّور ضرورة أنّ كلّ فردٍ من الأفراد لا يُليق به وقد نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن شورة البخيل والجَبان والحَريص فيُبقى الغير داخلاً تحت إطلاق الكلام فكأنّه قال عليه السلام شاور النّاس إلّا هؤلاء الثلاثة ثُمّ بَيّن عليه السلام وجه النّهي عن المَشورة مَعهم فقال:

ولا تدخلنّ في مَشورتك بخيلاً أي لا تُشاوره في أمرٍ من الأُمور لأنّه يَعدل بك عن الفضل والإحسان أي يَمنعك من إتيانه والعَمل به يُقال عَدَل عن الطّريق أي مال وأعرَض: وأيضاً أنّه يَعدك الفقر والإحتياج ولم يعلم أنّ الأمر ليس كذلك ولعلّ هذا هو الوجه في بُخله نفسه قال اللّه تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(٢)

و: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾(٣)

والآيات والأخبار في ذمّ البخيل كثيرة وتفصيل الكلام في محلّه إنشاء اللّه:

١- الشورى ـ٣٨
٢- مُحمّد ـ٣٨
٣- النّساء ـ٣٧

ثُمّ نهاه ﷺ عن مَشورة الجبان أيضاً واستُدل عليه بأنّه يضّعفك عن الأُمور أي يحملك علىٰ الضّعف ونهاه أيضاً عن مَشورة الحريص لأنّه يزّين الحِرص بأحسَن تزيينٍ بسبب الجَور والظّلم أي يُزّين لك الدّنيا ثُمّ يحملك علىٰ الظّلم للوصُول اليها ثُمّ علّل ﷺ نهيه في الكلّ بأنّها غرائز شتّىٰ أي طبائع مُتفرقة يجمعها سُوء الظّن بَاللّه تعالىٰ وذلك لأنّ الإنسان لَو حَسُن ظَنّه باللّه تعالىٰ بأنّه غنيٌ قادرٌ قاهرٌ فلا يخاف الفقر والضّعف ولا يظّلم علىٰ أحدٍ وبعبارةٍ أُخرىٰ مَن حَسُن ظَنّه باللّه تعالىٰ وعلِم أنّه غنيٌ لا يكون بخيلاً ومن عَلِم أنّه قادر علىٰ كلّ شئ لا يخاف الضّعف ومن عَلِم أنّه ينتقم من الظّالم لا يظلم أحداً فَمنشأ البُخل والحِرص والجُبن هو سُوء الظّن به تعالىٰ وهو المطلوب:

▫ **قوله ﷺ: إِنَّ شَرَّور وُزَرَائِكَ مَنْ كانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً ومَنْ شَرِكَهُمْ في الاثامِ فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطانَةً...**

وجهه ظاهر لأنّ وزير الظّالم ظالم وإلّا لَمْ يكن وزيراً له وشريكاً له في الآثام وحيث كان كذلك فلا يُعتمد عليه فلا يكون بِطانة وخاصّته ومفهوم الكلام أنّ طَردهم عن الوزارة أولىٰ.

▫ **قوله ﷺ: فإنَّهُمْ أعْوَانُ الأَثمَةِ وإِخْوَانَ الظَّلَمةِ وأنْتَ واجِدٌ مِنْهُمْ خَيرَ الخَلَفِ مِمَّنْ لهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ ونَفاذِهِمْ وليْسَ عَلْيه مِثْلُ آصارِهِمْ وأوْزَارِهِمْ مِمَّنْ لمْ يُعاوِنْ ظَالِماً علىٰ ظُلْمِهِ ولا آثِماً علىٰ إِثمِهِ...**

أي أنّهم كانوا مُعينين لِلأشرار علىٰ ظلمهم قبلك فلا تتّخذهم من خواصّك والحال أنتَ واجد بدلاً عنهم خير الخلف في النّاس ممّن له مثل آرائهمْ ونَفادِهِمْ في تدبير أُمور المَملكة وحُسن السّياسة وليس عليه أي علىٰ من تتّخذه وزيراً مثل آصارهم وذنوبهم وأوزارهم وآثامهم مِمّن لم يعاون ظالماً علىٰ ظلمه ولا آثماً علىٰ إثمه ومحصّل الكلام أنّه اذا كان مثل هؤلاء الأخيار والصُّلحاء موجودين فأيّ مُجوّز يحكم بإتخاذ الأشرار خواصاً دونهم والمفروض أنّهم مُشتركون في النّفع دون الضّرر:

▫ **قوله ﷺ: أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً أحنىٰ عَلَيْكَ عِطْفاً وأَقَلُّ لِغَيرِكَ إِلْفاً فاتَّخِذْ، أُولَئِكَ خاصَّةً لِخَلوَاتِكَ وَحفَلاَتِكَ...**

أي أُولئك الّذين لم يُعاونوا ظالماً علىٰ ظلمه ولا آثماً علىٰ إثمهِ أخَفُّ وأسهَل عليك مؤونة أي من حيث صَرف الأموال لهم فأنّهم لا يتّوقعون منك حقّاً كثيراً من بيت المال بل هم قانعون باليَسير وأيضاً إنّهم أحسَن لك مَعُونةً في إعانتهم أيّاك وإستعانتك بهم وأحنىٰ عليك عِطفاً أي وأميَل وأحبّ عليك جانباً وأقلّ لغيرك إلفاً أي ألفةً ومحبّةً فأتّخذ أُولئك خاصّة لخَلواتك وحَفلاتك أي إستَّمد بهم فى حكومتك وإستَعن بهم في إدارة الأُمور وشاورهم في الأمر، والخَلوات محّركة جمع خَلوة والحَفلات كذلك جمع حَفلة يُقال جاؤوا بحفلتهم أي بأجمعهم والمعنىٰ إجعلهم خاصّة لخلواتك ومجامعك أي في الباطِن والظّاهر:

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرَهُمْ عِنْدَكَ أقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الحَقِّ لَكَ وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيما يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللّهُ لأَوْلِيَائِهِ واقِعاً مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ...**

أي ولا شك أنّهم ليسوا علىٰ حدٍّ سواء من حيث الفهم والصّدق والأمانة وطلب الحقّ بل هم مُتفاوتون كغيرهم من النّاس وعليه فليكن آثرهم وأفضلهم لديك أكثرهم قولاً بالحقّ المُرّ ومرارة الحقّ صعوبته علىٰ نفس الوالي وأقلّهم مُساعدةً فيما يكون ويصدر منك لأوليائه واقعاً أي حال كون المكروه واقعاً من هواك حيث وَقع أي لا يساعدك علىٰ ما كره اللّه حال كونه نازلاً من ميلك اليه أيّ منزلة وأن كان مرغوباً عندك وبعبارةٍ أخصّ لا يساعدك علىٰ ميلك بل يساعدك علىٰ ما فيه رضىٰ لِلّه تعالىٰ فالملاك في مُساعدته أيّاك رضىٰ اللّه تعالىٰ لا رضاك كما ورَد في الحديث من أحبّ لِلّه وأبغض لِلّه وأعطىٰ لِلّه فهو مِمّن كَمّلَ إيمانه. الاحاديث في مَدح الوَرَع .

▫ **قوله ﷺ: وأَلْصَقْ بأهْلِ الْوَرَعَ والصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ علىٰ أنْ لا يُطْرُوكَ ولا يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لمْ تَفْعِلْهُ فإنَّ كثرَةَ الإطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وتُدْني منَ الْعِزَّةِ...**

الإلصاق بأهْلِ الوَرَع والصِّدقِ كناية عن مُجالستهم ومُعاشرتهم وأنّما خصّ عليه السلام أهل الوَرَع والصّدق بالذّكر وأمَره بمُعاشرتهم من بين أصناف النّاس من أهل العِلم وأهل التّجارة والزّراعة والأمانة والعَدالة وغيرها فأنّ الصّفات ليست بمنحصرة في الوَرَع والصّدق لأنّهما أعني الوَرَع والصّدق أصلها وأساسها فَمن إتّصف نفسه بهذين الوَصفين فقد وَصَفها في الحقيقة بكلّ الصّفات وذلك لأنّ الوَرَع قد يفسّر بمَلكة التّنزه والإجتناب عن مال الحرام أكلاً وطَلباً وأخذاً وإستعمالاً، وقد يفسّر بكَفّ النّفس عن مطلق المعاصي ومنعها عمّا لا ينبغي فهو على التّفسير الأوّل يكون ضدّاً لعدم الإجتناب عن المال الحرام ويكون من رذائل قوّة الشّهوة وعلى الثّاني يكون ضدّاً لَملكة الولُوع على مطلق المعصية ويكون من رذائل القُوّة الغَضبية والشّهوية جميعاً وكيف كان لا شك أنّ الوَرَع عن الحرام أو كفّ النّفس عن المعاصي على إختلاف التّفسيرين من أعظم المُنجيات وعُمدة ما ينال به الى السّعادات ورفع الدّرجات وقد وَرَد في مَدحه ما وَرَد قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله خير دينكم الوَرَع، وقال صلى الله عليه وآله مَن لقى اللّه سُبحانه وَرَعاً أعطاه اللّه ثواب الإسلام كُلّه...

وقال الباقر عليه السلام أنّ أشدّ العبادة الوَرَع...

وقال عليه السلام ما شيعتنا إلّا مَن إتّقى اللّه وأطاعه فإتّقوا اللّه وأعملُوا لما عند اللّه ليس بين اللّه وبين أحدٍ قرابة أحبّ العباد الى اللّه تعالى وأكرمهم عليه أبقاهم وأعملهم بطاعته...

وقال الصّادق عليه السلام أُوصيك بتقوى اللّه والوَرَع والإجتهاد وأعلم أنّه لا ينفع إجتهاد لا وَرَع فيه...

وقال عليه السلام إتّقوا اللّه وصُونوا دينكم بالوَرَع...

وقال عليه السلام عليكم بالوَرَع فأنّه لا ينال ما عند اللّه إلّا بالوَرَع...

وقال عليه السلام إنّما أصحابي مَن إشتدّ وَرَعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه هؤلاء أصحابي: وقال عليه السلام ألا وإنّ مَن إتّباع أمرَنا وإرادته الوَرَع فَتَزّينُوا به يرحمكم

اللّه وكيدوا أعداءنا به ينعشكُم اللّه...

وقال الباقر ﷺ أعينُونا بالوَرَع فأنّ من لقىٰ اللّه تعالىٰ منكم بالوَرَع كان له عند اللّه فرجاً أنّ اللّه عزّ وجلّ يقول:﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ (١)

فمنّا النّبي ومنّا الصّديق والشّهداء والصّالحون...

وقال ﷺ – قال اللّه عزّ وجلّ يابن آدم إجتنب ما حرّم عليك تكُن مِن أورَع النّاس...

وسُئل الصّادق ﷺ عن الوَرَع من النّاس فقال الّذي يتّورع عن محارم اللّه: والأحاديث كثيرة وما نقلناه منها نقلناه عن كتاب جامع السّعادات« جامع السّعادات ج ٢ ص ١٧٣»...

وقسّم بعض العلماء الوَرَع علىٰ أربع درجات:

أحدها: وَرَع العُدول وهو الإجتناب عن كلّ ما يلزم الفسق بإقتحامه وتسقط به العدالة ويثبت به العصيان والتّعرض لِلنّار وهو الوَرَع عن كلّ ما يحرمه فتوىٰ المُجتهدين:

وثانيها: وَرَع الصّالحين وهو الإجتناب من الشّبهات أيضاً:

وثالثها: الوَرَع عمّا يخاف أدائه الىٰ محرّمٍ أو شبهةٍ وأن لم يكن في نفسه حراماً ولا شبهة، فهو ترك ما لا بأس به مخافةً ما به بأسٌ:

ورابعها: وَرَع الصّديقين وهو الإجتناب عن كلّ ما ليس لِللّه ويتناول لغير اللّه وغير نيّته التّقوىٰ علىٰ عبادته وأن كان حلالاً صِرفاً لا يخاف أدائه الىٰ حرام أو شبهة، والصّديقون الّذين هذه درجتهم هم المُوحدّون المُتجردون عن حظوظ أنفسهم المنفردون لِللّه تعالىٰ بالقصد الرّاوّن كلّ ما ليسَ لِللّه تعالىٰ حراماً العاملون بقوله سُبحانه:﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٢) وأمّا

١- النّساء-٦٨

٢- الأنعام-٩١

الصّدق: فهو ضدّ الكذب ولا شك أنّه من أشرف الصّفات المرضية ورأس الفضائل النّفسية وقد ورد في مَدحه أيضاً ما وَرَد قال اللّه سُبحانه :﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (١)

و : ﴿وأتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢)

و : ﴿الصَّابِرِينَ وَالْصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ﴾ (٣)

و : ﴿إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا، إلىٰ قوله أُوْلَئِكَهُمْ الصَّادِقُونَ﴾ (٤) وقال رسُول اللّه ﷺ تقبّلوا إلّي بسّتٍ أتّقبل لكم بالجنّة، اذا حدّث أحدكم لا يكذب، واذا وعد فلا يَخلف، واذا أُوتِمن فلا يَخُن، وغُضّوا أبصاركم، وكُفّوا أيديكم وأحفظوا فروجكم انتهىٰ وعن الصّادقين عليهم السلام أنّ الرّجل ليصدق حتّىٰ يكتبه اللّه صديقاً...

وقال الصّادق عليه السلام كونوا دعاة النّاس بالخير بغير ألسنتكُم ليَروا منكم الإجتهاد والصِّدق والوَرَع...

وعنه عليه السلام مَن صَدق لِسانه زكىٰ عَمله ومَن حسُنت نيّته زِيد في رِزقه ومَن حَسُن برّه بأهل بيته مُدّ له في عُمره الىٰ غير ذلك من الأخبار« جامع السّعادات ج ٢ ص ٣٢٨ »...

وممّا ذكرناه في مدح الوَرَع والصِّدق قد ظَهر لك وجه قوله عليه السلام **وأَلْصَقْ بأَهْلِ الْوَرَعَ والصِّدْقِ** فأنّ المجالسة مؤثرة فَمن عاشرهم وجالَسهم يصير في زُمرتهم لا محالة كما قال اللّه تعالىٰ:﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

وأمّا قوله عليه السلام: (**ثُمَّ رُضْهُمْ علىٰ أنْ لا يُطْرُوكَ**) ألخ معناه عَودّهم علىٰ أن لا يمدحوك في وَجهك ولا يُبَجِّحُوكَ أي لا يجعلوك ممّن يفخر بِبَاطلٍ لَمْ يفعله كما يُبجّح أصحاب الأُمراء الأمراء فيقُولون مثلاً ما رأيت أعدَل منك ولا أسمَح ولا أشجع ولا أقضىٰ الىٰ غير ذلك فأنّ كثرة الإطراء والمَدح تحدث وتوجد الزّهو والعُجب وتدني أي تقرب من العِزّة والكِبر، وما ذكره عليه السلام حقّ لا مِرية فيه

١- الأحزاب ـ٢٣
٢- التّوبة ـ ١٢٠
٣- آل عمران ـ١٦
٤- الحجرات ـ١٥

فأنّ أكثر الأُمراء قد هلكوا وأهلكُوا بذلك حيث مَدَحهم المادَحون بالأكاذيب وغرّوهم بها وأرقَعوهم في العُجب والكِبر فَغفَلُوا عمّا كانوا فيه من الضّعف والحِقارة بالنّسبة الىٰ الخالق ودَخلوا فيما دَخَل فيه الشّيطان من الفَخر والتّكبر علىٰ عباد اللّه ثُمّ فعلوا ما فعلوا من الجنايات ولم يعلموا أنّ هذه الأقاويل أنّما تَرَنّموا بها لأجل الدّرهم والدّينار لا من جهة إستحقاق المَمدوح بها وكونه مصداقاً لها ونحن نُشير الىٰ بعض ما ورد في مَدح خلفاء الإسلام وحكّامهم من هذه المُلفّقات قال حسّان في مدح أبي بكر:

اذا تَذكّرت شجواً من أخي ثقةٍ فأذكر أخاك أبا بكر بما فَعَلا
خير البّرية أتقاها وأَعَدلها إلّا النّبي وأوفاها بما حملا
والثّاني التّالي المحمود مشهده وأوّل النّاس منهم صدّق الرّسلا

مع أنّ الأمّة قد أجمعت علىٰ أنّ أوّل من صدّق رسول اللّه من الرّجال علّي بن أبي طالب وهذا الشّاعر يقول أنّه أبو بكر وليس ذلك إلّا من الإطراء: وقال الآخر:

والثّاني أثنين فى الغار المنيف وقد
طاف العدّو به اذ صَعد الجَبَل
وكان حُبّ رسول اللّه قد علموا
من البّرية لم يعدل به رجلاً

مع أنّهم قد رووا في صحافهم أنّ أحبّ النّاس من الرّجال اليه ﷺ علّي ابن أبي طالب ومن النّساء فاطمة، وقال الآخر:

أنّ أبا بكر هو الغيث إن لم تَرزع الجوزاء بقلاً بما
تاللّه لا يدرك أيّامه ذو مئزرٍ ناشئ ولا ذو رداء
مَن يَسع كي يدرك أيّامه مُجتهداً شذّ بأرض فضا

وفي عمر بن الخطاب :

ليبك علىٰ الإسلام من كان باكياً
فقد أوشكوا صرعىٰ وما قدم العَهد

وأَدبــــرت الدّنـــيا وأَدبـــر خـــيرها
وقـــد مَـلَّها مـن كـان يـوقن بـالوَعد

وفي أمير المؤمنين قال الشّافعي :

ومـات الشّـافعي وليس يـدري عـلّي ربّـه أم ربّـه اللّـه

وقال الشّاعر في مدح عبد الملك بن مروان :

ألَستم خير من ركب المطايا وأنـدىٰ العـالمين بـطون راحٍ

وقال الأخطل فيه :

شمس العداوة حتّىٰ يستقاد لهم وأعظم النّاس أحلاماً اذا قدروا

قيل لما قال له يا غلام خُذ بيده وأخرجه ثمّ ألق عليه من الخُلَع ما يغمره:

وقال جويرية يُهنّي عُمر بن عبد العزيز بالخلافة :

وتـزيدني أَطيب الطيبُ طيباً أن تُـمسّيه أيـن مـثلك أَيـنا
واذا الدُّر زان حُسـن وجـوهٍ كان لِلدّر حُسن وجهك زينا

وفي أخبار المهدي العبّاسي لما عقد العهد الىٰ ابنه مُوسىٰ قال مروان بن أبي حَفصة:

عقدت لمُوسىٰ بـالرّصافة بـيعة شَـدَّ الإله بـها عُـرىٰ الإسـلام
مُوسىٰ الّذي عرفت قُريش فضله ولهـا فـضيلتها عـلىٰ الأقـوام
بــمُحمّدٍ بـعد النّـبي مُـحمّد حَي الحـلال ومـات كـلّ حـرامٍ
مـهدي أُمّـته الّـذي أست بـه لِـلذّل آمـنة ولِـلإعدامٍ
موسىٰ ولي عهد الخـلافة بـعده جُـفّت بـذاك مـواقع الأقـلام

وقال آخر :

يـابن الخـليفة أنّ أُمّـة أحـمد تـاقت اليك بـطاعةٍ أهـواؤهـا
ولتـملأن الأرض عَـدلاً كـالّذي كـانت تـحدّث أُمّـةٌ عـلماؤها
حـتّىٰ تـمنّىٰ لو تـرىٰ أمـواتـها من عدل حُكمك ماترىٰأحياؤها
فعلىٰ أبيك اليوم بَـهجة مـلكها وغـداً عـليك أزرارهـا وردائـها

وفي المَهدي من خلفاء العبّاسيين :

قُـل للـخليفة حـاتمُ لك خـائنٌ فَـخف الإله وأعـفِنا مـن حـاتمِ
أنّ العـفيف اذا إسـتعان بـخائنٍ كان العفيف شريكه في المآثـمِ

وقال الصولي في مَدح موسىٰ الهادى :

مـوسىٰ المَـطَر، غـيثُ بَكَـر ثـمّ إنـهمَر، ألوي المَـرَر
كـم إغـتَمَر وكَـم قَـدَر ثـمّ غَـفَر عـدل السّـير
بـاقي الأثـر خـيرُ وشَـر نـفعُ وضَـر خـير البَشـر
فـرعُ مـضر بَـدرُ بَـدَر لِـمن نـظر هـو الوزَر

وقال إبراهيم الموصلي في مدح الرّشيد :

ألَم تَرَ أنّ الشّمس كانت مريضةً فلمّا أتىٰ هٰرون أشرق نورها
تَـلّبست الدّنـيا جـمالاً بـمُلكه فهارون واليها ويـحيىٰ وزيـرها

ولآخر :

بـهٰروان لاح النّـور فـي كـلّ بـلدةٍ
وقـام بـه فـي عـدل سـيرَته النَّـهج
إمـام بـذات اللّـه أصـبح شـغله
فأكـثر مـا يـعني بـه الغَـزو والحـجّ
تَـضيقُ عـيون الخـلق عـن نُـوروجهه
اذا مـا بـدا للـنّاس نـظره البَّـلج
تَـصَنمت الآمـال فـي جُـوّد كَـفّه
فأعطىٰ الّذى يرجوه فوق الّذى يرجو

ولآخر في قصيدةٍ :

أنّ المكـارم والمـعروف أوديـة
أحَـلّك اللّـه مـنها حـيث تـجتمع

ولآخر في قصيدته :

وكـيف أخـاف الفـقر أو أُحـرم الغنىٰ

ورأي أمـــير المـــؤمنين جـــميلُ

لمّا سَمِع هارون الشّعر قال يا فضل أعطه مِائة ألف درهم لِللّه دَرّ أبيات يأتينها بها ما أجود أُصولها وأحسَن فصولها فقال الشّاعر يـا أمـير المـؤمنين كلامك أحسَن من شعري فقال يا فضل أعطه مِائة ألف أُخرىٰ، والأشعار بهذه المضامين في مدح الجائرين كثيرة وهذه السّيرة الخبيثة هي الّتي أوقَعَتهم في الظّلم والجَور وإتلاف الأموال وعدم إعتنائهم بالنّاس فخراً وكِبراً حتّىٰ قيل أنّ هارون كان فرعون بني العبّاس والىٰ هذا أشار أمير المؤمنين لقوله فأنّ كثرة الإطراء تَحدث الزّهو والعُجب ومع التّأسف هذه السّيرة قد إستَمرت الىٰ زماننا هذا بل كلّ من هو أبلغ في المَدح والثّناء فهو أقرب الىٰ الحكّام والأُمراء ولم نَر مَن مَنعهم عنه وهو عجيب:

▫ قوله ﷺ: **ولا يكُونُ المُحْسِنُ والمُسِيءُ عِنْدَكَ بمنزِلةٍ سَوَاءٍ فأنَّ في ذلِكَ تَزْهِيداً لأهْلِ الإحْسَانِ في الإحْسَانِ وتَدْرِيباً لأهْلِ الإسَاءَةِ علىٰ الإساءَةِ وألْزِمْ كلّاً مِنْهُمْ ما ألْزَمَ نَفْسَهُ...**

أي فَرّق بين المُحسن والمُسيئ في القُرب والعَطاء وذلك لأنّ عدم الفرق بينهما يوجب تزهيد المُحسن وتنفيره في الإحسان وتدريب المُسيئ وتعويده علىٰ الإساءة ولأجل ذلك قال اللّه تعالىٰ: **﴿هَلْ جَزَاءَ الإحْسَانِ إلّا الإحْسَانُ﴾**(١) وقوله ﷺ: **وألْزِمْ كلّاً مِنْهُمْ ما ألْزَمَ نَفْسَهُ** معناه أنّ المُحسن ألزِم نفسه الإستحقاق علىٰ الكرامة والمُسيئ علىٰ العقاب فأنتَ أيضاً ألزَمهما علىٰ ما ألزَما نفسهما عليه قال اللّه تعالىٰ: **﴿إنَّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَوا والّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ﴾**(٢)

و: **﴿وأحْسِنُوا إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾**(٣)

١-رحمان ـ ٦٠
٢-النحل ـ١٢٨
٣-البقرة ـ١٩٥

و : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)

و : ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحسِنِينَ﴾ (٢)

و : ﴿إِنَّ اللَّهِ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) وقال في المُسيئ:﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِئَاتِ جَزَآءُ سَيِئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ (٤)

و : ﴿وَمَنْ جَآءَ بِالسَّيِئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (٥)

وهكذا وقال تعالىٰ في إثبات الفرق بينهما في كتابه:﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ولاَ الْمُسِيُ﴾ (٦)

والعقل أيضاً يحكم بالفَرق وهو واضح إلّا أنّ هذا الأصل كغيره من الأُصول المذكورة في هذا الكتاب صار متروكاً بين الخلائق ولا سيّما في الحُكومة فأنّ المُحسن يُعد عند أكثر الخلق مُسيئاً والمُسيئ مُحسناً وهو عند الأُمراء أبلَغ وأشَدّ وذلك لأنّ أساس الحُكومة اذا كان مُبتنياً علىٰ المكر والخُدعة والظّلم والكِذب والخيانة فكيف يتّوقع من الحاكم فيها الفرق بين المُحسن والمُسيئ وليتَ شِعري أنّ الحُكّام كانوا قانعين بالتّساوي بينهما ولم يفضّلوا المُسيئ علىٰ المُحسن ونحن نرىٰ تفضيلهم المُسيئ في أكثر الموارد لولا كُلّها نعوذ بالله من هذه الرّوية:

□ قوله عليه السلام: واعلمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعىٰ إلىٰ حُسْنَ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِه منْ إِحْسَانِه إِلَيهِمْ وتَخْفِيفِهِ المَؤُوناتِ عليهمْ وتَرْكِ إِسْتِكْرَاهِه إِيَّاهُمْ علىٰ مَا لَيسَ قِبَلَهُمْ...

حاصله أنّ من أدّل الدّلائل علىٰ حُسن ظَنّ الوالي الرّاعي برعيّته هو إحسانه اليهم بإعطائه العَدل في حقوقهم وأُمورهم بأن لا يظلم عليهم ولا يتلف أموالهم ولا يهتك أسرارهم وأن يُخفّف المؤونات عليهم بأن لا يأخذ منهم أكثر من إستطاعتهم وقدرتهم بل يخفّف عليهم حتّىٰ الإمكان ويترك إكراه النّاس علىٰ ما ليس قِبلهم أي عندهم والجامع رفقه بهم ومداراتهم:

١- آل عمران ـ١٤٨
٢- الأعراف ـ٥۶
٣- التوبة ـ١٢٠
۴- يونس ـ٢٧
۵- الأنعام ـ١۶٠
۶- غافر ـ٥٨

▫ قوله عليه السلام: **فَلْيكُنْ مِنْكَ في ذٰلِكَ أمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ برَعِيَّتِكَ فَإنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عنْكَ نَصَباً طَوِيلاً وإنّ أحَقَّ مَنْ حَسُنَ الظَّنّ (ظَنُّكَ) بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ وإنَّ أحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ...**

أي ينبغي أن يكون لك ملاكاً ومعياراً تعتمد عليه في حُسن الظّن وسُوءه اذ لا يصّح حُسن الظّن بكلّ الرّعية ولا سُوء الظّن بهم فأنّ منهم من يستَحق الحُسن ومنهم من يستحّق السُّوء مَعَ التّوجه بأنّ حُسن ظنّك يقطع عنك نَصباً طويلاً أي تَعَباً ومشّقةً ثمّ بيّن عليه السلام الملاك وحاصله أنّ من حُسن بلاؤك وإختبارك عنده فهو ممّن يحسُن الظّن به ومَن ساء بلاؤك عنده فهو مَطرود ولا يُحسن الظّن به وقيل المراد بالبلاء في المقام مطلق الصُنع حَسَناً أو سيّئاً وعليه فالمعنىٰ مَن حَسُنَ فعلك عنده فهو ممدوح يليق بحُسن الظّن به ومن ساءَ فعلك به فلا وحاصل المعنيين يرجع الىٰ شيءٍ واحد وهو مَوقع الوالي عند النّاس خيراً وشَراً:

▫ قوله عليه السلام: **ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحةً عَمِل بها صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ واجْتَمَعَتْ بهَا الأُلْفَةُ وصَلَحَت عليْها الرَّعِيَّةُ ولا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ منْ ماضِي تِلْكَ السُّنَنِ فيكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّها والوِزْرُ عَليكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْها...**

أي أنّ السّنة الصّالحة الّتي عَمِلَ بها صدُور هذه الأُمّة أي أخيارهم وصلحائهم قبلك لا تنقضهاالأخبار في الباب بل أبقها علىٰ ماكانت ولا تحدّثن سُنّة تضّر بشيءٍ من ماضي تلك السُّنّن أي لا تُوجِدها فيكون الأجر لمن سنّها أي لمن سَنّ السُّنّة الحَسَنة والوزر والوبال عليك بنقضك تلك السُنّة روىٰ في البحار بأسناده عن الصّادق عليه السلام **قال ليس يتّبع الرّجل بعد مَوته من الأجر إلّا ثلاث خصال، صَدقة أجراها في حياته فهي تَجري بعد مَوته وسُنّة هُدىٰ سنّها فهي تُعمل بها بعد مَوته وولد صالح يستغفر له انتهىٰ...**

وعنه عليه السلام **قال ستّ خصال ينتفع بها المؤمن بعد مَوته الىٰ أن قال وسُنّة حَسَنة يؤخذ بها بعده...**

وعن الباقر عليه السلام قال مَن سَنّ بسُنّة عدلٍ فأتّبع كان له مثل أجر مَن عَمَل بها من غير أن ينقص من أُجورهم شيء ومَن سَنّ سنّة جورٍ فأتّبع كان له مثل وزر من عَمَل به من غير أن تُنقص من أوزارهم شيء انتهىٰ...

والرّوايات به كثيرة وقد تكلّمنا في الباب في «المجلد الأوّل بحار الأنوار ج ١٥ الجزء الثّاني ص ١٨١»...

□ قوله عليه السلام: **وأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ ومُنَاقَثَةَ الحُكَماءِ في تَثْبِيتِ ما صَلَحَ عليْهِ أمْرُ بِلاَدِكَ وإقامَةِ مَا إستَقامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ...**

ثمّ أَمَره عليه السلام بأمرين لابدّ من مراعاتهما لكلّ مُسلم ولا سيّما الولاّة والحكّام، مدارسة العُلماء، ومنافثة الحُكماء ومحادثتهم فأنّها تُوجب إصلاح أمر البلاد وإقامة العَدل في أهلها وذلك لأنّ الوالي لو كان بمعزلٍ عنها يدخل في طريق الشّيطان من حيث لا يحتسب فأنّ العلماء هم الأدلّاء علىٰ الحقّ لو كانوا يعلمون.

عن الباقر عليه السلام – قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله – أغد عالماً أو مُتعّلماً وأيّاك أن تكون لا هِياً مُتلذّذاً انتهىٰ...

وعنه عليه السلام قال أغد عالماً خيراً أو تعّلم خيراً:

وعن الصّادق عليه السلام – قال أنّ النّاس رجلان عالم ومتّعلم وسائر النّاس غثاء فنحن العلماء وشيعتنا المُتّعلمون وسائر النّاس غثاء انتهىٰ...

وقال النبّي صلى الله عليه وآله – لا خير في العيش إلّا لرجلين عالم مُطاع ومستمعٌ واعٍ...

وعنه صلى الله عليه وآله – أغد عالماً أو مُتعّلماً أو مُستمعاً...

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله – مُجالسة أهل الدّين شرف الدّنيا والآخرة...

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله – المُتّقون سادة الفقهاء قادة والجلوس اليهم عبادة.

وقال الصّادق عليه السلام – أَحكَم النّاس مَن فرّ من جهّال النّاس وأَسعد النّاس من خالط كرام النّاس...

وقال النّبي ﷺ - تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا فأنّ الحديث جلاء أنّ القلوب لترين كما يَرين السّيف وجلاؤها الحديث...

وقال ﷺ أنّ اللّه عزّ وجلّ يقول تذاكر العلم بين عبادي ممّا تحييٰ عليه القلوب الميتة اذ إنتهوا فيه الىٰ أمري...

وعن الباقر عليه السلام رحم اللّه عبداً أحيَىٰ العلم فقيل وما أحياؤه قال أن يذاكر به أهل الدّين وَالورَع...

وعنه عليه السلام - قال تذاكر العلم دراسة والدّراسة صلٰوة حَسَنة في الزّبور قل لأحبار بني إسرائيل ورهبانهم حادثوا من النّاس الأتقياء فأن لم تجدوا فيهم تقيّاً فحادثوا العلماء وأن لم تجدوا عالماً فحادثوا العقلاء...

فأنّ التّقي والعلم والعقل ثلث مَراتب ما جعلت واحدة منهنّ في خلقي وأنا أُريد هلاكه انتهىٰ والأحاديث نقلناها عن البحار ج ١ ص ٦١ الى ص ٦۴ أن شِئت فراجع هناك:

الفصل الثّالث

▫ قوله عليه السلام: وأعلمْ أنَّ الرَّعِيةَ طَبَقاتٌ لايَصلُحُ بَعْضُهَا إلَّا بِبَعْضٍ ولاَ غِنَىٰ بِبَعْضِها عَنْ بَعْض فمِنْها جُنُودُ اللّٰهِ ومِنْها كتّابُ الْعامّةِ والخَاصَّةِ ومِنْها قُضَاةُ الْعَدْلَ ومنها عُمَّالُ الإنْصافِ والرِّفْقِ .ومِنْها أهْلُ الجِزْيَةِ والخَرَاجِ منْ أهْلِ الذمّةِ وَمسْلَمَةِ النّاس ومِنها التُّجّارُ وأهْلُ الصِّناعاتِ ومنها الطَّبَقَةُ السُّفْلىٰ منْ ذَوِي الحَاجَةِ والمَسْكَنةِ وكُلاً قدْ سَمَّىٰ اللّٰهُ سَهْمَهُ ووَضَعَ علىٰ حَدِّهِ فَرِيضَةً في كِتَابِه أوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنا مَحْفُوظاً.

فالجُنُودُ بإذْنِ اللّٰهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وزَيْنُ الْوُلاةِ وعِزُّ الدِّينِ وسُبُلُ الأَمْنِ ولَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إلَّا بِهم ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إلّا بمَا يُخْرِجُ اللّٰهُ لهُمْ منَ الْخَرَاجِ الّذِي يقْوَوْنَ بِهِ في جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ويَعْتمِدُونَ عَلَيْهِ فِيما يُصْلِحُهُمْ ويَكُونَ منْ ورَاءِ

حاجَتِهم ثُمَّ لا قَوامَ لِهذَيْنَ الصِّنْفِينَ إِلّا بالصِّنْفِ الثَّالِثِ منَ الْقُضاةِ والعُمَّالِ والكُتَّابِ لِمَا يَحْكُمُونَ منَ المَعاقِدِ ويَجْمَعُونَ منَ المَنافِعِ ويُؤتَمنُونَ عَلَيْهِ منْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وعَوَامِّها ولا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلّا بالتُّجَّارِ وذَوِي الصِّناعاتِ فِيما يَجْتَمِعُونَ عَلَيهِ منْ مَرَافِقِهِمْ ويُقِيمُونَهُ منْ أَسْوَاقِهِمْ ويَكْفُونَهُمْ منَ التَّرَفُّقِ بأَيْدِيهِمْ ما لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيرِهِمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلىٰ منْ أَهْلِ الحَاجَةِ والمَسكَنَةِ الَّذِينَ يَحقُّ رِفْدُهُمْ ومَعُونَتُهُمْ وفي اللّٰهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ ولِكُلٍّ علىٰ الوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ ما يُصْلِحُهُ ولَيْسَ يَخْرُجُ الوَالي منْ حَقِيقَةِ ما أَلْزَمَهُ اللّٰهُ من ذٰلِكَ إِلَّا بِالإِهتِمامِ والإِسْتِعانَةِ باللّٰهِ وتَوْطِينِ نَفْسِهِ علىٰ لُزُومِ الحَقِّ والصَّبْرِ عَلَيهِ فِيما خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ فَوَلِّ منْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ في نَفْسِكَ لِللّٰهِ ولِرَسُولِه ولإِمامِكَ وأَنْقاهُمْ جَيْباً وأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الغَضَبِ ويَستَرِيحُ إِلىٰ الْعُذْرِ ويَرْأَفُ بالضَّعَفَاءِ ويَنْبُو علىٰ الأَقْوِياءِ ومِمَّنْ لا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ ولا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ ثُمَّ أَلْصِقْ بِذَوِي الأَحْسَابِ وأَهْلِ الْبُيُوتاتِ الصَّالحَةِ والسَّوَابِقِ الحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ والسَّخاءِ والسَّماحَةِ فإِنَّهُمْ جِمَاعٌ منَ الكَرَمِ وشُعَبٌ من الْعُرْفِ ثُمَّ تَفَقَّدْ منْ أُمُورِهِم ما يَتَفَقَّدُ الوَالِدَانِ منْ وَلَدِهِما ولا يَتَفاقَمَنَّ في نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ ولا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعاهَدْتَهُمْ بِهِ وإِنْ قَلَّ فإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلىٰ بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وحُسْنِ الظَّنِّ بِك ولاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ إِتِّكالاً عَلىٰ جَسِيمِهما فإِنّ لِلْسِيرِ منْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ ولِلْجِسمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

ولْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ واسَاهُمْ في مَعُونَتِه وأَفْضَلَ عليْهِمْ منْ جِدَتِه بما يَسَعُهُمْ ويسَعُ مَنْ وراءَهُمْ منْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حتّىٰ يكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً واحِداً في جِهَادِ الْعَدُوِّ فإِنّ عَطْفَكَ عَلَيهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عليكَ وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ إِسْتِقامَةُ العَدْلِ في الْبِلاَدِ وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وإِنَّهُ لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ ولا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلّا بِحِيطَتِهِمْ علىٰ وُلاَةِ الأُمُورِ وقِلَّةِ إِسْتِثْقالِ دُوَلِهِمْ وتَرْكِ إِسْتِبْطاءِ إِنْقِطاعِ مُدَّتِهِمْ فَأَفْسِحْ في آمالِهِمْ ووَاصِلْ في

حُسْنِ الثَّناءِ عليهِمْ وتَعْدِيدِ ماأَبْلىٰ ذَوُوالبَلاَءِ مِنْهُمْ فإنَّ كثرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أفْعالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وتُحَرِّض النَّاكِل إنْ شَاءَ اللّهُ.

ثُمَّ أعْرِفْ لِكلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما أبْلىٰ ولا تَضيفَنَّ بَلاَء امْرِىٍء إلىٰ غيرِهِ ولاَ تُقَصِّرنَّ بِهِ دُونَ غايَةِ بَلاَئِهِ ولا يَد عونَّكَ شَرَفَ امْرِىٍءإلىٰ أنْ تُعْظِمَ منْ بَلاَئِهِ ما كانَ صَغيراً ولا صَعَةُ امْرِىٍءإلىٰ أنْ تَسْتَصْغِرَ منْ بَلاَئِهِ ما كانَ عَظيماً.

وأرْدُدْ إلىٰ اللّهِ ورَسُولِه ما يُضَّلِعكَ منَ الخُطُوبِ ويَشْتَبِه عليكَ منَ الأُمورِ فقدْ قالَ اللّهُ تَعالىٰ لِقَوْمٍ أحَبَّ إرْشَادَهُمْ (يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فإنْ تَنازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلىٰاللّٰهِ والرَّسُولِ)، فَالرَّدُّ إلىٰ اللّهِ الأَخْذَ بِمُحْكَمِ كِتَابِه والرَّدُّ إلىٰ الرَّسُولِ الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الجامِعَةِ غيرِ المُفَرِّقَةِ...

◁ اللغة

(كتّابُ) كَرُمّان جمع كاتب (سَهْمَهُ) أي نَصيبه (المَعاقِدِ) العقُود في البيع والشّراء وما شابههما (مَرَافِقِهِمْ) أي منافعهم (رَفْدُهُمْ) مُساعدتهم وصِلتهم (جَيْباً) جيب القميص طوقه يقال نقي الجيب أي ظاهر الصّدر والقلب (يَنْبُو)أي يَشْتَد ويَعلُو (جِمَاعٌ) أي مجموع (شُعَبُ) بضّم فَفتح جمع شُعبة (الْعُرْفِ) المَعْرُوف (يَتَفاقَمَنَّ) تفاقم الأمر عَظُم (جِدَتِه) أي عَطائه (خُلُوفِ)جمع خالف أي مُتَخلف (فافْسَحْ) أي أوسّع (تَهُزُّ) أي تُحرّك (النَّاكِل) المُتأخر القاعد.

◁ المعنىٰ

(واعلمْ) يامالك (أنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ) وأصناف (لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلَّا بِبَعْضٍ ولاَ غِنىٰ بِبَعْضِها عَنْ بَعْضٍ) أي صلاح بعض الطّبقات ببعضٍ آخر (فَمِنْها) من الطّبقات (جُنُودُ اللّهِ) أي الجيش (ومِنْها كتّابُ الْعامّةِ والخَاصَّةِ ومِنْها قُضَاةُ الْعَدْلِ ومنها عُمَّالُ الإنْصافِ والرِّفْقِ ومنها أهْلِ الجِزْيَةِ والخَرَاجِ منْ أهْلِ الذمَّةِ

وَمسْلَمَةِ النّاسِ) والمُراد بهم الكفّار الّذين في ذمّة الإسلام (ومنها التُّجّارُ وأهْلُ الصّناعاتِ) والحرف (ومنها الطّبَقةُ السُّفْلىٰ منْ ذَوِي الحاجَةِ والمَسْكَنةِ) وهُم الفُقراء (وكُلاًّ) أي كلّ الطّبقات (قدْ سَمَّىٰ اللّهُ سَهْمَهُ) ونصيبه (وَوَضَعَ علىٰ حَدِّهِ فَرِيضَةً في كِتَابِهِ أوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنا مَحْفُوظاً)بعلم الوراثة عن النّبي ﷺ (فالجُنُودُ) والجيُوش (بإذنِ اللّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةُ) وحُفّاظهُم عن هجُوم الأعداء (وزَيْنُ الْوُلاةِ) أي سبب زينتهم (وعِزُّ الدِّينِ) أي أنّها من أسباب عِزّة الدّين وشوكته (وسُبُلُ الأمْنِ) وطُرقُه (ولَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إلَّا بِهِمْ) أي بالجنُود (ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إلّا بمَا يُخرِجُ اللّهُ لهُمْ منَ الخَرَاجِ الّذِي يقْوَوْنَ بهِ في جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ويَعْتِمدُونَ عَلَيْهِ فِيما يَصْلِحُهُمْ) من الأرزاق والمَساكن وغيرها (وَيكُونُ منْ ورَاءِ حاجَتِهِمْ ثُمَّ لا قَوامَ لِهَذَيْنَ الصِّنْفَيْنِ) أعني الجنُود والكُتّاب.

(إلَّا بالصِّنْفِ الثَّالِثِ منْ القُضاةِ والعُمَّالِ والكُتَّابِ) أي عُمّال الإنصاف والرّفق وكُتّاب الجِزية والخَراج (لِمَا يَحكُمُونَ منَ المَعاقِدِ) فأنّ الحكم فيها من شأن القُضاة (ويَجْمَعُونَ منَ المَنافِعِ) العامّة (ويُؤتَمنُونَ عَلَيْهِ منْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وعَوَامِّها) والمُؤتمنُون هُم الكُتّاب (ولا قِوَامَ لُهمْ جَمِيعاً إلاَّ بالتُّجَّارَ وذَوِي الصِّناعاتِ فِيما يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ منْ مَرَافِقِهِمْ) ومنافعهم (ويُقِيمُونَهُ منْ أسْوَاقِهِمْ ويَكْفُونَهُمْ مَن التَّرَفُّقِ بأيْدِيهِمْ ما لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيرِهِمْ) فأنّ ذلك وظيفة التُّجّار (ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلى منْ أهْلِ الحاجَةِ والمَسكَنَةِ) وهُم الفقراء (الّذِينَ يَحقُّ رِفْدُهُمْ) أي صِلتهم ومُساعدتهم (ومَعُونَتُهُمْ) والإعانة بهم (وفي اللّهِ) أي وفي دين اللّه (لِكُلٍّ سَعَةٌ ولكُلٍّ) واحد منهم (علىٰ الوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ ما يُصْلِحُهُ ولَيْسَ يَخْرُجُ الوَالِي منْ حَقِيقَةِ ما أَلْزَمَهُ اللّهُ منْ ذلِكَ فأنّ الخرُوج من عُهدة التّكليف صعبٌ عسير جدّاً (إلَّا بالإهتِمامِ والإسْتِعانَةِ باللّهِ) فأنّه ولّي التّوفيق (وتَوْطِينِ نَفْسِهِ علىٰ لُزُومِ الحَقِّ والصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيما خَفَّ أوْ ثَقُلَ) أي سَهل أو عَسر (فَوَلِّ منْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ في نَفْسِكَ لِلّهِ ولِرَسُولِه ولِإمامِكَ وأنْقاهُمْ جَيْباً) أي صَدراً وقَلباً(وأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا) وعقلاً (مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الغَضَبِ) ويُخففه (وَيستَرِيحُ إلىٰ

الْعُذْرِ ويَرأَفُ بالضُّعفَاءِ) ويرحمهم (ويَنْبُو) ويشتَد (علىٰ الأَقْوِياءِ ومِمَّنْ لا يُثيرُهُ الْعُنْفُ ولا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ) ولا يعجزه (ثُمَّ أَلْصِقْ بِذَوِى الأَحْسَابِ) الصَّحيحة (وأَهْلِ الْبُيُوتاتِ الصَّالحَةِ) المُنزّهة عن النّفاق (والسَّوابِقِ الحَسَنَةِ) في أعمال الخير (ثُمَّ أهْلِ النَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ والسَّخَاءِ والسَّماحَةِفإنَّهُمْ جِمَاعٌ) أي مجمُوعة (مِنَ الكَرَمِ) والفضل (وشُعَبٌ منَ الْعُرْفِ)والمعروف (ثُمَّ تَفَقَّدْ منْ أُمُورِهِمْ) مثل (ما يَتَفَقَّدُهُ الوَالِدَانِ منْ وَلَدِهِما ولا يَتفاقَمَنَّ في نَفْسكَ شَيْ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ) أي لا تفد شيئاً قويّتهم به غاية في العظم زائداً عن إستحقاقهم (ولا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعاهَدْتَهُمْ بِهِ وإنْ قَلَّ) اللُّطف فأنّ له موقع من قلوبهم وذلك (فإنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إلىٰ بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وحُسْنَ الظَّنِّ بِك ولاَ تَدَعْ) أي لا تترك (تفّقد لطيف أُمُورِهِمْ إتِّكالاً علىٰ جَسِيمِها) وعظيمها (فإنَّ لِلْيسير منْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتفِعُونَ) النّاس (بِهِ ولِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتغْنُونَ عنْهُ)بل مُحتاجون اليه (ولْيَكُنْ آثَرُ رُؤُسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ) وأفضلهم لديك (مَنْ واسَاهُمْ في مَعُونَتِه وأَفْضَلَ علْيهِمْ منْ جدَتِهِ)وعطائه (بِما يَسَعُهُمْ ويَسَعُ مَنْ ورَاءَهُمْ منْ خُلُوفِ أهْلِيهِمْ) وهم العَجَزة والنّساء بعد سفر الرّجال (يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عليكَ) بسبب إنفاقك عليهم (وإنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عيْنِ الْوُلاَةِ إسْتِقامَةُ العَدْلِ فيالْبِلاَدِ وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ) وألفتهم (وإنَّهُ لا تَظْهَر مَوَدّتَهُمْ إلَّا بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ) عن الغلّ والغشّ (ولا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إلَّا بِحِيطَتِهِمْ علىٰ وُلاَةِ الأُمُورِ):

أي بشفقتهم علىٰ الوُلاة (وقِلَّةِ إسْتِثْقالِ دُوَلِهِمْ وتَرْكِ إستِبطْاءِ إنْقِطاعِ مُدَّتِهِمْ فأَفْسَحْ) وَوسِّع (في آمالِهِمْ ووَاصِلْ في حُسْنِ الثَّناءِ عليهِمْ وتَعْدِيلِ ما أَبْلىٰ ذَوُو البَلاَءِمِنْهُمْ) بالإحسان اليهم أو رفع الظّلم عنهم (فأَنّ كثرَةَ الذّكر لِحُسْنِ أفْعالِهِمْ تَهُزُّ) وتحرك (الشُّجَاعَ وتُحَرِّض النَّاكِل القاعد (أنْ شَاءَ اللّهُ ثُمَّ أعْرِفْ لِكلِّ امْرِيٍ مِنْهُمْ مَا أبْلىٰ ولا تضيفَنَ بَلاَءَ امْرِيٍ إلىٰ غيرِهِ) أي لا تنسبَنَّ فعل إمروٌ الىٰ غيره (ولا تَقَصِّرَنَّ بهِ دُونَ غايَةِ بَلاَئِهِ) أي لا تقصر به في الجزاء دون ما يبلغ عَمَله (وَلا يَدّعونَّكَ شَرَفُ إمرؤٍ الىٰ أنْ تُعْظِمَ منْ بَلاَئِهِ ما كانَ صَغيراً و

لا ضَعَةُ إمْرِي إِلىٰ أَنْ تَستصْغِرَ) وتُحقِّر (منْ بَلاَئِه ما كانَ عَظيماً) فأنـظر الىٰ العَمل لا الىٰ عامله (وأرْدُدْ إِلىٰ اللّهِ ورَسُولِه ما يُضْلِعكَ) ويشكل عليك (منَ الخُطُوبِ) والمشكــلات (ويشْتَبِه عليكَ منَ الأُمُورِ فقدْ قالَ اللّهُ تعَالىٰ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ) إلىٰ طريق الهُدىٰ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَـنُوا أطِـيعُوا اللّـهَ وأطِـيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فإِنْ تَنازَعْتُمْ في شَيٍّ فَرُدُّوهُ إِلىٰ اللّهِ والرَّسُولِ﴾ فالرّد الىٰ اللّه الأخذ بمحكم كتابه والرّد الىٰ الرّسـول الأخـذ بسـنّته الجـامعة غـير المُفرّقة:

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: وأعلمْ أنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ولاَغِنَى بِبَعْضِها عَنْ بَعْض...

وذلك لأنّ الإنسان مَدَني بالطّبع لا يمكن له التّعيش وحده بل كلّ فردٍ من افراد الإنسان يحتاج الىٰ غيره وذلك لأنّ كثرة الإحتياجات فيه توجب عـدم إمكان قيامه بها مُنفرداً واذا كان الفرد كذلك فكلّ طبقةٍ من طبقات الرّعية أيضاً كذلك اذ وجودها بوجود أفرادها ولا وجود لها مُستقلاً فأنّ وجود المـركّب بوجود أفراده واذا كان الإنسان في تَعيّشه كذلك ففي صلاحه وسداده أيـضاً كذلك اذ كيف يمكن لفردٍ من الأفراد أنّ يصلح نفسه من غير إستمدادٍ من غيره من نبّيٍ أو وَصّيٍ أو عالم وهكذا الكلام في الصّنف والطّبقة فَصلاح كلّ طَبَقةٍ بغيرها من الطّبقات كما أنّ حياتها وتَعيّشها بها.

▫ قوله ﷺ: فمِنْها جُنُودُ اللّهِ، وَمِنْها كُتّابُ الْعامّةِ والخَاصّةِ ومِنْها قُضَاةُ الْعَدْلِ ومنها عُمَّالُ الإنْصافِ والرِّفْقِ ومِنْها أهْلُ الجِزْيَةِ والخَرَاجِ منْ أهْلِ الذِّمةِ ومَسْلَمَةِ النَّاسِ ومنْها التُّجَّارُ وأهْلُ الصِّناعاتِ ومنها الطَّبَقةُ السُّفْلىٰ منْ ذَوِي الحَاجَةِ والمَسْكَنَةِ وكُلاً قدْ سَمَّىٰ اللّهُ سَهْمَهُ ووَضَعَ علىٰ حَدِّهِ فَرِيضَةً في كِتَابِهِ أوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ عَهْداً مِنْهُ عُنْدَنا مَحفُوظاً...

قسّم ﷺ الطّبقات الىٰ سَبعة.

أوّلها: جُنُودُ اللّٰهِ أعني بهم جيوش الإسلام وأنّما أضافهم الىٰ اللّـه تـعالىٰ فقال جنُود اللّه لأنّ جُند الإسلام في الحقيقة جُند اللّه.

وثـانيها: كُتّابُ الْعامّةِ والخَاصّةِ، المـراد بكـتّاب العـامّة المُـحاسبُون والمُحرّزون في المعتاد من شئون العامّة كالخراج والمـظالم وبـالخاصّة مَـن يختّص بالحاكم في شئون حَربه وسِلمه لأوليائه وأعداءه وثالثها، قُضاة العَدل والتّقييد بالعَدل لأنّ حفظ النّظام وصلاح الجامعة بالقاضي العادل وأمّا الجائر فهو خارج عن البحث بل عن الإسلام:

ورابعها: عُمّالُ الإنْصافِ والرِّفْقِ الّذين يحكمون من المعاقد والعُهود كالبيع والشّراء وما شابههما ممّا هو من شأن القُضاة.

وخامسها: أهْلُ الجِزْيَةِ والخَرَاجِ منْ أهْلِ الذِّمةِ وهم الكُفّار الّذين في ذمّة الإسلام.

وسادسها: التُّجّارُ وأهْلُ الصِّناعاتِ و الحِرَف .

وسابعها: الطَّبَقةُ السُّفْلَىٰ منْ ذَوِي الحَاجَةِ والمَسْكَنَة وهم الفقراء والتّعبير عنهم بالسُّفلىٰ من حيث المَعيشة والثّروَة لا بالنّظر الىٰ الواقع فـقد قـال اللّـه تعالىٰ: **﴿إنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللهِ اَتْقيكُمْ﴾**(١) ثمّ أفاد ﷺ أنّ كلّ واحدةٍ من الطّبقات لها سهم مُعيّن في كتاب اللّه وسُنة نبّيه ونحن نَعلمه علماً معهوداً عندنا من اللّه ورسُوله ثُمّ أشار ﷺ الىٰ وظائف الطّـبقات ووجـه إحـتياج كـلّ واحـدة الىٰ الأُخرىٰ.

▫ **قوله ﷺ: فالجُنُودُ بإذْنِ اللّٰهِ حُصُونُ الرّعِيَّةِ وزَيْنُ الْوُلاةِ وعِزُّ الدِّينِ وسُبُلُ الأَمْنِ ولَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إلَّا بِهِمْ...**

إبتدأ بأوصاف الجُنود لأنّهم في أوّل القسمة في التّقسيم أو لكونهم أهـمّ الطّبقات من جهة رَبط الأمنيه بهم والجُنود بضّم الجيم جمع جُند وهو الغِلظة ويُقال لِلعسكر الجُند إعتباراً بالغِلظة من الجند أي الأرض الغَليظة الّتي فيها

١- الحجرات ـ ١٣

حجارة ثُمّ يُقال لكلّ مُجتمع جُند كقوله ﷺ الأرواح جُنودٌ مُجنّدة وحيث أنّ العسكر مُجتمع أُعِدّ لِدفع أعداء الدّين قيل له الجُند قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (٢)

و: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (٣)

وحيث أنّ الجُند لا يختّص باللّه تعالىٰ بل يطلق علىٰ أتباع الشّيطان أيضاً كما قال تعالىٰ: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (٤)

و: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودُهُ﴾ (٥) قال ﷺ فمنها جُنود اللّه فالإضافة تشعر بخروج مُطلق الجُند عن البحث بل الّذي يبحث عنه ويُعدّ من الطّبقات الّتي تقوم الرّعية به هو الجُند المُضاف اليه تعالىٰ والجُند بهذا المعنىٰ وَصَفه بأوصاف خَمسة:

أحدها قوله ﷺ: **حُصُونُ الرَّعِيَّةِ** والحُصون جمع حِصن وهو الحِصار الّذي بأطراف البَلَد حِفظاً، لأهل البلد عن هُجوم العَدو شبّه ﷺ الجُند به لِكَون الجُند في الأصل موضوعاً لِحفظ بيضة الإسلام والمُسلمين وغيرهم عن خطر الأعداء ومنه يظهر لك أنّ التّقدير في العبارة حرف التّشبيه أي كحصون الرّعية أو كالحُصون للرّعية وهذا أوّل الأوصاف:

وثانيها قوله ﷺ: **وزَيْنُ الْوُلاةِ**، وفيه إشارة الىٰ أنّ الوالي والحاكم والسّلطان والخليفة او ما شئت فَسمّه كلّها يزّين بالجُند فكلّ حكومة كان جُندها أقوىٰ وأكمل كان أقوىٰ من غيره وبالعكس بالعكس ألا ترىٰ أنّ القُدرة في الحُكومة في زماننا هذا تَدور مدار قُدرة الجُند .

وثالثها قوله ﷺ: **وعِزُّ الدِّينِ** وهذا الوَصف بين الأوصاف الخمسة خاصّ بالإسلام والباقي عام اللّهم إلّا أن يحمل الدّين علىٰ معناه العامّ الشّامل لغير

١- الصّافات ـ١٧٣
٢- الفتح ـ٤
٣- المدّثر ـ٣١
٤- الشّعراء ـ٩٥
٥- يونس ـ٩٠

الإسلام أيضاً وكيف كان لا شك أنّ الجُنود يعزّ بهم الدّين اذا كانوا في طريق الدّين وهذا أمرٌ محسوس ولأجل ذلك حرّص اللّه المسلمين علىٰ الجهاد في سبيله وَوَعدَهم الجنّة.

كما مرّ الكلام فيه في باب الجهاد:

ورابعها قوله ﷺ: **وسُبُلُ الأَمْنِ** أي طُرقه أي لا طريق الىٰ الأمن والأمان في الجامعة إلّا من طريق الجُنود لأنّهم الحُصون للرّعية وقد قال رسُول اللّه ﷺ **نعمتان مجهولتان الصّحة والأمان**:

وخامسها قوله ﷺ: **ولَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إلَّا بِهِمْ**، أي أنّ قوام الرّعية وبقائهم بوجود الجُند ألا ترىٰ أنّ الجُند اذا إنهَزَم لا تقدر الرّعية علىٰ حِفظ البقاء فتّحصل ممّا ذكره ﷺ في أوصاف الجُنود أنّ لهم في الإجتماع مَوضعاً قوّياً ومَقاماً رَفيعاً:

□ قوله ﷺ: **ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إلّا بمَا يُخْرِجُ اللّٰهُ لهُمْ منَ الْخَرَاجِ الّذِي يقْوَوْنَ بِهِ في جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ويَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيما يُصْلِحُهُمْ ويَكُونُ منْ ورَاءِ حاجَتِهِمْ...**

بعد الإشارة الىٰ موضع الجُند وأنّ الرّعية لا تقوم إلّا به أشار ﷺ الىٰ أمرٍ آخر وهو أنّ الجُند أيضاً لا يقوم بنفسه بل محتاج الىٰ ما يصرفه في أمر معيشته وإدامة حياته من المأكول والمشروب واللّباس والمَسكَن وغيرها ممّا يحتاج اليه الإنسان أيّام حياته ولا يمكن له التّكفل بجميع أُمورِه بنفسه ولا سيّما العسكر حيث أنّهم لا يقدرون علىٰ التّجارة والزّراعة والصّنعة وغيرها فَعلىٰ الوالي إدارة أُمورهم وتأمين معيشتهم وتكّفل عائلتهم وجميع حوائجهم وهذا لا يمكن إلّا بالأموال الّتي حَصَلَت له من طريق أخذ الخراج أو الجزية وغيرهما من موارد جمع الأموال والىٰ هذا المعنىٰ أشار ﷺ بقوله ثُمّ لا قوام للجُنود إلّا بما يخرج اللّه من الخراج الّذي يقوي الجُند به في الجهاد ويعتمد عليه في إصلاح المعاش ورَفع الحاجات فَثبت إحتياجهم الىٰ غيرهم وهو المطلوب:

□ **قوله ﷺ: ثُمَّ لا قِوَامَ لَهَذَيْنَ الصِّنْفَيْنِ إلَّا بالصِّنْفِ الثَّالِثِ منْ القُضاةِ والعُمَّالِ والكُتّابِ لِمَا يَحْكُمُونَ منَ المَعاقِدِ ويَجْمَعُونَ منَ المَنافِعِ ويؤتَمَنون عَلَيْهِ منْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وعَوَامِّها...**

قد بيّن ﷺ في الجملة السّابقة عدم قوام الجُنود إلّا بما يخرج اللّه من الخراج ولازم ذلك وجود كتّاب العامّةِ والخاصّةِ والمراد بالكتّاب العامّة المُحاسبون والمُجهرُون في المعتاد من شئون العامّة كالخراج والمَظالم وبالخاصّة من يختّص بالحاكم وهو الّذي يفضي اليه الحاكم أسراره ويولّيه النّظر فيما يكتب لأوليائه وأعدائه وما يقّرر في شئون حَربه وسِلمه فوجود الكتّاب لازم ضروري في الحكومة والىٰ هذا المعنىٰ أشار ﷺ في صَدر المبحث حيث قال ومنها كُتّاب العامّة والخاصّة اذا عرفت هذا، فنقول قوله ﷺ: **ثُمَّ لا قِوَامَ لَهَذَيْنَ الصِّنْفَيْنِ** عَنيَ بهما الجُنود، والكتّاب، أي لا قوام لهما إلّا بالصِّنف الثّالث من القُضاة والعُمّال والكُتّاب، أمّا القُضاة فمعلوم وأمّا العُمّال فالمراد بهم عُمّال الإنصاف والرِّفق كما في التّقسيم، والكُتّاب في المقام كُتّاب القُضاة أو كُتّاب عُمّال الإنصاف والرِّفق وقوله ﷺ: لِما يحكمون من المعاقد، من وظائف القُضاة وقوله يُجمعُون من المنافع الىٰ آخر ما قال من وظائف العُمّال والكُتّاب وحاصل الكلام أنّ الصّنفين الأوّلين أعني بهما الجُنود وكتّاب العامّة والخاصّة لا قوام لهما إلّا بالصّنف الثّالث وهم القُضاة وما يتّبعهم من العُمّال والكُتّاب حيث أنّ القُضاة يحكمون من المعاقد أي العقود من البيع والشّرىٰ وما شابههما ممّا هو شأن القُضاة وأمّا العُمّال والكُتّاب فأنّهم يجمعون المنافع ويحفظونها عن الآفات وأمّا الكُتّاب فأنّهم مؤتمنون فيما يكتبون من خواصّ الأُمور وعوامّها أي الأُمور الخاصّة والعامّة:

□ **قوله ﷺ: ولا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إلَّا بالتُّجّارِ وذَوِي الصِّناعاتِ فِيما يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ منْ مَرَافِقِهِمْ ويُقِيمُونَهُ منْ أسْوَاقِهِمْ ويَكْفُونَهُمْ مَن التَّرَفُّقِ بأيْدِيهِمْ ما لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيرِهِمْ...**

ثمّ لا قوام لهم جميعاً أي لا قوام للجنُود والقُضاة والعُمّال والكُتّاب وكُتّاب العامّة والخاصّة إلّا بالتّجار وذوي الصّناعات والحِرَف وأنّما عطف عليه السلام ذوي الصّناعاتِ علىٰ التّجار وجعلَهما في المقام قسماً واحداً لأنّ الصّنعة قسم من التّجارة في الواقع من جهة البَيع والشّراء أو لإشتراكهم جميعاً في كونهم في السّوق والجمع مهما أمكن أَولىٰ فأنّ الصّانع يبيع ويشتري كالتّاجر ألا ترىٰ أنّ الحدّاد مثلاً يشتري الحديد فيصنع قُفلاً ثمّ يَبيعه وهكذا غيره من أرباب الصّناعات مضافاً الىٰ كونهم في السّوق كالتّاجر وكيف كان بيّن عليه السلام وجه القوام بما حاصله أنّ التّجار وذوي الصّناعات قوام لِمَن قبلهم بسبب المرافق أي المنافع الّتي يجتمعون لأجلها ولها يقيمون الأسواق ويكّفون سائر الطّبقات من التّرفق والتّكسب بأيديهم ما لا يبلغه كَسب غيرهم من سائر الطّبقات ولذلك وَرَد في مَدح التّجارة ما وَرَد في الشّريعة المُقّدسة ونشير الىٰ شطرٍ منه تيّمناً وتبّركاً:

روىٰ في الوسائل عن المعلّىٰ بن خنيس قال رآني أبو عبد اللّه وقد تأخّرت عن السّوق قال أغد الىٰ عِزّك...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال تسعة أعشار الرّزق في التّجارة...

وبأسناده عن الباقر عليه السلام قال قال رسول اللّه البَركة عشرة أجزاء تسعة أعشارها في التّجارة، والعشر الباقي في الجلود، قال الصّدوق الجلُود الغَنَم:

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال التّجارة تزيد في العقل...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام تعرضّوا للتّجارة فأنّ فيها غنىً لكم ممّا في أيدي النّاس...

▫ قوله عليه السلام: **ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلىٰ منْ أَهْلَ الحاجَةِ والمَسكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ ومَعُونَتُهُمْ وفي اللّٰهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ ولِكُلٍّ علىٰ الوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ ما يُصْلِحُهُ...**

ثُمّ تصل النّوبة الىٰ الطّبَقَةُ السُّفْلىٰ أعني بها الفقراء والمساكين الّذين يحقّ رَفدهم أى مساعدتهم وصِلتهم و فى اللّه أى فى دين اللّه لكلٍّ من الطّبَقات

سِعَة و لكلٍّ منها علىٰ الوالي حقّ بقدر ما يصلحه ولَيْسَ للوالي الخروج من حَقِيقَةِ ما أَلْزَمَهُ اللّهُ، والحاصل ينبغي له مُراعاة الطّبقات بحيث لا يضّيع حقّ الرّعية كما أنّ الطّبقات المذكورة يجب عليهم مُراعاة الفقراء:

□ **قوله ﷺ: وَلَيْسَ يَخْرُجُ الوَالي منْ حَقِيقَةِ ما أَلْزَمَهُ اللّهُ منْ ذلِكَ إلّا بِالإهتِمامِ وَالإسْتِعانَةِ باللّهِ وتَوْطينِ نَفْسِهِ علىٰ لُزُومِ الحَقِّ والصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيما خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ...**

أي ولا يمكن للوالي أن يخرج من حَقِيقَةِ ما أَلزمه اللّه في حقّ الرعيّة إلّا بالإهتمام بما أَلْزَمَهُ اللّهُ والإسْتِعانَةِ باللّهِ تعالىٰ وتوطين نفسه علىٰ لزوم الحقّ والصّبر عليه في الشّدة والرّخاء والسّهل والعُسر فأنّ العَمَل بالوظائف المُقرّرة صَعبٌ عَسير لا يمكن الخروج عن عُهدته إلّا بالإهتِمامِ والجزم الثّابت وطلب التّوفيق منه تعالىٰ والصّبر علىٰ جميع المشاكِل ثمّ أشار ﷺ الىٰ وظيفة الوالي بالنّسبة الىٰ كلّ طبقةٍ وصَنفٍ علىٰ وجهٍ لا يُوجد في كلام غيره كما ستعرف الحال فيه:

□ **قوله ﷺ: فَوَلِّ منْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ في نَفْسِكَ لِلّهِ ولِرَسُولِهِ ولإمامِكَ وأَنْقاهُمْ جَيْباً وأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الغَضَبِ ويَستَرِيحُ إلىٰ الْعُذْرِ ويَرْأَفُ بالضُّعفَاءِ ويَنْبُو علىٰ الأَقْوِياءِ مِمَّنْ لا يُثيرُهُ الْعُنْفُ ولا يُقْعِدُ بِهِ الضَّعْفُ...**

أي أجعل والياً من جنُودك من كان مُتّصفاً بالأوصاف المَذكورة.

أحَدها: أنّ يكون أَطوع عندك لِللّه ولِرسُوله ولأمامك من غيره اذ لولم يكن كذلك لا يُعتمد عليه ولا يُؤمن شّره:

وثانيها: أن يكون أنقاهم حَبيباً أي أَطهَرهم وأَزكيٰهم قلباً يقال فلان نقّي الجَيب أي طاهر الصَدر والقَلب.

والثّالث: أن يكون أَفضَلَهُمْ حِلماً أي أفْضَلَهُمْ ضبطاً لِلنّفس والطّبع عن هيجان الغَضَب وقيل أي عقلاً، وليس الحِلم في الحقيقة هو العَقل ولكن فسرّوه به لكونه من مُسبّبات العقل وعليه فيكون الإستعمال مُجازاً حيث ذكر

المُسبب وأُريد السّبب ولا شكّ أنّ حمل اللّفظ علىٰ الحقيقة أولىٰ ومَعَ ذلك يؤيّده قوله مِمّن يُبطئ عن الغَضَب الىٰ آخر ما قال عليه السلام فأنّه بمنزلة التّفسير له فكأنّه قيل له عليه السلام وما الحليم فقال عليه السلام من يُبطئ الغَضَب ويُؤخّره أي لايعمله حين وَجد ويستريح الىٰ العُذر وينّشط به ويرأف بالضّعفاء بالرّحمة والشّفقة ويَرْثيه ويشّتد علىٰ الأَقْوياءِ ومِمَنْ لا يُثيرُهُ الْعُنْفُ ولا يُهيجه ولا يَقْعُدُ ولا يعجز به الضّعف ومن المعلوم أنّ هذه الأوصاف ثابتة للحَليم والحِلم من أَحَسن الصّفات لأنّه من صفات اللّه تعالىٰ وقد وصف اللّه به نفسه في كثير من الآيات قال تعالىٰ: ﴿وأعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(1)

و: ﴿وَاللَّهُ غَنِّيٌ حَلِيمٌ﴾(2) وقال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾(3) وقد مَدَح من إتّصف به:

قال تعالىٰ في إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾(4) و: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(5)

وقال الباقر عليه السلام أنّ اللّه عزّ وجلّ يحبّ الحيّ الحليم، وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ما أعزّ اللّه بجهلٍ قطّ ولا أذّل بحلمٍ قطّ...

وعن الرّضا عليه السلام - إتّقُوا اللّه وعليكم بالصُمّت والصّبر والحِلم فأنّه لا يكون الرّجل عابداً حتّىٰ يكون حليماً فقال لا يكون عاقلاً حتّىٰ يكون حليماً...

وعن أبي جعفر عليه السلام - قال كان علّي بن الحُسين عليه السلام يقول أنّه ليُعجبُني الرّجل أن يدركه حِلمه عند غضبه...

وعن الباقر عليه السلام - قال ما من جُرعةٍ يتّجرعها عبد أحبّ الىٰ اللّه عزّ وجلّ من جُرعة غيظ يردها في قلبه ورَدّها بصبرٍ أوردّها بحلمٍ« مشكاة الأنوار ص ٢١۶»...

١- البقرة ـ ٢٣٥
٢- البقرة ـ ٢۶٣
٣- النّساء ـ ١٢
۴- هُود ـ ٧٥
۵- التّوبة ـ ١١۴

□ قوله ﷺ: ثُمَّ أَلْصِقْ بِذَوِي الأَحْسَابِ وأَهْلِ الْبُيُوتاتِ الصَّالِحَةِ والسَّوَابِقِ الحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ والسَّخاءِ والسَّماحَةِ فأَنَّهُمْ جِمَاعٌ منَ الكَرَمِ وشُعَبٌ منَ الْعُرْفِ...

فيه تبيينٌ للقبيل الّذي يؤخذ منه الجُند ويكون منه رؤساؤه فأمره بإتّخاذ الجُند من ذوي الأحساب وأهل البيُوتات الصّالحة والسّوابق الحَسَنة فأنّ أهل الشّرف والمَروة أَولىٰ وأَفَضل عقلاً وشرعاً ثُمّ بعد ذلك أهْلِ النَّجْدَةِ أي أهل الشّدة والبأس والشّجاعة والسّخاءِ والسّماحَةِ والجُود فأنّ الجبان والبخيل لا يصلحان للولاية والإمارة وحيث أنّ كلمة (ثُمّ تفيد التّرتيب الإنفصالي فمعنىٰ العبارة أنّ أهل الأحساب والبيُوتات مقّدم علىٰ أهْلِ النَّجْدَةِ والشَّجَاعَةِ وهو كذلك لأنّ الأصل هو الحَسَب والأصالة في البَيت وأمّا الشَّجَاعَةِ والسّخاوة وأمثالهما من الصّفات فهي في المرتبة المُتأخّرة ألا ترىٰ أنّ معاوية بل وغيره من بني أُمّية كانوا أسخياء ومع ذلك كانوا أشرار النّاس لِخسّة بيوتهم ودناءة نَسَبهم وكان الأشعث رجلاً شجاعاً وهو كما ترىٰ:

ولذلك قال ﷺ: فأَنَّهُمْ جِمَاعٌ منَ الكَرَمِ أي مجموع منه وشُعَبٌ منَ الْعُرْفِ أي فِرقٌ مَعرُوفة بحُسن العَمَل:

فأنّي من القوم الّذين هُم هُم
اذا مات منهم سيّدٌ قام صاحبه
نجوم سَماءٌ كلّما غاب كَوكبٌ
بدا كوكبٌ تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
دُجىٰ اللّيل حتّىٰ نظّم الجزع ثاقبه
وما زال فيهم حيثُ كان مُسَّودٌ
تسبر المنايا حيث سارت ركائبه

□ **قوله ﷺ: ثُمَّ تَفَقَّدْ منَ أُمُورِهِمْا يَتَفَقَّدُ الوَالِدَانِ منْ وَلَدِهما ولا يَتفاقَمَنَّ في نَفْسكَ شَئ قَوَّيْتَهُمْ به...**

أي ثُمَّ يَتَفَقَّدْ منَ أمُورِ)الجُند ما يَتَفَقَّدْ الوَالِدَانِ منْ ولَدِهِما) أي إجعل نَفْسكَ بالنّسبة اليهم كالأب الشّفيق لولده ولا يَتفاقَمنَّ أي لا يتعاظَمنَّ في نفسك وبعبارةٍ أُخرىٰ لا تعدّ شيئاً قَوَّيْتَهُمْ به غاية في العِظَم زائِداً عمّا يستَحقُّون فأنّ ما قويتّهم به كان واجباً عليك إتيانه وهم مستَحقُّون لنيله.

□ قوله ﷺ: **ولا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعاهَدْتَهُمْ بِهِ وإِنْ قَلَّ فإِنّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إلىٰ بَذْلِ النَّصيحَةِ لَكَ وحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ...**

أي أنّ اللّطف الّذي تعاهدتم به لا تعدّه حقيراً وإن قَلّ وذلك لأنّه مع قِلّته داعيةٌ لهم أي للجُند (إلىٰ بَذْلِ النَّصيحَةِ لَكَ وحُسْنِ الظَّنِّ بِك.

□ قوله ﷺ: **لاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ إتِّكالاً عَلَىٰ جَسِيمِها فإنّ لِلْيسِيرِ منْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتفِعُونَ بِهِ ولِلْجَسِيمِ مُوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ...**

أي لا تترك تفقّد القليل اليسير إتكالاً علىٰ الجسيم العظيم في حقّهم بأن نقول مثلاً هذا يَسير فتركه أولىٰ بل تَفقُّدَهم به فأنّ لِلْيَسير من اللّطف موضعاً يَنتفعُون به في الحال ولِلْجَسيم العظيم موقعاً لا يَستغنُونَ عَنْهُ في محلّه.

□ قوله ﷺ: **ولْيَكُنْ آثَرُ رُؤُسِ جُندِكَ عِنْدَكَ مَنْ واسَاهُمْ في مَعُونَتِهِ وأفْضَل عليْهِمْ منْ جدَتِه بما يَسَعُهُمْ ويَسعُ منْ ورَاءَهُمْ منْ خُلوُفِ أهْلِيهِمْ حتّىٰ يَكونَ هَمُّهُمْ هَمّاً واحِداً في جِهَادِ الْعَدُوِّ...**

أي ينبغي أن يكون (أفْضَلَ رُؤُس جُندِكَ عِنْدَكَ مَنْ واسَاهُمْ)أي واسىٰ الجُند وساعدهم بمعونته لهم وأفْضَلَ عليهم أي أفاض وجاد من جِدَته وهي بالكسر ففتح الغِنىٰ والمراد بيَده من أرزاق الجُند وما سلم اليه من وظائف المُجاهدين لا يفتر عليهم في الفرض ولا ينقصهم شيئاً مِمّا فرض لهم بل يجعل العطاء شاملاً لِمَن تركوهم في الدّيار من خلُوف الأهلين أعني بهم من يبقىٰ في الحيّ من النّساء والعَجَزة بعد سَفر الرّجال حتّىٰ لا يكونوا في الحَرَج

والمَضيَقة من جهة المعاش ويكُونَ هَمُّهمْ هَمّاً واحِداً في جِهَادِ الأعداء فأنّ من لا معاش له لا معاد له:

▫ **قوله ﷺ: فإنَّ عَطْفَكَ عَليْهِم يُعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عليك وإنَّ أفْضَلَ قُرّةِ عِيْنَ الْوُلاَةِ اسْتِقامَةُ العَدْلِ في البِلاَدِ...**

علّل ﷺ ما ذكره سابقاً بأنّ شفقتّك عليهم توجب شفقتهم وميلهم اليك كما قيل بالفارسية:

نگـارا مـهربانى از دُو سَـر بـى ز يك سَر مهربانى دَرد سَـر بـى

ثُمّ قال ﷺ وأنّ أفضل قُرّة عين الولاة إستقامة العَدل في البلاد وذلك لأنّ وجود العَدل في الرّعية يوجب سعادة الدّارين للوالي المُجري له فأنّ اللّه تعالىٰ عادل ويحبّ العَدل والعادِل قال اللّه تعالىٰ: **﴿إنَّ اللَّهَ يأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ﴾**(١)

و: **﴿اُعْدِلُوا هُوَ أقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾**(٢)

و: **﴿وإذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواوَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾**(٣)

و: **﴿وإذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾**(٤) ثُمّ أنّ العَـدل وأن كـان حُسناً في نفسه بالنّسبة الىٰ كلّ الأفراد إلاّ أنّه من الحُكّام والولاة أحسَن لأنّـه فيهم يسري الىٰ جميع الطّبقات فأنّ النّاس علىٰ دين مُلوكهم ولذلك وَرَد في الأخبار ما ورَد فيه:

قال رسُول اللّه ﷺ - عدل ساعةٍ خير من عبادة سبعين سنة...

وقال ﷺ -أقرب النّاس يوم القيامة الىٰ اللّه تعالىٰ المَلِك العادل وأبعدهم عنه المَلِك الظّالم...

وقال ﷺ - أنّ السّلطان اذا كان عادلاً كان شريكاً في ثـواب كـلّ طـاعةٍ تصدر عن كلّ رعيّة وأن كان جـائراً كـان سَـهيماً فـي مـعاصيهم» جـامع السّعادات ج ١ ص ٨٧»...

١- النّحل ـ ٩٠
٢- المائدة ـ ٨
٣- الأنعام ـ ١٥٢
٤- النّساء ـ ٥٨

وعن أبي هُريرة عن النّبي ﷺ أنّه قال لَعمل الإمام العادل في رعيتّه يوماً واحداً أفضل من عَمل العابد في أهله مِائة عام أو خمسين عاماً...

وعنه عن النّبي ﷺ قال ثلاثة لا تّرد دعوتهم، الإمام العادل، والصّائم حتّىٰ يفطر، ودعوة المظلوم تحمل علىٰ الغمامة وتفتح لها أبواب السّماء...

□ قوله ؑ: **وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وإِنَّهُ لا تَظْهَر مَوَدَّتَهُمْ إلَّا بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ ولاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إلّا بِحِيطَتِهِمْ علىٰ وُلاَةِ الأُمُورِ وقِلَّةِ إِسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ وتَرْكِ إِسْتِبْطَاءِ إِنْقِطَاعِ مُدَّتِهِم...**

الواو للعطف أي وأنّ أفضل قُرّة عين الولاة العَدل في البلاد وظهور مودّة الرّعية محبّتهم وأنّه لا تظّهر مودّتهم إلّا بسلامة صدورهم وقُلوبهم عن الحِقد والعَداوة ولا تصحّ نَصيحَتُهُمْ أي نصيحة الرّعية إلّا بحيطتهم أي محافظتهم علىٰ ولاة الأُمور وحرصهم علىٰ بقائهم وأن لا يستثقلوا دولتهم أي لا يجعلوها ثقيلاً علىٰ نفوسهم ولا يستبطئوا إنقطاع مُدّتهم بل يعدّون زمنهم قصيراً يطلبون طوله:

□ قوله ؑ: **فَأَفْسَحْ في آمالِهِمْ ووَاصِلْ في حُسْنِ الثَّنَاءِ عليهِمْ وتَعْدِيلِ ما أَبْلَىٰ ذَوُو البَلاَءِ مِنْهُمْ فأَنَّ كَثرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وتُحَرِّضْ النَّاكِل إنْ شَاءَاللّهُ...**

أي وَسّع في آمالهم المشروعة ولا تُضيقّها وواصل أي لا تنقطع حُسن الثّناء عليهم بل ذمّ عليه وأسَع في (تَعْدِيلِ ما أَبْلىٰ ذَوُو البَلاَءِ مِنْهُم) ولعلّ المراد بذوي البلاء منهم المجرُوحين والمعلُولين والمرضىٰ وأمثالهم والمقصود إقضِ حوائجهم ويمكن أن يكون المراد بتعديلهم حُكمه بعدالتهم وتوثيقهم وعليه فالمراد بالبلاء الإختبار وكيف كان علّل ما ذكره بقوله فأنّ كُثرة الذّكر الخ أي كثرَةَ الذِّكْرِ لأفعالهم الجميلة الحَسَنة تُوجب تحريك شجاعتهم وتحريض ناكلهم أي قاعدهم ومُتأخرهم عن تأخّره وقُعوده ومحصّل الكلام أنّ كثرة ذكر أفعالهم تُوجب تشويقهم وتَرغيبهم بالنّسبة الىٰ المُتّقدم والمُتّأخر

□ قوله عليه السلام: ثُمَّ أعْرِفْ لِكلِّ إمْرِىءٍ مِنْهُمْ ما أبْلىٰ ولا تَضيقَنَّ بَلاَءِ أمرىءٍ إلىٰ غيرِهِ ولا تقَصَّرَنَّ بِهِ دُونِ غايَةِ بِلاَئِهِ ولا يَدْعوَنَّكَ شَرَفُ امْرِىءٍ إلىٰ أنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ ما كانَ صَغيراً ولا ضَعَةُ امْرِىءٍ إلىٰ أنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ ما كانَ عَظيماً...

وحاصل هذه الكلمات إعرف قدر الرّجال من جهة أعمالهم ولا تنسبنّ عمل إمْرِىءٍ الىٰ غيره ولا تقصر الجزاء دون ما يبلغ منتهىٰ عمله الجَميل ولا يُوجب شرف المَرء وجلالته أن تعدّ بلاءه الصّغير وفعله الحقير عظيماً ولا أن تعدّ عظم بلاء الوَضيع من الرّجال صغيراً والحاصل أُنظر الىٰ أعمال الرّجال ولا تنظُر الىٰ شَرفهم وضِعتهم فأنّ شَرَف المرء بعَمله لا بَحَسبه ونَسَبه مضافاً الىٰ أنّه يُوجب تضييع الحُقوق وتحقير النّفُوس أو تعظيمها من غير دليلٍ والجزاء علىٰ العَمَل عقلاً وشرعاً، وأمّا العامل فلا دخل له فيه وكذا شرفه وضِعته وهذا أصل أصيل لِمن راعاه:

□ قوله عليه السلام: وأرْدُدْ إلىٰ اللّهِ ورَسُولِه ما يُضْلِعكَ منَ الخُطُوبِ ويَشْتَبِه عليكَ منَ الأُمورِ...

إشارة الىٰ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾ (١)

و: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٢)

والمعنىٰ ما يشكل عليك في أمر دينك ويشتبه عليك فلا تقُل فيه من عند نفسك بل ردّه الىٰ اللّه ورسُوله.

قوله عليه السلام – فقد قال اللّه تعالىٰ لقومٍ أحبّ إرشادهم: ﴿يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (٣)

□ قوله عليه السلام: فَالرَّدُّ إلىٰ اللّهِ الأَخْذَ بِمُحكَمِ كِتَابِه والرَّدُّ إلىٰ الرَّسُولِ الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الجامِعَةِ غيرِ المُفَرِّقَةِ...

١- النّساء ـ٨٣
٢- النّساء ـ٥٩
٣- النّساء ـ٥٩

استدّل عليه السلام علىٰ ما ذكره بقوله تعالىٰ: **﴿يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا﴾** فأنّها صريحة فِي المدّعىٰ ثمّ بيَن المُراد من الرّد فقال الرّد الى اللّه معناه الآخذ بمحكم كتابه والرّد الىٰ الرّسول معناه الإخذ بسُنته الجامعة للسّعادة في الدّارين غير المُفرّقة لِلآراء فأنّ المُفرّقة لها ليست بسُنّته الواقعية:

ثُمّ أنّ المراد باللّه وبالرّسُول واضح لا خفاء فيه وأمّا أُولوا الأمر في الآية فقد إختلفوا فيه بعد رسُول اللّه صلى الله عليه وآله علىٰ قولين، الإمام المعصُوم المنصُوص من قِبَل الرّسُول كما هو مذهب الشّيعة أو مطلق الإمام الوالي علىٰ النّاس منصوصاً كان أم لا مَعصُوماً كان أم لا، كانت إمامته بإختيار النّاس وتعيينهم أم لا وبالحاصل كلّ متّصدٍ لأمر الحُكومة فهو أُولوا الأمر يجب علىٰ النّاس طاعته ورّد المُعضلات والمُشتبهات اليه وحيث انجّر البحث الىٰ الآية فلابد لنا من التّكلم فيها إجمالاً فنقول – المراد بأُولي الأمر في الآية الشّريفة هو الإمام المعصُوم المنصُوص من النّبي ويدّل عليه العقل والنّقل أمّا العقل فلوجوه:

أحدها: أنّ قوله وأُولي الأمر، معطُوف علىٰ الرّسُول وهو معطُوف علىٰ اللّه والآية قد دلّت علىٰ وجوب الإطاعة لِلّه تعالىٰ أوّلاً ولِرسُوله ثانياً ولأُولي الأمر ثالثاً كلّ ذلك بحكم العَطف وهذا القدر من الإستدلال مِمّا لا كلام فيه ثمّ نقول قوله أطيعُوا الرّسُول يعني أطيعوا رسُول اللّه لا مطلق من سُمّيَ به فكذلك أُولوا الأمر يعني أُولوا الأمر مِن قِبَل الرّسول لا مطلق أُولوا الأمر فكأنّه قال تعالىٰ أطيعُوا اللّه وأطيعُوا رسوله وأطيعُوا ولّيه بَعده ومن المعلوم أنّ ولّي الأمر بهذا المعنىٰ لا يكون إلّا الإمام المعصُوم المنصُوص وهو المطلوب:

وثانيها: لو أُريد بأُولي الأمر مطلق ولّي الأمر لجازَ أن يُراد بالرّسُول أيضاً مطلقه لا الرّسُول من عند اللّه خاصّة فيصير المعنىٰ أطِيعُوا اللّهَ وأطِيعُوا رسُولاً وولّياً لِلأمر بعده وحيث قد ثبت عقلاً ونقلاً وجوب الإطاعة من رسول اللّه فقط ثبت أيضاً وجوب الإطاعة من ولّي اللّه وهو لا يكون إلّا ما وصفناه وهو المطلوب:

وثالثها: أنّه لو أُريد مطلق الولّي وصاحب الأمر يلزم وجوب الإطاعة عن كلّ ظالم صار ولّياً، لأمور المُسلمين وقد نهىٰ اللّه تعالىٰ عن مُتابعة الظّالم بل لَعنَ الظّالَم في كتابه فكيف أمَرنا بطّاعته وهل هذا إلّا تهافتٌ في الكلام وتناقضٌ في المقال فلا محالة يكون المراد بأُولي الأمر من ليس بظالمٍ ومن كان كذلك لا يكون إلّا مَعصُوماً وهو المطلوب.

ورابعها: أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل إطاعته قريناً لأُطاعة نفسه وإطاعة رسوله ومن كان كذلك فهو معصوم لا مُحالة ضرورة أنّ غير المعصُوم لا تكون إطاعته مثل إطاعة اللّه والرّسُول في اللّزوم والوجوب بل تكون في أكثر المَوارد مَمنوعة شرعاً، وحيث إفترض اللّه طاعته في الآية علىٰ عباده عَلِمنا أنّه معصُومٌ عن الذّنب والخطأ وهو المطلوب:

وخامسها: أنّ الأصل عدم وجوب الإطاعة لِبَشرٍ من مثله إلّا ما خرج بالدّليل والرّسُول خارج من الأصل بدليل الآية وكذا ولّىٰ الأمر بعده فلو لم يكن الولّي من سنخ الرّسُول الخارج من الأصل فهو بشر مثل غيره في عدم وجوب الإطاعة والعقل يحكم بعدم وجوب إطاعته كغيره لقُبح التّرجيح بلامرجحٍ وأمّا النّقل:

فمنه ما رواه في تفسير البُرهان عند هذه الآية بأسناده عن جابر بن يزيد الجُعفي قال سمعت جابر بن عبد اللّه الأنصاري يقول لمّا أنزل اللّه عزّ وجلّ علىٰ نبّيه مُحمّد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قلت يا رسُول اللّه عرفنا اللّه ورسُوله فَمَن أُولوا الأمر الّذين قَرَن اللّه طاعتهم بطاعتك فقال هم خلفائي يا جابر وأئمّة المُسلمين بعدي أوّلهم علّي ابن أبي طالب ثُمّ الحَسن ثمّ الحُسين ثمّ علّي بن الحُسين ثُمّ مُحمّد بن علّي المعروف في التّوراة بالباقر وستدركه يا جابر فأذا لقيته فأقرأه منّي السّلام ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد ثمّ موسىٰ بن جعفر ثمّ علّي بن موسىٰ ثمّ محمّد بن علّي ثمّ علّي بن محمّد ثُمّ الحَسَن بن علّي ثُمّ يسمّىٰ ويُكنّىٰ حجّة اللّه

في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحَسَن بن علّي ذاك الّذي يُفتح اللّـه تـعالىٰ ذكره علىٰ يديه مشـارق الأرض ومـغاربها ذاك الـّذي يـغيب عـن شـيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها علىٰ القول بإمامته إلّا من إمَتحن اللّه قلبه لِلإيمان قال جابر قلت يا رسُول اللّه فهل يقع لشيعته الإنتفاع به في غيبته فـقال أي والّذي بَعَثني بالنّبوة أنّهم يستضيئون بنُوره وينتفعون بولايته في غـيبته كإنتفاع النّاس بالشّمس وأنّ تحلاّها سحاب يا جابر هذا من مكنون سرّ اللّه ومخزون علمه فأكتمه إلّا عن أهله انتهىٰ «ج ١ ص ٢٣٤»...

ومنه ما رواه فيه أيضاً بأسناده عن أبي بصير قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ أطيعوا اللّه وأطيعوا الرّسُول وأُولي الأمر منكم فقال عليه السلام نزلت في علّي بن أبي طالب والحَسَن والحُسين فقلت له أنّ النّاس يقولون فما له لم يسّم علّياً وأهل بيته في كتاب اللّه عزّ وجلّ قال فقولوا لهم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصّلوٰة ولم يسّم اللّه لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتّىٰ كان رسُول اللّه صلى الله عليه وآله هو الّذي فسّر ذلك لهم ونزلت عليه الزّكوٰة ولم يسّم لهـم مـن كـلّ أربعين درهماً حتّىٰ كان رسُول اللّه هو الّذي فسّر ذلك لهم ونَزَل الحجّ فلم يقل لهم طوفوا أسبوعاً حتّىٰ كان رسُول اللّه هو الّذي فسّر ذلك لهم ونزلت أطيعوا اللّه وأطيعوا الرّسول وأُولي الأمر منكم ونزلت في عـلّي والحَسَـن والحُسين فقال رسول اللّه ألا من كُنت مولاه فعلّي مـولاه وقـال أُوصـيكم بكتاب اللّه وأهل بيتي فأنّي سألت اللّه عزّ وجـلّ أن لا يُـفرّق بـينهما حـتّىٰ يردهما علىٰ الحَوض فأعطاني ذلك «الحديث ص ٢٣٥»...

أقول: الأحاديث كثيرة وأظنّ أنّ فيما ذكرناه كفاية مضافاً الىٰ أنّ الموضوع عندنا من المسّلمات وأمّا العامّة فأنكروا ذلك ولا دليل لهم علىٰ مُدّعاهم إلّا الإنكار والعِناد وتفصيل الكلام فيما ذكروه خارج عن موضوع الكتاب وقـد ذكرنا شطراً منه في المجّلد الأوّل من هذا الكتاب عند بحثنا في الإمامة قـال الحميري:

أَو ليس قد فرضت علينا طاعة لأولي الأُمور فهل لها تأويل
ما كان خبّرنا بذاك مُحمّد خبراً له في المُسندات أُصول
أنّ الخليفة بعده هذا الّذي فيها عليه من الخطاب يُحيل

وله:

وقال اللّه في القرآن قولاً يرّد عليكم ما تدعونا
أطيعوا اللّه ربّ النّاس ربّاً وأحمدوا لأُولي المتأمّرينا
فذلكم أبو حَسَنٍ علّي وسبطاه الولاة الفاضلونا

وقال أبن الجهم:

كفاكم بأنّ اللّه فوّض أمره
اليكم وأوحىٰ أنأطيعوا أُولى الأمر
ولم يسأل النّاس النّبي مُحمّداً
سوىٰ وذوي القُربىٰ القريبة من أجرٍ
ولا يقبل الإيمان إلّا بحبّكم
وهل يقبل اللّه الصّلوة بلا طُهرِ

ولآخر:

وكان لأحمدٍ الهادي وزيراً كما هُرون كان وزير موسىٰ
وكان له أخُ وأمين غيب علىٰ الوَحي المُنزل حين يوحىٰ
وصّي مُحمّد وأبو بنيه وأوّل ساجد لِللّه صلّىٰ

الفصل الرّابع

▫ قوله ﷺ: **ثُمَّ أخْتَرْ لِلْحُكْمِ بيْنَ النّاس أفْضَلَ رَعِيَّتِكَ في نَفْسِكَ مِمَّنْ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ ولا تُمْحِكُهُ الْخُصُومُ ولا يَتمادَىٰ في الزَّلَّةِ ولا يَحْصُرُ منَ الفَيْ إلىٰ الحَقِّ إذا عَرَفهُ ولا تُشْرِفُ نَفْسَهُ علىٰ طَمَعٍ ولا يَكْتَفِي بأدْنىٰ فَهْمٍ دُونَ أقْصَاهُ وأوْقَفَهُمْ**

فِي الشُّبُهاتِ وآخَذَهُمْ بالحُجَجِ وأَقَلَّهُمْ تَبَرَّماً بِمُرَاجَعَةِ الخَصْمِ وأَصْبَرَهُمْ علىٰ تَكَشُّفِ الأُمُورِ وأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتضَاحِ الحُكْمِ مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ إطْرَاء ولا يَسْتَمِيلُهُ إغْرَاءٌ وأُولَئِكَ قَلِيلٌ ثُمَّ أَكْثِرْ تَعاهُدَ قَضَائِهِ وأَفْسِحْ لهُ في البَذْلِ ما يُزِيلُ عِلَّتَهُ وتَقِلُّ مَعَهُ حاجَتُهُ إلىٰ النَّاسِ وأَعْطِهِ منَ المَنزِلَةِ لَدَيْكَ ما لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيرُهُ منْ خاصَّتِكَ لِيأمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجالِ لهُ عِنْدَكَ فانْظُرْ في ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً فأنَّ هَذَا الدِّينَ قدْ كانَ أسيراً في أيْدِي الأشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بالهَوىٰ ويُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيا.

ثُمَّ انْظُرْ في أُمُورِ عُمَّالِكَ فاسْتَعْمِلْهُمْ إخْتِبَاراً ولا تُوَلِّهِمْ مُحَاباةً وأثَرَةً فإنَّهُمْ جِمَاعٌ منْ شُعَبِ الجَوْرِ والخِيانَةِ وتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ والحَيَاءِ منْ أهْلِ الْبُيُوتاتِ الصَّالِحَةِ والقَدَمِ في الإسْلاَمِ المُتَقَدِّمَةِ فإنهُمْ أكْرَمُ أخْلاَقاً وأصَحُّ أعْرَاضاً وأَقَلُّ في المَطامِعِ إشْرَافاً وأبْلَغُ في عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراًثمَّ أَسْبِغْ علَيْهِمْ الأَرْزَاقَ فإنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ علىٰ إسْتِصْلاَحِ أنْفُسِهِمْ وغِنىً لهُمْ عَنْ تَناوُلِ ما تَحتَ أيْدِيهِمْ وحُجَةٌ علَيهِمْ أنْ خالَفُوا أمْرَكَ أوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ ثمَّ تَفَقَّد أعمَالَهُمْ وأبْعَثِ العُيُونَ منْ أهْلَ الصِّدْقِ والوَفاءِ عليْهِم فإنَّ تَعاهُدكَ في السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهمْ علىٰ إسْتِعمالِ الأَمانَةِ والرِّفْقِ بالرَّعِيَّةِ وتَحَفَّظْ منَ الأَعْوَانِ فإنْ أحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إلىٰ خِيانَةٍإجْتَمَعَتْ بهَا علَيهِ عِنْدَكَ أخْبارُ عيُونِكَ إكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عليهِ العُقُوبَةَ في بَدَنِه وأَخَذْتَهُ بما أصَابَ منْ عَمَلِهِ ثمَّ نَصَبْتَه بمَقامِ المَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بالخِيانَةِ وقلدتَهُ عارَ التُّهَمَةِ.

وتَفَقَّد أمْرَ الخرَاجِ بما يُصْلِحُ أهلَهُ فإنَّ صَلاَحِه وصَلاَحِهِم صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ .ولا صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إلَّا بِهِمْ لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيالٌ علىٰ الخَرَاجِ وأهْله .ولْيَكُنْ نَظَرُكَ في عِمارَةَ الأَرْضِ أبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ في استِجْلاَبِ الخرَاجِ لأَنَّ ذلِكَ لا يُدْرَكُ إلّا بالْعِمارَةِ مَنْ طَلَبَ الخرَاجَ بِغيرِ عِمارَةٍ أَخْرَبَ البِلاَدَ وأَهْلَكَ العِبَادَ ولمْ يَسْتَقِمْ أمْرُهُ إلَّا قَلِيلاً فإنْ شَكَوْاثِقَلاً أوْ عِلَّةً أوْ إنْقِطَاعَ شِرْبٍ أوْ بَالَةٍ أوْ إحَالَةَ أرْضٍ إغْتَمَرَها غَرَقٌ أوْأجْحَفَ بها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُم بماتَرْجُو أنْ يَصْلُحَ بِهِ أمْرُهُمْ .ولا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيءٌخَفَّفْتَ بِهِ المَؤُونَةَ عَنْهُمْ فإنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِه

اليك (عَلَيْكَ) في عِمَارَةِ بِلاَدِكَ وتَزْيِينْ ولايَتِكَ مَعَ إسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنائِهِمْ وتَبجُّحِكَ بإسْتِفَاضَةِ العَدْلِ فِيهمْ مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِما ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ منْ إجْمَامِكَ لَهُمْ والثِّقَةُ مِنهُمْ بمَا عَوَّدْتَهُمْ منْ عَدْلِكَ علَيْهِمْ في رِفْقِكَ بِهِمْ فَرُبَّما حَدَثَ منَ الأُمُورِ ما إذَا عَوَّلْتَ فِيهِ علَيْهِمْ منْ بَعْدُ إحْتَمَلُوهُ طِيبَةً أنْفُسِهِمْ بهِ فإنَّ العُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ ما حَمَلْتَهُ وإنّما يُؤتَي خَرَابُ الأَرْضِ منْ أعْوَازِ أهْلِها وإنّما يُعْوِزُ أهْلُهاالإِشْرَافِ أنفُسِ الْوُلاَةِ علىٰ الجَمْعِ وسُوءِظَنِّهِمْ بالْبَقاءِ وقِلَّة إنْتِفاعِهِمْ بِالعِبَرِ...

◁ اللّغة

(لا تُمْحِكُهُ) مَحك كَمَنع أي لَجَّ أي لا توقعه الخصوم علىٰ اللّجاج (الزَّلَّةِ)بالفَتح السّقطة في الخَطأ (يَحْصُرُ) من حَصر كَفرح أي ضاق صَدره (أَقْصَا) مُنتهاه (تَبَرُّماً التَّبرُّم المَلل والضّجر (أَصْرَمَهُمْ) أقطعهم (يَزْدَهِيهِ)الإزدهاء الإستخفاف (إِطْرَاء) زيادة الثّناء (مُحَابَاةً) المُحاباة الإختصاص (أَثَرَةً) بالتّحريك أي إستبداداً (تَوَخَّ) أي أطلب (أَسْبغْ) أي أكمل وأوسع (ثَلَمُوا) نَقضوا (العُيُونَ) الجواسيس (حَدْوَةً) أي سَوقٌ وحَثٌ (بَالَّةٍ) ما يَبّل الأرض من ندي ومطرٍ (إِحَالَةَ) بكسر الهمزة أي تحويلها البذر الىٰ فسادٍ بالتَّعفُن (أَغْتَمَرَها) أي عَمّها من الغَرق (تَبجُّحِكَ) التَّبَجح السُّرور وهو بتَقديم الجيم علىٰ الحاء (إجماحك) أي إراحتك، (أَعْوَازِ) الأعواز الفَقر والحاجة.

◁ المعنىٰ

(ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ) والقَضاء (بيْنَ النَّاس أَفْضَلَ رعِيَّتِكَ في نَفْسِكَ مِمَّنْ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ) في أمر القَضاء (ولا تُمْحِكُهُ الْخُصُومُ) أي لا تُوقعه الخصوم في اللّجاج (ولا يَتمادَىٰ أي لا يَتطاول في الزَّلَّةِ) والسّقطة في الخطاء (ولا يَحْصُرُ)ولا يضيق صَدره) (منْ الفَيْءِ)والرّجوع (إلىٰ الحَقِّ إذا عَرَفَهُ ولا تُشْرِفُ نَفْسَهُ علىٰ طَمَعٍ ولا يَكْتَفِي بأدْنىٰ فَهْمٍ دُونَ أقْصَاهُ) بل ينبغي للقاضي كمال

التدبر والتعمق (وأَوْقَفَهُمْ في الشُّبُهاتِ) أي من كان وقوفه في الشُّبهاتِ أكثر (وَآخَذَهُم بالحُجَجِ والبراهين وَأَقَلَّهُمْ تَبَرَّماً) أي مللاً وضجراً (بِمُرَاجَعَة الخَصْمِ وَأَصْبَرَهُمْ علىٰ تَكَشُّفِ الأُمُورِ) وظهور حقيقة الحال (وأَصْرَمَهُمْ) أي أقطعهم (عِنْدَ إتضاح الحُكْم) وظهوره (مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ) ولا يستخفه (إطْرَاء) أي زيادة الثناء والمبالغة فيه (ولا يَسْتَمِيلُهُ) أي لا يحمله على الميل عن الحقّ (إغْرَاء وأُولَئِكَ قَلِيلٌ) أي القاضي الجامع للأوصاف المذكورة قليل (ثُمَّ أَكْثِرْ تَعاهُدَ قَضائِهِ) ولا تغفل عنه (وأَفْسَحْ) ووسّع (لهُ في البَذلِ ما يُزِيلُ عِلَّتَهُ وتَقِلُّ مَعَهُ حاجَتُهُ إلىٰ النَّاسِ) بسبب عطائك أياه (وأَعْطِهِ منَ المَنزِلةِ لَدَيْكَ ما لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ منْ خاصَّتِكَ) أي أجعله أقرب النّاس اليك (ليأمَنَ بِذلِكَ) التقرب (إغْتِيَالَ الرِّجالِ لَهُ عِنْدَكَ) بالوشاية والغيبة (فانْظُرْ في ذٰلِكَ) الأمر، (نَظَراً بَلِيغاً) ولا تعدّه سهلاً يسيراً (فإنَّ هَذاالدِّينَ قدْ كانَ أسيراً في أَيْدِي الأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ) في الدِّينَ (بالهَوىٰ ويَطْلُبُ بِهِ الدُّنْيا) فلم يردّوا حقّه (ثُمَّ انْظُرْ في أُمُورِ عُمَّالِكَ) في البلاد (فأَسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَاراً) وإمتحاناً (ولا تُوَلِّهِمْ مُحَاباةً) أي إختصاصاً وميلاً منك (وأَثَرَةً) أي إستبداداً (فإنَّهُمْ) أي العمّال (جِمَاعٌ) ومجموع (منْ شُعَبِ الجَوْرِ والخِيانَةِ) بحسب أصل فطرتهم (وتَوَخَّ) وأطلب (مِنْهُمْ) من العمّال (أَهْلَ التَّجْرِبَةِ والحَيَاءِ منْ أَهْلِ الْبُيُوتاتِ الصَّالِحةِ و القَدَمِ في الإسلام).

وهم السّابقون الأوّلون (المُتَقَدِّمَةِ) على غيرهم في الدّين (فإنهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً وأَصَحُّ أَعْرَاضاً وأَقَلُّ في المَطامِعِ إشْرَافاً) وإطّلاعاً (وأَبْلَغُ في عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً) ودِقّةً (ثُمَّ أَسْبِغْ) وأوسع (عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ فإنَّ ذٰلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ علىٰ إسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ وغِنىً لَهُمْ عَنْ تَناوُلَ ما تَحْتَ أَيْدِيهِمْ) من أموال المسلمين لعدم إحتياجهم اليها (وحُجةٌ عليهِمْ) في الدّنيا والآخرة (أَنْ خالَفُوا أَمْرَكَ أوْ ثَلَمُوا) ونقضوا (أَمَانَتَكَ) فليس لهم القول بإحتياجهم الىٰ الأموال لأنك أغنيتهم عنها (ثُمَّ تَفَقَّد) وتفحص (أعمَالَهُمْ وأَبْعَثِ العُيُونَ) والجواسيس (منْ أَهْلِ الصِّدْقِ) لا من الكذّابين الغادرين (والوَفاءِ) لا من الخائنين (عليهِمْ فإنَّ تَعاهُدَكَ

في السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ) أي سوق وحَثّ لهم على فعل الخيرات و(على إسْتِعْمالِ الأَمَانَةِ والرِّفْقِ بالرَّعِيَّةِ) فلا يمكن لهم الخيانة والغلظة (وتَحَفظْ مِنَ الأَعْوَانِ) أي واظبهم (فإنْ أحَدٌ مِنْهُمْ) من الأعوان (بَسَطَ يَدَهُ إلىٰ خِيانَةٍ إجْتَمَعتْ بهَا) بالخيانة (عليْهِ) فاعلها (عِنْدَكَ أخْبارُ عيُونِكَ) وجواسيسك (إكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسطْتَ عليهِ) على الخائن (العُقُوبةَ في بَدَنِه وأخَذْتَهُ بما أصَابَ منْ عَمَلِهِ ثمَّ نَصَبْتُه بمَقَامِ المَذَلَّةِ) بعد كونه في مقام الرّفعة (وَوَسَمْتَهُ بالخِيانَةِ وقَلدتَهُ عارَ التُّهَمِةَ) أي جعلته كالقلادة له (وتَفَقَّد أمْرَ الخَرَاجِ بِما يُصْلِحُ أهْلَهُ) أهل الخراج (فإنَّ في صَلاَحِه وصَلاَحَهمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ) ولاصَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ من النّاس (إلَّا بهِمْ) بأهل الخراج - (لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيالٌ علىٰ الخَرَاجِ وأهْلِهِ) لأنّ معيشة النّاس منه ومنهم (ولْيَكُنْ نَظرُكَ في عِمارَةِ الأَرْضِ) بالزّراعة وأمثالها (أبْلَغَ مِنْ نظَرِكَ في إسْتِجْلاَبِ الخَرَاجِ)وأخذه (لأَنَّ ذلِكَ) أي الخراج (لا يُدْرَكُ إلَّا بالْعِمارَةِ) في الأرض (وَمنْ طَلَبَ الخَرَاجَ بِغيرِ عِمَارَةٍ) فهو في الحقيقة (أخْرَبَ البِلاَدَ وأهْلَكَ العِبَادَ) بالظّلم والعدوان (ولَمْ يَسْتَقِمْ أمْرُهُ) في الحكومة (إلَّا قَلِيلاً) من الزّمان (فأنْ شَكَوْا ثِقَلاً) أي ثُقل المضروب من مال الخراج (أوْ عِلَّةً) سمّاوية (أوْ إنْقِطَاعَ شِرْبٍ) أي ماءٌ في البلاد تسقي بالأنهار (أو بآلة) أي إنْقِطَاعَ بآلة من نَدي ومَطَر (أوْ إحَالَةَ أرْضٍ) لفساد البذر فيها (إغْتَمَرَها) أي عمّها (غَرَقٌ) من الغرق (أوْأجْحَفَ) وغلب (بها)بالأرض (عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بما تَرْجُو أنْ يَصْلُحَ بِهِ أمرُهُمْ) من الخراج (ولا يَثْقُلَنَّ عليك شَيْ خَفَّفْتَ بِهِ المَؤونَةِ عَنْهُمْ) أي لا تعدّه ثقيلاً على نفسك(فإنَّهُ) أي فأنّ ما خفّفت (ذُخْرٌ) وذخيرة (يَعُودُونَ) النّاس (بهِ عَلَيْكَ في عِمَارَةِ بِلاَدِكَ وتَزْيِينْ وِلايَتِكَ) فيرجع عليك ما خففته عنهم لا محالة (مَعَ إسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ) ومَدحهم بسبب التّخفيف منك (وتَبجُّحِكَ) وسُرورك (باسْتِفَاضَةِ العَدل فِيهِمْ مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ منْ إجْمَامِكَ) وإراحتك (لَهُمْ) حيث خفّفت لهم المؤونة (والثِّقَةُ) والاعتماد (مِنْهُمْ بِما

عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ) والمُـداراة معهم (فَرُبَّما حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ ما إذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ) على النّاس (مِنْ بَعْدُ إحْتَمَلُوهُ طِيبَةً أنْفُسهِمْ بِهِ) وذلِكَ (فإنَّ العُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ ما حَمَلْتَهُ) من الخراج (وإنّما يُؤتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إعْوَازِ أهْلِها) وفقرهم (وإنّما يُعْوِزُ أهْلُها) ويفقر (لإِشْرَافِ أنْفُس الْوُلاَةِ على الجَمْعِ) وحرصهم عليه (وسُوءِ ظَنِّهِمْ بالْبَقاءِ) في الدّنيا أو الإمارة (وقِلَّة انْتِفاعِهِمْ بالعِبَرِ) وغفلتهم عن قوله تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾

◁ الشّرح

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ اختَرْ لِلْحُكْمِ بيْنَ النَّاس أفْضَلَ رَعِيَّتِكَ في نَفْسِكَ...**

بعد فراغه ﷺ عن ذكر الجُند وكتّاب العامّة والخاصّة أشار ﷺ الى فصلٍ آخر في القضاء والحُكم بين النّاس وبيّن فيه شرائط القاضي وأهمّية القضاء وأنّ كلّ فردٍ من الأفراد لا يَصلَح لها فأنّ لكلّ عملٍ رِجال وحيث أنّ القضاء في الإسلام من أعلى المناصب الشّرعية وأهمّها إشترطوا في القاضي ما لم يَشترطوا في غيره من ذوي المناصب في الحُكومة الإسلامية ولا بأس بالإشارة الى شطرٍ منها قال في الجواهر:

القضاء بالمَدّ وقَد يقصر في اللّغة لِمَعانٍ كثيرة ربّما إنتهت الى عشرة، الحُكم، والقلم، والإعلام وعبّر عنه بعضهم بالإنهاء، والقول، والحَتم، والأمر، والخَلق، والفعل والإتمام، والفَراغ انتهى:

اقول: الاشهَر في معنى القضاء هو الأوّل أعني الحُكم وكلام أمير المؤمنين ﷺ في المقام ناظر اليه حيث قال ثُمّ إختر لِلحُكم أي لِلقضاء فعبّر عن القضاء بالحكم وكلامه ﷺ حُجّة على الكُلّ وأمّا شرائط القاضي **أحدها**، البلوغ فلا يصّح من الصّبي، **وثانيها**، كمال العقل، فلا يصّح من المجنون ولا ناقصوا العقل، **وثالثها**، الإيمان فلا يصّح من الكافر، **ورابعها**، العَدالة، فلا يصّح من الفاسق **وخامسها**، طهارة المولد، فلا يصّح من ولد الزّنا لعدم طهارة مَولده، **وسادسها**، العلم فلا يصّح من الجاهل بأمور القضاء **وسابعها**، الذّكورة، بأن

يكون القاضي من الرّجال فلا يصّح من الإناث فهذه هي الشّروط المُتّفقة عليها عِندنا بلا خِلاف وأمّا تفصيل الكلام فيها فهو مَوكولٌ الىٰ محلّه فأنّ كتابنا ليس مَوضُوعاً لهـذه الأبـحاث وغَـرضنا الإشـارة فَـقط لِـتعلم أنّ هـذه الشّـرائـط مخصوصة بالقاضي وأمّا غيره من المناصب فلا وهو يدّل علىٰ أهمّية القضاء في الإسلام ولأجل ذلك قال عليه السلام إختر لِلحُكم بين النّاس أفضل رعيّتك فـي نفسك، والمراد بالأفضل أفْضَلَ النّاس عِلماً وعَـملاً هكـذا يـنبغي أن يَـفهم العبارة وأمّا الأفضل بمعنىٰ الأشجع والأسخىٰ والأزهَـد وأمـثال ذلك فـليس بمرادٍ قطعاً لأنّ العِلم والعَمَل أساس شرائط القاضي وفضيلته تثبت بهما:

فَعَن الباقر عليه السلام مَن **أفتىٰ النّاس بغير علمٍ ولا هدىٰ من اللّه لعنته مـلائكة الرّحمة وملائكة العذاب ولَحِقه وزر من عمل بفتياه**، وفي الخبر القضاة ثلاثة، واحد في الجنّة وإثنان في النّار فالّذي في الجنّة رجل عرف الحقّ فقضىٰ بـه واللّذان في النّار رجلٌ عرف الحقّ فجار في الحُكم ورجلٌ قضىٰ للنّاس علىٰ جهلٍ، والأخبار كثيرة في الباب كلّ ذلك يدّل علىٰ لزوم كون القاضي أفْضَلَ ومع ذلك فله شرائط.

▫ **قوله عليه السلام: مِمَّنْ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ الى قوله الىٰ طَمَعٍ...**

أحَدها قوله عليه السلام: **مِمَّنْ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ**.أي إختر القاضي مِمَّنْ لا تَضِيقُ بِهِ الأمُورَ أي لا تجعله الحوادث والأمُور الواقعة في الجامعة في ضـيق الصّـدر وذلك لأنّ المتّصدي لأمر القضاء لابدّ له من سِعة الصّدر وبـروز الإسـتعداد لتّحمل المشّاق فأنّ الحوادث كثيرة ومع ذلك مُختلفة والقاضي في النّاس واقع موقع التّهديد والفّحش والتّهمة وغير ذلك من الأُمور الغير المتّرقبة فلو كان ضعيف النّفس ضيّق الصّدر يقع لا محالة تحت تأثير القضايا:

وثانيها قوله عليه السلام: و **لا تُمْحِكُهُ الْخُصُومُ**، يقال أَمحَكَه الخصُوم أي أغضبُوه، والمعنىٰ من شرائط القاضي أن لا يكون كذلك بل يـنبغي أن يكـون حـليماً صَبُوراً مُسَلِطاً علىٰ أعصابه والوجه فيه أنّ القاضي اذا غَضب فهو تابع للشّيطان

حين غَضَبه فَحُكمه حُكمه ومن المعلوم أنّه خروج عن العَدل ودخول في الظّلم وقد قال اللّه تعالىٰ ألا لعنة اللّه علىٰ الظّالمين:

وثالثها قوله عليه السلام: **ولا يَتمادَىٰ في الزَّلَّةِ**، الزَلّة بفتح الزّاء السّقوط أو السّقطة في الخطأ والتّمادي فيها الإستمرار عليها بعدم الرّجوع الىٰ الحقّ والمعنىٰ أنّ القاضي لا يستّمر علىٰ خطأه بل ينبغي له الرّجوع بعد معرفة الخطأ والوَجه فيه أنّ القاضي كائناً من كان فهو في موضع الخَطأ والنّسيان كما أنّ الإنسان في معرض العصيان ولا شكّ، أنّ الخَطأ داءٍ وقد جعل اللّه لكلّ داءٍ دواء ودواء الخَطأ والعصيان الرّجوع الىٰ الحقّ بالتّوبة وعدم الإستمرار عليه بعد وضُوحه والقاضي أيضاً من النّاس ففي صورة الخَطأ والزّلة في قضاءه يرجع الىٰ الحقّ ويتوب الىٰ اللّه تعالىٰ وتدارك ما فات منه حتّىٰ الإمكان فأنّ الإستمرار علىٰ الزّلة بعد التّوجه اليها أعظم ذنباً من أصلها:

ورابعها قوله عليه السلام: **ولا يَحْصُرُ منَ الفَيْءِ إلىٰ الحَقِّ إذا عَرَفهُ**، أي لا يجعل نفسه محصورة في الباطل بعد دخوله فيه بالإصرار عليه بل يرجع ويدخل في الحقّ اذا عَرِف الحقّ ولنضرب لك مثلاً ليتّضح الكلام قد ثبت في الشّرع أنّ البّينة علىٰ المدّعي واليمين علىٰ من أنكر، أو لا إنكار بعد الإقرار، أو إقرار العقلاء علىٰ أنفسهم جائز، أو البّيعان بالخيار ما لم يفترقا فاذا إفترقا وجَب البَيع وأمثال ذلك من القواعد الكلّية المجمع عليها في باب القضاء فاذا فرضنا أنّ القاضي حَكَم بخلاف القاعدة وطلب اليمين من المُدعّي والبيّنة من المُنكر فقد وقع في الباطل وينبغي له الخرُوج منه وليس له أن يقول هذا عَيبٌ لي مثلاً لأنّ النّاس يقولون كذا وكذا:

وخامسها قوله عليه السلام: **ولا تُشرِفُ نَفْسَهُ علىٰ طَمَعٍ**، الأشراف علىٰ الشّئ الإطّلاع عليه من فوق وحيث أنّ الطّمع من سلافات الأُمور فمن نظر اليه وهو في أعلىٰ منزلة النّزاهة لحقته وصمّة النّقيصة فما ظنّك بمن هبط اليه وتناوله فحاصل كلامه عليه السلام أنّ الأشراف علىٰ الطّمع لا يليق به فضلاً عن الوقوع فيه

وهو من أَخَبث الصّفات كما أنّ القناعة وهي ضدّه من أَحَسَنها فأنّ الطّمع يُورث الذّلة والحقارة والقناعة تُورث العزّة قال ﷺ عزّ من قنع وذّل من طَمَع:

وسادسها قوله ﷺ: **ولا يَكْتفِي بأدْنىٰ فهمٍ** دون أقصاه، وفيه إشارة الىٰ أنّ القاضي يجب عليه التّفحص في الأمور ثمّ التّدبر والتّعمق في صدور الحكم بأن لا يكون سريع الحكم في القضايا بل يتّوجه الىٰ عِظم خطر القضاء وأنّه في كثير من موارده لا ينفعه النّدَم كالقتل مثلاً اذا كان مقّصراً في حُكمه بل لو خفيٰ عليه الحُكم بإشتباه الموضوع أو بالجهل بأصل الحكم لا يجوز له الحُكم قبل تشخيص الموضوع والعلم بالحُكم ومحصّل الكلام أنّ القاضي يجب عليه بذل وُسعه في فهم الحقيقة مهما أمكَن له:

وسابعها قوله ﷺ: **وأوْقَفَهُمْ في الشُّبُهاتِ**، أي كان أوقف النّاس في الأُمور المُشتبهة فأنّ الوقُوف عند الشّبهة خير من الإقتحام في الهَلَكة وقد ورد في الأثر، قِف عند الشّبهة، وأيضاً وَرد، أخوكَ دينك فأحتط لِدينك وغيرها من الأخبار فاذا كان الوقوف عند الشّبهات أمراً مرغُوباً فيه في الشّريعة المُقدّسة لكلّ مُكلّف فهو بالنّسبة الىٰ القاضي الّذي يحكم في دماء المُسلمين وأعراضهم وأموالهم أشدّ وأقوىٰ هذا كلّه مضافاً الىٰ انّ العَجَلة من الشّيطان ولا سيّما في أمر القضاء عند الشّبهة.

وثامنها قوله ﷺ: **وآخَذَهُمْ بالحُجَجِ**، آخذ، أفعل التّفضيل من الأخذ والحُجّج جمع الحُجّة وهي الدّليل والمعنىٰ ينبغي أن يكون القاضي آخذ النّاس بالأدّلة القاطعة السّاطعة ولا يحكم من عند نفسه بمُقتضىٰ هواه والحُجّة بضّم الحاء وفتح الجيم المُشدّدة في أصل اللّغة البُرهان والدّليل وفي الإصطلاح، الدّلالة المُبنّية للحُجّة أي المقصد المستقيم والّذي يقتضي صِحّة أحد النّقيضين قُل فلِلّه الحُجّة البالِغة:

وتاسعها قوله ﷺ: **وأقَلَّهُمْ تَبَرّماً بمُرَاجَعةَ الخَصْمِ**، التّبرّم مصدر باب التّفعل من تَبَرّم اذا كَلّ وضَجَر والمعنىٰ أنّ القاضي ينبغي أن يكون أقلّ النّاس سأماً

ومَلَلاً بسبب مراجعة الخصم أي أنّ مراجعة الخَصم أو كثرتها لا تَمِلّه اذ لو كان ضَعيفاً لم يَصلح لأمر القضاء:

وعاشرها قوله ﷺ: **وأصْبَرَهُمْ علىٰ تَكشُّفِ الأُمُورِ وأصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتضَاحِ الحُكْمِ** وذلك لأنّ أمر القضاء لا يقبَل التّعجيل بل للقاضي التّأني في كشف الحقيقة عليه والوجه فيه واضح اذ ليس كلّ من يُقيم الدّعوىٰ مُحّقاً فيما إدّعاه ولا كلّ منكرٍ صادقاً في إنكاره بل الأقوال مُختلفة مُتناقضة ووظيفة القاضي التّحقيق في صحّة الموضوع وبطلانه وربما يَطُول الفَحص فلو كان القاضي لا يَصبر علىٰ كشف الحقيقة ويحكم مستعجلاً يلزم تضييع الحقُوق ولا طريق له الىٰ الوصول الىٰ الواقع إلّا بالتّمسك بالصّبر ثُمّ لعد إتضَاحِ الحُكْم ينبغي أن يكون قاطعاً فيه لا مُضطرباً مُتزلزلاً اذ عدم قاطعيّته يُوجب تَزلزل أمر القضاء وتَجّري النّاس علىٰ القاضي والقضاء الباعث علىٰ إختلال النّظم في الإجتماع وهو يُنافي مشروعية القضاء وحكمة جَعله:

وحاديعشرها قوله ﷺ: **مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ إطْرَاء ولا يَسْتَمِيلُهُ إغْرَاء**،أي ويجب أن يكون القاضي مِمّن لا يزدهيه أي لا يستخفه إطراء وزيادة الثّناءِ والمُبالغة في المَدح ولا يَسْتَمِيلُهُ أي لا يحمله علىٰ الميل عن الحقّ وحيث انجّر الكلام الىٰ القضاء فلا بأس بالإشارة الىٰ بعض ما ذكره أرباب السّير في الباب توضيحاً للمقال:

فَعَن عبد الملك بن عُمير عن رجل من أهل اليَمن قال أقبل سَيل باليَمن في خلافة أبي بكر فكشف عن باب مُغلق، فظنّناه كنزاً فكتبنا الىٰ أبي بكر فكتب الينا لا تحرّكُوه حتّىٰ يقدم عليكم كتابي ثمّ فتح فاذا برجلٍ علىٰ سريرٍ عليه سبعُون حلّة منسُوجة بالذّهب وفي يده اليمنىٰ لوح مكتوب فيه هذان البيتان:

اذا خــان الأمــير وكــاتباه   وقاضي الأرض داهَن في القضاء
فــويلٌ ثــمّ ويــلٌ ثــمّ وَيــلٌ   لقاضي الأرض من قاضي السّماء

واذا عند رأسه سيف أشدّ خُضرة من البقلة مكتُوب عليه هذا سيف عاد بن إرَم:

وعن أبن أبي أوفىٰ عن النّبي ﷺ أنّه قال أنّ اللّه مع القاضي ما لم يَجُر فاذا جارَ بَرِءَ اللّه منه ولَزِمه الشّيطان:

وعن أنَس بن مالك عن النّبي ﷺ قال القضاة جُسُور للنّاس يمُرّون علىٰ ظهورهم يوم القيامة:

وقال مُحمّد بن حريث بلغني أنّ نَصر بن علّي راودوه علىٰ القضاء بالبَصرة وإجتمع النّاس اليه فكان لا يُجيبهم فلمّا أَلَحُوا عليه دخل بيته ونام علىٰ ظهره وألقىٰ ملاءةً علىٰ وجهه وقال اللّهم أن كُنتَ تعلم أنّي كاره لهذا الأمر فأقبضني اليك فقُبض: وقيل أوّل من أظهَر الجَور من القضاة بلال بن أبي بردة بن أبي مُوسىٰ الأشعري كان أمير البَصرة وقاضياً فيها وكان يقول أنّ الرّجلين يتّقدمان إلّيَ فأجد أحدهما أخفّ علىٰ قلبي من الآخر فأقضي له:

وقَدِم خادم من وجوه خَدَم المُعتضد باللّه الىٰ أبي يوسف بن يعقوب في حكم فإرتفع الخادم علىٰ خَصمه في المجلس فَزَجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قُم أَتؤمر أن تقف بمُساواة خصمك فتمتنع يا غلام إئتني بعمرو بن أبي عمرو النّحاس فأنّه أن قدم علّي السّاعة أمرته ببيع هذا العبد وحَمل ثمنه الىٰ أمير المؤمنين ثمّ أنّ الحاجب أخذ بيده حتّىٰ أوقَفَه بمُساواة خَصمه فلمّا إنقضىٰ الحكم رجع الخادم الىٰ المُعتضِد وبكىٰ بين يديه وأَخبره بالقّصة فقال له لو باعك لأجزتُ بيعه ولم أردّك الىٰ مُلكي فَليست منزلتك عندي تزن رتبة المُساواة بين الخَصمين في الحُكم فأنّ ذلك عمود السّلطان وقوام الأديان: وقال الأبرش العكلي يمدح بعض القضاة:

رَفضتُ وعطّلتُ الحكومة قبله ... في آخرين ومـلّها ورواضها
حتّىٰ اذا ما قام ألّف بينها ... بالحقّ حتّىٰ جُمّعت أوفاضها

وقال الآخر في ذَمّ القضاة:

أبكي وأنـدُب مـلّة الإسـلام ... اذ صرتَ تَقعد مَقعد الحُكّام
أنّ الحوادث ما علمت كثيرة ... وأراك بعض حوادث الأيّام

وتقدّمت إمرأة الىٰ قاض فقال لها جامعك شهودك فَسَكَتَت فقال كاتبه أنّ القاضي يقول جاء شهودك مَعَك قالت نعم هلّا قلت مثل ما قال كاتبك كَبِر سِنك وقلّ عَقلك وعظُمت لحيتك حتّىٰ غطّت علىٰ لبُك ما رأيت ميّتاً يقضي بين الأحياء غيرك:

وتقدّمت إمرأة جميلة الىٰ الشّعبي فإدّعت عنده فقضىٰ لها فقال هذيل الأشجعي:

فَتَن الشّعبىلمّا رَفَع الطّرف اليها
فتنَتَه بنبانٍ، كيف يُرىٰ مَعصَميها
ومَشَت مَشياً رُويداً، ثُمّ هزّت مَنكبَيها
فقضىٰ جَوراً علىٰ الخَصم،ولم يقض عليها

فتناشدها النّاس وتداولوها حتّىٰ بلغت الشّعبي فضرب الأشجعي ثلاثين سَوطاً وحُكيَ عن ابن أبي ليلىٰ قال إنصرف الشّعبي يوماً من مجلس القضاء ونحن مَعه فمررنا بخادمة تغسل الثّياب وهي تقول فتن الشّعبي لمّا، ولَم تعرف بقية البيت فلقنّها الشّعبي وقال رفع الطّرف اليها ثمّ قال أبعَده اللّه أمّا أنا فما قضيت إلّا بالحقّ:

ولِنعم ما قيل:

وكُنتُ اذا خاصمت خَصماً كَبَبتُه
علىٰ الوجه حتّىٰ خاصمَتني الدّراهم
فلمّا تنازعنا الحكُومة غَلّبت
عَلَيّ وقالت قُم فأنّك ظالمٌ

□ قوله عليه السلام: **وأُولئك قَليلٌ ثُمَّ أكْثِرْ تَعاهُدَ قَضائهَ وأفْسَحْ لهُ في البَذْلِ عِلَّتَهُ وتَقِلُّ مَعَهُ حاجَتُهُ إلىٰ النَّاسِ...**

أي أنّ القاضي المتّصف بالأوصاف المذكورة في المتن (النّص) قليل فأنّ النّاس عبيد الدّنيا واذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الدّيانون ولا سيّما في أمر القضاء

ولذلك قال ﷺ القاضي علىٰ شفير النّار، وأمّا قوله ﷺ ثمّ أكثر تعاهد قضاءه فمعناه لا تترك القاضي بحاله بل كُن مُتتّبعاً مُتفحصاً في أحواله وشئونه وكيفيّة قضاءه وأوسع له أي للقاضي في البَذل والعَطاء حتّىٰ يكون ما يأخذه كافياً لمعيشته وتقلّ معه أي مع بَذلك أيّاه حاجته الىٰ النّاس فلا يحتاج اليهم إلّا قليلاً اذ عدم الإحتياج بقولٍ مطلقٍ لا يحصل لأحدٍ وفيه إشارة الىٰ أنّ القاضي ينبغي أن يكون غنيّاً في الجملة غير محتاج الىٰ النّاس إحتياجاً يُوجب خروجه عن طريق العَدل ودخوله في الجَور بأخذ الرّشوة علىٰ الحكم مثلاً ولأجل ذلك قالوا أنّ مؤونة القاضي من بيت المال بمعنىٰ أنّ القاضي لا يُضرب له حقّاً مُعيّناً كغيره من رؤوساء الأمور بل حَقّه ما يقدر به علىٰ مَعيشته والسّر فيه معلوم فأنّ القاضي الفقير لا يحكم بالعَدل إلّا نادراً ضرورة أنّه مَن لا معاش له لا معاد له:

□ قوله ﷺ: **وأَعْطِهِ منَ المَنزلةِ لَدَيْكَ ما لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيرُهُ منْ خاصَّتِكَ لِيأمَنَ بِذَلِكَ إغْتِيَالَ الرِّجالِ لهُ عِنْدَكَ فأُنظُرْ في ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً فإنَّ هَذَا الدِّينَ قدْ كانَ أَسيراً في أيْدِي الأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بالهَوىٰ ويَطْلُبُ بِهِ الدُّنْيا...**

أي إجعل مقام القاضي عندك رفيعاً شامخاً بحيث لا يطمع في مقامه غيره من خاصّتك وأقربائك، ليأمن القاضي بذلك إغتيال الرّجال له.

والإغتيال هو الأخذ علىٰ غُرّة ويدخل فيه الغيبة وحاصل المعنىٰ اذا رفَعت منزلته عندك هابته الخاصّة كما هابته العامّة فلا يَجترء أحد علىٰ الوشاية به عندك خوفاً منك وإجلالاً لِمن أجلَلته، فأُنظُر في ذلك الّذي ذَكرته لك من وظيفة القاضي ووظيفتك بالنّسبة اليه نظراً بليغاً كاملاً ولا تعدّه سَهلاً يسيراً وذلك فأنّ الدّين كان أسيراً في أيدي الأشرار من ولاتهم وقضاتهم كانوا يعملون فيه بمقتضىٰ أهوائهم ويطلبون به الدّنيا أي أنّهم جعلوه وسيلة وسَبَباً للتّقرب الىٰ الدّنيا وحُطامها ومقاماتها وأمّا الآن فقد رجع الحقّ الىٰ محلّه ونُقل الىٰ متنقله فبالحَرّي أنْ نخرجه من الإسارة ونجعله فيما جَعَله اللّه له وفيما ذكره من قوله ﷺ: **فإنَّ هَذَا الدِّينَ قدْ كانَ أَسيراً في أيْدِي الأَشْرَارِ** الىٰ آخر

وتقدّمت إمرأة الىٰ قاض فقال لها جامعك شُهودك فَسَكَتَت فقال كاتبه أنَ القاضي يقول جاء شهودك مَعَك قالت نعم هلّا قلت مثل ما قال كاتبك كَبِر سِنّك وقلَ عَقلك وعظُمت لحيتك حتّىٰ غطّت علىٰ لبُك ما رأيت ميّتاً يقضي بين الأحياء غيرك:

وتقدّمت إمرأة جميلة الىٰ الشّعبي فإدّعت عنده فقضىٰ لها فقال هذيل الأشجعي:

فَتَن الشّعبىلمّا رَفَع الطّرف اليها
فتنتَه بنبانٍ كيف يُرىٰ مَعصَميها
ومَشَت مَشياً رُويداً، ثُمّ هزّت مَنكَبيها
فقضىٰ جَوراً علىٰ الخَصم،ولم يقض عليها

فتناشدها النّاس وتداولوها حتّىٰ بلغت الشّعبي فضرب الأشجعي ثلاثين سَوطاً وحُكيَ عن ابن أبي ليلىٰ قال إنصرف الشّعبي يوماً من مجلس القضاء ونحن مَعه فمررنا بخادمة تغسل الثّياب وهي تقول فتن الشّعبي لمّا، ولَم تعرف بقية البيت فلقنّها الشّعبي وقال رفع الطّرف اليها ثمّ قال أبعَده اللّه أمّا أنا فما قضيت إلّا بالحقّ:

ولِنعم ما قيل:

وكُنتُ اذا خاصمت خَصماً كَبَبتُه
علىٰ الوجه حتّىٰ خاصمَتني الدّراهم
فلمّا تنازعنا الحكُومة غَلّبت
عَلّيَ وقالت قُم فأنّك ظالمُ

□ قوله ﷺ: **وأُولئك قَلِيلٌ ثُمَّ أكْثِرْ تَعاهُدَ قَضائهُ وأفْسَحْ لهُ في البَذْلِ عِلَّتَهُ وثَقِلُّ مَعَهُ حاجَتُهُ إلىٰ النَّاسِ...**

أي أنّ القاضي المتّصف بالأوصاف المذكورة في المتن (النّص) قليل فأنّ النّاس عبيد الدّنيا واذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الدّيانون ولا سيّما في أمر القضاء

ولذلك قال ﷺ القاضي علىٰ شفير النّار، وأمّا قوله ﷺ ثمّ أكثر تعاهد قضاءه فمعناه لا تترك القاضي بحاله بل كُن مُتتبعاً مُتفحصاً في أحواله وشئونه وكيفيّة قضاءه وأوسع له أي للقاضي في البَذل والعَطاء حتّىٰ يكون ما يأخذه كافياً لمعيشته وتقلّ معه أي مع بَذلك أيّاه حاجته الىٰ النّاس فلا يحتاج اليهم إلّا قليلاً اذ عدم الإحتياج بقولٍ مطلقٍ لا يحصل لأحدٍ وفيه إشارة الىٰ أنّ القاضي ينبغي أن يكون غنيّاً في الجملة غير محتاج الىٰ النّاس إحتياجاً يُوجب خروجه عن طريق العَدل ودخوله في الجَور بأخذ الرّشوة علىٰ الحكم مثلاً ولأجل ذلك قالوا أنّ مؤونة القاضي من بيت المال بمعنىٰ أنّ القاضي لا يُضرب له حقّاً مُعيّناً كغيره من رؤوساء الأُمور بل حَقّه ما يقدر به علىٰ مَعيشته والسّر فيه معلوم فأنّ القاضي الفقير لا يحكم بالعَدل إلّا نادراً ضرورة أنّه مَن لا معاش له لا معاد له:

□ **قوله ﷺ: وأَعْطِهِ منَ المَنزِلةِ لَدَيْكَ ما لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيرُهُ منْ خاصَّتِكَ لِيأمَنَ بِذَلِكَ إغْتِيَالَ الرِّجالِ لهُ عِنْدَكَ فأُنظُرْ في ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً فإنَّ هَذَا الدِّينَ قدْ كانَ أسيراً في أيْدِي الأشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بالهَوىٰ ويَطْلُبُ بِهِ الدُّنْيا...**

أي إجعل مقام القاضي عندك رفيعاً شامخاً بحيث لا يطمع في مقامه غيره من خاصّتك وأقربائك، ليأمن القاضي بذلك إغتيال الرّجال له.

والإغتيال هو الأخذ علىٰ غُرّة ويدخل فيه الغيبة وحاصل المعنىٰ اذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصّة كما هابته العامّة فلا يَجترء أحد علىٰ الوشاية به عندك خوفاً منك وإجلالاً لِمن أجلَلته، فأُنظُر في ذلك الّذي ذَكرته لك من وظيفة القاضي ووظيفتك بالنّسبة اليه نظراً بليغاً كاملاً ولا تعدّه سَهلاً يسيراً وذلك فأنّ الدّين كان أسيراً في أيدي الأشرار من ولاتهم وقضاتهم كانوا يعملون فيه بمقتضىٰ أهوائهم ويطلبون به الدّنيا أي أنّهم جعلوه وسيلة وسَبَباً للتّقرب الىٰ الدّنيا وحُطامها ومقاماتها وأمّا الآن فقد رجع الحقّ الىٰ محلّه ونُقل الىٰ منتقله فبالحَرّي أنّ نخرجه من الإسارة ونجعله فيما جَعَله اللّه له وفيما ذكره من قوله ﷺ: **فإنَّ هَذَا الدِّينَ قدْ كانَ أسيراً في أيْدِي الأشْرَارِ** الىٰ آخر

الكلام إشارة الىٰ نكتةٍ خفيّة وهي أنّ الإسلام بعد رسُول الله ﷺ صار كالأسير في أيدي الأشرار فكما أنّ الظّالم الشّرور لا يرحم الأسير بل يعذّبه بأنواع العَذاب ويذهب به حيث يشاء كذلك الإسلام بعد الرّسُول صار هكذا فهو لم يقدر علىٰ الدّفاع عن نفسه فقالوا فيه ما قالوا وحكموا بما حكمُوا وأمَّر فيه مَن أمَّر أمثال عمرو بن العاص وسعيد وابن أبي سَرح والوليد وغيرهم، وتفصيل جناياتهم مسطورة في التّواريخ ولنعم ما قيل:

أمـــيرنا يـــرتشي وحـــاكـــمنا ... يـــلوط والرّأس شّـــر مـــا رأس
قـاضٍ يـرىٰ الحـدّ فـي الزّنـا ولا ... يـرىٰ عـلىٰ مـن يـلُوط مـن بأس

ثمّ بعد الفراغ عن بيان أوصاف القضاة شَرع في أوصاف العُمّال والحُكّام علىٰ الولايات:

▫ قوله ﷺ: **ثُمَّ أُنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَاراً ولا تُوَلِّهِمْ مُحَاباةً وأَثَرَةً فإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الجَوْرِ والخِيَانَةِ...**

أي بعد النَظر في أمور القُضاة أُنْظُرْ في أُمُورِ عُمّالِكَ وَوَلّاتك فإستعملهم علىٰ الحكومة إختباراً وإمتحاناً أي إسْتَعْمِلْهُم عليها بعد الإختبار وإحراز الصّلاحية ولا تولّهم مُحَاباةً وأَثَرَةً أي لا تولّهم بحسب ميلك ورأيك علىٰ سبيل الإستبداد بلا مشورةٍ وتَفَحص في أحوالهم وذلك فأنّهم أي العُمّال جماع أي مجموع من شُعب الجَور والخيانة أي أنّ الأصل فيهم هو الجَور والخيانة، أو المراد أنّهم غالباً كذلك فأنّ من يتّصدىٰ لأمر الحكومة علىٰ النّاس غرضه الرّئاسة وجَمع الأموال وأمّا من كان غرضه ترويج الدّين ورَفع المشكلات وبَسط العَدالة فهو قليل بل أقلّ وحيث أنّ الأكثر من شُعب الجَور فينبغي الفَحص والمَشورة للوصُول الىٰ الأقل فلو كان الوالي مُستبداً برأيه في تعيين عمّاله والمفروض أنّه لا يعرفهم واقعاً، يلزم الهرج والمرج في الحكُومة وبَسط الجَور والخيانة في الرّعية فيقولون:

بـــني أمّـــية هـبّوا طـال نـومكم ... أنّ الخـــليفة يـعقوب بـن داوود

ألا ترىٰ أنّ عثمان لَم يُقتل إلّا لأجل مسامحته في هذا الأمر وعدم قبوله نصيحة النّاصحين وإستبداده برأيه في جميع أُمور المَملكة وصارت نتيجة ذلك ما وقع فيه من فساد دينه ودنياه:

□ **قوله ﷺ: وتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ والحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتاتِ الصَّالِحَةِ والقَدَمِفِي الإِسْلاَمِ المُتَقدِّمَةِ فإنهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً وأَصَحُّ أَعْرَاضاً وأَقَلُّ في المَطامِعِ إِشْرَافاً وأَبْلَغُ في عَوَاقِبِ الأُمورِ نَظَراً...**

قوله ﷺ: تَوَخَّ فعل أمرٍ من توّخىٰ يتوّخىٰ نحو تصّرف يتّصرف ومصدره التَوّخي وهو القصد وفي الحديث يتوّخىٰ شهر رمضان أي يقصده ويتّحراه ومثله حديث فوائت النّوافل قلت لا أُحصيها قال ﷺ ، توَخ أي أقصد وأُطلب اذا عرفت هذا فنقول:

أمَرَه ﷺ بإنتخاب العُمّال من أهل التّجربة في أمره والحياء من أهل البيُوتات الصّالحة الحاكمة عليها الشّرف والشّجاعة والعَدالة والسّخاء والطّهارة من الأرجاس وقوله ﷺ: **والقَدَم** معطوف علىٰ أهل التَّجْرِبَةِ أي أُطلب أهل التّجربة وأهل القَدَمِ في الإسلام وهو بالتّحريك واحدة الأقدام أي الخطوة السّابقة وأهلها هم الأوّلون والمقصود أنّ أهْلِ القَدَمِ في الإسْلاَمِ أي السّابقين منهم أوّلىٰ وأسبق بتّولي الأُمور من غيرهم فأنّ السّابقين أشرف وأفضل وذلك لأمور:

أحدها: أنّهم أكرَم أخلاقاً من غيرهم ولاشك أنّ حُسن الخلق يُوجب جلب النّاس الىٰ الإسلام وجذبهم الىٰ المعارف الحقّة كما أنّ سُوء الخلق يوجب شملهم وتنّفرهم ولذلك قال اللّه تعالىٰ مُخاطباً لرسُوله: **﴿وَلَو كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**(١) وقال: **﴿إِنَّكَ لَعلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**(٢) **فعن أبي عبد اللّه ﷺ قال ألا أنّ اللّه عزّ وجلّ إرتضىٰ لكم الإسلام ديناً فأحسنُوا صحبته بالسّخاء وحُسن الخُلق...**

١ - آل عمران -١٥٩

٢- القلم -٤

وعنه عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أكثر ما تلج به أُمّتي الجنّة تقوىٰ اللّه وحُسن الخُلق...

وعنه عليه السلام قال لا حَسَب كحُسن الخُلق: وعنه عليه السلام قال النّبي أنّ الخُلق الحَسَن يُذيب الذّنوب كما تُذيب الشّمس الجَمد وأنّ الخُلق السّيئ ليفسد العَمل كما يفسد الخَلّ العَسَل: وقال حُسن الخلق يزيد في الرّزق « مشكاة الأنوار ص ٢٢١»...

وثانيها: أصَح أعراضاً، الأعراض جمع عِرض بكسر العين وجمع عَرَض محرّكة والمراد في المقام هو الأوّل ثمّ أنّ العِرض بالكَسر الخليقة المحمودة، ما يصونه الإنسان من نفسه أو سَلفه أو من يلزمه أمره أو موضع المدّح والذّم منه، ما يفتخر الإنسان به من حسبٍ أو شَرفٍ، فقوله عليه السلام: **وأصَحُّ أعْرَاضاً**، معناه أنّه أصّح تنزهاً من العيب عن غيره يُقال فلان نقّي العِرض أي بريءٌ من أنّ يُشتم أو يُعاب لَتنّزهه منه ومن المعلوم أنّ من كان من البيُوتات الصّالحة والقَدَم في الإسلام يكون أصّح أعراضاً من غيره مِمّن لا يكون كذلك فأنّه لا عِرض له فضلاً عن كونه أصّح:

وثالثها: وأقلّ في المطامع إشرافاً، أي أنّ الموصوف بما ذكرناه يكون أقلّ طَمعاً في أموال النّاس من حيث الإشراف والإطّلاع عليها فضلاً عن دخوله في الطّمع المذموم وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّه لا يُشرف ولا يَطّلع علىٰ محال الطّمع ومظانّه فضلاً عن الدّخول فيه والمطامع جمع المَطمَع وهو محلّ الطّمع ومَورده:

ورابعها: وأبَلغ في عواقب الأمور نظراً، وذلك لأنّه من أهل التّجربة كما هو المفروض ولازم ذلك هو أن يكون ناظراً في عواقب الأمور أبلغ من غيره أي أشدّ وأدّق وهذا هو الفرق بين أهل التّجربة وغيره كما قيل:

بصيرٌ بأعقاب الأمور كأنّما يخاطبه من كلّ أمرٍ عواقبه

- **قوله عليه السلام: ثمَّ أَسْبغْ عَلَيهِمْ الأرْزَاقَ فإنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ علىٰ إسْتِصْلاَحِ أنْفُسِهمْ وغِنًى لهُمْ عَنْ تَناوُلِ ما تَحْتَ أيْدِيهِمْ وحُجةٌ عليهِمْ إنْ خالَفُوا أمْرَكَ أوْ ثَلَمُوا أمَانَتَكَ...**

أي اذا نظرت في أُمُورِ عُمّالِكَ وإستعملْتهُمْ إخْتِبَاراً لا مُحَاباةً وأثَرَةً من أهْلِ التَّجْرِبَةِالىٰ آخر ما ذكرناه، فأسبغ أي أوسع عليهم في أرزاقهم بعد ذلك ولا تضّيق عليهم فيها فأنّ توسيع الأرزاق يُوجب أُموراً.

الأوّل: أنّ ذلك التّوسيع قوّة لهم أي للعمّال علىٰ إستصلاح أنفسهم فأنّ الإنسان ولا سيّما العامل اذا كان في سِعةٍ من رزقه وفُسحةٍ في عيشه فهو أَقْدَر علىٰ إستصلاح نفسه مِمّن لا يكون كذلك وهو واضح فأنّ من لا معاش له لا معاد له مُضافاً الىٰ أنّه يقول أنّي لا أحتاج الىٰ أَخْذ الرّشوة مثلاً لأنّ رزقي يكفيني وهذا بخلاف ما اذا كان في ضيقٍ في الرّزق فأنّه يأخذ من النّاس ما يكفيه لا محالة فيصير كالسّارق وفي هذه الصّورة كيف يقدر علىٰ إستصلاح نفسه اللّهم إلّا أن يكون قوّي الإيمان وهو قليل ولأجل ذلك قال ﷺ فأنّ ذلك قوّة لهم ولم يقل سببٌ وباعثٌ لهم:

الثّاني: أنّ سعة الرّزق عليهم تُوجب إستغنائهم عن تناول ما تحت أيديهم من أموال المُسلمين وهو أيضاً واضح لا خفاء فيه وقد أوضحناه فيما سبق:

الثّالث: أنّ هذا التّوسيع منك عليهم حجّة أن خالفوا أمرك أو ثَلِموا ونَقَضُوا أمانتك أداءً وخيانةً فلك أنّ تسأل عنهم في صورة الخيانة وليس لهم أن يُجيبُوك بأنّ الباعث عليها الإحتياج والفَقَر وهذا هو المراد بالحجّة في الدّنيا وهكذا في الآخرة ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ يرزق العباد ثمّ يسألهم عمّا يفعلون فاذا فرضنا أنّ الإنسان وقع في مَخمَصة الجَوع بحيث أنّه أشرف علىٰ الهَلاك حلّ له أكل المَيّتة ولا يقال له لِمَ أَكَلتَها وهي مُحرَمة فاذاكان اللّه تعالىٰ لا يسأل عن عبده قبل إتمام الحجّة عليه فكيف يجوز ذلك لمخلوقه:

▫ **قوله ﷺ: ثمَّ تَفَقَّد أعمَالَهُمْ وَأبْعَثِ العُيُونَ منْ أهْلِ الصدْقِ والوَفاءِ علَيهِم...**

أي ثمّ بعد ذلك كلّه لا تتركهم بحالهم بل تفقّد أعمالهم بالتّجسس والتّفحص وأبعث العيُون والجواسيس عليهم ليخبرُوك بأعمالهم وأختر العيُون من أهل الصّدق والوَفاء بأن يكونوا صادقين في أقوالهم لا كذّابين فيها

وعاملين بما يجب عليهم من الوفاء بالعَهد لا ناقضين له والحاصل هو.

إختيار العيُون مِمّن كان منْ أهْلِ الصدْقِ والوَفاءِ ليُعتمد على قوله:

▫ **قوله ﷺ: فأنّ تعاهدك في السّرّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لهُمْ على إسْتِعْمالِ الأَمانَةِ والرّفق بالرّعية...**

ثمّ بيّن ﷺ وجه بعث العيون على أعمالهم وعلّله بأنّ التعاهد في السّرّ لأمُور العُمّال حَدوةٌ وحثٌّ لهم على الأمانة وإحتراز عن الخيانة وأيضاً هو يُوجب الرّفق والمداراة وعدم الظّلم على الرّعية لأنّ العامل بعد عِلمه بوجود العيُون لابدّ له من المواظبة في أعماله حتّى لا يُوآخذ عليها ويُعاقب بها في صورة الخلاف وهذا بخَلاف ما اذا عَلِم بأنّ الحاكم غافل عنه فيفعل ما يشاء ويحكم مايريد:

▫ **قوله ﷺ: وتَحَفظْ منَ الأَعْوَانِ فإنْ أحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إلى خِيانَةٍ إجْتَمَعتْ بهَا عليْهِ عِنْدَكَ أخْبارُ عُيُونِكَ إكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسطْتَ عليهِ العُقُوبَةَ في بَدَنِه وأخَذْتَهُ بما أصَابَ منْ عَمَلِهِ ثمَّ نَصَبْتُه بِمَقامِ المَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بالخِيانَةِ وقَلدتَهُ عارَ التُّهمَةِ...**

المراد بالأعوان أعوان الحاكم في حكومته من الجُندي والقضاة والعُمّال وغيرهم وبالجُملة كلّ مَن له شغلٌ في الحكومة بعنوان الشّاغل والمعنى تحفّظ عليهم أي أحفظهم عن الزّلات والسّقطات بالمواظبة وإجراء العدالة فيهم وعليه فأن أحد منهم أي من الأعوان وأولياء الأمور بَسَط يَدَه بالخيانة في أموال المُسلمين وأعراضهم ونواميسهم وقد أخبرك بها العيُون إكتفيت بذلك شاهداً فلا تحتاج الى شاهدٍ آخر فأنّ المفروض إجتماع أخبار العيُون عليه وأنّهم من أهل الصّدق والوفاء كما مرّ ذلك في الجملة السّابقة فَبسطت عليه أي على الخائن المُجرم العقُوبة في بَدَنه بالحدّ أو القصاص أو التّعزير وأخذته بما أصاب من عمله الشّنيع ثمّ نَصبته وجعلته في مقام المذلّة والحقارة بعد كونه رَفيع المنزِلة عندك وعند النّاس وَوَسمّته بالخيانة وقلدّته عار التُّهمة في النّاس

وذلك لأنّه يصير بذلك مَوْسُوماً ومُتّهماً بها عندهم ومحصّل الكلام واظب علىٰ هذا الأمر حقّ المواظبة لئلّا تضيع حقّ الغير بَعَملك أو تخرج عن طريق الحقّ وأنّما عبّر عليه السلام عن إجراء الحقّ بالتّحفظ لأنّه يوجب حفظ سائر الأعوان عن الخطأ فقوله عليه السلام هذا نظير قوله تعالىٰ: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُوْلِيَ الأَلْبَابِ﴾**[1]

□ قوله عليه السلام: **وتَفَقَّد أمْرَ الخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فإنَّ فِي صَلاَحِه وصَلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ ولا صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِم لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُم عِيالٌ علىٰ الخَرَاجِ وأهْلِه...**

بعد فراغه عليه السلام عن النّظر في أمر العُمّال أشار الىٰ أمر الخراج فقال عليه السلام (**وتَفَقَّد أمْرَالخَرَاجِ**) ولا تغفل عنه بما يصلح أهله فأنّ في صَلاَح الخَرَاجِ وصَلاَح أهْل الخراج صلاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ من النَّاس ولا صَلاَح لِمَنْ سِوَاهُمْ من النّاس إلّا بهم أي إلّا بأهل الخراج (لأنّ النّاسَ كُلَّهُم عِيالٌ علىٰ الخَرَاجِ وأهْلِه) قال الشّارح المُعترلي المراد بالعُمّال في الأصل السّابق عُمّال السّواد والصّدقات والوقوف والمصالح وغيرها والمراد بأرباب الخراج وأهله في المقام دهاقين السّواد ولا دليل علىٰ ما ذكره فأنّ العُمّال في الأصل السّابق عامّ سواء كانوا من عُمّال الخراج أم كانوا من غيرهم وأمّا أهل الخراج فهو أيضاً أعمّ من دَهاقين السّواد وغيرهم والحقّ أنّ المراد بأهل الخراج مطلق من يؤخذ من ماله بهذا العنوان سواء كان من دهاقين السّواد أم كان من غيرهم مِن أهل البلاد وكيف كان فقد أمَرَه بتَفقد أمر الخراج وعدم تضيعه بالإهمال والمُسامحة أوّلاً وبصلاح أهل الخراج ثانياً وعلّل ذلك بأنّ صلاح النّاس بِهِمْ لأنَّ النَّاسَ كلَّهُمْ عِيالٌ علىٰ الخَرَاجِ وأهْلِهِ) بمعنىٰ أنّ الخراج يتكفّل أمر معيشتهم بحيث لولاه لإختل نظام المعاش وأمور المَملَكة ولعلّ هذا هو المُعبّر عنه بلسان اليوم بالإقتصاد الّذي عليه مدار الحياة الإجتماعية والمراد بتَفقده له حِفظه عن التّلف وأن يصرفه فيما ينبغي أن يُصرف فيه:

١-البقره ـ ١٧٩

▫ قوله عليه السلام: **وَلْيَكُنْ نَظَرُك في عِمارَةِ الأَرضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظرِكَ في إِسْتِجْلاَبِ الخَرَاجِ لأَنَّ ذلِكَ لا يُدْرَكُ إِلَّا بالْعِمارَةِ وَمَنْ طلَبَ الخَرَاجَ بِغيرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ البِلاَدَ وأَهْلَكَ العِبَادَ ولْم يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً...**

أي عمّر الأرض أوّلاً ثمّ خُذ من أهلها الخراج فأنّ الخراج (**لا يُدْرَكُ إِلَّا بسبب الْعِمارَةِ ومن طلَبَ الخَرَاجَ بِغيرِ عِمَارَةٍ الأرض أَخْرَبَ البِلاَدَ وأَهلَكَ العِبَادَ**) لأنّه ظلمٌ عليهم ولم يستقم أمر الظّالم إلّا قليلاً، والمراد بعمارة الأرض عمارتها بالزّراعة كما يستفاد من بعد هذا الكلام قال اللّه تعالىٰ: **﴿أَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾** (١) وأمّا أنّ الخراج لا يُدرَكُ إلّا بالْعِمارَةِ فمعناه واضح اذ لَو لم يبلغ الغلّات مثلاً حدّ النّصاب فكيف يؤخذ من المالك الزّكوة وغيرها وقوله عليه السلام: **وَمَنْ طلَبَ الخَرَاجِ بِغيرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ البِلاَدَ** إلىٰ آخر ما قال فهو إشارة الىٰ أنّ طلب الخراج وأخذه بغير عمارة الأرض تتّرتب عليه ثلاث مفاسد:

أحدها: أنّه يوجب إخراب البلاد إمّا لأنّه يوجب القحط فيها، وإمّا لأنّه يوجب فرار الدّهاقين منها الىٰ محلٍ آخر وعلىٰ كلا التّقديرين فقد أخرّب الوالي البلاد كما نُشاهده في زماننا هذا في هذه الحكُومة.

وثانيها: أنّه يُوجب هلاك العباد لكونه مُستلزماً للظّلم عليهم فأنّ من لم ينتفع بشيءٍ كيف يُنتفع من ماله.

وثالثها: عدم إستقامة أمر الوالي أو الخراج إلّا قليلاً أي لا يدُوم هذه الرّؤية إلّا قليلاً فأنّ للباطل جَولة ولا يمكن تحميل المشّاق علىٰ الرّعية دائماً.

▫ قوله عليه السلام: **فإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً أَوْ إِنْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْبَالَةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجحَفَ بهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُم بما تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمرُهُمْ...**

الفاء للتّفريع أي فعلىٰ ما ذكرناه من أنّ طلَبَ الخَرَاجَ بِغيرِ عِمَارَةِ الأرض لا معنىٰ له فأن شكوا اليك ثقلاً أي ثقل المضروب لهم من مال الخراج بأن يقولوا لك مثلاً هذا كثيرٌ ثقيلٌ لا طاقة لنا به، أو شكوا اليك علّة أي نزول علّةٍ سماوّية

(١) - الرّوم - ٩.

بزرعهم أضرت بثَمَراته كالبَرد والمَطَر والرّياح المُضرة وغيرها من الآفات السّماوية الّتي تضّر بثمرة الزّرع هكذا قالوا في تفسير العبارة والحقّ أنّ المراد بالعِلّة معناها العامّ الشّامل للسّماوي والأرضي والخَلقي ولا دليل على إختصاصها بالسّماوية فقط وإطلاق الكلام ينافي ما فسّروه به فلو فرضنا أنّ سارقاً سَرق الزّرع أو أفناه أو غاصب الارض فهو أيضاً داخل في العِلّة والحاصل أنّ الملاك هو الضّرر الطّاريْ على الثّمَرة بأيّ نحو كان من جانب الغير وأمّا إنقطاع الشُّرب فهو بكسر الشّين الماء الّذي تُسقىٰ به المزارع كماء النّهر أو البئر أو القَناة وأمثال ذلك وإنقطاعه قطعه عن الجريان بسببٍ من الأسباب، وقوله عليه السلام: أو بآلة، أي إنقطاع بآلة أي ما يبّل الأرض من ندىٰ ومطرٍ فيما تُسقىٰ بالمطر، أو إحالة أرضٍ بكسر همزة إحالة، أي تحويلها البذر وتغييره الىٰ فسادٍ بالتّعفن وحاصله فساد البذر فيها لما إغتمرها أي لما إغتّمر الأرض الغَرق وإغتمارها في الغَرق غلبة النّدىٰ والرّطوبة عليها حتّىٰ صار البَذر فيها غِمقاً بأن وُجد له رائحة ضَمّة وفساد نَقَصت لذلك غلاّتهم، أو أجحف بها أي بالأرض عَطَش أي ذَهَب بمادّة الغذاء من الأرض فلم يَنبت بغلبة العَطَش عليها ففي هذه الموارد لو شكَوا اليك وطلبوا منك التّخفيف في الخراج ينبغي لك أن تخفّف عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم لا أزَيد ولا أنَقص أي راع فيهم حقّ العدالة وخفّف عنهم بمقتضاها:

□ قوله عليه السلام: **ولا يَثْقُلَنَّ عَليكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ المَؤونَةَ عَنْهُمْ فإنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ في عِمَارَةِ بِلاَدِكَ وتَزْيينِ وِلايَتِكَ مَعَ إسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنائِهِمْ وتَبجُّحِكَ باسْتِفَاضَةِ العَدْلِ فِيهِمْ...**

أي لا تعدّ ما خففتّه عليهم في أمر الخراج ثقيلاً علىٰ نفسك وذلك لأنّ المُخفّف في الحقيقة ذخرٌ أي ذخير لك يَعودون ويَرجعون النّاس به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك أي أنّهم يُعمّرون البلاد ويُزّينون الولايات بسبب أعمالهم فتأخذ منهم بعد ذلك أكثر ممّا خففّت لهم من الخراج مضافاً

الىٰ إستجلابك حُسن ثنائهم وتبّجحك سُرورك بإستغاثة العَدل فيهم، والتّبجح كالتّصرف وَزناً مصدر قولك تَبَجح به اذا شَعَر وهو بتّقديم الجيم المعجمة علىٰ الحاء المهملة.

□ **قوله ﷺ: مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِما ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ منْ إجْمَامِكَ لهُمْ والثِّقَةُ مِنْهُمْ بمَا عَوَّدْتَهُمْ منْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ في رِفْقِكَ بِهِمْ...**

أي حال كونك مُعتمداً فضل قوّتهم بما ذخَرت عندهم من إجماحك وإراحتك لهم فأنّك قد أرَحتهم بسبب التّخفيف لهم وجعلتهم مِمّن يثق بك ويعتمد عليك لأجل العَدل والرّفقة بهم، وفي بعض النّسخ (إحجابك) بتقديم الحاء علىٰ الجيم وفي بعضٍ آخر إجماعك، كما في نسخة المُعتزلي، وفي آخر إجماحك لهم، والصّحيح ما ذكرناه فأنّ الجماح بفتح الجيم الرّاحة والإجماح الإراحة:

□ **قوله ﷺ: فَرُبَّما حَدَثَ منَ الأُمُورِ ما إذَا عَوَّلْتَ فِيهِ علَيْهِم منْ بَعْدِ إحْتَمَلُوهُ طِيبَةَ أنْفُسِهمْ بِهِ فإنَّ العُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ ما حَمَلْتَهُ وإنّما يُؤتَي خَرَابُ الأَرْضِ منْ أعْوَازِ أهْلِها وأنّما يُعْوِزُ أهْلُها لإشْرَافِ أنْفس الْوُلاَةِ علىٰ الجَمْعِ وسُوءِ ظَنِّهِمْ بالبَقاءِ وقِلَّة انْتِفاعِهِمْ بالعِبَرِ...**

أي أنّ الدّنيا لا تخلو عن الوقائع والحوادث ولا يبعد أن يحدث بك من الأُمور ما اذا عَولّت فيه عليهم من بعد ذلك إحتملوه طيبة أنفسهم به أي إحتملوه بميلهم ورضاهم والطّيبة بكسر الطّاء مصدر طاب وهو علّة لإحتملوه وذلك لأنّ العُمران ما دام قائماً ونامياً فكلّ ما حَملت أهله سهل عليهم أن يحتملوه وأنّما يؤتي خراب الأرض من أعواز أهلها أي خراب الأرض من فقر أهل الأرض وإحتياجهم وأمّا اذا كان أهلها غنّياً فالأرض عامرة وأنّما يُعوز ويفقر أهلها لأشراف أنفس الولاة علىٰ جمع الأموال وحرصهم عليه من غير أن يتّوجهوا الىٰ عمارة الأرض، وسُوء ظنّهم أي سُوء ظنّ الولاة بالبقاء علىٰ الإمارة والحُكومة وقلّة إنتفاعهم بالعِبَر وأنّهم لا بقاء لهم كغيرهم من الماضين كما مرّ الكلام فيه:

الفصل الخامس

□ قوله عليه السلام: ثمَّ أنْظُرْ في حالِ كُتّابِكَ فَوَلِّ علىٰ أُمُورِكَ خَيرَهُمْ وأخْصُصْ رَسَائِلَكَ التِي تُدْخِلُ فِيها مَكائِدَكَ وأسْرَارَكَ بأجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الأَخْلاَقِ مِمَّنْ لا تُبطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيجتَرِيُّ بها عليْكَ في خِلاَفٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلاَءٍ ولا تُقصِّرُ بِه الغَفْلةُ عَنْ إيرَادِ مُكاتَباتِ عُمّالِكَ عليْكَ وإصْدارِ جَوَاباتِها علىٰ الصَّوابِ عَنكَ فِيما يأخُذُ لَكَ وَيعْطِي مِنْكَ وَلا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ. وَلاَ يَعْجِزَ عنْ إطْلاَقِ ما عُقِدَ عليْكَ ولاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِه في الأمُورِ فإنَّ الجاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِه يكُونُ بِقَدْرِ غيرِهِ أجْهَلَ. ثمَّ لا يكُنِ اخْتِيارُكَ أيّاهُمْ علىٰ فِرَاسَتِكَ واسْتِنامَتِكَ وحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ فإنَّ الرِّجالَ يَتَعرَّفُونَ لِفَراساتِ الوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ لَيس وَرَاءَ ذَلِكَ منَ النَّصِيحَةِ والأَمانَةِ شَيْءٌ ولكِنْ إخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَأعْمِدْ لأَحْسنِهِمْ كانَ فى الْعامَّةِ أثَرَاً وأعْرَفِهِمْ بالأَمانَةِ وجْهاً فإنَّ ذلكَ دَلِيلٌ على نَصِيحَتِكَ للّهِ ولِمَنْ وُلِيتَ أمْرَهُ واجْعَلْ لِرَأْسِ كلِّ أمْرٍ منْ أُمُورِكَ رَأساً منهُمْ لا يَقْهَرُهُ كَبيرُها ولاَ يَتَشَتَّتُ عليْهِ كَثيرُها ومَهْما كانَ في كُتّابِكَ منْ عَيْبٍ فَتَغابَيْتَ عنْهُ أُلْزِمْتَهُ.

ثُمَّ اسْتَوْصِ بالتُّجَارِ وذَوِي الصِّناعاتِ وأوْصِ بِهِمْ خيراً المُقِيمِ مِنْهُمْ والمُضْطَرِبِ بمَالِهِ والمُتَرفِّقِ بِبَدَنِهِ فإنهُمْ مَوادُّ المَنافِعِ وأسْبابُ المَرافِقِ وجُلاَّبُها من المَباعِدِ والمَطارِحِ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وسَهْلِكَ وجَبَلِكَ وحَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا ولا يَجترِئُونَ عَلَيْها فإنّهُمْ سِلْمٌ لا تُخافُ بائِقَتُه وصُلْح لا تُخشَىٰ غائِلَتُهُ وتَفَقَّدْ أمُورَهُمْ بِحَضْرتَكَ وفي حَوَاشِي بِلاَدِكَ. واعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أنَّ في كَثيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فاحِشاً وشُحّاً قَبِيحاً واحْتِكَاراً لِلْمَنافِعِ وتَحَكُّماً في الْبِيَاعات وذَلِكَ بابُ مَضَرَّةٍ لِلْعامَّةِ وعَيْبٌ على الوُلاةِ.

فأمْنَعْ منَ الإحْتِكارِ فأنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله مَنَعَ مِنْهُ ولْيَكُنِ البَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً

بِمَوازِينِ عَدْلٍ وأسعارٍ لا تَجْحِفُ بالفَرِيقَيْنِ مِنَ البائِعِ والمُبتاعِ فَمَن قارَفَ حَكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ أيّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وعاقِبْ في غيرِ إسْرافٍ.

ثُمَّ اللّهَ اللّهَ في الطَّبَقَةِ السُّفْلى مِنَ الذينَ لا حيلةَ لهُمْ والمساكينِ والمُحْتاجينَ وأهْلِ الْبُؤسى والزَّمنى فإنَّ في هَذِهِ الطَّبَقَةِ قانِعاً ومُعْتَرّاً واحْفَظْ لِلّهِ ما اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وإجْعَل لَهُمْ قِسْماً من بَيْتِ مالِكَ وقِسْماً مِنْ غَلاّتِ صَوافِي الإسْلاَمِ في كلِّ بَلَدٍ فإنَّ للأَقْصَى مِنْهُمْ مَثَلَ الّذِي للأَدْنى. وكُلٌّ قدْ استُرْعِيتَ حَقَّهُ .فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ فإنَّكَ لا تُعذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التّافِهِ لاحكامِكَ الكَثيرَ المُهِمَّ فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، تَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وتحْقِرُهُ الرِّجالُ فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الخَشْيَةِ والتَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ أَلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بالإعْذَارِ إلىٰ اللّهِ يَوْمَ تَلْقاهُ فإنَّ هَؤُلاءِ منْ بيْنِ الرَّعِيَّةِ أحْوَجُ إلىٰ الإنْصَافِ منْ غيرِهِمْ وكلٌّ فأعْذِرْ إلىٰ اللّهِ في تأدِيَةِ حَقِّهِ إليهِ وتَعَهَّدْ أهْلَ الْيُتْمِ وذَوِي الرِّقَّةِ في السِّنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لهُ ولا يَنْصِبُ للمَسْأَلِةِ نَفْسَهُ وذلكَ علىٰ الوُلاَةِ ثَقِيلٌ .وقَدْ يُخَفِّفُهُ اللّهُ علىٰ أقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللّهِ لَهُمْ...

◁ **اللغة**

(**الكُتّاب**) بضّم الكاف وتشديد التّاء جمع كاتب (**مَكائِدَكَ**) المكائد جمع مَكيدة (**تُبطِرُهُ**) أي لا تطغيه (**إسْتِنامَتِكَ**) الإستنامة السّكون والثّقة (**تغابَيْتَ**) أي تغافلتَ (**المُترَفِّقِ**) المَكتب (**بائِقَتُهُ**) البائقة الدّاهية (**ضِيقاً**) الضّيق عُسر المعاملة (**الشُّح**) البُخل (**المُبتاع**) المُشتري (**قارَفَ**) أي خالَطَ (**حَكْرَةً**) بضّم الحاء الأحتكار (**نَكِّلْ**) أمرٌ من نَكَلَ أي عذّب (**الْبُؤسَى**) بضّم الباء شدّة الفقر (**وَأَلزَّمَنَي**) بفتح الزّاء جمع زمين وهو المُصاب بالزّمانة بفتح الزّاء أي العاهة المانعة عن الأكتساب (**قانِعاً**) أي سائلاً (**مُعْتَرّاً**) بتشديد الرّاء المُتعرّض للعطاء بلا سؤال (**صَوَافِي**) جمع صافية وهي أرض الغنيمة (**بَطَرٌ**) طغيانٌ بالنّعمة

(التَّافِهَ) القليل (تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ) تقتحمه العين تكره أن تنظر اليه إحتقاراً.

◁ المعنىٰ

(ثُمَّ أنْظُرْ في حالِ كُتَّابِكَ) العامّة والخاصّة (فَوَلِّ علىٰ أُمورِكَ) في الكتابة (خيرَهُمْ وأخْصُصْ رَسَائِلَكَ) وكتبك (الّتي تُدْخِلَ فِيها مَكائِدَكَ وأسْرَارَكَ) الّتي تريد أن لا يعلمها غيرك (بأجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الأَخْلاَقِ) لا سيّئها (مِمَّنْ لا تُبطِرُهُ) ولا تطغيه (الْكَرَامَةُ فَيجترِيَّ بها عليْكَ في خِلاَف لَكَ بِحَضْرَةِ مَلأَءِ) أي يتجرأ بها في حضورك (ولا تُقصِّرُ بِه الغِفْلَةُ عَنْ إيرَادِ مُكاتَباتِ عُمَّالِكَ عليْكَ وإصْدَارِ جَوَابَاتِهاعلىٰ الصَّوَابِ عَنكَ فِيما يأخُذُلَكَ ويُعْطِي مِنْكَ) أي لا تكون غفلته مُوجبة لتقصيره في إطّلاعك علىٰ ما يرد من أعمالك ولا في إصدار الأجوبة عنه علىٰ وجه الصّواب (وَلا يُضْعِفُ عَقْداًاعْتَقَدَهُ لَكَ) .بل يقويه (وَلاَيَعْجِزُ عَنْ إطْلاَقِ ماعُقِدَ عليْكَ) أي ما عُقِدَ علىٰ ضررك (ولاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِه في الأمُورِ فإنَّ الجاهِلَ بِقَدْرِنَفْسِه يكُونُ بِقَدْرِ غيرِهِ أَجْهَلَ) .فأنّ من لا يعرف نفسه كيف يعرف غيره (ثمَّ لايكُنْاخْتِيارُكَ إيَّاهُمْ علىٰ فِرَاسَتِكَ واسْتِنامَتِكَ) أي لا يكون إنتخاب الكُتّاب تابعاً لِمَلك الخاصّ بل ينبغي أن يكون بطريق المَشورَة (وحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ) أي لا يكون مُستنداً اليه أيضاً (فأنَّ الرِّجالَ يَتعرَّفُونَ لِفَرِاسَاتِ الوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ) أي يتوسلون اليها لتّعرفهم (ولَيْسَ ورَاءَ ذلِكَ منَ النَّصِيحَةِ والأَمانَةِ شَئٌ ولكِنْ اخْتبِرْهُمْ) أي إختبر الوُلاة (بمَا وُلواالِصَّالِحِينَ قَبْلَكَ) فأنظر ما صَنعُوا لهم (فأعْمِدْ) وإعتمد (لأَحْسنِهِمْ كانَ في الْعامَّةِ أثَراً وأعْرَفِهِمْ بالأَمانَةِ وجْهاً) أي من كان من الوُلاة أحسَن أثراً وأعرَف أمانةً في عَمله فهو أليَق وأصلَح من غيره (فإنَّ ذلكَ دَلِيلٌ علىٰ نَصِيحَتِكَ لِلّهِ ولِمَنْ وُلِّيتَ أمْرَهُ) وهو الإمام أي هو دليل علىٰ طاعتّك لِلّه ولرسُوله وإمامك (واجْعَلْ لِرَأسِ كلِّ أمْرٍ منْ أُمُورِكَ رأساً) أي رئيساً (مِنْهُمْ لايَقْهَرُهُ كَبِيرُها) أي كَبير الأعمال (ولاَيَتَشَتَّتُ عليْهِ كَثيرُها) أي ولا يخرج عن ضبطه كثيرها (ومَهماكانَ في كُتَّابِكَ منْ عَيْبٍ فَتَغابَيْتَ) وتغافلت (عَنْهُ

أَزْمَتَهُ) أي كان ذلك العيب لاحقاً بك (ثُمَّ اسْتَوْصِ بالتُّجَارِ وذَوِي الصِّناعاتِ وأَوْصِ بِهِمْ خيراً الْمقِيم مِنْهُمْ) أعني مَن في البلد (والمُضْطَرِبِ بمَالِهِ) وهو الّذي يتّردد بماله في البلدان (والمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِه) أي المكتسب (فإنُهمْ مَوَادُّ المَنافِعِ) وأصولها (وأَسْبَابُ المَرَافِقِ) والمنافع وحقيقتها (وجُلَّابُها) أي وجُلّاب المنافع (من المَباعِدِ) من الأمكنة البعيدة (والمَطارِحِ) والأراضي البعيدة (في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وسَهْلِكَ وجَبَلِكَ وحَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ) أي لا يجتمع (لِمَوَاضِعِهَا) كالجبال والبحار (ولا يَجترِئُونَ عَلَيْها) لصعوبتها (فإنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخَافَ بائِقَتُهُ) وداهية (وصُلْحٍ لا تُخْشَى غائِلَتُهُ) وفساده (وتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وفي حَوَاشِي بِلاَدِكَ) ولا تغفل عنهم (واعْلَمْ مَعَ ذلِكَ أنَّ في كَثير مِنْهُمْ ضِيقاً) أي عُسر المعاملة (فاحِشاً) كثيراً (وشُحّاً) وبخلاً (قَبِيحاً) سيئاً (واحْتِكَاراً لِلْمَنافِعِ) أي لإجل المنافع (وتَحَكُّماً في الْبِيَاعات) أي البيع أو السّلعة (وذلِكَ) الإحتكار (بابُ مَضَرَّةٍ لِلْعامَّةِ وعَيْبَ علىٰ الوُلاةِ) من جهة غفلتهم عنه (فأمْنَعْ مَن الإحْتِكارِ فإنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مَنَعَ مِنْهُ ولْيَكُنِ البَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً) سهلاً (بمَوَازِينِ عَدْلٍ وأسْعارٍ لا تُجْحِفُ) ولا تظلّم (بالفَرِيقَيْنِ من البائِعِ والمُبْتاعِ) أي المُشتري (فَمَنْ قارَفَ) وخالط (حُكْرَةً) وإحتكاراً (بَعْدَ نَهْيِكَ أيَّاهُ) أي المُحتكِر (فَنَكلْ بِهِ) وعاقبه (وعاقِبْ في غيرِ إسْرَافٍ).

لئلّا يصل الىٰ حدّ الظّلم (ثُمَّ اللّهَ اللّهَ في الطَّبَقةِ السُّفْلىٰ مِنَ الّذِينَ لاحِيلةَ لهُمْ) ولا وسيلة (والمَساكين والمُحْتاجينَ وأهْلِ الْبُؤْسَى) والفقر الشّديد (والزَّمْني) المصاب بالعاهة (فإنَّ في هَذِهِ الطَّبَقَةِ قانِعاً) سائلاً (ومُعْتَرّاً) لا يسأل (واحْفَظْ لِلّهِ ما إسْتَحْفَظَكَ منْ حَقِّهِ فِيهِمْ) أي طلب منك حفظه (واجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً منْ بَيْتِ مالَكَ وقِسْماً منْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإسْلاَمِ) أي أرض الغنيمة (في كلِّ بَلَدٍ فإنَّ لِلأَقْصىٰ) البعيد مِنْهُمْ (من الفقراء) مثل الّذِي لِلأَدْنىٰ) والأقرب (وكُلٌّ قَدِ إستُرْعِيتَ حقَّهُ). من قِبل اللّه تعالىٰ (فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ) أي الطّغيان بسبب النّعمة (فإنَّكَ لا تُعذَرُ) أي لست بمعذورٍ (بِتَضْيِيعِكَ

التَّافِهِ)القليل (**لإحكامِكَ الكَثيرَ المُهِمَّ**) أي إتقانك الكثير المُهمّ (**فَلاَ تُشْخِصْ**)ولا تعرف (**هَمَّكَ**) وقصدَك (**عَنهُمْ**) عن الفقراء (**ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لهُمْ**)فيسّلطُوا عليك (**وتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إليْكَ مِنْهُمْ**) لبُعده عنك أو لفقره (**مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ العُيُونُ**) أي تنظر اليه بنظر الإحتقار (**وتَحْقِرُهُ الرِّجالُ**) لفقره (**فَفَرِّغْ لأُولَئِك ثِقَتَكَ**) أي إجعَل للبحث والفحص عن أحوالهم أشخاصاً مِمّن تثق بهم (**منْ أهْلِ الخَشْيَةِ والتَّوَاضُعِ**) لا من أهل التّكبر (**فَلْيرْفَعْ**) الفاحص الباحث (**إلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بالإعْذَارِ إلىٰ اللّٰهِ يَوْمَ تَلْقاهُ**) أي بما يقدم لك عذراً عنده (**فإنَّ هَؤلاءِ منَ بيْنِ الرَّعِيَّةِ أحْوَجُ إلىٰ الإنْصَافِ مِنْ غَيرِهِمْ**)والوجه فيه واضح ومع ذلك (**وكلٌّ**) من النّاس علىٰ إختلافهم (**فأعْذِرْ إلىٰ اللّٰهِ في تأدِيَةِ حقِّهِ إلَيْهِ**) ولا تضّيع حقّاً من أحدٍ (**وتَعَهَّدْ أهْلَ الْيُتْمِ**) أي الأيتام (**وذَوِي الرِّقَّةِ**) في السّنِّ والكِبَر وهم المتّقدمون فيه (**مِمَّنْ لا حيلَةَ لهُ ولا يَنْصِبُ لِلْمَسْئالَةِ نفْسَهُ**) لحياءه وعزّة نفسه (**وذلكَ**) الّذي ذكرته لك (**علىٰ الوُلاَةِ ثَقِيلٌ**) أي العَمل به (**وقَدْ يُخَفِّفُهُ اللّٰهُ**) ويسهّله (**علىٰ أقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا علىٰ أنْفُسَهُمْ وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللّٰهِ لهُمْ**) من الوَعد يوم القيامة:

◁ الشّرح

▫ **قوله ﷺ ثُمَّ أُنظُرْ في حالِ كُتَّابكَ فَوَلِّ علىٰ أُمُورِكَ خيرَهُمْ وأَخْصُصْ رَسَائِلكَ الّتي تُدْخِلُ فِيها مَكائِدَكَ وأسْرَارَكَ بأجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الأخْلاَقِ...**

بعد فراغه ﷺ عن ذكر أهل الخراج شَرَع بذكر الكتّاب فقال ﷺ ثمّ أُنظُر في حال كُتّابك فَوّل علىٰ أُمورك أي علىٰ أُمور الكتابة خيرهم وأخصُص رَسَائِلكَ الّتي تدخل فيها مَكائِدَكَ وأسْرَارَكَ الّتي ينبغي إخفاؤها من الغير لوجود صالح الأخلاق أي إجعل المتّصدي لها من كانِ صَالِحِ الأَخْلاَقِ حافظ السّر والأمانة وذلك لأنّه لو لم يكن كذلك يفشي أسرارك فيعلم العدّو بها وهو منافٍ لِمصالح المُلك والمَملَكة:

▫ **قوله ﷺ: مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيجتَرِيْ بها علَيْكَ في خِلاَفٍ لَكَ بَحَضْرَةِ**

مَلاَءٍ ولا تُقصِّرُ بِه الغَفْلَةُ عَنْ إيرَادِ مُكاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عليْكَ وإصْدَارِ جَوَاباتِها علىٰ الصَّوَابِ عنكَ فِيما يأخُذُ لَكَ ويُعْطِي مِنْكَ...

أفاد عليه السلام أنّ الرّجل الّذي وَلّيته علىٰ أمُور الكتابة ينبغي أن يكون مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ ولا تطغيه الكرامة فيجتريْ أي صار مُتجرياً بسبب الكرامة عليك في خلاف لك بحَضرة مَلاءٍ أي في حصور ملاءٍ وجماعة من النّاس فيصير ذلك بمنزلتك منهم ولا تُقصّرُ به الغفلة أي لا تكون غفلته موجبةً لتقصيره في إطّلاعك علىٰ ما يرد من أعمالك ولا في إصدار الأجوبة منه علىٰ وجه الصّواب بل يكون من النّباهة والحِذق بحيث لا يفوته شئ من ذلك:

▫ **قوله عليه السلام: ولا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ وَلاَ يَعْجزُ عَنْ إطْلاَقِ ما عُقِدَ عليْكَ...**

أي ويكون أيضاً خبيراً بطرف المعاملات والمُعاهدات والعُقود بحيث اذا عقد لك عقداً في أي نوع منها لا يكون ضعيفاً بل يكون مُحكماً ثابتاً جزيل الفائدة لك واذا وقَع عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حلّه والحاصل يكون واثقاً بخيرك وشَرك من جهة العُهود والعُقود فكلّ ماكان منها لك يعقده وكلّ ما كان عليك يطلقه ويحلّه:

▫ **قوله عليه السلام: ولاَ يَجْهَلَ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِه في الأمُورِ فأنَّ الجاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِه يكُونُ بِقَدرِ غيرِهِ أجْهَلَ...**

أي وأيضاً لا يكُونُ جاهلاً بقدر نفسه في الأُمور بل كان عالماً به وذلك لأنّ الجاهل بقدر نفسه فهو بقدر غيره أجهَل أي مَن لم يعرف مقامه في الأُمور فكيف يعرف مقام غيره بها:

والسّر فيه هو أنّ أقرب الأشياء الىٰ الإنسان نفسه فاللاّزم أن يتّعلق علمه أوّلاً بنفسه وثانياً بغيرها من الموجودات وهذه قاعدة عقلية ولذلك أطبقُوا علىٰ أنّ العلم بالنّفس أي علم النّفس بها ضروري لكلّ أحدٍ ومع ذلك فهو حضّوري لا حُصّولي أي لا يحتاج الىٰ التّحصيل والكَسب بل هو حاصل لكلّ إنسان عالماً كان في الكسْبيات أو جاهلاً ولا شك أنّ العلم بغيرها كائناً ما كان

حصّولي كسّبي والحضوري مُقّدم علىٰ الكَسّبي هذا في علم النّفس بوجودها ممّا لا كلام فيه:

وأمّا علم النّفس بشئونها وآثارها فهو أيضاً كذلك في التّقدم فأنّ معرفة آثار النّفس لكلّ إنسانٍ مقّدم علىٰ معرفة آثار نفس الغير وأن كانت المعرفة فـي المقام حُصّولية لا حُضورية فأنّ العلم بوجود النّفس شئ والعلم بآثارها شئ آخر ولذلك أدخلنا الأوّل في الحضوري والثّاني في الحُصّولي وأمّا في تقّدم هذه المعرفة فلا كلام لنا ولغيرنا فيه اذا عرفت هذا فنقول قُدرة النّفوس فـي الآثار مُختلفة مُتفاوتة بالنّسبة الىٰ الأشخاص فَمن تصدىٰ لمعرفة هذه القُدرة في حقّ الغير لِيَعلَم مبلغ قُدرة نفسه يجب عليه أوّلاً معرفة قُدرة نفسه لتّقدمها عليها بل إنّها عِلّة لها ولا يوجد المعلول إلّا بعد وجود العلّة

▫ قوله ﷺ: **ثُمَّ لا يكُنِ إخْتِيارُكَ إيَّاهُمْ علىٰ فِرَاسَتِكَ وإسْتِنامَتِك وحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ...**

أي لا تَخْتَرهم بفراستك أي قوّة ظنّك وحُسْن نـظرك ولا بـإستنامتك أي سُكونك وثقتِك ولا بحُسن ظَنّك بل إخترهم بالإختبار والتّجربة والمَشـوَرة وقد مَرّ نظير هذا الكلام في الفـصل السّـابق حـيث قـال فـي بـاب العُـمّال، فإستعملهم إختباراً ولا تولّهم محاباةً وآثرةً:

▫ قوله ﷺ: **فإنَّ الرِّجالَ يَتَعرَّفُونَ لِفَراساتِ الوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ ولْيسَ وَرَاءَ ذلِكَ منَ النَّصِيحَةِ، والأَمانَةِ شَئ ولكِنْ إخْتَبِرْهُمْ بمَاوُلوا لِلصَّالِحينَ قَبْلَكَ...**

علّل ﷺ ما ذكره من لزوم إختبار الرّجال بما حاصله أنّهم لا يُـعرَفون إلّا بأعمالهم وحُسن خدمتهم في الحكومة وليس وراء ذلِكَ منَ النَّصِيحَةِ والطّاعة شئ أي ليس وراء ذلك طريق في الإختبار وصلاحيّتهم لِلخدمة وحيث كان كذلك فإختبرهم بما وُلوا لِلصّالِحينَ من الولاة قبلك فأُنظُر مـاذا فَـعَلّوا فـي عهدهم فهو لك مَعيار وميزان وأنّـما قـال ﷺ ذلك لأنّ إخـتبار الرّجـال فـي

الحكومة لا طريق اليه إلّا بالنّظر الىٰ سوابقهم:

□ **قوله ﷺ: فَاعْمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كانَ في الْعامَّةِ أثَراً وأعْرَفِهِمْ بالأَمانَةِ وَجْهاًفإنَّ ذلكَ دَلِيلٌ علىٰ نَصِيحَتِكَ لِلّهِ ولِمَنْ وُلِيتَ أمْرَهُ...**

أي مَن كان من الكُتّاب معروفاً بالأَمانَةِ وحُسن السّيرة في النّاس فأختره لعَمَلك وإعتمد عليه فأنّ ذلك العَمل منك دليل علىٰ نَصِيحَتِكَ وطاعتك لِلّهِ ولِمَنْ وُلِيتَ أمْرَهُ وهو الإمام المُفترض الطّاعة.

□ **قوله ﷺ: واجْعَلْ لِرَأسِ كلِّ أمْرٍ منْ أمُورِكَ رَأساً منهُمْ لا يَقْهَرُهُ كَبيرُها ولاَيَتَشَتَّتُ عليْهِ كَثيرُها...**

أي إجعَل لرئاسة كلّ دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكُتّاب مُقتدراً علىٰ ضبطها لا يقهره عظيم تلك الأعمال ولا يخرج عن ضبطه كثيرها والحاصل أن يكون بريئاً عن الضّعف والعَجز.

□ **قوله ﷺ: ومَهما كانَ في كُتّابِكَ منْ عَيْبٍ فَتغابَيْتَ عنْهُ أُلْزِمْتَهُ...**

أي لا ينبغي لك التّغافل والإغماض عن غيب كُتّابك فأنّ ذلك دليل علىٰ ضعف الحاكم وعجزه عن إدارة الأُمور وتجرّي العامل علىٰ الحاكم وكون الحاكم مُلزَماً محكوماً بل الحقّ في مقام الحُكومة التّوجه الكامل الىٰ العُمّال والوّلاة والمُتّصدين لأُمور النّاس والتّعبير بالتّغابي الّذي هو مصدر باب التّفاعل ومعناه التّغافل ، إشارة الىٰ أنّ عدم إطّلاع الحاكم علىٰ عيب الكاتب لا إشكال فيه اذا لم يُقّصر فيه فأنّ العالم بالأسرار والضّمائر هو علّام الغُيوب **﴿لايُكَلِّفُ اللّهَ نَفْساً إلاّ وُسْعَها﴾** (١) وأنّما الإشكال في عدم التّوجه أو عِلمه بالعَيب عنه أو إعلام النّاس أيّاه به وعدم توجّهه الىٰ قولهم كما في أكثر الحُكّام فأنّ ذلك كلّه يوجب إلزام الحاكم في الدّنيا والآخرة وقوله أُلزمتَه بضّم الهَمزة وفتح التّاء مجهول أَلزَمت والتّغابي التّغافل والأصل فيه وفي أمثاله قوله ﷺ **كُلّكُم راعٍ وكُلّكم مسئول عن رعيتّه...**

١- البقره- ٢٨٦

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ اسْتَوصِ بالتُّجَارِ وذَوِي الصِّناعاتِ وأوْصِ بِهِمْ خيراً المُقِيم مِنْهُمْ والمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ والمُترَفِّقِ بِبَدَنِه...**

بعد الفراغ عن ذِكر الكُتّاب أشار ﷺ الىٰ التُّجَارِ وأرباب الحِرَف والصّناعاتِ فأمَره برعاية حالهم والتّوجه الىٰ أفعالهم وأعمالهم والمراد بالمُقيم منهم من يكون مَشغُولاً بالتّجارة والصَنْعَة في البَلَد السّاكن فيه وأراد بالمُضطرب بماله مَن يكون مُتَردِداً بأمواله بَين البُلدان، وبالمُترَفِّقِ بِبَدَنه المُكتَسَب به أي بالبَدَن وقد مَرّ الكلام في مَدح التّجارة وما وَرَد من الأخبار فيه:

▫ **قوله ﷺ: فإنهُمْ مَوَادُّ المَنافِعِ وأَسْبَابُ المَرَافِقِ وجُلَّابُهامن المَباعِدِ والمَطارِحِ في بَرِّكَ وبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وجَبَلِكَ...**

عَلّل ﷺ ما ذَكره من الوَصية بهم بما حاصله أنّهم موادّ المنافِع وأُصولها في الجامعة وذلك لأنّ الجامعة لا يقدر علىٰ كَسب النَفع إلّا من قِبَل التّجار وذوي الصّناعات وأيضاً أنّهم أسباب المرافق والمراد بها هنا ما به يتّم الإنتفاع كالآنية والأدوات وما يشبه ذلك وقوله ﷺ: **وجُلَّابُها** الخ أي أنّهم يجلبون المنافع أو الأدوات من الأمكَنة البعيدة في البّر والبَحر والسَّهل والجَبَل أي من طريق البّر ومن طريق البَحر ومن طريق السَّهل أي الصَحاري المُسطَحة ومن طريق الجَبَل والحاصل من أيّ طريقٍ إتّفق وهذا مِمّا لا شك فيه ولا يحتاج الىٰ دليلٍ لِشهادة الحِسّ عليه:

▫ **قوله ﷺ: وحَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِها ولا يَجترِئُونَ عَلَيْها فإنّهمْ سِلْمٌ لا تُخَافُ بائِقَتُه وصُلْحٌ لا تُخشىٰ غائِلَتُهُ...**

الواو لِلعطف أي أنّهم يجلبُون المنافِع من حيث لا يلتئم النّاس لَمواضعها لِصُعوبتها ولا يجترؤن النّاس عليها أي لا جُرأة لهم علىٰ الإقدام عليها لخوفها ومن كان كذلك فينبغي لِلحاكم التّوجه اليه ومراعاة حاله بل وتهيئة الأسباب له هذا كلّه مضافاً الىٰ أنّهم سِلْمٌ للحكومة لا تُخَاف بائِقَتُه أي داهيته ومُصيبته

وصلحٌ لا تخشىٰ ولا تخاف غائلته وشّره والضّمير في قوله عليه السلام: **بائِقَتُه** الىٰ السِّلم وفي قوله غائلته الىٰ الصُّلح ولأجل ذلك أفرَدَه وفيما ذكره إشارة الىٰ أنّ السِّلم فيهم سِلْمٌ واقعاً والصُّلح كذلك بمعنىٰ أنّ السِّلم والصُّلح ليسا ظاهرتَين كما في المنافق.

□ **قوله عليه السلام: وتَفَقَّدْ أمُورِهُمْ بِحَضْرَتِكَ وفي حَوَاشِي بَلاَدِكَ .وأعْلَمْ مَعَ ذلِكَ أنَّ في كَثير مِنْهُمْ ضِيقاً فاحِشاً وشُحّاً قَبِيحاً وإحْتِكَاراً لِلْمَنافِعِ وتَحَكُّماً في الْبِيَاعاتِ وذلِكَ بابُ مَضَرَّةٍ لِلعامَّةِ وعَيْبٌ علىٰ الوُلاةِ...**

أي اذا عرفت عظَم شأنهم ومَوقعهم وموضعهم في الإجتماع وأنّهم مواد المَنافع وأسباب المرافق فتَفَقَّدْ أمُورِهُمْ ولا تغفل عنهم بحضرَتك وفي حواشي بلادك أي في حقّ من حَضرَ منهم عندك ومن غاب عنك لكونه ساكناً في سائر البلاد فأنّ حكم الأمثال واحد فلا تفرّقْ بينهم من حيث التّفقد من جهة الحُضور والغيبة والقُرب والبُعد عن ساحتك ثمّ أنّ المراد بالتّفقُد التّوجه اليهم في قضاء حوائجهم ورفع الظّلم عنهم وتسهيل ما يحتاجون اليه ممّا يؤثر في أمر التّجارة والكَسب والجامع إيجاد الإمكانات ورفع المَوانع لأنّهم قشرٌ عظيم عامّ المنفعة بين الأقشار ومع ذلك كُلّه ينبغي لك أن تعلم أنّ في كثير منهم ضِيقاً فاحِشاً من حيث المعاملة والضِّيق عُسرها وشُحّاً وبُخلاً قبيحاً أي ترىٰ كثيراً منهم موصُوفين بعُسر المُعاملة والبُخل وإحتِكاراً للمنافع الّتي يحتاج اليها النّاس ويحتمل أن يكون المراد بإحتكار المنافع كَنزهم لها فَيصيرون بذلك من مصاديق قوله تعالىٰ: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** (١)

وكيف كان فالإحتكار مَمنوع في الشّريعة مَطرُود في العقول السّليمة، وتحَكُماً في البياعات وهي جمع بياعة وهي البيع وقيل السّلعة والتّحكُم بفتح التّاء والحاء وضّم الكاف الزّوّر وهو المَشي علىٰ خلاف الصّواب ولا شك أنّ

١- التّوبة ـ٣٤

ذلك كلّه باب مضّرةٍ للعامّة وعيب ونقصٍ علىٰ الولاة، أمّا الأوّل فلأنّ عموم النّاس يستّضرون به وأمّا الثّاني فلأنّ الوالي من وظائفه إجراء العدل في النّاس وهو لا يمكن إلّا بدفع الظّالم عن ظُلمه ومن المعلوم أنّ الإحتكار لِلمنافع وأمثاله ممّا ذكرناه ظلم علىٰ النّاس فلو فرضنا وجود في الإجتماع وعلم الحاكم به ومع ذلك سَكَت عنه فلا يخلو إمّا أن يكون راضياً به وإمّا أنّه يكون مُخالفاً وعلىٰ التّقديرين فهو ظُلمٌ علىٰ الرّعية وقد إستقل العقل والشّرع بقُبح الظّلم وكونه عَيباً ونَقصاً ولا سيّما في الولاة لأنّ الظّلم منهم يسري الىٰ الكلّ هذا ويحتمل أن يكون المراد بكونه عَيباً علىٰ الولاة هو أنّ ذلك لِغفلة الوالي وعدم مُبالاته وذلك له عَيبٌ بل من أعظم العيُوب:

□ **قوله ﷺ: فامْنَعْ منَ الإحْتِكارِ فإنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مَنَعَ مِنْهُ ولْيَكُنْ البَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينَ عَدْلٍ وأسَعارٍ لا تُجْحِفُ بالفَرِيقَيْنِ منَ البَائِعِ والمُبْتاعِ...**

أي إمنع التّجار من الإحْتِكارِ سواء كان في المنافع كما مرّ أم من قبيل حَبَس المَطعُوم والمَلبُوس ونحوه عن النّاس بحيث لا تسمحون به إلّا بالأثمان البالغة الفاحشة فأنّ رسول اللّه ﷺ مَنَع عن الإحتكار وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿مَآ آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**(١) ولنُشر الىٰ شطرٍ ممّا ورد في ذمّه **روىٰ في الوسائل بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ في جواب من سأله عن الرّجل يحتكر الطّعام ويتّربص به هل يصلح ذلك، قال ﷺ أن كان الطّعام كثيراً يسع النّاس فلا بأس به وأن كان الطّعام قليلاً لا يَسَع النّاس فأنّه يكره أن يحتكر الطّعام ويترك النّاس ليس لهم طعام انتهىٰ« كتاب التجارة ج ١٢ ص ٣١٣»....**

قال صاحب الوسائل الكراهة هنا محمولة علىٰ التّحريم لما مضىٰ ويأتي:

وأيضاً بأسناده عنه ﷺ قال قال رسول اللّه ﷺ الجالب مَرزُوق والمُحتكر مَلعُون انتهىٰ...

---

١ - الحشر ـ ٧

وأيضاً عنه عليه السلام قال ليس الحُكرة إلّا في الحُنطة والشّعير والتّمر والزّبيب والسّمن انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أيّما رجل إشترىٰ طعاماً فَكَسَبه أربعين صباحاً يريد غلاء المُسلمين ثمّ باعه فتّصدق بِثَمنه لم يكن كفّارة لما صَنَع انتهىٰ...

وعن مُحمّد بن علّي بن الحُسين قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله لا يحتكر الطّعام إلّا خاطئ انتهىٰ...

وعن أبي عبد اللّه قال عليه السلام الحُكرة في الخَصب أربعون يوماً وفي الشّدة والبّلاء ثلاثة أيّام فما زاد علىٰ الأربعين يوماً في الخَصب فصاحبه ملعون وما زاد علىٰ ثلاثة أيّام في العُسرة فصاحبه ملعون انتهىٰ ورّام بن أبي فراس في كتابه عن النّبي عن جبرئيل قال إطّلعتُ في النّار فرأيتُ وادياً في جهنّم يغلي فقلت يا مالك لمن هذا فقال لثلاثة، المُحتكرين، والمُدمنين الخَمر، والقَوادين، انتهىٰ والأحاديث في الباب كثيرة وما نقلناه نقلناه عن الوسائل«ج ١٢ كتاب التجّارة ص ٣١٣ وص ٣١٤»...

وأمّا قوله عليه السلام: **ولْيَكُنْ البَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً** الىٰ آخر ما قال عليه السلام فالمراد به أن لايكون البائع ضيّقاً عسير المعاملة سيئ الخُلق بل ينبغي أن يكون في معاملاته سَمَحاً وسَهلاً بموازين عدلٍ وأسعارٍ أي لا يكون بيعه علىٰ ما خلاف العَدل والأنصاف خارجاً عن القيمة السّوقية المُتعارفة بين النّاس:

فقد روىٰ في الوسائل بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال سمعته يقول قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله بارك اللّه علىٰ سهل البيع سَهل الشّراء سَهَل الأقتضاء« ج ١٢ ص ٣٣٢» انتهىٰ...

وعن مُحمّد بن علّي بن الحُسين قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ يحبّ العبد يكون سَهَل البَيع سَهَل الشّراء سَهَل القَضاء سَهَل الأقتضاء انتهىٰ« ص ٣٣٢»...

وبأسناده عن جابر قال قال رسول اللّه ﷺ غفر اللّه لرجلٍ كان قبلكم كان سَهْلاً اذا باع سَهْلاً اذا إشترىٰ سَهْلاً اذا قضىٰ سَهْلاً اذا إستقضىٰ انتهىٰ «ص ٣٣٢»...

وأمّا قوله ﷺ: **لا تُجْحِفُ** بتقديم الجيم علىٰ الحّاء من أجَحَف اذا تعدّىٰ والمعنىٰ أن يكون المعاملة بحيث لا تجحف علىٰ البائع والمُشتري وهذا يكون اذا كان كلّ واحدٍ منهما مُراعياً لقانون العَدِل والإنصاف

□ **قوله ﷺ: فَمَنْ قارَفَ حَكْرَةً بَعْدَ نَهْيكَ إِيَّاهُ فَنَكلْ بِهِ وعاقِبْ في غيرِ إسْرَافٍ...**

يقال قارف الذّنب وغيره اذا داناه ولاصَقَه وأن شئت اذا أتاه وفَعَله وقرف فلان فلاناً اذا عابَه وأتّهمه ومنه حديث علّي ﷺ أو لّم ينه أُمّية علمها بي عن قرفي أي تُهمتي وعَيبي ولعلّه لأجل تضمّنه معنىٰ العيب إستَعْمَله ﷺ في المقام فأن الإحتكار عَيبٌ وَمَن قاربه أي داناه وخالطه فهو أيضاً عيب له وذلك لأنّ التّقرب بالعَيب عَيبٌ والمعنىٰ أنّ من قارَفَ وفَعَل الإحْتِكارِ بعَد نَهيك أيّاه عنه لا قبل النّهي لإحتمال أن لا يكون عالماً بِمَنعَه، فَنَكلْ به وعاقبه في غيرِ إسْرَافٍ والنّكال العقوبة قال اللّه تعالىٰ: **﴿فَأَخَذه اللّه نكال الآخرة والأولىٰ أي عقُوبة الآخرة والدّنيا﴾** ثمّ أنّ المراد بالنّكال والعقاب هو تأديب المُحتكِر من حَبَسٍ أو تعزيرٍ أو غير ذلك مِمّا يُجّوزه الشّرع والمراد بالإسراف المَنهيِ عنه هو التّجاوز عن حدّ الإعتدال فأنّ الإسراف يكون مذمُوماً في جميع الأمور قال اللّه تعالىٰ: **﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**(١) وهو عامّ يشمل ما نحن فيه وغيره هذا كلّه بعد نهي الحاكم عن الإحتكار وأمّا قبله فلا تعذيب ولا تعزير بل يُلزم بإخراج الجنس وبيعه:

روي في الوسائل بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال نفد الطّعام علىٰ عهد رسول اللّه ﷺ فأتاه المُسلمون فقالوا يا رسول اللّه قد نفد الطّعام ولم يبق منه شئ إلّا عند فلان فمُره بَبَيعه قال فَحَمِد اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال يا فلان أنّ

١- الاعراف ـ ٣١

المُسلمين ذكروا أنّ الطّعام قد نفد إلّا شيءٌ (شيئاً خ ل) عندك فأخرجه وبعه كيف شئت ولا تحبسه انتهیٰ» ج ١٢»...

□ قوله ﷺ: **ثُمَّ اللّٰهَ اللّٰهَ في الطَّبَقِةِ السُّفْلىٰ منَ الَّذِينَ لا حِيلةَ لهُمْ والمَساكِين والمُحْتاجِينَ وأهْلِ الْبُؤسَى والزَّمَني...**

تكرار كلمة اللّٰه في المقام دون غيره مِمّا مضىٰ مشعر بأهمّية الموضوع وأنّ هذه الطّبقة أهمّ مراعاةً وأشدّ مواظبةً من غيرها للحاكم وذلك لما ذكره ﷺ من أنّ هذه الطّبقة من النّاس لا حيلة لهم أي لا يمكن لهم الدّفاع عن حقوقهم أمّا لِضَعفهم عنه أو لأنّ الحكّام وأُمراء البلاد لا يَعتنُون بهم غالباً وأمّا قوله ﷺ: **والمَساكين** الخ فيمكن أن يكون الكلام معطُوفاً علىٰ قوله ﷺ من الّذين لا حيلة لهم، ويمكن أن يكون معطوفاً علىٰ قوله ﷺ: **الطَّبَقِة السُّفْلىٰ**، فعلى الأوّل يصير المعنىٰ من الّذين لا حيلة لهم والفقراء والمُحْتاجينَ وأهْلِ الْبُؤسَىٰ أي شديد الفقر والزّمني وهو المُصاب بالزّمانة وعليه فقوله ﷺ: **منَ الَّذِينَ لا حِيلةَ لهُمْ** الىٰ آخر الكلام تفسير لقوله الطَّبَقِةِ السُّفْلىٰ وهو واضح.

وأمّا علىٰ الثّاني فيكون المساكين الىٰ آخره قسيماً للطّبقة السُّفلىٰ لا قسماً لها فكأنّه قال ﷺ اللّٰه اللّٰه في طبقَتين، طَبَقة السُّفلىٰ من الّذين لا حيلة لهم كالضّعفاء والسّفهاء والبُلَه وأمثالهم، وطبقة أُخرىٰ هي المساكين والمُحتاجين الىٰ آخر الكلام وكلا الوجهين مِمّا لا إشكال فيه أمّا الأوّل فظاهر لجواز كون المساكين والمُحتاجين من أقسام الطَّبَقةِ السّفلىٰ وأمّا الثّاني فلأنّه لا يبعد أن لا يكون المساكين والمحتاجين داخلين في الطّبَقة السّفلىٰ مِمّن لا حيلة لهم علىٰ ما فسّرها ﷺ به كلّاً أوبعضاً فأنّ المُحتاج والمسكين وأهل البؤسىٰ والزَّمنى لا يلزم لهم دخولهم فيمَن لا حيلة لهم بل قد يكون وقد لا يكون ومحّصل الكلام أن أردنا بالطَّبَقةِ السّفلىٰ معناها العامّ المتّعارف في التّقسيم فهم داخلون فيها وأقسام لها وأن أَردنا بها مِن لا حيلة له فلا ملازمة بين من لا حيلة له والمسكين والمُحتاج وهو ظاهر وكيف كان يجب مراعاتهم بأجمعهم سواء كانوا تحت

الطّبقة أم لا بقىٰ الكلام في أمرين:

أحدهما: أنّ أهل البُؤسىٰ بضَم الباء قالوا في تفسيره البؤس شدّة الفَقر وقالوا في تفسير الزّمني بفتح الزّاء علىٰ وزن القتلىٰ جمع زمين وهو المُصاب بالزّمانة أي العاهَة انتهىٰ:

البُؤسىٰ بضَم الباء مصدر قولك بَئِسَ، بُؤساً وَبَئِيساً وبُؤُوساً وبُؤسىٰ فهو مشتّق من البُؤس وهو الفَقر والخوف وشِدّة الإفلاس وسُوء الحال يقال بِئِسَ الرّجل يبأسَ كَسَمِعَ يَسَمَع إشتّدت حاجته فهو بائِسٍ قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾**(١) ونقل عن صاحب المغرب أنّ البائس هو الّذي به الزّمانة اذا كان مُحتاجاً، والفقير المحتاج الّذي لا يطوف بالأبواب، والمسكين الّذي يسأل ويطوف وفي الحديث البائس الّذي لا يستطيع أن يخرج لزّمانته، وهو تصديق لِما في المغرب وأمّا الزّمني فهو جَمع زمين كقتلىٰ جمع قتيل، فقيل أنّه الضّعف يقال فلان زَمِن الرّغبة أي ضعيفها، وقيل هو مَرَضٌ يَدُوم زماناً طَويلاً وقيل غير ذلك والفَرق بين هؤلاء الأصناف هو أنّ المسكين يقال لِمَن يسأل النّاس ويطرف بالأبواب، والمُحتاج هو الّذي لا يسألهم ولا يطوف بأبوابهم وأهل البُؤسىٰ هم الّذين وَقَعُوا في سُوء الحال من شدّة الفقر وعلىٰ تفسير المُعرب هو الّذي لا يستطيع أن يخرج لِزّمانته وأهل الزّمني الّذين أصابوا بالزّمانة أي العاهة والآفة المانعة عن الأكتساب كالمَعلول والمَجروح والأعمىٰ والمَفلُوج وغير ذلك من الآفات والأمراض:

وثانيهما: أنّ تعبيره عنهم بالطّبقة السُفلىٰ ليس من أجل أنّهم أسَفل النّاس وأَخَسّهم عند اللّه فأنّ الضّعف والفقر والمرض وأمثالهما لا يجعل الإنسان أَسَفل وأَخَسّ مِن غيره ولا سيّما في الإسلام الّذي جُعل فيه ملاك الفضل علىٰ التّقوىٰ حيث قال تعالىٰ: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقَاكُمْ﴾**(٢)

بل المراد أنّهم في الطّبقة السّافلة من حيث التّقسيم أو من جهة الضّعف

١- الحج ـ٢٨

٢- الحجرات ـ ١١

والقُدرة أو غير ذلك من الأمور الظّاهرية العُرفّية ضرورة أنّ الأَضعَف قدرةً أو فقراً أو جسماً أو مقاماً فهو أَسَفَل مِمّن يكون أعلىٰ قُدرةٍ منه من الجّهات وأن كان الضّعيف أقرب الىٰ اللّه من القّوي فأنّ الكلام في القوّة والضّعف الظّاهرتين عند الحاكم أو غيره من أفراد الأجتماع لا في القّوة والضّعف بحسب الواقع.

▫ قوله ﷺ: **فإنَّ في هَذِهِ الطَّبَقِةِ قانِعاً ومُعْتَرّاً واحْفَظْ لِلّهَ ماإسْتَحْفَظَكَ منْ حَقِّهِ فِيهِمْ...**

والفرق بين القانع والمُعْتَرّ بضّم الميم وسكون العين وفتح وتشديد الرّاء هو أنّ القانع السّائل الّذي يسأل النّاس ويأخذ منهم بقدر إحتياجه وأمّا المُعتَرّ فهو يُقال لِمن يتّعرَض لِلعطاء بلا سؤال والمعنىٰ أنّ الفقير لا يختّص بالسّائل بل منه من يَسأل ومنه من لا يَسأل وعلىٰ الحاكم أن يعرف مقامهما ولا يختّص عطائه بالسّائل فقط بل المُعتَرّ أولىٰ بالعطاء من القانع في أكثر الموارد لولا كلّها والوجه واضح لأنّ القانع يسأل ويأخذ لا محالة وأمّا المُعتَرّ فيمنعه عنه حياؤه وعرضه فهو أولىٰ بالتَرَحُم.

وقوله ﷺ: و**إحفظ** الىٰ آخر الكلام فهو إيماء الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ جَعَلك والياً حاكماً عليهم وحافظاً لحقوقهم المالية والإجتماعية لِتُؤدي الىٰ كلّ فردٍ منهم حقّه فإحفظ هذه الوديعة الإلهية لِللّه تعالىٰ ولا تكُن مِن الخائنين فأنّك راع وكلّ راع فهو مَسؤل عن رعيتّه:

▫ قوله ﷺ: **وإجْعَلْ لهُمْ قِسْماً منْ بَيْتِ مالِكَ وقِسْماً منْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإسْلاَمِ في كلِّ بَلَدٍ فإنَّ لِلأَقْصَىٰ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنىٰ وكلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ...**

أي وإجعل لهؤلاء الفقراء والمُحتاجين والمساكين وأهل البُؤسَىٰ والزَّمَني قِسْماً وسَهماً من بَيْت مالك وقِسماً ونَصيباً من غَلاَّتِ صَوَافي الإسْلاَم جمع صافية وهي أرض الغنيمة وغلّاتها ثمراتها والمعنىٰ من ثمرات أرض الغَنيمة

وهي الّتي تحصل منها عند أخذ الغنائم في كلّ بلدٍ من البلاد أي ما يحصل من الغنائم في كلّ بَلَدٍ ويحتمل أن يكون المعنىٰ إجعل لهم نَصيباً من ثَمَرات ما يحصل في بَلَدهم بمعنىٰ تخصيص ثمرات كلّ بَلدٍ لِفقرائه ومساكينه وهكذا والمعنىٰ الأوّل أعمّ وأشمَل ثمّ علّل عليه السلام ما ذكره بقوله فأنّ لِلأقصىٰ والبعيد منهم مثل الّذي لِلأدنىٰ والأقرب لإشتراكهم في الفقر والإسلام ثمّ أنّ الأقصىٰ والأدنىٰ يمكن أن يُراد بهما البُعد والقُرب السّاكنين وأن يُراد القُرب والبُعد بالنّسبة الىٰ الحاكم سبباً أو نَسَباً أو علاقةً ومحبّةً وأمثال ذلك من الجهات فعلىٰ الأوّل يصير المعنىٰ لا فرق بين من يكون بحضرتك من الفقراء وبين من يكون ساكناً في البلاد البعيدة وعلىٰ الثّاني لا فرق بين الأقرب اليك بجهةٍ من الجهات والأبعد كذلك وأن كانوا بأجمعهم في بلدك أو في غيره ومحصّل الكلام هو أنّ الملاك في إعانتهم فقرهم وإستئصالهم لأقربهم وبُعدهم والحقُوق مُتساوية كما قال عليه السلام وكلٌّ قد إسترعيتَ حقّه أي جعلك اللّه مأموراً بمُراعاة حقّ كلّ واحدٍ منهم فلا يشغلنّك عنهم بَطَر أي طغيان النّعمة فتكون مصداقاً لقوله تعالىٰ: **﴿كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰ﴾**(1)

▫ **قوله عليه السلام: فَإِنَّكَ لا تُعذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لإِحكامِكَ الكَثيرَ المُهِمَّ فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنهُمْ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ...**

أي أنّك لَستَ بمعذُورٍ عند اللّه بتضّيعَك التّافِه أي القليل لأجل إحكامِك وإتّقانك المُهّم الكثير فأنّ تضييع الحقّ ولو كان قليلاً كما اذا كان بالنّسبة الىٰ شخصٍ واحد مذمومٌ مطرودٌ شرعاً وعقلاً ويُوجب العقاب غداً يوم القيامة واذا كان كذلك فلا تُشخِص أي لا تصرف همّك وقصدك عن الفقراء المُحتاجين بل توجّه اليهم توجّهاً بليغاً وأسَع في قضاء حوائجهم ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ أي لا تُعرِض بوجهك عنهم فأنّ الصَّعر المَيل يُقال صاعَره أي أمالَه ومنه الصّعار بمعنىٰ المُتكبِر لأنّه يميل خَدّه ويعرض عن النّاس بوجهه وأصل الصّعر داء

١- العَلَق-٦.

يأخذ البعير في رأسه في جانب فشبّه الرّجل الّذي يتكبّر على النّاس به وهو مأخوذ من قوله تعالىٰ مُخاطباً لنبيه:﴿وَلاَتُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾ (١) وقد إستوفينا الكلام في التّكبر وما ورد فيه سابقاً:

□ قوله عليه السلام: وتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لايَصِلُ إلَيْكَ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وتحْقِرُهُ الرِّجالُ فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتكَ مِنْ أَهْلِ الخَشْيَةِ والتَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بالإعْذَارِ إلىٰ اللّهِ يَوْمَ تَلْقاهُ...

ثمّ أمَره بالتّفقد لأُمور المحقّرين في الأنظار وقال (تَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إلَيْكَ) من المحجُورين والضّعفاء الّذين لا يصلُون اليك أي لا يقدرون علىٰ عرض حوائجهم بحَضرتك مِمّن تقتّحمه العُيون أي ينتظرون النّاس اليهم بنظر الحقارة والعَجز مع أنّهم في الواقع بخلافه ففرّغ لأُولئك ثقتك أي إجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتّفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممّن تثّق بهم يخافون اللّه ويتواضعون لعَظمته لا يأنفون من تعّرف حال الفقراء لِيَرفعُوها اليك ثمّ إعمل فيهم أي في حقّ المُحقّرين بالأعذار الىٰ اللّه أي بما يقدم لك عُذراً عنده يوم تلقاه وهو يوم القيامة فأنّك مسئول عنهم لا محالة:

□ قوله عليه السلام: فإنَّ هَؤُلاءِ مِنْ بيْنِ الرَّعِيَّة أحْوَجُ إلىٰ الإنْصَافَ مِنْ غيرِهِمْ وكلٌّ فأعْذِرْ إلىٰ اللّهِ في تأدِيَةِ حَقِّهِ إلَيهِ...

فأنّ هؤلاء الفقراء الّذين تحّقرهم الرّجال (مِنْ بيْنِ الرَّعِيَّةِ أحْوَجُ إلىٰ الإنْصَافَ) والعَدل من غيرهم وذلك لتحْقيرهم وإلّا فكلّ النّاس يحتاج الىٰ الإنْصَاف فأعْذِرْ الىٰ اللّهِ في تأدية حَقِّهِ إلَيهِ أي أدّ حقّ كلّ واحدٍ منهم اليه ليكون لك عُذراً عند اللّه حيث فوّض أمرهم اليك وجعلك والياً عليهم.

□ قوله عليه السلام: وتَعَهَّدْ أهْلَ الْيُتْمِ وذَوِي الرِّقَّةِ في السِّنِّ مِمَّنْ لاَ حيلةَ لهُ ولا يَنْصِبُ لِلْمَسألةِ نفْسَهُ وذلكَ علىٰ الوُلاَةِ ثَقِيلٌ والحقّ كلّه ثقيل وقَدْ يُخَفِّفُهُ اللّهُ علىٰ أقْوَامٍ طَلَبُوا الْعاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أنْفُسِهمْ وَوَثِقُوا بِصِدقِ مَوْعُودِ اللّهِ لَهُمْ...

١- لقمان ـ ١٨

ثمّ أمَرَه بتَفقد حال الأيتام والمشايخ وقال وتعّهد أهل اليّتم، قال الرّاغب اليّتم إنقطاع الصّبي عن أبيه قبل بُلوغه وفي سائر الحيوانات من قِبَل أُمّه انتهىٰ واليُتْمُ بضّم الياء وسكون التّاء والميم مصدر، ومعناه الإنفراد، وحاله اليَتم بفتح الياء الهَمّ قال اللّه تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (١)

وأمّا ذوي الرّقة في السّن فالمراد بهم المشايخ الّذين بلغوا في السّنّ حدّ الضّعف والعَجز وأنّما ذكرهم مع الأيتام لوحدة المِلاك وذلك لأنّ حال المشايخ حال الصّبايا والأيتام من حيث أنّهم بأجمعهم لا حيلة لهم ولا قدرة لهم علىٰ إستنفاذ حقوقهم والدّفاع عنها وأمّا قوله ولا ينصب للمسألة نفسه فهو إشارة الىٰ أنّ المشايخ أو هم والأيتام علىٰ قسمين قسمٌ منهم ينصب نفسه لِلمسألة أعني السؤال عن النّاس وقسمٌ لا ينصب نفسه للمَسألة أمّ لعدم قدرته أو لحيائه ومناعة نفسه وهذا الأخير أولىٰ بالمُراعاة من الأوّل ومحصّل الكلام مراعاة هذين الصّنفين علىٰ جميع النّاس ولا سيّما الوّلاة والحُكّام ممّا لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ ثمّ قال عليه السلام وذلك أي مُراعاة حال الفقراء والأيتام والضّعفاء وغيرهم علىٰ الولاة ثقيل إمّا لعدم قدرة الولاة علىٰ الإطّلاع من أحوالهم وإمّا لأجل تَفرعُنِهم وتكبّرهم وعدم إعتنائهم بحال الضّعفاء ولذلك قال عليه السلام والحقّ كلّه ثقيل إلّا أنّ اللّه تعالىٰ بلطفه وكَرمه قد يخفّف الحقّ والعَمَل به علىٰ أقوامٍ طَلَبُوا العاقبة فصّبروا أنفسهم أي كلّفوا أنفسهم بالصّبر علىٰ الحقّ ومرارته وَوَثِقوا.

وإطّمأنّوا بصدق موعود اللّه لهم غداً يَوم القيْمة فأنّ اللّه لا يكّلف نفساً إلّا وُسعها وهو بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم والعاقبة للمُتّقين والحَمد لِللّه ربّ العالمين:

قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أشبع اليتيم والأرملة وكُن لليتيم كالأب الرّحيم وكُن للأرملة كالزّوج العطُوف تُعط كلّ نفسٍ تنَفَسّت في الدّنيا قصراً في الجنّة كلّ قصرٍ خير من الدّنيا وما فيها انتهىٰ «مشكاة الأنوار ص ١٦٨»...

---

١ - الضّحىٰ ـ ٩

وقد مرّ الكلام في اليتيم وذكرنا الأخبار فيه سابقاً وأمّا إكرام الشّيوخ فهو أيضاً ممدوح مرّغب فيه قال رسُول اللّه ﷺ أنّ اللّه ليكرُم أبناء السّبعين ويَستحي من أبناء الثّمانين أن يعّذبهم...

وعن ابن عبّاس قال رسُول اللّه ﷺ ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقّر كَبيرنا« مشكاة الأنوار ص ١٦٨»...

فاذا كان هذا حال الكبير وهو غير محتاج فما ظنّك به وهو محتاج:

الفصل السّادس

▫ قوله عليه السلام: وأَجَعلْ لِذَوِي الحَاجَاتِ مِنْكَ قِسماً تُفَرِّغُ لهُم فِيهِ شَخْصَكَ وتَجْلِسُ لهمْ مَجْلِساً عامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلّهِ الّذِي خَلَقَكَ وتُقْعِدُ عَنهُم جُنْدَكَ وأَعْوَانَكَ منْ أَحْرَاسِكَ وشُرَطِكَ حتّىٰ يُكلِّمَكَ مُتكلّمُهُم غيرَ مُتَعْتِعٍ فإنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: يَقُولُ في غيرِ مَوْطِنٍ (لَنْ تُقدسَ أُمَّةٌ لايُؤخَذُ للضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ منَ القَوِيِّ غيرَ مُتَتَعْتَعٍ)ثمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ والْعِيَّ ونَحِّ عنْهُمْ الضِّيقَ والأَنَفَ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنافَ رحَمْتَهِ ويُوجِبْ لَكَ ثَوابَ طاعَتِهِ وأَعْطِ ما أَعْطَيْتَ هَنِيئاً وأَمْنَعْ في إجْمَالٍ وإعْذَارٍ.

ثُمَّ أُمُور منْ أُمُورِكَ لابُدَّ لَكَ منْ مُباشَرَتِهَا .مِنها إجابَةُ عُمَّالكَ بما يَعَي عنْهُ كُتَّابُكَ ومِنَها إصدْارُ حاجاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَليكَ بمَا تَحْرَجُ بهِ صُدُورُ أعْوَانِكَ وأمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فإنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ ما فِيهِ وأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيما بَيْنَكَ وبَيْنَ اللّهِ أفْضَلَ تِلْكَ المَوَاقِيتِ وأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ وإنْ كانَتْ كُلُّها لِلّهِ إذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

ولْتَكُنْ في خاصَّةِ ما تُخْلِصُ بهِ لِلّهِ دِينَكَ إقامَةَ فَرَائِضِهِ الَّتي هِيَ لهُ خاصَّةً فأَعْطِ اللَّهَ منْ بَدَنِكَ في لَيْلِكَ ونَهارِكَ وَوَفِّ ما قَرَّبْتَ بِهِ إلىٰ اللّهِ من ذَلِكَ كامِلاً غَيرَ مَثْلُومٍ ولا مَنْقُوصٍ بالِغاً من بَدَنِكَ ما بَلَغَ وإذا قُمْتَ في صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ فَلاَ

تَكُونَنَّ مُنَفِّراً ولا مُضَيِّعاً فإنَّ فيالنَّاس مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ ولهُالحَاجَةُ .وقد سألْتُ رَسُولَ اللّٰه ﷺ حِينَ وجَّهَنِي إلىٰ اليَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ ﷺ (صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ وكُنْ بالمُؤمِنينَ رَحِيماً.

وأمَّا بَعْدُ فَلاَ تطَوِّلَنَّ احْتِجابِكَ عن رَعِيَّتِكَ فإنَّ احْتِجَابَ الوُلاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعبَةٌ من الضِّيقِ وقِلَّةُ عِلْمٍ بالأُمُورِ والاحْتِجَابَ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ ما احْتَجبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرَ عِنْدَهُمُ الكَبيرُ وَيعْظُمُ الصَّغيرُ ويَقْبُحُ الحَسَنُ ويَحْسُنُ القَبِيحُ ويُشابُ الحَقُّ بالبَاطِلِ وإنَّما الوَالِيبَشَرٌ لايَعْرِفُ ما تَوارَي عنهُ النّاسُ بِهِ منَ الأُمُورِ ولَيْسَتْ علىٰ الحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَاضُرُوبُ الصِّدْقِ منَالكَذِبِ.

وإنَّما أنْتَ أحَدُ رَجُلَيْنِ أمَّاإمْرؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بالبَذْلِ في الحَقِّ فَفِيم إحْتِجَابُكَ من وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ أوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ نُسْدِيهِ أوْ مُبْتَلَي بالمَنْعِ .فَما أَسْرعَ كَفَّ النّاسِ عن مَسأَلَتِكَ إذَا أَيِسُوا من بَذْلِكَ مَعَ أنَّ أَكْثَرَ حاجاتِ النّاسِ إلَيْكَ مِمَّا لا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ من شَكاةِ مَظْلِمَةٍ أوْطَلَبِ إنْصَافٍ في مُعَامَلَةٍ...

◁ اللغة

(أَحْرَاسِكَ) جمع حَرَس بالتّحريك من يحرس ويحفظ الحاكم من وصُول المكروه (شُرَطِك) الشُّرط بضّم الشّين وفتح الرّاء جمع شُرطَة ويقال لها بالفّارسية (پاسبان) (مُتَتَعْتِع) إسم فاعل من تعتّع كَتَصرف والتَّعتعه في الكلام التّردد فيه من عجزٍ وعيٍّ (تُقَدَّس) التّقديس التّطهير (الْخُرْقَ) بضَم الخاء العنف ضدّ الرّفق (الْعِيَّ) بكسر العين العجز عن النّطق (نَحِّ) فعل أمرٍ من نحّي يُنّحي كصّرف يُصرّف أي بَعِدّ (الأَنَفَ) مُحرّكة الإستنكاف والإستكبار (هَنِيئاً)أي سهلاً يسيراً (يَعي) فعل مضارع من عَيا أي يعجز (تَحْرَجُ) وزان تصَرف وفي بعض النّسخ تحرج بغير التّشديد من حرج يحرج اذا ضاق (أَجْزَلَ) أي أعظم (وَفِّ) فعل أمرٍ من وفّىٰ يُوفّىٰ نحو صَرفٍ يُصّرَف أي إجعله مستوفي (مَثْلُومٍ) أي مخدُوش (مُنَفِّراً) إسم فاعل من نَفّر وهكذا مُضّيعاً من ضَيّع أي لا تكن صلوتك موجبة لنفرة النّاس من حيث الإطالة ولا موجبة لتضييعها من

حيث النّقص في الأركان فأنّ خير الأمور أوسطها (**تَوَارَىٰ**) أي تغيب (**سِمَاتٌ**)بكسر السّين جمع سِمة وهي العَلامة (**سَخَتْ**) أي جادَت (**نُسْدِيهِ**) أي تُعطيه (**شَكَاةٍ**) بفتح الشّين شَكاية:

◁ **المعنىٰ**

(وأجْعَلْ **لِذَوِي الحَاجَاتِ**) من الرَّعِيَّة (**مِنكَ**) أي من نفسك وَوَقتَك (**قِسماً**)وسَهماً، (**تُفرِّغُ لِهُم فِيهِ شَخْصَكَ**) للنّظر في مظالمهم (**وتَجْلِسُ لهمْ مَجْلِساً عامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ**) في المجلس (**لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَكَ وتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وأَعْوَانَكَ**) أي مُرهم بالقعود وعنهم ولا يتعرضوا لهم (**مِنْ أحْرَاسِكَ وشُرطِكَ**)الّذِين يحفظونك عن وصول المكروه (**حتّىٰ يُكلّمَكَ مُتَكَلِّمُهُم**) أي مُتكلم المظلوم وذوي الحّاجة (**غيرَ مُتَتَعْتِع**) من غير عجزٍ وخوفٍ (**فأنّي سمعت رسُول اللّه** ﷺ **يقول في غير موطن**) وفي غير موضع (**لن تُقَدَّسَ**) أي لن تُطَهر عن الأرجاس (**أُمَّةٌ لا يُؤخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ منَ القَوِي غيرَ مُتَتَعْتِعٍ**) من غير عجزٍ وَوَحشة (**ثمَّ أجْتَمِلِ الْخُرْقَ**) والعُنف (**مِنْهُم والْعِيَّ**) (**الْعاجز عن النّطق** أي أصبر علىٰ ما تعدّه مكروهاً من كلماتهم (**ونَحِّ**) أي بَعِدّ (**عنْهُم الضِّيقَ**) أي ضيق الصّدر (**والأَنَفَ**) والإستكبار (**يَبْسُطِ اللّهُ علَيْكَ بِذَلِكَ**) الّذي فعلته بهم (**أكْنافَ رحْمَتِه**) وأطرافها (**ويُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طاعَتِهِ**) وآثارها (**وأعْطِ ما أعْطَيْتَ هنيئاً**) أي سهلاً يسيراً بلا مشقةٍ (**وأمْنَعْ في إجْمَالٍ وأعْذَارٍ**) أي اذا مَنَعت فَأمنَع بلطفٍ وتقديم عُذرٍ (**ثُمَّ**) بعد ما ذكرناه لك (**أُمُورٌ من أُمُورِكَ لابُدَّ لَكَ منْ مُباشَرَتِهَا**) بشخصك (**مِنها إجابَةُ عُمَّالكَ بمَا يَعَي**) ويعجز (**عنْهُ كُتَّابُكَ ومِنْهَا إصْدَارُ حاجاتِ النَّاس يَوْمَ وُرُودِهَا**) أي يوم ورود الحاجات (**عَلَيْكَ بِما تَحْرَجُ**) وتضيق (**بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِك**) فيُماطِلُون في قضائها (**وأمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ**) ولا تُؤخّر عَمَل اليوم الىٰ غدٍ (**فإنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ ما فِيهِ**) من الأعمال (**وأجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بِينَكَ وَبيْنَ اللّٰهِ أفْضَلَ تِلْكَ المَوَاقِيتِ**) لإستجابة دعواتك (**وأجْزَلَ تِلْكَ الأقْسَامِ**) وأعظمها، (**وإنْ كانَتْ**) الأقسام (**كُلُّها لِلّٰهِ إذا صَلَحَتْ**

فِيهَا النِّيَّةُ) أي في تلك المواقيت (وسَلِمَتْ مِنهَا الرَّعِيَّةُ) بالعَدل فيهم (ولْيَكُنْ في خاصَّةِ ما تُخَلِّصُ بِهِ لِللّهِ دِينَكَ إقامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتي هِيَ لهُ خاصَّةً) من الواجبات ولا تشرك فيها أحَداً مَعَه (فأعْطِ اللّهَ منْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ ونَهارِكَ) من الأعمال البدَنية (وَوَفِّ) أي أكمل وأتمم (ما قَرَّبتَ بِهِإلى اللّهِ من ذَلِكَ كامِلاً غَيرِ مَثْلُومٍ) أي غير مخدوش (ولا مَنْقُوصٍ) بالرّياء (بالِغاً من بَدَنِكَ ما بَلَغَ) أي وأن كان ذلك يُوجب التّعب فيه (وإذا أقَمْتَ في صَلاَتِكَ لِلنّاسِ) للإمامة (فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً ولا مُضَيِّعاً) بالإطالة والنّقص الفاحشين (فإنّ في النَّاس) أعني المأمومين (مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ) والمَرض (ولهُ الحَاجَةُ .وقد سألتُ رَسُولَ اللّهُ ﷺ حِيْنَ وَجَّهَني) وأرسلني (إلىٰ اليَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بهِمْ فَقالَ صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أضْعَفِهِمْ) كيفاً من جهة القُصر والطّول (وكُنْ بِالمُؤمِنين رَحِيماً) شفيقاً (وأمَّا بَعْدُ) مُراعاتك ما ذكرناه (فَلاَ تطَوِّلَنَّ احْتِجابِكَ) وغيبتك (عن رَعِيَّتِكَ فإنَّ إحتجاب الولاة عن الرّعية شعبة من الضّيق عليهم (وقِلَّةُ عِلْمٍ بالأُمُورِ) أي قِلّة علم الوالي بها لعدم وصول الأخبار اليه (والإحْتِجَابُ مِنْهُمْ) من الرَّعِيَّة (يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَما احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرَ عِنْدَهُمُ الكَبيرُ ويَعْظُمُ الصَّغيرُ ويَقْبُحُ الحَسَنُ ويَحْسُنُ القَبِيحُ ويُشابُ) ويخلط (الحَقُّ بالبَاطِلِ) كلّ ذلك لإحتجاب الوَالِي عنهم وذلك (فأنّ الوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ ما تَوَارَي) وتغيب (عنهُ النَّاسُ بِهِ منَ الأُمُورِ ولَيْسَتْ علىٰ الحَقِّ سِمَاتٌ وعلامات (تُعْرَفُ ضُرُوبُ الصِّدْقِ) وأقسامه (منَ الكَذِبِ) وأقسامه (وإنَّما أنْتَ أحَدَ رَجُلَينِ إمَّا امْرؤٌ سَخَتْ) وجادت (نَفْسَك بالبَذْلِ) والعَطاء (في الحَقِّ) لا في الباطل (فَفِيمَ احْتِجَابُكَ) عنهم اذا لا مُجَوز له (من وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ أوْ فِعْلٍ كَرِيم تُسْدِيهِ وتفعله (أَوْ مُبْتَلَي بالمَنْعِ) حيث لا يجوز الإتيان به (فَما أَسْرَعَ كَفَّ النّاسِ ومنعهم نفوسهم (عنْ مَسْأَلَتِكَ) في حاجاتهم (إذَا أيِسُوا) وحُرِموا (من بَذْلِكَ) وجُودك (مَعَ أَنَّ أكْثَرَ حاجاتِ النّاسِ إلَيْكَ مِمَّا لا مَؤنَةَ فِيهِ عَلَيْكَ من شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ أوْ طَلَبِ إنْصَافٍ في مُعَامَلَةٍ) أي أنّ الإجابة لك في هذه الأمور سَهلٌ عليك بلا مشّقة وكُلفَة:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: **واجْعَلْ لِذَوِي الحَاجَاتِ مِنكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لهمْ فِيهِ شَخْصَكَ وتَجْلِسُ لهمْ مَجْلِساً لهمْ عامّاً، فَتَتَواضَعُ فِيهِ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَكَ...**

أيِ قسّم أوقاتك في اللّيل والنّهار لِلعبادة وقضاء حوائج النّاس وإجعل لأرباب الحوائج من النّاس سَهماً فيها تتّفرغ لهم فيه شخصك لِلنّظر في مظالمهم وحوائجهم وتجلس لهم أي لذوي الحاجات مجلساً عامّاً يشترك فيه جميع الطَّبقات من الوضيع والشّريف والعالم والجاهل والظّالم والمظلوم فتَتَواضع فيه لِلّه الّذي خَلقَك ولا تَتَّكبر فيه فأنّ مَن تَواضع لِلّه رَفعه اللّه ومَن تكبّر خَذَله اللّه مضافاً الىٰ أنّ تكبّر الوالي في المجلس يمنَع النّاس عن عَرض الحاجات عليه وهو مناف للغَرض الّذي وُضع المجلس له وفي قوله خلقك إشارة الىٰ دقيقةٍ وهي أنّك مخلوق لِلّه تعالىٰ وكلّ مخلوقٍ عاجز ضعيف مقهور تحت قهره وقُدرته مسئولٌ عمّا يفعل ويقول ولا سيّما الوالي الّذي جَعَل اللّه أُمور النّاس اليه وأمرَه بالعَدل فيهم والإنصاف لهم:

▫ قوله ﷺ: **وتَقَعَّدُ عَنْهُم جُنْدَكَ وأعْوَانَكَ مِنْ أحْرَاسِكَ وشُرَطِكَ حتّىٰ يُكلِّمَكَ مُتَكلِّمُهُم غيرَ مُتَتَعْتِعٍ فإنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ في غيرِ مَوْطِنٍ لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤخَذَ لِلضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ منَ القَوِيِّ غيرَ مُتَتَعْتِعٍ...**

تُقعّد بضّم التّاء فعل مضارع من أقعَد يُقعد والمصدر منه الإقعاد ومعناه الأمر بالقُعود والمعنىٰ مُر جُنْدَكَ وأعْوَانَكَ من الأحراس والشُّرط بالقُعود من أهل المجلس وهو كناية عن عدم التّعرض لهم حتّىٰ (**يُكلِّمَكَ مُتَكلِّمُهُم غير مُتَتَعْتِعٍ**)أي غير حاجزٍ ولا متّردد في كلامه من جهة الخوف من أعْوَانَكَ فأنّ التَّعتعة في الكلام التّردد من عجزٍ فهو أعني التّردد فيه من لوازم العَجز والخوف نذكر اللاّزم وأراد الملزوم ثمّ استدل ﷺ في كلامه بما سَمعه من رسُول اللّه ﷺ حيث قال في مواطن كثيرة (**لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ**)أي لا تُطّهر اللّه أُمّة لا يؤخذ لِلضّعيف فيها حقه أي لا يؤخذ فيها حقّ الضّعيف من القوّي غيرَ

مُتَتَعْتِع ،والوَجه فيه معلوم فأنّ الضَعيف اذا لم يقدر علىٰ عَرَض حاجته لَخوفٍ وَوَحشة من الحُرّاس أو لعدم التّوجه اليه فهو يكون مظلوماً دائماً والظّالم ظالم كذلك والمُلك يبقىٰ مع الكُفر ولا يبقىٰ مع الظّلم:

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ إحتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُم والعِيّ ونَحِّ عَنْهُمْ الضّيقَ والأَنِفَ...**

قد قلنا في شرح اللّغات الخُرق بضّم الخاء العُنف ضدّ الرّفق وأمّا العَيّ فأن كان بكسر العين فهو العجز عن الكلام في بيان المراد وأن كان بفتح العين فهو عدم القُدرة علىٰ النُّطق في الإهتداء الىٰ المراد هكذا قالوا والحقّ أنّ العِيّ بالكسر العجز عنه لمحصرٍ كالحبس والخوف وبالفتح العَجز عنه بحسب الخِلقة وكيف كان أمَره ﷺ بإحتمال هذين الصنّفين من النّاس في إستِماع كلامهم وأراد بإحتماله عدم إنضجاره وغضبه بسبب الإستِماع ثُمّ قال ﷺ له **ونَحِّ عنْهُمْ** أي بَعدّ عنهمْ الضّيقَ والأَنِف والمراد بالأوّل ضيق الصّدر بسُوء الخِلق وبالثّاني الإستنكاف والإستكبار أي لا تكن سيّئ الخلق معهم ولا متكبراً فخوراً بأن لا تعتني بهم وبكلامهم وذلك لأنّ سُوء الخلق يوجب النّفرة لقوله تعالىٰ مُخاطباً لنّبيه: **﴿لَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾** (١)

و : **﴿إِنَّهُ لاَيُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾** (٢)

و : **﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً﴾** (٣) وقد مرّ الكلام في ذمّ التّكبر:

▫ **قوله ﷺ: يَبْسُطِ اللّٰهُ علَيْكَ بِذَلِكَ أكْنافَ رَحْمَتِهِ ويُوجِبْ لَكَ ثَوابَ طاعَتِهِ...**

أي إن كنت كذلك يَبْسُطِ اللّٰهُ ويُوسّع عليك أكناف رحمته وأطرافها ويُوجب لك ثواب طاعته وآثارها فأنّ رحمته قريب من المُحسنين وثوابه شامل للمُطيعين:

▫ **قوله ﷺ: وأَعْطِ ما أعطَيْتَ هَنيئاً وأمْنَعْ في إجْمَالٍ وإعْذَارٍ...**

١- آل عمران ـ ١٥٩
٢- النّحل ـ ٢٣
٣- الفرقان ـ ٢١

أي وليَكُن إعطاؤك سَهلاً فلا تخشنه بإستكثاره والمَن به لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ (١)

وإذا مَنَعت فأمنع بلطفٍ وتقديم عُذرٍ فقد روىٰ أنّه وفد أعرابي بالمدينة فَسَأل من أكرم النّاس هنا فقيل الحُسين بن على عليه السلام فدخل المسَجد فوَجده مصَلياً فوقف بأزائه وأنشأ يقول:

لم يخبَ الآن من رَجاك ومن   حَرَّك من دُون بابك الحَلَقة
أنت جواد وأنت معتمدُ   أبوك قد كان قاتل الفَسَقَة
لولا الّذي كان من أوائلكم   كانت علينا الجحيم منطبقة

قال فسَلم الحُسين وقال يا قنبر هل بقىٰ من مال الحجاز شئ قال نعم أربعة آلاف دينار فقال هاتها قد جاءها من هو أحقّ بها منّا ثمّ نزع بَرديه ولفّ الدّنانير فيها وأخرج يده من شقّ الباب حياءاً من الأعرابي وأنشأ:

خُذها فانّي اليك معتذرٌ   وأعلم بأنّي عليك ذو شفقَة
لو كان في سيرنا الغَداة عَصاً   أمَست سمانا عليك مندفِقة
لكن رَيبَ الزّمان ذو غيرٍ   والكَفّ مِنّي قليلةُ النّفقَة

قال فأخذها الأعرابي وبكىٰ فقال له الحُسين عليه السلام لعلّك إستَقللت ما أعطيناك قال لا ولكن كيف يأكل التّراب جُودك وهذه الرّواية مرّوية عن الحسن بن علّي أيضاً وقال الحُسين عليه السلام:

اذا جادَت الدّنيا عليك فَجُد بها   علىٰ النّاس طُرّاً قبل أن تتَفلت
فلا الجُود يُفنيها اذا هي أقبلت   ولا البُخل يُبقيها اذا ما تولّت

□ **قوله عليه السلام: ثُمَّ أُمُورٌ منْ أُمُورِكَ لابُدَّلَكَ من مُباشَرَتها مِنها إجابَةُ عُمّالكَ بمَا يَعي عَنْهُ كُتّابُكَ ومِنهَا إصْدَارُ حاجاتِ النَّاس يَوْمَ وُرُودِهَا عَليكَ بمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أعْوَانِكَ...**

أي أنّ بعض الأمور لابُدَّ لَكَ من مُباشَرته وتصّديه بشخصك ولا يمكن

١- المّدثر-٩

لغيرك الإتيان به منه إجابة العُمّال بما يَعي ويُعجز عنه كتّابك ففي هذا المورد يجب عليك إجابتهم، ومنه إصدار حاجات النّاس وقضائها يوم ورُودها عليك بما تحرج وتضيق به صدور أعوانك وأبصارك إمّا لكثرتها أو لصعُوبتها والمراد بتضييق صدورهم مماطلتهم في قضائها إستجلاباً للمنفعة أو إظهاراً للجَبَروت وكيف كان يجب على شخص الوالي أن لا يُعجل في قضائها:

▫ قوله ﷺ: **وأمْضِ لِكُلِّ يوْمٍ عَمَلَهُ فإنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ ما فِيهِ...**

أي لا تؤخرّ عَمَل اليوم الى غدٍ وذلك لأنّ في التّأخير آفات ومن المُحتمل عدم قدرتك على الإتيان به بعد اليوم وهو يوجب النّدم والضّرر في الدّنيا والآخرة:

▫ قوله ﷺ: **وأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيما بَينَكَ وبَيْنَ اللّهِ أفْضَلَ تِلْكَ المَوَاقِيتِ وأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ وإنْ كانَتْ كُلُّها لِلّهِ إذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وسَلِمَتْ مِنهَا الرَّعِيَّةُ ...**

والمقصود من هذا الكلام أنّك لا تجعل أوقاتك كلّها للأمور الدّنيويّة بل أجعل نفسك فيما بينك وبين اللّه للعبادة والتّوجه اليه أفضل تلك المواقيت وأعظم تلك الأقسام وأن كانت الأوقات كلّها لِلّه تعالى (إذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وسَلِمَتْ مِنهَا الرَّعِيَّةُ)عن الظّلم والتّعدي فأنّ إجراء العَدل فيهم من أحسن العبادات وأفضلها ولكن مع ذلك كلّه ينبغي لِلعبد أن يختّص لنفسه أوقاتاً وساعاتاً للعّبادة والخَلوة فأنّ الإستعانة في جميع الأمور عنه والإستمداد بحوله وقوّته فأنّه تعالى اذا أراد بِعَبدٍ خيراً هيّأ له أسبابه .

▫ قوله ﷺ: **ولْيَكُنْ في خاصَّةِ ما تُخَلِصُ بهِ لِلّهِ دِينَكَ إقامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتي هِيَ لهُ خاصَّةَ فأعْطَ اللّهَ منْ بَدَنِكَ في لَيْلِكَ ونَهارِكَ وَوَفِّ ما قَرَّبَتْ بِهِ إلى اللّهِ من ذَلِكَ كامِلاً غَيرَ مَثْلُومٍ ولا مَنْقُوصٍ بالِغاً من بَدَنِكَ...**

أي ينبغي أن تكون الفرائض الإلهية والإتيان بها من أهمّ الأمور عندك وأخصّها لديك فأعط اللّه من بدنك في ليلك ونهارك ما هو حقّه من العبادات والعَمَل بالخيرات وَوفِّ أي كُن وافياً ما قرّبت به الى اللّه من ذلك كاملاً غير

مثلُوم ولا منقُوصٍ فلا تنقص من الأعمال شيئاً، كمّاً وكَيفاً بالغاً من بَدَنك ما بَلَغ أي وأن كان العَمَل يُوجب إتعاب البَدَن فأنّ أداء الوظيفة ممّا يجب علىٰ العَبد ولا عُذر له فيه اذا كان قادراً عليه:

□ قوله عليه السلام: **وإذا أقَمْتَ في صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً ولا مُضَيِّعاً فإنّ في النّاس مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ ولهُ الحَاجَةُ وقد سألْتُ رَسُول اللّهُ صلى الله عليه وآله حِينَ وَجَّهَني إلىٰ اليَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أضْعَفِهِمْ وكُنْ بالمُؤْمِنينَ رَحِيماً ...**

أي اذا كُنتَ إماماً في الصّلٰوة فَصِلّ بهم صلٰوة لا تكون مُنفِرة ولا مُضيّعة بالطّول والقصر المُفرَطين وذلك لأنّ الإطالة فيها تُوجب ملالة المأموم ونفرتّه كما أنّ قصرها يوجب تضييعها اذا كانا أي الطّول والقِصر متجاوزين عن حدّ الإعتدال وخير الأمور أوسطها ثمّ علّل الحُكم بأنّ في النّاس مَن به العِلّة والمَرض والحاجة فأنّ المريض لا يقدر والمحتاج لا يصبر فاذا كانت صلٰوة الإمام خارجة عن حدّ الإعتدال طويلاً تُوجب تَنَفير النّاس عنها في صورة الجماعة بل يُصَلُّون علىٰ سبيل الإنفراد واذا كانت الصّلٰوة متجاوزة عن حدّ الإعتدال قصراً فلا يكون ركوعها ركوعاً ولا سجودها سجُوداً وهكذا ولا نعني بتضييع الصّلٰوة إلّا هذا وإستدل عليه السلام علىٰ إثبات الحكم بالعقل والنّقل أمّا العقل فقد مرّ الكلام فيه وأمّا النّقل فلّما رواه عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله حيث قال له صِلّ بهم كصَلٰوة أَضعَفهم أي أضعَف المأمومين وهذا معنىٰ قولهم الإمام يتبع أضعَف المأمومين في الصّلٰوة وقوله صلى الله عليه وآله وكُن بالمؤمنين رَحيماً إشارة الىٰ أنّ الإسلام دين الرّأفة والرّحمة ومن المعلوم أنّ الرّحم علىٰ المأموم الضّعيف يوجب مراعاة الإعتدال في الصّلٰوة:

فقد روىٰ في الحدائق عن الشّيخ والصّدوق عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال ينبغي للإمام أن تكون صلٰوته علىٰ صلٰوة أضعَف مَن خَلفه:

وأيضاً بأسناده عن علّي عليه السلام قال آخر ما فارقت عليه حبيب قلبي أنّه قال يا علّي اذا صلّيت فَصِلّ صلوة أضعَف من خَلفك الحديث.

وأيضاً عن عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال صلّىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله الظّهر والعَصر فَخَفّف الصّلٰوة في الرّكعتين الأخيرتين فلمّا إنصرف قال له النّاس يا رسول اللّه أَحَدث في الصّلٰوة شيٌ قال وما ذاك قالوا خففتَ في الرّكعتين الأخيرتين فقال لهم أَما سمعتم صراخ الصّبي، ورواه في كتاب عدّة الدّاعي ثمّ قال وفي حديث آخر خَشيت أن يشتغل به خاطر أبيه انتهىٰ وعن كتاب الفقيه كان معاذ يَؤّم في مسجد علىٰ عهد رسول اللّه ويَطيل القراءة فأنّه مَرّ به رجل فَأَفتَتَح سُورة طويلة فقرأ الرّجل لنفسه وصَلىٰ ثمّ ركب راحلته فبلغ ذلك النّبي فَبَعَث الىٰ معاذ وقال يا معاذ أيّاك أن تكون فتّاناً عليك بالشّمس وضُحيها وذواتها انتهىٰ.

وقال في كتاب الفقه الرّضوي واذا صلّيت فَخَفِف بهم الصّلٰوة واذا كُنت وحده فَثَقل فأنّها العبادة:

وقال في الذّكرىٰ يستّحب للإمام تخفيف الصّلٰوة والإقتصار علىٰ السُّور القَصار والتّسبيح في الرّكوع والسّجود ثلاثاً لا أَزيد ثمّ نقل رواية إسحاق بن عمّار المُتَقدم ثمّ قال ولو أَحَسَّ بشغلٍ لبعض المأمومين إستّحب التّخفيف أزيد من ذلك:

قال صاحب الحدائق بعد نقله ما ذكرناه ما لفظه وبالجملة فالحكم المذكور إتّفاقيٌ نصّاً وفَتوىً وإستثنىٰ بعض الأصحاب من ذلك ما اذا عُلم منهم حُبَّ التّطويل ولا بأس به لأنّ الظّاهَر من الأخبار هو مراعاة حالهم في الإستعجال لأغراضهم وحوائجهم وأمراضهم فاذا أحبّوا ذلك فلا مُنافاة فيه انتهىٰ:

▫ **قوله عليه السلام: وأَمَّا بَعْدُ فَلاَ تَطَوَّلَنَّ احْتِجابِكَ عن رَعِيَّتِكَ فإنَّ احْتِجَابَ الوُلاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعبَةٌ من الضِّيقِ وقِلَّةُ عِلْمٍ بالأُمُورِ...**

أنّما قال عليه السلام: **فَلاَ تَطَوِّلَنَّ احْتِجَابِكَ عن رَعِيَّتِك** ولم يقل فلا تَحتَجب عنهم لأنّ أصل الإحتجاب مِمّا لابدّ منه للوالي لأنّه لو لم يَحتَجب عنهم أصلاً فهو تعيير كأحدهم فلا ينظرون اليه بنظر الرّعِيّة الىٰ الوالي ولازم ذلك كَسر موقعه

عندهم فلا يقدر على إجراء المعروف وإمحاء الباطل وغير ذلك من المحاذير وأنّما البحث في طُول الإحتجاب وقصره فقوله عليه السلام إشارة الى أنّ الإحتجاب عن الرّعية اذا كان طويلاً خارجاً عن العادة والإعتدال فهو مذمُوم عقلاً لكُونه مُوجباً لحدوث أمرين:

أحدهما: أنّه شُعبة من الضّيق على الرّعية وذلك لعدم قُدرتهم على عرض حاجاتهم لأنّ المفروض إحتجابه عنهم وأنّما قال عليه السلام أنّه شُعبَةٌ مِن الضّيقِ ولم يقل هو هو بعينه لأنّ الضّيق لا ينحصر به بل له مصاديق كثيرة مختلفة هو أحدها:

وثانيهما: يلزم منه أن يكون الوالي قليل العلم بالأمور الجارية الحادثة في المَملكة ولا شكّ أنّ قلّة علمه بالحوادث الجارية مَنشأ الآفات ومَصدر البَليات والنّكبات والسّر فيه أنّ الخواص من أقرباء الوالي يكتمون عنه الحقائق والواقعيات اذ في كتمانها عنه بقاء حكومتهم على النّاس كما أنّ في إظهارها زوال حكومتهم وظهور فضيحتهم وإحتمال عزلهم عمّا هم فيه فاذا كان الأمر على هذا المِنوال والمَفروض إحتجابه عن الرّعية فَمَن أَينَ يجعل له العلم بالأمور فلا محالة يكون في غَفلةٍ عنها، والضّيق اذا إنّضم الى غفلة يُوجِب الإنفجار في الجامعة كما وقع ذلك في حكومة عثمان وَمَن بعده الى يومنا هذا:

□ **قوله** عليه السلام: **والإحْتِجَابُ عِنهم يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ ما احْتَجَبُوه دُونَهُ فَيَصْغُرَ عِنْدَهُمُ الكَبيرُ ويَعْظُمُ الصَّغيرُ ويَقْبُحُ الحَسَنُ ويُحْسُنُ القَبِيحُ ويُشابُ الحَقُّ بالبَاطِلِ...**

فرّع عليه السلام على طول الإحتجاب أُموراً ثلاثة مُهلِكَة:

أحدها: أنّ الإحْتِجَابَ عن الرَّعِيَّةِ يَقْطَعُ عَنْهُمْ أي عن الوُلاة علم ما إحتجبُوه دُونَه لعدم علمهم بالمَغيبات ولازم ذلك صيرورة الصّغير عندهم كبيراً والكَبير صغيراً وأن شئت قلت يصير قليل الذّنب عندهم كثيرة وكثيرة قليلة فالمُذنب بالذّنب القليل يعاقب بعقاب الكثير والمُذنب بالكثير يُعاقب بالقليل وهذا هو الظّلم المُوجب لِخرُوج الرّعية عن الإطاعة:

وثانيها: أنّه يُوجب أن يكون القبيح عند الوالي حَسَناً والحَسَن قبيحاً وهو أيضاً مِمّا لا شّك فيه لأنّ المفروض أنّه لا تعلم بحقيقة الأمر واذا كان كذلك فتنقلب الأمور بل الأشخاص عنده فيُعدّ المُحسن في هـذه الحكـومة مُسيئاً والمُسيئ مُحسِناً والمعروف مُنكَراً والمُنكّر مَعروفاً وهذا بخلاف ما اذا كـان الوالي ناظراً في الأمور عالماً بَمَواقع الأشخاص خَبيراً بالحَوادث الجارية فأنّه ينظر اليها بعين البَصيرة ويرىٰ كلّ شيئ في محلّه ومَوقعه:

وثالثها: أنّ الحقّ يشوب ويَخلط بالباطل ولا يُمكن له التّمييز بينهما ومَنشأ الكُلّ إحتجابه عن النّاس وغفلته عـن الأمـور ونـتيجة ذلك خسـران الدّنـيا والآخرة وذلك هو الخسران المُبين:

▫ قوله عليه السلام: **وإنَّما الوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ ما تَوَارِي عنهُ النَّاسُ بهِ منَ الأُمُورِ ولَيسَتْ علىٰ الحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ منَ الكَذِبِ...**

السِمات بكسر السّين جمع سِمة وهي العَلامة وكلمة أنّـما تـفيد الحـصر والمعنىٰ أنّ (الوَالِي بَشَـرٌ لا يَـعْرِفُ مـا تَـوَارِي وتـغيب عـنهُ النَّـاسُ بـهِ مـنَ الأُمُورِ)وذلك لأنّ علم الوالي وغيره من أفراد البَشَر تحصيلي كَسْبي وطـريق حِصوله وكسبه من المحسُوسات والمفروض إحتجابه عـنها ولَـيسَت عـلىٰ الحقّ سِمة وعلامة تعرف ضرُوب الصّدق والكِذب بها ثمّ يتّميز بينهما ألا ترىٰ أنّ الحقّ والباطل قد يَشتبه أحدهما بالآخر بحيث لا يمكن الفرق بينهما :

▫ قوله عليه السلام: **وإنَّما أنْتَ أَحَدُ رَجُلَينِ إمَّاامْرؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بالبَذْلِ في الحَقّ فَفِيمَ إحْتِجَابُكَ من وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ أوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ أوْ مُبْتَليً بالمَنْعِ...**

أي لا يخلُو حالك عن أحَدُ الأمرين أمّا أنت إمرؤٌ سَخَت وجادت نفسك بالبَذل والجُود في طريق الحَقّ فَفِيم إحتجابك أي في أيّ شيئٍ إحتجابك من أعطاء حقٍّ واجبٍ عليك أو إعطاء فعل كريم ينبغي لك والمفروض أنّك تبذُل في الحقّ، وأمّا أنت امرؤ مبتلي بالمَنع عن البَذل والجُود ففي هذه الصّورة أيضاً لا مُجّوز لإحتجابك عنهم لأنّ النّاس اذا آيسُوا مِن بَذلك وعلموا أنّك بخيل لا

يسئلونك قطعاً هذا مع أنّ أكثر حاجات النّاس اليك ممّا لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة ولا ربط لها بالدّرهم والدّينار ومحّصل الكلام في هذا المقام هو أنّ حاجات النّاس على قسمين:

أحدهما: ما يرتبط بالأمور الماليّة كما اذا كان السّائل فقيراً محتاجاً،

وثانيهما: ما يرتبط بغيرها من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة وذلك فيما لا يكون السّائل فقيراً محتاجاً وأنّما يكون غَرضه رفع الظّلم عنه، والإحتجاب عن الرّعية على كلا التّقديرين لا معنىٰ له أمّا على الثّاني فمعلوم اذ لا مؤونة فيه على الوالي توجب إحتجابه وأمّا على الأوّل فَهو أيضاً غير معقول لأنّ الوالي أمّا أن يكون جواداً أو بَخيلاً والجَواد لا يحتجب والبَخيل لا يَسئل فلا معنىٰ لإختفائهما وإحتجابهما:

الفصل السّابع

▫ قوله عليه السلام: **ثُمَّ أنَّ لِلْوَالِي خاصَّةً وبِطَانَةً فِيهِم اسْتِئثَارٌ وتَطَاوُلٌ وقِلَّةُ إنْصَاف في مُعامَلَةٍ فأحْسِمْ مادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ ولا تُقْطَعَنَّ لِأَحَدٍ من حاشِيَتِكَ وحامَّتِكَ قَطِيعَةً ولا يَطْمَعنَّ مِنكَ في إعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بمَنْ يَلِيها منَ النَّاسِ في شِرْبٍ أوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ علىٰ غيرِهِم فيكُونَ مَهنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وعَيبُهُ عَلَيْكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ:**

وأَلْزِمِ الحقَّ مَنْ لَزِمَهُ منَ القَرِيبِ والبَعِيدِ وكُنْ في ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً واقِعاً ذلِكَ منْ قَرَابَتِكَ وخاصَّتِكَ حَيْثُ وُقَعَ .وأبتَغِ عاقِبَتَهُ بما يَثْقُلُ عليكَ مِنْهُ فإنّ مَغَبَّةَ ذلكَ محْمُودَةٌ.

وإن ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فأصْحِرْ لهمْ بِعَذْرِكَ وأعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بإِصْحَارِكَ فإنَّ في ذَلَكَ رِياضَةً مِنْكَ لِنَفْسَكَ ورِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ وإعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حاجَتَكَ منْ تَقْوِيهِمْ علىٰ الحَقِّ.

ولا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إليهِ عِدُوُّكَ ولِلّه فيه رِضًى فإنَّ في الصُّلحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ ورَاحَةً منْ هُمُومِكَ وأمْناً لِبلاَدِكَ. ولكِنِ الحَذَرَ كلَّ الحَذَرِ منْ عدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِه فإنَّ الْعَدُوَّ رُبَّما قارَبَ لِيَتغفَّلَ فَخُذْ بالحَزْمِ واتَّهِمْ في ذلكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وإنْ عَقَدْتَ بيْنَكَ وبينَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أوْ ألْبستَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بالوَفاءِ وارْعَ ذِمَّتَكَ بالأمانَةِ واجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أعْطَيْتَ فإنَّهُ لَيْسَ منْ فَرَائِضِ اللّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أشدُّ عليْهِ إجتِماعاً مَعَ تَفَرُّقِ أهْوَائِهِمْ وتَشَتُّتِ آرائِهِمْ منْ تَعْظِيمِ الوَفاءِ بالعُهُودِ وقدْ لَزِمَ ذلكَ المشْرِكُونَ فِيما بَيْنَهم دُونَ المُسْلِمينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمتِكَ ولا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ ولا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ فإنَّهُ لا يَجتَرِيُّ علىٰ اللّهِ إلَّا جاهِلٌ شَقِيٌّ وقدْ جَعَلَ اللّهُ عَهْدَهُ وذِمَّتَهُ أمناً أفْضَاهُ بينَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وحَرِيماً يَسكُنُونَ إلىٰ مَنَعَتِه ويَسْتَفِيضُونَ إلىٰ جِوَارِهِ فَلاَ إدْغالَ ولا مُدَالَسَةَ ولا خِدَاعَ فيهِ. ولا تَعْقِدْ عَقْداً تُجوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ ولا تُعَوِّلَنَّ علىٰ لَحنِ قَولٍ بَعْدَ التَّأكِيدِ والتَّوثِقَةِ ولا يَدْعُونَّكَ ضِيقُ أمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللّهِ إلىٰ طَلَبِ إنْفِسَاخِهِ بِغَيرِ الحَقِّ فإن صَبْرَكَ علىٰ ضِيقِ أمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وفَضْلَ عاقِبَتِهِ خيرٌ من غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وأنْ تُحِيطَ بِكَ منَ اللّهِ فِيهِ طِلْبَتهُ فَلاَ تَستَقِيلَ فِيها دُنْيَاكَ ولا آخِرَتَكَ.

أيَّاكَ والدِّماءَ وسَفْكَها بِغَيرِ حِلِّها فإنّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أدْنىٰ لِنِقْمَةٍ ولا أعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ولا أحْرَىٰ بِزَوالِ نِعمَةٍ وانْقِطَاعِ مُدَّةٍ منْ سَفْكِ الدِّماءِ بِغيرِ حَقِّها واللّهُ سُبْحانَهُ مُبْتَدِئٌ بالحُكْمِ بيْنَ الْعِبَادِ فِيما تَسافكُوا منَ الدماءِ يَوْمَ الْقِيامةِ فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلطانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فإنَّ ذلكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ ويُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ ويَنْقُلُهُ ولا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللّهِ ولاَ عِنْدِي فيِ قَتْلِ العَمْدِ لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ البَدَنِ وإن ابْتُليتَ بخطَأٍ وأفْرَطَ عليكَ سَوْطُكَ أوْ سَيْفُكَ أوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ فإنَّ في الوَكْزَةِ فَما فَوْقَها مَقْتَلَةً فَلاَ تَطْمَحنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطانِكَ عَنْ أنْ تُؤَدِّيَ إلىٰ أوْلِياءِ الأُمورِ حَقَّهُمْ.

وأيَّاكَ والإعْجَابَ بِنَفسِكَ والثِّقَةِ بِمَا يُعْجِبُكَ منها وحُبَّ الإطْرَاءِ فإنَّ ذلِكَ من أوْثَقِ فُرَصِ الشَّيطانِ في نَفسِهِ لِيَمْحَقَ ما يَكُونُ منْ إحسَانِ المُحسِنِينَ.

وإيَّاكَ والمَنَّ علىٰ رَعيَّتِكَ بإحسَانِك أوْ التَّزَيُّدَفِيما كانَ منْ فِعْلِكَ أوْ أنْ تَعدهُمْ فتتبعَ مَوْعدكَ بِخُلْفِكَ فإنَّ المَنَّ يُبْطِلُ الإحسَانَ والتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بنُورِ الحَقِّ والْخُلْفَ يُوجِبُ المَقْتَ عِنْدَ اللّهِ والنَّاسِ قالَ اللّٰهُ تعالىٰ:(كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أنْ تَقُولُوا ما لاَ تَفْعَلُونَ.

وأيّاكَ والعَجلَةَ بالأُمُورِ قَبْلَ أوْانِها أوالتَّستقُّطَ فِيها عنْدَ إمكانِها أوِ اللَّجَاجَةَ فِيها إذا تَنَكَّرَتْ أوِ الوَهْنَ عنْها إذا استَوْضَحَتْ .فَضَعْ كُلَّ أمْرٍ مَوْضِعَهُ وأوْقعْ كُلَّ أمْرٍ مَوْقِعَهُ .

وأيَّاكَ والإستِئثارِ بمَا النّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ والتَّغابيَ عمَّا يعْنَي بهِ مِمَّا قدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فإنَّهُ مَأخُوذٌ مِنْكَ لِغَيرِكَ .وعمَّا قليلٍ تنْكَشِفُ عنْكَ أغْطِيَةُ الأُمُورِ ويُنْتصَفُ مِنكَ لِلْمَظْلُوم إمْلِكَ حَمِيَّةُ أنْفِكَ وسَوْرَةَ حَدِّكَ وسَطْوَةَ يَدِكَ وغَرْبَ لِسَانِكَ واحْتَرِسْ من كلِّ ذَلكَ بِكَفِّ الْبادِرَةِ وتأخِيرِ السَّطْوَةِ حتّىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الإخْتِيارَ ولَنْ تَحْكُمَ ذلِكَ من نَفْسِكَ حتّىٰ تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ المَعادِ إلىٰ رَبِّكَ.

والْوَاجِبُ عليكَ أنْ تتذَكَّرَ ما مَضَىٰ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ منْ حُكُومَةٍ عادِلَةٍ أوْ سُنَّةٍ فاضِلَةٍ أوْ أثَرٍ عَنْ نَبِيِّنا ﷺ أوْ فَرِيضَةٍ في كِتابِ اللّهِ فَتَقْتَدِيَ بما شَاهَدْتَ مِمَّا عمِلْنا بهِ فِيها .وتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ في إتِّباعِ ما عَهِدْتُ إلَيْكَ في عهْدِي هذَا واسْتَوْثَقْتُ بهِ منَ الحُجَّةِ لِنَفْسِي عليْكَ لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عَنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إلىٰ هَوَاهَا وَأنا أسألُ اللّٰهَ بِسعةَ رَحْمَتِه وَعظِيمِ قُدْرَتِه علىٰ إعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أنْ يُوَفِّقَني وإيّاكَ لِمَا فِيهِ رِضاهُ منَ الإقامَةِ علىٰ الْعُذْرِ

والوَاضِحِ إلَيْهِ وإلىٰ خَلْقِهِ مَعَ حُسْنِ الثَّاءِ في الْعِبَادِ وجَمِيلِ الأَثَرِ في الْبَلاَدِ وتَمام النِّعْمَةِ وتَضْعِيفِ الكَرامةِ وأنْ يَخْتِمَ لِي ولَكَ بالسَّعَادَةِ والشَّهادَةِ إنَّا إلَيْهِ راجعون والسّلام علىٰ رَسُولِ اللّهِ صلّىٰ اللّٰهُ عَلَيهِ وآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرِينَ وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثيراً والسَّلاَم...

◁ اللّغة

(فأَحْسِمْ) فعل أمرٍ من حَسم يحسم والمصدر منه الحَسم وهو القطع أي إقطع (حامَّتِكَ) الحامّة بتشديد الميم الخاصّة والقرابة (قَطِيعَةٌ) الإقطاع المفحة من الأرض والقطيعة المَمنُوع منها (مَهْنأُ) بفتح الميم وسكون الهاء المَنفَعة (مَغَبَّةَ) بفتح الميم والغين والباء المشّددة علىٰ وزن محبّة، العاقبة (فأَصْحِرْ) أي أبرز وأظهر (دَعَةً) الدّعة محركّة الرّاحة (أَسْتَوْبَلُوا) أي وجدوه وَبيلَة مُهلكَة (لا تَخِيسَنَّ) أي لا تَنقضنّ (ولا تَخْتِلَنَّ) الخَتل الخداع (مَنَعَتِه) مُحركّة ما تمتنع به من القُوّة (يَسْتَفِيضُونَ) أي يفزعون اليه بسُرعةٍ (إِدْغالَ) الإدْغال الإفساد (ولا مُدَالَسَةَ) أي خيانة (قَوَدَ البَدَنِ) القَود محركّة القصاص (أَفْرَطَ) أي عَجّل (الوَكْزَةِ) بفتح الواو وسكون الكاف وفتح الزّاء بعده الضّربة بجمع الكّف (تَطْمَحَنَّ) من طمح يَطمح اذا إرتفع أي لا يرتفعنّ (الإِطْرَاءِ) المُبالغة في الثّناء (فُرَصِ) بضّم الفاء وفتح الرّاء جمع فُرصة (التَّزَيُّدَ) مصدر باب التّفعل وهو إظهار الزّيادة في الأعمال (المَقْتَ) البُغض والسّخط (التَّغابِيَ) التّغافل (حَمِيَّةَ أَنْفِكَ) يُقال فلان حمّي الأنف اذا كان أبياً يأنف الضّيم أي أملِك نفسك عند الغَضب (سَوْرَةَ) بفتح السين وسكون الواو الحِدّة (حَدِّكَ) الحدّ بفتح الحاء البأس (غَرْبَ) غَرب اللّسان حدّه تشبيهاً له بحِدّة السّيف ونحوه (الْبادِرَةِ) ما يبدر من اللّسان عند الغضب:

◁ المعنىٰ

(ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي) في إدارة الأمور (خاصَّةً وبِطَانَةً) من أقربائه وأعونه (فِيهِم إِسْتِئْثارٌ وتَطَاوَلٌ) أي تكبر وفَخرٌ علىٰ النّاس (وقِلَّةُ إِنْصَاف في مُعامَلَةٍ) وقضاء حوائج النّاس (فَأَحْسِم) وإقطع (مادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ)بمنعهم من التّصرف في شئو ن العامّة (ولا تَقْطَعَنَّ لأَحَدٍ من حاشِيَتِكَ وحامَّتِكَ) أي ممّن في حواشيك وأطرافك من العمّال والخواصّ والأقرباء (قَطِيعَةً ولا

يَطْمَعنَّ مِنكَ في إعْتِقَادٍ عُقْدَةٍ) وضيعةٍ (تَضُرُّ بمَنْ يَلِيها منَ النَّاس في شِرْبٍ أوْ عَمَلٍ مُشتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ علىٰ غيرِهِمْ فيكُونَ مَهْنأُ ذٰلِكَ) ومنفعته (لهمْ دُونَكَ وعَيْبُهُ عليْكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ) لأنهم خاصّتك وأقربائك (وأَلْزِمِ الحقَّ مَنْ لَزِمَهُ) أي الحقّ (منَ الْقَرِيبِ والبَعِيدِ وكُنْ من ذٰلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً واقِعاً ذٰلِكَ منْ قَرَابَتِكَ وخاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ .وإبْتَغِ عاقِبَتَهُ بما يَشْغُلُ عليْكَ منْهُ فإنَّ مَغَبَّةَ ذٰلكَ مَحْمُودَةٌ...

وحاصله ألزِم الحقّ من لزمه قريباً كان أو بعيداً وأن ثَقُل عليك وعليهم فأنّه محمود العاقبة بحفظ الدّولَة في الدّنيا ونيل السّعادة في الآخرة (وإنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً) أي ظلماً (فأَصْحِرْ) وأبرز (لهمْ بِعُذْرِكَ) وَبَيّنه لهم (وأعْدِلْ)وبَعّد (عَنْكَ) أي عن نفسك (ظُنُونَهُمْ بإصْحَارِكَ) أي بسبب إظهارك العُذر فيه (فإنَّ في ذٰلكَ رِياضَةً) وتعويداً (مِنْكَ لِنَفْسِكَ ورِفْقاً) ومداراةً (برَعِيَّتِكَ وأَعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حاجتَكَ منْ تَقْوِيمهمْ علىٰ الحَقِّ) بسبب إخراجك الظّن الفاسد عن قلوبهم)(ولا تَدْفَعَنَّ) أي لا تَردنّ (صُلْحاً دَعاكَ إلَيهِ عَدُوُّكَ) اذا كان (لِلّهِ فيه رِضىً فإنَّ في الصُّلْحِ دَعَةً) وراحة (لِجُنُودِكَ ورَاحَةً) وإستراحة (مِنْ هُمُومِكَ) وغُمومك (وأَمْناً لِبلاَدِكَ) من هجوم الأعداء (ولكِنِ الحَذَرَ كلَّ الحَذَرَ منْ عدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِه) فلا تغفل عنه (فإنَّ الْعَدُوَّ رُبَّما قارَبَ) الصُلح (لِيَتغَفَّلَ) ليوقعك في الغفلَة (فَخُذْ بالحَزْمِ) والإحتياط (واتَّهِم في ذٰلكَ) المورد (حُسْنَ الظَّنِّ) بالعَدو (وإنْ عَقَدْتَ بيْنَكَ وبينَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً) وعهداً (وأَلْبَسْتَهُ مِنْك ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بالوَفاءِ) به ولا تنقضه (وأَرْعَ ذِمَّتَك بالأمانَةِ) دون الخيانة (واجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أعْطَيْتَ) أي حافظ علىٰ ما أعطيت من العهد (فإنَّهُ ليْسَ منْ فَرائِضِ اللّهِ شيْ‌ءٌ النَّاسُ أشدُّ عليْهِ اجْتِماعاً معَ تَفَرُّقِ أهْوَائِهِمْ وتَشَتُّتِ آرائِهِمْ من تَعْظِيمِ الوَفاءِ بالعُهُودِ) لكثرة إعتنائهم به كيف (وَقدْ لَزِمَ ذٰلكَ) الوَفاء بالعَهد (المشْرِكُونَ) فضلاً عن المسلمين (فِيما بَينَهُمْ دُونَ المُسْلِمينَ) في صدر الإسلام (لِمَا إسْتَوبَلُوا مِنَ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ) ونقض العَهد

وعلموا قُبحه وضرره (فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمتِكَ) بل فيما عَهدتَ (ولا تَخِيسَنَّ) ولا تنقضنّ (بِعَهْدِكَ ولا تَخْتِلَنَّ) أي لا تخدعنّ (عَدُوَّكَ فإِنَّهُ لاَ يَجتَرِئُ عَلىٰ اللّٰهِ إِلَّا جاهِلٌ شَقِيٌّ) ونقض العهد جُرأةٌ عليه (وقدْ جَعَلَ اللّٰهُ عَهْدَهُ وذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بينَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ) فَمن دَخله كان آمناً (وحَرِيماً يَسكُنُونَ إِلىٰ مَنَعَتِه ويَسْتَفِيضُونَ إِلىٰ جِوَارِهِ) أي يفزعون اليه بسرعةٍ (فَلاَ إِدْغالَ ولا مُدَالَسَةَ ولا خِدَاعَ فيهِ) أي لا إفساد ولا خيانة ولا خديعة في الدّين (ولا تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ) بمعنىٰ ما يصرفه عَن وجهه ويحوّله الىٰ غير المراد (ولا تُعَوِّلَنَّ علىٰ لَحْنِ قوْلٍ بَعْدَالتَّأْكِيدِ والتَّوثِقَةِ) كالتّورية والتّعريض مثلاً (ولا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللّٰهِ إِلىٰ طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيرِ الحَقِّ) أي اذا وقَعتَ في ضيقٍ فلا تنقض عهد اللّه بغير الحقّ (فإِنّ صَبْرَكَ علىٰ ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وفَضْلَ عاقِبَتِهِ خيرٌ من غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ) يوم القيامة (وأَن تُحِيطَ بِكَ منَ اللّٰهَ فِيهِ طِلْبَةٌ) أي مُطالبة بحقّه (فَلاَ تَسْتَقِيلَ فِيها دُنْيَاكَ ولا آخِرَتَكَ) بالغَدر ونقض العَهد (وإِيَّاكَ والدِّماءَ وسَفْكَها بِغَيرِ حِلِّها) أي بغير مجوّزٍ من الشّرع (فإِنّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنىٰ) وأقرب (لِنِقْمَةٍ) وَغضبه تعالىٰ (ولا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ) في الدّنيا والآخرة (ولا أَحْرىٰ) وأليق (بِزَوالِ نِعْمَةٍ) أنعَم اللّه بها عليك (وانْقِطَاعِ مُدَّةٍ) في الحكومة وغيرها (من سَفْكِ الدِّماءِ) وإراقتِها (بِغيرِ حَقِّها) علىٰ وجه الحُرمة (واللّٰهُ سُبْحانَهُ مُبْتَدِئٌ) غداً يوم القيامة (بالحُكْمِ بيْنَ الْعِبَادِ فِيما تَسَافكُوا منْ الدِّماءِ يَوْمَ الْقَيامِةِ فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ) كما هو شأن الظّالمين الجائرين من الولاةوالحُكّام (فإِنّ ذلكَ) أي سفك الدّم (مِمَّا يُضْعِفُهُ ويُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ ويَنْقُلُهُ) والضّمائر كلّها يرجع الىٰ السّلطان (ولا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللّٰهِ ولاَ عِنْدِي) في سفك الدّم (وقَتْلِ العَمْدِ) وأمّا قتل الخَطأ فلا (لأَنَّ فِيهِ) أي في قتل العَمد (قَوَدُ البَدَنِ) وقصاصه (وأنِ ابْتُليتَ بِخَطإٍ) أي بقتل الخَطأ (وَأَفْرَطَ)وعَجّل (عليكَ سَوْطُكَ) بأن أردت تأديبه فَقُتل (أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ) أي عجّل عليك سيفك أويَدَك فأنّ ذلك كلّه من قتل الخَطأ (فإِنَّ في

الوَكْزَةِ) والضّربة (فَما فَوْقَها مَقْتَلَة) أي أنّها تنجر إلىٰ القتل أحياناً (فَلاَ تَطْمَحَنَّ) أي لا يرتفعنّ (بِكَ نَخْوَةُ سُلْطانِكَ عَنْ أنْ تُؤَدِّيَ إلىٰ أوْلِياءِ الأُمُورِ حَقَّهُمْ) أي دية المقتول فأنّها حقّ أولياء الدّم (وإيّاكَ والاعْجَابَ بِنَفسِكَ) فأنّ العُجب من المُهلكات (والثِّقَةِ) أي وأيّاك والوثُوق (بِمَا يُعْجِبُكَ منها) من الأمور (وحُبُّ الإِطْرَاءِ) أي وأيّاك وحُبّ الإطراء وهو الثّناء البالغ من المدّاحين المُدلّسين (فإنَّ ذٰلِكَ) الإطراء وحُبّه (من أوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطانِ في نِفسِهِ) ونعم الفُرصة هو (لِيَمْحَقَ) ويزيل (ما يَكُونُ منْ إحسَانِ المُحسِنِينَ) فيجعل عمله هَباءً منثوراً (وإيَّاكَ والمَنَّ علىٰ رَعِيَّتِكَ بإحسَانِكَ) اليهم فأنّ المَن مذمُوم شرعاً وعقلاً (أوِ التَّزَيُّدَ فِيما كانَ منْ فِعْلِكَ) بأن تظهر لهم الزّيادة في الأعمال عن الواقع منها في معِرض الإفتخار (أوْ أنْ تَعِدَهُمْ) أي تعدّ الرّعية بشيٍ أو أشياء (فَتُتْبِعَ مَوْعِدكَ بِخُلْفِكَ) أي تتبع الرّعية وَعَدَك لا محالة (فإنَّ المَنَّ يُبْطِلُ الإحسَانَ والتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الحَقِّ) لأنّه نوع من الكذب (والْخُلْفَ) للوعد (يُوجِبُ المَقْتَ) والغَضب (عِنْدَ اللّٰهِ والنَّاسِ قال اللّٰهُ تعالىٰ:﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أنْ تَقُولُوا ما لاَتَفْعَلُونَ﴾ وإيَّاكَ والعَجَلَة بالأُمُورِ قَبْلَ أوانِها) وحلول وقتها فأنّ العَجَلة من الشّيطان (أوِ التَّسقُّطَ فِيها عندَ إمكانِها) أي وإيّاك والتّهاون في الأمُور عنْدَ إمكانِها (أوِ اللَّجَاجَةَفِيها) أي وإيَّاكَ واللَّجاجَةَ:

في الأمور (إذا تَنَكَّرَتْ ولم يُعرَف وجه الصّواب فيها (أوِالوَهْنَ عَنْها) عن الأمور (إذا استَوْضَحَتْ) أي صارت واضحة جلّية (فَضَعْ) أي إجعل (وكُلَّ أمْرٍ مَوضْعِهُ) ومحلّه (وَأوْقعْ كُلَّ أمْرٍ مَوقِعَهُ) أي في زمانه (وإيَّاكَ والِاسْتِئْثَارَ بمَا النَّاسُ فِيهِ أُسوَةٌ) أي أحذِر أن تخّص نفسك بشيٍ تزيد به عن النّاس فيما تجب فيه المُساواة من الحقُوق العامّة (والتَّغابيَ) أي وأحذر عن التّغابي والتّغافل (عمَّا يُعْنىٰ بِهِ) ويهتّم به (مِمَّا قدْ وَضَحَ) وظَهر (لِلْعُيُونِ فإنَّهُ مَأخُوذٌ مِنْكَ لِغَيرِكَ .وعمَّا قَليل تَنْكَشِفُ عنْكَ أغْطِيَةُ الأُمُورِ) بالمَوت اذ به تنكشف الحقائق وتظهر السّرائر (ويُنْتصَفُ مِنكَ لِلْمَظْلُوم) بأخذ حقّه منك (إمْلِكْ حَمِيَّةَ

أنْفِكَ) أي أملك نفسك **(وسَورَةَ حَدِّكَ)** وحدّة بأسك **(وسَطْوَةَ يَدِكَ وغَرْبَ لِسَانِكَ)** وحَدّه **(واحْتَرِسْ من كلِّ ذَلكَ بِكَفِّ الْبادِرَةِ** وهي ما يبدر من اللّسان عند الغَضَب من سبابٍ ونحوه **(وتأخِيرِ السَّطْوَةِ)** والهَيبة **(حتّىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتمْلِكَ الاخْتِيارَ)** علىٰ نَفْسَكَ **(ولَنْ تَحْكُمَ ذلِكَ منْ نَفْسِكَ حتّىٰ تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ المَعادِ إلىٰ رَبكَ)** أي لا تصل الىٰ هذا المقام إلّا بذكر اللّه تعالىٰ في كلّ حالٍ **(والْواجِبُ عليكَ أنْ تتذَكَّرَما مَضَىٰ لِمنْ تَقَدَّمَكَ)** من الولاة والحكّام **(مِنْ حُكومَةٍ عادِلَةٍ)** غير جائرة **(أوْسُنَّةٍ فاضِلَةٍ أوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنا ﷺ أوْ فَرِيضَةٍ في كِتابِ اللّٰهِ فَتَقْتَدِيَ)** وتتبع **(بما شَاهَدْتَ مِمَّا عمِلْنا بِهِ فِيها)** أي في الأمور المذكورة فأحذر التّأويل حسب الهَوىٰ **(وتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ في إتِّباعِ ما عَهِدتُ إلَيْكَ في عَهْدِي هذَا)** ولا تتخلف عنه **(واسْتَوْثَقْتُ بهِ منْ الحُجَّةِ لِنَفْسِي علَيْكَ)**أي جعلتُ الحجّة عليك موثقة مؤكّدة **(لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إلىٰ هَوَاهَا)** فتقع في الهَلَكة **(وَأنا أسألُ اللّٰهَ بِسعةَ رَحْمَتِهِ وعَظِيمِ قُدْرَتِه علىٰ إعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أنْ يُوَفِّقَني وإيَّاكَ لَمَا فِيهِ رِضاهُ)** في القَول والعَمَل **(منَ الإقامَةِ علىٰ الْعُذْرِ الوَاضِحِ إلَيْهِ وإلىٰ خَلْقِهِ)** فأنّ الإنسان محلّ الخطأ، والنّسيان **(مَعَ حُسْنِ الثَّاءِ في الْعِبَادِ)** لأجل الخدمة لهم **(وجَمِيلِ الأَثَرِ في الْبِلاَدِ)** بسبب العمران فيها **(وتَمام النِّعْمَةِ وتَضْعِيفِ الكَرامةِ)** وزيادتها أضعافاً **(وأنْ يَخْتِمَ لي ولَكَ بالسَّعَادَةِ والشَّهَادَةِ إنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ)** وعن هذه الدّنيا منتقلون **(والسّلاَمُ علىٰ رَسُولِ اللّٰهِ صَلّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرِينَ)** من الأرجاس والأدناس ظاهراً وباطناً **(وسَلَّمَ تَسْلِيماًكَثيراً والسَّلاَمُ.**

◁ الشّرح

□ **قوله ﷺ: ثُمَّ إنَّ لِلْوَالِي خاصَّةً وبِطَانَةً فِيهِمْ اسْتِئْثارٌ وتَطَاوُلٌ وقِلَّةُ إنْصَاف في مُعامَلَةٍ....**

خاصّةُ الوالي من إختصه بنفسه من سائر الرّجال ومنه قوله ﷺ ومُحمّد حبيبك وخاصّتك، أي إختصصته من ساير خلقك برسالتك، وبطانة الوالي

أوالرّجل دُخَلاؤه وأهل سِرّه مِمّن يسكن اليهم ويثق بمَودتهم شبّه ببطانة الثّوب كما شبّه الأنصار بالشّعار والنّاس بالدّثار ومنه حديث الحائض كانوا كلّفوا نسوة من بطانتها أي من أهل سريرتها المُتبّطنين أمرها العالمين به ومنه أعوذ بك من الخيانة فأنّها بئس البّطانة وفي حديث القائم لابدّ من أن تكون فتنة يسقط فيها كلّ بطانةٍ ووليجةٍ فالبّطانة السّريرة والصّاحب والوَليجة الدّخيلة وخاصّتك من النّاس والمقصود أنّ للوالي لابدّ من الخاصّة والبّطانة وهذا مِمّا لا محيص عنه إلّا أنّهم أي الخاصّة والبِطانة مُتّصِفُون غالباً بالإستئثار والتّطاول وقلّة الإنصاف يقال إستأثر فلان بالشّيء إستّبد به فالإستئثار الإستبداد وأمّا التّطاول فهو نوع من الفَخَر والكِبَر قال في المُنجِد تَطاوَلَ، أي تمّدد قائماً لينظر الىٰ بعيد، تكّبر، وترّفع وأمّا قلّة الإنصاف فالمقصود أنّهم لا ينصفُون النّاس إلّا قليلاً ومحّصل الكلام أنّ أعوان الوالي من خاصّته وبِطانته متّصفُون غالباً بالإستبداد والتّكبر وقِلّة الإنصاف وذلك لأنّهم يرون أنفسهم ممتازة عن غيرهم بالرّئاسة والإمارة والتّسلط عليهم ولم يعلموا أنّهم وُضعُوا لخدمة النّاس وقضاء حوائجهم لا لِلظّلم والتّعدي والفخر عليهم وحيث كان الأمر علىٰ هذا المنوال فَعَلىٰ الوالي التّوجه الىٰ هذا الأمر الشّنيع كما قال ﷺ :

□ **قوله ﷺ: فأحْسِمْ مادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ...**

أي فأقطع مادّة شرورهُم عن النّاس بقطع أسباب تعّديهم ولا يكون ذلك إلّا بالأخذ علىٰ أيديهم ومنعهم من التّصرف في شئون العامّة وذلك لأنّ الوالي لو لم يَمنعَهم عن التّصرف فيها كان عدم المنع منه بمنزلة التّأييد لهم في رؤيتهم الخبيثة فيقولُون ما يشاؤن ويحكمُون ما يريدون ولا يمكن للرّعية مَنعهم إلّا بما يُوجب الفَساد والإفساد وهو كما ترىٰ:

□ **قوله ﷺ:ولا تَقْطَعَنَّ لأَحَدٍ من حاشِيَتِكَ وحامَّتِكَ قَطِيعَةً...**

الحامّة بتشديد الميم كالطّامة كذلك الخاصّة والقرابة حامّة الرّجل أقربائه وخواصّه والحاشية الجانب وحواشي الرّجل من كان في أطرافه وجوانبه

والقَطيعة قطعة من الأرض يعطيها الإمام ليَعْمروها ومنه الحديث خلق اللّه آدم وأقطعه الدّنيا قطيعة، والقَطيعة محّال ببغداد أقطعها المنصور أُناساً من أعيان دولته ليعمّروها وليسكنُوها وقد ورد في الحديث أنّ قطائع الملوك كلّها للإمام وحاصل المعنىٰ لا تقطع لأحدٍ من خواصّتك وأقربائك قطيعة والنّون للتأكيد أي لا تقطع البتّة وتقطيعها تنصيفها أو تجزئتها وأنّما منعه ﷺ عنه لأنّ ذلك يوجب البَغَض والعَداوة وتخريب الأرض من العمران:

▫ **قوله ﷺ: ولا يَطْمَعنَّ مِنكَ في اعْتِقَادٍ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بمَنْ يَلِيها منَ النَّاسِ في شِرْبٍ أوْ عَمَلٍ مُشتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ علىٰ غيرِهِمْ فيكُونَ مَهْنأُ ذلِكَ لهمْ دُونَكَ وَعَيْبُه عليْكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ...**

الإعتِقَادِ الإمتلاك والعُقدة بضّم العين الضَيعَة وإعتقاد الضَيعة إقتناؤها:

وحاصل المعنىٰ اذا كانت ضَيعة تضّر بمن يليها من النّاس في شِربٍ أي نصيب في الماء أو عَمَلٍ مشترك فلا يطمع فيها أحد بأن يأخذها منك فيحمل مؤونته علىٰ غيره مِمّن يَليه ويكون مَهنأ ذلك ومنفعته لهم (وعَيْبُهُ علْيكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ)وأنّما قال ﷺ عَيبه عليك لأنّ الوالي أعطاه الضّيعة فصار سَبَباً للظّلم والتّعدي فهو مسئول:

▫ **قوله ﷺ: وأَلْزِمِ الحِقَّ منَ لَزِمَهُ منَ القَرِيبِ والبَعِيدِ وكُنْ في ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً واقِعاً ذلِكَ مْن قَرَابَتِكَ وَخاصَّتِكَ حَيْثُ وَقْعَ .وأبْتَغِ عاقِبَتهُ بِما يَثْقُلُ عليْكَ منْهُ فإنَّ مَغَبَّةَ ذلكَ مَحْمُودَةٌ...**

أَلزم بفتح الهمزة فعل أمرٍ من أَلزم يُلزِم إلزاماً يقال ألزمهُ علىٰ ذلك أي جَعَله لازماً وحَتماً عليه والمعنىٰ من لزم الحقّ وتَبعه قريباً كان منك أو بعيداً فألزمه عليه وَشَوّقه فيه وكُن في ذلك صابراً مُحتَسِباً فأنّ متابعة الحقّ والصّبر عليه محمود العاقبة بحفظ الدّولة في الدّنيا ونيل السّعادة في الآخرة وأن كان ذلك ثقيلاً علىٰ الوالي فأنّ الصّبر علىٰ الحقّ مُرٌّ ولكن عاقبته حلوٌ كما قيل بالفارسية:

صبر تلخ آمد وليكن عاقبت ميوهٔ شيرين دهد پر منفعت

والمَغبّة مُحّركة العاقبة:

□ قوله ﷺ: وإنْ ظَنّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فأصْحِرْ لَهمْ بِعَذْرِكَ وأَعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بإِصْحَارِكَ فأنَّ في ذَلكَ رِياضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ ورِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ وأعْذَاراً تَبْلغُ بِهِ حاجتَكَ منْ تَقْوِيمِهم علىٰ الحَقِّ...

أي أن كنت مظنون الظّلم من رعيّتك بأن ظنّوا أنّك ظَلَمت فأصحِر وأظهر لهم بعُذرك وبيّنه لهم وأعدل عنك أي وأنح عن نفسك ظنونهم لئلّا يقعوا في الإشتباه فأنّ ذلك الإظهار يُوجب رياضةً وتعويداً لنفسك علىٰ العَدل ورفقاً ومُداراةً برعيتك حيث أخرجتهم عن الإشتباه وإعذاراً أي تقديماً للعُذر أو إبداؤه كلّ ذلك ممّا تبلغ به حاجتك من تقويم الرّعية علىٰ الحقّ اذ لا مَقصد للوالي العادل في حكومته إلّا إجراء العدالة في النّاس وهو يحصل بما ذكرناه وفيه ردٌّ علىٰ من زعم أنّ االرّعية لا حقّ لهم في الحكومة أصلاً وأنّما وظيفتهم الإطاعة والإنقياد بالنّسبة الىٰ الحاكم فَعَليه الأمر وعليهم الإطاعة بلا قيد وشرط وأنّما مَثَلهم مَثَل الأغنام بالنّسبة الىٰ الرّاعي ولم يعلموا أنّ الإنسان فاعل مختار يعلم خيره وشرّه ولا يحكم عليه إلّا اللّه تعالىٰ أو مَن نَصَبه للحكُومة:

بشرط أن لا يخرج الحاكم عن جادّة الحقّ وطريق الشّرع وأمّا في صورة خروجه عن حدّ الإعتدال فلا حقّ له ولا حكم بالنّسبة الىٰ الرّعية بل يجب عليهم دفعه أو رَفعه لأنّه ظالم والظّالم ملعون علىٰ لسان الوَصي كائناً من كان هذا كلّه مضافاً الىٰ أنّ الحكومة اذا كانت غير مُعتدلة لا بقاء لها فأنّ المُلك يبقىٰ مع الكُفر ولا يبقىٰ مع الظّلم:

□ قوله ﷺ: ولا تَدْفَعَنّ صُلْحاً دَعاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ ولِلّهِ فيه رِضىً فإنَّ في الصُّلْحِ دَعَةً لجُنُودِكَ ورَاحَةً منْ هُمُومِكَ وأمْناً لِبلاَدِكَ .ولكِنِ الحَذَرَ كلَّ الحَذَرِ منْ عدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِه فإنَّ الْعَدُوِّ رُبَّما قارَبَ لِيَتَغفَّلَ فَخُذْ بالحَزْمِ واتَّهِم في ذلكَ حُسْنَ الظَّنِّ...

أي اذا دعاك العدّو لِلصُّلح فأقبل منه أن كان الصُّلح مرضّياً لِللّه تعالىٰ وأمّا أن كان غير مُرضيٍ له فلا تقبله لأنّ الملاك في الجهاد في سبيل اللّه والحَرب

مع أعدائه هو رضىٰ اللّه تعالىٰ لا رضىٰ النّاس وعليه فأن كان الصُلح مُوجباً لتقوية دينه ففيه رضاه وأن كان موجباً لضعف دينه فهو لا يرضىٰ به سواء كان العدّو مُسلماً بحسب الظّاهر أم كافراً كما أنّ الحسن بن علي عليه السلام صالح معاوية حيث دعاه اليه ليحفظ بذلك دين اللّه ويحقن دَم أوليائه ثُمّ أنّ أمير المؤمنين وتّرتب علىٰ الصُلح أُموراً ثلاثة:

أحدها: أنّه أي الصُلح دَعَة لجنُودك أي راحة لهم فأنّهم يستريحون به عن مشاق الحرب:

وثانيها: أنّه أي الصُلح يُوجب خلاصك من الهُموم والأحزان فيصير قلبك فارغاً عن هَمّها.

وثالثها: أنّه يُوجب االأمن في البلاد عن القتل والغارة والهَتك والأسر وغيرها مِمّا هو من لوازم الحَرب وحيث أنّ أكثر النّاس بعد الصّلح يغفلُون عن مكر العدّو وخديعته ويقعون في مشقّةٍ ومُصيبة قال عليه السلام: **ولكِنِ الحَذَرَ كلّ الحَذَرَ** والتّكرار للتّأكد من عدّوك بعد صُلحه أي لا تكن غافلاً عنه بعده فأنّ العدّو ربما قارب الىٰ الصُلح لِتَغَفل أي لأن يلقىٰ عليك الغفلة فيغدرك فيها ويهجم عليك فخُذ بالحَزم والإحتياط وأتّهم في ذلك المورد حُسن ظنّك بالعدّو أي لا تحسِن الظّن به وإجعله عدّواً لك بعد الصُلح كما كان قبله فأنّ المقام ليس ممّا يُستحسن فيه حُسن الظّن:

▫ **قوله عليه السلام: وإنْ عَقَدْتَ بيْنَكَ وبينَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أوْ أَلْبَسْتَهُ مُنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بالوَفاءِ وارْعَ ذمَّتَكَ بالأَمانَةِ واجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أعْطَيْتَ...**

العُقْدة بضّم العين وسكون القاف علىٰ وزن غُرفة العَهد الّذي يثبت بين الطّرفين وأمّا الذِمّة بكسر الذّال فهي في الأصل عبارة عن وجدانٍ موّدع في جبّلة الإنسان يُنبّهه لرعاية حقّ ذوي الحقُوق عليه ويدفعه لأداء ما يجب عليه منها ثُمّ أطلقت علىٰ معنىٰ العهد وجعل العهد لباساً لمشابهته له.

الآيات والأخبار في الوفاء بالعَهد: في الرّقابة من الضّرر والمعنىٰ اذا عقدتَ

وجعلتَ بينك وبين عدّوك عَهداً أو ألبَستّه منك ذمّة بأن جعلته في ذمّتك فحُط أي فأحفظ عَهدك بالوفاء به ولا تنقضه وأرع ذمّتك بالأمانة ولا تكن من الخائنين فيما جعلته في ذمّتك وأجعل نفسك جُنّة ووقاية لحفظ ما أعطيته من العهد والذّمة فأنّ حفظ العهُود والمواثيق ممّا يحكم به العقل والشّرع:

وأمّا العقل فواضح وذلك لأنّ الوفاء بالعَهد حَسَن في ذاته ونقضه قبيح وكلّ ما هو حَسَن في ذاته فهو يحكم بحُسنه فالوفاء به محكوم بالحُسن عنده وهو المطلوب:

وأمّا الشّرع فمن الآيات قوله تعالى: **﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾**(١)

و: **﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾**(٢)

و: **﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾**(٣)

و: **﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾**(٤)

و: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾**(٥) وغيرها من الآيات:

ومن الأخبار: ما رواه في البحار بأسناده عن أبي مالك قال قلت لعلّي بن الحُسين أخبرني بجميع شرائع الدّين قال عليه السلام قَول الحقّ والحكم بالعَدل والوفاء بالعَهد« ج ١٦ ص ١٤٣»...

وبأسناده عن الحسين بن مصعب قال سمعت أبا عبد اللّه يقول ثلاثة لا عُذر لأحدٍ فيها، أداء الأمانة الىٰ البّر والفاجر والوفاء بالعَهد للبّر والفاجر وبّر الوالدين برّين كانا أو فاجرين «ص ١٤٣»...

وبأسناده عن الرّضا عليه السلام عن آبائه قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من عامل النّاس فلم يظلمهم وحدّثهم فلم يكذبهم وَوَعدهم فلم يخلفهم فهو ممّن كَمُلَت مرّوته وظهرت عدالته ووَجبت إخوته وحرمت غيبته انتهىٰ...

١- الإسراء ـ٣٤   ٢- البقرة ـ١٧٧
٣- آل عمران ـ٧٦   ٤- التّوبة ـ٤
٥- المعارج ـ٣٢ المؤمنون ـ٨

وعن أبي عبد الله بن مسعود عن النّبي قال أربع مَن كُنّ فيه فهو مُنافق وأن كانت فيه واحدة منهنّ كانت فيه خصلة من النّفاق حتّىٰ يَدعها، مَن اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا عاهَد غَدَر واذا خاصم فجَر انتهىٰ...

وعن أنَس عن النّبي ﷺ أنّه قال تقبلوا لي بسّت أتّقبل لكم بالجنّة، اذا حدّثتم فلا تُكذبوا واذا وَعدتم فلا تخلفُوا واذا إئتمنتُم فلا تخونُوا الحديث...

وبأسناده عن الصّادق عن آبائه قال رسُول الله ﷺ أقربكم غداً منّي في الموقف أصدقكم للحديث وأداء الأمانة وأوفاكم بالعَهد وأحسَنكُم خُلقاً وأقربكم من النّاس انتهىٰ...

وبأسناده عن عبد الله بن سنان قال قد سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول أنّ رسُول الله ﷺ وَعَدَ رجلاً الىٰ صخرة فقال أنا لك هيهنا حتّىٰ تأتي قال عليه السلام فإشتدّت الشّمس عليه فقال أصحابه يا رسُول الله لو أنّك تحوّلت الىٰ الظّل قال قد وَعدتَه الىٰ هيهنا وأن لم يجئ كان منه الىٰ المحشر انتهىٰ...

وبأسناده عن العقرقوبي قال قال أبو عبد الله عليه السلام أنّ إسماعيل نبي الله وَعد رجلاً بالصّفاح فَمَكث به سَنة مُقيماً وأهل مكّة يطلبونه لا يدرون أين هو حتّىٰ وقع عليه رجل فقال يا نبّي الله ضعفنا بعدك وهلكنا فقال أنّ فلان الظّاهر وَعدني أن أكُن هيهنا (هكذا نسخة الكتاب مؤلف) ولم أبرح حتّىٰ يجئ قال فخرجوا اليه حتّىٰ قالوا له يا عدّو الله وَعدَت النّبي فأخلفته فجاء وهو يقول لإسماعيل يانبّي الله ما ذكرت ولقد نسيت ميعادك فقال أما والله لو لم تجئ لكان منه المحشر فأنزل الله:(وأذكر في الكتاب إسماعيل أنّه كان صادق الوَعد)انتهىٰ...

وبأسناده عن ابن سنان قال سألت أبا عبد الله عن قول الله:(ياأيّها الّذين آمنوا أُوفُوا بالعُقود) قال عليه السلام العُهود انتهىٰ وقال رسُول الله ﷺ لا دِين لِمن لا عَهد له انتهىٰ والأحاديث كثيرة نقلناها عن «البحار ج ١٦ ص ١٤٣ و ص ١٤٤»...

□ قوله ﷺ: **فإِنَّهُ لَيْسَ منْ فَرَائِضِ اللّهِ شَيْ‌ءٌ النَّاسُ أشدُّ علَيْهِ اجْتِماعاً مَعَ تَفَرُّقِ أهْوَائِهِمْ وتَشَتُّتِ آرائِهِمْ منْ تَعْظِيمِ الوَفاءِ بالعُهُودِ وقدْ لَزِمَ ذلكَ المشْرِكُونَ فِيما بَينهُم دُونَ المُسلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا منْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمتِك ولا تَخِيسَنَّ بِعَهدِكَ...**

حاصله أنّ النّاس (**معَ تَفَرُّقِ أهْوَائِهِمْ وتَشَتُّتِ آرائِهم**)في الأُمور كما هو المشاهد المحسُوس قد إتّفقوا في تعظيم الوفاء بالعَهد بما لم يتّفقُوا في غيره من الفرائض وهو يدّل علىٰ عِظم شأنه حتّىٰ أنّ المُشركين قد لزمُوا فيما بينهم الوفاء بالعَهد لمّا إستوبلوا من عواقب الغَدر أي لمّا علموا أنّ عاقبة الغَدر ونقض العَهد وبَيلَة مُهلَكة واذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فالمُسلمون أولىٰ بالوفاء به لأنّ المُشركين دونَ المُسلمين في الأخلاق والعقائد، ويمكن أن يكون المراد من قوله ﷺ: **دُونَ المُسلِمِينَ**، هو أنّ المُشركين مع كُفرهم وشركهم وعدم إعتقادهم بالدّين قد لزمُوا به دون المُسلمين حيث أنّهم لم يَلتزمُوا به فنقضوا عهد اللّه وعهد رسُوله بعد مَوته في أمر الخلافة وجعلوها في غير مَن جعلها اللّه فيه كما عرفت الكلام فيها مُفصّلاً ثُمّ قال ﷺ فلا تغدّرن بذمّتك ولا تخيسنّ أي لا تنقضنّ بعهدك:(**فمن نكث فأنّما ينكُث علىٰ نفسه وما ربّك بظّلامٍ للعبيد**):

□ قوله ﷺ: **ولا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ فإنَّهُ لا يَجتَرِئُ عَلىٰ اللّهِ إلَّا جاهِلٌ شَقِيٌّ وقدْ جَعَلَ اللّهُ عَهدَهُ وذِمّتَهُ أمْناً أفْضَاهُ بينَ الْعِبَادِ بِرَحمَتِهِ وحَرِيماً يَسكُنُونَ إلىٰ مَنَعَتِه ويَسْتَفِيضُونَ إلىٰ جِوَارِهِ...**

تختلّن فعل مضارع من خَتَل يختل مؤكّد بالنّون الثّقيلة والخَتل الخداع أي لا تخدعنّ عدّوك ألبتّة وذلك لأنّه لا يجتريْ علىٰ اللّه إلّا جاهل شقّي والخَتل من الجُرأة عليه تعالىٰ وقوله ﷺ: **جاهِلٌ شَقِيٌّ** إشارة الىٰ أنّ مَنشأ الخَتل أمران أحدهما الجهل بسُوء عاقبته وثانيهما الشّقاوة وخبث الذّات فَمن حَسُنَت سَريرته لا يختل أصلاً كيف وقد جعل اللّه عهده وذمّته بين العباد أَمَناً أفضاه

بينهم بِرَحمته وحَريماً أي جَعَله حَريماً يسكنُون الىٰ مَنَعته والمَنَعة، بالتّحريك ما تمتنع به من القُوة ويستَفيضُون أي يفزُعون اليه بسرعةٍ الىٰ جواره، وهذه الأمور الثّلاثة من آثار العَهد فَمَن خَدَع فيه فقد خَدَع بربّه:

روي في البحار بأسناده عن الرّضا عن آبائه قال رسول اللّه ﷺ من كان مُسلماً فلا يمكر ولا يَخدع فأنّي سمعت جبرئيل يقول أنّ المكر والخديعة في النّار الحديث...

وبأسناده عن أمير المؤمنين ؑ قال لولا أنّ المكر والخَديعة في النّار لكنتُ أَمَكَر العَرب انتهىٰ...

وبأسناده عن طَلَحَة بن زيد عن أبي عبد اللّه ؑ قال سألته عن فريقين من أهل الحَرب لكلّ واحدةٍ منها مَلَك علىٰ حدّة فأقتلوا ثمّ أصطلحوا ثمّ أنّ أحَد المَلَكين غَدَر بصاحبه فجاء الىٰ المُسلمين فصالحهم علىٰ أن يغزو معهم تلك المدينة فقال أبو عبد اللّه ؑ لا ينبغي المُسلمين أن يغدروا ولا يأمروا بالغَدر ولا يقاتلوا مع الّذين غَدَر ولكنّهم يقاتلون المُشركين حيث وجدوهم ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكّفار انتهىٰ...

وبأسناده عن الأصبغ بن نباتة قال قال أمير المؤمنين ذات يومٍ وهو يخطب علىٰ المَنبر بالكوفة يا أيّها النّاس لولا كراهِيّة الغَدر لكُنتُ من أُدهىٰ النّاس إلّا أنّ لكلّ غَدَرة فَجَرة ولكلّ فَجَرة كَفَرة ألا وأنّ الغَدِر والفجُور والخيانة في النّار انتهىٰ« ج ١٦ ص ١٩٧»...

قالوا ولمّا حَلَف مُحمّد الأمين للمأمون في بيت اللّه الحرام وهما ولَيا عهدٍ طالبه جعفر بن يحيىٰ أن يقول خَذَلني اللّه أن خذلتُه فقال ذلك ثلاث مرّات فقال الفضل بن الرّبيع قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت اللّه يا أبا العبّاس أنّي أَجِدُ في نفسي أنّ أمري لا يتّم فقلت له ولِمَ ذلك أعزّ اللّه الأمير قال لأنّي كُنت أحلف وأنا أنوي الغَدر وكان كذلك لم يتّم أمَره:

وجعل المنصُور العهد الىٰ عِيسىٰ بن موسىٰ ثمّ غَدَر به وأجزّه وقدّم المهدي عليه فقال عِيسىٰ:

أَيَنسىٰ بنو العبّاس ذبّي عنهم بسيفي ونارالحَرب زاد سعيرها
فَتحتُ لهم شرق البلاد وغربها فذّل معاديها وعزّ نصيرها
أقطع أرحاماً علّيَ عَزيزة وأبدي مكيدات لها وأثيرها
فلمّا وضعتُ الأمر في مستّقرة ولاحَت له شمس تلألأ نورها
دُفعتُ عن الأمر الّذي أستحقه وأوسق أوساقاً من الغَدر غيرها

▫قوله عليه السلام: فَلاَ إدْغالَ ولا مُدالَسَةَ ولا خِداعَ فيهِ...

الإدغال الإفساد والمُدالسة الخيانة والمعنىٰ لا ادْغالَ ولا مُدالَسَةَ ولا خِداعَ في الصّلح أو في السّلم.

▫ **قوله عليه السلام: ولا تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ ولا تُعَوِّلَنَّ علىٰ لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأكِيدِوالتَّوْثِقَةِ ولا يَدعُوَنَّكَ ضِيقُ أمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللّهِ إلىٰ طَلَبِ إنْفِسَاخِهِ بِغَيرِ الحَقِّ...**

العِلل جمع عِلّة وهي في العقد والكلام بمعنىٰ ما يصرفه عن وَجهه وتحّوله الىٰ غير المراد وذلك يَطرأ علىٰ الكلام عند إبهامه وعدم صراحته ولَحن القول ما يقبل التّوجيه كالتّورية والتّعريض والمعنىٰ لا تعقد عقداً يمكن أن تتطرق فيه علل الفساد فتصرفه عن وجهه وتحّوله الىٰ غير المراد لأنّ ذلك يُوجب النّزاع وبه تضطرب أركان العقد فلا يمكن إجرائه ولا يتّحقق ذلك في العقد إلّا بسبب إبهامه وإجماله وعدم تعيين المراد فيه بالوضوح ولا تعُولنّ أي لا تعتمد علىٰ لَحن قولٍ بعد التّأكيد والتّوثقة كأن تدّعي التّورية والتّعريض مثلاً وتقول أردت كذلك، ولا يدعونّك ضيق أمرٍ وقعت فيه بعد الصّلح الىٰ طلب إنفساخ العقد بغير الحقّ فأنّ اللّه تعالىٰ أمَرنا بالوَفاء بالعقُود ونهنا عن نقضها ونكثها فأسلُك سبيل الحقّ في كلّ ما عهدت ولا تكُن من الخائنين النّاقضين:

▫ **قوله عليه السلام: فإنّ صَبْرَكَ علىٰ ضِيقُ أمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وفَضْلَ عاقِبَتِهِ خَيرٌ من غَدْرٍ تَخَافَ تَبِعَتَهُ وأنّ تُحِيطَ بِكَ منَ اللّهِ فيهِ طِلْبَتهُ فَلاَ تَستَّقِيلَ فِيها دُنْيَاكَ ولا آخِرَتَكَ...**

علّل ﷺ ما ذكره من أنّ عهد اللّه لا ينفسخ بغير الحقّ بما حاصله أنّ الصّبر علىٰ الضّيق الّذي وقَعَت فيه (وتَرْجُو انْفِرَاجَهُ وفَضْلَ عاقِبَتِهِ) بزعمك خير من غَدرٍ تخاف تَبَعته أي وِزرَه ووباله في الدّنيا والآخرة وأن تحيط بك من اللّه فيه أي في غَدرك طلبته بأن تتّوجه عليك من اللّه مطالبته بحقّه في الوفاء الّذي غَدر به ويأخذ الطّلب بجميع أطرافك فلا يمكنّك التّخلص منه ويصعب عليك أن تسأل اللّه أن يقيلك من هذه المُطالبة بعفوٍ عنك في الدّنيا والآخرة بعد ما تجّرأتَ علىٰ عهده بالنّقض ومَحِصّل الكلام أنّ اللّه تعالىٰ يأخذك ويطلب منك حقّه فلا تغفل عنه:

▫ **قوله ﷺ: إيَّاكَ والدِّماءِ وسَفْكَها بِغَيرِ حِلِّها فإنَّهُ لَيسَ شَيْءٌ أو أَدْنىٰ لِنِقْمَةٍ ولا أعْظَمَ لِتَبْعَةٍ ولا أحْرىٰ بِزَوالِ نِعْمَةٍ وانْقِطَاعِ مُدَّةٍ منْ سَفْكِ الدِّماءِ بِغيرِ حَقِّها...**

بعد ما نَهاه عن نقض العَهُود نهاه عن سَفْكِ الدِّماءِ بِغيرِ حلّها أي من غير مجّوزٍ له شرعاً وعلّله بأنّه أي سفك الدّماء يُوجب نِقمة اللّه أي غَضبه وعذابه وزَوال النّعمة وإنقطاع المدّة:

والأصل في الحكم قوله تعالىٰ: **﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾**(١)

و: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً﴾**(٢)

و: **﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾**(٣)

و: **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾**(٤) فقوله ﷺ أيّاك وسَفك الدّماء أي أحذر عنه اذا كان حراماً فأنّه ليس شيئ أدنىٰ وأقرب لنقمةٍ وغَضب ولا أعظم لتَبعةٍ في الدّنيا والآخرة ولا أَحرىٰ وأَليَق بزوال نعمةٍ وإنقطاع مدّةٍ في الحكومة والعُمر

١ - الأنعام ـ ١٥١ والأسراء ـ ٣٣
٢ - النّساء ـ ٩٢
٣ - النّساء ـ ٩٣
٤ - المائدة ـ ٣٢

من سفك الدّماء وإراقتها بغير حقّها وقد عرفت من الآيات ما يدّل عليه وأنّما قال عليه السلام بغير حلّها وبغير حقّها لأنّ سفك الدّم أنّ كان حلالاً وحقّاً فهو ممّا لابأس به بل يجب حِفظاً للنّظام كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِيَ الأَلْبَابِ﴾

□ **قوله عليه السلام: واللّهُ سُبْحانَهُ مُبْتَدِئٌ بالحُكْمِ بيْنَ الْعِبادِ فِيما تَسافكُوا منَ الدّماءِ يَوْمَ القِيامَةِ فَلاَ تُقَوّيَنَّ سُلْطانَكَ بِسَفْكِ دمٍ حَرَامٍ فإنّ ذلكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ ويُوهِنُهُ بَلْ يُزِلُهُ ويَنْقُلُهُ ولا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللّهِ ولاَ عِنْدِي في قَتْلِ العَمْدِ لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ البَدَنِ ...**

أي أنّ اللّه تعالىٰ يوم القيٰمة يبتدئ بالحُكم بين العباد فيما تسافكُوا وهو يدّل علىٰ عِظم الذّنب فلا تقوّينّ سُلطانك بسفك دمٍ حرامٍ أي لا تزعم أنّه يوجب دوام سلطانك وقوّته فأنّ ذلك أي سفك الدّم الحَرام ممّا يُضعفه ويُوهنه بل يُزيله من أصله وينقله الىٰ غيرك ولا عُذر لك عند اللّه ولا عندى فى قتل العَمَد بغير حلّه لأنّ الطّرق واضحة لا خفاء فيها بنّص الآيات والأخبار وتأييد العقل ولأنّ فيه أي في قتل العَمَد قَوَد البدن وقصاصه وإضافته الىٰ البَدَن لأنّه يقع عليه:

□ **قوله عليه السلام: وإنْ ابتُليتَ بِخَطإٍ وأفْرَطَ عليكَ سَوْطُكَ أوْ سَيْفُكَ أوْ يَدُكَ بعُقُوبَةٍ فإنَّ في الوَكْزَةِ فَما فَوْقَها مَقْتَلَةً فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطانِكَ عَنْ أنْ تُؤَدِّيَ إلىٰ أوْلياءِ الأُمُورِ حَقَّهُمْ...**

أي أن إبتليت بقتل الخَطأ كما اذا أردت تأديب العاصي فأفرط وعجّل عليك سوطك أو سيفك أو يدك بما لم تكن تريده فأعقب قتلاً فأنّ في الوَكَزة أي الضَّربة بجمع الكّف وهي المعروفة باللكّمة فما فوقها مقتلة أحياناً أي أنّها توجبه في بعض الموارد فاذا كان كذلك فلا تطمحنّ أي لا يرتفعن بك نخوة سلطانك وكبرياؤه عن تأدية الدّية الىٰ أولياء المقتول فأنّها حقّهم يجب أن يُدفع اليهم وأنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ في قتل الخَطأ لا قصاص شَرعاً بل تجب الدّية:

▫ **قوله ﷺ: وإِيَّاكَ والإِعْجَابَ بِنَفسِكَ والثِّقَةِ بمَا يُعْجِبُكَ منها وحُبُّ الإِطْرَاءِ فإِنَّذلِكَ من أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطانِ في نَفسِهِ لِيَمْحَقَ ما يَكُونُ منْ إحسَانِ المُحسِنينَ...**

الأخبار في ذمّ العُجب :نهىٰ ﷺ عن أمور ثلاثة:

أحدها: الإعجاب بالنّفس.

وثانيها: الثّقة والإعتماد بما يُوجب العُجب.

وثالثها: حُبّ الإطراء أي كثرة الثّناء والمُبالغة فيه وأظنّ أنّ الأخيرين مُقدّمتان للعُجب ففي الحقيقة يرجعان الىٰ الأوّل وذلك لأنّ الثّقة بما يوجب العُجب وكذلك حُبّ الإطراء يَنتهيان اليه بالآخرة وتخصيصهما بالذّكر بعد ذكر الإعجاب لأنّ أكثر النّاس غافلون عنهما ولأجل هذه الغَفلة، يَعقُونَ في العُجب فأختّصهما بالذّكر ليُنبّههم علىٰ هذه الدّقيقة:

ثُمّ أنّ الإعجاب مصدر قولك أُعجَب يُعجب يُقال فلان أُعجب بنفسه اذا إستَعظَمها والعُجب بضّم الجيم هو إستعظام النّفس لأجل ما يرىٰ لها من صفة كمالٍ سواء كانت له تلك الصّفة في الواقع أم لا وسواء كانت صِفته كمالٍ في نفس الأمر أم لا، وقيل هو إعظام النّعمة والرّكون اليها مع نسيان إضافتها الىٰ المُنعم وهو قريب ممّا ذكر ولا يعتبر في مفهومه رؤية نفسه فوق الغير في هذا الكمال وهذه النّعمة وبذلك يمتاز عن الكِبر اذ الكِبر هو أن يرىٰ لِنفسه مزيّة علىٰ غيره في صفة كمالٍ وبعبارةٍ أُخرىٰ هو الإسترواح والرّكون الىٰ رؤية النّفس فوق المتّكبر عليه فالكِبر يستدّعي مُتكبراً عليه ومُتكّبراً به والعُجب لا يستدّعي غير المُعجب بل لو لم يُخلق الإنسان إلّا وحده تَصوّر أن يكون مُعجباً ولا يتّصور أن يكون مُتكبّراً فبينهما العُموم والخُصوص المُطلق بناء علىٰ أنّ كلّ مُتّكبرٍ مُعجب وليس كلّ مُعجب بمُتكّبرٍ وهو واضح:

ثُمّ أنّه لا شك أنّ العُجب من المُهلكات العظيمة وأنّ الأحاديث في ذمّه كثيرة:

قال رسُول اللّه ﷺ ثلاث مُهلكات شَحّ مُطاع وهوىً مُتّبع وإعجاب المَرء بنفسه...

وقال ﷺ - اذا رأيت شُحاً مُطاعاً وهوىً مُتّبعاً وإعجاب كلّ ذي رأيٍ برأيه فعليك نفسك...

وقال ﷺ - لو لم تذنبُوا لَخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العُجب العُجب...

وقال ﷺ - بينما موسىٰ عليه السلام جالس اذ أقبَل عليه إبليس وعليه بُرنس ذو ألوان فَلما دنىٰ منه خَلَع البُرنس وقام الىٰ موسىٰ عليه السلام فسّلم عليه فقال له مُوسىٰ من أنتَ فقال أنا إبليس قال أنتَ، فلا قَرّب اللّه دارك قال أنّي أنّما جئت لأُسَلِم عليك لِمكانك من اللّه فقال له مُوسىٰ فما هذا البُرنس قال به أختَطُف قلوب بني آدم فقال موسىٰ فأخبرني بالذّنب الّذي اذا أذنبه ابن آدم إستحوذتَ عليه قال اذا أعجبته نفسه وإستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه...

وقال ﷺ - يا داوود بشّر المُذنبين وأنذِر الصّدقين قال كيف أُبشِر المُذنبين وأُنذُر الصّديقين قال بشّر المُذنبين أنّي أقبل التّوبة وأعفُوا عن الذّنب وأنذر الصّديقين ألّا يُعجبُوا بأعمالهم فأنّه ليس عبد أُنصبه لِلحساب إلّا هَلَك...

وقال الباقر عليه السلام دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك أنّه يدخل العابد المَسجد مُدِّلاً بعبادته يُدّل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في النّدم علىٰ فِسقه ويستغفر اللّه ممّا صنع من الذّنوب...

وقال الصّادق عليه السلام أنّ اللّه علم أنّ الذّنب خير للمؤمن من العُجب ولولا ذلك ما إبتلىٰ مؤمناً بذنبٍ أبداً...

وقال عليه السلام أتىٰ عالم عابداً فقال له كيف صلاتك فقال مثلي يُسأل عن صلاته وأنا أعبُد اللّه مُنذ كذا وكذا قال فكيف بكاؤك قال أبكي حتّىٰ تجري

دُموعي فقال له العالم أنّ ضحكك وأنتَ خائِف أفضل من بكاؤك وأنتَ مُدّل أنّ المُدّل لا يصعد من عمله شئ...

وقال عليه السلام -العَجَب كلّ العَجَب ممّن يَعجَب بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن أعجَب بنفسه وفعله فقد ضلّ عن نَهج الرّشاد وإدّعىٰ ما ليس له والمُدّعي من غير حقّ كاذب وأن خَفيَ دعواه وطال دهره وأنّ أوّل ما يُفعل بالمُعجب نزع ما أُعجب به ليعلم أنّه عاجز حقير ويشهد علىٰ نفسه ليكون الحجّة عليه آكَدَ كما فَعَل بإبليس والعُجب نبات حَبّها الكُفر وأرضها النّفاق وماؤها البَغي وأغصانها الجَهل وَوَرقها الضّلالة وثَمرها اللّعنة والخُلود في النّار فمن إختار العُجب فقد بَذر الكُفر وَزَرع النّفاق ولابدّ أن يثمر انتهىٰ والأحاديث مرّوية في جامع السّعادات« ج ١ ص ٣٢٥»... نقلناها عنه وهي كثيرة في المطّولات كالبحار وغيره:

وأمّا الإدلال فهو يُفارق العُجب وذلك لأنّه يعتبر فيه توّقع الجزاء بَعمله إذ المُدّل يتّوقع إجابة دعوته ويَستنكر رَدّها بباطنه ويتّعجب منه فالإدلال عُجبٌ مع شئ زائد وبعبارةٍ أُخرىٰ لو غلب علىٰ نفس المُعجب أن له عند اللّه حقّاً وأنّه بمكانٍ وإستبعد أن يجري عليه مكروه وكان مُتوقعاً منه كرامةً لَعَمله سمّىٰ إدلالاً بالعَمَل فكأنّه يرىٰ لنفسه علىٰ اللّه دالة فهو وراء العُجب وفوقه فكلّ مُدّلٍ مُعجب وربّ مُعجب لا يكون مُدّلاً وعليه فمن أعطىٰ غيره شيئاً فأن إستعظمه ومنّ عليه كان مُعجباً وأن إستخدمه مع ذلك أو إقترح عليه الإقتراحات وإستبعد تخّلفه عن قضاء حُقوقه كان مُدّلاً عليه وكما أنّ العُجب قد يكون ممّا يراه صفة كمال وليس بها كذلك العُجب بالعَمَل قد يكون بعَمَلٍ هو مُخطئ فيه ويراه حُسناً كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾(١)

قال أبو الحسن عليه السلام العُجب درجات، فيها أن يزين للعبد سُوء عَمله فيراه حَسَناً فيُعجبه ويحسب أنّه يُحسن صُنعاً، ومنها أن يؤمن العَبد بربّه فيَمُنّ علىٰ اللّه عزّ وجلّ ولِلّه عليه فيه المَنّ...

١- الفاطر-٨.

وأمّا قوله عليه السلام: **والثِّقَةِ بمَا يُعْجِبُكَ منها، وحُبِّ الإطراء** فقد قلنا أنّ مَرجعهما الىٰ العُجب فكأنّه تفسيرٌ لكلامه وتوضيح له فأنّ الإعجاب بالنّفس يُوجد بها ويمكن أن لا يكون العطف تفسيرياً بأن يكون المراد بقوله والثّقة بما يُعجبك منها وحُبّ الإطراء هو عدم الإعتماد علىٰ هذه الأُمور الموهومة الواهية.

فأنّ ما يُعجبك من الأُمور علىٰ قسمين أحدهما ما هو من الكمالات النّفسانية كالعلم والقُدرة والزّهد وغيرها وثانيهما ما هو من سنخ الأعمال كالصّلاة والصّوم والإنفاق وتعمير المساجد وإطعام المَساكين وغيرها وكلاهما لا ينبغي الوثُوق بهما والإعتماد عليهما فأنّ الإنسان لا يعلم بقبولها عند اللّه وعلىٰ فرض القُبول لا يعلم عاقبة الأمر وأنّهما هل تختم بخير أو بشّرٍ واذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فكيف يعتمد العاقل علىٰ هذه الأُمور وهكذا الكلام في الإطراء أعني المُبالغة في الثّناء ضرورة أنّ الإفراط في المَدح أدّل دليلٍ علىٰ كِذبه فأنّ كلّما جاوزه حدّه العَكس ضدّه والمُبالغة في الثّناء من التّدليس المطرود عقلاً وشرعاً وقد مرّ الكلام فيه وفي ذمّه ولأجل ذلك قال عليه السلام **فأنّ ذلك مِن أوْثَقِ فُرَصِ الشّيْطانِ في نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ** ويبطل ما يكون من إحسان المُحسنين بسبب الإعجاب بالنّفس المُلقىٰ من الشّيطان الىٰ المُعجب ومن المعلوم أنّه ينتهز الفُرصة لإضلال العبد وحَبَط عَمله وأيّة فُرصةٍ له أحسَن من العُجب الّذي يوقع الإنسان في خطرٍ عظيم كما عرفت من الأخبار:

وأمّا السّر العقلي في ذمّ العُجب فهو أنّ المخلوق كائناً من كان حقير ذليل في جنب خالقه ومُوجده لأنّه ممكن وكلّ ممكنٍ في ذاته صَرف العدم ومَحض اللاّشئ كما قيل أنّ الممكن من ذاته أن يكون ليساً ومِن شأنه أنّ يكون آيساً فاذا كان في حدّ ذاته كذلك فكلّ ما وُجد له أنّما وُجد بغيره أي بخالقه لا بِذاته فوجوده وتحقّقه وكماله وآثاره جميعاً من الواجب الحقّ الّذي خلقه وأوجَدَه والعظمة والكِبرياء الّتي تظنّها لنفسه وذاته أنّما تُليق بمفيض وُجوده وكمالاته لا لذاته الّتي هي صرف العدم ومَحض اللّيس وعليه فأن شاء

أن يفتخر أو يستعظم شيئاً فليَفتخر به ويَستعظِم بـه ويَستـحقِر نـفسه غـاية الإستحقار فَمَن تخّلف عن هذه القاعدة العقلّية التّكوينية ثمّ التشّريعية فـقد عَدَل عن حدّه وجاوز عن طَوره وبذلك يستّحق الذّم عقلاً والعُجب من هذا القبيل فهو مذموم وهو المطلوب:

▫ **قوله ﷺ: وإيَّاكَ والَمنَّ علىٰ رَعِيَّتِكَ بإحسَانِكَ أوْالتَّزَيُّدُ فِيما كانِ منْ فِعْلِكَ أوْ أنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فإنَّ الَمنَّ يُبْطِلُ الإحسَانَ والتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الحَقِّوالْخُلفَ يُوجِبُ المَقْتَ عِنْدَ اللّٰهِ والنَّاسِ قالَ اللّٰهُ:﴿كَبُرَ مَقْتاً عِـنْدَ اللّـهِ أنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[١] ...**

بعد فراغه ﷺ عن العُجب والتّحذير عنه حذّره أيضاً عن أُمور ثلاثة:

أحدها: المّن علىٰ الرّعية بالإحسان اليهم وعلّله ﷺ بأنّه يُبطِل الإحسان:

وثانيها: التّزيد أي إظهار الزّيادة في الأعمال عن الواقع منها إفتخاراً وعلّله بأنّه يَذْهَبُ بِنُورِ الحَقِّ.

وثالثها: الخُلف عن الوَعد فأنّه يوجب المَقت عند اللّه وسَخطَه والبُغض عند النّاس ونضرتهم وإستدّل ﷺ فيه بقوله تعالىٰ: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أنْ تَقُولُوا ما لاَ تَفْعَلُونَ﴾**[٢] ونحن نتّكلم فيها علىٰ سبيل الإختصار فنقول:

أمّا المّن فهو أن يقول مثلاً أَلَم أُعطِك أَلَم أُحسِن إليك وشُبّه ذلك ووجه قُبحه من العقل معلوم لأنّه يُوجب تحقير الغير وأذاه وهو لا يحسن ومن الشّرع قوله تعالىٰ مُخاطباً لنّبيه: **﴿وَلاتَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾**[٣]

و: **﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذىً وَاللّٰهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾**[٤]

و: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلا يُؤمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِفَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِـلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيٍْ مِمَّا كَسَبُوا وَاللّٰهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[٥]

١- الصّف ـ ٢/٣
٢- الصّف ـ ٢/٣
٣- المّدثر ـ ٦
٤- البقرة ـ ٢٦٣
٥- البقرة ـ ٢٦٤

وأمّا التّزيد في الفِعل فهو إظهار الزّيادة فيه إفتخاراً والوجه في قُبحه أيضاً لا خفاء فيه فأنّ الفعل وأن صَدَر من العبد ظاهراً إلّا أنّه في الواقع من اللّه حيث أنّ صدوره كان بتّوفيقٍ منه تعالىٰ فالإفتخار به دليل علىٰ ضَعف الإيمان به والتّكبّر في مُظهِره وحيث كان كذلك فكما أنّ المَّن يوجب بُطلان الإحسان من حيث أنّه كاشف عن صدُور الفعل من الفاعل لغير اللّه تعالىٰ كذلك التّزيد المُوجب للفَخر والمُباهات يدّل علىٰ سُوء نيّة الفاعل فهو لا محالة يَذهب بنُور الحقّ وأمّا الخُلف أي خُلف الوَعد فهو أيضاً مذمُوم فأنّ المؤمن اذا وَعَد وَفىٰ، وقال اللّه تعالىٰ: **﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾** (١) وغير ذلك من الآيات وقد تكلمنّا فيه سابقاً وحيث أنّ الخُلف مُترتب علىٰ الوَعد اذ لولا الوَعَد لا يوجد الخُلف أصلاً فَمَن أراد أن لا يكون مُتّصفاً بالخُلف ينبغي له أن لا يَعِد النّاس فأنّ الوَعَد يتبَعُه الخُلف في كثير من المَوارد وحيث أنّ عَدم الوَعَد بالكلّية أمر غير معقُول اذ لا يمكن لِلإنسان أنّ لا يَعِد في مدّة عُمره أصلاً فينبغي له المُراعاة والدِّقة في مواعيده ومواثيقه بمعنىٰ أنّه قبل الموعد كان مُتوجهاً الىٰ الوفاء به فأن عَلِم بالوفاء في المُستقبل لا إشكال في وَعده ولا أقلّ من الظّن القوّي بالوفاء وأمّا في غير صُورة العِلم فلا يَعِد وأمّا الموانع الإحتمالية الخارجة عن إختيار الإنسان وقُدرته فهي لا تضّر بالمقصود ولإجل ذلك قال عليه السلام أو أن تَعِدهمْ فتُتبع موعدك بخُلفِك ولم يقُل لا تَعِدهم أصلاً ومحصّل الكلام المنّهي عنه هو الوَعَد المُستّتبع بالخُلف لا الوعّد مُطلقاً وبه يظهر وجه الإستّدلال بالآية الشّريفة حيث قال: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لاَ تَفْعَلُونَ﴾** (٢) وقال تعالىٰ: **﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَتَفْعَلُونَ﴾** (٣) وأنّما قال عليه السلام والخُلف يُوجب المُقت عند اللّه وعند النّاس، لِلإشارة الىٰ أنّه قبيح عقلاً وعُرفاً وشَرعاً، أمّا الشّرع فقد عرفته من الآيات.

١- آل عمران-٧۶
٢- الصّف-٣
٣- الصّف-٢

فلا نحتاج الىٰ ذكر الرّوايات في المقام فإنّا قد تكلمّنا فيه فيما مضىٰ وذكرنا الأخبار فيه وأمّا العقل فهو أيضاً لا خفاء فيه وأمّا العُرف فإنّا نراهم يُقبّحون ويُحقّرون مَن كان ناقضاً لَوعده وعَهده وفيه قال الشّاعر:

اذا قُلتَ في شيءٍ نعم فأتّمه | فأنّ نعم دَين علىٰ الحُر واجبُ
وإلّا فقُل لا تسترح وتَرِح بها | لئلّا يقول النّاس أنّك كاذبُ

ولآخر:

لا كَلَّف اللّه نفساً فوق طاقتها | ولا تجود يدُ إلّا بما تَجد
فلا تَعدّ عدّة إلّا وفيتَ بها | وأحذَر خلاف مَقالٍ لِلّذي تَعِد

ولآخر:

لأنّ جمع الآفات فالبُخل شرّهاً | وشرُ من البُخل المواعيد والمَطَل
ولا خَير في وعدٍ اذا كان كاذباً | ولا خير في قولٍ اذا لم يكن فَعَل

ولآخر:

شكاك لساني ثمّ أمسكتُ نِصفه | فنصف لساني بإمتداحك ينطق
فأن لم تُنّجز ما وعدتَ ترَكَتني | وباقي لساني بالمذمّة مُطلق

ولآخر:

باتت لوعدك عَيني غير راقدةٍ
والّليل حيّ الدّياجي منبت السّحَر
هذا وقد بِتُ من وعدٍ علىٰ ثقةٍ
فكيف لو بَتُ من عجزٍ علىٰ حَذَرٍ

□ **قوله ﷺ: وإيَّاكَ والعَجَلَةَ بالأُمُورِ قَبْلَ أوانِها أوْ التَّسقُّطَ فِيها عِنْدَامكانِها أوْ اللَّجَاجَةَ فِيها إذا تَنَكَّرَتْ أوِالوَهْنَ عنهاإذااسْتَوْضَحَتْ .فَضَعْ كُلَّ أمْرٍ مَوْضِعَهُ وأوْقِعْ كُلَّ أمْرٍ مَوْقِعَهُ...**

نَهىٰ ﷺ عن (**العَجَلَةَ في الأُمُورِ قَبْلَ أوانِها**)أي قبل حلول وقت الفِعل وذلك لأنّ التّعجيل كذلك مذموم عقلاً وشرعاً ولذلك قيل أنّ العَجَلة من

الشّيطان وقد ذمّ اللّه المستعجل في موارد كثيرة من كتابه قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِ دُعَآءَهُ بِالْخَيْرِ وكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ [١]

و: ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [٢]

و: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [٣]

و: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [٤] ثمّ أنّ العَجَلة هي المعنىٰ الرّاتب في القلب الباعث علىٰ الإقدام علىٰ الأمور بأوّل خاطر من دون توّقفٍ وإستبطاءٍ في أتباعها والعَمَل بها ولا شّك في أنّها من لوازم ضعف النّفس وصغرها ومع ذلك هي من الأبواب العظيمة للشّيطان قد أَهَلك به كثيراً من النّاس وقد قال رسول اللّه ﷺ العَجَلة من الشّيطان والتّأني من اللّه:

وقد روي أنّه لمّا وُلد عِيسىٰ ﷺ أتَت الشّياطين إبليس فقالت أَصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حَدَث مكانكم، فطار حتّىٰ جاء خافقي الأرض فلم يجد شيئاً ثمّ وَجد عِيسىٰ ﷺ قد وُلِد واذا الملائكة قد حفّت حَوله فَرجع اليهم فقال أنّ نبيّاً قد وُلِدَ البارحة ما حملت أُنثىٰ قطّ ولا وَضَعت إلّا وأنا بحضرتها إلّا هذا فآيسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه اللّيلة ولكن إئتُوا بني آدم من قبل العَجَلة والخِفّة انتهىٰ والاثار في ذمّ العَجَلة أكثر من أن تُحصىٰ:

فَمَن يستعجل في أمرٍ من الأُمور يُلقي الشّيطان شّره عليه من حيث لا يدري والتّجربة شاهِدة بأنّ كلّ أمرٍ يصدر علىٰ العَجلة يُوجب النّدامة والخِسران وكلّ ما يصدر علىٰ التّأني والتّثبت لا تعرض بعده ندامة بل يكون فرضّياً وبأنّ كلّ خفيفٍ عجول ساقط عن العُيون ولا وقع له عند القلوب والمّتأمل في الأُمور يعلم أنّ العَجَلة هي السّبب الأعظم لتبديل نعيم الآخرة ومُلك الأبد بخُسران الدّارين وهلاك النّشأتين وما ذكرناه مُجّرب مشهُود لا خِفاء فيه:

١- الأسراء-١١
٢- الأنعام-٥٧
٣- طه-١١٤
٤- الأعراف-١٥٠

وأنّما قيّد النّهي بقوله ﷺ: **قبل أوانها** لِلإشارة الىٰ أنّ الأُمور مرهَونة بأوقاتها فالمنّهي عنه الإتيان بها قبل الأوقات وأمّا بعدها فلا ضرورة أنّ الأمر بعد حلول وقته لا يجوز التأخير فيه فأنّه يدخل في قوله تعالىٰ:**﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾**(١) وقوله:**﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾** وأمثال ذلك هذا اذا كان الفعل من الخيرات وأمّا اذا كان من الشّرور فلا يجوز العَمل به لا قبله ولا بَعده:

والىٰ ما ذكرناه أشار ﷺ بقوله أو التّسقط فيها عند إمكانها أي وأيّاك والتّسقط فيها عند الإمكان وجمع الأسباب والشّرائط وهذا هو الّذي عبّرنا عنه بِبَعد الأوان وقُلنا أنّه يدخل في قوله تعالىٰ:**﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾**والمراد بالتّسقط التّهاون في الأمر وفي بعض النّسخ التّساقط من ساقط القَرس عدوه اذا جاء مُستريحاً ومحصّل الكلام أنّ الأُمور كما تكون العَجَلة فيها قبل أوانها مذمومة كذلك يكون التّهاون بها بعد وجود الشّرائط مذموماً لأنّه حينئذٍ يّعد من الإهمال والمُسامحة وعدم القاطعية في الأُمور وهو دليل علىٰ الحثّ ثمّ نَهىٰ ﷺ ثالثاً عن اللّجاجة فيها اذا تَنكّرت ولم يعرف وجه الصّواب فيها واللّجاجة الإصرار علىٰ منازعة الأمر ليتّم علىٰ عُسرٍ فيه وهي من أوصاف الجُهال ومحصّل الكلام في المقام هو أنّ الأمر لا يخلو من وجهين:

أحدهما: كونه حقّاً وصَواباً.

وثانيهما: كونه باطلاً خطأً هذا بحسب الواقع وأمّا بحسب الظّاهر فيمكن أن يكون هناك شّكاً.

ثالثاً: وهو عدم المَعرفة بكونه حقّاً أو باطلاً فيدخل في المُشتّبهات اذا عرفت هذا فنقول:

اللّجاجة أن كانت في الأُمور الحَقّة الصّحيحة فقد تُسمّىٰ بالإستقامة.

وأحياناً بالتّعصّب علىٰ الحقّ، وأن كانت في الأُمور الرّوية الباطلة فهي الجَهل المرّكب والحماقة وأن كانت في الأمور المُشتبهة الّتي لا يعرف

١- ال عمران - ١٣٣

وجها الصّواب فيها من الخطأ فهي الدّالة على عدم الإنصاف وعلى جميع التّقادير لا شك في قبحها عقلاً وذمّها شرعاً وبما ذكرناه قد ظهر لك وجه الوّهن عن العَجَلة اذا إستوضحت الأمور وذلك لأنّ الوَهن فيها هو التّسقّط الّذي مرّ الكلام فيه والفرق بينهما ضعيف جدّاً يحتاج الى قريحةٍ ودِقّةٍ لا نحتاج الى ذكرها في المقام ثمّ أنّه عليه السلام بعد ما نهى عن الأمور الأربعة على ما مرّ تفصيله أمَرَ بأمرين هما بمنزلة النّتيجة لما تقدم أحدهما، وضع كلّ شيءٍ موضعه والثّاني إيقاع كلّ أمرٍ مَوقَعه ومحصّل الكلام في المقام هو أنّه اذا ثبَتَ قُبح العَجَلة في الأُمور قبل أوانها وقُبح التّسقط فيها عند إمكانها وقُبح اللّجاجة فيها والوَهن عنها في صورة الإستيضاح فلا محالة لا يبقى في المقام بحَسب الشّقوق العقليّة إلّا وضع كلّ أمرٍ موضعه وإيقاعه موقَعه ضرورة أنّه لا يتّحقق إلّا بعد ترك إيقاعه وَوَضعه عن العَجَلة وأخواتها.

□ **قوله عليه السلام: وإيَّاكَ والاسْتِئْثارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ والتَّغابيَ عمَّا يُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فإنَّهُ مَأخُوذٌ مِنْكَ لِغَيرِكَ. وعمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ أغْطِيَةُ الأُمُورِ ويُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلمَظْلُوم...**

الإستئثار مصدر قولك إستأثر يستأثر يقال استأثر به به اذا جعل الشّيء لنفسه و قد تُبدل الهَمزة في المَصدَر بالياء فيُقال الإستيثار وذلك لوجود التاء المكسورة قبلها كما في الإستيناس فأنّ الأصل فيه الإستئناس بالهَمزة لأنّه مصدر قولك إستأنَس والوجه فيه ما ذكرناه وهذا الّذي ذكرناه لا يختّص بهذا الباب بل تجري القاعدة في كلّ ما كان قبله مكسوراً ألا ترى أنّهم يقولون الإستيحاش بالياء والأصل فيه الإستوحاش لأنّه مصدر قولك إستوحَش وهكذا نظائره:

والمعنى إحذَر أن تجعل لنفسك خاصّة أو أن تفعل فعلاً تكون للنّاس فيه أُسوة وبعبارةٍ أُخرى إحذَر أن تخّص نفسك بشيءٍ تزيد عن النّاس وهو عمّا تجب فيه المُساواة من الحقُوق العامّة، والتّغابي أي التّغافل عمّا يُعنى ويُهتم به

ممّا قد وَضح للعُيون وذلك لأنّه لا يبقىٰ لك بل يؤخذ منك لغيرك كما هو عادة الدّهر وعمّا قليل تنكشف وتظهر منك أغطية الأُمور ويرفع الحجاب عنها بالمَوت ثمّ يُنتصف منك للمظلوم في القيامة وهنالك يخسر المُبطلُون وفيما ذكره إشارة الىٰ أمرين أو أُمور ثلاثة ينبغي الإلتفات اليها لكلّ أحدٍ ولا سيّما الولاة:

أحدها: تخصيص النّفس بشئٍ تزيد به عن النّاس وهو ممّا تجب فيه المُساواة من الحقُوق العامّة وذلكَ لأنّه يُوجب البغض والعَداوة منهم بالنّسبة الىٰ المخصّص لأنّه في الحقيقة جاوز حدّه ودَخل فيما لا يجوز له شَرعاً وعَقلاً كالماء والكِلاء فقد قال رسُول اللّه ﷺ **أنّ النّاس فيهما علىٰ حدٍّ سواءٍ فَمَن مَنع النّاس عنهما خالف اللّه ورَسُوله مضافاً الىٰ حُكم العقل لقُبحه**...

وثانيها: التّغابي أي التّغافل ممّا قد وَضح للعُيون أي عُيون النّاس والوجه فيه واضح فأنّ الأُمور علىٰ قسمين، قِسم خَفِي للعُيون، وقِسم وَضح لها، وبعبارةٍ واضحة الحوادث تارةً تكون جليّة واضحة بحيث لا تخفىٰ علىٰ عامّة النّاس وأُخرىٰ لا تكون كذلك بل تكون خفيّة غير ظاهرة عليهم ولا يعلم بها إلّا القليل منهم فأن كانت من الأوّل فالتّغافل عنها دليل علىٰ عدم الإطّلاع علىٰ الأُمور وهو قبيح ولا سيّما في حقّ الوالي الحاكم علىٰ النّاس فأنّ مَن كان كذلك في التّغافل الّذي غير التّظاهر بالغفلة لا بالغفلة واقعاً لا يصلح للحكومة والأمارة:

وأن كان التّغافل من قبيل الثّاني فهو أيضاً في حقّ الحاكم لا يصّح وأن كان في حقّ غيره مسمُوعاً وذلك لأنّ الحاكم ينبغي أن تكون له من الجواسيس والعُيون مَن يَخبره بما يقع من الحوادث فالتّغافل في هذه الموارد عنه غير مسمُوع مضافاً الىٰ كونه مُضراً في حُكومته ومُوجباً لتجرئ الرّعية علىٰ الوالي ومحصّل الكلام في المقام هو أنّ الوالي ينبغي أن يكون مُتّوجهاً مُلتفِتاً الىٰ الأُمور الواقعة في حكومته سواء كانت من الجرائم والمعاصي أم من غيرها.

وثالثها: التّوجه الىٰ المَوت وأنّ الحكومة لا تبقىٰ لأحدٍ من الحكّام فلا يبقىٰ للحاكم في الحقيقة إلّا أعماله وأفعاله وأقواله من خيرٍ أو شرٍ ومع ذلك كلّه فهو مسؤل عن رعيّته يوم القيامة فَمن علم بـإنكشاف أغـطية الأُمـور وإنـتصاف المظّلوم منه عمّا قليل بعد مَوته كيف ينام علىٰ فراش الرّاحة والغفلة وقد وَرَد أنّ يوم المظلوم علىٰ الظّالم أشدّ من يوم الظّالم علىٰ المظّلوم وقد قـال اللّـه تعالىٰ: **﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾**(١)

و : **﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾**(٢)

و : **﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ﴾**(٣) والآيات كثيرة.

□ قوله ﷺ: **وتلك حَمِيَّةَ أَنفِكَ وسَوْرَةَ حَدِّكَ وسَطْوَةَ يَدِكَ وغَرْبَ لِسَانِكَ وأحْتَرِسْ من كلِّ ذَلكَ بِكَفِّ الْبادِرَةِ وتأخِيرِ السَّطْوَةِ حتّىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ فتَمْلِكَ الإِخْتِيارَ ولَنْ تَحْكُمَ ذلِكَ منْ نَفْسِكَ حتّىٰ تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ المَعادِ إلىٰ رَبّكَ...**

يقال فلان حمّي الأنف اذا كان أبيّاً يأنف الضّيم أي أمـلك نـفسك عـند الغَضَب والسَورة بفتح السّين وسكـون الواو الحـدّة، والحَـدّ بـالفتح البأس، والغَرب بفتح الغين المعجمة وسكون الرّاء الحَـدّ تشـبيهاً له بـحدّة السّـيف ونحوه والمعنىٰ أَمْلِك نفسك عِند الغضَب والحَدّة والبأس والحَدّ فأنّـها مـن مداخل الشّيطان وحيث أنّ حفظ النّفس عنها لا يمكن بسهولةٍ ولا سيّما للوُلاة والحُكّام حيث أنّهم يـعتمدون عـلىٰ قـدرتهم وشـوكتهم، عـلّمه ﷺ طـريق التّخلص عن هذه الوَرطة المَخوفة المُهلكة فقال وأحترس من كلّ ذلك بكَفّ البادرة أي أحفِظ لسانك عمّا يَبدر منه عند الغَضب من سبابٍ ونـحوه فأنّ إطلاق اللّسان يزيد الغَضَب والسّكوت يطفئ مَن لَهبه،ثـمّ قـال ﷺ: **وتأخِيرِ السَّطْوَةِ حتّىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ** ، أي أخِّر العقُوبة حتّىٰ يسكن غـضبك فـتَملك الإختيار وذلك لأنّ أعمال السّطوة حين الغَضَب يُخرج الإنسان عن إختياره

١- القصص ـ ٣٧.
٢- مريم ـ ٣٨.
٣- آل عمران ـ ١٥١.

وإرادته لأنّه حينئذٍ تابع للغَضَب لا للعقل ولذلك قال ﷺ: **وَلَنْ تَحْكُمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حتّىٰ تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ المَعادِ إلىٰ رَبّكَ** أي أنّ الحكم من الإنسان لا يكون من نفسه واقعاً إلّا فيما اذا كان مُتّوجهاً الىٰ ربّه خائفاً من عذابه عالماً بأنّه مسئول عنده وحيث أنّ الإنسان عند الغَضَب لا يكون مُتّوجهاً الىٰ ربّه متّذكراً لمعاده فلا جرم لا يكون الحُكم من نفسه بل هو من الشّيطان ومَن يكن الشّيطان له قريناً فساء قريناً.

وقوله ﷺ: **بِذِكْرِ المَعادِ إلىٰ رَبّكَ**، إشارة الىٰ أنّ الإنسان ولا سيّما المتّصدي لِمَنصَب الحكُومة والمستّولي علىٰ النّاس بالقُدرة والغَلبة لا يرىٰ بحسب طبيعته وجبّلته وغَضَبه وشَهوته مانعاً لنفسه من إجراء مقاصده والوصُول الىٰ أهدافه بأيّ نحوٍ كان وأيّ طريقٍ حَصَل وهو ممّا لا شك فيه ولا يحتاج الىٰ برهانٍ ودليل وأنّما المانع منه هو الخَوف من اللّه تعالىٰ ومن المعلوم أنّ ذكر المعاد يُوجب توجه الإنسان الىٰ ما وراء عالم المادّة وهو القيامة التّي لا ينفع فيها مال ولا بنون إلّا من أتىٰ اللّه بقلبٍ سليم ومن هنا نقول أنّ الإيمان باليوم الآخر والتّوجه اليه في جميع الأُمور من أَحسَن المَواعظ.

▫ قوله ﷺ: **والْوَاجِبُ عليكَ أنْ تَتَذَكَّرَ ما مَضَىٰ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ منْ حُكُومَةٍ عادِلَةٍ أوْسُنَّةٍ فاضِلَةٍ أوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنا صلّىٰ اللّهُ عليْهِ وآلِه أوْ فَرِيضَةٍ في كِتابِ اللّهِ فتَقْتَدِي بمَّا شَاهَدتْ مِمَّا عمِلْنا بِهِ فِيها وتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ في اتِّباعِ ما عَهِدتُ إلَيْكَ في عهْدِي هذَا واسْتَوْثَقْتُ بِهِ منَ الحُجَّةِ لِنَفْسِي عليْكَ لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إلىٰ هَوَاهَا...**

أي يجب عليك أن تتّذكر ما مضىٰ من الأعمال لِمَن تقّدمك من حكومةٍ عادلة أو سُنّةٍ فاضلة حَسَنة أوْ أَثرٍ عَنْ نَبِيّنا ﷺ أو فريضة في كتاب اللّه فتقتدي بما شاهدتَ فيها ممّا عَمِلنا به فلا تتّبع مَن تَقّدمك من الحكومات الباطلة الجائرة وأيضاً يجب عليك أن تجتّهد لنفسك في إتّباع ما عهدتُ اليك في عهدي هذا فأنّ فيه خير الدّنيا والآخرة وإستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك

فأنّي لم آل جهداً في الموعظة والنّصيحة لك لكيلا تكون لك علّة عند تسرّع نفسك الى هواها فأنّها أمّارة بالسّوء إلّا ما رَحِمَ ربّي وفيما أفاده عليه السلام **في هذا** الفصل مَن عهده حقائق ونُكات لا بأس بالإشارة اليها إجمالاً:

الأولى: يجب على كلّ إنسان ولا سيّما الوالي الحاكم على النّاس أن لا يكون على غفلةٍ في أعماله وأفعاله بل ينبغي له التّوجه اليها فأنّ الغفلة أصل الشّرُور وأساسها كما أنّ ضدّها أعني التّذكر واليَقظة أصل الخيرات وسنامها ولأجل ذلك جَعَل اللّه تعالى التّذكر من أوصاف العقلاء حيث قال: **﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾**(١)

و: **﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾**(٢)

و: **﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**(٣)

و: **﴿ وأنّه لِتَذكِرة للمُتّقين﴾**(٤)

الثّانية: أنّ الدّنيا فانية ونِعَمها دائرة وحكم الأمثال واحد فكما أنّ الدّنيا غَدَرت بالماضين وأهلكتهم وأفنَتهم وأسكنَتهم في القبُور كذلك حالها بالنّسبة الينا والى مَن يجئ بَعدنا فَينبغي لِلإنسان أن لا يعتمد عليها وهذا هو المراد بقوله عليه السلام **أنْ تَتَذكَّرَ ما مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ**.

الثّالثة: أنّ الماضي في الحكومة على قسمين عادِلٍ وجائر، ويمكن الإقتداء بكلّ واحدٍ منهما إلّا أنّ الإنسان المُتّذكر يعلم أنّ الجائر لم يبق منه في النّاس إلّا اللّعن والشّتم في الدّنيا والعذاب والوبال في الآخرة بخلاف العادل وحيث كان الأمر على هذا المنوال في القرون والأعصار فالعادل أحقّ بالإتّباع من الجائر والى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله **منْ حُكُومَةٍ عادِلَةٍ**.

الرّابعة: أنّ العَمَل الصّالح لا يحصل إلّا بالإجتهاد والغلبة على النّفس الأمّارة بالسُّوء والى هذا أشار عليه السلام بقوله **وتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ في اتّباعِ ما عَهِدتُ إليْكَ**.

١- الرّعد ـ١٩

٢- الرّعد ـ ١٩

٣- القصص ـ٥١

٤- الحاقة ـ٤٨

▫ **قوله ﷺ: وَأنا أسألُ اللّهَ بِسعةَ رَحْمَتهِ وَعظِيمِ قُدرَتهِ علىٰ إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أنْ يُوَفِّقَني وإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رضاهُ منَ الاِقَامَةِ علىٰ الْعُذْرِ الوَاضِحِ إِلَيْهِ وإِلىٰ خَلْقهِ مَعَ حُسْنِ الثَّاءِ في الْعِبَادِ وجَمِيلِ الأَثَرِ في الْبِلاَدِ وتَمام النِّعْمَةِ وتَضْعِيفِ الكَرامةِ ...**

ثمّ قال ﷺ في مقام الدّعاء وأنا أسألُ اللّهَ تعالىٰ برحمته الواسعة وقُدرته الكاملة الشّاملة علىٰ إعطاء كلّ رَغَبة أن يوفّقني وأيّاك في القول والعَمَل لما فيه رضاه من الأعمال الصّالحة والأقوال الحَسَنة والإقامة علىٰ العُذر الواضح اليه والىٰ خَلقه أي أسأله أن يجعلنا من المعذُورين عنده وعند خَلَقه مع حُسن الثّناء في العباد بنشر العدالة والإحسان وجميل الأثر في البلاد بتوسيع الزّراعة والعُمران وتضعيف الكرامة علينا أضعافاً:

وفي هذه الكلمات إشارة الىٰ أنّ الأمور بيده فهو الّذي اذا أراد بعبدٍ خيراً هيّأ له أسبابه والعَبد من حيث هو هو من غير توفيقٍ وتأييدٍ منه لا يقدر علىٰ شئ فهو وأن كان مأموراًبالإجتهاد في جميع الأمور إلّا أنّه يحتاج الىٰ ربّه حقّ الإحتياج بل هو نفسه.

▫ **قوله ﷺ: وأنْ يَخْتِمَ لِي ولَكَ بالسَّعَادَةِ والشَّهَادَةِ إنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ والسّلاَمُ علىٰ رَسُولِ اللّهِ صلّىٰ اللّهُ عَلَيْهِ وآلهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرِينَ وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثيراً والسَّلاَمُ...**

الواو للعطف أي (**وَأنا أسألُ اللّهَ أنْ يَخْتِمَ لِي ولَكَ بالسَّعَادَةِ والشَّهَادَةِ إنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) وفي بعض النّسخ راغبون بالغَين والمآل واحد ويمكن الفرق بأنّ الرّغبة الىٰ اللّه تعالىٰ من خواصّ المؤمن به لأنّها الميل وهو لا يكون إلّا بالإختيار النّاشئ عن كمال المعرفة وأمّا الرّجعة فليست كذلك ضرورة كذلك أنّ الكلّ يرجع اليه فأنّ الىٰ ربّك الرّجعىٰ، وحيث أنّ أمير المؤمنين ﷺ قال هذا الكلام في مقام الدّعاء فإستدعاء الرّغبة الّتي هي من أكمل المقامات للسّالكين أولىٰ من الرّجعة الّتي لابدّ لها لكلّ موجودٍ وكيف كان إستدعىٰ ﷺ من اللّه

تعالىٰ السّعادة أوّلاً والشّهادة ثانياً وفيما ذكره ﷺ إشارة الىٰ أنّ الشّهادة اذا لم تكن عن سعادةٍ لا خير فيها وقد أجابه اللّه تعالىٰ بما إستدعىٰ منه فأنّ أمير المؤمنين ومالكاً فازا بالسّعادة والشّهادة رغبةً منهما الىٰ الشّهادة في سبيله عاشا سعيدين وماتا سَعيدين ثمّ ختم كلامه ﷺ بالسّلام علىٰ رسول اللّه وآله الطّاهرين ختامه مِسك وفي ذلك، فليتنافس المتنافسُون والحمدُ لِللّه ربّ العالمين.

ومن كتاب له عليه السلام (٥٢)

الىٰ طلحة والزّبير

ذكره أبو جعفر الإسكافى في كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

□ قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فَقدْ عَلِمْتُما وإنْ كَتَمْتُما أنّي لمْ أُرِدِ النَّاسَ حتّىٰ أرَادُوني ولمْ أُبايِعَهُمْ حتّىٰ بايَعُوني وأنَّكُما مِمَّاأرادَني وبايَعَني وإنَّ العَامَّةَ لَمْ تُبايِعْني لِسُلْطانٍ غالِبٍ ولا لِعَرَضٍ حاضِرٍ فإنْ كُنْتُما بايَعْتُماني طائِعينَ فَأرْجِعا وتُوبَا إلىٰ اللّٰهِ منْ قَرِيبٍ وإنْ كُنْتُما بايَعْتُماني كارِهينَ فَقدْ جَعَلْتُما لِي عَلَيْكُما السَّبِيلِ بإظْهارِكُما الطَّاعةَ وإسْرارِكُما المَعْصِيةَ ولَعَمْرِي ما كُنْتُما بأَحَقِّ المُهاجِرِينَ بالتَّقِيَّةِ والكِتْمانِ .وإنْ دَفْعَكُما هَذَا الأَمْرَ منْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلاَ فِيهِ كانَ أَوْسَعَ عَليكُما منْ خُرُوجِكُما منْهُ بَعْدَ إقْرارِكُما بهِ.

وقدْ زَعمْتُما أنّي قَتَلْتُ عُثمانَ فَبَيْني وَبَيْنَكُما مَنْ تَخَلَّفَ عَني وعَنكُما منْ أهْلِ المَدِينَةِ ثمَّ يُلْزَمْ كُلُّ امْرِءٍ بِقَدرِ ما احْتَمَلَ فارْجِعا أَيُّها الشَّيْخانِ عنْ رَأيِكُما فإنَّ الآنَ أعْظَمُ أمْرِكُما العَارُ منْ قَبْلِ أنْ يَتَجَمَّعَ العَارُ والنَّارُ والسَّلاَمُ...

◁ اللغة

(لَعَرضٍ) العَرَض بالتّحريك هـو المـتاع ومـا سـوىٰ النّـقدين مـن المـال
(السّبيل) الحُجّة.

◁ المعنىٰ

(أَمَّا بَعْدُ) الحمد والثّناء على اللّه أو بعد ما ذكرتُ لكما (فَقدْ عَلِمْتُما) عِلماً لا تشكّان فيه واقعاً (وإنْ كَتَمْتُما) العلم ظاهراً (أنّي لَمَّ أُرِدِ النَّاسَ) أن يبايعوني (حتّىٰ أرَادُوني) البيعة لي (ولمْ أُبايِعَهُمْ حتّىٰ بايَعُوني) بالإلتماس والإصرار (وأنَّكُما مِمَّا أرَادَني وبايَعَني) في أوّل الأمر بل كنتما أحرص عليها من النّاس (وإنَّ العَامَّةَ) منهم (لَمْ تُبايِعْني لِسُلْطانٍ غالِبٍ ولا لِعَرضٍ حاضِرٍ) أي ولا لِطَمَعٍ في مالٍ حاضر (فإنْ كُنْتُما بايَعْتُماني طائِعينَ) أي بالطّوع والرّغبة لا بالجبر والكَراهة (فارْجِعَا) عن غيّكما (وَتُوبَا إلىٰ اللّٰهِ منْ قَريبٍ) قبل المَوت (وإنْ كُنْتُما بايَعْتُماني كارِهينَ) أي بغير إختيار منكما فيها (فَقدْ جَعلْتُما) بيعتكما (لِي عَلَيْكُما السَّبِيلِ) والحجّة (بإظْهارِكُما الطَّاعةَ) حين البيعة (وإسْرَارِكُما المَعْصِيةَ) كذلك (ولَعَمْرِي ما كُنْتُما) في بيعتكما (بأَحَقِّ المُهاجِرِينَ) وَأولاهم (بالتَّقِيَّةِ والكِتْمانِ). بل حالكما حالهم (وإنَّ دَفْعَكُما هَذَا الأَمْرَ) وهو الحكومة والخلافة (منْ قَبْلِ أنْ تَدْخُلاَ فِيهِ) بالبيعة لي (كانَ أَوْسَعَ عَليكُما منْ خُرُوجِكُما منْهُ بَعْدَ إقْرارِكُما بِهِ) اذ الإنكار بعد الإقرار ممّا لا يُسمع به عقلاً وشرعاً (وقدْ زَعَمْتُما أنِّي قَتَلْتُ عُثمانَ) فلو كان الأمر كما زعمتم (فَبَيْني وَبَيْنَكُما مَنْ تَخَلَّفَ عَنّي وعَنكُما منْ أهْلِ المَدِينَةِ) أي نرجع في الحكم لمن تقاعد عن نصري ونصركما (ثمَّ يُلْزَمْ كُلُّ امْرءٍ بِقَدْرِ ما احْتَمَلَ) من قتل عثمان (فارْجِعَا أيُّها الشَّيْخانِ عنْ رَأيِكُما) وهو الخروج علَيَ (فإنَّ الآنَ) في الدّنيا (أعْظَمُ أمْرِكُما العَارُ منْ قَبْلِ أنْ يَتَجمَّعَ العَارُ والنَّارُ) يومَ القيٰمة:

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: أمَّا بَعْدُ فَقدْ عَلِمْتُما وأنْ كَتَمْتُما أنّي لمَّ أُرِدِ النَّاسَ حتّىٰ أرَادُوني ولمْ أُبايِعهُمْ حتّىٰ بايَعُوني وأنَّكُما مِمَّن أرَادَني وبايَعَني...

اعلم: أنّ هذه الكلمات قالها مُخاطباً لطلحة والزّبير بعد نكثهما بيعته

وخروجهما عليه ظلماً وبَغياً وقد أوَرَدها علىٰ طريق البُرهان إتماماً للحجّة ليهلك من هَلَك عن بيّنةٍ ويحيىٰ مَن حَيّ عنها وقد مرّ الكلام منه ﷺ في هذا الباب غير مرّةٍ إجمالاً إلّا أنّ ما ذكره في المقام أكَمل وأوفىٰ بالمقصُود فنقول:

أمّا قوله ﷺ: **فقد عُلمتُما وأنّ كَتَمْتُما**، يدّل علىٰ نفاقهما وذلك لأنّ النّفاق مخالفة السّر والعَلَن سواء كان في الإيمان أو في الطّاعات أو في المُعاشرات مَع النّاس وسواء قصد به طَلب الجاه والمال أم لا، وقيل أنّه عبارة عن مُخالفة القلب واللّسان وعلىٰ كلّ حالٍ لا ريب أنّه من المُهلكات العَظيمة وقد تعاضدت الآيات والأخبار علىٰ ذمّه وقد مرّ الكلام فيه:

ومُلخّص الكلام في معنىٰ العبارة عَلِمْتُما أنّي لمْ أُرِدِ النّاسَ بعد قتل عُثمان حتّىٰ أرادوني أي أنّي ما كُنتُ حريصاً علىٰ الخلافة بل كُنت كارهاً ولم أُبايعهم حتّىٰ بايعُوني وأنّكما مِمّن أرادني وبايَعَني والدّليل عليه قوله ﷺ دَعوني والتَمِسُوا غيري الىٰ آخر ما قال فيما مضىٰ وقوله في الخطبة الشّقشقية فما راعني إلّا والنّاس كعرف الضّبع إلّي ينثالون علّيَ من كلّ جانبٍ الىٰ قوله مجتمعين حَولي كربيضة الغَنَم، وقد إتّفق أرباب السّير والتّواريخ علىٰ ذلك وحيث كان الأمر كذلك فما وجه نكثهما بيعته وخروجهما عليه:

▫ **قوله ﷺ: وإنَّ العَامَّةَ لَمْ تُبايِعْني لِسُلْطانٍ غالِبٍ ولا لِعَرَضٍ حاضِرٍ ...**

أي لم تكن بيعة النّاس إيّاي لخوفهم منّي بالغلبة عليهم ولا لِطمعٍ في حالٍ حاضرٍ وبعبارةٍ أُخرىٰ البَيعة لا تخلو عن وجوهٍ ثلاثة:

أحدها: أنّ يكون السّلطان غالباً قاهراً علىٰ النّاس وإستدّعىٰ منهم البيعة.

وثانيها: أن لا تكون كذلك بل كانت لأجل الدّرهم والدّينار وغيرهما من متاع الدّنيا.

وثالثها: أن تكون بالميل والإختيار من النّاس، ومن المعلوم أنّ البيعة علىٰ الأوّل منشأوها الخوف والوحشة وعلىٰ الثّاني الحِرص والطّمع في الدّنيا وكلاهما مذمومان وأمّا القِسم الثّالث فلا ذمّ فيه وما نحن فيه من هذا القبيل

والدّليل عليه أنّه ﷺ لم يجبُر أحداً على البيعة ألا ترىٰ أنّ سعد بن أبي وقاص وعبد اللّه بن عُمر وأمثالهما تخلّفُوا عنه وقعدوا في بيُوتهم وهو ﷺ لم يتّعرض لهم ولم يأخذ منهم البيعة بالقهر فلو كان الزّبير وطلحة كغيرهما من المُتّخلفين مُعرضين عن البيعة في بدو الأمر كان أحسن لهما من البيعة ثمّ نكثها ونقضها وأمّا أنّ البيعة لم تكن لعَرَضٍ حاضِر فهو أيضاً لا خلاف فيه فإذاً لا يبقى من الشّقُوق الثلاثة إلّا الثّالث منها وهو أنّ البيعة كانت بالإختيار وهو المطلوب:

▫ **قوله ﷺ: فإنَّ كُنتُما بايَعْتُماني طائِعينَ فارْجِعَا وتُوبَا إلىٰ اللّهِ منْ قَرِيبٍ وإنْ كُنْتُما بايَعْتُماني كارِهينَ فَقدْ جَعَلْتُما لِي عَلَيْكُما السَّبِيلِ بِإظْهارِكُما الطَّاعةَ وإسْرَارِكُما المْعصِيةَ...**

حاصل الإستدلال أنّه لا شك لي ولكما في أصل البيعة ووجودها منكما، فهذه البيعة الّتي صَدرت منكما لا يخلو حالها من أمرين، أحدهما، الإختيار وهو الّذي أقول به، وثانيهما، الكراهة والإضطرار وهو الّذي تدّعيانه، ولا ثالث في المقام فأنّ الحصر عقّلي يدور مدار النّفي والإثبات فلا يُمكن القول بهما مَعاً لإستحالة إجتماع النّقيضين ولا بَعدَمهما معاً لكونه مُستلزماً لإرتفاع النّقيضين وهذا معنىٰ كونه عقّلياً:

فأن كانت البيعة بالإختيار فإرجعا عمّا أنتما فيه من النّكث والنّقض لهما من قريبٍ قبل المَوت وتُوبا الىٰ اللّه أنّه هو التّواب الرّحيم وأن كانت عن إضطرارٍ فقد جعلتما لي عليكما السّبيل بإظهاركما الطّاعة وإسراركما المَعصية فأنّي علىٰ بيّنةٍ من ربّي وأنتما لا حجّة لكما وذلك لأنّكما أظهرتما الطّاعة والإنقياد ببيعتكم وهو أي إظهار الطّاعة الّتي حصلت بسبب البيعة حجّة عليكم وأمّا إسْرَارِكُما المَعْصِيةَ فهو لا يضّرنا ولا يبطل حجّتنا فأنّ العاقل البالغ يؤخذ بإظهاره وإقراره ولا يُسمع منه شئ بعد إقراره:

أن قلت إتّفقوا علىٰ أنّ الإقرار أو كلّ عهدٍ من العُهود اذا صَدر عن الإنسان

علىٰ سبيل الإكراه والإضطرار لا يُعبأ به فكيف قال ﷺ جعلتما لي عليكما السّبيل:

قُلتُ نعم ولكنّه ﷺ فرّع ما قال علىٰ إظهارهما الطّاعة لا علىٰ بيعتهما بأيّ نحوٍ حَصلت فأنّ البَيعة اذا حَصَلت من غير إختيار للبائع لا يُعبأ بها شرعاً وعقلاً وأمّا في صورة إظهار الطّاعة فليس الأمر كذلك لإنّ إظهار الإنقياد والطّاعة أمر إختياري فكأنّه قال ﷺ لو كُنتُ أجبرتكُما علىٰ البَيعة فَمن أجبَركما علىٰ إظهار الطّاعة وهو ممّا لا يقبل الإجبار أصلاً وحيث أظهَرتما الطّاعة فقد تمّت الحَجّة عليكما منّي ولا حجّة لكما عليّ:

□ **قوله ﷺ: ولَعَمْرِي ما كُنْتُما بأَحَقِّ المُهاجِرِينَ بالتَّقِيَّةِ والكِتْمانِ....**

أي أن كانت بيعتكما عن تقيّةٍ فلتكُن البَيعة من غيركما أيضاً كذلك فأنّ حكم الأمثال واحد فما الدّليل علىٰ أنّ البَيعة منكما صَدَرت بَسبب التّقية دون غيركما:

□ قوله ﷺ: **وإنّ دَفْعَكُما هَذَا الأَمْرَ منْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلاَ فِيهِ كانَ أَوْسَعَ عَليكُما منْ خُرُوجِكُما مِنْهُ بَعْدَ إقْرَارِكُما بِهِ...**

أي أن دفعكما هذا الأمر وهو الخلافة عنّي من قبل أن تدخلا فيه بالبَيعة كان أوسَع وأسهَل عليكما من خُروجكما منه بعد الإقرار به وذلك لإنّ الدّفع قبل الدخول لا يلزم منه نقض العَهد ونكث البَيعة والإنكار بعد الإقرار وغيرهما من التّوالي الفاسدة بخلافه بعده للزوم المحاذير كلّها بعده مضافاً الىٰ أنّ الدّفع أسهَل من الرّفع عُرفاً وعقلاً

□ قوله ﷺ: **وقدْ زَعَمْتُما أَنِّي قَتَلْتُ عُثمانَ فَبَيْني وبَيْنَكُما مَنْ تَخَلَّفَ عَني وعَنكُما منْ أهْلِ المَدِينَةِ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ أمْرءٍ وبِقَدْرِ ما احْتَمَلَ...**

حاصله أنّكما تزعمان أنّي قَتَلْتُ عُثمانَ وأنا أقول بالبراءة منه وأنّما المَرجع في المقام هو المُتخلف عنّي وعَنكُما من أهْلِ المَدِينَةِ لا أنتما ولا أنا ثمّ يُلزَم كلّ إمرؤ منّا بقدر ما إحتَمل من مُداخلته فيه شرعاً.

▫ قوله ﷺ: فارْجِعَا أَيُّها الشَّيْخانِ عِنْ رَأْيِكُما فإنَّ الآنَ أعْظَمُ أمْرِكُما العَارُ من قَبْلِ أنْ يَتَجَمَّعَ العَارُ والنَّارُ...

بعد ما أنصفهما ﷺ كمال الإنصاف فرّع علىٰ قوله وقال فارْجِعَا أيُّها الشَّيْخانِ والمراد بهما الزّبير وطَلحة عن رأيكما الباطل الىٰ اللّه تعالىٰ وتُوبا اليه فأنّ رجُوعكما عمّا تكونان فيه وأن كان مُستلزماً لِلعار والخِفّة حيث فعلتما ما فعلتُما من الجنايات الّتي لا تليق بكما وأمثالكما من أصحاب النّبي إلّا أنّ هذا العار في الدّنيا أسهَل من إجتماعه مع النّار في الآخرة، وحيث إنّا ذكرنا فيما مضىٰ نسب الزّبير وطَلحة وعلّة خُروجهما عليه وشرحنا قصّة الجَمَل مُفصّلاً فلا نحتاج الىٰ تفصيل الكلام في المقام.

ومن كتاب له عليه السلام (٥٣)

الىٰ معاوية

▫ أمَّا بَعْدُ فإنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيا لِمَا بَعْدَها وابْتَلىٰ فِيها أهْلَها لِيَعْلَمَ أيُّهُمْ أحْسَنُ عملاً ولَسنْا لِلدُّنْيا خُلِقْنا ولا بالسَّعْيِ فيها أُمِرْنا وإنَّما وُضِعْنا فيهَا لِنُبتَلي بِها وقَدِ إبْتَلاني اللّهُ بِكَ وابْتَلاكَ بِي فَجَعَلَ أحَدَنا حُجَّةً على الآخَرِ فَعدَوْتَ علىٰ الدُّنْيا بِتأوِيلِ الْقُرْآنِ فَطَلَبْتَني بِمَا لمْ تَجْنِ يَدَيَّ ولا لِسَاني وعَصَبْتَهُ أنْتَ وأهْلُ الشَّام بِي وألَبَ عالِمُكُمْ جاهِلُكُمْ وقائِمُكُمْ قاعِدَكُمْ فاتَّقِ اللّهَ في نَفْسِكَ. ونَازِعِ الشَّيْطانَ قِيَادَكَ وأصْرِفْ إلىٰ الآخِرَةِ وجْهكَ فَهِيَ طَرِيقُنا وطَرِيقُكَ وأحْذَرْ أنْ يُصِيبَكَ اللّهُ مِنْهُ بِعاجِلِ قارِعَةٍ تَمَسُّ الأَصْلَ وتَقْطَعُ الدَّابِرَ فأنّي أُولىٰ لَكَ باللّهِ ألِيَّة غيرَ فاجِرَةٍ لَئِنْ جَمَعَتْني وإيَّاكَ جَوامِعُ الأَقْدارِ لا أزَالُ بِباحَتِكَ حتّىٰ يَحْكمَ اللّهُ بَيْنَنا وهُوَ خَيرُ الحاكِمينَ...

◁ اللّغة

(عدَوتَ) أي وَثَبت (عَصَبْتَهُ) أي رَبطته (ألَّبَ) بفتح الهمزة وتشديد اللام أي حرض (قِيادَكَ) القياد بالكسر الزمام (قارِعَةٍ) القارعة البلية والمصيبة (تَمَسُّ)فعل مضارع وماضيه مَسَّ أي تصيبه فتقلعه (الدَّابِرَ) الآخر ويقال لِلأصل أيضاً (أُولِي) أي أحلف (فاجِرَةٍ) حانثة أي أحلف بالله حلفة غير حانثة (بِبَاحَتِكَ)الباحة كالسّاحة وزناً ومعنىً

◁ **المعنىٰ**

(فإنَّ **اللّهَ سُبْحانَهُ قدْ جَعَلَ الدُّنيا**) وخلقها (**لَمَا بَعْدَها**) وهو الآخرة (**وابْتَلىٰ فِيها**) في الدّنيا (**أهْلَها لِيَعْلَمَ أيُّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً**) فيها (**ولَسْنا لِلدُّنْيا خُلِقْنا ولا بالسَّعْي فيها أُمِرْنا**) بل خُلقنا لِلأخرة وأُمرنا بالسّعي لها.

(**وإنّما وُضعنا**) وجُعلنا (**فيها**) في الدّنيا (**لِنُبتَلىٰ**) ونُختبر (**بِها**) بالدّنيا (**وقَدْ إبْتَلاَني اللّهُ**) واختبرني (**بِكَ وابْتَلاَكَ**) واختبرك (**بي فَجَعَلَ**) اللّه تعالىٰ (**أحَدَنا**)أنا أو أنتَ (**حُجَّةً**) ودليلاً (**علىٰ الآخِرَ فَعدَوْتَ**) وَوَثبت (**علىٰ الدُّنْيا بِتأوِيلِ الْقرآنِ**) علىٰ مذهبك (**فَطَلَبتني بما لم تجن يدي ولا لساني**) أي طلبتني بِدَم عُثمان وأنتَ تعلم أنّي بريئ منه (**وَعَصَبْتَهُ أنْتَ وأهْلُ الشَّامِ بي**) أي أنتَ وأهْل الشّام رَبطتُم دَم عُثمان بي وألزمتموني ثارَه (**وألّبَ**) وحَرِض (**عالِمَكُم جاهِلَكُمْ وقائِمُكُمْ قاعِدَكُمْ**) علىٰ قتالي (**فاتَّقِ اللّهَ**) يا معاوية (**في نَفْسِكَ**) وكُن علىٰ حَذرٍ من مُتابعة الشّيطان (**ونَازِعه**) أي نازِع الشّيطانَ (**قِيادَه**) وزمامَه (**وأصْرِفْ إلىٰ الآخِرَةِ وجْهَكَ**) وأعرِض عن الدّنيا (**فهي**) أي الآخرة (**طَرِيقُنا وطَرِيقُكَ**) الّذي لابدّ لنا من الورود عليها (**وأحذِر أنّ يُصيبك اللّه منه بعاجل قارعةٍ تَمسّ الأصل**) أي إحذر أن يُصيبك اللّه ببلّيةٍ ومُصيبةٍ تقلع الأصل (**وتَقْطَعُ الدَّابِرَ**) والآخر (**فإنّي أُولِىٰ**) وأحلِف (**لَكَ باللّهِ ألِيَّةً**) وحلفةً (**غيرَفاجِرَةٍ**) أي يميناً غير فاجرة (**لإنَ جَمَعتْني وإيَّاكَ جَوَامِعُ الأَقْدَارَ لا أزَالُ بِبَاحَتِكَ حتّىٰ يَحْكمَ اللّهُ بَيْنَنَا وهُوَ خَيرُ الحَاكِمينَ**) والمقصود من هذا الكلام أنّ الأقدار لو جمعتني وأيّاك لا أفارقك حتّىٰ يحكُمَ اللّهُ بَيْنَنا وبينك:

◁ **الشّرح**

ذكر عليه السلام في هذا الكلام أُموراً ينبغي التّنبيه عليها إجمالاً:

أحدها قوله عليه السلام: **فإنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيا لِمَا بَعْدَها**، وفيه إشارة الىٰ أنّ الدّنيا لم يخلقها اللّه تعالىٰ لأجل نفسها بل خلقها لِشيءٍ آخر وهو الآخرة فهي

بالحقيقة سبب ووسيلة للوصول وبعبارةٍ أُخرىٰ وجود الدّنيا وجودٌ آليّ لا وجودٌ إستقلالي فهي ممّا به يُنظر لا مِمّا اليه يُنظره قد تكلمنّا في هذا الباب مُفصلاً غير مرّة فيما مضىٰ فلا نُعيد الكلام بذكره حذراً من الإطالة والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في الكتاب العزيز في قوله تعالىٰ: ﴿**أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخِرَةِ**﴾ (١)

و: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالأَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ**﴾ (٢) والآيات كثيرة:

وثانيها قوله ﷺ: **وإبْتَلىٰ فِيها أهْلَها لِيَعْلَمَ أيُّهُمْ أحْسَنُ عَملاً**، وفيه إشارة الىٰ أنّ الدّنيا جُعِلَت محّلاً لإبتلاء أهلها وهو كذلك والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في الكتاب حيث قال تعالىٰ: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**﴾ (٣)

و: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مَنْكُمْ والصَّابِرِينَ**﴾ (٤)

و: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَىٰ الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ (٥)

و: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ (٦)

وقد ذكرنا سابقاً أنّ المراد بالإبتلاء والإختبار في الدّنيا هو أنْ يعرف الإنسان نفسه وأنّه في أيّ موضع من العبّودية لا أنّ اللّه تعالىٰ يختبره ليعلم حاله وذلك لأنّه تعالىٰ عالم بحال العبد قبل الإختبار وبعده بل هو أعلم بحاله منه نفسه ولا يخفىٰ عليه شئ لا في الأرض ولا في السّماءِ كيف وهو خالق الموجودات والخالق لا يخفىٰ عليه شئ من أحوال المخلوق وإلّا لا يكون خالقاً اذ لا يعقل إيجاد شئ مجهول لا يُعرف حاله وقد مرّ الكلام فيه أيضاً في الأبحاث السّالفة.

وثالثها قوله ﷺ: **ولَسنْا لِلدُّنْيا خُلِقْنا ولا بالسَّعْي فيها أُمِرْنا وإنَّما وُضِعِنْا فيهَا لِنُبْتَلي بِها**، أشار ﷺ بقوله هذا الىٰ أمُور ثلاثة الّتي لا خلاف فيها:

الأوّل: أنّ اللّه تعالىٰ لم يخلقنا لِلدّنيا بل خَلَقَنا لِلآخرة والدّليل عليه من

١- التّوبة ـ٣٨
٢- النّساء ـ٧٧
٣- البقرة ـ١٥٥
٤- محمّد ـ٣١
٥- الكهف ـ٧
٦- الملك ـ٢

العقل والنّقل ثابت:

أمّا العقل: فلأنّ الأمر يدُور في الخِلقة بين الدّنيا والآخرة ولا ثالث في المقام وحيث أنّ الدّنيا فانية دائرة وكذلك ما فيها وقد ثبت أنّ الفاني لا يكون مُتّعلقاً للغرض العُقلائي فلا محالة أمر الخِلقة لم يتّعلق بالدّنيا من حيث هي هي بل لِشيءٍ آخر وهو الآخرة لعدم القول بالفصل أوّلاً ولبقائها ثانياً وهو المطلوب:

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ: **﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالأَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾** (١)

و: **﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّالَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾** (٢)

و: **﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مَّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الأَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾** (٣)

و: **﴿ يا يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾** (٤) وغيرها من الآيات.

وقال رسول اللّه ﷺ خُلِقتم للبقاء لا للفناء، ومن المعلوم أنّ الدّنيا دار فناء فالخلق لأجلها لا معنىً له وقد مرّ البحث فيه سابقاً بما لا مزيد عليه غير مرّةٍ:

الثّاني: أنّ اللّه تعالىٰ لم يأمرنا بالسّعي في الدّنيا لها بل أَمَرنا بالسّعي للآخرة والدّليل عليه أيضاً من العقل والنّقل:

أمّا العقل: فلإنّ السّعي لشيءٍ لا بقاء له لَغوٌ وعَبَثٌ وحيث أنّ الدّنيا لا بقاء لها فالسّعي فيها لها كذلك وصُورة القياس هكذا: الدّنيا لا بقاء لها، وكلّ ما لا بقاء له فالسّعي له لَهو ولَغو، فالسّعي للدّنيا لَهو ولَغو والعاقل لا يفعل اللّغو وهو المطلوب:

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ: **﴿ وَمَنْ أَرَادَ الأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾** (٥)

و: **﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾** (٦)

١- النّساء ـ ٧٧ | ٢- الأنعام ـ ٣٢

٣- الرّوم ـ ٧ | ٤- فاطر ـ ٥

٥- الأسراء ـ ١٩ | ٦- النّازعات ـ ٣٥

و : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (١) وأمثالها من الآيات:

الثالث: أنّ الدّنيا محلّ الابتلاء وقد خَلَقنا اللّه فيها له وهذا الحكم أيضاً ثابت عقلاً ونقلاً أمّا العقل فلأنّ الإختيار والإمتحان أمرٌ عقلّي والجزاء موقوف عليه أن خيراً فخيراً و أن شرّاً فشرّاً وحيث أنّ الآخرة ليست بدار الإمتحان بل هي دار الجزاء والحساب فلا محالة تكون الدّنيا محّلاً للإختبار لعدم الواسطة بينهما وعدم صحّة الثّواب والعقاب من غير الإختبار وأمّا النّقل فلقوله تعالىٰ: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢)

و : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (٣)

و : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٤)

و : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٥) و غيرها من الآيات:

وهذه الجملة الأخيرة وهي قوله عليه السلام: **وإنّما وُضعِنْا فيهَا لِنُبتَلي بِها**، كأنّها جواب عن سؤالٍ مقّدر وهو أنّه لو لم يُخلق للدّنيا والسّعي فيها فلأيّ شيءٍ خَلَقنا اللّه تعالىٰ فيها فأجاب عليه السلام بأنّا خُلِقنا فيها لِنُبتَلي بها لِيهلك من هَلَك عن بيّنةٍ ويحيىٰ من حَيّ عن بيّنةٍ وهو مُستَحسِن في نفسه قوله عليه السلام وقد إبتلاني اللّه بك وإبتلاك بي فَجَعل أحدنا حجّة علىٰ الآخر:

حيث أشار عليه السلام في الجملة السّابقة الىٰ الإبتلاء وأنّ اللّه تعالىٰ خَلَقنا له أشار عليه السلام في كلامه هذا بأنّ القاعدة عامّة عقلّية لا تخصيص فيها ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ إبتلاني وإختبرني بك وإبتلاك بي فَجَعل أَحَدنا حُجّة علىٰ الآخر فالقَضية علىٰ سبيل منع الخلق من أنّ الحجّة من اللّه تعالىٰ قد تمّت وهي في المقام

١- النّجم ـ٣٩
٢- العنكبوت ـ٢
٣- البقرة ـ١٥٥
٤- الأنبياء ـ٣٥
٥- الكهف ـ٧

تدور مدار أنا وأنت، وذلك لأنّ الحجّة لا تكون في كلّ عصرٍ وزمان إلّا واحدة ولا تصّح أن يكون هناك حجّتين إلّا واحداهما صامت تابع واذا كان كذلك فأن كُنت أنت الحجّة فالواجب علّي إتّباعك وأن أنا حجّة عليك فالواجب عليك الإتّباع ولا يمكن القول بوجود ثالث علىٰ زَعمي وزَعمِك وإلّا يجب علينا إتّباعه ولا نَقول به ومن المعلوم أنّك لَست حجّةً علّي لعدم وجود شرائط الحجّة فيك بل ولا أحدها فضلاً عن جَمعها وحيث لست أهلاً لهذا المقام فأنا الحَجة عليك لعدم القول بالفَصل علىٰ الفَرض وهو المطلوب:

ورابعها قوله عليه السلام: **فَعدَوْتَ علىٰ الدُّنيا بِتأوِيلِ الْقرآنِ فَطَلَبْتَني بمَا لمْ تَجْنِ يَدَيَّ وِلا لِسَاني وعَصَبْتَهُ أنْتَ وأهْلُ الشَّامِ بِي وألَّبَ عالِمُكمْ جاهِلَكمْ وقائِمُكمْ قاعِدَكُمْ...**

أي أنّك وَثَبت علىٰ الدّنيا وزخارفها بسبب تأويل القرآن علىٰ رأيك فطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وهو قتل عثمان فأنّي لم أقتُله ولا أمَرتُ بقتله وعَصَبته أي رَبَطته أنت وأهل الشّام بي فقلتم أنّ عليّاً قاتل عثمان وَألّب وحَرّضَ عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم أي حرّض العالم منكم الجاهل علىٰ هذا المَدّعىٰ والقائم منكم القاعد عليه والمراد بتأويل القرآن هو صرف قوله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾(1)

و: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(2) دلّت الآية الشّريفة علىٰ أنّ القَصاص في القتل ممّا أمر الله به ومن المعلوم أنّ القصاص حقٌّ لِولّي الدّم علىٰ القاتل فالمقصود أنّكم حوّلتم الآية الىٰ غير ما هو المراد منها حيث أقنع أهل الشّام أنّ هذا النّص يُخول معاوية الحقّ في الطّلب بدَم عثمان هكذا قالوا:

والحقّ أنّ التّأويل المذكور في كلامه ليس في الآيتين المذكورتين بل التّأويل قد وقع من معاوية وغيره من أهل الشّام في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن قُتِلَ

1- البقرة ـ178
2- البقرة ـ179

مَظلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾[1] فأنّ المراد بالولّي في الآية هو ولّي الدّم وهو الّذي يَرِثه علىٰ وجه الأوّلية فأنّ أولىٰ النّاس بالميّت أولىٰ بميراثه ومعاوية لم يكن من أولياء الدّم في المقام وذلك لأنّ عثمان قد قُتل وكان له أبناء وبنات ومعاوية لم يكن من أولاده ولا من وَرَثته فكيف إدّعىٰ أنّه ولّي الدّم فليس هذا إلّا لتأويله الآية الىٰ غير ما هي له وإنطباقها علىٰ غير المراد منها وهذا هو التّأويل الممنوع شرعاً المُشار اليه بقوله ﷺ: **فَعدَوْتَ علىٰ الدُّنْيا بِتأوِيلِ الْقرآنِ** وحاصل الكلام أنّ معاوية لم يكن من أولياء دَم عثمان لَيصّح ما إدّعاه وأنّما تمّسك بدم عثمان للوصول الىٰ مقاصده وهذا ممّا لا خفاء فيه ولذلك قال ﷺ فَطَلَبتني بما لم تَجن يدي ولا لساني أي طَلَبت منّي دَم عثمان مع أنّه لم أَقتله ولا أمرتُ بقتله وفي قوله ﷺ: **وعَصَبْتَهُ أنْتَ وأهْلُ الشَّامِ بِي** الىٰ قوله ﷺ: **قاعدكم** إشارة الىٰ أمرين:

أحدهما: أنّ معاوية ومن تبعه من أهل الشّام رَبطُوا دَم عثمان به ﷺ مع أنّه كان بريئاً منه، وثانيهما، أنّ علماء الشّام حرّضُوا النّاس علىٰ قتالي هذا أنّ أُريد من قوله ﷺ: **(عالمكم)** الجنس وأنّ أُريد الفَرد فالمراد به أبو هريرة كما قيل وكيف كان أشار ﷺ بهذا الكلام الىٰ أنّ العوام لا ذَنب لهم إلّا جهلهم بالأحكام والحقائق والمُقّصِر في الحقيقة هو العالم بالقّضية حيث أنّ وظيفة إرشاد النّاس الىٰ ما هو خير لهم وإخراجهم من الجهل الىٰ العلم فاذا كان العالم مع عِلمه مُحبّاً للدّنيا تابعاً لهواه مُعيناً للظّالم في ظلمه مُعرِضاً للحقّ وأهله فعلىٰ الإسلام السّلام ولأجل هذا قال رسُول اللّه ﷺ **اذا فَسَد العالِم فسد العالَم أعاذنا اللّه منه.**

وخامسها قوله ﷺ: **فاتَّقِ اللّهَ في نَفْسِكَ ونَازِعِ الشَّيْطانَ قِيادَكَ واصْرِفْ إلىٰ الآخِرَةِ فَهِي طَرِيقُنا وطَرِيقُكَ واحْذَرْ أنْ يُصِيبَكَ اللّهُ مِنْهُ بِعاجِلِ قارِعَةٍ تَمَسُّ الأَصْلَ وتَقْطَعُ الدَّابِرَ...**

١- الأسراء-٣٣

بعد ما بيّن عليه السلام له أنّه أوّل القرآن وسَلَك مَسلَك الباطل للوصول الىٰ الدّنيا وحُطامها وعاوَنه عليه غير واحدٍ من أهل الشّام شَرَع عليه السلام في مَوعظته **وتخويفه** من عذاب العاجل والأجل فذكر أموراً:

الأوّل، حَذّره من مُتابعة النّفس الأمّارة بالسّوء فقال عليه السلام: **فاتّق اللّهَ في نَفْسِكَ**، أي لا تَتّبع هواك فأنّ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله قد قال أنّ أخوَف ما أخاف علىٰ كم أثنان إتّباع الهَوىٰ وطول الأمل أمّا إتّباع الهَوىٰ فيُسد عن الحقّ وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة ولنعم ما قيل بالفارسية:

حَذَر از پيروى نفس كه در راه خدا

مردُم افكن تير از اين غول بيابانى نيست

وعن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: **أيّاك أن تتّبع النّفس هواها فأنّ في هواها رداها وترك هواها دواءها**، وفي قوله عليه السلام: **إتّق اللّه** إشارة الىٰ أنّ تَرك مُتابعة النّفس ينبغي أنْ يكون لِللّه تعالىٰ لا لِلدّنيا ويمكن أنّ يكون المُراد إتّق من عذاب اللّه في مُتابعة نفسك وذلك لأنّ عذاب اللّه في مُتابعة النّفس كما أنّ ثوابه في مُخالفتها.

الثّاني: أمَرَه عليه السلام بِمُخالفةِ الشّيطان وعدم الإنقياد له فأنّ القِياد بكسر القاف الزّمام يقال نازعه القِياد إذا لَم يَسترسل مَعه وفيه إشارة الىٰ أنّ الشّيطان كان قائداً له وإلاّ لا معنىٰ للأمر بالنّزاع مَعه ألا ترىٰ أنّه عليه السلام يقول نازِع الشّيطان قيادك، أي أنّ الشّيطان يقودك حيث يَشاء فَخلّص نفسك عن مُتابعته وكُن علىٰ حَذَرمن مَكره وخَديعته ولا تتّخذه قريناً لِنَفسك فأنّ اللّه تعالىٰ قال في كتابه:

﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ (١)

و: **﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾** (٢)

و: **﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾** (٣) والآيات في ذَمّ مُتابعته كثيرة وقد مرّ

١- النّساء ـ ٣٨ ٢- النّساء ـ ١١٩
٣- الإسراء ـ ٦٤

الكلام فيه مُفصّلاً.

الثالث: أمَرَه بالتّوجه الىٰ الآخرة فقال وإصرف الىٰ الآخرة وَجهك، والمُراد بصرف الوّجه اليها العَمَل لها في الدّنيا وجَعلها أكبر هَمّه وذلك لأنّ الآخرة هي الغاية القُصوىٰ فأنّ الدّنيا دار مجاز والآخرة دار قرار والعاقل لا يعتمد علىٰ ما لا بقاء له مُضافاً الىٰ أنّها دار لابدّ من الورود عليها لكلّ أحَدٍ ولذلك قال ﷺ فهي طَريقنا وطريقك.

الرّابع: حَذّره من عذاب اللّه تعالىٰ في صُورة مُتابعته الهَوىٰ فأنّ القارعة البّلية والمُصيبة التّي تَحلّ علىٰ العَبد اذا أَصّر علىٰ معصيته وطُغيانه كما في الأُمَم السّالفة هكذا قيل في المقام وقيل أنّ المُراد بالقارعة هو يوم القيامة قال اللّه تعالىٰ: **﴿الْقَارِعَةُمَاالْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَيكَ مَا الْقَارِعَةُ، يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾** (١) وعليها فالمراد بالعاجل معناه اللّغوي وهو المُسرِع والمعنىٰ إحذر أنّ يُصيبك اللّه ويبتليك في القريب من الزّمان بعذابٍ يَقطع الأصل والفَرع وهو كناية عن المَوت والمراحل بعده هذا:

ولكنّ الحقّ في المقام في معنىٰ العبارة هو الوَجه الأوّل كما لا يَخفىٰ علىٰ المُتأمل:

الخامس: أنّه أُقسم قسماً صادقاً لو جَمعه اللّه مع عدّوه في ميدان الحَرب لا يَمهله ولا يَتركه حتّىٰ يَحكم اللّه بينه وبينه فقال ﷺ فأنّي أُولي وأُقسم لك باللّه تعالىٰ اليتّه أي قَسماً غير فاجرة لأن جَمَعتني وأيّاك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك وساحتك حتّىٰ يَحكم اللّه بيننا وهو خَير الحاكمين، وكلامه ﷺ هذا مُشعر بكونه ﷺ علىٰ الحقّ ومن كان عليه فلا خَوف عليه لقوله تعالىٰ: **﴿إنّ الّذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاّتَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾** (٢)

١- القارعة ـ ١/٢/٣

٢- الفصلت ـ ٣٠

(٥٤) ومن وصيّة له عليه السلام

وصّیٰ بها شُریح ابن هانی لمّا جَعَله علیٰ مقدّمته الیٰ الشام

▫ قوله عليه السلام: إتَّقِ اللّهَ في كُلِّ صَباحٍ ومَسَاءٍ وخَفْ علىٰ نَفْسِكَ الدُّنْيا الْغُرُورَ ولا تأمَنْها علىٰ حَالٍ واَعْلَمْ أنكَ إنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَك عنْ كَثيرٍ ممَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ سَمَتْ بِكَ الأَهْوَاء إلىٰ كَثِيرٍ منَ الضَّرَرِ فَكُنْ لِنَفسِكَ مانِعاً رَادِعاً ولِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الحفِيظَةِ وَاقماً قامِعاً...

◁ اللّغة

(**خَفْ**) بفتح الخاء وسكون الفاء فعل أمرٍ من خاف يخاف (**الْغُرُورَ**) بضّم الغين مصدر قولك غرّه غُروراً وبفتحها ما يُسَبّب الإنخداع ولأجل هذا تُوصف الدّنيا به فيقال الدّنيا الغَرور وهو المراد في المقام (**تَرْدَعْ**) مضارع من رَدَع يَردع أي تَمنع (**سَمَتْ**) أي إرتفَعت (**الأَهْوَاء**) جمع هواء وهو المَيل مَع الشّهوة حيث مالَت (**نَزوَة**) بفتح النون وسكون الزّاء وفتح الواو بعدها مصدر قولك نَزىٰ يَنزو نَزواً أي وَثب (**الحفِيظَةِ**) الغَضَب (**واقِماً**) بكسر القاف إسم الفاعل من وَقِم يَقِم مثل وَعد يَعد، بمعنىٰ القَهر يقال وَقمَه أي قَهره (**قامِعاً**) أيضاً فاعل من قَمع يَقمَع بمعنىٰ الرّد والكَسر.

◁ المعنىٰ

(**إتّقِ اللّهَ**) أي إجعل التّقوىٰ لنفسك (**في كلِّ صَباحٍ ومَسَاءٍ**) واليوم واللّيلة (**وخَفْ علىٰ نَفْسَكَ الدُّنْيا الْغُرُورَ**) أي خف علىٰ ها من الدّنيا التّي هي سبب له (**ولا تأمَنْها**) أي لا تأمن علىٰ نفسك (**علىٰ حَالٍ**) من الأحوال فأنّها أمّارة بالسُّوء (**وأعْلَمْ أنّكَ إنْ لمْ تَرْدَعْ نَفْسَك**) أي أنّ لَم تَمنعها (**عنْ كَثيرٍ ممّا تُحِبُّ**) وتَميل اليـه (**مَخافَةَ مَكْرُوهٍ سَمَتْ**) وإرتَـفَعت (**بِكَ الأَهْواء**) والأميال (**إلىٰ كثِيرٍ منَ الضَّرَرِ**) في الدّنيا والآخرة.

(**فَكُن لِنَفسك مانعاً رَادِعاً**) عـــن الشّـهَوات (**ولِنَزْوَتِكَ**) وَوَثـبَتك (**عِنْدَ الحفِيظَةِ**) والغَضَب (**واقِماً قامِعاً**) أي قاهراً كاسِراً.

◁ الشّرح

هو شُريح بن هاني بن يزيد بن نهيك بن دُريد بن سفيان بن الضُباب وهو مسلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب المذحجي كان يُكنىٰ في الجاهلّية أبا الحكم لأنّه كان يحكم بينهم فكنّاه رسُول اللّه بأبي شُريح اذ وَفَد عليه وابنه شريح هذا من جلّة أصحاب علّيٍ ﷺ شَهد مَعه والمشـاهد كـلّها وعاش حتّىٰ قُتل بسيجستان في زمن الحجّاج وشريح جاهّلي إسّلامي يُكّنىٰ أبا المقدام كذا ذكره في الإستيعاب صحّ.

▫ **قوله ﷺ: إتّقِ اللّهَ في كلِّ صَباحٍ ومَسَاءٍ وخَفْ علىٰ نَفسِكَ الدُّنْيا الْغَرُورَ ولا تأمَنْها علىٰ حَالٍ...**

أمَرَه ﷺ أوّلاً بتّقوىٰ اللّه التّي هي خير الزّاد في كلِّ صَباحٍ ومَسَاءٍ أي فـي جميع الّساعات من اليوم واللّيلة وقد مَرّ الكلام في حقيقة التّقوىٰ وما وَرد فيها غير مرّةٍ في تضاعيف الكتاب فلا نعيد الكلام بالبحث عنها في المقام حَذَراً عن الإطالة والتّكرار وكفىٰ في شأنها ما ورد في مَدحها في الآيات والأخـبار وأنّــه لا يــقبل اللّـه عَـمَل العبد إلّا بـها لقـوله تـعالىٰ:﴿**إنّـما يـتقَبّلُ اللهُ مِـنَ**

﴿الْمتَّين﴾[1] وهي مَلَكة تحصل لِلنّفس تَردَعها عن المَعصية على إختلاف مراتبها شدّةً وضعفاً وآخر مراتبها العِصمَة وكيف كانَ فقد وقع الأمر بها في كثير من الآيات ونحن نذكر شَطراً منها وهو يكفينا في المقام قال اللّه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2]

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3]

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[4]

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] وغيرها من الآيات.

ثمّ أمَره ثانياً بالمُواظبة على النّفس في الدّنيا وقال خِف على نفسك الدّنيا الغَرور أي أنّ الدّنيا تغتّر النّفس بزخارفها وتجمّلاتها بحيث قلّما يتّفق لِلإنسان التّخلص منها ومن آفاتها فأنّ الدّنيا بحر عميق قد غَرق فيها خلق كثير والى ذلك المعنى أشار اللّه تعالى في كتابه حِكايةً عن يوسف النّبي حيث قال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[6] واذا كان كذلك فينبغي الخوف عليها من الدّنيا وعدم الإعتماد عليها في كلّ حال فأنّها على خطرٍ عظيم ولا حَول ولا قوّة إلّا باللّه وقد مرّ الكلام فيه أيضاً غير مرّةٍ وثالثاً أفاد عليه السلام أنّ رَدع النّفس عمّا تُحبّه خوفاً عن وصول مكروهٍ اليها يوجب الإضرار بها في كثيرٍ من الموارد وتوضيحه أنّ للنّفس مُشتهيات، ومكروهات، ونعني بالمُشتهيات ما يُوافقها بحسب الغريزة والفِطرة وبالمكروهات ما يُخالفها كذلك وهذا ظاهر:

ثُمّ أنّه لاشّك لأحدٍ أنّ الإنسان بحسب نفسه الأمّارة بالسُّوء يأخذ بالأُولى ويترك الثّاني لو خُلّي ونفسه هذا بحسب فِطرتها الأوّلية:

وفي المقام شئ آخر ينبغي التّوجه اليه وهو أنّه لا شّك أنّ في كلّ واحدٍ منهما منافع وَمَضار فليس كلّما تَشتَهيه النّفس يضّر بها ولا كلّما تكرهه ينفعها

١- المائده ـ ٢٧
٢- البقرة ـ ١٩٤
٣- البقرة ـ ١٩٦
٤- البقرة ـ ٢٠٣
٥- البقرة ـ ٢٢٣
٦- يوسف ـ ٥٣

نعم يكون الضّرر في المُشتهيات النّفسانية أكثر من النّفع في مكروهاتها ولأجل هذه الدّقيقة قال عليه السلام: **عنْ كَثيرٍ ممَّا تُحِبُّ**، ولم يقل عمّا تُحبّ على سبيل الإطلاق فحاصل كلامه عليه السلام هو أنّك لو لم تَردع أي لو لم تمنع نفسك عن كثيرٍ من مُشتهياتها مخافة مكروهٍ يصل اليها فقد أوقعتها في المَهالك ومن المعلوم أنّ العاقل لا يفعل هذا ضرورة أنّه اذا دار الأمر بين دفع مكروهٍ والوقُوع في المضّار والهَلَكات فالأخذ بالأوّل أولىٰ:

ان قلت ـ قد وَرَد عن الرّسُول صلى الله عليه وآله أنه قال **حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النّار بالشّهوات**،هذا الحديث يدّل علىٰ أنّ المكروهات النّفسانية تُوجب الجنّة والمُشتهيات النّار علىٰ سبيل العموم فلو كان الأمر كما ذكرت موافقاً لما ذكره أمير المؤمنين في المقام لكان حقّ العبارة في الحديث أن يُقال حُفّت الجنّة ببعض المكاره أو بكثير منها وحُفّت النّار أيضاً ببعض المُشتهيات أو بكثير منها ولَم يقُل صلى الله عليه وآله هذا بل حَكَم علىٰ سبيل الإطلاق ألَيسَ هذا الحَديث مُخالفاً من حيث المعنىٰ لما ذكره أمير المؤمنين في المقام حيث جَعَل عليه السلام مدار الحُكم علىٰ سبيل الأكثر الأغلب لا مُطلقاً:

قلت ـ كلّا وذلك لأنّ مدار الحديث أيضاً علىٰ الأغلب كما هو الشّأن في أكثر الأحكام لولا جميعها فأنّ الحكم في كلّ موردٍ من الموارد ناظر الىٰ الأعمّ والأغلب وما نحن فيه من هذا القبيل اذ ليست النّار محفوفة بالشّهوات مطلقاً ولا الجنّة بالمكروهات كذلك اذ لو كان الأمر علىٰ هذا المنوال لينبغي أنْ يُترك الشّهوات ويؤخذ بالمَكروهات علىٰ سبيل الإطلاق مع إنّا نعلم علماً قطَعياً أنّ كثيراً من المُشتهيات النّفسانية لا رَدع فيها عقلاً ولا شرعاً فلا يوجب إرتكابها الدّخول في النّار كما اذا كانت موافقة للشّريعة المُقدّسة وحصلت من طريقها، أليسَت النّفس تشتهي الجماع وأكِل اللّذيذ من الطّعام والشّراب واللّباس والمسكَن والهَواء وغيرها من النّعم الإلٰهية فلو كانت النّار محفوفة بالمُشتهيات مُطلقاً بلا قيدٍ وشرطٍ لينبغي تَركها مع أنّ الشّارع قد أحلّها بل رغّب بها اذا كانت مشروعة قال اللّه تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ

مِنَ الرِّزْقِ﴾[1] دلّت الآية على حلّية الطّيبات من الرّزق اذا حصلت بطريق مشروع ومن المعلوم أنّ الطّيبات ممّا تشتهيها الأنفس وهكذا الكلام في المكروهات النّفسانية فأنّ المراد بها المكروهات الّتي منع الشّارع عن إرتكابها لا مطلقاً ضرورة أنّ كثيراً من المكروهات تُوجب دخول النّار فأنّ المرتاضين الّذين يتحملون المشّاق النّفسانية المخالفة للشّريعة قد إرتكبوا المكروهات النّفسانية مع أنّ مأواهم جهنّم وبئس المصير ومحصّل الكلام أنّ معنىٰ الحديث أنّ الجنّة حُفّت بالمكاره الّتي أمَرَ الشّرع بها والنّار بالمُشتّهيات النّفسانية الّتي نهىٰ الشّرع عن الدّخول فيها وهذا ممّا لا كلام فيه ضرورة أنّ كلّ المكاره لم يُؤمر بها كما أنّ كلّ المُشتهيات لم ينهي الشّارع عنها فثبت البعض وهو المطلوب ولأجل هذا قال عليه السلام: **فَكُنْ لِنَفسِكَ مانِعاً رَادِعاً**، أي إمنعها عن الدّخول في المنهيات الشّرعية ولنزّوتك أي لوثبتك عند الحفيظة والغَضب واقماً أي قاهراً قامعاً أي كاسراً والمعنىٰ كُن علىٰ نفسك مسّلطاً قاهراً عند الغَضَب لكي لا تَقع في الهَلَكة فأنّ كسر الأنانية من النّفس رأس كُلّ الخيرات كما أنّ الغَضَب وإعماله رأس الشّرور والآفات:

عن الرّضا عليه السلام أنّه قال الغَضب مفتاح كلّ شّرٍ وقال عليه السلام قال الحوارّيون لعِيسىٰ يا معلّم الخير أعلِمنا أيّ الأشياء أشدّ قال أشدّ الأشياء غَضَب اللّه قالوا فيما يتّقي غضب اللّه قال بأن لا تغضبُوا قالوا وما بَدأُ الغضب، قال الكِبر والتّجبر ومحقرة النّاس انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ٢١٩»...

وعن الصّادق عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله والّذي نفسي بيده ما جُمع شئ الىٰ شئٍ أفضل من علمٍ الىٰ علمٍ انتهىٰ « ص ٢١٩»...

وقالَ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من كظم غيظاً وهو يقدر علىٰ أن ينفذه دعاه اللّه يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق حتّىٰ يخير من أيّ الحُور شاء انتهىٰ « ص ٢١٨»...والأخبار كثيرة:

1- الأعراف ـ٣٢.

الفهرست

ومن عهده عليه السلام (٢٥)........................... ٥
قوله عليه السلام: فاخْفِضْ لَهُمْ جَناحِكَ وأَلِنْ لهُمْ الى وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ **متن**... ٦
اللّغة... ٦
المعنىٰ.. ٧
الشّرح... ٩
قوله عليه السلام: فاخْفِضْ لهُمْ جَنَاحَكَ وأَلِنْ لهُمْ جانِبَكَ وأبْسُطْ لَهُمْ و........ ٩
قوله عليه السلام: حَتّىٰ لا يَطْمَعَ العُظَماءَ فِي حيفِكَ لَهُمْ ولا يَيْأسَ و........... ١٠
قوله عليه السلام: فأنّ اللّه تعالىٰ يُسَائِلَكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ و..... .... ١١
قوله عليه السلام: فإِنْ يُعَذِّبْ فَأنْتمْ أَظْلَمْ وإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.............. ١١
قوله عليه السلام: وأعْلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أنَّ المُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعاجِلِ و............. ١٣
قوله عليه السلام: سَكَنُوا الدُّنْيا بأَفْضَلِ ما سُكِنَتْ وأكَلُوها بأَفْضَلِ مَا و........ ١٣
قوله عليه السلام: ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْها بالزّادِ المُبَلِّغ والْمَتْجَرِ الرَّابِح و............. ١٣
قوله عليه السلام: فأحْذَروا عِبادَ اللّهِ المَوْتَ وقُرْبَهُ وأعِدُّوا لهُ عُدَّتَهُ و......... ١٤
قوله عليه السلام: فَمَنْ أَقْرَبُ إِلىٰ الْجَنَّةِ منْ عَامِلِها ومَنْ أَقْرَبُ إِلىٰ و.......... ١٤
قوله عليه السلام: وأنْتُمْ طُرَدَاء الْمَوْتِ أنْ أقَمْتُمْ لهُ أخِذتُم وإِنْ فَرَرْتُمْ و....... ١٥
قوله عليه السلام: المَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَواصِيكُمْ والدُّنْيا تُطْوَي من خَلْفِكُمْ........... ١٦
قوله عليه السلام: فاحْذَروا ناراً قَعْرُها بَعِيدٌ وحَرُّها شَدِيدٌ وَعذَابُها و........ ١٧
قوله عليه السلام: دَارٌ لَيْسَ فِيها رَحْمَةٌ وَلا تُسْمَعُ فِيها دَعْوَةٌ و............... ١٧
قوله عليه السلام: وإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفَكُمْ منَ اللّهِ وَأنْ و..... .... ١٨
قوله عليه السلام: واعْلَمْ يَامُحَمَّدُ بْنَ أبي بكْرٍ أنِّي قَدْ ولَّيْتُكَ أعْظَمَ و..... ...... ٢١
قوله عليه السلام: ولوْ لمْ يَكُنْ لَكَ إلّا سَاعَةٌ منَ الدَّهْرِ ولا تُسْخِط اللّهَ و....... ٢٢

قوله ﷺ: صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِها المُوَقَّتِ لَها وَلا تُعَجِلْ وَقْتَها و...... ٢٢
قوله ﷺ: واعْلمْ أنَّ كُلَّ شَيْ منْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ........ ٢٤
قوله ﷺ: فإِنَّهُ لا سَوَاءٌ إِمَامَ الْهُدَىٰ وَإِمَامُ الرَّدَىٰ وَوَليِّ و........ ٢٥
قوله ﷺ: وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولَ اللَّهِ ٩ إِنِّي لا أخَافُ عَلىٰ أُمَّتي و...... ٢٥
ومن كتاب له ﷺ (٢٦)........ ٢٧
قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أتانِي كِتابُكَ تَذْكُرُ الى لظَّالِمينَ بِبَعِيدٍ متن ٢٩
اللّغة........ ٢٩
المعنىٰ........ ٣٠
الشّرح........ ٣٤
قوله ﷺ: فَقَدْ أتانِي كِتابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ تَعالىٰ و.....٩....... ٣٤
قوله ﷺ: فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً إِذْ طَفِقْتَ تَخبِرُنَا بِبَلاَءِ و...... ٣٦
قوله ﷺ: وَزَعَمْتَ أنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وفُلاَنٌ و.....
قوله ﷺ: وَمَا لِلطُّلَقاءِ وَأبْناءِ الطُّلَقاءِ وَالتَّمْييزِ بينَ المُهاجِرينَ و...... ٣٧
قوله ﷺ: هَيْهَاتَ لَقَدْحَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ وَطفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا و...... ٣٧
قوله ﷺ: أَلا تَرْبَعِ أَيُّها الإِنْسَانُ عَلىٰ ظَلَعِكَ وَتَعْرِفَ قُصُورَ و...... ٣٨
قوله ﷺ: ألا تَرَىٰ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ........ ٣٨
قوله ﷺ: إِنَّ قَوْماً اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ منَ الْمُهَاجِرِينَ و...... ٣٨
قوله ﷺ: أوَ لا تَرَىٰ أنَّ قَوْماً قَطِعَتْ أَيْديهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و...... ٣٩
قوله ﷺ: ولَوْلاَ ما نَهَىٰ اللَّهُ عنْهُ منْ تَزْكِيَةِ المَرءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ و...... ٣٩
قوله ﷺ: فإنَّا صَنَائِعُ رَبِّنا والنَّاسُ بَعْدَ صَنَائِعُ لَنَا........ ٤٠
قوله ﷺ: لَمْ يَمْنَعْنا قَدِيمَ عِزِّنَا وَلا عادِيٌّ طَوْلِنا علىٰ و...... ٤٥
قوله ﷺ: وأنّىٰ يكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ ومِنَّا النبيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ و...... ٤٥
قوله ﷺ: فإِسْلاَمُنا مَا قَدْ سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتُنا لا تُدْفَعُ وَكِتَابُ اللَّهِ و...... ٤٦
قوله ﷺ: فَنحْنُ مَرَّةً أوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ وتارَةً أوْلىٰ بالطَّاعَةِ و...... ٤٧

قوله ﷺ: ولَمّا احْتَجَّ المُهاجِرُونَ عَلىٰ الأَنْصارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ و...... ٥٠
قوله ﷺ: وزَعَمْتَ أَنِّي لِكلِّ الخُلَفاءِ حَسَدْتُ وعلىٰ كُلِّهِمْ و........ ٥٣
قوله ﷺ: وَقُلْتَ أَنِّي كُنْتُ أُقادُ كَمَا يَقادُ الْجَمَلُ المَخْشُوشُ و...... ٥٣
قوله ﷺ: وَمَا عَلىٰ المُسْلِمِ من غَضاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً و...... ٥٤
قوله ﷺ: ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كانَ منْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمانَ فَلَكَ أَنْ و........ ٥٤
قوله ﷺ: فأيُّنا كانَ أَعْدَىٰ لَهُ وأَهْدَىٰ إِلىٰ مَقَاتِلِهِ أَمَّنْ بَذَلَ و........ ٥٥
قوله ﷺ: كَلَّا واللَّهِ لَقَد عَلِمَ اللَّهِ المُعَوِّقينَ مِنْكُمْ وَالْقائِلينَ و...... ٥٥
قوله ﷺ: وَمَا كُنْتُ لأَعْتَذِرَ من أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً فإنْ و........ ٥٦
قوله ﷺ: وذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي ولأَصْحابِي إِلَّا السَّيْفَ فَلَقَدْ و........ ٥٦
قوله ﷺ: لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الهَيْجا حَمَلْ فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ و...... ٥٧
قوله ﷺ: وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهاجِرينَ و........ ٥٧
قوله ﷺ: شَدِيدٍ زِحامُهُمْ ساطعٍ قَتامُهُمْ مُتَسَرْبِلينَ سِربالَ و........ ٥٧
ومن كتابٍ له ﷺ (٢٧)........................ ٥٩
قوله ﷺ: وَقَدْ كانَ مِنَ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقاقِكُم **الى** نَاكِثاً إِلىٰ وَفِيٍّ **متن** ٥٩
اللّغة ٥٩
المعنىٰ ٦٠
الشّرح........................ ٦٠
قوله ﷺ: وَقَدْ كانَ مِنَ إِنْتَشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عنْهُ. ٦٠
قوله ﷺ: فَعفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عنْ مُدْبِرِكُمْ و........ ٦٠
قوله ﷺ: فَإِنْ خَطَتْ بِكُمْ الأُمُورُ المُرْدِيةُ وَسَفَهُ الآراءِ الجَائِرَةِ و...... ٦١
قوله ﷺ: وِلَئِن أَلْجأْتُمُونِي إِلىٰ المَسيرِ إِلَيْكُمْ لأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً و...... ٦١
قوله ﷺ: مَعَ أَنِّي عارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ وَلِذِي و........ ٦١
قوله ﷺ: غَيرُ مُتَجاوِزٍ مُتَّهِماً إِلىٰ بَرِيٍّ وَلا ناكِثاً إِلىٰ وَفِيٍّ........ ٦٢
ومن كتاب له ﷺ (٢٨)........................ ٦٣

قوله ﷺ: فاتّقِ اللهِ فِيمَا لَدَيْك .وانْظُرْ فِي الى عَلَيْكَ المَسَالِكَ **متن** ٦٣
اللّغة ٦٣
المعنىٰ ٦٤
الشّرح ٦٤
قوله ﷺ: فاتّقِ اللّهَ فِيما لَدَيْكَ وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَليْكَ. ٦٤
قوله ﷺ: وارْجِعْ إِلىٰ مَعْرِفَةِ مَا لا تُعْذَرُ بِجَهالَتِهِ. ٦٥
قوله ﷺ: فإنَّ لِلطَّاعةِ أَعْلاَماً واضِحَةً وسُبُلاً نَيِّرَةً وَمَحَجَّةً و...... . . . . . . ٦٥
قوله ﷺ: يَرِدها الأَكْياسُ ويُخالِفُها الأَنْكاسُ مَنْ نَكَبَ عَنْها و...... . . . . . . ٦٥
قوله ﷺ: وَإِنَّ نَفسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً وأَقْحَمَتْكَ غَيّاً و...... . . . . ٦٧
ومن وصيّةٍ له ﷺ (٢٩) ٦٨
قوله ﷺ: مِنَ الْوَالِدِ الفَانِ المُقِرِّللزّمانِ **الى** بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ **متن** . . . ٦٩
اللّغة ٦٩
المعنىٰ ٧٠
الشّرح ٧٢
قوله ﷺ: مِنَ الوَالِدِ الفَانِ المُقِرِّ لِلزَّمانِ المُدْبِرِ الْعُمُرِ المُسْتَسْلِمِ و...... . ٧٢
قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي فِيما تَبَيَّنْتُ من إِدْبارِ الدُّنْيَا عَنِّي وجُمُوحِ و..... . ٧٥
قوله ﷺ: غَيرَ أَنِّي حَيْثِ تَفَرَّدَ بي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي و...... . . ٧٦
قوله ﷺ: وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كلِّي حَتّىٰ كأنَّ شَيْئاً و...... . . . . . ٧٦
قوله ﷺ: فإنِّي أُوْصِيكَ بِتَّقْوَىٰ اللّهِ ولُزُومِ أمْرِهِ وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ و...... . . . ٧٧
قوله ﷺ: وأيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ من سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَينَ اللّهِ إِنْ و..... . . . . ٧٨
قوله ﷺ: أَحيِ قَلْبَكَ بالمَوْعِظَةِ وأَمِتْهُ بالزَّهَادَةِ وَقَوِّهِ باليَقِينِ و..... . . . . ٧٨
قوله ﷺ: ونَوِّرهِ بالحِكْمَةِ أي نوّر القلب بها قال اللّه تعالىٰ و...... . . . . . . ٨١
قوله ﷺ: وَبَصِّرْهُ فجائِعَ الدُّنْيا وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ و...... . . . . ٨٢
قوله ﷺ: وأعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبارَ المَاضِينَ وذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ و...... . . . . ٨٢

قوله عليه السلام: فإنَّك تجِدُهُمْ قَدْ انْتَقلُوا عَنِ الأحِبَّةِ وحلُّوا دِيارَ و........ ٨٢
قوله عليه السلام: وأمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ فإنَّ الْكَفَّ و........ ٨٣
قوله عليه السلام: وَأمُرْ بِالمَعْرُوفِ تَكُنْ منْ أهْلِهِ وأنْكِرِ المُنْكَرَ و........ ٨٤
قوله عليه السلام: وَجَاهِدِ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلاَ تَأخُذْكَ في اللَّهِ لَوْمةُ لائِمٍ... ٨٥
قوله عليه السلام: وخُضِ الغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كانَ تَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، و........ ٨٦
قوله عليه السلام: وَأَخْلِصْ فِي المَسألةِ لِرَبِّكَ فَإنَّ بِيَدِهِ العَطاءَ وَالحِرْمانَ و...... ٨٨
قوله عليه السلام: وتَفَهَّمْ وَصِيَّتي ولا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً فإنَّ خَيرَ القَوْلِ و...... ٨٩
الفصل الثّاني **٩٠**
قوله عليه السلام: أي بُنَيَّ إنِّي لمَّا رَأيْتَني قَدْ بَلَغْتُ الى إِلَيْكَ وَصِيَّتي هذِهِ **متن** . ٩١
اللّغة ٩١
المعنىٰ ٩١
الشّرح ٩٣
قوله عليه السلام: أيْ بُنَيَّ إنِّي لمَّا رأيْتَني قدْ بَلَغْتُ سِناً ورَأيْتَني أزْدَادُ و........ ٩٣
قوله عليه السلام: دُونَ أنْ أُفضِي إِلَيْكَ بِما فِي نَفْسِي وأنْ أنْقُصَ فِي و........ ٩٣
قوله عليه السلام: أوْيَسْبِقَني إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الهَوىٰ أوْ فِتَنِ و........ ٩٣
قوله عليه السلام: وإِنَّمَا قَلْبُ الحَدَثِ كالأرْضِ الخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيها و........ ٩٤
قوله عليه السلام: فَبادَرتُكَ بالأدَبِ قَبْلَ أنْ يَقْسُو قَلْبُكَ ويَشْتَغِلَ و........ ٩٤
قوله عليه السلام: فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ وَعُوفِيتَ منْ عِلاَجِ و........ ٩٤
قوله عليه السلام: أيْ بُنَيَّ إنِّي وَإنْ لَمْ أكُنْ عَمِرْتُ عُمْرَ مَنْ كانَ قَبْلِي و........ ٩٥
قوله عليه السلام: بَلْ كأنِّي بِمَا انْتَهىٰ إِلَيَّ منْ أُمُورِهِمْ قَدْ عَمِرْتُ مَعَ و........ ٩٥
قوله عليه السلام: ورَأيْتُ حَيْثُ عنَانِي منْ أمْرِكَ مَا يَعْني الوَالِدَ الشَّفِيقَ و........ ٩٥
قوله عليه السلام: وأنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ ومُقْتَبِلُ الدَّهْرِ ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ و........ ٩٥
قوله عليه السلام: وأنْ أبْتَدِأكَ بِتَعْلِيم كِتابِ اللَّهِ وَتَأوِيلِهِ وَشَرَائِعِ و........ ٩٦
قوله عليه السلام: ولاَ أُجاوِزَ لَكَ غَيْرِهِ ثُمَّ أشْفَقْتُ أنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ و........ ٩٧

قوله عليه السلام: فَكَانَ إحكامُ ذَلِكَ علىٰ مَا كَرِهتَ من تَنبِيهِكَ لهُ و..... ٩٨
الفصل الثّالث........................ ٩٨
قوله عليه السلام: وأعْلمْ يا بُنيَّ أنَّ أحبَّ ما أنتَ آخِذٌ **الى** مَبْلغَ نَظَرِي لَكَ **متن**. ٩٩
اللّغة..................................... ٩٩
المعنىٰ.................................... ١٠٠
الشّرح..................................... ١٠١
قوله عليه السلام: واعْلمْ يَابُنيَّ أنَّ أحبَّ مَا أنتَ آخِذٌ بِهِ إليَّ منْ و...... ١٠١
قوله عليه السلام: فإنّهمْ لمْ يَدَعُوا أنْ نَظَرُوا لأنفُسِهِمْ كَمَا أنْتَ و...... ١٠٣
قوله عليه السلام: فإنْ أبَتْ نَفسُكَ أنْ تَقْبَلَ ذلِكَ دُونَ أنْ تَعْلَمَ كَمَا و...... ١٠٦
قوله عليه السلام: وأبْدأ قَبلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بالاسْتِعانَةِ بإلٰهِكَ و..... ١٠٨
قوله عليه السلام: فإذَا أيْقَنتَ أنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ وتَمَّ رَأيُكَ و...... ١٠٩
قوله عليه السلام: وإنْ أنتَ لمْ يَجْتمِعْ لَكَ ما تُحِبُّ من نَفْسِكَ وفَرَاغِ و..... ١٠٩
قوله عليه السلام: فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وصِيَّتي واعْلم أنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ و..... ١٠٩
قوله عليه السلام: وأنَّ الدُّنيَا لمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَ إلَّا علىٰ ما جَعَلَها و...... ١١٠
قوله عليه السلام: فأنْ أشْكلَ عَلَيْكَ شَيٌ من ذَلِكَ فأحْمِلْهُ عَلىٰ و...... ١١١
قوله عليه السلام: فاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ وَلْيَكُنْ و...... ١١١
قوله عليه السلام: واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أنَّ أحَداً لمْ يُنبِئ عَنَ اللَّهِ كَمَا و...... ١١٣
الفصل الرّابع........................ ١١٤
قوله عليه السلام: وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أنَّهُ لوْ كانَ لِرَبِّكَ **الى** فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ **متن** .. ١١٥
اللّغة..................................... ١١٥
المعنىٰ.................................... ١١٦
الشّرح..................................... ١١٨
قوله عليه السلام: واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أنَّهُ لوْ كانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ و...... ١١٨
قوله عليه السلام: ولكِنَّهُ إلٰهٌ واحِدٌ كما وصَفَ نَفْسَهُ لا يُضَادُّهُ في و...... ١٢١

قوله عليه السلام: أَوَّلَ قَبْلَ الأَشْياءِ بَلاَ أوَّلِيَّةٍ وَآخِرَ بَعْدَ الأَشْياءَ بَلاَ نِهايَةٍ..... ١٢١
قوله عليه السلام: عَظُمَ عَنْ أنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتَهُ بإحاطَةِ قَلْبٍ و............... ١٢٢
قوله عليه السلام: فإذَا عَرَفْتَ ذلِكَ فأفْعَلْ كَما يَنْبَغِي لمِثْلِكَ و............... ١٢٢
قوله عليه السلام: فإنَّهُ لمْ يأمُرْكَ إلَّا بِحَسَنٍ ولمْ يَنْهكَ إلَّا عَنْ قَبِيحٍ.......... ١٢٣
قوله عليه السلام: يابُنَيَّ إنِّي قدْ أَنْبأتُكَ عَنْ الدُّنْيا وحالِها وزَوَالِها و.......... ١٢٣
قوله عليه السلام: إنَّما مَثَلُ مَنْ خَبرَ الدُّنْيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبأ بِهِمْ و........... ١٢٤
قوله عليه السلام: لِيَأتُوا سَعَةَ دَارِهِم وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ فَلَيْسَ يَجِدُونَ و......... ١٢٤
قوله عليه السلام: وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كانُوا بِمنزِلِ خَصِيبٍ و....... ١٢٥
قوله عليه السلام: يَابُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيما بَيْنَكَ وبيْنَ غَيرِكَ و....... ١٢٥
قوله عليه السلام: وأحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أنْ يُحْسَنْ إلَيْكَ واسْتَقْبِحْ و.......... ١٢٥
قوله عليه السلام: واعْلَمْ أَنَّ الإعْجَابَ ضِدُّ الثَّوَابِ وَآفةُ الأَلْبابِ و.......... ١٢٦
قوله عليه السلام: وإذا كُنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ،.... ١٢٨
قوله عليه السلام: واعلمْ أَنَّ أمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ.... ١٢٨
قوله عليه السلام: وأنَّهُ لا غِنَىٰ لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الإرْتِيادِ وقَدْرِ بَلاَغِكَ و..... ١٢٩
قوله عليه السلام: وإذا وَجَدْتَ منْ أهْلِ الْفاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادكَ و........ ١٢٩
الفصل الخامس **١٣١**
قوله عليه السلام: واعْلَمْ أنَّ أمَامَكَ عقبةً كَؤُداً المُخِفُّ الى مُقِيماً وادِعاً متن.. ١٣٢
اللّغة.. ١٣٢
المعنىٰ ١٣٣
الشّرح ١٣٦
قوله عليه السلام: فأزْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ وَوَطِئِ المَنْزِلَ قَبْلَ و........... ١٣٧
قوله عليه السلام: واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمواتِ والأَرْضِ قدْ و...... ١٣٨
قوله عليه السلام: وَلمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عنْكَ ولمْ و............ ١٤٠
قوله عليه السلام: ولمْ يَمْنَعْكَ أنْ أسأتَ مَنَ التوْبَةِ ولمْ يُعاجِلْكَ و.......... ١٤١

قوله عليه السلام: ولمْ يَفضَحْكَ حَيْثُ الفَضِيحَةُ بكَ أوْلىٰ ولمْ يُشَدِّدْ و....... ١٤٣
قوله عليه السلام: ولمْ يُنَاقِشْكَ بالجَرِيمَةِ ولمْ يُؤيِسْكَ منَ الرَّحْمَةِ.......... ١٤٤
قوله عليه السلام: بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً وَحَسَبَ و.......... ١٤٤
قوله عليه السلام: فَإِذَا نادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ وإِذا ناجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ.......... ١٤٦
قوله عليه السلام: فأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بحاجَتِكَ وأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ و.......... ١٤٦
قوله عليه السلام: مِنْ زِيَادَةِ الأَعمَارِ وصِحَّةِ الأَبْدَانِ وسَعَةِ الأَرْزَاقِ.......... ١٤٧
قوله عليه السلام: ثمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ و.......... ١٤٧
قوله عليه السلام: فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إبطاءُ إجابَتِهِ فإِنَّ الْعَطِيَّةَ علىٰ قَدْرِ النِّيَّةِ.......... ١٤٧
قوله عليه السلام: ورُبَّما أُخِّرَتْ عنكَ الإجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ و.......... ١٤٨
قوله عليه السلام: وَرُبَّما سأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤتاهُ وأُوتِيتَ خَيراً مِنْهُ و.......... ١٤٨
قوله عليه السلام: فَلَرُبَّ أمْرٍ قدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لوْ أُوتِيتَهُ و.......... ١٤٨
قوله عليه السلام: واعلمْ أنَّكَ إنَّما خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنْيا ولِلْفَناءِ و.......... ١٤٩
قوله عليه السلام: وأنَّكَ فِي مَنزِلِ قُلْعَةٍ ودَارِ بُلْغَةٍ وَطَرِيقٍ إلىٰ الآخِرَةِ.......... ١٥٠
قوله عليه السلام: وأنَّكَ طَرِيدُ الْمَوتِ الَّذِي لا يَنْجُو مِنْهُ هارِبُهُ و.......... ١٥٠
قوله عليه السلام: فَكُنْ مِنْهُ عَلىٰ حَذَرٍ أنْ يُدْرِكَكَ وأنتَ عَلىٰ و.......... ١٥٠
قوله عليه السلام: يَابُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ و.......... ١٥١
قوله عليه السلام: وإِيَّاكَ أنْ تَغْتَرَّ بما تَرَىٰ منْ إِخْلاَدِ أهْلِ و.......... ١٥١
قوله عليه السلام: فَقَدْ نَبَّأَ اللَّهُ عنها ونَعَتْ لَكَ نَفْسَها وتَكَشَّفَتْ و.......... ١٥١
قوله عليه السلام: فإنَّما أهْلُها كِلاَبٌ عاوِيَةٌ وسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ يَهِرُّ و.......... ١٥٢
قوله عليه السلام: نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ وأُخْرَىٰ مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَها و.......... ١٥٣
قوله عليه السلام: لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُها ولا مُسِيمٌ يُسِيمُها سَلَكَتْ و.......... ١٥٤
قوله عليه السلام: رُوَيداً يُسْفِرُ الظَّلاَمُ كأنْ قدْ ورَدَتِ الأَظْعانِ و.......... ١٥٤
الفصل السّادس :.................................. ١٥٧
قوله عليه السلام: واعْلَمْ يَقِيناً أنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ الى سَرَّكَ أنْ تَسوءَهُ **متن**.. ١٥٩

اللّغة.. ١٥٩
المعنىٰ:.. ١٥٩
الشّرح ١٦٢
قوله عليه السلام: واعْلمْ يَقِيناً أنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعدُو أجلَك ١٦٢
قوله عليه السلام: وأنَّكَ فِي سَبيلٍ منْ كانَ قَبلَكَ فَخَفِّضْ فِي و........... ١٦٤
قوله عليه السلام: فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بمَرْزُوقٍ ولا كلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ......... ١٦٤
قوله عليه السلام: وأكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كلِّ دَنِيَّةٍ وإِنْ سَاقَتْكَ إلىٰ و........... ١٦٤
قوله عليه السلام: ولا تَكُنْ عَبْدَ غيرِكَ وقدْ جَعَلَكَ اللّهُ حُرّاً............. ١٦٥
قوله عليه السلام: وما خَيْرُ خَيْرٍ لايُنالُ إلَّا بِشَرٍّ ويُسْرٍ لا يُنالُ إلَّا بِعُسرٍ....... ١٦٦
قوله عليه السلام: وإيَّاكَ أنْ تُوجِفَ بِكَ مَطايا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَناهِلَ و..... ١٦٧
قوله عليه السلام: استَطَعْتَ أنْلا يَكُونَ بَيْنَك وَبَيْنَ اللّهِ ذُو نُعْمَةٍ و..... ١٦٩
قوله عليه السلام: وَتَلافِيكَ مَا فَرَطَ منْ صَمْتِكَ أيْسَرُ مَنْ إدْرَاكِكَ و......... ١٧٠
قوله عليه السلام: وحِفْظُ مَا فِي الوِعَاء بِشَدِّ الْوِكاءِ .وَحِفْظُ مَا فِي و......... ١٧١
قوله عليه السلام: ومَرَارَةُ الْيأسِ خَيْرٌ منَ الطَّلَبِ إلىٰ النَاسِ ١٧١
قوله عليه السلام: والحِرْفةُ مَعَ الْعِفَّةِ خيرٌ مِنَ الْغِنىٰ مَعَ الْفُجُورِ ١٧٢
قوله عليه السلام: والمَرَءَ أحفَظُ لِسرِّهِ ورُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ مَنْ و..... ...... ١٧٣
قوله عليه السلام: ورُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ مَنْ أَكْثَرَ أهْجَرَ ومَنْ و............ ١٧٤
قوله عليه السلام: قارِنْ أهْلَ الخيرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وبَايِنَ أهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ.... ١٧٧
قوله عليه السلام: بِئْسَ الطَّعامُ الحَرَامُ وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أفْحَشُ و........... ١٧٧
قوله عليه السلام: إذَا كانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كانَ الْخُرْقُ رِفْقاً................ ١٨٠
قوله عليه السلام: رُبَّما كانَ الدَّوَاءُ دَاءً والدَّاءُدَواءً.................. ١٨١
قوله عليه السلام: وَرُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النَّاصحِ وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ ١٨٢
قوله عليه السلام: وَإيَّاكَ واتِّكالَكَ عَلىٰ الْمُنىٰ فإِنَّها بَضَائِعُ الْموتَىٰ ١٨٢
قوله عليه السلام: والْعَقْلُ حِفْظُ التَّجارِبِ وَخيرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعظَكَ ١٨٣

قوله عليه السلام: بادِرِ الفُرْصَةَ قَبلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً ١٨٣
قوله عليه السلام: لَيسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ولا كلُّ غائِبٍ يَؤُبُ ١٨٤
قوله عليه السلام: وَمِنَ الْفَسَادِ إضاعَةُ الزَّادِ وَمَفْسَدَةُ المَعَادِ ١٨٤
قوله عليه السلام: ولكلّ أمرٍ عاقبة سوف يأتيك ما قدّر لك........................ ١٨٥
قوله عليه السلام: ولِكلِّ امْرِءٍ عاقِبةَ. سَوْفَ يَأْتِيَك مَا قُدِّرَ لَكَ التَّاجِرُ و........ ١٨٥
قوله عليه السلام: مَاذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ وَلا تُخاطِرْ بِشيٍ رَجاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ ١٨٧
قوله عليه السلام: وإيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجاجِ. ١٨٧
قوله عليه السلام: إِحْمِلْ نَفْسَكَ منْ أخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلىٰ الصِّلةِ و........ ١٨٧
قوله عليه السلام: أنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أوْأنْ تَفْعَلهُ بِغيرِ أهْلِهِ........ ١٨٨
قوله عليه السلام: لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتعادِيَ صَدِيقَكَ........ ١٨٨
قوله عليه السلام: ووأَمْحَضْ أخاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كانَتْ أَوْ قَبِيحَةً. ١٨٨
قوله عليه السلام: وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فإنِّي لمْ أرَ جُرْعَةً أحْلىٰ مِنْها عاقِبَةً و........ ١٨٩
قوله عليه السلام: وخُذْ عَلىٰ عَدُوِّكَ بالْفَضْلِ فإنَّهُ أحْلىٰ الظَّفَرَيْنَ. ١٩٠
قوله عليه السلام: وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ. ١٩١
قوله عليه السلام: وَلا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ إتِّكالاً علىٰ ما بَيْنَكَ وَبَيْنِه و........ ١٩١
قوله عليه السلام: ولا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقىٰ الْخَلْق بكَ وَلا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ و........ ١٩٢
قوله عليه السلام: ولا يَكُونَنَّ أخُوكَ عَلىٰ مقَاطَعَتِكَ أقْوىٰ مِنْكَ عَلىٰ و........ ١٩٣
قوله عليه السلام: ولا يَكْبُرَن عَليْكَ ظُلْمُ مِنْ ظَلَمَك فَإنَّهُ يَسْعَىٰ فِي و........ ١٩٣
الفصل السابع........................ ١٩٣
قوله عليه السلام: واعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ الرِّزْق رِزقان رِزقٌ **الى** والآخِرَةِ والسَّلاَم**متن** ١٩٤
اللّغة........................ ١٩٤
المعنىٰ........................ ١٩٥
الشّرح........................ ١٩٧
قوله عليه السلام: واعْلَمْ يَابُنَيَّ أنَّ الرِّزْق رِزْقان رِزقٌ تَطْلُبُهُ ورِزقٌ و........ ١٩٧

قوله ﷺ: مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعُ عِنْدَ الْحَاجَةِ والجَفَاءَ عِنْدَ و........... ٢٠٠
قوله ﷺ: ما أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ.......................... ٢٠٠
قوله ﷺ: وَإِنْ جَزِعْتَ عَلَىٰ مَا تَفَلَّتَ من يَدَيْك فأجْزَعُ و........... ٢٠٠
قوله ﷺ: إِسْتَدِلَّ عَلَىٰ مَا لمْ يَكُنْ بمَا قدْ كانَ الأُمور أشباه.......... ٢٠١
قوله ﷺ: وَلا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بالَغْتَ و........... ٢٠١
قوله ﷺ: إِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُوم بِعَزائِمِ الصَّبْرِ وحُسْنِ اليَقِينِ. . ٢٠٤
قوله ﷺ: مَنْ تَرَكَ القَصْدَ جَار. والصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ والْصَّدِيقُ و..... . ٢٠٤
قوله ﷺ: مَنْ تَرَكَ القَصْدَ جَار. والصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ والْصَّدِيقُ و..... . ٢٠٤
قوله ﷺ: والغَريب من لَم يَكُنْ لهُ حَبِيبٌ من تَعَدَّىٰ الْحَقَّ و........ ٢٠٥
قوله ﷺ: وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كانَ أبْقَىٰ لهُ.................. ٢٠٦
قوله ﷺ: وأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ.............. ٢٠٧
قوله ﷺ: وَمَنْ لَمْ يُبالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ........................ ٢٠٧
قوله ﷺ: قَدْ يَكُونُ اليَأس إدْرَاكاً إذَا كانَ الطَّمَعُ هَلاكاً............ ٢٠٨
قوله ﷺ: لَيْسَ كلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرَ (تظهر)....................... ٢٠٨
قوله ﷺ: ولا كلُّ فُرْصَةٍ تصَابُ. ورُبَّما أخطأ البَصِرُ قَصْدَهُ و.......... ٢٠٩
قوله ﷺ: أَخِّرِ الشَّرُّ فإنَّكَ إذَا شِئتَ تعجَّلْتَهُ.................... ٢١٢
قوله ﷺ: وَقطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ العَاقِلِ................... ٢١٢
قوله ﷺ: مَنْ أَمِنَ الزَّمانَ خانَهُ وأَعظَمَهُ أهانَهُ لَيْسَ كلُّ و.......... ٢١٣
قوله ﷺ: إذَا تَغَيَّرَ السُّلْطانُ تَغيَّرَ الزَّمانُ......................... ٢١٣
قوله ﷺ: سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وعَنْ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ.......... ٢١٤
قوله ﷺ: إيَّاكَ أنْ تَذْكُرَ في الكلامِ مُضْحِكاً وإنْ حَكَيْتَ و..... ..... ٢١٤
قوله ﷺ: وَإيَّاكَ ومُشاوَرَةِ النِّساءِ فإنَّ رَأيَهُنَّ إلىٰ أَفَنٍ و.............. ٢١٥
قوله ﷺ: وأكْفُفْ عَلَيْهِنَّ من أبْصارِهِنَّ بِحِجابِكَ أيَّاهُنَّ فإنَّ و......... ٢١٦
قوله ﷺ: وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَ بأشَدَّ منْ إدْخالِكَ منْ لايُوثَقُ و........... ٢١٧

قوله عليه السلام: اسْتَطَعْتَ أنْ لا يَعْرِفَنَ غَيْرَكَ فأفْعَلْ ٢١٨
قوله عليه السلام: وَلا تُمَلِّكْ الْمَرْأةَ منْ أمْرِها مَا جاوزَ نَفْسَها و............. ٢١٨
قوله عليه السلام: ولا تَعْدُ بكَرامَتِها نَفْسَها ولا تُطْمِعْها فِي أنْ تَشْفَعَ بِغَيرِها .. ٢١٩
قوله عليه السلام: وإيَّاكَ والتَّغايُرَ في غَيرِ مَوضِعَ غَيْرَةٍ فإنَّ ذلكَ و............. ٢١٩
قوله عليه السلام: وأجْعَلْ لِكلِّ إنْسانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأخُذُهُ بهِ و.......... ٢٢٠
قوله عليه السلام: وإكْرِمْ عَشيرَتَكَ فإنَّهُمْ جَناحُكَ الَّذي بهِ تَطِيرُ و.......... ٢٢٠
قوله عليه السلام: اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِيْنَكَ ودُنْيَاكَ وأسْألْهُ خَيْرَ و.................. ٢٢٠
ومن كتاب له عليه السلام (٣٠) ٢٢٩
قوله عليه السلام: وأَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النّاس كثِيراً **الى** مَنْكَ والسَّلاَمُ**متن** ٢٢٩
اللّغة ٢٢٩
المعنىٰ ٢٢٩
الشّرح ٢٣٠
قوله عليه السلام: وأَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النَّاسِ كثِيراً.......................... ٢٣٠
قوله عليه السلام: خَدَعتَهُمْ بِغَيِّكَ وألْقَيْتَهُمْ في مَوْجِ بَحْرِكَ تَغْشاهُمْ و....... ٢٣١
قوله عليه السلام: فَجازُوا عَنْ وِجهَتِهم ونَكَصُوا علىٰ أعقَابِهِمْ وتَوَلَّواو....... ٢٣١
قوله عليه السلام: إلّا مَن فاءَ مِنْ أهْلَ البَصائِرِ فإنَّهُمْ فارَقُوكَ بعْدَ و.......... ٢٣٣
قوله عليه السلام: إذ حَمَلْتَهُمْ علىٰ الصَّعْبِ وعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ القَصْدِ ٢٣٤
قوله عليه السلام: فاتَّقِ اللّهَ يا مُعاوِيَةَ في نَفْسِكَ وجاذِبِ الشَّيْطانَ و......... ٢٣٤
ومن كتاب له عليه السلام (٣١) ٢٣٦
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدَ فإنَّ عَيْني بالمَغْرِبِ كَتَبَ **الى** فَشِلاً والسَّلاَمُ **متن** .. ٢٣٦
اللغّة ٢٣٦
المعنىٰ ٢٣٧
الشّرح ٢٣٧
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدَ فإنَّ عَيني بالمَغْرِبِ كَتَبَ إلَيَّ أنَّهُ وُجِّهَ علىٰ و..... ٢٣٧

قوله ﷺ:الّذينَ يَلْتَمِسُونَ الحَقَّ بالْباطِلِ ويُطِيعُونَ و............... ٢٤٢
قوله ﷺ: ولَنْ يَفُوزَ بالخَيرِ إلاَّ عَامِلُهُ ولا يُجزىَ جَزَاء الشَّرِّ و........ ٢٤٥
قوله ﷺ: فأقِمْ علىٰ ما فيَ يَدَيكَ قِيامَ الحازِمِ الصّلِيبِ و.......... ٢٤٧
قوله ﷺ: وإيَّاكَ وما يُعتذَرُ مِنهُ ولا تَكُنْ عِنْدَ النَّعماء بَطِراً و.......... ٢٤٨
ومن كلامٍ له ﷺ (٣٢)........................ ٢٥٠
قوله ﷺ: أمَّا بَعْدُ فَقدْ بَلَغني مَوْجِدَتُكَ الى نَزَلَ بكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ **متن** . ٢٥٠
اللّغة.. ٢٥٠
المعنىٰ ٢٥٠
الشّرح ٢٥١
قوله ﷺ: أمَّا بَعْدُ فَقدْ بَلَغني مَوْجِدَتُكَ من تَسْرِيحِ الأشْترِ و.......... ٢٥١
قوله ﷺ: وأنّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ إسْتبِطاءً لَكَ في الجَهْدِ ولا و........ ٢٥١
قوله ﷺ: وَلوْ نَزَعْتُ ما تَحْتَ يَدِكَ من سُلْطانِكَ وَلّيْتكَ ما هُوَ و..... ٢٥١
قوله ﷺ: إنَّ الرَّجُلَ الّذي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أمْرَ مِصْرَ كانَ لَنا و.......... ٢٥٢
قوله ﷺ: فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقدِ إسْتَكْمَلَ أيَّامَهُ ولاقَىٰ حِمَامَهُ و.......... ٢٥٢
قوله ﷺ: فأصْحِرْ لِعَدُوِّكَ وأمْضِ علىٰ بَصِيرَتِكَ وشَمِّرْو.......... ٢٥٢
قوله ﷺ: وأُدْعُ إلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ وأكثِر الإستعانة باللّه و.......... ٢٥٣
ومن كتاب له ﷺ (٣٣)........................ ٢٥٤
قوله ﷺ: أمَّا بَعْدَ فإِنَّ مِصْرَ قَدِ أفْتُتِحَتْ الى ولا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أبَداً **متن**... ٢٥٤
اللّغة.. ٢٥٤
المعنىٰ ٢٥٤
الشّرح ٢٥٥
قوله ﷺ: فَعِنْدَ اللّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً ناصِحاً وعامِلاً كادِحاً وسَيْفاً و...... ٢٥٥
قوله ﷺ: فَمِنْهُمُ الآتي كارِهاً ومِنْهُمُ المُعْتَلُّ كاذِباً و.......... ٢٥٧
قوله ﷺ: أَسألُ اللّهَ أنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجاً عاجِلاً فَوَاللّهِ لوْلا و........ ٢٥٧

ومن كتاب له عليه السلام (٣٤) **٢٦١**
قوله عليه السلام: فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاًمن **الى** أَوْ يَسَاءَ حَبِيبُ**متن** ٢٦١
اللغة.. ٢٦١
المعنىٰ ٢٦٢
الشّرح ٢٦٣
قوله عليه السلام: فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً من المسلِمين.............. ٢٦٣
قوله عليه السلام: فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِك شَمَّرَ هَارِباً وَنَكَصَ نادِماً فَلَحِقُوهُ و........ ٢٦٤
قوله عليه السلام: فاقْتَلُوا شَيْئاً كلاَ ولا فَما كانَإلاّكَمَوْقِفِ ساعَةٍ حتّىٰ و....... ٢٦٤
قوله عليه السلام: فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وتَركاضَهُمْ في الضَّلاَلِ و...... .... ٢٦٥
قوله عليه السلام: فإنَّهُمْ قَد أَجْمَعُوا علىٰ حَرْبي كإجْماعِهِمْ علىٰ و.......... ٢٦٥
قوله عليه السلام: ولا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أبِيكَ ولوْ أسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرعاً و..... ... ٢٦٧
ومن كتاب له عليه السلام (٣٥) **٢٧٠**
قوله عليه السلام: فَسُبْحانَ اللهِ! ما أشَدَّ لزُومَكَ **الى** النَّصرُ لهُ والسَّلاَمُ **متن** ... ٢٧٠
اللّغة.. ٢٧٠
المعنىٰ ٢٧٠
الشّرح ٢٧١
قوله عليه السلام: فَسُبْحَانَ اللهِ ما أشَدَّ لزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ المُبْتَدَعَةِ و...... ..... ٢٧١
قوله عليه السلام: مَعَ تَضْيِيعِ الحقَائِقِ واطِّرَاحِ الوَثائِقِ الّتي هِيَ و..... .... ٢٧١
قوله عليه السلام: فأمَّا إكْثارَكَ الحِجَاجَ فِي عُثمانَ وَقَتْلِه فإنَّكَ إنّما و...... .... ٢٧١
ومن كتاب له عليه السلام (٣٦) **٢٧٣**
قوله عليه السلام: منْ عَبْدَ اللّهِ عَلّيٍ أميرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام **الى** علىٰ عَدُوِّكُم**متن**.. ٢٧٣
اللّغة.. ٢٧٣
المعنىٰ ٢٧٤
الشّرح ٢٧٤

قوله ﷺ: منْ عَبْدِ اللَّه عَلَيٍ أميرِالمؤْمِنينَ إلىٰ القَومَالَّذِينَ و...... ..... ٢٧٤
قوله ﷺ: فَضَرَبَ الجَوْرُ سُرَادِقَهُ علىٰ البَرِّ والفَاجِرِ والمُقِيمُ و........ ٢٧٥
قوله ﷺ: أمَّا بَعْدُ فَقدْ بَعَثتُ إليْكُمْ عَبْداً منْ عِبَادَ اللّهِ لا يَنامُ و....... ٢٧٦
قوله ﷺ: فاسْمَعُوا لهُ وأَطِيعُوا أمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الحَقَّ فإنَّهُ سَيْفُ و..... ٢٧٧
قوله ﷺ: فإنْ أمَرَكُمْ أنْ تَنْفِرُوا فانْفِرُوا وإنْ أمَرَكُم أنْ تُقِيمُوا و..... ٢٧٨
قوله ﷺ: وقدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ علىٰ نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وشِدَّةِو..... ٢٧٨
ومن كتابٍ له ﷺ (٣٧) ٢٨٠
قوله ﷺ: فإنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيا الى أمامكُما شَرٌّ لكُمَا **متن** .. ٢٨٠
اللّغة ٢٨٠
المعنىٰ ٢٨٠
الشّرح ٢٨١
قوله ﷺ: فإنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبعاً لِدُنْيا أمرئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ و......... ٢٨١
قوله ﷺ: يَلُوذُ إلىٰ مخالِبِهِ ويَنْتَظِرُ ما يُلْقَي إلَيْهِ منْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ... ٢٨١
قوله ﷺ: فأَذْهَبْتَ دُنْياكَ وآخِرَتَكَ ولوْ بالحَقِّ أخَذْتَ أدْرَكْتَ و...... ٢٨١
قوله ﷺ: فإنْ يُمكِّنِّي مِنْكَ ومِنَ ابْن أبي سِفْيانَ أجْزَكُما بمَا و...... ٢٨١
ومن كتاب له ﷺ (٣٨) ٢٨٦
قوله ﷺ: أمَّا بَعْدُ فَقدْ بَلَغني عَنْكَ أمْرٌ إنْ الى منْ حِسَابِ النَّاسِ **متن** ٢٨٦
اللغّة ٢٨٦
الشّرح ٢٨٦
قوله ﷺ: أمّا بعد الحَمد والثناء عليه (فَقدْ بَلَغني عَنْكَ أَمرٌ إن و..... ٢٨٦
ومن كتاب له ﷺ (٣٩) ٢٨٨
قوله ﷺ: أمَّا بَعْدُ فإنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فى **الى** ولاتَ حِينَ مَنَاصٍ **متن** ٢٨٩
اللّغة ٢٨٩
المعنىٰ ٢٩٠

الشّرح ٢٩١
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنِّي كُنْتُ أشْرَكْتُكَ في أمَانَتي و.......... ٢٩٢
قوله عليه السلام: وَلَمْ يَكنْ رَجُلٌ منْ أهْلي أوْثَقَ مِنكَ في نَفْسِي و........ ٢٩٢
قوله عليه السلام: فَلمَّا رَأيْتَ الزَّمَانَ عَلىٰ ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ و.......... ٢٩٢
قوله عليه السلام: فلاَ ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ ولا الأمانة أدَّيْتَ ٢٩٣
قوله عليه السلام: وكأنكَ لمْ تَكُنِ اللّٰهَ تُرِيدُ بِجِهادِكَ وكأنكَ لمْ تكنْ و....... ٢٩٣
قوله عليه السلام: فلَمَّا أمكَنَتْكَ الشِّدَّةُ في خِيانَةِ الأُمَّةِ أسْرَعْتَ و.......... ٢٩٣
قوله عليه السلام: فَحَملتَهُ إلىٰ الحِجَاز رَحِيبُ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غيرَ مُتأثِّمٍ و..... ٢٩٤
قوله عليه السلام: كأنَّكَ لا أبَاً لِغيرِكَ حَدَرْتَ إلىٰ أهْلِكَ تُرَاثاً منْ و.......... ٢٩٤
قوله عليه السلام: أيُّها المَعْدُودُ كانَ عِنْدَنا منْ ذَوِي الألْبابِ كيْفَ و.......... ٢٩٤
قوله عليه السلام: فاتَّقِ اللّٰهَ وأرْدُدْ إلىٰ هؤلاءِ القَوْمِ أمْوَالَهمْ فإنكَ و.......... ٢٩٥
قوله عليه السلام: ووَاللّٰهِ لوْ أنَّ الحَسَن والحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الّذِي و.......... ٢٩٥
قوله عليه السلام: وأُقْسِم باللّٰهِ رَبِّ الْعالِمين ما يَسُرُّني أنَّ و.............. ٢٩٦
قوله عليه السلام: فَضَحِّ رُوَيْداً فَكأنَّكَ قدْ بَلَغْتَ المَدَىٰ ودفِنْتَ و.......... ٢٩٦
ومن كتاب له عليه السلام (٤٠) ٣٠١
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنِّي قد وَلَّيْتُ نُعْمَانَ **الى** الدِّينِ إنْ شَاءَ اللّٰهُ **متن**... ٣٠١
اللّغة........................... ٣٠١
المعنىٰ ٣٠١
الشّرح ٣٠٢
قوله عليه السلام: أمَّا بَعدُ فإنِّي قدْ وَلَّيْتُ نُعْمَانَ بْنَ عِجْلاَنَ الزُّرَقِي و......... ٣٠٣
قوله عليه السلام: فَلَقدْ أحْسَنْتَ الوِلاَيَةَ وأدَّيْتَ الأمانَةَ فأقِبلْ غيرَ ظَنِين و...... ٣٠٣
قوله عليه السلام: فَلَقدْ أرَدْتُ المَسيرَ إلىٰ ظَلَمةِ أهْلَ الشَّامِ و.............. ٣٠٣
ومن كتاب له عليه السلام (٤١) ٣٠٤
قوله عليه السلام: بَلغني عَنكَ أمْرٌ إنْ كُنتَ فَعَلْتَهُ **الى** ويَصْدُرُونَ عَنْهُ **متن**.... ٣٠٤

اللّغة.. ٣٠٤
المعنىٰ.. ٣٠٤
الشّرح.. ٣٠٥
قوله عليه السلام: بَلَغني عَنك أمْرٌ إنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَد و...... ٣٠٥
قوله عليه السلام: أنَّكَ تقسِم فيْ المُسْلمينَ الّذي حازَتْهُ و...... ٣٠٦
قوله عليه السلام: فَوَالّذي فَلَق الحَبَّةَ وبرَأ النَّسمةَ لئِن كانَ ذلِك حقًّا و...... ٣٠٦
قوله عليه السلام: ولَتَجِدَنَّ عِنْدي مِيزَاناً فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رِبِّكَ ولا و...... ٣٠٦
قوله عليه السلام: ألا وإنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وقبَلَنا منَ المُسلِمينَ في و...... ٣٠٦
ومن كتاب له عليه السلام (٤٢).. ٣٠٧
قوله عليه السلام: وقد عَرفت أنَّ مُعاوِيَةَ إليْكَ يَستزِلُ الى النَّوطِ الْمُذَبْذَبِ **متن**. ٣٠٧
اللّغة.. ٣٠٧
الشّرح.. ٣٠٨
قوله عليه السلام: وقدْ عَرَفْتَ أنَّ مُعاوِيَةَ إليْكَ يَستزِلُّ لُبَّكَ ويَسْتَفِلُّ و...... ٣٠٨
قوله عليه السلام: لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ ويَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ.. ٣٠٩
قوله عليه السلام: وقَدْ كانَ من أبي سِفْيَانَ في زَمَنِ عُمَرَ فَلْتَةٌ و...... ٣٠٩
ومن كتاب له عليه السلام (٤٣).. ٣١٨
قوله عليه السلام: أمَّابَعْدُ يابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغني الى منَ النَّارِ خَلاَصُكَ **متن**.. ٣٢٠
اللّغة.. ٣٢٠
المعنىٰ.. ٣٢١
الشّرح.. ٣٢٥
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ يابْنَ حُنَيْفٍ فقدْ بَلَغني أنَّ رَجُلاً منْ فِتْيةِ و...... ٣٢٥
قوله عليه السلام: وما ظَنَنْتُ أنَّكَ تُجِيبُ إلىٰ طَعامِ قَوْمٍ عائِلُهُمْ و...... ٣٢٦
قوله عليه السلام: فأنظُرْ إلىٰ ماتَقْضِمهُ منْ هذَاالمَقْضَمِ فما اشْتَبَهَ و...... ٣٢٦
قوله عليه السلام: ألاَوإنَّ لِكلِّ مَأمُومٍ إمَامَاً يَقْتَدِي بِهِ ويَسْتَضِيءُ و...... ٣٢٧

قوله عليه السلام: ألاَ وإنَّكُم لا تَقْدِرُونَ علىٰ ذلِكَ ولكِنْ أعِينُوني و........... ٣٢٨
قوله عليه السلام: فَوَاللّهِماكَنَزْتُ مِنْ دُنْياكُمْ تِبْراًولا ادَّخَرْتُ مِنْ و........ ٣٢٩
قوله عليه السلام: بَلىٰ كانَتْ في أيْدِينا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ ما أظَلَّتْهُ و............... ٣٢٩
قوله عليه السلام: وما أصْنَعُ بِفَدَكٍ وغير فَدَكٍ والنَّفْسُ مَظانُّها و............. ٣٤١
قوله عليه السلام: تَنْقَطِعُ في ظُلْمَتِهِ آثارُها وتَغِيبُ أخْبارُها و............... ٣٤١
قوله عليه السلام: وإنَّما هِيَ نَفْسِي أرُوضُها بالتَّقْوىٰ لِتَأتِيَ آمِنَةً يَوْمَ و........ ٣٤٣
قوله عليه السلام: ولَوْ شِئْتُ لأهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إلىٰ مُصَفَّىٰ هَذَاالعَسَلِ و..... ٣٤٣
قوله عليه السلام: ولكِنْ هَيْهاتَ أنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ويَقُودَنِي جَشَعِي و........ ٣٤٤
قوله عليه السلام: أوْ أبِيتُ مِبْطاناً وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَىٰ وأكْبادٌ حَرَّىٰ و...... ٣٤٥
قوله عليه السلام: أأقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بأنْ يُقالَ أميرُالْمُؤمِنِينَ ولا و............. ٣٤٥
قوله عليه السلام: فما خُلِقْتُ لِيَشْغَلِني أكْلُ الطَّيِّباتِ كالبَهِيمَةِ و.......... ٣٤٥
قوله عليه السلام: وكأنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إذَا كانَ هَذَاقُوتُ و.................. ٣٤٦
قوله عليه السلام: وأنَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ كالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ والذِّرَاعِ مِنَ و...... ٣٤٨
قوله عليه السلام: ولَوْ أمكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِها لَسَارَعْتُ إلَيْها و.......... ٣٥٣
قوله عليه السلام: إلَيْكِ عَنِّي يادُنْيا فَحَبْلُكِ علىٰ غارِبِكِ قَدِ و............ ٣٥٥
قوله عليه السلام: واللّهِ لوْ كُنْتُ شَخْصاً مَرْئيّاً وقالَباً حِسِّيّاًلأقَمْتُ و......... ٣٥٦
قوله عليه السلام: هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضِكِ زَلَقَ ومَنْ رَكِبَ لُجَجِكِ و....... ٣٥٧
قوله عليه السلام: والسَّالِمُ مِنْكِ لا يُبالِي إنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخَهُ والدُّنْيا و........ ٣٥٧
قوله عليه السلام: أغْرُبِي عنِّي فَوَا اللّهَ لا أذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّيني و.............. ٣٥٧
قوله عليه السلام: وأيْمُ اللّهِ يَمِيناً إستَثْنِيٰ فِيهَا بِمَشيئَةِ اللّهِ و................ ٣٥٨
قوله عليه السلام: أتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِها فَتَبْرُكَ وتَشْبَعُ و................. ٣٥٨
قوله عليه السلام: طُوبَىٰ لِنَفْسٍ أدَّتْ إلىٰ رَبِّها فَرْضَهاوعَرَكَتْ و............... ٣٥٩
قوله عليه السلام: حتَّىٰ إذَاغَلَبَ الْكَرَىٰ عَلَيْهاإفْتَرَشَتْ أرْضَها و............. ٣٥٩
قوله عليه السلام: ولْتَكْفِكَ أقْرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلاَصُكَ ٣٦٠

ومن كتاب له عليه السلام (٤٤) ٣٦٣
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنّكَ ممَّنْ أسْتَظْهِرُ بِهِ علىٰ الى عَدْلِكَ والسَّلاَمُ متن ٣٦٣
اللغة ٣٦٣
الشّرح ٣٦٣
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فإنّكَ مِمَّنْ أسْتَظْهِرُ بهِ علىٰ إقامَةِ و...... ٣٦٣
قوله عليه السلام: فاستَعِنْ باللّهِ علىٰ مَا أهَمَّكَ وأخْلِط الشِّدَّةَ و...... ٣٦٤
ومن وصيته عليه السلام (٤٥) ٣٦٦
قوله عليه السلام: أُوصِيكُما بِتَقْوَىٰ اللّهِ وأنْ لاَتَبْغِياالى بالكَلْبِ العَقُورِ متن .. ٣٦٧
اللّغة ٣٦٧
المعنىٰ ٣٦٧
الشّرح ٣٦٨
قوله عليه السلام: أُوصِيكُما بِتَقْوَىٰ اللّهِ وأنْ لاَتَبْغِياالدُّنيا وإنْ بَغَتْكُما ٣٦٨
قوله عليه السلام: ولا تَأسفا علىٰ شيْ زُوِيَ عنكما وقُولاً بالحَقِّ و...... ٣٧٠
قوله عليه السلام: أُوصِيكُما وجَمِيعَ وَلَدِي وأهْلي ومَنْ بَلَغَهُ كِتَابي و...... ٣٧١
قوله عليه السلام: صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ أفْضَلُ منْ عامَّةِ و...... ٣٧٢
قوله عليه السلام: واللّهَ اللّهَ في الأيْتامِ فَلاَ تُغِبُّوا أفْوَاهَهُمْ ولا يَضيعُوا و...... ٣٧٧
قوله عليه السلام: واللّهَ اللّهَ في جِيرَانِكُمْ فإنَّهُمْ وصِيَّة نَبِيِّكُمْ ما زالَ و...... ٣٧٨
قوله عليه السلام: واللّهَ اللّهَ في الْقُرآنِ لا يَسْبِقُكُمْ بالعُمَلِ بِهِ غيرُكُمْ ٣٧٩
قوله عليه السلام: واللّهَ اللّهَ في الصَّلاَةِ فإنَّها عَمُودُ دِينكُمْ واللّهَ اللّهَ و...... ٣٨٠
قوله عليه السلام: وَاللّهَ اللّهَ في الجِهَادِ بأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ و...... ٣٨٠
قوله عليه السلام: وعَلَيكُمْ بالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ وإيَّاكُمْ والتّدابر و...... ٣٨١
قوله عليه السلام: لا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بالمَعرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ و...... ٣٨٢
قوله عليه السلام: يا بَني عَبْدِ المطَّلِب لا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِماءَ و...... ٣٨٩
ومن كتاب له عليه السلام (٤٦) ٣٩٠

قوله عليه السلام: وإنَّ البَغْيَ والزُّورَ يُذيعَانَ بالمَرْءِالى حُكْمِه والسّلاَمَ **متن** .. ٣٩٠
اللّغة ٣٩٠
المعنىٰ ٣٩٠
الشّرح ٣٩١
قوله عليه السلام: وإنَّ البَغْيَ والزُّورَ يُذيعَانِ بالمَرْءِ في دِينِهِ ودُنْياهُ ٣٩١
قوله عليه السلام: ويُبْدِيانِ خِلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ وقدْ عَلِمْتُ أنَّكَ و...... ٣٩١
قوله عليه السلام: وقدْ رَامَ أقْوَامٌ أمراًبغيرِالحقِّ فتأوَّلواعلىٰ اللّهِ فأكْذَبهُمْ. ٣٩٢
قوله عليه السلام: فاحْذَرْ يَوماً يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أحْمَدَ عاقِبَةَ عَمَلِهِ و..... .... ٣٩٢
قوله عليه السلام: وقدْ دَعَوْتَنا الىٰ حكم القرآن ولَستَ مِن أهله و..... .... ٣٩٢
ومن كتاب له عليه السلام (٤٧) ٣٩٣
قوله عليه السلام: أمّا بَعْدُ فإنّ الدُّنيامَشْغَلَةٌ عنْ غيرها **الى** بَقِيَ والسّلاَمَ **متن** .. ٣٩٣
الشّرح ٣٩٣
وقوله عليه السلام: لم يُصب الىٰ قوله ولهجاً بها معناه أنّ طالب الدّنيا و..... . ٣٩٣
وقوله عليه السلام: ولَن يستغني الىٰ قوله منها كأنّه بمنزلة و..... .... ٣٩٣
ومن كتاب له عليه السلام (٤٨) ٣٩٥
قوله عليه السلام: منْ عَبْدِاللّهِ علَيٍ أميرِالمؤمِنينَ**الى** اللّهُ بهِ أمَرَكُمْ **متن** ٣٩٥
اللّغة ٣٩٥
المعنىٰ ٣٩٦
الشّرح ٣٩٦
قوله عليه السلام: أمّا بَعْدُ فإنَّ حَقّاً علىٰ الْوَالِي أنْ لا يُغَيِّرَهُ علىٰ رَعِيَّتِهِ و..... ٣٩٧
قوله عليه السلام: وأنْ يَزيدَه ما قَسَم اللّهُ لهُ منْ نِعَمِهِ دُنُوّاً منْ و..... .... ٣٩٧
قوله عليه السلام: ألاَ وإنَّ لَكمْ عِنْدِي أنْ لا أحتَجِزَ دُونَكُم سِرّاً إلّا و..... .... ٣٩٨
قوله عليه السلام: فإِذَا فَعَلْتُ ذلِكَ وَجَبَتْ لِلّهِ عَليكُمْ النِّعْمَةُ ولي و..... .... ٣٩٨
قوله عليه السلام: ولا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ ولا تُفَرِّطُوا في و..... .... ٣٩٩

قوله عليه السلام: فإنْ أنتمْ لَمْ تَسْتَقِيموُا على ذلِك لَمْ يَكُنْ أحَدٌ و........ ٣٩٩
قوله عليه السلام: ثُمّ أعْظِمُ لهُ الْعُقُوبَةَ ولا يَجِدُ عِنْدِي فِيها رُخْصَةً و..... ٣٩٩
ومن كتاب له عليه السلام (٤٩) ٤٠٠
قوله عليه السلام: منْ عَبْدِ اللّهِ عليّ أميرِ المُؤمِنينَ الى قُوّةَ إلّا باللّهِ متن..... ٤٠٠
اللّغة.. ٤٠٠
المعنىٰ ٤٠١
الشّرح ٤٠٢
قوله عليه السلام: أمّا بَعْدُ فإنَّ مَنْ لمْ يَحْذَرْ ما هُوَ صَائِرٌ إليْهِ لَمْ و........ ٤٠٢
قوله عليه السلام: واعْلَمُوا أنّ ما كُلِّفْتُمْ يَسيرٌ وأنّ ثَوابَهُ كَثِيرٌ.ولوْ لمْ و........ ٤٠٢
قوله عليه السلام: فأنْصِفُوا النّاسَ منْ أنَفسِكُمْ واصْبِرُوا لِحَوائِجِهِمْ و........ ٤٠٣
قوله عليه السلام: ولاَ تَحْشِموا أحَداً عَنْ حاجَتِهِ ولاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ و........ ٤٠٣
قوله عليه السلام: وَلا تَضْرِبنَّ أحَداً سَوْطاً لِمكَانِ دِرْهَم ولاَ و........ ٤٠٣
قوله عليه السلام: ولا تدّخِرُواأنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً ولا الجُنْدُ حُسْنَ و........ ٤٠٤
قوله عليه السلام: وأبْلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ما إسْتَوْجَبَ عليكُمْ فإنّ و........ ٤٠٤
ومن كتاب له عليه السلام (٥٠) ٤٠٥
قوله عليه السلام: أمّا بَعْدُ فَصَلُّوا بالنّاسِ الظُّهْرَ حتّىٰ الى تكُونُوا فَتّانِينَ **متن** .. ٤٠٥
اللغّة.. ٤٠٥
الشّرح ٤٠٥
قوله عليه السلام: أمّا بعْدُ فَصَلُّوا بالنّاسِ حتّىٰ تَفِيَ الشّمْسَ منْ و........ ٤٠٧
قوله عليه السلام: وصَلُّوا بِهِمُ العَصْرِ والشّمْسُ بَيْضاء حَيَّةٌ في عِضْوٍ و..... ٤٠٩
قوله عليه السلام: وصَلُّوا بِهِمُ المَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصّائِمُ ويَدْفَعُ الحَاجُ ٤٠٩
قوله عليه السلام: وصلّوا بهم العشاء حين يتَوارىٰ الشّفق الىٰ ثلث اللّيل ٤٠٩
قوله عليه السلام: وصَلُّوا بِهِمُ الغَدَاةَ والرَّجُلَ يَعْرِفُ وجْهَ صاحِبِهِ ٤٠٩
قوله عليه السلام: وصَلُّوا بِهِمْ صَلاةَ أضْعَفِهِمْ ولاَ تَكُونُوا فَتّانِينَ ٤١٠

ومن كتاب له عليه السلام (٥١)........................ ٤١١
قوله عليه السلام: هذا ما أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللّهِ عَليٌّ عليه السلام **الى** لِلظّالِمينَ بالْمِرْصَادِ**متن** . ٤١٢
اللغة.............................. ٤١٢
المعنى............................. ٤١٣
الشّرح............................. ٤١٥
قوله عليه السلام: هذا ماأَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللّهِ عليٌّ أميرُ المؤمنينَ و............. ٤١٥
قوله عليه السلام: أَمَرَهُ بِتَقْوَىٰ اللّهِ وإيثارِ طَاعَتِه وإتِّبَاعِ ما أَمَرَ و............ ٤١٦
قوله عليه السلام: وأنْ يَنْصُرَ اللّهَ سُبحانَهُ بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ فإنَّهُ و........ ٤١٧
قوله عليه السلام: وأَمَرَهُ أنْ يَكْسِرَ نَفْسَه مَنْ الشَّهوَاتِ ويَزَعَها عِنْدَ و........ ٤١٧
قوله عليه السلام: ثُمَّ أعْلَمْ يا مالِكُ أنّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إلىٰ بِلاَدٍقَدْ جَرَتْ و...... ٤١٨
قوله عليه السلام: وأنّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ منْ أُمورِكَ مِثْلِ ما كُنْتَ و.......... ٤١٨
قوله عليه السلام: فَلْيكُنْ أَحَبُّ الذَّخائِرِإلَيْكَ ذَخيرَةَ العَمَلِ الصَّالِحِ و........ ٤١٩
قوله عليه السلام: وأشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ والمَحَبَّةَ لَهُمْ و........... ٤٢٠
قوله عليه السلام: فإنَّهُمْ صِنْفَانِ إمَّا أخٌ لَكَ في الدِّينِ أوْ نَظِيرٌ لَكَ و.......... ٤٢٠
قوله عليه السلام: فإنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الأمْرِ عَليْكَ فَوْقَكَ واللّهُ فَوْقَ و........ ٤٢١
قوله عليه السلام: ولاَ تَنْدَ مَنَّ علىٰ عَفْوٍ ولا تَبْجَحَنَّ بِعقُوبَةٍ و.............. ٤٢١
قوله عليه السلام: ولا تَقُولَنَّ إنّي مُؤَمَّرٌ آمِرٌ فأُطاعُ فإنَّ ذلِكَ و.............. ٤٢١
قوله عليه السلام: وإذا أَحْدَثَ لَكَ ما أنْتَ فيهِ منْ سُلْطَانِكَ أُبَّهةٌ أوْ و......... ٤٢٢
قوله عليه السلام: فإنَّ ذلِكَ يُطأ مِنْ إلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ويكُفُّ عَنْكَ و........ ٤٢٢
قوله عليه السلام: أيّاك ومُسَامَاةَ اللّهِ في عَظَمَتِه والتَّشَبهَ بهَ في جَبَرُوتِه و....... ٤٢٢
قوله عليه السلام: وأَنْصِفِ النَّاسَ منْ نَفْسِكَ ومنْ خاصَّةِ أهْلِكَ ومَنْ و....... ٤٢٣
قوله عليه السلام: فإنَّكَ أن الاّتَفْعَلْ تَظْلِمْ ومَنْ ظَلَمَ عِبادَ اللّهِ كانَ و......... ٤٢٤
قوله عليه السلام: ولَيْسَ شَيْ أَدْعىٰ إلىٰ تَغْييرِ نِعْمَةِ اللّهِ وتَعْجِيلِ و.......... ٤٢٥
الفصل الثّاني.............................. ٤٢٦

قوله عليه السلام: ولَيكُنْ أحَبُّ الأُمُورِ إلَيْكَ أوسَطَها في الى النَّاسُ قَبْلَكَ **متن** ۴۲۷
اللغة........................ ۴۲۷
المعنىٰ........................ ۴۲۸
الشّرح........................ ۴۳۰
قوله عليه السلام: ولَيكُنْ أحَبُّ الأُمُورِ إلَيْكَ أَوْسَطَها في الحَقِّ و........... ۴۳۰
قوله عليه السلام: فإنَّ سَخْطَ العَامَّةِ يُجْحِفُ بِرضىٰ الخَاصَّةِ وأنَّ و..... ...... ۴۳۱
قوله عليه السلام: ولَيسَ أحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أثْقَلَ علىٰ الوَالِي و..... .... ۴۳۳
قوله عليه السلام: وإنَّما عَمادُالدِّينِ وجِمَاعُ المُسْلِمينَ والْعُدَّةِ و..... .... ۴۳۴
قوله عليه السلام: ولْيَكُنْ أبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنكَ وأشْنأَهُمْ عِنْدَكَ أطْلَبَهُمْ و....... ۴۳۵
قوله عليه السلام: واللّٰهُ يَحْكَمُ علىٰ ما غابَ عَنْكَ فأستُرِ العَوْرَةَ ما و......... ۴۳۵
قوله عليه السلام: أطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ وأقْطَعْ عَنْكَ و.......... ۴۳۷
قوله عليه السلام: ولا تُدْخِلَنَّ في مَشْورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ و..... ...... ۴۴۰
قوله عليه السلام: إنَّ شَرَّور وُزَرَائِكَ مَنْ كانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً و..... .... ۴۴۲
قوله عليه السلام: أُولئِكَ أخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وأحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً و...... ..... ۴۴۳
قوله عليه السلام: ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرَهُمْ عِنْدَكَ أقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الحَقِّ لَكَ و.......... ۴۴۳
قوله عليه السلام: والْصَقْ بأهْلِ الْوَرَعَ والصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ علىٰ أنْ و..... .... ۴۴۳
قوله عليه السلام: ولا يكُونُ المُحْسِنُ والمُسِيْ عِنْدَكَ بمنزِلَةٍ و..... .... ۴۵۰
قوله عليه السلام: واعلمْ أنَّهُ لَيْسَ شَيْ بأدْعىٰ إلىٰ حُسْنَ ظَنِّ رَاعٍ و.......... ۴۵۱
قوله عليه السلام: فَلْيَكُنْ مِنْكَ في ذلِكَ أمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بهِ حُسْنُ الظَّنِّ و..... . ۴۵۲
قوله عليه السلام: ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بها صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ و...... ۴۵۲
قوله عليه السلام: وأكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلمَاءِ ومُنَاقَشَةَ الحُكَماءِ في تَثْبِيتِ و...... ۴۵۳
الفصل الثّالث........................ **۴۵۴**
قوله عليه السلام: وأعلمْ أنَّ الرَّعِيةَ طَبَقاتٌ لايَصلُحُ الى غيرِ المُفَرَّقَةِ **متن**... ۴۵۶
اللّغة........................ ۴۵۶

المعنىٰ ۴۵۶
الشّرح ۴۵۹
قوله عليه السلام: وأعلمْ أنّ الرَّعِيَّةَ طَبَقاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلّا و........... ۴۵۹
قوله عليه السلام: فمِنْها جُنُودُ اللّهِ، وَمِنْها كُتّابُ الْعامّةِ والخاصّةِ ومِنْها و..... . ۴۵۹
قوله عليه السلام: فالجُنُودُ بإذْنِ اللّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وزَيْنُ الْوُلاةِ وعِزُّ و..... . ۴۶۰
قوله عليه السلام: ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إلّا بمَا يُخْرِجُ اللّهُ لهُمْ منَ الْخَرَاجِ و..... . ۴۶۲
قوله عليه السلام: ثُمَّ لا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إلّا بالصِّنفِ الثّالِثِ و........... ۴۶۳
قوله عليه السلام: ولا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إلّا بالتُّجّارِ وذَوِي الصِّناعاتِو..... . . . ۴۶۳
قوله عليه السلام: ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلىٰ منْ أهْلِ الحاجَةِ والمَسكَنَةِ الَّذِينَ و...... ۴۶۴
قوله عليه السلام: ولَيْسَ يَخْرُجُ الوَالي منْ حَقِيقَةِ ما أَلْزَمَهُ اللّهُ و............. ۴۶۵
قوله عليه السلام: فَوَلِّ منْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ في نَفْسِكَ و................. ۴۶۵
قوله عليه السلام: ثُمَّ أَلْصِقْ بِذَوِي الأَحْسَابِ وأهْلِ الْبُيُوتاتِ و.............. ۴۶۷
قوله عليه السلام: ثُمَّ تَفَقَّدْ منَ أُمُورِهِمْما يَتَفَقَّدُ الوَالِدَانِ منْ وَلَدِهِما و...... ۴۶۸
قوله عليه السلام: ولا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعاهَدْتَهُمْ بهِ وإنْ قَلَّ فإنَّهُ دَاعِيَةٌ و..... . . . ۴۶۸
قوله عليه السلام: لاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ إتِّكالاً عَلىٰ جَسِيمِها و...... ۴۶۸
قوله عليه السلام: ولْيَكُنْ آثَرُ رُؤُسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ واسَاهُمْ و..... . . . . . . ۴۶۸
قوله عليه السلام: فإنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِم يُعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عليكَ و..... . . . . ۴۶۹
قوله عليه السلام: وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وإنَّهُ لا تَظْهَر مَوَدَّتَهُمْ و.............. ۴۷۰
قوله عليه السلام: فأفْسَحْ في آمالِهِمْ ووَاصِلْ في حُسْنِ الثَّناءِ عليهِمْ و..... . . . ۴۷۰
قوله عليه السلام: ثُمَّ أعْرِفْ لِكلِّ إمْرِىءٍ مِنْهُمْ ما أبْلىٰ ولا و............... ۴۷۱
قوله عليه السلام: وأرْدُدْ إلىٰ اللّهِ ورَسُوله ما يُضْلِعکَ منَ و................ ۴۷۱
قوله عليه السلام: فَالرَّدُّ إلىٰ اللّهِ الأَخْذَ بِمُحكَمِ كِتَابِه والرَّدُّ و.............. ۴۷۱
الفصل الرّابع........................ **۴۷۵**
قوله عليه السلام: ثُمَّ أخْتَرْ لِلْحُكْمِ بيْنَ النّاس أفْضَلَ الى إنْتِفاعِهِمْ بِالعِبَرِ **متن** . ۴۷۷

اللّغة.. ٤٧٧
المعنىٰ ٤٧٧
الشّرح ٤٨٠
قوله عليه السلام: ثُمَّ اختَرْ لِلْحُكْم بيْنَ النَّاس أفْضَلَ رَعِيَّتِكَ في نَفْسِكَ...... ٤٨٠
قوله عليه السلام: مِمَّنْ تَضِيقُ بِهِ الأمُورَ الى قوله الىٰ طَمَعٍ.............. ٤٨١
قوله عليه السلام: وأُولئك قَلِيلٌ ثُمَّ أكْثِرْ تَعاهُدَ قَضائهَ وأفْسَحْ لهُ في و........ ٤٨٦
قوله عليه السلام: وأعْطِهِ منَ المَنزِلَةِ لَدَيْكَ ما لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيرُهُ منْ و....... ٤٨٧
قوله عليه السلام: ثُمَّ أُنْظُرْ في أُمُورِ عُمَّالِكَ فاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَاراً و........... ٤٨٨
قوله عليه السلام: وتَوَخَّ مِنهُمْ أهْلِ التَّجْرِبَةِ والحَيَاءِ منْ أهْلِ و............ ٤٨٩
قوله عليه السلام: ثمَّ أسْبِغْ عَلَيهِمْ الأرْزَاقَ فإنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ و............ ٤٩٠
قوله عليه السلام: ثمَّ تَفَقَّد أعمَالَهُمْ وَأبْعَثِ العُيُونَ منْ أهْلِ الصدْقِ و........ ٤٩١
قوله عليه السلام: فأنَّ تعاهدك في السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ علىٰ و........ ٤٩٢
قوله عليه السلام: وتَحَفظْ منَ الأعْوَانِ فإنْ أحَدٌ مِنهُمْ بَسَطَ يَدَهُ و......... ٤٩٢
قوله عليه السلام: وتَفَقَّد أمْرَ الخَرَاجِ بمَا يُصْلِحُ أهْلَهُ و................ ٤٩٣
قوله عليه السلام: ولْيَكُنْ نَظرُكَ في عِمارَةِ الأرضِ أبْلَغَ و.................. ٤٩٤
قوله عليه السلام: فإنْ شَكَوْاثِقَلاً أوْ عِلَّةً أوْ إنْقِطَاعَ شِرْبٍ و............... ٤٩٤
قوله عليه السلام: ولا يَثْقُلَنَّ عَليكَ شَيْ خَفَّفْتَ بِهِ المَؤُونَةَ عَنْهُمْ فإنَّهُ و....... ٤٩٥
قوله عليه السلام: مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِما ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ منْ و.............. ٤٩٦
قوله عليه السلام: فَرُبَّما حَدَثَ منَ الأُمُورِ ما إذَا عَوَّلْتَ فِيهِ علَيْهِم منْ و...... ٤٩٦
الفصل الخامس **٤٩٧**
قوله عليه السلام: ثمَّ أنْظُرْ في حالِ كُتّابِكَ فَوَلِّ علىٰ الى مَوْعُودِ اللهِ لهُمْ متن ٤٩٨
اللغّة.. ٤٩٨
المعنىٰ ٤٩٩
الشّرح ٥٠١

قوله عليه السلام: ثُمَّ أنظُرْ في حالِ كُتَّابكَ فَوَلِّ علىٰ أمُورِكَ و.............. ٥٠١
قوله عليه السلام: مِمَّنْ لا تُبطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيجتَرِئَ بها عليكَو............. ٥٠١
قوله عليه السلام: ولا يُضعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ وَلاَ يَعْجزُ عَنْ و...... ٥٠٢
قوله عليه السلام: ولاَ يَجْهَلَ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفسِه فيِ الأمُورِ فأنَّ الجاهِلَ و......... ٥٠٢
قوله عليه السلام: ثُمَّ لا يكُنِ إختِيارُكَ إيَّاهُمْ علىٰ فِرَاسَتِكَ و............... ٥٠٣
قوله عليه السلام: فإنَّ الرِّجالَ يَتَعرَّفُونَ لِفَراساتِ الوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ و......... ٥٠٣
قوله عليه السلام: فَاعمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كانَ في الْعامَّةِ أَثَراً و.............. ٥٠٤
قوله عليه السلام: واجْعَلْ لِرَأسِ كلِّ أمْرٍ منْ أمُورِكَ رَأساً منهُمْ و.............. ٥٠٤
قوله عليه السلام: ومَهما كانَ في كُتَّابِكَ منْ عَيْبٍ فَتَغابَيْتَ عنْهُ و.............. ٥٠٤
قوله عليه السلام: ثُمَّ اسْتَوصِ بالتُّجَارِ وذَوِي الصِّناعاتِ وأوْصِ بِهِمْ و...... ٥٠٥
قوله عليه السلام: فإنهُمْ مَوَادُّ المَنافِعِ وأسْبَابُ المَرَافِقِ وجُلاَّبُها و............ ٥٠٥
قوله عليه السلام: وحَيْثُ لايَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِها ولا يَجتَرِئُونَ و............ ٥٠٥
قوله عليه السلام: وتَفَقَّدْ أمُورِهُمْ بِحَضْرَتِكَ وفيِ حَوَاشِي بَلاَدِكَ و............ ٥٠٦
قوله عليه السلام: فامْنَعْ منَ الإحْتِكارِ فإنَّ رَسُولَ اللّهِ ٩ مَنَعَ مِنْهُ و............ ٥٠٧
قوله عليه السلام: فَمَنْ قارَفَ حَكْرَةً بَعْدَ نَهْيكَ إيَّاهُ فَنكِّلْ بِهِ و.............. ٥٠٩
قوله عليه السلام: ثُمَّ اللّهَ اللّهَ في الطَّبَقِة السُّفْلىٰ منَ الَّذِينَ و.............. ٥١٠
قوله عليه السلام: فإنَّ في هَذِهِ الطَّبَقِةِ قانِعاً ومُعْتَرّاً واحْفَظْ لِلّهَ و............ ٥١٢
قوله عليه السلام: وإجْعَلْ لهُمْ قِسْماً منْ بَيْتِ مالِكَ وقِسْماً منْ و............. ٥١٢
قوله عليه السلام: فإنَّكَ لا تُعذَرُ بِتَضْيِيعِكِ التَّافِهَ لإحكامِكَ و............. ٥١٣
قوله عليه السلام: وتَفَقَّدْ أمُورَ مَنْ لايَصِلُ إلَيْكَ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ و............ ٥١٤
قوله عليه السلام: فإنَّ هَؤُلاءِ منْ بيْنِ الرَّعِيَّة أحْوَجُ إلىٰ الإنْصَافَ و.......... ٥١٤
قوله عليه السلام: وتَعَهَّدْ أهْلَ الْيُتْمِ وذَوِي الرِّقَّةِ في السِّنِّ مِمَّنْ و............ ٥١٤
الفصل السّادس ٥١٦
قوله عليه السلام: وأَجعلْ لِذَوِي الحَاجَاتِ مِنْكَ قِسماًالى في مُعَامَلَةٍ **متن** ... ٥١٧

اللغة ٥١٧
المعنىٰ ٥١٨
الشّرح ٥٢٠
قوله عليه السلام: واجعَلْ لِذَوِي الحَاجَاتِ مِنكَ قِسْماً تُفرِّغُ و........ ٥٢٠
قوله عليه السلام: وتَقعُدُ عَنهُم جُنْدَكَ وأعْوَانَكَ مِنْ أحْرَاسِكَ و........ ٥٢٠
قوله عليه السلام: ثُمّ إحتَمِلِ الْخُرْقَ مِنهُم والعِيّ ونَحِّ عَنْهُمْ و........ ٥٢١
قوله عليه السلام: يَبْسُطِ اللّهُ علَيْكَ بِذَلِكَ أكْنافَ رَحْمَتِهِ ويُوجِبْ لَكَ و........ ٥٢١
قوله عليه السلام: وأَعْطِ ما أعطَيْتَ هَنيئاً وامْنَعْ في إجْمَالٍ وإعْذَارٍ........ ٥٢١
قوله عليه السلام: ثُمّ أُمُورٌ منْ أمُورِكَ لابُدَّلَكَ من مُباشَرَتِهَا مِنها و........ ٥٢٢
قوله عليه السلام: وأمْضِ لِكُلِّ يِوْمٍ عَمَلَهُ فإنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ ما فِيهِ........ ٥٢٣
قوله عليه السلام: وأَجْعَلْ لِنَفسِكَ فِيما بَينَكَ وبَيْنَ اللّهِ أفْضَلَ و........ ٥٢٣
قوله عليه السلام: ولْيَكُنْ في خاصَّةِ ما تُخلِصُ بِهِ لِلّهِ دِينَكَ إقامَةُ و........ ٥٢٣
قوله عليه السلام: وإذا أقَمْتَ في صَلاتِكَ لِلنّاسِ فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً و........ ٥٢٤
قوله عليه السلام: وأمَّا بَعْدُ فَلاَ تَطوّلَنَّ احْتِجابَكَ عن رَعِيَّتِكَ فإنَّ و........ ٥٢٥
قوله عليه السلام: والإحْتِجَابُ عِنهم يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ ما احْتَجَبُوه و........ ٥٢٦
قوله عليه السلام: وإنَّما الوَالِي بَشَرٌ لا يَعرِفُ ما تَوَارِي عنهُ و........ ٥٢٧
قوله عليه السلام: وإنّما أنْتَ أحَدُرَجُلَينِ إمَّاامْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ و........ ٥٢٧
الفصل السّابع **٥٢٨**
قوله عليه السلام: ثُمّ أنْ لِلْوَالِي خاصَّةً وبِطَانَةً فِيهِم **الى** كَثيراً والسّلاَم **متن** ... ٥٣٠
اللّغة ٥٣١
المعنىٰ ٥٣١
الشّرح ٥٣٥
قوله عليه السلام: ثُمّ إنَّ لِلْوَالِي خاصَّةً وبِطَانَةً فِيهِمْ اسْتِئْثَارٌ وتَطَاوُلٌ و........ ٥٣٥
قوله عليه السلام: فأحْسِمْ مادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ........ ٥٣٦

قوله ﷺ: ولا يَطْمَعنَّ مِنكَ في اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ و.......... ٥٣٧
قوله ﷺ: وأَلْزِم الحقَّ منَ لَزِمَهُ منَ القَرِيبِ والبَعِيدِ و.......... ٥٣٧
قوله ﷺ: وإنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فأَصْحِرْ لَهمْ و.......... ٥٣٨
قوله ﷺ: ولا تَدْفَعنَّ صُلْحاً دَعاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ ولِلّٰهِ و.......... ٥٣٨
قوله ﷺ: وإنْ عَقَدْتَ بيْنَكَ وبينَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ و.......... ٥٣٩
قوله ﷺ: فإنَّهُ لَيْسَ منْ فَرَائِضِ اللّٰهِ شَيْ النَّاسَ أشدُّ عليْهِ و.......... ٥٤٢
قوله ﷺ: ولا تَخْتِلنَّ عَدُوَّكَ فإنَّهُ لا يَجتَرِئُ علىٰ اللّٰهِ و.......... ٥٤٢
قوله ﷺ: فَلاَ إِدْغالَ ولا مُدَالَسَةَ ولا خدَاعَ فيهِ.......... ٥٤٤
قوله ﷺ: ولا تَعْقِدْ عَقْداً تُجوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ ولا تُعَوِّلَنَّ و.......... ٥٤٤
قوله ﷺ: إيَّاكَ والدِّماءِ وسَفْكَها بِغَيرِ حِلِّها فإنَّهُ لَيْسَ شَيْ و.......... ٥٤٥
قوله ﷺ: واللّٰهُ سُبْحانَهُ مُبْتَدِئٌ بالحُكْم بيْنَ الْعِبَادِ فِيما و.......... ٥٤٦
قوله ﷺ: وإنْ ابتُليتَ بِخَطإٍ وأفْرَطَ عليكَ سَوْطُكَ أوْ و.......... ٥٤٦
قوله ﷺ: وإيَّاكَ والإعْجَابَ بِنَفسِكَ والثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ منها و.......... ٥٤٧
قوله ﷺ: وإيَّاكَ والمَنَّ علىٰ رَعِيَّتِكَ بإحسَانِكَ أوْالتَّزَيُّدُ فِيما و.......... ٥٥١
قوله ﷺ: وإيَّاكَ والعَجَلةَ بالأُمُورِ قَبْلَ أوانِها أوْ التَّسقُّطَ فِيها و.......... ٥٥٣
قوله ﷺ: وإيَّاكَ والاسْتِئْثارِ بمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ والتَّغابيَ عمَّا و.......... ٥٥٦
قوله ﷺ: وتلك حَمِيَّةَ أنفِكَ وسَوْرَةَ حَدِّكَ وسَطْوَةَ و.......... ٥٥٨
قوله ﷺ: والْوَاجِبُ عليكَ أنْ تَتَذَكَّرَ ما مَضَىٰ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ و.......... ٥٥٩
قوله ﷺ: وَأنا أسألُ اللّٰهَ بِسعةَ رَحْمَتِهِ وَعظِيم قُدرَتِهِ علىٰ و.......... ٥٦١
قوله ﷺ: وأنْ يَخْتِمَ لِي ولَكَ بالسَّعَادَةِ والشَّهَادَةِ إنَّا إلَيْهِ و.......... ٥٦١
ومن كتاب له ﷺ (٥٢)..........٥٦٣
قوله ﷺ: أمَّا بَعْدُ فَقدْ عَلِمْتُما وإنْ كَتَمْتُماالى والنَّارَ والسَّلاَمُ متن ... ٥٦٣
اللغة.......... ٥٦٣
المعنىٰ.......... ٥٦٤

الشّرح ٥٦٤
قوله عليه السلام: أمَّا بَعْدُ فَقدْ عَلِمْتُما وأنْ كَتَمْتُما أنّي لمْ أُرِدِ النَّاسَ و...... ٥٦٤
قوله عليه السلام: وإنَّ العَامَّةَ لَمْ تُبايِعْني لِسُلْطانٍ غالِبٍ ولا لِعَرَضٍ حاضِرٍ... ٥٦٥
قوله عليه السلام: فإنْ كُنْتُما بايَعْتُماني طائِعينَ فارْجِعَا وتُوبَا إلى اللّهِ و...... ٥٦٦
قوله عليه السلام: ولَعَمْرِي ما كُنْتُما بأحَقِّ المُهاجِرينَ بالتَّقِيَّةِ والكِتْمانِ..... ٥٦٧
قوله عليه السلام: فارْجِعَا أيُّها الشَّيْخانِ عِنْ رَأيِكُما فإنَّ الآنَ أعْظَمَ و...... ٥٦٨
ومن كتاب له عليه السلام (٥٣)........................... ٥٦٩
أمَّا بَعْدُ فإنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيا الى وهُوَ خَيرُ الحاكِمينَ متن . ٥٦٩
اللّغة.. ٥٦٩
المعنى.. ٥٧٠
الشّرح.. ٥٧٠
قوله عليه السلام: فإنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيا لِمَا بَعْدَها و............ ٥٧٠
قوله عليه السلام: وإبْتَلى فِيها أهْلَها لِيَعْلَمَ أيُّهمْ أحْسَنُ عَملاً و............ ٥٧١
قوله عليه السلام: ولَسنْا لِلدُّنيا خُلِقْنا ولا بالسَّعْيِ فيها أُمِرْنا و............ ٥٧١
قوله عليه السلام: فَعدَوْتَ على الدُّنيا بِتأوِيلِ القُرآنِ فَطَلَبْتَني و............ ٥٧٤
قوله عليه السلام: فاتَّقِ اللّهَ في نَفْسِكَ ونَازِعِ الشَّيْطانَ و............ ٥٧٥
ومن وصيّةٍ له عليه السلام (٥٤)........................... ٥٧٨
قوله عليه السلام: إتَّقِ اللّهَ في كُلِّ صَباحٍ ومَسَاءٍ وخَفْ الى وَاقماً قامِعاً متن .. ٥٧٨
اللّغة.. ٥٧٨
المعنى.. ٥٧٩
الشّرح.. ٥٧٩
قوله عليه السلام: إتَّقِ اللّهَ في كلِّ صَباحٍ ومَسَاءٍ وخَفْ على نَفْسِكَ و...... ٥٧٩

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٧
التاريخ / ٩ / ٨ / ٢٠١١